

حَضْرَةُ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ

منذ أقدم العصور حتى نهائية عصور الأسرات الوطنية

الجزء الثالث



تقديم

زكريا حور

تأليف

د. الزهراء جبر

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

٤٣



حضارة مصر القديمة

منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرة الوطنية

الجزء الثالث

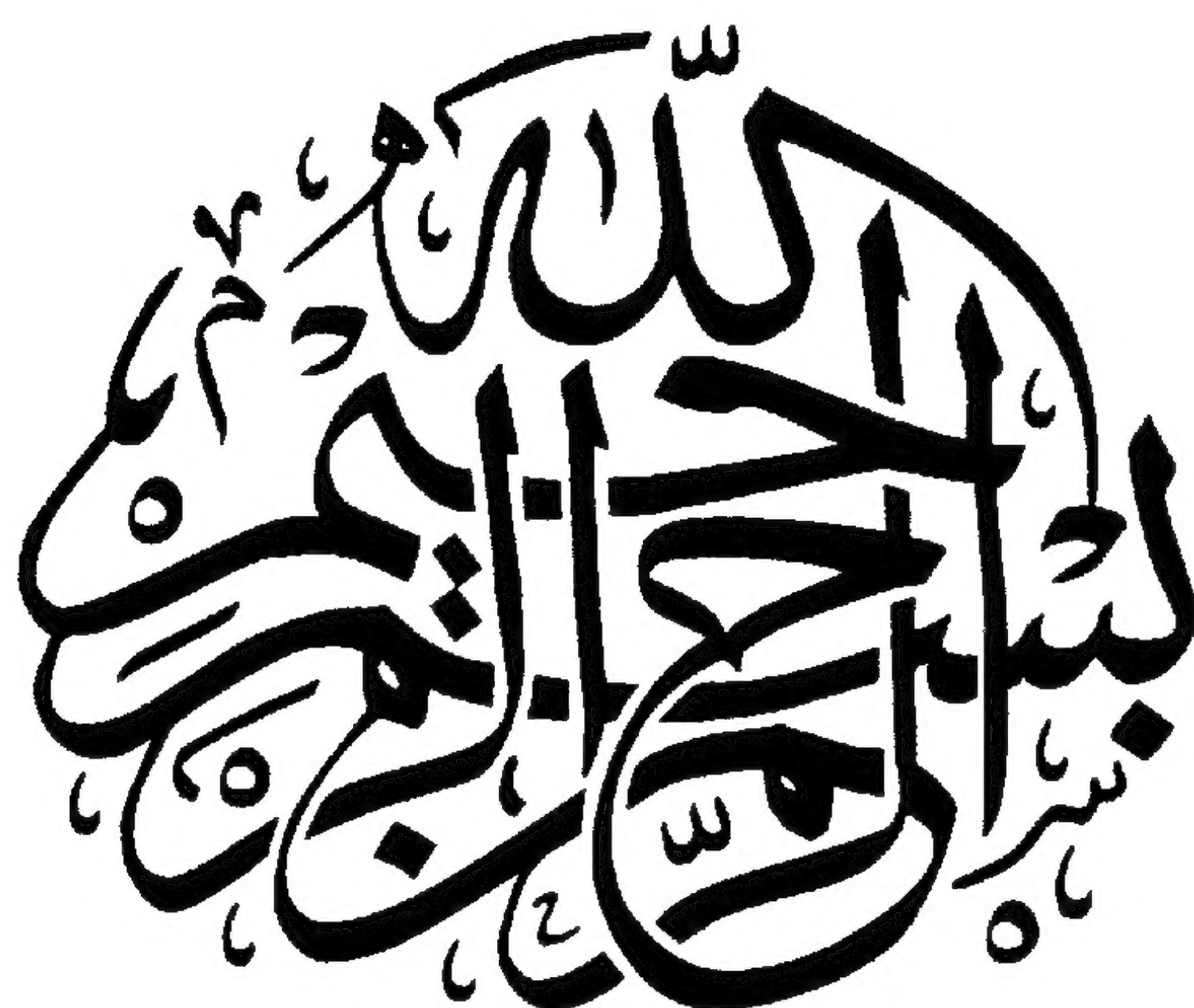
تأليف

د. زهنا جبرى

تقديم

د. محمد

تصميم وتنفيذ: آمال صفوت الألفى
مطابع المجلس الأعلى للأثار



مقدمة

يسعدنى أن أقدم الجزء الثالث من كتاب حضارة مصر القديمة للأستاذ الدكتور رمضان عبده على ، وتأتى أهمية هذا الكتاب فى أنه يعتبر من المراجع العربية الهامة التى تتحدث باستفاضة عن الحضارة المصرية ، فهو يضيف لنا موضوعات هامة عن مصر القديمة تتعلق بالعمارة وأشكالها المختلفة والفنون التشكيلية من رسم ونقش ونحت وزخرفة معتمداً فى ذلك على أحدث المراجع ، بالإضافة إلى الفنون التعبيرية المتمثلة فى الموسيقى والغناء والرقص بأنواعه ، كما يتناول أساليب التربية ونظم ومراحل التعليم عند المصريين القدماء ومناهج ووسائل التعليم وتعليم الفتاة مما يشير أن المصرى القديم أهتم بالأنثى وثقافتها منذ القدم . ويأتى هذا الجزء تكملة للجزأين الأول والثانى .

كما يناقش أيضا موضوع فى غاية الأهمية وهو مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها فى مجال العلاقات الخارجية ، ومراحل ازدهارها وتدهورها والأسباب التى أدت إلى ذلك ، وفى النهاية يتناول مابقى من هذا التراث الحضارى من آثار مادية على أرض الكنانة مصر .

والدكتور رمضان عبده من العلماء البارزين فى استخلاص النتائج العلمية بمنتهى الدقة فهو نجح فى أجزائه الثلاث أن يعطينا صورة عامة عن مظاهر الحضارة فى مصر القديمة ، أو بتعبير آخر تقديم لوحة فنية متكاملة العناصر، لهذه الحضارة فى مختلف مجالاتها وكان هدفه من ذلك كله أن يصحب القارئ فى جولة تاريخية

حضارية عبر هذه الصفحات للتحدث معه عما أنجزه أجداده وأسلافه ليستمد منها حاضره ومستقبله .

ويسر المجلس الأعلى للآثار أن ينشر هذا الكتاب ضمن سلسلة كتب الثقافة الأثرية وهي رسالة هامة جدا للوعى الأثرى والتنمية الثقافية التى يتبناها المجلس الأعلى للآثار ويقوم بنشرها سواء عن طريق النشر العلمى أو برامج الوعى الأثرى .

والله الموفق

زاهى حواس

الجزء الثالث

الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها - أساليب التربية ونظم التعليم - مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها في مجالات العلاقات الخارجية - مظاهر الحضارة المصرية القديمة بين مراحل الازدهار ومراحل الغروب والانحسار.

الباب العاشر

الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها

مفهوم الفنون :

الفنون هي ثقافة خاصة وتتبع وجهة نظر معينة في مجالات الفنون التشكيلية في الرسم والتلوين والنقش والنحت والتطعيم والزخرفة وفي مجالات العمارة بأنواعها وفيما أخرج الإنسان المصري القديم في مجال بعض الحرف والمهن والصناعات الأخرى . فأصبح ما يخرجه من أعمال يعد تحفة فنية في حد ذاته . أضف إلى هذا ما أبدع فيه في مجالات الفنون التعبيرية من موسيقى وغناء ورقص بأنواعه وغيره من فنون تعبيرية أخرى .

ويمكن للإنسان أن يتوصل إلى معرفة ألوان هذه الفنون بفكره الخاص ويبدع فيها إذا كان لديه الموهبة في إحدى هذه المجالات السابقة . ويمكن له أيضا أن يتلقاها ويتعلمها عن غيره ويتفوق فيها وتبرز شخصيته فيها ، ويستطيع أن يضيف إليها ما يلائم بيئته وظروفه المحلية وعقلية من يشاهدوا أي لون من ألوان هذه الفنون من معاصريه ، ويستطيع أن يضيف إليها كل ما هو جديد وما يهتدى إليه من ابتكارات من وقت لآخر .

ومدلول الفنون هو مدلول مرن ينطبق على كل ما اهتدى المصريون القدماء إليه وأبدعوا فيه . فنجد أنهم أبدعوا في مجالات الرسم والتلوين والنقش والنحت والتطعيم والزخرفة والعمارة بأنواعها واستعانوا في هذه المجالات التشكيلية بمعارفهم العلمية والنظرية مع الدقة في التنفيذ لأنهم وضعوا لهذه الفنون التشكيلية قواعد طبقوها في كل ما أخرجوه . كما أبدعوا في مجالات الفنون التعبيرية ووضعوا لها قواعد وأنظمة مثل

فن الموسيقى وتطوروا بآلاتها كما أبدعوا في فن الغناء والرقص . وكل هذه الفنون هي لون من ألوان التعبير الحضارى ولها جانبان :

- جانب مادي : وهو الإتقان والدقة في التنفيذ .

- جانب ثقافى : وهو محاولة الارتقاء بالأساليب والأذواق لكى تخرج هذه الفنون فى صورة متناسقة جميلة ومحبة فيها جانب الإحساس والشعور المعبر . وهذا ما نجح فيه المصريون القدماء إلى حد كبير .

ويمكننا أن نضيف إلى هذين الجانبين مواهب أخرى كانت تتوافر فى الفنان المصرى القديم وهي :

دقة الملاحظة ، صدق التعبير ، الإحساس المرهف ، العطاء بلا حدود ، والتفانى فى العمل . وقد لازمت هذه المشاعر المصرى القديم منذ فجر عصوره التاريخية ولم تكن وليدة عصر معين أو ظروف معينة وتوقفت بعد ذلك ، واستمرت تلازمه طوال عصوره التاريخية .

ونجد كل هذه المشاعر والمواهب فى كل ما تركه الفنان المصرى القديم من مخلفات أثرية ، وفى كل ما سطره ونقشه ونحته ، وفى كل ما أقامه من عناصر معمارية . ولذلك فإن دراسة هذه العناصر الأثرية تجعلنا نتعرف على كل ما توصل إليه فى مجالات الفنون المختلفة ، فقد عرف المصرى القديم الفنون التشكيلية : كالرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة والتطعيم والعمارة بأنواعها وأشكالها وذلك منذ أقدم العصور . ووضع لهذه الفنون الأساليب والقواعد التى كانت تدرس فى مدارس الفن المختلفة ، أى كانت له ثقافة فى هذا المجال . كما كانت له ثقافة أيضا فيما يسمى بمجالات الفنون التعبيرية كالموسيقى فيما وضعه من قواعد وفيما اخترع من آلات ، وفيما نظم من غناء ، فكان أول من نظم الأغاني وسجلها على أوراق البردى أو نقشها على جدران المقابر ، وفيما أخرج من ألوان الرقص وكانت له مدارس الخاصة . كما برع فى فن الرسم الساخر وهو لون من ألوان التعبير الثقافى عنده . فقد عبر المصرى القديم عن بعض الموضوعات تعبيرا فكاهيا اتخذ شكلا ساخرا أو يمكن أن نطلق عليه رسوم تحاكي فن الكاريكاتير .

كما عرف المصري القديم محاكاة فن المسرح الذى بقى داخل جدران المعابد المصرية ولم يخرج خارجها ، وكان قاصرا على فكرة الصراع بين الخير والشر ، وهو يختلف عن فن المسرح اليونانى الذى خرج عن هذا النطاق وكان يعرض مسرحيات تعالج مشاكل المجتمع .

وعندما سطر الإنسان المصري القديم بالرسم على الصخور القريبة من شطب الرجال جنوبى إدفو مناظر تعبر عن حيوانات صيد ، عاصرها فى عصوره الحجرية القديمة ، فإنما كان يعبر عما فى فكره بالفن وهى صفة من أهم صفات الإنسان الفنان فى العصر الحالى .

ولهذا يمكن القول بأن الإنسان المصري القديم ولد ليكون فنانا ، ولذلك أبدع فى مجالات الفنون المختلفة . وأعطى الروح والمشاعر لفنونه حتى أصبحت المظاهر الفنية من أهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، فأمة بلا فن هى أمة بلا روح نابضة . كما أصبحت هذه المظاهر الفنية من أصدق الصور التى تعبر عن موهبة الإنسان المصري القديم . وظهرت مواهب وكفاءة وقدرات الفنان المصري فى فن الرسم والنقش والنحت والتلوين والتطعيم والزخرفة . كما أبدع بوجه خاص فى مجال العمارة^(١) التى تعد بحق مقياسا لحضارة الأمة ونهضتها .

لم يترك الفنان المصري شيئا أبدا للصدفة ، فقد فكر فى كل شئ وفى كافة الاحتمالات . فنلاحظ مثلا أنه جهز سطح معبد دندرة بالمرازيب رغم ندرة هطول الأمطار فى صعيد مصر .^(٢)

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٥ .

(٢) فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتى) المجلس

الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ١٩٩٨ ، ص ٨ .

كما وضع الفنان المصرى القيود والقواعد لكى يلتزم بها ، وكانت هذه القواعد بمثابة السياج الذى حافظ على أصالة الفن المصرى القديم ، وكان يرى أن الحرية قد تقتل الفن وتخرجه عن إطاره الملائم وأكد فى الوقت نفسه على ذاتية الفن وحرية الإبداع .^(١)

ولا يظهر الإبداع الفنى فقد فى مجالات الفنون التى ذكرناها ، ولكن يمكننا أن نلمس الإبداع الفنى فى بعض الصناعات والحرف وفيما أخرجته يد العامل المصرى أو الصانع أو صاحب المهنة من تحف صغيرة ، فصانع الأوانى ، والنساج ، وصانع أدوات الزينة ، والنجار ، والصائغ وغيرهم ، حاولوا أن يضيفوا لمسات فنية على ما أخرجوه من أعمال ونتاج . حتى الكاتب المصرى القديم ، كان فى داخله روح فنان فيما سطره من خطوط وفيما أخرجته من كتابات وحروف جميلة متناسقة وفيما لونه من ألوان وفيما رسمه من رسومات ، وفيما زخرفه من زخارف فى أعلى فصول كتاب الموتى وفى متن بعض الكتب الدينية التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثة .

وكان للمقومات والظروف البيئية فى مصر ، وما توصل إليه المصرى القديم إليه من مظاهر حضارية أثرها فيما أنشأ وأبدع من فنون وأنعكس عليه ما نعم به من استقرار فى نظم الحكم والإدارة ، وما ساد حياته الاجتماعية من نظم ، وما تمتع به من رخاء فى حياته الاقتصادية وما توفر له من إمكانيات مادية فى أغلب العصور ، وما كان يؤمن ويشعر به فى حياته الدينية فكان الفن تخليدا وتجسيدا لعقيدته، وما توصل إليه فى حياته الثقافية ، وما تعود عليه من أساليب فى التربية وما اكتسبه عن طريق العلم من معارف ، وما توصل إليه من معارف علمية ، وما تأثر به وأثر فيه فى مجالاته الفنية فى علاقاته الخارجية .

(١) المرجع السابق ، ص ٨ - ٩ .

الفنون التشكيلية والتعبيرية

للفنون التشكيلية إبداعاتها كما للفنون التعبيرية إبداعاتها أيضا والتقى الاثنان معا لصنع حضارة متكاملة لا يحكمها العقل وحده ولا المشاعر وحدها بل يشتركان معا فى بنائها لكى يعبران عن قدرات الإنسان المصرى القديم وعما حققه من إنجازات ومنجزات .

أولا : الفنون التشكيلية :

سوف نتحدث أولا عن هذا اللون من الفنون نظرا لكثرة المادة الأثرية التى تعكس مجالاته ، وتشمل عدة فنون نتحدث عنها فى فصلين :

الفصل الأول

الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة والتطعيم

ومراحل التطور عبر العصور المختلفة

(١ - ٣) الرسم والنقش والنحت :

مرت أساليب الرسم والنقش والنحت بمراحل كثيرة من مراحل التطور ، ومراحل التدهور ، ومراحل النضوج والازدهار .^(١) وارتبط فن الرسم بالنقش ارتباطا وثيقا منذ أقدم العصور .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٦٦ .

نشأة أساليب الرسم والنقش والنحت في فجر العصور التاريخية والمراحل التي مرت بها :

نشأت أساليب الرسم منذ فجر التاريخ المصري القديم فقد رسم بعض الصيادين المصريين رسوم صيد تمثل بعض الحيوانات الأليفة والحيوانات البحرية التي عاشروها في بيئتهم ، ورسموها بخطوط سطحية بقطع حجرية لينة بيضاء وملونة على أوجه صخور الهضاب الشرقية والغربية المحيطة بالنيل ، وجوانب الوديان التي كانوا يرتادونها خلال سعيهم وراء حيوانات الصيد وموارد المياه . ومن هذه الرسومات أيضا منظر فريد رسمه صياد مصري قديم ، على سفح تل يجاور مجرى النيل على مقربة من شطب الرجال ، جنوبي ادفو بقليل . صور الصياد سربا من الحيوانات ، وصور هذه الحيوانات جميعها تتابع في سلام وهدوء .

وصور تحتها نعامة مذعورة مسرعة ، يهرع إليها صياد جرى بقوسه ويرميها بسهمه ، وصور رجلا آخر في عمق الرسم يرفع يديه نحو السماء كأنما يهلل فرحا بما حدث .^(١) ويرجع هذا الرسم إلى أواخر الألف الخامسة أو أوائل الألف الرابعة ق. م. فهل رسم الفنان هذا الرسم باعتباره وسيلة من وسائل اللهو الفطري ووسيلة لاستغلال أوقات الراحة والفراغ ؟ أو ربط بين هذا الرسم وبين تخيلات السحر والرغبة في السيطرة عليها فهو مجرد الإعجاب بمراى الحيوانات أثار فيه نشوة الفن فعبرت يده عن هذه النشوة بالتخطيط والرسم ؟^(٢)

واستمرت رسوم الصخور المصرية تتطور مع تطور حياة أهلها في أساليبها وموضوعاتها . ثم جمعت إلى صور الحيوانات صور القوارب والمراكب ، التي أصبح أهلها يشاهدونها من حين إلى حين كلما دفعتهم ظروف معيشتهم إلى ارتياد سواحل

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ شكل (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

البحر الأحمر وشواطئ النيل . وعاصر الصيادين الرسامين المصريين صيادون فنانون يشبهونهم فى شمال أفريقيا أى فى تونس ، ورسوموا حيواناتهم فى أوضاع السكون والحركة . وعاصرهم أيضا فنانون آخرون فى غرب أوروبا وأواسطها ورسوموا رسومهم فى بطون الكهوف نتيجة لشدة البرودة التى ألجأتهم إلى التماس الدفء داخل الكهوف .

بعد ذلك اهتدى الإنسان المصرى القديم إلى معرفة الرعى والصيد والزراعة والحرف والمهن البسيطة على ضفاف النيل مثل صناعة الفخار بأنواعه وأشكاله ، وتوفرت للرسم تبعا لذلك سطوح أوانى الفخار وتتابع رسومات الفخار المصرية فى خمسة تطورات متميزة فى المحلات الحضارية من العصر الحجرى الحديث فى دير تاسا ، والبدارى ونقادة بحضارتيها ، والكوم الأحمر .

المرحلة الأولى فى دير تاسا : زخرف أهلها سطوح بعض أوانيهم وفخارهم بتموجات خفيفة عمودية ومائلة ، ورسوموا أيضا مثلثات ومستطيلات وخطوطا متموجة على سطوحها قبل حرقها ، وذلك فى أوائل الألف الخامسة ق.م. وفعلوا ذلك بطريقتين :

إما بحفرها بخطوط وحروز مستقيمة ، وملأوا هذه الخطوط بعجينة بيضاء تشبه عجينة الجبس الأبيض . وصوروا بعضها الآخر بنقط محفورة متجاورة ملأوها بالعجائن البيضاء نفسها . ويمكن أن نعتبرها بداية لمعرفة فن النحت .

المرحلة الثانية فى البدارى : استفاد أهل البدارى من طريقة أهل دير تاسا فى زخرفة أوانيهم فأضافوا إليها أربعة تجديدات: رسموا قيعان الأوانى المتسعة من الداخل، بعد أن كانت مقصورة على تحلية السطوح الخارجية وأضافوا إلى جانب الخطوط المستقيمة والمائلة والمتموجة خطوطا أخرى على هيئة أوراق الشجر وغصون النباتات. وقللوا غور رسومهم المحفورة على سطوح فخارهم الرقيق . وأحاطوا بعض رسومهم بإطارات تناسب هيئة الأوانى الخارجية.^(١) وذلك فى أواسط الألف الخامسة ق.م .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ شكل (٢-٣) ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٤ .

المرحلة الثالثة فى حضارة نقادة الأولى : استخدموا الخطوط المستقيمة

والمائلة وألفوا منها أشكالاً جديدة على هيئة النجوم، وخطوط الزجراج الحادة ، وقلدوا بها زخارف السلال المتداخلة ، واستعاضوا عن حفرها على سطوح الفخار برسمها بخطوط بيضاء فوض أرضية حمراء مصقولة . وظلت رسومهم رسوماً سطحية يمكن أن يزيلها الماء ويمكن أن تتلفها الحرارة ، وذلك يدل على أنهم اعتبروها من أوانى الزينة .

وصور أهل نقادة الأولى برسومهم نباتات الماء وسعف النخيل والصبار وأفراس النهر وتماسيح وأسماك ، وبرعوا فى تصوير قواربهم ذات المجاديف المتعددة .

وصوروا بعض الهيئات الحيوانية مثل كلاب الصيد والوعول والفيلة والزراف . وصوروا الإنسان بنقطة بيضاء لا تتضمن شيئاً من التفاصيل غير الشعر القصير للرجال والشعر المرسل للنساء . وعبروا عن جذعه العلوى بما يشبه هيئة المثلث المقلوب ، وعن ساقيه بخطين متجاورين ، ورسوموا راقصين وراقصات يرقصون فرادى وجماعات ، وذلك فى أواخر الألف الخامسة ق. م.

المرحلة الرابعة فى حضارة نقادة الأولى أيضا : فقد استحدث أهلها فن النقش

على الحجر ، فنقشوا هيئات الفيلة والتماسيح على سطوح لوحات صغيرة رقيقة من الحجر الجيرى والإردواز ، استخدمتها نساؤهم فى صحن الكحل وصحن مساحيق الزينة الحمراء .

أما فى حضارة نقادة الثانية : فقد ميز أهلها رسومهم عن أسلافهم فى

ألوانها ومواضيعها وأساليبها . فصوروا خطوطها بالمغرة الحمراء الضاربة إلى السمرة فوق أرضية برتقالية . وقللوا رسم الزخارف شبه الهندسية القديمة . وزادوا من تصوير الإنسان والنبات والقوارب . فصوروا النساء فى مجالات الرقص الدينى والديوى ، واهتموا برسم الحيوانات الأليفة الصغيرة . وبقي من رسومهم الممتعة الناجحة منظران :

منظر يصور راعيا يسوق قطيعا من الماعز الجبلى ، ومنظر آخر لكبشين يواجه كل منهما الآخر فى تحفز ، وفى حيوية ممتعة . وذلك فى أوائل الألف الرابعة ق. م .

المرحلة الخامسة فى رسومات الكوم الأحمر (شمال ادفو) : وعدل أهل الصعيد فيها عن وسائل الرسم ومسطحاته وموضوعاته فى خلال النصف الثانى من الألف الرابعة ق. م. وتجروا فى هذه الفترة على الرسم بألوان متعددة على جدران متسعة شيدوها من اللبن وكسوها بالملاط وبدأوا يصورون عليها مناظر قتال ومناظر صيد ومناظر خيالية بألوان بيضاء وخضراء وحمراء وسوداء ، مثل الجدارين اللذين عثر عليهما فى قرية الكوم الأحمر . ونقش الفنانون فى هذه الفترة سطوح الأمشاط العريضة من العاج وسطوح مقابض عاجية صغيرة ، كما نقشوا سطوح لوحات عريضة بيضاوية رقيقة من الإردواز ، وكتل حجرية كمثرية الشكل على هيئة رؤوس مقامع القتال (١).

وعبر الفنانون عن كفائتهم فى النقش على سطوح هذه الأمشاط والمقابض ورؤوس المقامع تعبيرا يناسبها ، فهناك منظر يمثل فيل يطفئ ثعبانا ضخما ، ونقش يمثل تفاصيل معركة جرت على البر والماء ، ومنظر صيد أعلى سطحى مقبض سكين جبل العركى .

وأبدع الفنان فى نقش لوحات الإردواز ، ومنها منظر يمثل وعلان يتواجهان . وأبدع الفنان أيضا فى نقش رؤوس المقامع الكبيرة ، مثل المنظر الذى يمثل حفل ملكى لافتتاح مشروع رى أو زراعى ، ورمز إلى المعارك التى خاضها الملك العقرب فى سبيل تحقيق وحدة البلاد السياسية .

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٢٧١ شكل (٤) ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ شكل ٥ - ٦ أ ب ، ٧ - ٩ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ شكل ١٠ ، ص ٢٧٩ .

بالنسبة للألوانى والأدوات وصناعاتها وزخرفتها فى حضارات العصر الحجرى الحديث بوجه عام ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie I, p. 62-

صاحبت أساليب الرسم والنقش منذ أوائل الألف الخامسة ق. م. تطور في فن النحت . فقد استغل الفنانون المصريون الأوائل ليونة صلصال أرضهم في عمل أشكالاً منحوتة ، فقد صنع أهل دير تاسا من الصلصال الأسود الذى يصنعون منه فخارهم ، كؤوساً تشبه هيئة زهور التوليب ، وعملوا أشكالاً نسائية صغيرة متواضعة . وصنعوا إلى جانب تماثيل النساء المتواضعة أشكالاً أخرى بسيطة لحيوانات وطيور وقوارب . وصنع أهل غرب الدلتا ، فى بداية فجر تاريخهم أوانى فخارية بأقدام بشرية ، كما صنعوا تماثيل نسائية بدائية . كما صنع أهل البدارى أوانى فخارية على هيئة أفراس النهر . وصنعوا تماثيل بشرية صغيرة من الفخار . ومارس صناع التماثيل تجاربهم على العظم والعاج وبعض أنواع الأحجار ، فاستغلوا صلابة الطران وشكلوا منه هيئات الطيور والأسماك والحيوانات ثم استغلوا ليونة الحجر الجيرى ونحتوا منه تماثيل أسود وكلاب صغيرة . ونحت أهل البدارى ملاعق من العاج لا تخلو من فن وذوق جميل .^(١) وعثر فى حفائر حلوان فى بداية الأسرة الأولى على تماثيل صغيرة من العاج ، وعثر على عمود من العاج ينتهى بزهرات اللوتس ، كما عثر على تمثال صغير لأسد .^(٢) كما عثر على ستة تماثيل صغيرة من العاج ارتفاع كل منها ٣,٥ سم فى أبى رواش أثناء حفائر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وهى تماثيل مؤرخة من الأسرة الأولى وتمتاز بدقة نحتها .^(٣)

تطور أساليب الرسم والنقش والنحت عبر العصور المختلفة :

فى عصر بداية الأسرات :

بدأ الفنانون بتوسيع مجالات النقش على حساب الرسم . وأضافوا إلى نقوش الصلايات ورؤوس المقامع ، نقوشاً نقشوها على الأوانى الحجرية ، وعلى أختام

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ - ٢٨٠ شكل ١١ أ - ب ، ١٢ ، ١٥ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، صور ٤٤ ، ٤٨ - ٤٩ .

(٣) Saleh-Sourouzian, Official Catalogue: The Egyptian Museum (٣) Cairo, no. 12.

صغيرة حجرية وخشبية ، وعلى بطاقات ولوحات صغيرة من العاج والأبنوس^(١) ، وعلى قواعد التماثيل . وبدأوا أيضا ينحتون تماثيلهم لتدل على أفراد بعينهم واستطاعوا أن ينحتوا بعضها بأحجام كبيرة .^(٢)

فى عصر الدولة القديمة :

بدأ الفنانون ينطلقون بفنونهم منذ أوائل عصر الدولة القديمة ، فى القرن الثامن والعشرين ق.م. وخطوا خطوات سريعة بفضل وجود الحكومة المركزية التى استغلت موارد البلاد وجمعت فى خدمتها الكفايات الفنية الممتازة ولذلك نفذت مشاريعها الفنية والمعمارية الكبيرة ، ورصدت لها الموارد الضخمة ، وحشدت لها ألوف الصناع والعمال .^(٣)

وفى مجال الرسم والنقش حاول الفنان أن يصور الإنسان فى صورة متكاملة ، فصور لصاحب الصورة (أى الرسم أو النقش) رأسه وجذعه الأسفل من جانب واحد ، وفى الوقت نفسه صور عينه كاملة من الأمام ، كما صور صدره باتساعه الكامل ، وصور كتفيه الاثنتين ، رغبة منه فى إظهار حركة يديه وإظهار ما تمسكان به ، ثم صور وسطه من ثلاثة أرباعه . فإذا أكمل صورة الفرد على هذا الوضع ، حاول بقدر الإمكان ألا تعترضها صورة أخرى أو يتقاطع معها رسم أو نقش آخر . وذلك بحيث إذا تقدمت ساق صاحبها إلى الأمام ، حرصوا على أن يصوروا هذه الساق بعيدة عن سطح الصورة ، حتى لا تخفى شيئا من ساق صاحبها الثانية . وإذا امتدت ذراع صاحب الصورة بعصا طويلة أو قصيرة إلى الأمام ، حاولوا أن يصوروا هذه الذراع البعيدة عن مسطح الجسم ، حتى لا تعترضه بعصاها أو تقطعه فيبدو مشوها أو ناقصا .

(١) بالنسبة لنقوش اللوحات فى عصر بداية الأسرات ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie I, p. 724-765

(٢) وبالنسبة لتماثيل الملوك فى عصر بداية الأسرات حتى بداية الأسرة الثالثة ، راجع : Vandier, op. cit., I, p. 957-959 ؛ وبالنسبة لتماثيل الأفراد ، راجع أيضا : Id., op. cit., p. 959-966

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

أما بالنسبة للرسم أو النقش الجماعي فقد تحاشى الفنان أن يصورهم مختلفين فى حيز واحد ، بل تعدد أن يظهر كل فرد منهم بذاته المستقلة ، ورتب كل فرد منهم وراء الآخر .^(١)

تلك هى المبادئ الرئيسية التى التزم الفنان المصرى بها فى رسم أو نقش أشخاصه وجماعته منذ بداية الدولة القديمة . أما عن مناظر الشخصيات الأخرى مثل المرأة أو الطفل أو الأتباع أو مناظر الحياة الدنيا أو الدينية ، فنقول : إنه بالنسبة للمرأة فى فن الرسم : فقد تشابهت صورة النساء مع صور الرجال فى بعض هياكلها وأوضاعها وتعتمد بعض الفنانين المصريين ، فى بعض صورهم النسائية ، أن يصوروا ثوب المرأة محبوبكا حبكا كاملا على جسدها ، أو يصوروا ثوبها فضفاضاً رقيقاً شفافاً .

أما مناظر الطفولة فقد صوروا أغلب الأطفال الصغار عراة تماماً ، يضع معظمهم سبابة يده على فمه وتتدلى خصلة شعر سميكة على صدغه . وأرادوا التعبير بالعرى عن بساطة الطفولة بوجه عام وما فيها من براءة وسذاجة .

أما مناظر الأتباع ، فنجد أن الفنان قد تخفف من ضرورة تصوير الأفراد من أكثر من زاوية واحدة ، واكتفى بتصوير بعض الأتباع تصويراً جانبياً كاملاً ، دون أن يلتزم فى صورهم بغير تصوير العين وحدها من الأمام . وأخفى فى الصور الفردية ما يستتر منها وراء ساتر أو حاجز . وصور أغلب الأتباع مختلطين بعضهم ببعض ، وأخفى عن أجسامهم ما ينبغى إخفاؤه كلما تقاطع بعضها مع بعض آخر .

الرسم والنقش على جدران بعض المعابد والمقابر والنصب أو اللوحات :

قاموا برسم ونقش بعض المناظر على جدران بعض المعابد التى تمثل موضوعات شتى : مظاهر الخضوع والعبادة وشواهد التقوى والصلاح ، ومناظر تقديم القرابين ، وأشكال المعبودات فى أفضل صورة لها .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٧ شكل ١٦ .

وفى المقابر صوروا كل ما استحبوه لآخراهم ، سواء فى ذلك صنوف العمل ومظاهر الرياسة والجاه ، أو صنوف اللهو ووسائل الاستمتاع ، وربط المصريون مناظر الحياة الدنيا التى صوروها فى مقابرهم باعتبارات معينة ، فاعتبروها وسيلة للتأريخ وتخليدا لذكر المتوفى ، وسبيلا إلى التعبير عن ثراء المتوفى ومكانته بين معاصريه وأمام خلفائه ، واعتبروها نموذجا لما يود المتوفى أن تصبح عليه حياته فى عالمه الآخر . واعتبروها وسيلة للتفاخر بين بعضهم وبعض ، ووسيلة للتعبير عن حب الزخرف وسلامة الذوق ، والرغبة فى التعبير عن الفن الجميل إلى أبد الآبدين .^(١) وبأنها سوف تذكر الروح بحياتها الدنيوية كلما ترددت وهبطت على قبرها من عالم السماء ، واعتقدوا فى إمكان تحويلها إلى حقائق تناسب العالم غير المنظور الذى ينتقلون إليه بعد الوفاة ، عن طريق ما يكتبونه فيها ويقرأونه عليها من تعاويذ سحرية وشعائر دينية .

وحاول الرسام أو النقاش المصرى القديم إظهار مظاهر رضا الملوك ورضى المعبودات فى المناظر المرسومة أو المنقوشة على اللوحات^(٢) ، مع إضافة نص من عدة سطور تبين ألقاب المتوفى ووظائفه والغرض من إقامة هذه اللوحة .

نسب الرسم والنقش فى الدولة القديمة :

كان الفنانون يبدأون بتقسيم مسطحات رسومهم إلى مربعات ومستطيلات وخطوط يستعينون بها فى ضبط تصوير هيئات الإنسان والحيوان والطيور ، ثم يزيلونها

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ شكل ١٨ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ شكل ٢٥ - ٢٨ ، ص ٢٩٨ .

بالنسبة لمناظر الحياة اليومية فى مقابر الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة وتوزيعها وأوضاع الأشخاص فيها ، راجع بوجه عام : Vandier, Manuel d'archéologie IV, p. 50-527

(٢) هذه اللوحات غير لوحات الأبواب الوهمية التى كان يصور عليها المتوفى مع زوجته أمام مائدة قربان وفوق راسه نص يعدد القرابين التى يتمنى الحصول عليها ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie II, p. 389-445 . ويعتبر فانديه الأبواب الوهمية واللوحات بأنواعها وأشكالها وموائد القرابين ونقوشها جزءا من العمارة الدينية والجنائزية ، راجع : Vandier, op. cit. 11, p. 389-

بعد الانتهاء من إتمام صورهم . أو يطبعون على مسطح الرسم شبكة كبيرة جاهزة ذات عيون مربعة متساوية بعد أن يلونونها بلون أسود أو أحمر خفيف . وراعى الفنانون أن ترتفع قامة الإنسان من أخمص القدم حتى اتصال الشعر بالجبهة ١٨ مربعا .

وقد أدى تمسك الفنان المصرى القديم بنسب الرسم فى مربعات صغيرة إلى أن هذه النسب حفظت للرسم خصائصه ، ولكنها من ناحية أخرى قيدت حرية التصرف والتجديد والابتكار عند كبار الفنانين .

تطور أساليب الرسم والنقش فى عصر الدولة القديمة :

سارت الملامح العامة للرسم والنقش والنحت جنبا إلى جنب مع تطورات العمارة فى عصر الدولة القديمة . وحدث تطور فى أساليبهم خلال هذا العصر . وهكذا نجد أن أصحاب الذوق الفنى فى أوائل عصر الأسرة الثالثة استحبوا طابع الرقة والأناقة وفضلوا النقوش قليلة البروز ، واستحبوا مظهر النحافة والأجسام الممشوقة ، وتعبدوا إظهار هيئة العظام القوية والعضلات المشدودة، والشعور المستعارة، وتفاصيل الحلى ، وفى نهاية الأسرة الثالثة زادت المساحات الحجرية التى اعتاد أصحاب المقابر أن ينقشوا نقوشهم عليها ، فمالت النقوش معها إلى خاصية الامتلاء وخاصية البروز .^(١)

واستمرت القواعد الفنية التى نشأت فى عصر الأسرتين الثالثة والرابعة فى تقدمها مع كثير من العناية . وأبرع ما بقى من نقوش الأسرة الثالثة هى نقوش الكاتب حسى رع . وقد نفذها فنانوها على لوحات خشبية كست مشكاوات واجهة مقبرته . وأظهروا فيها صورته بنفس الرقة وقلة البروز وخاصية النحافة التى أظهروا بها صور الملك جسر فى نقوشه . وأظهروا البراعة فى تمثيل شعره المستعار بتفاصيل دقيقة تختلف من لوحة إلى أخرى .

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ شكل ٧٢ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٠٤ .

وفي أوائل الأسرة الرابعة زاد امتلاء النقوش وبروزها زيادة كبيرة ، واستحب الناس حين ذاك طابع الضخامة ، واتسعت موضوعات ومناظر المقابر باتساع ثراء كبار الشخصيات ، وظهر نقش غائر جديد ، قسم أصحابه أرضيته إلى مربعات غائرة صغيرة ، كانوا يملئون بها عجائن ذات ألوان متنوعة .^(١)

ولكن الرسم ظل يفضل الرقة والأناقة التي ورثها عن عصر الأسرة الثالثة وبلغ درجة كبيرة من الإبداع والحيوية في التلوين ودقة التفاصيل وتوزيع الظلال ، مثال ذلك رسم أوز ميدوم ، الذي يمثل ثلاثة أزواج من الأوز ، رسمها الفنان وأبدع في رسم ريشها ، وتوزيع ظلالها ، وتصوير الحشائش ، وحببات الحصى تحت أقدامها .^(٢)

زاد ثراء النقش في أواسط عصر الأسرة الرابعة ، وتعددت أنواعه ، فظهر منه نقش قليل البروز متطور عن نقوش عصر الأسرة الثالثة ، ونقش ممتلئ مرتفع البروز متطور عن نقوش أوائل عصر الأسرة الرابعة ، ونقش غائر حل محل ذي العجائن الملونة الذي ظهر في أوائل عصر الأسرة نفسها في مقبرة نفر ماعت وزوجته اتيت بميدوم .^(٣)

وامتاز عصر الأسرة الخامسة بأن أهله استحبوا النقوش الهادئة متوسطة البروز ، وغلبت الحيوية والنضارة على رسوم ونقوش هذه الأسرة ، وتنوعت موضوعات مناظرها .

ثم عاد الفنان المصري القديم خلال عصر الأسرة السادسة واستحب طابع الامتلاء في نقوشه ، وتعتمد حشو مناظر المقابر بتفاصيل ما كان يتمتع الأثرياء به من الشعور المستعارة والقلائد ، وزاد من تصوير تفاصيل الحقائق والمراعى التي كانوا يرتادونها ، وتفاصيل النباتات فيها . وتفاصيل الأسماك وأفراس البحر والتماسيح في

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) Saleh- Sourouzian, Official Catalogue: The Egyption Museum (٢) Cairo, no. 26.

Id., op. cit., no. 25 a-b. (٣)

الأنهار . وانتشر طابع التحرر في مناظر الحياة اليومية التي صورها الفنان على جدران المقابر . ويتضح بعد هذا التحرر في أربع مناظر لراقصين وراقصات في مناظر مقابر الجيزة وسقارة من الأسرتين الخامسة والسادسة .

تطور فن النحت في عصر الدولة القديمة :

جرت تقاليد فن النحت في عصور مصر التاريخية على ما جرت عليه تقاليد فن الرسم والنقش سواء بسواء . وتعتمد المثالون أو النحاتون ، إلى تمييز المعبودات والملوك والملكات^(١) والأمراء وكبار الشخصيات باستقامة الهيئة ووحدة الاتجاه^(٢) . فنحتوا جذوع تماثيلهم العليا بعناية كبيرة حين الوقوف وحين الجلوس ، ووجهوا أبصارهم إلى الأمام في اتجاه مستقيم^(٣) ، ونحتوا رؤوسها على استقامة كاملة ، لا تلتفت يمينا ولا يسارا ، مع ميل خفيفة تميلها الرأس أحيانا إلى أسفل حين يتخذ صاحبها جلسة الكاتب^(٤) .

هياكل التماثيل وأوضاعها :

صورت فنون النحت المصرية في الدولة القديمة أصحابها في أوضاع عدة ،

(١) بالنسبة للتماثيل الملكية قبل عصر خفرع حتى نهاية عصر الأسرة السادسة

راجع : Vandier, Manuel d'archéologie III, p. 14-53

(٢) وبالنسبة لتماثيل الأفراد وأوضاعها حتى بداية الأسرة الخامسة والتي تمثل رجالا

ونساء أو تجمع بين الزوج وزوجته وأولاده ، وصناعتها من الحجر الجيري أو

الخشب ، ونوعية الرداء والزينة وتصفيف الشعر ، كل ذلك ناقشه Vandier, op.

cit. III, p. 42-143

Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 48-51.

Id., op. cit., no. 43.

(٣)

(٤)

فمثلتهم بين رجل واقف شامخ يمد ساقه كأنه على أهبة السعى فى عالم الخلود ، وكهل جالس يتطلع أمامه فى وقار وهدوء ، وملك رابض فى هيئة الأسد ، ومتعلم متربع يصغى أو يقرأ أو يكتب^(١) ، أو رجل واقف يفكر ويمد يديه على فخذه فى خشوع^(٢) ، وآخر جاث على ركبتيه يحمل أوانى التطهير والعطور والزيوت .

ومثل النحات المصرى القديم كبار الشخصيات عراة الصدر والساقين فى أغلب تماثيلهم واكتفوا بإظهارهم يرتدون نقبة قصيرة . وتشابهت تماثيل النساء مع تماثيل الرجال فى أغلب أغراضها وطريقة نحتها ، ولكنها اختلفت عنها فى بعض تفاصيلها وبعض أوضاعها . فكانت الزوجة تمثل عادة واقفة أو جالسة بجانب زوجها يقل طولها عن طوله شيئاً قليلاً . وكثيراً ما كان المثل يحرص على أن يعبر عن عاطفتها نحو زوجها بحركات ذراعيها .^(٣) وتشابهت تماثيل النساء مع رسومهن الملونة من حيث إظهار الأنثى مضمومة الساقين مبسطة الكفين فى أغلب أحوالها .

أما الأبناء فظلت لهم أوضاع تقليدية يظهر فيها فى مجموعات التماثيل مع أبويهم ، فالولد يمثل واقفاً مع أبويه . والبنت تمثل مع أبويها واقفة^(٤) ، أو جاثية .

وتتركز حيوية التمثال المصرى فى ملامحه التى تتسم بطابع التسامى والنبيل حيناً وتطبعه بمظاهر الرياسة والجدية حيناً آخر . أو تطبعه بروح الوداعة ، وروح التفاؤل ، وتزويده أحياناً ببسمة خفيفة ، أو تطبعه بطابع الرشاقة ما أمكن ، أو تطبعه بطابع القوة ، فتظهر عضلات ذراعيه قوية بارزة ويضفى على صدره سعة وقوة .

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ، ٣٠٠ شكل ٣٣ - ب ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ شكل ٣٥ - ٣٦ ، ص ٣٠٦ .

(٢) تماثيل حتب - دى - إف 22 Saleh- Sourouzan, op. cit., no. 22

(٣) تماثيل مرس عنخ وزوجته من الأسرة الخامسة من مقبرته بالجيزة Id., op. cit., no. 50

(٤) مرس عنخ وابنتيه من نهاية الأسرة الخامسة من مقبرته بالجيزة : Saleh- Sourouzan, Official Catalogue : Egyptian Museum Cairo, no. 51.

وزاد النحات المصرى القديم من حيوية تماثيلهم بطرق أخرى صناعية ، فطعم عيونها بمواد جعلتها كالعيون الطبيعية ، ولون أجسام الرجال بألوان تختلف عن أجساد النساء . ولون شعور التماثيل وحواجبها وشواربها . وطعم العيون بالأحجار الكريمة ، وأبدع فى تقليد شعورها المستعارة ، ومثل قلائدها وأساورها .^(١)

وبقى من تماثيل كبار الشخصيات فى عصر الأسرة الثالثة نحو ثمانية تماثيل يرجع أغلبها إلى ما بعد عهد الملك جسر ويمتاز الجالس منها بجلوس صاحبه على مقعد حجرى بسيط بمسند منخفض . وأفضلها ثلاثة : اثنان لرجل يدعى سبا ، والثالث لزوجته . وقد صنعها النحات من الحجر الجيرى وأظهر نسبها سليمة وأظهر تفاصيل شعورها وثيابها ولون بعض أجزائها بألوان جميلة .^(٢) ومن أجمل تماثيل الأسرة الرابعة الملونة تمثال رع حتب وزوجته من مقبرتهما بميدوم بالمتحف المصرى ، ومن التماثيل الملكية فى عصر الأسرة الرابعة تمثال صغير للملك خوفو من العاج عثر عليه فى أبيدوس عام ١٩٠٣ وهو محفوظ بالمتحف المصرى . ولا يتعدى طوله بضعة سنتيمترات وهو ما يمثله جالسا على كرسى متوجا بالتاج الأحمر .^(٣) وتمثال خفرع الذى نحت من الديوريت فى معبد الوادى للملك ، وتمثال منكاورع من الشست بين حتحور وإحدى معبودات الأقاليم ، وتمثال شيخ البلد (كا - عبر) وهو من الخشب الخالص ، ذا العينين المطعمتين بالأحجار الكريمة.^(٤) وتمثال الكاتب الذى يجلس فى وضع القرفصاء من الأسرة الخامسة .^(٥) وتمثال القزم سنب وزوجته وطفليه من بداية

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ شكل ٣٨ - ٣٩ ، ص ٣٠٨ شكل ٤٠ - ٤٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١١ شكل ٤٣ ، ص ٣١٢ شكل ٤٥ - ٤٦ ، ص ٣١٤ شكل ٤٧ - ٥١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) يبلغ طوله ٧,٥ سم ، راجع : Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 28 a-b

(٤) عن طراز التماثيل الخشبية ، راجع : Vandier, op. cit., 111, p. 140-142

(٥) Saleh-Sourouzian., op. cit., no. 27, 31, 34, 40, 43.

الأسرة الخامسة ، وعثر عليه فى مقبرته فى الجيزة وهو من الحجر الجيرى الملون ارتفاعه ٣٤ سم . ويمثل هذا التمثال القزم سنب الذى كان موظفا مصريا كبيرا وكان رئيسا لكل أقزام القصر الملكى وكان مسئولاً عن ملابس الملك وكان ملحقا ببعض الوظائف الكهنوتية ، فكان كاهنا لروح الملك خوفو وجدف رع وكان يملك آلاف من رؤوس الماشية وأسطول شخصى من المراكب وكان على جانب كبير من الثراء . وتزوج من سيدة كانت تعمل فى البلاط الملكى ، سنت أيت اس وكانت هذه السيدة على جانب من الثراء والجمال وتزوجت من القزم وأنجبت منه ولدا وبنتا عنخ مع جدف رع واوت إيب إن خوفو .^(١) وعندما أراد النحات أن يصورهما معا فى جلسة عائلية اختار أن يمثلهما جالسين وفى مستوى واحد حتى لا يظهر الفرق واضحا بين طول قامة الزوجة وقصر الزوج .^(٢)

ولا شك فى أن إخراج التمثال بهذا الشكل يعبر عن اتجاه الفنان المصرى القديم فى احترام الشخصية الإنسانية فى حد ذاتها وعدم السخرية بأية حال من العيوب الخلقية لأخيه الإنسان . والتمثال الرائع للملك بيبى الأول مع ابنه بالحجم الطبيعى وهو من النحاس الخالص والمفرغ من الداخل .

اعتاد فن النحت على تمثيل الملوك فى سن الرجولة دائما ، وفى سمات المعبودات ، تكسوهم القداسة ، ولكن فى الأسرة السادسة بدأ الفنان يتخفف من بعض مظاهر القواعد الملزمة ، وأخرج أربعة تماثيل للملك بيبى الأول ، مثله أحدها عاريا فى سن الرضاعة ، ومثله آخر جالسا على حجر أمه فى سن الطفولة ، ومثله ثالث جاثيا على ركبتيه فى سن الشباب ، ومثله رابع كهلا يدفع عصاه بيسراه ويجاوره ولى عهده مر ان رع عاريا فى سن الطفولة .

(١) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص

١٢٩ (٦٠١٠) .

Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 39.

(٢)

تماثيل الأتباع :

صنع النحات المصرى القديم أغلب تماثيل الأتباع والخدم والجوارى من مواد لينة كالحجر الجيرى والخشب والأبنوس والعاج . وكان شأن هذه التماثيل فى تحررها شأن رسوم ونقوش الأتباع والخدم المرسومة والمنقوشة على جدران المعابد والمقابر وسطوح النصب .^(١)

وترتب على تحرر المثاليين فى نحت تماثيل الأتباع والخدم أن تعددت أوضاعها أكثر مما تعددت أوضاع تماثيل الخاصة . فظهر منها نماذج طريفة منها ما يمثل عاملا ينحنى ليعصر الجعة ، وآخر يميل بجسده ليصحن الحبوب ، وآخر يصنع الفخار أمام عجلة الفخار ، وآخر برزت عظامه من قسوة الفقر ، وخبازا يقبع أمام فرنه ويتقى لفحة النار عن وجهه بكفه ، ومصارعا يصارع زميله فى عنف ، وغلاما يعزف على الجناك .^(٢)

وأصبحت تماثيل الخدم فى بعض العصور عنصرا رئيسيا من متاع الترف والزينة ، وصنعها النحات من المعدن والمرمر والأبنوس وبقي من نماذجها الممتعة تمثال يمثل رجلا عجوزا يحمل آنية فوق ظهره ، وتمثال آخر يمثل جارية تحمل جرة على جانبها الأيسر . ولا ننس الحديث عن نحت الرؤوس البديلة التى كانت توضع فى بعض مقابر الدولة القديمة.^(٣) وحاول النحات إظهار نسبها سليمة وأضفى عليها الملامح الطبيعية .

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

(٢) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 52-53.

(٣) عن هذه الرعوس التى عثر على عدد كبير منها فى مصاطب الأسرة الرابعة ،

وخاصة من عصر الملك خوفو ومدى اهتمام النحات بشكل الوجه والأنف

والعينين والفم ، ويقال أنه كان يخصص لها الطقوس الجنائزية ، راجع :

Vandier, op. cit. 111, p. 46-47.

فى العصر الوسيط الأول :

فقدت منف زعامتها الفنية القديمة ، وتدهورت مدارسها الفنية أكثر من قرنين من الزمان . وأصاب التدهور فنون الرسم والنقش والنحت فى الأقاليم ، على الرغم مما تمتع به حكام الأقاليم من سلطان واسع ، إلا أن إمكانياتهم المادية ظلت محدودة ، وظل فنانونهم تنقصهم المهارة وروح الإبداع فترات طويلة نظرا لظروف السياسة الداخلية فى البلاد وضعف الملكية .^(١) واصطبغت فنونهم بالصبغة الإقليمية . ونحتوا أغلب تماثيلهم من الخشب لسهولة نحته ورخصه ، وصنعوا منه تماثيل الأثرياء ، التى كانت تتصف بخشونة الصناعة وتميل إلى الاستطالة والنحافة ، وعوضت خشونة صناعتها بإخلاص التعبير عن ملامح أصحابها .^(٢)

فى عصر الدولة الوسطى :

أضاف الفنان المصرى القديم فى هذه الفترة عناصر كثيرة من الحيوية والتجديد على أساليب النقش والنحت .^(٣) وصور الفنانون فى مقابر أمراء الأقاليم ، مناظر حربية كثيرة متحررة فى أوضاعها ومواضيعها ، وصوروا من أوضاع الرياضة وأساليبها ما يفوق أشباهها القديمة ، وزادوا تحررهم فى تصوير بيئات الصيد والقنص ، وصوروا حيواناتها تهرول فوق مرتفعات الصحراء ومنخفضاتها فى حرية وحيوية ممتعة .

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٣٦ شكل ٧٤ -

٨٠ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

(٣) بالنسبة للتماثيل الملكية والرؤوس الملكية فى عصر الدولة الوسطى ، راجع :

Vandier, Manuel d'archéologie III, p. 162-172, 180-214

أما بالنسبة للنحت فقد تأثرت مذاهب النحت في هذا العصر بثلاث مدارس ^(١) :

- مدرسة منف : واتجهت في إظهار الواقعية في نحت تماثيل ملوكها . فلم تكتف بأن تتحت وجوههم وأبدانهم كما هي في واقع أمرها ، وإنما تعمدت أن تضيف على هذه الوجوه والأبدان هيبة مطلقة وشبابا خالدا ، وتقاطيع سمحة متناسقة .

- مدرسة طيبة : واستحبت الأسلوب الواقعي . واهتمت بدراسة الوجوه ، وعبرت عن ملامح أصحابها كما هي في واقع أمرها ، فعبرت بالملامح الجادة القوية في وجوه تماثيل الملك سنوسرت الثالث ، وعبرت بالملامح الرصينة الطيبة في تماثيل الملك أمنمحات الثالث ^(٢) . ومثلوا أيضا سنوسرت الثالث رجل الحرب العنيد بملامحه الجادة ، ولكن في لحظات لانت فيها شدته ، ووقف فيها على هيئة المتعبد أمام المعبود الذي يخشاه ، فأرسل يديه مترaxيتين على ساقيه في تقى وخشوع .

- ثم مدرسة الفيوم : التي امتازت بالمثالية . وظهر ذلك في الصور المنحوتة لسنوسرت الأول ولأمنمحات الثاني وكذلك تمثال أبي الهول نوى الرأسين الآدميين ، مما يدل على مدى تقدم النحت ودقة تعبير الفنان المصرى والتي لم يسبق أن شوهدت قبل ذلك العصر ^(٣) . ونحت المثالون ، تماثيل أخرى للملوك ، بقى منها ما يمثل الملك جالسا يضع تمثال معبوده على ساقيه ، وما يمثله جاثيا على ركبتيه يقدم أنيتين على يديه قربانا لمعبوده ^(٤) .

(١) تحدث فانديه عن هذه المدارس الفنية والتي كانت موجودة في الدلتا ومنف والفيوم وأبيدوس وطيبة ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie III, p. 173-177, 261-279.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٠-٣٤١ شكل ٨٤-٨٥ ، ص ٣٤٣ .

(٣) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 82.

(٤) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣ ، ص ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ .

تأثرت تماثيل الأفراد فى الدولة الوسطى بروح عصرها ، فقد توفر لحكام الأقاليم فى أواخر عصر الأسرة الحادية عشرة وخلال الأسرة الثانية عشرة ثراء واسع هياً لفنون أقاليمهم نصيباً من الازدهار ، فخرجت تماثيلهم تدل على سحن ريفية صادقة ولكن لا تخلو من خشونة نسبية .^(١)

وهناك نموذجان يدلان على تقدم النحت فى الدولة الوسطى . وهما نموذجان لوصيفتين تحمل كل منهن سلة ، وهما من الخشب المغطى بالمصيص الملون ، ويوجد أحدهما فى متحف اللوفر ، وكان قد عثر عليه فى أسيوط .^(٢)

فى العصر الوسيط الثانى :

تعرضت مصر خلال هذه الفترة لغزو الهكسوس ، وانعكس ذلك على الإنتاج الفنى بأنواعه ، فعاش أغلب أهل الفن على فتات روائع الفن المصرى القديم نحو قرن أو أكثر من قرن بقليل . ولم يعد الفنانون يبدعون فى هذه الفترة .

فى عصر الدولة الحديثة :

التطورات الكبرى فى فن الرسم والنقش والنحت فى عصر الدولة الحديثة :

سأيرت فنون الدولة الحديثة حياة أهلها وما طرأ عليهم نتيجة اتصالاتهم بجيرانهم فى الشرق . ومرت أساليب الرسم والنقش والنحت بخمسة مراحل :

(أ) مرحلة أولى : بدأت من أواخر الأسرة السابعة عشرة وامتدت حتى أواسط عصر الملك تحوتمس الثالث :

(١) عن تماثيل الأفراد فى عصر الدولة الوسطى حدثنا فانديه بالتفصيل عن زينتها وأوضاعها وتصنيف الشعر عليها ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie III, p. 225-244, 248-253.

Id., op. cit., p. 235-237.

(٢)

سلك فن الرسم والنقش فى هذه المرحلة سبيل الاتزان فيما أخرجہ الفنان من صور ومناظر وأضاف إليها نوعا من التفصيل وحلاوة التعبير . وبقي من إنتاجه نقش للملكة أحمس أم حاتشبسوت ، صورها بابتسامة حلوة مستبشرة . ونقش آخر لسنموت كبير مهندسى الملكة حاتشبسوت ، عبر عن امتلاء صدغيه وطيات ذقنه وتفصيل شعره فى خطوط بسيطة . وصور الفنان أيضا فى مقابر كبار الأفراد خصائص الرسل والمبعوثين الأجانب حين كانوا يفدون على مصر بجزييتهم وهداياهم . وصوروا فى معبد حاتشبسوت ما يوجد فى بيئة بلاد بونت بقراها وحيواناتها وأشجارها وخصائص أهلها الجسمانية فى تفصيل دقيق .^(١)

وفى هذه المرحلة ، استحب أهلها فى فن النحت^(٢) ، اظهار روح الفتوة ومظاهر الرجولة . وقللت من تمثيل صفوف الزينة على تماثيل كبار الشخصيات . ثم جمع الفنان فى تماثيل الملوك بين المثالية وبين الجمال . وبلغت مدارس النحت غايتها فى تماثيل الملكة حاتشبسوت ، إلى مثلها أهل الفن فى عصرها بأنوثة حلوة ناضجة . ولم يستثنوا من هذه الأنوثة المليحة وجوه التماثيل التى مثلوا ملكتهم فيها رابضة على هيئة الأسد .^(٣)

(١) قمنا بإعداد دراسة تفصيلية عن بونت وتا- نثر وأثر منتجاتهما فى الحياة اليومية فى مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر البطلمى- الرومانى (دراسة وثائقية) فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة المنيا ، العدد الثانى ، شهر يوليو ١٩٩٩ ، ص ١-١٠٣ .

(٢) حدثنا فانديه عن تماثيل الملوك والملكات وأنواع ملابسها وزينتها وتصنيف شعرها فى فترتين : الأولى : من بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر أمنحتب الثالث والثانية : من النصف الثانى للأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie 111, p. 295- 316, 317-427, 434-537.

كما حدثنا عن تماثيل بعض المعبودات : ثالوث طيبة وحتحور وبتاح وست وبعض تماثيل الحيوانات المقدسة فى عصر الدولة الحديثة ، راجع :

Id., op. cit., p. 429-437.

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٥ شكل ٧٨ ، ٨٨ - ٩٣ ، ص ٣٤٧ .

وبلغت غاية أسمى فى تماثيل تحوتمس الثالث الذى جمع فيها النحاتون بين الفتوة ورقة الطابع ونبيل المشاعر . وبقي من هذه التماثيل ما يصور تحوتمس الثالث واقفا ، وجائيا خاشعا ، ورابضا على هيئة الأسد . وصور له فنان وزيره رخمى رع تماثيل أخرى ضاع أغلبها ، مثلته يجلس مع زوجته ، ويقدم قرابينه إلى معبوده ، واقفا تارة وزاحفا على ركبتيه تارة أخرى .

ووجد الفنانون سبيلهم أيضا فى تماثيل الخشب ، وصنعوا تواييت خشبية كبيرة على هيئات بشرية لأميرات الأسرة وملكاتهما ، ومثلوا فى بعض وجوهها ملامح صاحباتها فى رقة وجمال . ومثال ذلك تابوت مريت آمون .

(ب) مرحلة ثانية : بدأت منذ أواخر عصر تحوتمس الثالث واستمرت حتى نهاية عصر امنحتب الثالث :

وجدت مدارس الرسم فى هذه المرحلة سبيلها للتعبير عن معتقدات أصحابها فى عالم الآخرة . ورسم لنا الفنان طرق العالم السفلى والمداخل والعقبات التى توجد فيه ، وأربابه وأرواحه الطيبة والشريرة ، كل ذلك رسم على جدران حجرات الدفن فى مقابر الملوك بطريقة تخطيطية مبسطة ، ثم حورت هذه الخطوط بعد ذلك إلى هيئة الصور الكاملة . وملئت جدران المقابر بمناظر تمثل المآدب والمحافل ، والرقص والشراب والطرب وتقديم الزهور والنباتات . وصورت مجالات الطبيعية الطلقة وصيد البر وصيد النهر وصورت مناظر الاتباع والخدم والراقصات من ثلاثة أرباع أجسامهم من الأمام ، ومن الخلف ، وصورت الجوارى فى لفات جميلة . وأخرج الفنان كل ذلك فى خطوط متناسقة ، حتى مناظر الجنازات وصور النادبات والمشيعين صورها بدقة متناهية وإحساس رقيق :

ونقشوا فى بعض مناظر جدران المقابر تفاصيل رقيقة ، وأظهروا أجسام أصحابها غضة ، واعتنوا بتقليد شعورهم المرسلة ، وتمثيل ملابسهم الهفافة ، وتفاصيل حليهم وزينتهم ، مثال ذلك ما يوجد من نقوش فى مقبرة رع موسى .

وبالنسبة لفن النحت فقد اتبع النحات أسلوبين : أسلوب واقعي مرفه ، وأسلوب جمالى ناعم ، وخضعت معظم التماثيل لهذين الأسلوبين . ومن أمتع ما يستشهد به من إنتاجهم فى الأسلوبين ، تماثيل الملك أمنحتب الثالث وزوجته تي ،

وحكيم عصره أُمْنَحْتَب بن حابو . فنحت رأسين للملك بوجه مستطيل ، وحاجبين طويلين ، وشفتين ممثلتين ، وذقن صلبة بارزة ، وانف مستقيمة ، وأظهر في الوقت نفسه ابتسامة مترفعة على فمه . ونحت مثال آخر تمثالا صغيرا للملك نفسه ، وصوره فيه على سجيته وفي هيئة طبيعية خالصة ، وفي وقفة مترافية ، ونحت تمثال للحكيم أُمْنَحْتَب بن حابو ، مثل فيه على هيئة الكاتب ، بوجه نحيل بارز العظام ، انكمشت فيه طيات جسده نتيجة لكبر سنه ، وكشفت ملامحه عن صلابة العظام ، انكمشت فيه طيات جسده نتيجة لكبر سنه ، وكشفت ملامحه عن صلابة الرأي عند الشيوخ .^(١)

واستخدم مثالون آخرون الأسلوب الجمالي المنمق ، فنحتوا لأُمْنَحْتَب الثالث مع زوجته عدة تماثيل ، وأشهرها مجموعة مثله هو وزوجته وبناته ، وبلغ ارتفاعه فيها وارتفاع الملكة نحو سبعة عشر مترا ، وبقي من إنتاجهم جزء من رأس تمثال للملكة تسي ، نحتوها للملكة وهي في شبابها ، وافرغوا في شفتيها حلاوة ورقة . ونحتوا تمثالا أنيقا لأُمْنَحْتَب بن حابو مثله هذه المرة على هيئة كاتب شاب بوجه ممثلي ، تدل ترهلات طيات جسده عن امتلاء وصحة وحياة رغبة .^(٢)

(ج) مرحلة ثالثة : وهي التي شغلت كل عصر إخناتون :

سارت مدارس الرسم والنقش في العمارنة على التقاليد نفسها التي جرى عليها فن النحت . وكانت مجالاتها أوسع من مجالات النحت ، ولجأت إلى التعبير عن الحركة ، و تصوير الواقع . وبدأت مدارس الرسم والنقش بالملك نفسه ، وصورته على سجيته ، حين يأكل في شهية ، وحين يمرح مع زوجته ، وحين يضم

(١) Saleh-Sourouzan, op. cit., no. 148.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ - ٣٥٣ شكل ٩٧ - ٩٩ ،

١٠١ - ١٠٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص

٢٤٩ - ٢٥١ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

بسناته في شغف ، وحين يندب إحداهن في حزن ، وحين يتعبد إلى معبوده آتون في إخلاص ، وحين يمنح العطايا لرجاله ، وحين يتقبل الهدايا . وصورت بناته تضم إحداهن الأخرى وتداعب إحداهن الأخرى ^(١) . وصورت أتباعه في مرحهم ، وحين تعبهم وحين إسراعهم ، وصورت الرسل الأجانب يتدافعون إليه . وظهرت صورها كلها في مرونة مطلقة وحركة نشيطة ، وبساطة مستحبة . وزادت مناظر الطبيعة الحية في فن العمارنة ، ورسمت بصورها على جدران القصور وأرضياتها وجدران المقابر . ^(٢)

واتجه فن الرسم والنقش إلى التوسع في إظهار وحدة المناظر واستغلال وحدة المكان . واخرج الفنان منظرا جعل فيه صورة الملك على عرشه مركزا اتجهت إليه بقية مفردات المنظر . وفي صورة أخرى جمعت بين الملك وأسرته في مأدبة خاصة .

وعندما انتهى عصر إخناتون حوالي عام ١٣٥٠ ق.م ، عادت مدرسة الفن برجالها من العمارنة إلى طيبة . ولكنها لم تستطع أن تخلص عن قواعد العمارنة الفنية دفعة واحدة ، واستمرت تمارسها في عهود خلفاء إخناتون : توت عنخ آمون ، آي ، وحمور محب .

وتبقى من نقوش خلفاء إخناتون عدة لوحات صغيرة لتوت عنخ آمون وزوجته ، عبر فيها الفنان عن مشاعر الود والمحبة والتعاطف بين المرء وزوجته . ونقش آخر لتوت عنخ آمون على جانب صندوق ضخم مطعم بالأبنوس والعاج ، صور الملك فيه يصيد السباع ، عبر فيه الفنان عن بيئة الصيد ، وصور السباع في هرج ومرج . ^(٣)

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 164-169.

(٢) Id., op. cit., no. 170.

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ، ص ٣٥٩ شكل

١٠٨ - ١١٢ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

أما عن فن النحت : اتجهت أساليب النحت إلى الدعوة إلى التحرر الكامل من الأوضاع والأساليب القديمة ، وأرادت أن تعبر عن هذا التحرر الجديد بتمثيل الأشخاص على هياتهم الدنيوية ، دون تجميل مقصود ، ودون مثالية مكشوفة . ومرت في تحررها بمرحلتين :

- مرحلة بدأت بها في مدينة طيبة ، عندما كان أُمْنَحْتَب الرابع لا يزال مقيما فيها وبدأت مدرسة النحت المتحرر حين ذاك بالملك نفسه ، فنحت تماثيله بعيوب جسيمة مسرفة ، وأظهرت وجهه مستطيلا ، وذقنه طويلة مترهلة ، وشفثيه غليظتين ، ورقبته نحيلة ، وبطنه منتفخة ، وفخذه غليظتين .

- ثم ظهرت المرحلة الثانية لمدرسة النحت الجديد المتحرر في مدينة تل العمارنة بعد أن انتقل إخناتون إليها . وتخلي المثالون عن العيوب المنفرة التي كانت قد ظهرت في طيبة في تماثيل الملك واهتموا بدراسة الوجوه وأحاسيس أصحابها وظهرت آثار هذا الاتجاه في وجه إخناتون ووجه زوجته الجميلة نفرتيتي فأظهرهما في وداعة ، ورقة ملكية مستحبة ، مثل رأس الملكة الموجودة في المتحف المصري ^(١) ، ورأس للملك جسم فيها الفنان الوداعة والبراءة .

واشتهر من مثالي العمارنة حين ذاك ثلاثة وهم : باك ، اوتي ، وتحتمس واحتفظ هذا الأخير في داره بمجموعة من التماثيل ورؤوس التماثيل للملكة نفرتيتي وزوجها وبناتها ، بعضها كامل الصنع وبعضها لم يتم صنعه ، ولكنها في مجملها لا تقل رقة وحلاوة واتقانا عن تماثيل نفرتيتي النصفى الذي احتفظ به متحف برلين . وصنع تحتمس بعض هذه الرؤوس من أجزاء مختلفة ، وثبت تيجانها فيها بتعاشيق تشبه تعاشيق الخشب .

وتخلفت من فن العمارنة أقنعة جسية للرجال والنساء ، وكان الفنانون يتخذونها نماذج لما ينحتونه من وجوه تماثيل أصحابها ، وهي تنطق من فرط واقعيته وصدق تعبيرها . وجرى النحت في أعقاب عصر إخناتون على سنة تل العمارنة فترة

غير قصيرة ، وظهرت ملامحه الرقيقة الناعمة في تماثيل توت عنخ آمون ، وفي قناعه الذهبي الكبير ، ورؤوس توابيته ، وفيها عثر عليه في مقبرته من تماثيل صغيرة ناطقة مثلته هو وزوجته وعددا من المعبودات .^(١)

وفي نهاية الأسرة الثامنة عشرة وأوائل التاسعة عشرة ، استعادت مدارس الفن بعض الأساليب الفنية التي سبقت عصر إخناتون ، فاستعادت التألق والليونة والتفصيل في خطوط الرسم والنقش ونحت سطوح التماثيل وظهر ذلك في تماثيل للملك حور محب قبيل اعتلائه العرش مثله على هيئة الكاتب .^(٢)

(د) مرحلة رابعة : منذ أوائل الأسرة التاسعة عشرة وامتدت حتى نهاية عصر الرعامسة أي الأسرة العشرين :

اتسعت مجالات الرسم والنقش في هذه المرحلة ، فاتسعت مساحات لوحاتها المصورة ، واتسعت في تصوير مناظر القتال في البر والبحر ، وفي تصوير مناظر الصيد ، واتسعت في تصوير مجالات الإنسان والحيوان . وخير ما نستشهد به ، هي مناظر معبدى الأقصر والكرنك من عصور عدة ملوك ، ومناظر معبدى الرمسيوم وأبو سمبل من عصر رمسيس الثانى ، ومناظر معبد مدينة هابو من عصور رمسيس الثالث . وشغلت مناظر الحرب في هذه المعابد جدراناً عظيمة الاتساع ، صور الفنانون عليها مخيمات الجنود ، وتحركات الجيوش ، وصوروا فيها مراحل الكر والفر ، وتصادم العربات الحربية ، وأقدام الخيول كبوها ، وصوروا القتال بالسيوف والحراب ، والتراشق بالنبال ، وصوروا محاصرة الحصون والهجوم عليها وتسلف جدرانها ، وصوروا تراكم القتلى ، وصوروا الأسرى .

وبالغ الفنانون في تصوير دعر العدو وهلعه ، وأساه وجزعه ، ورجائه

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، ٣٥٦ - ٣٥٩

شكل ١٠٤ - ١٠٦ ، ١١٣ - ١١٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٧٥ .

وابتهاله ، وخضوعه وامتهاله ، وصورا ضحايا الأعداء ، وفي المعارك البحرية ، صور الفنان على جدران معبد مدينة هابو صدام المراكب البحرية ، وانقلاب بعضها ، وصور غرق العدو ، وعزيمة المنتصر ، وأظهر ذلك كله في حيوية واضحة .

ومن أفضل مناظر الصيد ، ما صور به فنان الأسرة العشرين للملك رمسيس الثالث خلف الصرح الثانى لمعبد مدينة هابو ، حيث صور الملك يصيد الثيران الوحشية ، وصور عدو الثيران أمامه فى جنون بين حنايا دغل ضيق ، ثم صور مظاهر الألم فى وجه ثور ضخم بعد أن أصابته السهام . ونجح فى تصوير الدغل بنباتاته التى ألقت ظلها على الثور .

وعلى نحو ما سجل الفنانون نشاط ملوكهم فى الحرب والصيد ، أسرفوا فى تسجيل مظاهر تقواهم وقربهم من المعبودات فسجلوا على جدران واحد بمعبد الكرنك اثنين وعشرين وضعا للملك سيتى الأول أمام معبودات المعبد ، وهو يحيى، ويدعو ، ويسبح ، ويقدم القرابين ^(١) . وظهرت كل هذه الاتجاهات فى مناظر مقابر الملوك وكبار الشخصيات فى البر الغربى فى طيبة ، فبلغت ذروة عالية من جمال التعبير ورقته ، ونعومة النقش ونقاوته ، وحيوية التلوين وجمال التصوير ، ودقة التفاصيل فيما صورته من حياة أهلها فى الدنيا والآخرة فى مقبرة امنحتب الثانى ومقبرة سيتى الأول .

أما بالنسبة لتطور فن النحت فى عصر الدولة الحديثة :

نقول أن مدارس النحت استعادت الأساليب الفنية التى سبقت عصر إخناتون من أناقة وتفصيل فى سطوح التماثيل . وظهرت بواكير النحت فى هذه المرحلة فى تماثيل : تمثال لحور محب ، مثله على هيئة الكاتب ، وصوره فى جلسة لينة ؛

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

وانحناءه خفيفة تشبه انحناءة الحكيم ابن حابو . ولكنه أظهره فى الوقت نفسه بملامح سمحة حالمة ربطته برقة فن تل العمارنة .

وتمثال آخر كبير من المرمر للملك سيتى الأول ، صنعه المثال من عدة أجزاء منفصلة ، نتيجة فيما يبدو لصعوبة قطع المرمر . وتعاقبت بعد ذلك عصور الرعامسة ومارست مدارس النحت اوج نشاطها فى عصر رمسيس الثانى ، فأخرجت له تماثيل تفوق الحصر . ومنها ما يوجد فى معابد الرمسيوم والأقصر والكرنك وابى سمبل ومنف وصان الحجر وغيرها ، ونحتوا بعضها فى الصخر الطبيعى فى واجهة معبد أبو سمبل (١) .

وبلغ الفنانون فى نحت بعض هذه التماثيل الكبيرة مبلغا مقبولا من النجاح الفنى والنجاح التعبيرى ، ولكنهم اكتفوا فى بعضها الآخر بإظهار روعتها عن طريق ضخامتها المفرطة وجلال هيئتها وهيبتها وسلامة نسب الغالبية منها .

وأصاب تماثيل الأفراد فى بداية عصر الرعامسة نوع من الردة لأساليب النحت قبل عصر العمارنة ، فعاود المثالون تمثيل الأجسام فيها غضة ممثلة ، وأظهروا هيئات أصحابها ناعمة مترفة ، وزادوا تمثيل طيات ثيابها وثنياتهما ، وأسرفوا فى تمثيل تفاصيل الشعور وأنواع الحلى والزينة .

واستحدثت مدارس النحت فى عصر الرعامسة أوضاعا جديدة مثلت الملوك بها خلال حفلات تتويجهم ، وحين يظهرون مع أسرهم ، وساعة انتصارهم على أعدائهم . واستخدموا صور الرموز الهيروغليفية فى التعبير عن أسماء الملك بحجم كبير . فعبروا عن اسم رمسيس الثانى برموز هيروغليفية ضخمة تصويرية ، جمعوا فيها بين قرص الشمس الذى عبروا به عن اسم رع ، وهيئة طفل رضيع عبر به عن

(١) وفى نص نقش على مذبح مقصورة تحوتى أمام معبد أبو سمبل نقراً :

ir. n. f. mnw c3w nfrw r nhh hft-hr n3ht pt

" انه أقام (= رمسيس الثانى) آثار شاهقة من أفضل ما يمكن للأبدية أمام أفق السماء " أى مواجهه لأفق الشروق .

كلمة " مس " ، وهيئات نبات صعيدى مقدس قديم عبر به عن كلمة " سو " (١).

واستحدثت مدارس النحت أوضاعا أخرى لتمثيل الأفراد ، مثلتهم فيها حين يتوهمون أنهم يتلقون الوحي من تماثيل المعبودات ، وحين يقدمون قرابينهم إلى معبوداتهم واقفين وجالسين وراكعين .

(هـ) مرحلة خامسة : من بعد عصر الرعامسة حتى نهاية عصور الأسرات المصرية الوطنية :

تراخت بعد عصر الرعامسة عزائم الفنانين المصريين ، بعد أن استهلكت جانبا ضخما من وسائلها المادية والحيوية فى عصور الدولة الحديثة . واضطربت اقتصاديات البلاد وأحوالها السياسية فى نهاية الأسرة العشرين وانعكس ذلك على الفن الذى حاول بقدر الإمكان المحافظة على أساليبه القديمة ، ولكنه أصبح فنا مقلدا غير مبتدع . ولم يتميز أصحابه فى غير اتجاهين : فى الرسم ونقش توابيت كهنة الأسرة الحادية والعشرين بمبتونها وزخارفها ، وصوروها بألوان صفراء فاقعة ثابتة ، وشكلوا فى ثانيهما تماثيل صغيرة من البرونز ، رصعوها بمعادن وأحجار كريمة ونقشوا على سطوحها صور أربابهم ومناظر عبادتهم .

واستمرت هذه الاتجاهات فى الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين . ومر الفن بعد ذلك بثلاث مراحل :

- فى الأسرة الخامسة والعشرين :

استحب أهل الفن فى هذه الفترة أساليب عصور الدولة القديمة والدولة الوسطى وعصر الرعامسة فى نقوشهم ، فقلدوها فى لوحاتهم . واستوحوا منها هيئات أصحابها واتجهوا بهذا الأسلوب فى فن النحت أيضا وحاولوا أن يخرجوا من هذا بأسلوب جدي ، وتبقى من أفضل ما نحتوه لملوكهم ثلاث رؤوس ، رأس للملك شساباكا ، ورأسان للملك طهرقا ، وعبرت ملامح كل رأس من هذه الرؤوس عن

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ، ٣٦١ - ٣٦٣ .

السمات الشخصية لصاحبها ، وهكذا أظهر الفنان رأس شاباكا بوجه متسع وشفقتين ممثلتين وأنف عريض افطس ^(١) ومن تماثيل كبار الشخصيات ، تماثيل الكاهن الرابع لآمون منتومحات ، مثلته في أحدهما واقفا في انتصابه تماثيل الدولة القديمة . وكست وجهه بجديّة صارمة عبرت بها عن عزيمته . ثم أظهرته في تمثاله الآخر ، الذي لم يبق منه غير رأسه الضخم وجزء من صدره ، في ملامح شخصية صريحة ناطقة وشعر طبيعي وأظهرته في إتقان بالغ جعل تمثاله آية من أفضل آيات النحت المصري القديم .

ونحت مثالوا المدرسة نفسها ، بضعة تماثيل واقعية لرجل يدعى " حاروا " ولم يأتوا أن يظهره فيها بعيوبه البدنية ، فصوروه بوجه ممثلي كوجه الطفل ، وجسم مكنتر يترهل ثدياه .

- في الأسرة السادسة والعشرين والسابعة والعشرين :

اتجه أهل الفن في هاتين الأسرتين إلى تقليد مناظر الدولة القديمة . وما كانوا يستحبونه لأنفسهم من لباس وزينة ، واستعاروا منها تصوير مناظر الصيد وتصوير مواكب حاملات الهدايا وممثلي الضياع ، وسجلوا في داخل بعض المقابر نسخا من نصوص الأهرام خاصة في مقابر سقارة وطيبة وبعض المقاصير ^(٢).

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٧ ، ص ٣٦٩ .

(٢) مقبرة بسماتيك = Daressy, RT 19 (1895), p. 19 col. 143

- مقبرة ببادي امن اوبت = Dumichen, Der Grabpalast des Patuamenop I, p1. 9 col. 56-57; p1. 15 col. 63-64.

- مقبرة بادي نيت = Maspero, ASAE 2 (1902), p. 110.

- مقبرة امن اريتس = Daressy, RT 23 (1901), p. 10 col. 195.

- مقصورة امن تف نخت = Drioton, ASAE 52 (1954), p. 113. col. 83.

- مقصورة حور = Drioton, op. cit., p. 124 col, 33.

وسلك المثالون سبيلا قلدوا فيه أسلوب تماثيل الدولة القديمة وملابسها وأوضاعا أصحابها . وخلعوا على تماثيل ملوكهم مظاهر القداسة القديمة . وخلت تماثيلهم من تمثيل الشعور المستعارة ، واكتفوا لأصحابها بالرؤوس الحليقة . واعتادوا على أن يلصقوا وجوها صقلا كاملا كلما صنعوها من أحجار صلبة ذات حبيبات دقيقة .

ويزخر المتحف المصرى والمتاحف الأوروبية ، برؤوس مصرية صغيرة صلبة رائعة من هذه الفترة أو فيما بعدها . واستمروا فى نحت التماثيل الضخمة لكبار الكهنة وكبار رجال الدولة ، وكذلك التوابيت الضخمة ، ونحتوا للفرس وتوابيت حجرية من أشد أنواع الأحجار صلبة ، وصنعوها بأحجام هائلة ، وشكلوها على هيئة بشرية كاملة ، ونقشوا سطوحها الداخلية والخارجية بنصوص تخص عالم الموتى ومناظر الآخرة ، وفعلوا ذلك كله فى إصراف شديد .

- من الأسرة الثامنة والعشرين حتى الأسرة الثلاثين :

حافظ فن الرسم والنقش على الأساليب القديمة . وجاهدوا على الارتقاء بها ، وفى نهاية الأسرة الثلاثين تأثر فن النقش بالتأثير الإغريقى . امام بالنسبة لفن النحت فنحتوا تماثيل قليلة العدد ، تكسو وجوها جميعها علامات المسئولية والهم والفكر وآثار الكفاح ^(١) . وبقي من نماذجها تمثال نصفى للملك هكر ورأسان للملك نختنبو الأول . وصورت هذه القطع الثلاث الملوك بهيئاتهم الواقعية الصادقة . ^(٢)

وعندما انتهى عصر الأسرة الثلاثين ، ووفدت على مصر فنون إغريقية ورومانية ، انطوى الفن المصرى على أساليبه القديمة ، فنجح حيناً وفشل حيناً آخر ، ولكنه ظل فى رأى الأغريق والرومان أنفسهم ، من أعرق فنون العالم القديم ، أصالة وأكثرها حرصاً على أساليبه وتقاليده .

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق . ص ٣٦٦ - ٣٦٠ - ١١٨ -

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

وقد عثر في الفيوم في هواره على لوحات تسمى " بوجوه الفيوم " وهي تصور وجوها لبعض المصريين والمصريات الذين عاشوا تحت وطأة الحكم الروماني في القرن الثاني الميلادي . وقد اكتشفت هذه اللوحات بترى عام ١٨٨٨ . وفي فرنسا صدر مؤخرا كتابا لفنانة تشكيلية يونانية حول " وجوه الفيوم " يمثل حصيلة سنوات طويلة من الدراسة لهذه اللوحات التي تعد إنجازا فنيا يبرر كل من يشاهدها في المتحف المصري الآن (الدول العلوى حجرة رقم) (١) . وتقول الباحثة في كتابها " أن شخصية أصحاب هذه الوجوه مجهولون تماما . فنادرا ما يظهر أسم صاحب الوجه . كما أن الفنانين الذين أبدعوا هذه الوجوه مجهولون أيضا . وكان هؤلاء الفنانون يستخدمون الشمع السائل على سطح قماش مشدود على إطار أو برواز خشبي لا يزيد ارتفاعه عن ٣٠ سم ويرسمون عليه بألوانهم الطبيعية وجه الشخص المتوفى ليوضع على مقدمة التابوت الذي يحوى المومياء وذلك تخليدا لذكرى المتوفى " . وعندما شاهد الفنان العالمي بابلو بيكاسو صورة من هذه اللوحات قال " لو لم يكن المصريون يملكون سوى هذه اللوحات لظلوا أكثر الشعوب إبداعا في العالم " .

وليس أدل على قدرة الفنان المصري الفائقة في مجال الرسم والنقش والنحت والعمارة والزخرفة من تلك الآثار المتنوعة المختلفة الأشكال والأحجام والتي حفظتها لنا أرض مصر ، وهي خير شاهد على قدرة الفنان والبناء المصري القديم وحسن إتقانه لفنه وصبره وجلده في معالجته للأحجار شديدة الصلابة . وفي أقامته للعمارة الضخمة مثل الأهرام والمعابد المشيدة والمنحوتة في الصخر والمسلات والتماثيل الضخمة . ولولا أنه أحسن إخراجها لما قاومت عوامل الزمن آلاف السنين .

هذا إلى جانب أنه أضاف إلى فنونه طابع الذوق والنسب المطلوبة فخرجت في صور متناسقة . وعمد الفنان المصري في نقوشه ونحته أن يمجّد الإنسان وعمله

الذى يقوم به وكذلك إظهار عواطفه وأحزانه وسروره .^(١)

مما يدل على دقة الملاحظة وصدق التعبير وكيف أن الفنان عرف ملاحظة الإنسان وفهم انطباعاته كما يدل أنه كان يمتلك إحساس مرهف ومعبر . ولم يلاحظ الفنان المصرى الإنسان فقط ، ولكن كل ما يعيش حوله من حيوانات بتحركاتها المختلفة وصور فزع البعض منها حين صيدها والطيور بأشكالها المتنوعة والأسماك بألوانها المتعددة والنباتات والزهور بأشكالها الجميلة وأنواعها المتناسقة . كل هذه العناصر وغيرها نجدها مرسومة أو منقوشة وملونة بكثرة فى الفن المصرى القديم ^(٢) . حتى أدوات الزينة والملابس والأزياء والشارات والآلات باختلاف أحجامها والتي كان يستخدمها المصرى فى حياته اليومية ، حاول الفنان أن يزينها ويضيف عليها طابع الزخرف حتى تمزج بصورة جميلة غاية فى الإتقان مع إظهار

(١) فى المناظر إلى تمثل تأديب الملك للأسرى نجد أن الفنان نجح فى إظهار ملامح الاستعطاف والعفو على وجه الأسير ، راجع المنظر الموجود فى المعبد الصغير لأبى سمبل :
Le Petit temple d'Abou Simbel, p1. 38.

أو المنظر المنقوش على تابوت كاويت من الأسرة الحادية عشرة ، ويمثل عاملا يقوم بحلب بقرة . ولمزيد من إعطاء البقرة إحساسا بالأمان والطمأنينة ربطوا صغيرها فى رجلها اليسرى ، حتى يزداد إدراك اللبن ولا تشعر بالوحشة التى يسببها البعد عن وحيدها . ولكن البقرة تدرك تماما أن هذا اللبن ليس لصغيرها ولذلك صورها الفنان المصرى الحساس وهى تزرف دمعة من عينها اليمنى :

راجع : Saleh- Sourouzian, op. cit., no. 68c; PM 11, p. 113; Naville, Dier el Bahari I, p. 48-49, 53-56 p1. 19-20.

وأیضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -
الجزء الأول شكل ٣٠٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ؛
Allam, Everyday Life in Ancient Egypt, p. 117, 120 .

كل التفاصيل الدقيقة .

(٤) التلوين :

استخدم المصريون القدماء ثمانية ألوان منذ أقدم العصور . ونرى تأثير هذه الألوان فى رسومات فخار نقادة وفى مناظر مقابر الدولة القديمة فى الجيزة وسقارة وغيرها وخاصة اللون الأخضر الذى نراه فى حجرة الدفن فى هرم ونيس والذى يزين نصوص الأهرام مما يدل على تأثر الفنان بعقائده الدينية بالنسبة لتنفيذ واستخدام بعض الألوان .

الأبيض : وكان يحضر من الجير الحى او من الجبس (كربونات الكالسيوم أو كبريتات الكالسيوم) .

الأصفر : من خام الحديد (المغرة) ويجلب من اسوان ومن الواحات .

الأحمر : من مادة المغرة الحمراء ، وهى كثيرة فى الصحراء . واستخدم هذا اللون منذ عصور ما قبل الأسرات .

الأخضر : من مادة الملاخيت (أو الملاشيت) أو كربونات النحاس .

الأسود : من السناج المتخلف من النار ، ومن الفحم النباتى ، وربما من معدن المنجنيز من غرب شبه جزيرة سيناء . وقد عثر فى حضارة المعادى على مقادير من هذا المعدن ، بعضها محفوظ فى آنية من الفخار .

الأزرق : وهو نوعان : خام نحاس طبيعى من سيناء ^(١) ، ولونه أزرق أو مادة زجاجية مصنوعة من برادة الحديد والملاخيت والنطرون .

البنى : اللون الأحمر مضافا إليه الأسود .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٨ ، ٤٨٠ - ٤٨١ ؛

د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٨٠ .

الرمادى : اللون الأبيض مضافا إليه الأسود .

واستعملت المواد اللاصقة للألوان وتثبيتها من مواد زلالية من زلال البيض ، ومن مواد راتنجية مكونة من الصمغ مضافا إليه مادة الالفونية ، ومن مواد عضوية مكونة من الغراء الذى يصنع من حوافر الحيوانات ^(١) . وكنا نعتقد أن الألوان المصرية عبارة عن طحن وسحق هذه المواد الطبيعية وخلطها بعضها ببعض الآخر ثم تستخدم ولكنه ثبت حديثا أنها تركيبة كيمائية معقدة جدا وذلك بعد أن أقام أحد الباحثين المصريين بتحليلها كيمائيا واستغرق ذلك وقتا طويلا .

(٥) الزخرفة وفن التطعيم :

فى الواقع أن إتقان أى لون من ألوان الفنون المختلفة وحسن إخراجه يعبر عن الجانب المادى للحضارة ، وإضافة عنصر زخرفى إلى هذه الفنون هو نوع من أنواع التذوق الفنى . وينطبق ذلك على كل ما أخرجته يد الفنان المصرى القديم من رسم ونقش ونحت وما حققه فى المجالات المختلفة للعمارة والزخرفة والتطعيم .

وقد أضاف المصرى منذ أقدم العصور عنصر الزخرفة على كل ما أخرجته يده فى الصناعات المختلفة مثل النجارة وصناعة الأثاث والأواني وأدوات الزينة .

وتحدثنا فيما سبق فى باب الحياة الاقتصادية عن الصناعات والحرف المختلفة التى مارسها المصرى القديم ، وتحدثنا عن لمساته فى قطع الأثاث التى عثر عليها فى مقبرة حسى رع منها كراسى وأسرة مريحة يحلى طرفى جانبىها زهرة بردى ، وقوائمها من خشب ، وأحيانا من عاج على هيئة أسير راکع قيدت ذراعاها خلف ظهره او على شكل أرجل ثور نحتت فى دقة بارعة . ^(٢)

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .

وقام فانديه بتحليل مكونات الألوان فى الرسومات، فى مؤلفه :

Vandier, Manuel d'archéologie IV, p. 3-6 (b).

وتشهد كثير من قطع الأثاث على مهارة فائقة في فن التطعيم فمن الأثاث ما كان يرصع برصائع رشيقة من عاج وقيشاني ، تحليها زخارف هندسية محفورة ومنها ما كان يصفح بصفائح الذهب تحليه رسوم بارزة .

ومما يدل على فن الزخرفة في عصر الأسرة الثالثة ما يكسو بعض جدران الحجرات السفلى في الهرم المدرج من قراميد صغيرة من القيشاني الأزرق الجميل ^(١) . وهناك الكرسي المصفح بالذهب وقوائمه على شكل أرجل أسد للملكة حتب حرس ^(٢) . من بداية الأسرة الرابعة . ومن أسرة يويا وتويا والذى الملكى تى زوجة أمنحتب الثالث ما هو مصفح فى بعض أجزائه بالذهب أو الفضة ، ومنها ما هو مطعم بخشب ثمين وتحليه صور المعبودات . ^(٣)

وقد احتفظ كثير من أثاث الملك توت عنخ آمون بأشكال عديدة من الزخارف وفن التطعيم . ونرى ذلك أولاً فى قناع الملك توت عنخ من الذهب واللازورد ، والكورتزيت ، والتركواز ويبلغ ارتفاعه ٥٤ سم ووزنه ١١ كيلو جرام ^(٤) . وهنا لنا أن نتساءل كم من الوقت استغرق الفنان القدير لإخراج هذه التحفة الجميلة فى هذه الصورة التى لا تزال تشد انتباه كل محبى الفن المصرى القديم ؟ . وتابوت الملك من الذهب والأحجار الكريمة ويبلغ طوله ١٨٧ سم ووزنه ١١٠ كيلو جرام ، والمقاصير من الخشب المغطى بصفائح من الذهب ، وكرسى العرش من الخشب المغطى بصفائح من الذهب وأحجار نصف كريمة ويبلغ ارتفاعه ١٠٢ سم . وعلى ظهر الكرسي نرى منظراً يمثل الملكة وهى تعطر كتف الملك

(١) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 17.

(٢) Id., op. cit., p. no. 29.

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) وعلى كتف وظهر القناع نقشت صيغة الفصل ١٥١ ب من فصول كتاب

الموتى ، وهى الصيغة التى تتشابه فيها أعضاء جسم المتوفى مع أعضاء أجسام

المعبودات ، وذلك كنوع من الحماية المطلوبة لجسم المتوفى .

الجالس على نفس كرسى العرش . وكرسى الاحتفالات الدينية من الأبنوس والعاج وبعضه مصفح بذهب ومرصع ومطعم بأحجار طبيعية وقيشاني وزجاج ملون وكذلك موطئ القدم أمام الكرسى . هذا بالإضافة إلى الصناديق والخزانات باختلاف طرزها وأحجامها فبضعها صغير للحلى والعطور وأدوات الزينة ، وبعضها كبير للملابس وأغطية الأسرة ، وبعضها بسيط ، وبعضها فاخر مذهب أو مطعم بالأبنوس والعاج أو بهما معا أو بالقيشاني والزجاج والمرمر المصرى وتحلى بعضها سطور منقوشة بكتابة هيرغليفية مذهبة أو محشوة بمادة ملونة . ومنها ما تحليه مناظر صيد أو قتال أو صورة الملكة فى ثيابها الأنيقة .

ومن التحف المزخرفة تماثيل الوشابتي التى تبين مدى صغر سن توت عنخ آمون ، وكذلك سرير الملك على هيئة بقرتين ومسند رأسه ، وصندوق الحلى من الخشب الملون وعليه منظر يمثل الملك فى عربته الحربية ويهاجم الأعداء ومناظر صيد وعصا الملك ذات اليد على هيئة اسيرين ، وآنية العطور من العاج والمرمر على هيئة علامة سما وصندوق لعبة السنت من العاج والأبنوس .

والمنظر الشهير الذى يوجد على صندوق الأحشاء ، يمثل الملكة وهى تقدم باقة من زهور اللوتس والبردى والبراعم للملك أثناء جولة فى حديقة القصر الملكى وأسفل المنظر نرى فتاتين تقومان بقطف الزهور . واللوتس يعبر عن علامة نخب أى الاحترام والتبجيل . ومن التحف الجميلة المرصعة صدرية الملك من الذهب والعاج والأحجار الكريمة وقلائده المطعمه بالأحجار الكريمة . (١)

وغير المقاعد كان من أثاث المنزل أيضا أوانى فاخرة من ذهب وفضة ، وأوانى العطر والزيوت وأوانى جميلة من زجاج أزرق أو أسود تحليه شرائط متموجة . وكانت هناك المرايا من معدن مذهب ومقابضها فى شكل غصن بردى أو

(١) Saleh-Sourouzan, op. cit., no. 174-193.

؛ وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

Allam, Everydaylife in Ancient Egypt, p. 124-125. 130.

فى صورة حتحور أو شكل امرأة ^(١) والمراوح ذات المقابض من العاج والمشكلة بأشكال رشيقة . والأمشاط التى يعلو أحدها تمثال صغير لجدى ^(٢) . هذا إلى جانب القلائد المطعمة بالأحجار الكريمة مثل قلائد توت عنخ آمون ^(٣) .

هذا إلى جانب الحلى المطعمة بالأحجار الكريمة مثل حلى الأميرة خنمت من الذهب واللازورد والتركواز والتى عثر عليها فى مقبرة خنمت فى دهشور من الأسرة الثانية عشرة والصل المقدس للملك سنوسرت الثانى من الذهب واللازورد من اللاهون وحلى سات حتحور من دهشور من الأسرة الثانية عشرة وصدرية الأميرة مر إرت من دهشور من الفترة نفسها ، وتاج الأميرة سات حتحور إنت ومرآتها من الفضة والذهب والأحجار الكريمة ، وحلى نفرو - بتاح من هواره من الأسرة الثانية عشرة ، وكلها موجودة الآن بالمتحف المصرى ^(٤) .

كما أن تمثيل ذيل الثور فى النقش فى مؤخرة ملابس الملك يدل على شخصية الملك نفسه وأيضاً يدل على قوته الجسمانية ^(٥) .

(١) د. أنور شكرى : المراجع السابق ، ١٥٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٨١ - ٣٨٣ ؛

Allam, Everyday life Ancient Egypt, p. 45.

Id., op. cit., p. 43.

Id., op. cit., p. 124-125, 130.

Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 107-116.

Jequier, BIFAO 15 (1918), p. 165-168.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

الفصل الثانى

العمارة وأشكالها وأنواعها

وتطورها عبر العصور المختلفة

مقومات البيئة وفن العمارة :

استعانت العمارة المصرية القديمة فى مراحل نشأتها بمقومات البيئة ، وكانت البيئة منذ عصورها الأولى وفيرة بأعواد النباتات من البردى والغاب والسمار وفروع الأشجار ، وقد وجد فيها المصريون القدماء مواد سهلة يقيمون منها أكواخهم البدائية . (١)

وجلب النيل إلى مصر على مدى آلاف السنين طبقة سميكة من الطمي ، صنع منها المصريون القدماء منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ الطوب اللبن ، وذلك بخلطه برمل أو تبين أمام مادة أخرى ليقوى تماسكه . واستفاد المصريون القدماء من هذه المواد الأولية على مراحل ، واستغلوها لمطالبهم اليومية أولا ، ثم لأغراضهم الفنية ثانيا (٢) . ومع أن المصريون صنعوا الطوب اللبن منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ فإنهم لم يستخدموه محروقا إلا فى العصر المتأخر .

وشيدت أغلب المباني فى عصور ما قبل التاريخ بالطوب اللبن نظرا لتوفر الطمي فى كافة أنحاء مصر ولا تحتاج صناعته إلى مهارة كبيرة ، والبناء به رخيص التكلفة ، ويناسب طقس مصر لقلة المطر فيها ، فضلا عما يتوفر فى البيوت التى تبنى منه من دفء فى الشتاء واعتدال حرارة فى الصيف . ومنذ الدولة الوسطى كان يراعى أن يكون طول اللبنة ضعف عرضها لينتفع بها فى البناء طولا وعرضها بما يكفل تماسك البنيان ومتانته .

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٨ - ٤١ .
(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣١٧ .

وكانت الجدران من اللبن تطلى بطلاء من طين ، وكان يتكون من نوعين :
نوع خشن يتكون من طمي النيل العادي ، ونوع جيد يتكون من خليط طبيعي من
 طين وحجر جيري ، ويوجد في جيوب في سطح الهضبة الشرقية . وكان المصريون
 في كثير من الأحيان يغطون طلاء الطين بطلاء آخر من الجبس .

ولم تكن أشجار مصر تصلح لتزويد العمارة بما كانت تحتاج إليه من
 أخشاب ، ذلك لأن أشجار الأثل والجميز ، وأن كانت قد استخدمت في صناعة بعض
 الأثاث والمراكب ، ألا أنها لا توفر ألواحاً طويلة من الخشب . وأشجار النخيل ، وأن
 كانت قد أفادت كثيراً كدعائم للسقوف وفي تسقيف القاعات فهي لا تيسر اتخاذ ألواح
 منها . لذلك اضطروا المصريون القدماء منذ بداية الأسرات على الأقل إلى استيراد
 أخشاب الأرز والصنوبر والسرو من سورية ولبنان .

اهتم المصريون القدماء بالخلود ، ووجدوا في أحجار الصحراء ما يحقق لهم
 هذا الهدف ، فاستغلوها أكبر استغلال . وهذا ما حقق لمنشأتهم من مقابر وأهرام
 ومعابد ومسلات ومقاصير وتمائيل وتوابيت وغيرها ، البقاء آلاف السنين . وكان
الحجر الجيري حجر البناء الرئيسي ، وهو من الأحجار الرخوة ، ويتوفر بكثرة في
 الهضاب التي تحف بوادي النيل مباشرة في الشرق والغرب من اسنا إلى القاهرة .
 ومنه نوع جيد يمتاز بصلابته ودقة حبيباته في طرة والمعصرة وفي جبلين جنوب
 أرمنت بقليل .

وكان الملاط المستخدم في المباني من الحجر من الجبس ، ولا يعرف أن
 المصريين قد استخدموا الجير ملاطاً قبل العصر البطلمي . واستخدم الملاط من
 الجبس لربط الأحجار بعضها ببعض ، واملأ الفجوات الدقيقة في السطوح العليا
 للأحجار ، وتيسير تحريك الأحجار الثقيلة ووضعها في مكانها من البناء بدقة ،
 وكانت الأحجار الكبيرة تنقل على زلاقات من خشب .

واستخدموا الجرانيت من أسوان وخاصة من جزيرة الفنتين ، ومنه الأحمر
 السوردي والأشهب الأسود . والحجر الرملي الذي يتوفر في التلال الممتدة من وادي
 حلفا إلى كلابشة في بلاد النوبة ثم من أسوان إلى اسنا ، وكان أهم محاجرهم في جبل

السلسلة ، شمالي أسوان بنحو سبعين كيلو مترا . وحجر الكورتزيت ، وهو حجر رملي صلب متبلور ذو لون يميل للاحمرار ، ويوجد في الجبل الأحمر شمال شرقي القاهرة ، وفي جيلين^(١) . والمرمر المصري (الكلسيت) ، وهو من الأحجار الرخوة ذات اللون الأبيض الضارب للصفرة ، ويتميز بدقة حبيباته وصلاحيته للصقل الجيد ، ويوجد في مصر في أماكن من الصحراء الشرقية وخاصة بالقرب من حلوان ، وفي جنوب شرقي العمارنة . والبازلت ، وهو حجر صلب أسود أو أشهب قاتم ، ومصدره جبل القطراني في الفيوم ، ويوجد أيضا في أبو زعبل وفي شمال غربي أهرام الجيزة .

ولقطع هذه الأحجار وغيرها استخدموا آلات من النحاس ، ووسائل ومواد كيمياوية قبل استخدام الأزميل . فقد زاد استخدام النحاس في صناعة آلات في بداية الأسرات وكذلك صناعتها من البرونز منذ عصر الدولة الوسطى قد سهل عملية قطع الأحجار . وكان يدق على الأزميل بمدق من الخشب أو الحجر . وكانت الأحجار الكبيرة تفصل من أسفل باسافين من خشب مبلل بالماء كي تتمدد فينشق الحجر ، أما الأحجار الصغيرة فكانت تفصل باسافين يدق عليها . وفي العصور المتأخرة استخدمت اسافين مصنوعة من الحديد .

وقد لازمت البناء بأعواد النبات والبناء بالطوب اللبن منذ عصور ما قبل الأسرات أشكال وخصائص وجدت سبيلها إلى العمارة في الحجر بعد ذلك ، وقد توارثها المصريون القدماء جيلا عن جيل ما اعتادوا عليه من تمسكهم بتقاليدهم القديمة . ومن ذلك الخيزران والكورنيش المصري اللذين أصبحا من عناصر الزخرفة التقليدية في العمارة الحجرية . ومن أبرز مميزات العمارة الحجرية الأساطين ذات الزخارف النباتية ، وهي تتميز على الأعمدة بأناقة أشكالها ، وترجع أصولها الأولى إلى أزمنة قديمة عندما كان السكان الأولون يدعمون عروش أكواخهم بحزم من أعواد النبات أو بفروع الشجر أو جذوعه .

(١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٧ .

ولابد أنه كان لاختيار البردى واللوتس والنخيل لتحلية أعالي الأساطين أسباب معينة ، لكثرتها إذ ذاك بين نباتات مصر ، ولأن المصريين أعجبوا بها لحسن أشكالها . وساعد النيل ، وقد كان أهم طرق المواصلات في مصر وخاصة في وقت الفيضان ، على نقل الأحجار من المحاجر إلى مناطق البناء منذ الأسرة الأولى ، وذلك على مراكب كبيرة تقدموا كثيرا في بنائها ، ولم يدخر المصريون القدماء وسعا في إعداد الطرق من المحاجر إلى النيل ، ومن النيل إلى مناطق الإنشاء . وكانت تمهد الطرق وتبنى الجسور الضخمة حيث كانت الأحجار تنقل عليها بعد وضعها على زلاقات ضخمة من الخشب يجرها الرجال أو الثيران ^(١) إلى جانب توفر مواد البناء في البيئة المصرية ، فغن الظروف البيئية أيضا كان لها تأثير في العمارة وخصائصها .

وتتميز الظروف البيئية في مصر ، باعتدال مناخها على مدار العام ، ومصر بلد قليل الأمطار ، ومن أجل ذلك كانت الأفنية عنصرا هاما في العمارة المصرية . وللسبب نفسه أصبحت سطوح المباني وخاصة في العمارة الحجرية طوال العصور التاريخية مستوية ، وقد تزودت المعابد بمآزيب ضخمة لتصريف ما قد يهطل من أمطار فجأة .

(١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٥٥ . وهناك كتلة من الحجر الجيري موجودة الآن بالمتحف المصري ، عثر عليها في محاجر المعصرة عليها منظر يمثل ثلاثة أزواج من الثيران تجر زلافة من الخشب محملة بالحجر ، ويسوقها ثلاثة من المشرفين . وكانت هذه الكتلة بجوار كتلة أخرى عليها نص يدل على أن الملك أحمس الأول افتتح في السنة الثانية والعشرين من حكمه محجرا جديدا في طره للحصول على حجر جيري أبيض جميل لمعبدى بتاح في منف وآمون في طيبة ، راجع : Saleh-Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 119. وأيضا : المرجع السابق ، ص ٤٦ شكل ٤ .

والشمس تغمر البلاد بضوئها القوي ، وكان لذلك أثره في أعداد مداخل الأبواب في المعابد والمقابر بحجم كبير ، لكي يدخل الضوء منها ويضيئ مساحات كبيرة في ادخل المعبد أو المقبرة . كما كانت السطوح الخارجية بما عليها من نقوش غائرة عرضة لضوء مما يحميها من العطب ويسمح للضوء والظلال أن تتلاعب عليها بما يخفف من حدة الضوء الشديد ويضفي على الجدران جمالا . وكان نسيم الشمال العليل يلطف من حرارة الجو في أيام الصيف ، لذلك كانت واجهات البيوت تستقبل عادة جهة الشمال ، كما كانت تنشأ في السقوف ملاقف تتلقى الهواء الرطب .

هذا إلى جانب النيل الذي يجري بين شاطئيه ، ناشرا الخصب والحياة عن يمين وشمال الوادي . والوادي الخصيب الذي تتخلله القنوات في خطوط مستقيمة والهضبتان اللتين تحفان بالوادي كأنهما سور حصين ، والصحاري الممتدة التي توحى بمعاني الخلود والدوام ، كل ذلك كان له تأثير في أفكار المصريين القدماء وفي نفوسهم وفي نظرتهم لكافة مظاهر الحضارة .^(١)

العوامل الأخرى التي أثرت في فن العمارة :

كان للعقائد الدينية والجنائزية أثرهما الواضح في العمارة . فقد كان المصريون القدماء من أشد الأمم تدبنا وأكثرهم اهتماما بالحياة الآخرة ، وأكثرهم رعاية لموتاهم . فقد أقاموا معابد المعبودات والمعابد الجنائزية في كل مكان وكانت هذه المعابد مسرحا لمناسك وشعائر أكثر أيام السنة مما كان له أثره بطبيعة الحال في تخطيطها . فتدرج ارتفاع أرضية المعبد ، وتدرج انخفاض سقوفه ، خضع لعقائد دينية . كما أن وجود المعابد الجنائزية في الدولة القديمة في الشرق من الأهرام ، كان يخضع لعقيدة دينية .^(٢) وما من شك في أن زيادة أهمية معبود معين كان له

(١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٥٧ .

تأثير في منشآت هذا المعبود . فكان كل ملك يحاول أن ينشئ له المعابد ويقيم فيها التماثيل يضاف إلى ذلك أن الملوك أنفسهم كانوا لا يدخرون وسعا في كسب رضا المعبودات ، ببناء المقاصير والمعابد لهم ، أو إصلاح ما تهدم منها .

كما شيدوا وحفروا المقابر لحفظ المومياوات وصيانتها ، وذلك للمحافظة عليها أطول فترة ممكنة للبعث والخلود ، ونشأة الشكل الهرمى في الدولة القديمة ، واتجاه مداخل الأهرام نحو الشمال ، كل ذلك خضع لتصورات جنائزية .

كما أثرت الظروف السياسية والحالة الاقتصادية في العمارة وخصائصها . فكانت الفنون المختلفة والعمارة تزدهر وتبلغ غاية تطورها في عهود الحكم المستقر والرخاء الاقتصادي وتوفر الإمكانيات المادية اللازمة . وتضمحل في عهود الضعف السياسي والاضطرابات الاقتصادية .

كما كان لشخصية الملك الحاكم ومهندسوه ومعاونوه الأكفاء الذين اشرفوا على العمل وأحسنوا تنظيمه وجهود البنائين والعمال الذين قاموا به ، كان له أكبر الأثر في تطور العمارة . إلى جانب هذا أنهم كانوا ذوى أحاسيس فنية أسهمت في إبداع ما أقاموه ^(١) ولا شك أن ما لاقوه من رعايه من جانب الدولة كان له أثر كبير في إنتاجهم .

وتوفر هذين العاملين في عهود الدولة القديمة مما كان له أثره في العمارة المصرية وازدهارها في هذه الفترة . وتواضع منشآت الدولة الوسطى في أحجامها وموادها ، ورشاقة وضخامة مباني الأسرة الثامنة عشرة ، وضخامة العمارة في عصر الرعامسة ، كل ذلك خضع للظروف السياسية والحالة الاقتصادية .

واعتمد كثرة المنشآت على شخصية الملك وطموحه ، فمنهم من كان يشرف بنفسه على المنشآت المعمارية . وكانت له مطالبه وتوجيهاته الخاصة في طراز عمارته الدينية والدنيوية . ومنهم من كان يكلف مهندسيه وعماله للإشراف على هذا العمل .

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

وقد شجع كثير من الملوك المهندسين وأمدوهم بالمكافآت ، وكانت المكافأة بالذهب ، وفي الوقت نفسه كان يحرصون على توفير ما يحتاج البناؤون والعمال إليه من طعام وشراب وكساء وزيت عطرية .^(١) ولا شك في أنه كان للمهندسين المصريين ، وخاصة النابغين منهم ، أثر أيضا فيما خططوا من منشآت وما أقاموا من مباني . وكانوا من أحسن الناس تنظيما للعمل والإشراف على الأيدي العاملة .

ويعتبر إيمحوتب أول مهندس معماري كان له أثر كبير في مباني جسر ، وحم ايونو الذي يعتقد أنه أشرف على بناء الهرم الأكبر ، وسنوسرت عنخ من عصر الملك سنوسرت الأول ، وانيني الذي حفر مقبرة الملك تحوتمس الأول ، وسنموت الذي شيد معبد حاتشبوت الجنائزي (الدير البحري) ، وآمون - مس أحد مهندسي الملك تحوتمس الثالث ، الذي أقام ما لا يقل عن عشرين معبدا في الصعيد وفي الوجه البحري ، وامنحتب بن حابو مهندس الملك أمنحتب الثالث الذي شيد معبد الملك الجنائزي في البر الغربي .

وكان للمهندسين المعماريين في مصر القديمة مكانة ممتازة في المجتمع ، حتى أن منهم من كان أكبر كاهن في البلاد ، ومنهم من كان من الأسرة المالكة ، ومنهم من كان صديق للملك ومستشاره . وفي الواقع كان وراء نجاح خطط المهندس ، نشاط وقوة عزيمة العامل المصري ، الذي كان على استعداد لإقامة أضخم المنشآت بقطع أحجار ونقلها من محاجرها على مسافات بعيدة ، أو قطعها من الجبل في ظروف قاسية صعبة ، وكان العامل أو البناء المصري ذو جلد وصبر لوضع الأحجار الثقيلة في أماكنها ، ولا تزال تبهرنا قدرتهم على نقل الثقيل منها في الهرم الأكبر ، فمنها ما لا يقل وزنه عن ألف طن ، ولا تزال تبهرنا قدرتهم على صقل سطوح هذه الأحجار على الرغم من بساطة آلاتهم وأدواتهم .

(١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٥٩ .

وكانوا يعتقدون فى قداسة ملوكهم وقدرة معبوداتهم فقاموا بالمعجزات من الأعمال^(١). وما من شك فى أنهم اكتسبوا الخبرة والحنكة بمرور الوقت بفضل ما لديهم من استعداد للتعليم وإدخال التحسينات اللازمة فيما أخرجته أيديهم . قام فانديه فى مؤلفه الشهير " موجز عن الآثار " بالحديث عن أنواع العمارة فى جزأين : فى الجزء الأول الذى يشمل ثلاثة فصول^(٢) ، يحدثنا فى الفصل الأول عن العمارة الجنائزية الملكية والتى تشمل الأهرام وملحقاتها حتى نهاية عصر الدولة الحديثة^(٣) ، والمقابر الملكية من الأسرة الحادية عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين^(٤).

وفى الفصل الثانى يحدثنا عن العمارة الجنائزية لكبار الشخصيات والتى تشمل المصاطب والمقابر والمقاصير والآبار المؤدية إلى حجرة الدفن وأنواعها . والمقابر المنحوتة فى الصخر منذ بداية الأسرة الرابعة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، والموجودة فى الجيزة وسقارة ومصر الوسطى ومصر العليا^(٥). وفى الفصل الثالث يحدثنا عن اللوحات والأبواب الوهمية وموائد القرابين والأهرام الرمزية منذ عصر الدولة القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة^(٦).

ويكمل الحديث عن أنواع العمارة فى الجزء الثانى الذى يشمل بقية الفصول مع ملحق فى نهاية المؤلف^(٧). وفى الفصل الرابع يحدثنا عن معابد المعبودات التى ترجع إلى عصور ما قبل الدولة الحديثة ، فتحدث عن المقاصير العتيقة والتى كان يطلق عليها أسماء : بر - ور ، بر - نو ، سح - نثر ، ومقاصير حتحور ومين وأوزير ، ومعابد الشمس فى أبو صير ، والبقايا المعمارية فى بعض المواقع فى الدلتا وإقليم منف ومصر الوسطى والعليا . كما تحدث عن بقايا المعابد فى مدينة ماضى

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦١ ، ٦٣ .

(٢) Vandier, Manuel d'archéologie II Paris, 1954.

(٣) Id., op. cit., p. 6-152.

(٤) Id., op. cit., p. 154-243.

(٥) Id., op. cit., p. 251-373.

(٦) Id., op. cit., p. 389-522.

(٧) Id., op. cit., p. 11, Paris, 1955.

وفي الكرنك والأشمونين وجاو ومدامود وأرمنت وطود وأبيدوس^(١).

وفي الفصل الخامس تحدث عن المعابد الجنائزية الملكية في البر الغربي في طيبة وفي أبيدوس من عصر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين^(٢). وفي الفصل السادس تحدث عن معابد المعبودات التي ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية عصر الرعامسة ، منها المعابد ذات الأروقة والجواسق وبقايا هذه النوعية من المعابد في الدلتا وتل العمارنة ومصر العليا . كما حدثنا بالتفصيل عن الأجزاء المعمارية لمعابد تل العمارنة والأقصر والكرنك . كما تحدث عن المعابد المنحوتة في الصخر في مصر والمعابد الموجودة في بلاد النوبة المنحوتة في الصخر والمشيدة^(٣) ، وفي الملحق تحدث عن عمارة المنازل والحصون والقصور وخاصة قصور تل العمارنة^(٤).

وفي رأينا تنقسم العمارة إلى ثلاثة أنواع : عمارة دنيوية وتشمل : المدن وعمارة القصور ومنازل الأفراد والإدارات المختلفة والسدود والحصون وغيرها من الأبنية ؛ وعمارة دينية وتشمل : معابد المعبودات ، معابد الولادة المقدسة ، المعابد الصخرية ، المقاصير ، جواسق اليوبيل ؛ وعمارة جنائزية وتشمل : المعابد الجنائزية ، سراديب مومياوات الحيوانات والطيور المقدسة ، مقابر الحكام والمقابر الملكية ، المقابر الرمزية ، مقابر كبار الشخصيات ، ومقابر العمال .

أولا : العمارة الدنيوية :

(١) تشييد مدن العواصم والمدن ذات القداسة الدينية :

تحولت المدن في مصر القديمة إلى تلال من الأتربة تختلط بها بقايا من الفخار وأطلال ضئيلة ، ولا عجب في ذلك إذا كانت المدن والقصور والمنازل تشييد

Vandier, op. cit., p. 556-642.

Id., op. cit., p. 664-783.

Id., op. cit., p. 796-960.

Id., op. cit., p. 972-1006.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

بالطوب اللبن . وأقدم ما يعرف من مدن محصنة في مصر مدينة نخن ، وهي الآن الكوم الأحمر شمال ادفو بقليل . وربما كانت محصنة بسور سميك مستطيل أو مستدير وله دعائم تدعمه أو أبراج بارزة تتيح للمدافعين عنه حسن مراقبة كل من يقترب منه . ومن أقدم المدن في مصر القديمة ايونو ، ويظن أن تأسيسها يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ . وشيد نعرمر - منى في أول الأمر مدينة " الجدار الأبيض " أو " الجدران البيضاء " ثم سميت فيما بعد منف .^(١)

وكانت أشبه بعاصمة ثانية للبلاد ، وكانت فيها المعابد والمقابر والقصور للملوك والأمراء ، والأحياء المختلفة ، والحدائق العديدة ، وكانت ترابط فيها فرق الجيش الرئيسية ، وفي مينائها " برو - نفر " كانت تشيد مراكب الأسطول المصري ، وكان الأمراء يتعلمون فيها الرماية وركوب الخيل ، ويصيدون في صحاريها الحيوانات ، ويتولون فيها قيادة فرق الجيش . وكانت المراكب التجارية تجلب إليها منتجات البلاد الأجنبية ، وتنقل منها ما تصدره مصر إلى بلاد الشرق الأدنى القديم من أوراق بردي وجلود وأسماك مملحة وغيرها . وكانت فيها متاجر كبيرة ، وكانت مدينة يكثر فيها الأجانب والمهاجرون والرهائن والعبيد ، وكان للأجانب فيها أحياء خاصة ، وقد تحدث سترابون عن أجناس مختلفة تسكنها ، وتدل أنقاضها على أن طولها كان أكثر من اثني عشر كيلو مترا ونصف وعرضها أكثر من ستة كيلو مترات .^(٢)

أبيدوس : التي أصبحت منذ أواخر الدولة القديمة مقرا لعبادة أوزير ، وأصبحت من المدن المقدسة إلى جانب بوتو وسائس وبوزيريس (أبو صير) وايونو . وكان كل إنسان يأمل في أن يزورها ويشارك في احتفالات أوزير .

(١) د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ - ٧١ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ، ص ١٢ - ٢٤ .

أثت تاوى : بمعنى القابضة على الأرضيين ، أى الوجه القبلى والبحرى ، اختارها أمنمحات الأول بالقرب من اللشت الحالية ، رغبة منه فى أن تكون عاصمته الجديدة على مقربة من منطقة خصبة يمكن استغلالها فى مشاريع الزراعة وأيضا ليكون على مقربة من أقاليم أنصاره فى مصر الوسطى .

طيبة : ظهرت أهميتها مع بداية الأسرة الحادية عشرة ، وأصبحت عاصمة البلاد بفضل جهود ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

وعلى الرغم من أنها لم تكن تتمتع بحصون طبيعية ، ولا تشرف على طريق تجارى هام ، ولم تكن ميناء هاما على النيل ، فقد غدت بفضل جهود ملوك الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أم المدن جميعا ، وعاصمة الشرق القديم . كانت طيبة تمتاز بموقعها الجميل فى سهل واسع فسيح خصيب . وما بقى فى مدينة الأقصر الحالية يعطينا صورة واضحة عن طيبة القديمة ذات الصروح المائة وما كانت عليه من فخامة وسلطان . فقد أقيم على الضفة الشرقية المعابد التى تحيط بها أسوار عالية ، وتتقدمها صروح شاهقة ، تزينها صواري بأعلام ملونة ، ومن أمامها مسلات عالية . وكانت مدينة الأحياء فى الضفة الشرقية حول معبد الكرنك ومعبد الأقصر ، حيث يصل بينهما طريق تحف به تماثيل الكباش . ويعتقد أن الأبواب المائة التى وصف بها هومر طيبة لم تكن سوى أبواب المعابد العديدة . وكانت تحيط بالمعابد بيوت ، تتخللها شوارع ضيقة متعرجة . وأقيمت فى بعض الأحياء القصور الجميلة ذات أبواب فخمة ، تحيط بها حدائق ذات أشجار عالية ، وأحواض من زهور ، وكانت هناك دور الحكومة ودواوينها المختلفة التى تزدهم بالموظفين والكتبة . حيث كان يجلس عدد كبير من الكتبة الحاسيين ، يحسبون دخل خزائن الملك من غنائم وجزى وضرائب ، وما خرج منها على المعابد والمنشآت والقصور الملكية وموظفى الدولة .

وكانت معابد طيبة تزخر بالكهنة على اختلاف طبقاتهم ، ومعهم فتيات ونساء من الأسر الراقية . وكان لكل معبد مخازنه الممتلئة بخراج أملاكه ومنتجات مصانعه وما يهديه إليه الملك من الغنائم والجزى . وكان على النيل فى طيبة

أكثر من ميناء ، يزدهم بالمراكب محملة بالغنائم والمؤن المختلفة من بلاد الشرق القديم . (١)

وعلى الشاطئ الغربى للنيل ، حيث مدينة الموتى ، توجد المعابد الجنائزية ، مثل الدير البحرى ، ومعبد تحوتمس الثالث ، وأمنحتب الثالث ، وسيتى الأول ، والرمسيوم ، ومدينة هابو . (٢)

وفى أحد الوديان المنعزلة حفرت فى الصخر مقابر الملوك ، فى وادى الملوك وخلف معبد مدينة هابو حفرت مقابر الملكات والأميرات فى وادى الملكات ، وفى البر الغربى نجد أيضا مقابر كبار رجال الدولة ورجال البلاط والوزراء وكبار الكهنة وقواد الجيش والأطباء والمشرفين على الخزانة والشون والمشرفين على المهن المختلفة فى القصر الملكى .

فهناك فى حدود أربعين مقبرة أصحابها ينتمون إلى الطبقة الحاكمة ، وهناك حوالى سبع وعشرين مقبرة يملكها كهنة عاديون أو كهنة مرتلون تابعون لآمون . وهناك حوالى اثنتى وأربعين مقبرة أصحابها من الكتبة المحليين والموظفين الذين كانوا يتولون مناصب فى المعابد أو ممتلكات المعابد مثل كتبة القرابين وكتبة حصر الماشية والمتاجر .

وهناك على الأقل حوالى أربع وخمسين مقبرة من مجموع مقابر الرعامسة فى البر الغربى ، تخص العمال الذين كانوا يقيمون فى أماكن مخصصة لهم فى دير المدينة ، لتنفيذ المقابر الملكية للملوك الحكام ، أو الحرفيين والصناع فى ورش المعابد أو ممتلكات المعابد فى طيبة مثل : النجارين ، وصناع النسيج ، وصانعى الحلى ،

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨١ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٥ ؛ د.

صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ .

وصانعي الأحذية ، وحراس الأبواب . (١)

وكل هذه الثروة الأثرية المتنوعة تعكس لنا الكثير من مظاهر الحضارة المصرية وكذلك جوانب الحياة اليومية في طيبة خاصة في عصر الدولة الحديثة وأيضاً أنشطة الملوك المختلفة . هذا إلى جانب بعض القصور ومنازل الأفراد والعمال التي شيدت في البر الغربي . وإذا كانت طيبة قد عاشت عصرها الذهبي خلال الدولة الحديثة ، فإن أحلك أيامها عندما دخلها الآشوريون مرتين ، إذ خربوا معابدها ، ونهبوا نفائسها فقد غزاها الآشوريون واستولوا عليها أثناء غزوتهم الثانية على مصر عام ٦٦٦ ق.م. وتعرضت فيها للسلب والنهب . والمرة الثانية أثناء الغزوة الآشورية الثالثة عام ٦٦٤ ق.م. عندما استولى عليها آشور بانيبال ونهبها ودمرها ، وذاع نبأ سقوط المدينة الكبرى في جميع أنحاء العالم القديم . وعانت بعد ذلك من حصار البطالمة لقيامها بالثورة ضدهم أيام بطلميوس التاسع عام ٨٥ ق.م. وبالإضافة إلى ذلك تعرضت لزلزال عام ٢٧ ق.م. هدم بعض أثارها .

أخت آتون : وهى من المدن الهامة ، التي شيدها اخناتون على عجل في شرقى النيل ، في مصر الوسطى ، ويعتقد أن اخناتون هو الذى وضع بنفسه مخطط هذه المدينة وحدد أماكن المعابد فيها وكذلك أماكن القصور والمنازل والميادين وخطط لشوارعها . فقصر الملك والمعبد والمباني الحكومية والمحلات التجارية تشغل الحى الرئيسى بالمدينة ، وكان هناك منازل عظيمة خاصة بأعضاء الأسرة الملكية ، وعلى جانبى الشوارع تقع المنازل الضيقة الخاصة بعامّة الشعب . وقد خصصت مساحات فسيحة لزراعة الأشجار والحدائق ، سواء داخل المنازل أو داخل المدينة . (٢)

(١) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٠ -

(٢) بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٣ .

بررعمسيس : أقامها رمسيس الثانى بالقرب من تانيس ، ولكن غطت عليها مدينة تانيس التى كانت تقع فى موقع استراتيجى على أحد فروع النيل ، وقد زينها رمسيس الثانى وشيد فيها المعابد وأقام التماثيل والمسلات ^(١) ، وازدهرت فى الوجه البحرى مدن أخرى ، منها بوبسطة ، وسائس فى غرب الدلتا ، وتمى الامديد . ومن الأسماء القديمة التى لا تزال باقية حتى الآن : دمنهور ، سمنود ، أبو صير ، ميت رهينة ، الفيوم ، اهناسيا ، القوصية ، الأشمونين ، أسيوط ، دندرة ، أرمنت ، وأسوان .

ولم يقتصر الأمر على إنشاء المدن فى الوجه القبلى والبحرى ، وإنما كان هناك من الملوك من شيد مدنا فى النوبة ، مثل مدينة كاوا التى يعتقد أن أمنتب الثالث أسسها جنوب الجندل الثالث ، ومدينة جم آتون التى شيدها اخناتون فى الجنوب ومكانها الحالى هو بلدة " سزبى " فى السودان . ^(٢) ويبدو أيضا أن توت عنخ آمون شيد فى فرس جنوبى أبو سمبل مدينة جديدة .

ومن المدن ما أنشئ لأغراض معينة ، منها تخطيط مدن الموتى أو الجبانات فى الجيزة وسقارة وأبيدوس ، وكان يتخلل هذه المدن الصامته شوارع مستقيمة متعامدة . وكذلك مدينة الكهنة والموظفين فى شرقى مقبرة الملكة خنتكاوس فى الجيزة ، وتقع فيها البيوت فى صف ممتد من الشرق إلى الغرب على طول شارع مستقيم .

شيد سنوسرت الثانى بالقرب من هرمه فى اللاهون عند مدخل الفيوم مدينة صغيرة ، كانت محاطة بسور طوله أربعمئة متر وعرضه ثلثمائة وخمسون مترا . وكانت تكفى لإيواء عدد كبير من العمال فى مساحة ضيقة . ^(٣) وكان المعبد مشيدا خارج الأسوار ، وأقيم جدار سميك قسم المدينة إلى منطقتين : خصصت إحداها

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٧ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 132.

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 61.

للأغنياء والأخرى للفقراء . ويشق المنطقة الأخيرة طريق عرضه تسعة أمتار يتقاطع بزوايا قائمة مع شوارع أقل منه اتساعا . وكانت تشمل على مائتى أو مائتى وخمسين منزلا صغيرا وكانت المنازل متقاربة وتطل واجهاتها على الشارع ، أما الغرف والدهاليز فكانت ضيقة إلى حد كبير . أما الحى الذى تعيش فيه طبقة الأغنياء فكانت تخترقه شوارع فسيحة تؤدى إلى القصر وإلى مساكن كبار الموظفين وكانت المساكن والشوارع تشغل كل الميدان (١).

وكان حى العمال فى مدينة آخت آتون فى شرقى المدينة ، يحتوى على أربعة وسبعين منزلا ، ويحيط به سور مرتفع مدخله من الجنوب ، وتتخلله خمسة شوارع مستقيمة ومتوازية ، تجرى من الجنوب إلى الشمال . ويشبه حى العمال هذا الحى الذى أنشئ فى دير المدينة فى غربى طيبة ، وقد أنشئ هذا الحى لسكنى العمال والفنانين والحجارين الذين كانوا يحفرون المقابر الملكية فى وادى الملوك ووادى الملكات ، ويبلغ عدد منازلها نحو خمسين منزلا فى القسم الأول غير المسور وسبعين منزلا فى القسم الثانى المسور .

وكان بالحي مدرسة ذات طابعى حكومى وهياكل للعبادة . كما كان فيها على الأقل مركزان للشرطة ، أحدهما عند مدخل الوادى الضيق والآخر عند مخرجه (٢) وفى أكثر المدن التى تحوطها أسوار ، شيدت أحواض من الحجر بجوار آبار عميقة . ووجود مثل هذه الآبار أمر مؤكد منذ عصر الدولة الحديثة ، على الأقل ، وقد اكتشفت بعضها فى الأملاك الخاصة وكذلك فى أحياء المدن (٣).

(١) بيير مونتييه : الحياة فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ، ص ١٣ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٨ ، ٧٧ - ٨٣ شكل ٩ - ١١ ، ص ٨٥ .

(٣) بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) عمارة القصور ومنازل الأفراد :

لم يبق من منازل المصريين القدماء وقصورهم إلا آثار قليلة ، وذلك لأنها كانت تشيد عادة بالقرب من الأراضي الزراعية . وهذا هو السبب في اختفائها بسرعة لتشيدها في مكان عرضة للرطوبة ، ومن ناحية أخرى كانت العادة أن كل بيت يهدم أو يسقط ، كان يستخلص منه الطوب اللبن السليم ثم تسوى الأنقاض ليبنى عليها من جديد . وهكذا خلد ما يخص الموتى أكثر ما يخص الأحياء . ولهذا فمن الخطأ الحكم على المصريين القدماء بأنهم قد اهتموا بعالم الموتى أكثر من عالم الأحياء . ومهما يكن من أمر فقد تطور المنزل المصرى القديم مع الزمن واختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأصحابه .

وكان بناء المنزل أو مجموعة من المنازل تخضع لعدة اعتبارات منها اختيار المكان جيد الموقع أو ملائم أو مناسب ، ولطيف الجو ، وقليل الرطوبة في فصل الفيضان مثل المساكن التى شيدها أهالى أتريب ، أو يكون بعيدا عن مناطق المستنقعات تجنبا للرطوبة ، أو يكون ملاصقا للمعبد للاستفادة من المساهمة في الطقوس والاحتفالات الدينية .^(١)

في عصر ما قبل الأسرات :

كان البيت في بداية الأمر ، عندما استقر الإنسان في وادى النيل في بداية العصر الحجري الحديث ، عبارة عن مأوى بدائيا خفيفا ، يحميه من الشمس والرياح . واستخدم فيه الإنسان البردى والغاب وفروع الأشجار ، واتخذ الشكل البيضى أو المستدير ، ويقع مدخله جهة الجنوب الشرقى ابتغاء إتقاء شدة الرياح الشمالية الغربية .

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١ - ٢٢ .

ومن صور المراكب العديدة على فخار ما قبل الأسرات ، ما يبين أن بهذه المواد الخفيفة أقاموا الكبائن والمظلات على سطوح المراكب . كما شيدوا الأكواخ الخفيفة قرب المزارع في مواسم الحصاد . ومن هذه الأكواخ ما كان يقام من أعواد النباتات المضفورة أو الحصير حول قوائم من فروع الأشجار ، ومنها ما كان سقفه مقببا أو في شكل قبة أو مائلا أو مستويا . ولم يكن الكوخ يشتمل إلا على مكان واحد . وكانت جدران بعض هذه الأكواخ تطلّى بملاط من طين .^(١)

وقد ذكر ديودور الصقلي أن المصريين كانوا يشيدون بيوتهم في العصور القديمة من الغاب ، وأن بيوت الرعاة المصريين كانت لا تزال كذلك .

ولما امتد الزمن بهم استخدموا الطمي في البناء على هيئة الجواليص أولا ثم على هيئة قوالب اللبن المستطيل ثانيا ، واستخدموا كسر الأحجار الصغيرة في تدعيم جوانب مساكنهم وأسوارها ، ولكنهم ظلوا بعيدين عن استخدام الأحجار في البناء . وظل المصريون في هذا العصر يبنون بيوتهم باللبن ، عبارة عن أكواخ بيضاوية الشكل أو مستديرة غائرة في الأرض لنحو ربع متر بجدران منخفضة يبلغ ارتفاعها نحو نصف متر . وكانت تعرش بغاب أو جريد نخل أو حصير أو فراء حيوان فوق دعامة من أغصان الأشجار مثبتة في الأرضية . وكان يثبت على الجدار من الداخل في بعض الأحيان عظم ساق فرس النهر كدرجة تعين في الدخول إليه . وكان يحتوى في هذه الأكواخ في ليالى البرد الشديد ، وكان يثبت في أرضيتها إناء من فخار يتجمع فيه ما يتسرب إليها من ماء المطر مثل ما عثر عليه في حضارة مرمدة بنى سلامة .^(٢)

(١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٩٢ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ

الحضارة المصرية ، ص ٣١٧ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٤ - ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ شكل ١٨ .

وعثر من أواخر عصور ما قبل الأسرات على نموذج صغير من صلصال يمثل منزل صغير مستطيل ، تميل سطوح جدرانه الخارجية قليلا إلى الداخل .^(١) ولم يلبث المصريون القدماء أن صنعوا من الطين الطوب اللبن . وقد يسر ذلك عملية البناء . وأصبح المنزل يتألف من ردهة وقاعة ، وتطلّى جدرانه بطين ثم بطلاء أبيض أو مغرة صفراء .

فى عصر بداية الأسرات :

تعرفنا على شكل واجهة القصر الملكى مما يعرف باسم النصب التذكارية أو نصب المقابر الملكية فى أبيدوس . فعلى لوحة الملك جت فى متحف اللوفر نرى نقشا يمثل واجهة القصر الملكى الذى كان يسكن فيه الملك . ويبدو أنه كان من الطوب والأخشاب والحصير والبوص . ولكن تفاصيل كل هذه المواد غير معروفة ولا تزال محل جدال بين العلماء . ونرى على هذه الواجهة بابين بين ثلاثة أبراج عالية ، ويعتقد أن القصر الملكى فى بداية الأسرات كان يتكون من قسمين : قسم عام يستقبل فيه الملك كبار رجال الدولة ، وخاص يشمل جناح الحريم وقاعة للطعام وقاعات أخرى . ويعتقد أن بيت ملك الوجه البحرى كان من اللبن بسقف مقبى ، وأنه كان يتقدمه فناء يحيط به سور ذو مشكاوات . ويبدو أن بيت الزعيم أو الرئيس فى هذه الفترة كان يضم هيكل المعبود .^(٢)

ولا يزال يقوم فى أبيدوس بناءان كبيران من الطوب اللبن من عصر الأسرة الثانية ، أحدهما يطلق عليه اسم " شونة الزبيب " وكان كل منهما فيما يبدو قصرا مؤقتا ينزل فيه الملك عندما كان يشترك فى احتفالات أبيدوس الدينية . ويحيط بالقصر سوران أحدهما من داخل الآخر . ويقع القصر فى أحد أركان الساحة الكبيرة

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٩٥ شكل ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ ، ص ٤٩٧ صورة ٣٧ .

التي يحيط بها السوران ، وقد تهدم هذا الجزء وكان يشتمل على عدد من الغرف كما كانت تتخلل واجهته مشكاوات بسيطة .

فى عصر الدولة القديمة :

كشفت فى هيراقونبوليس عن أطلال بعض البيوت من أوائل الدولة القديمة ، وكان كل منها يتألف من قاعتين متعاقبتين أو فناء تليه قاعة . وفى رحاب هرم سقارة المدرج كشفت عن أطلال بيت يتألف من ردهة وثلاث قاعات . ويظن أن هذا المنزل ما هو إلا صورة لبعض ما كان من مباني فى منف . وكان يشتمل على صفات ذات أساطين من خشب . وأن السقف كان من جذوع النخل أو مقبيا من اللبن (١).

ومن أوائل الدولة القديمة نموذجان صغيران متشابهان من الحجر الجيرى ، يمثل كل منهما فيما يبدو بيتا بقاعة مستعرضة . ومن ورائها قاعتان متجاورتان وكانت تلحق بالبيوت صوامع تخزين فيها الحبوب .

وقد اندثرت قصور سنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع ولم يبق منها أثر يدل عليها ولا يعرف مكانها . واندثرت كذلك بيوت كبار رجال الدولة . ومن نصوص هذه الفترة نعلم أن متن من بداية الأسرة الرابعة أعطى بيتا مؤثنا طوله مائتا ذراع ، وعرضه مائتا ذراع . وكان به حديقة كبيرة ذات أشجار جميلة وأعنان وتين ، وفيه بحيرة كبيرة . ونعرف من نصوص حرخوف فى أسوان أنه شيد منزلا وحفر بركة وزرع أشجارا .

وفى قصة سنفرو وفتيات القصر نعرف أن الملك كان يتجول بزورق على سطح بحيرة القصر . ومن النصوص ما يدل على أن القصر الملكى كان يحتوى على حمام . ومن القصور ما كان يحتوى على مكتبة تحتوى برديات فى الديانة والمعارف كالطب .

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١٠١ شكل ٢٠ - ٢٢ .

فى العصر الوسيط الأول :

عثر على نماذج صغيرة من فخار لبيوت صغيرة تعرف باسم " بيوت الروح " منها ما يمثل فناء وفى مؤخرته صفة ذات أسطونين أو أكثر ، وقد يكون فى الفناء ما يمثل حوض ماء مستطيل تعلوه مظلة تعتمد على أربع دعائم . ومنها ما له وراء الصفة قاعة أو أكثر . ومع أن هذه النماذج كانت ذات طابع جنائزى ، ألا إنها قد تكون مستوحاة من بيوت الأحياء من الطبقة المتوسطة . وقد ظهرت هذه النماذج منذ نهاية عصر الدولة القديمة واستمرت خلال العصر الوسيط الأول ، ثم اكتملت عناصرها فى بداية الدولة الوسطى ، واقترح بترى تسميتها بـ " بيوت الكا " إشارة إلى تخصيصها لنفع الروح وصاحبها فى عالم الآخرة .^(١)

فى عصر الدولة الوسطى :

عثر على نموذجين فى مقبرة مكت رع فى البر الغربى فى طيبة ، يمثل أحدهما سقيفة أمام واجهة بيت ، تشرف على حديقة مسورة يتوسطها حوض ماء تحيط به أشجار جميز . وتتألف الصفة من أربعة أساطين ذات تيجان على هيئة اللوتس . وفى الجدار الخلفى باب فخم ذو مصراعين تعلوه نافذة ، ثم باب صغير للاستخدام اليومي . ويمثل النموذج الثانى مكت رع جالسا فوق منصة تحت مظلة جميلة ذات أربعة أساطين لها تيجان على هيئة اللوتس . وجاء على لسان الملك أمنمحات الأول فى وصف قصره أنه محلى بالذهب ، وسقوفه من اللازورد ، وأبوابه من النحاس .

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٤ شكل ٢٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ١٦١ ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

ومن قصة سنوهى نعلم أن باب القصر الملكى كان يسمى الباب المزدوج العظيم ، وأنه كانت تتقدمه تماثيل أبى الهول .

وكان فى المدينة الصغيرة التى أنشأها سنوسرت الثانى عند هرمه فى اللاهون قصر يقوم على مرتفع . ويغلب على الظن أن الملك كان ينزل فيه عند تفقده أعمال البناء فى هرمه . وقد تهدم هذا القصر . وعثر فى اللاهون على بعض بيوت كبار الموظفين ، ومنها ما كان عرضه خمسة وأربعين مترا تقريبا وطوله نحو ستين مترا . وتختلف البيوت فيما بينها . ويتألف أحد البيوت من قاعة معيشة مربعة يتوسطها اسطون ، وقاعتين جانبيتين وحمام وغرفة نوم ذات مشكاة . كما أنه كان هناك مجموعة من القاعات كان يعتقد أنها كانت للأبناء المتزوجين والضيوف ، وربما استخدم بعضها كمخازن .

وكانت بيوت العمال فى المنطقة نفسها متلاصقة ، وتقع واجهة كل منها على شارع أو درب ، وكان كل منها يحتوى على فناء صغير وقاعة أو قاعتين أو ثلاث . ومن القاعات ما كان سقفها مقببا .

ومن عصر الأسرة الثانية عشرة ، عثر على نموذج فى البرشا ، يدل على أن من البيوت ما كان يحتوى على فناء مستطيل ، وفى شكل برج من ثلاثة طوابق يعلوها سطح . وكان ملحقا بهذه المنازل ما يمثل صوامع الغلال وأماكن للغزل والنسيج وصناعة الأثاث والجمعة .

فى عصر الدولة الحديثة :

فى نص لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع بين قدمى أبى الهول يقول الأمير فى السطر ١٢ : " وقال تعالوا فلنسرع إلى منزلنا (pr) بالمدينة (أى منف) ونخصص القرايين لهذا المعبود " أى أن الأمير كان له مقرا فى منف^(١)، لم يبق من

(١) د. رمضان عبده : أضواء جديدة على لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع ، دراسة أثرية ولغوية ، نشرت فى المجلة العلمية لكلية الآداب - جامعة المنيا ، العدد السابع والأربعون ، ص ٣٧٢ حاشية (٨) .

أطلال قصور ملوك الدولة الحديثة إلا القليل . ومنها بقايا قصر أمنمحتب الثالث فى غرب طيبة ، وكان يؤدى إليه دهليز واسع ، يؤدى إلى ثلاثة أبهاء للاستقبال مختلفة السعة ، فى كل منها منصة للعرش ، كانت تعلوها مظلة من خشب مذهب . وإلى الشرق من القصر حفر الملك فى أواخر السنة الحادية عشرة من حكمه بحيرة كبيرة ، وسجل خبر ذلك على مجموعة من الجعارين .

وكان لأمنمحتب الثالث أيضا مقر فى منف ، وآخر فى مدخل الفيوم ، وربما قصر ثالث فى شرقى طيبة . وفى تل العمارنة شيد اخناتون قصرا ملكيا الذى كان يشغل مساحة كبيرة على شاطئ النيل ، تمتد من الشمال إلى الجنوب ٨٥٠ مترا .^(١)

وفى أواخر عهد العمارنة أضاف الملك سمنخ كارع إلى القصر بهو التتويج . وكان قصر الملك يقوم على مرتفع وله حديقة كبيرة على ثلاثة مستويات . وكان بالقصر المسكن الخاص للملك . وكان فى الشمال من العمارنة قصر آخر ذو طابع فريد ، كان أشبه بحديقة حيوان ، حيث كان الملك والملكة يستمتعان فيه بمشاهدة الحيوانات والطيور المختلفة .

وفى أقصى المدينة من الجنوب كشف عن أطلال قصر ثالث يتألف من قسمين . وفى هذا القصر كان الملك يستمتع بالطبيعة وما يضيفه المعبود على الأشجار والزهور وسطوح الماء من جمال . مثل القصر الملكى لاختاتون الذى نقش شكله فى مقبرة مري رع فى تل العمارنة . وكان للملك أى قصر فى طيبة ملحقا به بيت حريم فى وسطه حديقة كروم وأشجار فاكهة .

قصور عصر الرعامسة :

اندثرت قصور سيتى الأول ورمسيس الثانى فى طيبة ، وعثر على باقيا قصر لرمسيس الثانى فى قنطير جنوب تانيس . وفى منف كشف عن أطلال قصر

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١١٥ شكل ٢٤ - ٢٧ .

للملك مرنبتاح فى منف . يتألف مدخله من ردهة ذات أربعة أساطين فى صف واحد ، يكتنفها قاعتان فى أحديهما درج . ومن وراء ذلك فناء كبير مستطيل تحيط به الأساطين . ويشتمل القصر على ثلاثة أقسام ، يشغل القسم الأمامى بهو مستعرض يقوم فيه اثنى عشر اسطونا فى صفين ، ويشمل القسم الأوسط قاعة عرش وقاعات جانبية ودرج يؤدى إلى السطح ، وكان القسم الخلفى يحتوى على القاعات الخاصة ، وتشمل قاعة معيشة وغرفة نوم وحمام وقاعات أخرى .

ومن القصور الملكية ما ألحق ببعض المعابد الجنائزية فى غربى طيبة وتدل أطلال قصر رمسيس الثانى الذى كان ملحقا بمعبد الجنائزى ، الرمسيوم ، على أنه كان يتألف من أجزاء عديدة وقاعة عرش . وشيد رمسيس الثالث قصرا له بجانب معبد الجنائزى ، وهو معبد مدينة هابو فى غربى طيبة ثم هدمه وأعاد بناءه على نسق مختلف (١).

منازل الأفراد :

اندثرت كذلك منازل الأفراد فى عصر الدولة الحديثة فيما عدا ما كشف عنه فى تل العمارنة . وتتكون بيوت العمارنه من طابق واحد . وتشغل بيوت العظماء أو كبار الشخصيات مساحات كبيرة مربعة اختاروها فى أحسن المواقع على الشوارع الرئيسية . ويقوم كل منها فى الغالب على قاعدة منخفضة من اللبن ، وواجهته عادة نحو الشمال . وتختلف البيوت الكبيرة فيما بينها من حيث سعتها ونظام قاعاتها . وكان للزوج جناحه الخاص وللحريم جناح خاص بهن . وفى أرضية غرفة النوم كانت تودع ذخائر صاحب المنزل (٢).

ومن بيوت رجال البلاط وكبار الموظفين والكهنة ما كان يختلف فى بعض

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٩ شكل ٢٨ - ٢٩ ، ص ١٢٢ - ١٢٥ شكل ٣٠ - ٣٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٩ شكل ٣٤ - ٣٥ ؛ ص ١٢٩ - ١٣٤ شكل ٣٦ - ٣٧ أب .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ - ١٤٢ شكل ٤٠ - ٤٢ .

تفاصيله في الطراز الشائع بما كان يرضى مطالب كل أصحابه . ومن بيوت كبار الشخصيات في العمارنة بيت الوزير نخت ، الذي كانت تحيط به أفنية تفصل بينه وبين البيوت المجاورة والشارع .

وفي منازل تل العمارنة ، كان يوجد إلى جانب غرفة النوم غرفة تعد كحمام تعد فيه منصة من الحجر (ذات حافة مرتفعة) . كان يقف عليها من يريد الاستحمام . ويصب الخادم الماء عليه من أعلى ، وتتصرف المياه من ثقب إلى إناء كبير مدفون تحت الأرض . وإلى جوار الحمام كان يوجد عادة مرحاض أرضيته من الحجر وفيه فجوة .

وإلى الخارج من المنزل كانت توجد عادة ملحقات كثيرة أهمها المطابخ (أفران) والمخازن وغرف الخدم وحظائر الماشية ، فضلا عن حديقة كبيرة تتخللها بحيرات تزخر بشتى أنواع الأسماك . وترفرف فوقها الطيور المختلفة . وفي كثير من هذه الحدائق كان يبنى جوسق أو كشك ، من الخشب يجلس فيه صاحب البيت وأهل بيته ليستمتعوا بالنسيم العليل ^(١) . وكانت بيوت العمال في تل العمارنة في صفوف منظمة بعضها بجانب بعض وهي من طراز واحد ، وتتألف من أربع قاعات . وهي مشيدة من اللبن ، وتلقى صور البيوت على جدران بعض المقابر في السبر الغربي في طيبة وفي بعض البرديات شيئا من الضوء على تفاصيلها ومنزلة أصحابها .

وفي المدينة كانت البيوت تشيد في مساحة محدودة ، على عكس المنازل في ضواحي المدينة أو في القرى . وتمثل أغلب الصور البيوت من الخارج ، وهي تدل على أن منها ما كان يزرع من أمامه أو في أحد جانبيها وأحيانا كل منهما بضعة أشجار نخيل وفاكهة . ومن البيوت ما كان يحيط به فيما يبدو سور خارجي ، ومنها ما كان من طابقين أو ثلاثة . ويقع الباب الخارجي في أحد الجانبين القصيرين ويؤدي إليه درج . وقد يكون للبيوت الكبيرة باب آخر صغير للخدم ومن الشبايك ما كان ضيقا ، بسيطا في الطابق الأول ، وعريضا في الطابق الثاني . وقد يحيط بسطح البيت سور مرتفع أو سياج من غاب أو جريد متشابك . وعلى السطوح في بعض

الأحيان صوامع للغلال . ويبدو من الرسم الذى يمثل بيت " تحوتى - نفر " من الداخل أنه يتألف من طابق أغلبه تحت سطح الأرض ، يعلوه طابقان آخران . ويؤدى إلى طوابق البيت ثم إلى السطح درج من داخل البيت مستقل عن بقية أجزائه . ويحتوى الطابق الأرضى على مخازن وقاعات للخدم يؤدون فيها أعمالا مختلفة ، فمنهم من ينسج الكتان أو يطحن الحبوب لإعداد الخبز . ويعيش أصحاب المنزل فى الطابق الأول فى غرفة أكثر اتساعا ، ينفذ إليها الضوء من خلال نوافذ صغيرة مرتفعة . وتسند سقفها أعمدة على هيئة ساق اللوتس . ولم تكن ثمة نقوش على حواجز الجدران ، ولكن ترسم عليها مناظر راقصات أو مراكب . وتخصص فى هذا الطابق غرفة لرب البيت . ولا توقف الخدم عن الحركة فوق درجات السلم وفى الممرات وهم يحملون جرارا مملوءة بالماء معلقة فى طرفى عصا يحملونها على أكتافهم .

كان هذا النظام سائدا فى منزل أحد الأشخاص المدعو ماحو ، فكانت الجرار مكدمة فى الطابق الأرضى . أما الطابق الأول فكانت توجد به حجرة الطعام ، وكان الطابق الثانى مملوءا بالدروع والأسلحة وأدوات أخرى كثيرة وكانت سطوح المنازل عادة مسطحة ، ويمكن الصعود إليها أمام بدرجات سلم مبنى أو بواسطة سلم متحرك ، أقام البعض عليها ، مثل تحوتى حتب صوامع للغلال ، وأقام آخرون سورا من الخشب على حافة السطح حماية لأطفالهم أو تجنباً لنظرات متطلعة إليهم . (٢)

وهناك نموذج فى متحف اللوفر يدل على طراز البيوت الذى شاع فى مدن الدولة الحديثة . ومن البيوت الكبيرة فى الريف ما كان من طابقين تلحق به بعض المرافق ومنها مخزن وصومعتا غلال ، ويحيط به سور مموج فى أعلاه مما يشير إلى أنه من طين . وكان للبيت حديقة كان ينمو فيها أشجار النخيل والدوم والجميز

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

والتين والأثل والسنت والرمان . وقد تحتوى الحديقة على كشك ، يجلس فيه صاحب البيت وزوجته ، وعلى بركة يؤدي إليها درج فيها زورق للنزهة مثال ذلك بيت انيني في الريف .^(١)

وزرع الوزير رخمى رع فى حديقته المحاطة بأسوار قوية كل أنواع الأشجار والنباتات التى كانت معروفة فى عصره . ولا يمكن أن نتخيل وجود حديقة دون بركة ماء ، وهذه تكون عادة أمام مربعة أو مستطيلة الشكل ومبنية بالحجر ، وتجلب المياه الصالحة للشرب عادة من بئر حجرية .^(٢)

وهناك من بيوت الريف ما كان مبنى صغيرا وسط حديقة أو حقل ياوى إليه صاحبه فى زيارة قصيرة . ومثال ذلك بيت نب - آمون ^(٣) . ومنها ما يؤدي إلى مدخله درج . ومن الشبابيك ما يبدو أنه تغطيه شبكة مزخرفة بألوان مختلفة مثل بيت نخت .

وفى حرم معبد رمسيس الثالث الجنائزى ، مدينة هابو ، كشف عن بيوت الكهنة والموظفين والجند ، وكانت فى صفوف مستقيمة ومتشابهة إلى حد كبير ، ومنها ما كان يتألف من فناء فى مؤخرته صفة من اسطونين ، وفى أحد الجانبين ردهة وغرفة معيشة كبيرة وغرفتا نوم ، وفى الجانب الآخر غرفة كبيرة لخزن الحبوب .

وفى قرية دير المدينة^(٤) كانت بيوت العمال والفنانين ورؤساء العمال من اللبن كذلك ، غير أن إطار الأبواب وعتباتها وقواعد الاساطين كانت من حجر رملى أو جبرى^(٥) . وكان كل بيت يتألف من قاعة استقبال وقاعة معيشة من ورائها درج

-
- (١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٥١ شكل ٤٣ - ٤٧ ، ٥١ .
 (٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .
 (٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥١ شكل ٤٨ - ٥١ .
 (٤) تحدثنا فيما سبق فى ص ٥٩ - ٦٠ عن مدينة العمال التى شيدها الملك سنوسرت الثانى بالقرب من هرمه فى اللاهون ، وحى العمال فى تل العمارنة وكان يحتوى على أربعة وسبعين منزلا ، وحى العمال فى دير المدينة وكان يحتوى على مائة وعشرين منزلا .
 (٥) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ شكل ١١ .

يؤدى إلى السطح ، ثم غرفة نوم ودهليز يؤدى إلى المطبخ ، ومن رسوم الدولة الحديثة ما يمثل مظلات خفيفة بجدران من غصون البردى أو الحصير ، وفي واجهاتها أساطين بتيجان على شكل زهرة بردى يانعة ، وتحليها أزهار اللوتس الطبيعية .

(٣) تشيد مباني الإدارات المختلفة :

وفي حرم المعبد الجنائزى لرمسيس الثالث كشف عن مبنين لإدارة المعبد . وكان يوجد فى القصر الملكى مبنى للوثائق الملكية فى عهد الرعامسة ^(١) . وهو يشتمل على قاعة رئيسية ، تدعم سقفها عشرة أساطين فى صفين ، وفيها مقاعد مرتفعة يجلس عليها الكتبة ، وقد نشر كل منهم بردية على مائدة أمامه ، ويلبها بهو تتخلله أربعة صفوف من الأساطين ، ويؤدى منه درج يتوسطه اخدود إلى دهليز يتقدمه صف من الأساطين ، وتطل عليه ثلاث قاعات . ويكتف مدخل القاعة الوسطى تمثالان للمعبود تحوتى فى صورة بابون ، وبداخلها تمثال آخر أكبر حجما ومن أمامه مائدة قرابين . أما القاعتان الجانبيتان فتحوتيان على صناديق تشتمل على الوثائق ، وكانت هناك مباني حكومية للإدارات المختلفة فى العاصمة مثل إدارة الهبات والشئون الملكية وإدارة الأشغال وإدارة المناجم وإدارة التسجيل والتوثيق وإدارات الشرطة والجيش ودور القضاء والمحاكم ودور العلم وملحقات كل هذه الإدارات ومخازنها .

وكان المركز الرئيسى للإدارة فى عهد امنمحات الثالث فى هواره والذى أطلق عليه الرحالة اليونان والرومان اسم " اللابيرانث " .

(٤) إقامة السدود :

مثال ذلك الخزان الواسع الذى تتجمع فيه مياه النيل لاستخدامها فى حالة الضرورة والذى شيده مهندسو امنمحات الثالث عند هواره وعند مدخل الفيوم . وكان هذا الخزان مقفلا بواسطة سد كبير وله أهوسة وعيون ، وكان من الأعمال التى تشهد

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ شكل ٣٩ أ - ب .

بكفاءة المعماري المصري .

(٥) إقامة الحصون :

عنى ملوك مصر القديمة منذ بداية عصور الأسرات بتحصين المدن والحدود الشرقية والغربية والجنوبية . كان هناك حصن فى هيراقو نبوليس (الكوم الأحمر) من عصر الأسرة الثانية ، وأنه شيد على حافة الصحراء للدفاع عن المدينة . وهو يتألف من سورين أحدهما من داخل الآخر ، والسور الخارجى أقل ارتفاعا من السور الداخلى ، وأقل من نصف سمكه .

لم يبق من حصون الدولة القديمة ما يدل عليها ، وهناك إشارة فى متون الأهرام إلى تحصين حدود مصر الشمالية الشرقية . وتزودنا نصوص الدولة الوسطى بمعلومات أوفر عن الحصون آنذاك . ونعلم أن امنمحات الأول شيد حصنا على الحدود الشمالية الشرقية ليحمى مصر شر غارات البدو من هذه الناحية ، وكان يسمى " حائط الأمير " .

وشيد ملوك الدولة الحيثة عدة حصون فى شرقى الدلتا ، على أنه لم يبق لها أثر . ونعلم أنه كان هناك حصن ثارو (سيلي) شرقى القنطرة كان يشرف على مدخل مصر من جهة الشرق .

وفى بلاد النوبة أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة عددا هاما من الحصون للدفاع عن الحدود الجنوبية وتأمين طريق التجارة مع المناطق الجنوبية . وقد جددوها ملوك الدولة الحديثة وأهمها جميعا حصنا سمنة وقمة على جانبى النيل عند الجندل الثانى جنوبى وادى حلفا ، حيث تشق مجرى النهر وتعرضه صخور تمتد إلى شاطئيه .

وكان حصن سمنة أول الأمر مستطيلا ثم زيد فيه من أحد جانبيه ، ويحيط به خندق عرضه ٢٦ مترا فى المتوسط ، وتبرز من سطوح جدرانه الخارجية أبراج على مسافات غير منتظمة .

وحصن قمة يعلو ربوة عالية تشرف على النيل ، ويخلو جداره من الأبراج إلا عند مدخله لحمايته ، وبالقرب من زاويته الشمالية الغربية درج يؤدي إلى النيل ويحميه جداران سميكان . وكان فى داخله معبد من عهد حاتشبسوت وتحوتمس الثالث . وكشفت الحفائر الحديثة عن حصن فى بوهن جنوب الجندل الثانى مباشرة كان يضم مدينة وله ميناء على النيل . وكان من حوله خندق عميق ، على جانبه الخارجى جدار من اللبن يعلوه طريق مسقوف يحمى خط الدفاع الأول ، وعلى الجانب الداخلى جدار آخر من اللبن تتخلله أبراج مستديرة تشرف على الخندق ، وقد نظمت فيها فتحات ^(١) . وأهتم الملك رمسيس الثانى بغرب الدلتا فقد بدأ خطر شعوب البحر يدق على ابواب مصر من الغرب ، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل الملك يشيد سلسلة من التحصينات مثل حصن الغربانيات على مقربة من برج العرب ، وحصنا آخر عند زاوية ام الرخم إلى الغرب من مرسى مطروح ^(٢) . كما تحدثنا نصوص مرنبتاح عن حصون على الحدود الغربية ^(٣) .

ثانيا - العمارة الدينية :

(١) معابد المعبودات :

حرص الملوك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من نسل المعبودات وأنهم خلفاؤهم على الأرض ، على إقامة المعابد والهيكل والمقاصير تحفظ فيها رموزها وتمثيلها ، وتؤدي الطقوس الدينية فيها وتقدم فيها ولم تخل مدينة من معبد أو أكثر من مقصورة .

(١) المرجع السابق ، ص ٨٥ - ٩٠ شكل ١٢ ، ١٥ أ-ب ، ١٦ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ١٩٩٧ ، ص

٢٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

وعند تأسيس معبد للمعبود كانت تؤدى شعائر خاصة ، تسمى شعائر تأسيس المعبد ^(١) . ومن النصوص ما ينسب هذه الشعائر إلى ايموحتب من بداية الأسرة الثالثة ، ومنها ما ينسبها إلى خوفو ، ومنها ما يذكر أنها معروفة من عهد الملك بيبي الأول . ويبدو من نقوش الملك خع سخموى انها ترجع إلى عهد بداية الأسرات على الأقل .

وهى عبارة عن شعائر دينية تؤدى قبل البدء ببناء المعبد ، كان يقوم بها الملك أو من ينوب عنه وتساعد كهنة وكاهنات يمثلون بعض المعبودات . وبعد أن تم بناء المعبد كانت تؤدى شعائر افتتاح المعبد وتكريسه للمعبود الذى أنشئ للمعبود الذى أنشئ من أجله .^(٢)

فى عصر ما قبل الأسرات :

من نقوش بداية الأسرات على البطاقات من الخشب والعاج ، نعرف أنه كانت هناك هياكل صغيرة تبني من أعواد مصفورة من النباتات من البوص والغاب وجذوع الأشجار . ويتميز الهيكل بارتفاع جداريه وبسطحه المقبى . وكانت تتقدم هذه الهياكل أو المقاصير أو دور العبادة البسيطة صاريثان مرتفعتان ذوات أعلام ، ثم قاعة مستطيلة بها رمزان مرتفعان لمعبود المعبد ، وفى نهاية مقصورة المعبود من العناصر النباتية . ولا بد أن منها ما كان يشيد بالطوب اللبن .

(١) عثر على ودائع الأساس الخاصة بالملكة تا اوسرت فى معابدها الجنائزى فى البر الغربى بطيبة ، عثر عليها بترى عام ١٨٩٦ ، وهى من الأسرة التاسعة عشرة وتتكون من ادوات من القيشانى والنحاس والخشب ، وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى ، راجع : Saleh-Sourouzian, op.cit., no. 224.

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

فى عصر بداية الأسرات :

كشفت فى أبيدوس عن أطلال معبد من عصر بداية الأسرات للمعبود خنثى امنثى ، معبود الغرب ومعبود الموتى . وكان يتألف من ردهتين متتاليتين . وفى حوليات حجر بالرمو نقرأ أن الملك خع سخموى شيد معبدا من الحجر . وقد عثر له فى هيراقونبوليس على عتب باب ، يدل على تأسيس معبد هناك . ومن هنا نرى أن المصريين بدأوا يستخدمون الحجر فى بناء جدران المعابد .

فى عصر الدولة القديمة :

شيد أغلب ملوك الأسرة الخامسة المعابد للمعبود رع ، فى ابو صير وكان المعبد يشغل مساحة طولها ١١٠ من الامتار وعرضها ٨٠ مترا يحيط بها جدار مرتفع سميك ، وتقوم فى مؤخرتها قاعدة ضخمة ترتفع لنحو عشرين مترا تعلوها سلسلة كبيرة ، وكانت المسلة ترتفع فى الفضاء لنحو ستة وثلاثين مترا وأمام قاعدة المسلة مائدة قربان ضخمة ، تتألف من خمس قطع من المرمر المصرى . وكان على اليمين مذبح يتصل بعشرة أوان كبيرة من المرمر المصرى ، وكانت تجرى إليها دماء ما يضحي به من حيوانات .^(١)

فى العصر الوسيط الأول :

كشفت فى مدامود ، شمالي الأقصر ، عن بقايا معبد للمعبود أوزير ، كان يتألف من صرح يؤدي إلى فناء فى كل من جنوبه وغربه مدخل يؤدي إلى دهليز

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٨ - ١٧١ شكل ٥٣-أ ب ، ٥٥ ، ٥٧ - ٥٨ ، ص ١٧٣ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٢٧ شكل ٦٨ ، ص ٣٢٨ .

ضيق متعرج بسقف مقبى ، وينتهى إلى مقصورة صغيرة .

فى عصر الدولة الوسطى :

اعتبر ملوك الدولة من كبار البناء ، وأقاموا العديد من معابد المعبودات فى كثير من أنحاء البلاد ، غير أنه لم يبق منهم سوى آثار قليلة وذلك لأن معظمها هدم فى عصر الهكسوس . فنجد أنهم شيدوا المعابد لآمون رع فى طيبة ، وأصبح معبد الكرنك مركزا هاما لعبادة آمون وكذلك معبد الأقصر ^(١).

ولا تزال مسلة المطرية تشهد بما أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة من منشآت فى معبد الشمس فى ايونو . وهى إحدى مسلتين أقامهما سنوسرت الأول وهى من حجر الجرانيت الوردى ويبلغ طولها أكثر من عشرين مترا وتزن ١٢١ طنا . وفى مدينة ماضى فى جنوب غرب الفيوم شيد أمنمحات الثالث وأمنمحات الرابع معبدا صغيرا لمعبودة الحصاد رننوت والمعبود سوبك والمعبود حورس . وكان يتقدم المعبد فيما يظن صرح وفناء ، ويتألف ما بقى منه من صفة ذات أسطونين فى هيئة حزمة بردى .

فى عصر الدولة الحديثة :

كان المعبد فى الدولة الحديثة يبنى عادة بحجر رملى كبير ، على أن من المعابد ما بنى كله أو بعضه بحجر جبرى . ويتألف من صرح وفناء وبهو اساطين ومقصورة أو قدس أقداًس فى نهاية المعبد ، وكل منها أكبر مساحة مما يليه وذلك

(١) عن الجزء الخاص بمعبد آمون من عصر الدولة الوسطى فى الكرنك ، راجع :

Jequier, BIFAO 7(1910), p. 87-88; Barguet, BIFAO 52 (1953), p. 145-155; Daumas, BIFAO 65 (1967), p. 227-230.

عدا قاعات أخرى جانبية . ومن المعابد ما له فناءان ، ومنها ما له أكثر من بهو اساطين ، ومنها ما له أكثر من مقصورة واحدة .

وتحلى السطوح الخارجية للمعبد ، وكذلك السطوح الداخلية للأفنية صور ومناظر فى حجم كبير وفى نقش غائر وبألوان بهيجة تخلد أعمال الملك الحربية ، ومواكب الأعياد العظيمة وتخلد الصور على جدران القاعات الداخلية الشعائر الدينية التى كانت تؤدى فى المعبد ، وكان يعتقد أن الملك وحده هو الذى يحق له أداؤها للمعبودات ، ولذلك تمثله الصور وحده وهو يقدم القران للمعبودات ويؤدى لها الشعائر ويتلقى منها النعم والأفضال والدعم والتأييد .^(١)

ويحيط بالمعبد سور ضخمة من اللبن ، كان يضم أيضا مساكن الكهنة والموظفين ، ومكاتب إدارة المعبد ، ومخازن مختلفة ، ومصانع ، ومخبز ، وحدائق ، وبحيرة مقدسة ، تغذيها مياه الرش من النيل ، ثم مدرسة ومكتبة فى بعض الأحيان .

ومن أهم أمثلة المعابد من هذا الطراز معبد الأقصر الذى شيده أمنحتب الثالث وخصصه لعبادة ثالوث طيبة الذى يتألف من آمون رع وموت وابنه خونسو . وأضيفت إليه إضافات فى عهد رمسيس الثانى وفى العصر البطلمى وعند دخول المسيحية .

ويستقدم الفناء صرح عظيم تكتنف مدخله ستة تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى ، اثنان منها على يمين ويسار المدخل من جرانيت أسود يمثلانه جالسا ، والأربعة الأخرى من جرانيت وردى تمثله واقفا . ومن أمامها مسلة شاهقة من حجر الجرانيت الوردى ، تحلى أختها الآن ميدان الوفاق فى باريس . وكان يصل بين معبد الأقصر ومعبد الكرنك طريق طويل مرصوف يحفه صفان من تماثيل ضخمة يمثل بعضها أسدا برأس إنسان وبعضها الآخر أسدا برأس كبش وكان يوجد على جانب كل

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٨ شكل ٦٠ - ٦١ ،

صف حوالى خمسمائة تمثال ضخمة ، أى أنه كان هناك ألف تمثال من هذا النوع ^(١) ويعد هذا الطريق من أجمل التحف الفنية نظرا لطوله وسعته . ومن أمثلة هذا الطراز من المعابد : معبد عمدا فى بلاد النوبة . وقد أقامه تحوتمس الثالث وأمنحتب الثانى لعبادة آمون رع ورع حور آختى .

معبد آمون أمنحتب الثالث فى صولب شمال الجندل الثالث ، وكان من أكبر المعابد المصرية فى بلاد النوبة .

معبد خونسو فى الكرنك ، وقد بدأ بناءه رمسيس الثالث ، وأتمه حريحور أول ملوك الأسرة الحادية والعشرين .

معبدى آتون ، اللذين أقامهما إخناتون فى تل العمارنة ، وقد تهدما على أنه يبدو من آثارهما وصورهما على جدران بعض المقابر أنهما من طراز جديد .

الكرنك يعد معبد آمون فى الكرنك من أعظم المعابد . وكان فى الدولة الوسطى معبد صغيرا ، وزادت أهميته فى الدولة الحديثة ^(٢) وهو من أجمل المعابد . ويعد معبد آمون رع فى الكرنك اعظم معبد فى العالم ، وعندما ازداد شأن آمون رع فى الدولة الحديثة ، أصبح معبده فى الكرنك يملك الأوقاف والأراضى الواسعة والحدائق والمخابز والمصانع المختلفة ، والمخازن المختلفة ، وبحيرة مقدسة تغذيها مياه الرشاح من النيل ، ثم مدرسة ومكتبة ، وله السفن تنقل منتجات حقوله ومصنوعاته ، وامتألت خزائنه بالذهب والفضة والهدايا ، وشونة بالغلل وحظائره بالماشية . ^(٣)

وكان يحيط بمعبد الكرنك سور ضخم من اللبن ، وكان طول هذا السور

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ - ٢٠٩ ، شكل ٧٣ - ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١١ شكل ٨٠ .

٢٢٦٠ مترا وسمكه ١٢ مترا^(١) ، كان يضم أيضا مساكن الكهنة والموظفين ، ومكاتب إدارة المعبد ، ومختلف الأقسام ، وكان كل ملك من ملوك مصر القدماء يضيف إلى معبد الأقصر والكرنك وينافس في البنيان من سبقه ، دليلا على القوة والسلطان والتقوى والورع ، واشترك أكثر من ملك في إضافة صرح أو صرحين أو أقام مسلة أو أكثر أو أضاف فناء أو مقصورة :

الصرح الأول : لم تتم زخرفته ، ربما يرجع تاريخ بداية تشييده إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين أو الثلاثين^(٢) ثم أكمل بناؤه بعض الملوك البطالمة الذين تركوه بدون نقوش أو زخرفة .

الصرح الثاني : شيده الملك حور محب وأكمله رمسيس الأول وسجل عليه رمسيس الثاني اسمه . وأضيفت إليه بعض الإضافات في عصر بطلميوس الثامن^(٣) .

الصرح الثالث : شيده امنحتب الثالث وهو الذى أمر بهدم كل المباني التى استخدمت أحجارها كحشو له من عصور سابقة منها أحجار المقصورة البيضاء للملك سنوسرت الأول ومقصورة من المرمر للملك امنحتب الأول^(٤) .

الصرحين الرابع والخامس : شيدهما تحوتمس الأول .

الصرحين السادس والسابع : شيدهما تحوتمس الثالث .

الصرحين الثامن : يرجع تشييده إلى فترة حكم حاتشبسوت وتحوتمس الثالث ورممه

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ حاشية (١) .

(٢) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London 1958, p. 90-92.

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥١ - ١٥٤ .

الملك سيتي الأول بعد ذلك . (١)

الصرحين التاسع والعاشر : شيدهما حور محب .

وكان معبد الكرنك يضم في أماكن مختلفة منه عددا كبيرا من المسلات (٢) لم يبق منها قائما في مكانه غير مسلتين إحداهما لتحوتمس الأول وأخرى لحاتشبسوت وشيد تحوتمس الثالث في الكرنك صالة الأعياد الكبرى .

معبد سيتي الأول في ابيدوس ، شيده سيتي الأول وأكمّله ابنه رمسيس الثاني وهناك نص يبين اهتمام رمسيس الثالث برعاية الحدائق والمشاتل داخل أسوار بعض المعابد في طيبة واينونو . (٣)

وكان يوجد داخل المعابد آبار للحصول على المياه وقد وجدت أربع آبار على الأقل داخل أسوار معبد تانيس بنيت بالحجر بعناية تامة . وكان النزول إليها بواسطة سلم مستقيم مسقوف تبلغ درجاته ثلاثا وعشرين درجة يؤدي إلى سلم

(١) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٢) قام د. محمد عبد القادر في مؤلفه : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، ص ٧٨ بحصر عدد هذه المسلات من الأسرة الثامنة عشرة (عصر تحوتمس الأول) حتى الأسرة الخامسة والعشرين (عثر على أجزاء من مسلة من هذا العصر في الفناء الذي يقع بين الصرحين الثامن والتاسع) فوجد أن عددها يبلغ أربع وعشرين وقام في ص ٨٠ - ٨٨ بحصر عدد المسلات التي عثر عليها في أرض مصر ويربو عددها على ثلثمائة مسلة من الحجم الكبير أو المتوسط وأماكن توزيعها في العالم (وهي حوالي سبع وثلاثين مسلة) ويعطى في ص ٨٩ بيان بارتفاع بعد هذه المسلات بالمتر وأوزانها بالطن . وأعلى مسلة هي مسلة أسوان غير الكاملة ٤١,٧٥ مترا ويبلغ وزنها ١١٦٨ طنا .

(٣) بيير مونتييه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقص) ١٩٦٥ ، ص ٢٠ - ٢١ .

حزوني داخل البئر عدد درجاته اثنتا عشرة درجة . (١)

في العصر المتأخر :

هناك مجموعة كبيرة من المعابد ترجع إلى العصر المتأخر : معبد هيبس في الواحات لعبادة آمون ، الذي بدأ في تشييده اماريس وأتمه الملك دارا الأول . وقد زينت جدرانه بمناظر دارا يقدم القرابين لآمون وموت وخونسو (٢) . وقد أتم نقوشه ملوك الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين وبعض ملوك البطالمة والأباطرة الرومان .

يجئ بعد ذلك معابد العصر البطلمي والروماني والتي تأثر بعضها بطراز المعابد في الدولة الحديثة ، ومن هذه المعابد الهامة :

معبد أدفو لعبادة حورس ، وهو من أكمل المعابد المصرية في العصور المتأخرة ، ويبلغ طوله ١٣٧ مترا وارتفاع الصرح ٣٦ مترا ، واستغرق بناؤه ١٨٠ عاما وبدئ في بنائه في عهد بطلميوس الثالث (يورجيتس الأول) الذي وضع أساسه في ٢٣ أغسطس عام ٢٣٧ ق.م .

وعن مراحل تشييد معبد أدفو نجد ما يلي :

- ١- في ٢٣ أغسطس من عام ٢٣٧ ق.م الذي يوافق العام العاشر من حكم بطلميوس الثالث (يورجيتس الأول) شيد الجزء الأول من الناووس أي قدس الأقداس .
- ٢- في ١٧ أغسطس من عام ٢١٢ ق.م الذي يوافق العام العاشر من حكم بطلميوس الرابع (فيلوباتور) تم تشييد الجزء الثاني من هذا الناووس .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثاني ، طبعة ١٩٩٧ ،

ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، حاشية (٢) .

- ٣- فى عامى ٢٠٧ - ٢٠٦ ق.م تمت زينة الناووس فى العام السادس عشر من حكم هذا الملك .
- ٤- فى أعوام ٢٠٦ و ١٨٧ - ١٨٦ ق.م التى توافق العام السادس عشر من حكم بطلميوس الرابع والعام التاسع عشر من حكم بطلميوس الخامس قامت ثورة فى طيبة وتوقفت أعمال التشييد فى المعبد حتى قضى عليها بطلميوس الخامس فى العام التاسع عشر من حكمه وقضى على القوضى فى البلاد .
- ٥- فى ٣ فبراير من عام ١٧٦ ق.م الذى يوافق العام الخامس من حكم بطلميوس السادس (فيلومتور) تم وضع الأبواب الكبرى .
- ٦- فى عامى ١٥٢ - ١٥١ ق.م الذى يوافق العام الثلاثين من حكم بطلميوس السادس استكمال الأعمال بحفر النقوش وتلوين المناظر .
- ٧- من ١٠ سبتمبر من عام ١٤٢ ق.م الذى يوافق العام الثامن والعشرين من حكم بطلميوس الثامن (يورجيتس الثانى) تم تكريس او تخصيص المعبد .
- ٨- فى ٢ يوليو من عام ١٤٠ ق.م الذى يوافق العام الثلاثين من حكم بطلميوس الثامن تم وضع أساس المبانى التى أمام الناووس أى بهو الأساطين والأجزاء الأخرى .
- ٩- فى ٥ سبتمبر من عام ١٢٤ ق.م الذى يوافق العام السادس والأربعين من حكم بطلميوس الثامن تمت الأعمال فى المبانى التى أمام الناووس .
- ١٠- فى أعوام ١٢٣ - ١٢٢ و ١١٦ ق.م الى توافق الأعوام الثامن والأربعين إلى الرابع والخمسين من حكم بطلميوس الثامن تمت زينة المبانى أمام الناووس .
- ١١- فى ٢٨ يونيه من عام ١١٦ ق.م الذى يوافق العام الرابع والخمسين من حكم بطلميوس الثامن وتوفى الملك بعد إتمام الأجزاء الأخيرة من المعبد .
- ١٢- تشييد مظلة فوق سقف المعبد ، والزينة باسم بطلميوس الثامن وكليوباترا الثانية .

- ١٣- تشييد السلم المؤدى إلى مكان صناعة الذهب ، باسم بطلميوس الثامن .
- ١٤- فى ٧ فبراير من عام ٧٠ ق.م الذى يوافق العام الحادى عشر من حكم بطلميوس الثانى عشر (نيس ديونيسوس) .
- ١٥- فى ٥ سبتمبر من عام ٥٧ ق.م الذى يوافق العام الخامس والعشرين من حكم بطلميوس الثانى عشر نهاية أعمال الزينة ووضع الأبواب فى أماكنها .
- ١٦- زينة الصرح ، وضع أساسه بطلميوس الثامن فى العام ١١٦ ق.م وكل الجدران تحمل اسم بطلميوس الثانى عشر .
- ١٧- الماميزى ، من عصر بطلميوس الرابع والثامن وأكمله بطلميوس التاسع (سوتر الثانى) .^(١)
- معبد دندرة لعبادة حتحور ، وقد بدأ فيه الملك نختنبو الأول وزينه أوائل البطالمة وأضاف إليه بطلميوس الخامس عشر وكليوباترا السابعة .
- معبد اسنا لعبادة خنوم ونيت الذى شيد فى عصر الدولة الحديثة ورمم فى الأسرة السادسة والعشرين . ثم أعيد تشييده فى عهد الملك بطلميوس السادس والثامن وأضيف إليه فى العصر الرومانى بهو الأعمدة الضخم ، وهو من أيام الأباطرة كلوديوس وفسباسيان .
- معبد فيله لعبادة خنوم وإيزيس ومعبودات أخرى - بناء فى الأصل نختنبو الأول لعبادة حتحور وإيزيس ولكن الأساس يرجع إلى عهد طهرقا ، وفى الطرف الجنوبى فى الرواق الشرقى معبد صغير للمعبود ارسينوفيس ، يرجع إلى العصر البطلمى ، وفى طرفه الشمالى معبد آخر صغير لعبادة ايموحتب ، ويلى الفناء المعبد الكبير الذى بدأ ببناء بوابته بطلميوس الثانى فيلادلفوس وذلك لعبادة إيزيس . وأكمله

(١) C. De wit, CdE 36 (1961), p. 56-97; Cauville-Devauchelle, RdE 35 (1984), p. 32-44 (1-17). حيث نجد فى هذا المقال تطور هذه المراحل بتواريخها . ونشر : Egbrets, RdE 38 (1987), p. 55-61. ملاحظات عما جاء فى مقال Cauville-Devauchelle وخاصة فى مساهمة بطلميوس التاسع والعاشر فى تكملة المعبد .

من جاء بعده من الملوك البطالمة ، ويحتل الجانب الغربى منه المعبد الصغير الذى يعرف باسم معبد بيت الولاة " الماميزى " وإلى الشرق من المعبد مجموعة من الأبنية أهمها مقياس النيل ، وفى الجنوب الشرقى للجزيرة شيدت المقصورة المعروفة باسم كشك تراجان .^(١)

وفى جزيرة الفنتين بقايا معبد لامنحتب الثالث وأكملة تحوتمس الثالث ، ومن المعابد البطلمية والرومانية أيضا معبد كوم أمبو لعبادة سبك الذى كان أصلا بوابة من عصر الأسرة الثامنة عشرة . وأول من عمل بهذا المعبد بطلميوس السادس والثانى عشر . وكذلك معابد كلايشة ، معبد أوبت ، معبد دوش ، معبد مدامود ، معبد قصر العجوز .

(٢) معابد الولادة (أو الماميزى) :

سجل على جدران بعض المعابد من عصر الدولة الحديثة حتى العصر البطلمى - الرومانى مناظر تمثل الميلاد المقدس للملك الحاكم : مثل مناظر الميلاد المقدس للملكة حاتشبسوت ، التى تمثل هذا الميلاد على عدة مراحل على جدران معبد الدير البحرى ، وكذلك مناظر تمثيل الميلاد المقدس لامنحتب الثالث فى معبد الأقصر . وهناك بعض الإشارات إلى الميلاد المقدس للملك رمسيس الثانى نجدها على كتلة حجرية عثر عليها فى معبد مدينة هابو ، وأيضا فى نقوش المقصورة الشمالية لفناء رمسيس الثانى فى معبد الأقصر ، ونقوش المقصورة التى تقع إلى الجنوب من معبد أبو سمبل ، والحجرات الجنوبية لمعبد حتحور فى دير المدينة ، والمعبد الذى يقع شمال شرق الحائط الخارجى لمعبد موت فى الكرنك من عصر رمسيس الثانى ، حيث نجد هذه الإشارة فى نقوش الفناء الأول والحائط الشمالى .

(١) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 72, 74, 81, 112 .

ونجد هذه المناظر في العصر الفارسي في معبد هيبس بالخارجة (القاعة ل ، الجدار الغربى الجنوبى) .^(١) كما أننا نجد هذه النوعية من المناظر في عصر الملك نختنبو الأول فى الأسرة الثلاثين ولكنها كثرت فى العصر البطلمى - الرومانى ، محاولة من الملوك البطالمة والرومان بأنهم من نسل المعبودات المصرية ، ونجد هذه المناظر موزعة كالاتى :

- ماميزى معبد (دندرة من عصر نختنبو الأول والعصر الرومانى)
 - ماميزى معبد فيله (الصرح الأول ، معبد حتحور)
 - ماميزى معبد كوم أمبو (بطلميوس السابع)
 - ماميزى معبد أدفو (بطلميوس السابع)
 - ماميزى معبد ارمنت (بطلميوس الحادى عشر)
 - ماميزى معبد كلابشه (العصر الرومانى)^(٢)
- كما أن هناك معابد صغيرة مثل :

- المعبد الذى ولدت فيه إيزيس من أمها نوت ويقع إلى غرب معبد حتحور فى دندرة

- ماميزى الكاب من عصر لاحق لنختنبو الأول .^(٣)
- المعبد الذى ولد فيه أوزير من أمه اببت بالكرنك
- ماميزى حور بارع بطول معبد مونتو بالكرنك
- ماميزى فى مواجهة سوهاج (بطلميوس - قيصر)

(١) - Daumas, les Mammisis des temples Égyptiens, p. 29, 41, 43 – 45, 61 .

(٢) Id., op . cit., p. 22, 60, 81, 87, 91 – 92, 97-98, 117

(٣) Id., op. cit., p. 29 , 54 – 56, 59 .

- معابد ماميزى اختفت مثل ماميزى اسنا وقفت (١).

(٣) المعابد الصخرية :

من ملوك الدولة الحديثة من حفر فى الصخر فى بلاد النوبة أكثر من معبد ومن هذه المعابد :

معبد أبو عوده ، وهو معبد صغير للملك حور محب شيده آمون رع وتحتوى ، كان يقع فى الشاطئ الشرقى للنيل ، جنوبى معبدى أبو سمبل بقليل . وفى العصر المسيحى تحول المعبد إلى كنيسة ، ولم يتيسر نقل هذا المعبد بكامله واكتفى بإنقاذ أهم أجزائه المنقوشة . وشيد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة خمسة معابد :

معبد بيت الوالى ، وقد نقل إلى جنوبى السد العالى مباشرة ، وكان لعبادة آمون رع وخنوم وعنقت .

جرف حسين ، لم ينقذ بأكمله ، واكتفى بإنقاذ بعض أجزائه ، وكان مخصصا لعبادة المعبود بتاح . وكان بعضه مبنيا وبعضه محفورا فى الصخر .

وادي السبوع ، نقل من مكانه إلى مكان مرتفع خلف مكانه القديم جنوبى أسوان ، وكان لعبادة آمون رع ورع حور آختى ورمسيس الثانى . ويشبه فى تخطيطه كثيرا معبد جرف حسين .

معبد الدر : يبعد عن أسوان بنحو ٢٠٠ كيلو مترا ، وقد خصصه رمسيس لعبادة بتاح وآمون رع ورمسيس مؤله ورع حور آختى . (٢)

معبدى أبو سمبل : جنوب أسوان بنحو ٢٨٠ كيلو مترا ، وقد نقل إلى مكان وتقع خلف مكانهما الأصلى بنحو ٢٠٠ مترا . وهما من أجمل المعابد الصخرية . نحتهما رمسيس الثانى فى جبل مرتفع من الحجر الرملى . وخصص المعبد الكبير

Id., op. cit., p. 60 .

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢٢٧ شكل ٨٠ - ٨٥ ، ص ٢٣٠ - ٢٤١ شكل ٨٩ ، ٩٢ - ٩٣ ، ٩٥ - ٩٧ .

لعبادة بتاح آمون ورع ورمسيس ورع حور آختى . وخصص المعبد الصغير لعبادة حتحور . (١)

وهناك معابد أقل حجما منحوتة فى الصخر فى أماكن أخرى فى مصر مثل المعبد المنحوت فى الصخر جنوبى مقابر بنى حسن على الضفة الشرقية للنيل (إصطبل عنتر) ويرجع تاريخه إلى عهد حاتشبسوت وتحوتمس الثالث وقام بترميمه الملك سيتي الأول وتحطمت نقوشه أيام ثورة إخناتون الدينية ، وأهم نقش فيه ذلك النقش الذى تتحدث فيه حاتشبسوت عن الهكسوس وتخريبهم للبلاد . وفى داخله مناظر متعددة تمثل تقديم القرابين للمعبودات وأهمها بخت ، وقد قارنها اليونانيون بالمعبودة ارتيمس ، وسموا هذا المعبد " سبيوس ارتميدوس " أى كهف ارتيمس (٢) .

وهياكل ابريم من عصر حور محب ، ومعبد سيتي الأول فى وادى عباد شرقى أدفو . (٣)

(٤) المقاصير :

من المقاصير الجميلة مقصورة صغيرة أقامها تحوتمس الثالث للمعبودة حتحور فى غربى طيبة جنوبى معبد الدير البحرى ، تحلى جدرانها صور ملونة بديعة ، وسقفها قبو تحليه نجوم صفراء فى قاعدة بلون أزرق . وقد أقام فيها ابنه أمنحتب الثانى تمثالا للمعبودة يمثلها فى شكل بقرة بحجم طبيعى وبين قرنيها قرص الشمس ، وكأنها تخرج من غيضة بردى . (٤)

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤١ - ٢٤٧ شكل ٩٨ - ١٠١ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٩٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ شكل ٩٠ - ٩١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩١ ، ص ٤٨٠ صورة ١٩ ؛ وأيضا : Saleh- Sourouzan, op. cit., p. no. 138.

وفى معبد الكرنك ومدينة هابو مقاصير شيدتها العابدات المقدسات لآمون أو الحرم المقدس لآمون من العصر المتأخر .^(١)

(٥) جوسق اليوبيل :

يرجع بناء جوسق اليوبيل الملكى إلى الأسرة الأولى على الأقل ، إذ من نقوش الملك نعرمر ما يمثله جالسا بتاج الوجه البحرى فى جوسق فوق منصة عالية . وهناك منصة جسر فى الطرف الجنوبى من فناء معبد اليوبيل فى مبانيه فى سقارة . وجوسق الملك بيبى الأول .

وفى الصرح الثالث فى الكرنك عثر على أحجار جوسق لسنوسرت الأول ، وقد أمكن إعادة بنائه . وكشف فى مدامود فى اساس معبد من العصر البطلمى عن بقايا أساطين وأبواب وعتب من الحجر لمعبد أقامه فيما يظن سنوسرت الثالث بمناسبة يوبيله .

وفى طود ، جنوبى الأقصر ، كشف عن بعض أحجار معبد من عهد الأسرة الحادية عشرة ، عليها نقوش تشير إلى أنه بنى بمناسبة الاحتفال بيوبيل أحد الملوك من الدولة الحديثة ، وأمکن جمع أحجار جوسق من المرمر للملك أمنحتب الأول من الصرح الثالث فى الكرنك . وهو يختلف فى طرازه عن طراز جوسق سنوسرت الأول ويشبه المقصورة فى كل من معبدى طود ونجع المدامود . وجوسق حاتشبسوت فى معبد مدينة هابو . وقد ادخل فيه تحوتمس الثالث بعض التعديلات ، على أن ذلك لم يغير من طرازه .^(٢)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ - ١٨٦ شكل ٦٢ - ٦٥ ، ٦٧ ؛

ص ٢٨٠ شكل ١١٣ .

وفى بوهن أقامت حاتشبسوت جوسقا ، وفيما بين الصرحين السابع والثامن بالقرب من البحيرة المقدسة فى الكرنك أقام تحوتمس الثالث بمناسبة يوبيله جوسقا صغيرا . وأقام أمنحتب الثانى بين صرحى الكرنك التاسع والعاشر بمناسبة يوبيله جوسقا كان يؤدى إليه درجان متقابلان وتتقدمه صفة ذات اثنى عشر عمودا . وقد هدمه اخناتون ثم أعاد سبتي الأول بناءه لعبادة آمون .

وكان من أجمل المعابد المحاطة بالأعمدة ، جوسق شيدته أمنحتب الثالث فى جزيرة الفنتين ، ولكنه هدم فى القرن التاسع عشر . وعثر فى مقبرة ابوى على تمثيل لواجهة جوسق يتوجها الكورنيش المصرى ^(١) . وجوسق طهرقا فى الفناء الأول فى الكرنك ، وكان فى حقيقة الأمر جوسقا يستقر على قاعدة فى وسطه الزورق المقدس ابان الاحتفالات . وكان يتألف من صفين من الأساطين . وقد تهدمت ولم يبق منها غير اسطون واحد فى نهاية الصف الأيمن ^(٢) .

ثالثا - العمارة الجنائزية :

(١) المعابد الجنائزية :

كان هناك معابد جنائزية منذ عصر الدولتين القديمة والوسطى مثل معابد حونى وسنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع وجدف رع وشبسكاف وسركاف ونى اوسر رع وتيتى وببى الثانى ومنتوحتب الثانى إلى الجنوب من معبد الدير البحرى وأمنمحات الأول فى اللشت وسنوسرت الأول فى اللشت وأمنمحات الثانى فى دهشور وسنوسرت الثانى فى اللاهون وسنوسرت الثالث فى دهشور وأمنمحات الثالث فى

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٩-١٨٦ شكل ٦٢-٦٥ ، ٦٧؛ ص ٢٨٠ شكل ١١٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٢٨-٢٢٩ ، ص ٤٨٧ صور ٢٧ .

هواره^(١) . تقع المعابد الجنائزية لملوك الدولة الحديثة على حافة الصحراء بالقرب من الحقول في الغرب من طيبة ، وكان كل منها يقع بجانب الآخر في صف طويل من الشمال الشرقي إلى الجنوبي الغربي في مسافة طولها نحو ثلاثة كيلو مترات . وأقدمها معبد أمنحتب الأول الذي شيده في مكان يقع بازاء معبد الكرنك . ثم استمر ملوك الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة يبنون معابدهم الجنائزية كل منها في جنوب الآخر . ولم تكن المعابد الجنائزية لعبادة من أنشأها فحسب ، وإنما منها ما خصصت فيه مقصورة أو أكثر لعبادة روح ملك سابق ، كما أنه كان يعبد فيها جميعا معبود الدولة وملك المعبودات آمون رع وبعض المعبودات الكبرى وخاصة رع حور آختى واوزير وحتحور وأهم هذه المعابد :

معبد تحوتمس الثاني في البر الغربي ومعبد حاتشبسوت (الدير البحرى) كان من أوائل المعابد الجنائزية في الدولة الحديثة ، والذي شيده سنموت على طراز معبد منتوحتب الثاني ، على ثلاثة مسطحات كبيرة يعلو أحدها الآخر ويليه ، واستبعد منه فكرة الهرم فجاء متناسقا . وألحقت أجزاء المعبد بهياكل للمعبود أنوبيس ، وللمعبودة حتحور ، وللمعبود رع حور آختى وللمعبود آمون مين ، ومقصورتان لتحوتمس الأول وحاتشبسوت . وهكذا خصص المعبد لعبادة أكثر من معبود أيضا . ومعظم المعبد من الحجر الجيري الجيد ، وتحلى جميع جدرانه نقوش دينية وتاريخية لا يزيد بروزها عن ملليمتر أو ملليمترين ، ومن أهمها ما يمثل نقل مسلتين في النيل من أسوان إلى طيبة ، ومناظر البعثة التى أرسلتها الملكة إلى بلاد بونت في العام التاسع من حكمها ، ومنها ما يصور الميلاد المقدس لحاتشبسوت وادعاءها إنها ابنة آمون رع ومن نسله^(٢) .

ومعبد تحوتمس الثالث الجنائزى في الشمال من الرمسيوم ، ومعبد أمنحتب الثاني ومعبد تحوتمس الرابع في جنوبه وقد تهدمت ولم يبق منها غير آثار قليلة

(١) Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 6-193.

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ - ٤١٥ شكل ١٨٣ .

تدل عليها . ومنها يتضح أن كل منها كان على ثلاثة مسطحات يتلو كل منها الآخر^(١) وكان معبد أمنحتب الثالث من أعظم المعابد الجنائزية وأفخمها ، بيد أنه تهدم ولم يبق منه قائما في مكانه غير تمثالين ضخمين من حجر الكوارتزيت ، كانا أمام الصرح ، ويمثلانه جالسا بارتفاع أكثر من عشرين مترا ، ويزن كل منهما أكثر من سبعمائة طن . وما من ريب في أن قطع هذين التمثالين من محجرهما في الجبل الأحمر ، ونحتها بأدوات بسيطة ، ونقلهما مسافة تزيد على ٤٣٥ ميلا إلى طيبة ، واقامتهما أمام المعبد ، ما يدل على قدرة فائقة ومهارة ممتازة . وقد منح أمنحتب الثالث مهندسه أمنحتب بن حابو امتيازاً لم يمنح لغيره فقد سمح له بأن يبني لنفسه في الغرب من معبد مليكه الجنائزي معبداً من اللبن والحجر^(٢) وكان يتألف من صرح وفناء كبير مستطيل . وكان هناك صرح ثانى ، يؤدي مدخله إلى فناء ثان صغير . وفى مؤخرة المعبد ردهة وثلاث مقصورات .^(٣) وكان هناك معبد جنائزى لآي وحيور محب وكان لسيتى الأول معبد صغير فى الشمال من الرمسيوم ، بناه قبل أن يبني معبد الجنائزى فى القرنة ، وفى هذا المعبد الثانى شيدت ثلاث مقاصير خصصت لعبادة رمسيس الأول وآمون رع وسيتى الأول .

شيد رمسيس الثانى معبد الجنائزى "الرمسيوم" بحذاء المعبد الصغير لسيتى الأول وكان يحيط به سور ضخيم من اللبن طوله ٢٦٠ مترا تقريبا ، وعرضه نحو ١٧٠ مترا ، ويغلب على الظن انه كانت تتقدمه شرفة تطل على مرسى على قناة تتصل بالنيل ، ثم بوابة ضخمة تؤدي إلى فناء فسيح أمام الصرح الأول المهدم الآن . وكان الصرح بناء ضخما عرضه نحو سبعين مترا ، وتحلى واجهته الداخلية مناظر موقعة قادش الشهيرة . والصرح الثانى أصغر قليلا من الصرح الأول ،

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٢) Robichon - Varille, le Temple du Scribe Royal Amenhotep fils de Hapou, le Caire 1936 .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ - ٤٤٣٦ شكل ١٩٩ .

وتحلى واجهته الداخلية مناظر قتال مع الحيثيين ، ومشاهد مختلفة من عيد المعبود مين . وقد شاع طراز الأعمدة الأوزيرية في عهد الرعامسة في الأفنية المكشوفة ، التي نجدها هنا في الرواق الأمامي والخلفي . وتحيط بالمعبد دهاليز ومخازن عديدة من اللبن بسقوف مقبية ، كانت مخازن للحبوب والزيوت ولقدور النبيذ والجمعة والثياب والجلود وغيرها مما كان يحتاج إليه في تقديم القرابين .^(١) وكان هناك معبد لمربتاح في البر الغربي . ومعبد رمسيس الثالث الجنائزي ، مدينة هابو ، وهو أكبر ما حفظ من المعابد الجنائزية ، كما أنه المعبد الوحيد المحصن ، وتبلغ مساحته نحو ٦٤ ألف متر مربع وقد شيد على مرتين ، ثم في الفترة الأولى بناء المعبد وملحقاته والسور الداخلي ، وفي الفترة الثانية تم بناء السور الخارجي ببوابتيه الضخمتين المحصنتين في الشرق والغرب ، ومساكن الكهنة والموظفين بين السورين في الشمال والجنوب ، والمرسى أمام البوابة الشرقية . وتسجل نقوش جدران الفناء الثاني حروب رمسيس مع الليبيين وشعوب البحر في السنوات الخامسة والثامنة والحادية عشرة من حكمه . وبعض المناظر الدينية ، ومنها موكب أعياد المعبود مين . ويلي الفناء الثاني ثلاثة أبهاء ذات أساطين ومن ورائها جميعا قدس الأقداس ، كان يودع فيه قارب آمون المقدس . ومنها ما كان هياكل لعبادة رمسيس الثاني ورمسيس الثالث واوزير وبتاح ورع حور آختي ومونتو وبتاح - سوكر وتحتوي ، وتزدان سطوح الصرح الثاني من الخارج ومن الداخل بمناظر حروب رمسيس الثالث مع الليبيين وشعوب البحر ، ومنها ما يصور صيد الثيران البرية ، وزينت الجدران الداخلية للفناء الثاني بمناظر الأعياد التي كان يحتفى بها سنويا في المعبد بمتوسط عيد كل ثلاثة أيام ، ومنها عيد التتويج وكان يستغرق عشرين يوما ، وكلها نقوش غائرة على نحو نقوش معظم المعابد في عصر الرعامسة . وكان هناك معابد لرمسيس الأول وسيتي الأول ورمسيس الثاني في أبيدوس .^(٢)

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٧ - ٤٢٢ شكل ١٨٤ .

(٢) Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 664 - 782 .

(٢) سراديب مومياوات الحيوانات والطيور المقدسة :

لم تقتصر براعة المعمارى المصرى القديم على ما أنجزه من عمائر متنوعة فوق سطح الأرض ولكنه برع أيضا فى حفر وإعداد سراديب تحت سطح الأرض على بعد مسافات متعددة وبأعماق مختلفة فى باطن الأرض . فلدينا سراديب سرابيوم سقارة الذى يحوى مقابر العجل " أبيس " المنحوتة فى الصخر على جانبى دهاليز ، وكانت كل مقبرة منها عبارة عن حجرة مستطيلة تتسع للتابوت الضخم الذى يبلغ طوله حوالى ١٣ قدما وارتفاع حوالى ١١ قدما وعرضه حوالى ٧ أقدام ووزن الحجر منه لا يقل عن ٥٦ طنا . وكانت تلك الحجرات تسد ببناء من الحجر عندما يتم وضع مومياة العجل فى التابوت الخاص به . وقد بدأت إقامة تلك المدافن بنحتها فى الصخر على جانبى دهليز طوله مائة ياردة من عصر الملك رمسيس الثانى ، ثم أقيم دهليز آخر فى عهد بسماتيك الأول فى بداية الأسرة السادسة والعشرين . وفى عهد الملك نختنبو الثانى فى الأسرة الثلاثين أقيم للمعبود أبيس معبد عظم شأنه بعد ذلك فى عصر البطالمة الذين جعلوا منه معبودا رسميا للمصريين واليونان على السواء باسم " سرابيس " ، إذ هو يجمع بين أوزير والعجل أبيس . وقد صنعت توابيت العجل أبيس من الحجر أيام الملك أمازيس حوالى سنة ٥٥٠ ق.م . وكانت تصنع من قبل ذلك من الخشب .^(١)

وهناك السراديب المخصصة لمومياوات الأبقار وأمهاة العجل أبيس والصقور المقدسة والتى اكتشفها امرى فى الشمال الغربى من سقارة عام ١٩٦٤^(٢) وهناك السراديب الثلاثة التى اكتشفها الأثرى المصرى د. سامى جبره فى تونا الجبل والتى خصصت لمومياوات الطائر المقدس لتحوتى الأيبس ومومياوات البابون والتى

(١) Emery, JEA 56 (1970), p. 1-5; Id., in JEA 57 (1971), p. 9013.

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٣٢٦ .

اكتشفها في الفترة من ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٨. ^(١) وعثر في تونا الجبل على أربعة سراديب :

السرداب الأول كان مخصصا لدفن طائر الأيبس المقدس ، وتخطيطه عبارة عن شارع رئيسي يتجه من الشمال إلى الجنوب يتقاطع معه عند المنتصف شارع آخر يتجه من الشرق إلى الغرب ، وتوجد على جانبيه قاعات واسعة خصصت لاستقبال الزوار الذين يحضرون معهم طائر الأيبس المقدس المحنط لدفنه في أواني وربما كان يتقدم السرداب مذبح وهيكل .

أما السرداب الثاني فهو يمثل شبكة من الدهاليز تتقاطع مع بعضها البعض وتتفتح عليها من الجانبين حجرات ومشكاوات . ويتصل هذا السرداب بالسرداب الأول عن طريق فتحة في أرضيته .

والسرداب الثالث كان به كميات كبيرة من الآثار ومومياوات للبابون والأيبس . ويوجد في هذا السرداب تصوير للملك بطلميوس الأول يتعبد إلى المعبود تحوتى في صورة بابون .

أما السرداب الرابع فنصل إليه عن طريق السرداب الثالث عن طريق شارع طويل يبلغ طوله ١٢٠ مترا ، ويقع مدخل هذا السرداب في أقصى الغرب . وفي هذا السرداب عثر على غرفة لدفن كبير كهنة تحوتى " عنخ حور " ^(٢).

وتدل بقايا الزخارف في هذه السراديب على مدى العناية التي كانت تلقاها هذه السراديب وتلقى الضوء على طراز خاص من العمارة الدينية المحفورة في الصخر. ^(٣)

(١) R.el Sayed, Tounah el Gebel, Collogues Internationaux du CNRS no 595 (1982), p. 272 – 278 .

(٢) د. إبراهيم سعد : تونا الجبل ، درة في صحراء دروه ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٩٩ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

وكل هذه السراديب وغيرها التى لم يكشف عنها معول الأثرى ، تبين مدى براعة المعمارى المصرى القديم فى حفر مثل هذه السراديب على أبعاد متفاوتة فى باطن الأرض لمسافات طويلة وممتدة فى اتجاهات متعددة^(١) .

أهمية عمارة المقابر :

اهتم المصريون القدماء بإعداد المقابر والاهتمام بتشييدها كبيت للأبدية ، منذ أقدم العصور . وذلك لحماية جثث موتاهم ، ومر طراز المقبرة بتطورات عديدة خلال العصور التاريخية الطويلة من مجرد حفرة بسيطة فى باطن إلى مقبرة متكاملة البناء أو الحفر يحلى جدرانها النقوش والمناظر الدينية المختلفة . وأشرنا إلى أهمية وجود المقبرة بالنسبة للمتوفى عند حديثنا عن الحياة الدينية ، وذلك رغبة منهم فى تهيئة سبل البعث والحياة بعد الموت .^(٢)

(٣) مقابر الحكام والمقابر الملكية :

فى عصور ما قبل الأسرات :

كان المصريون يدفنون موتاهم فى أوائل العصر الحجرى الحديث فى حفر صغيرة غير عميقة ، بيضاوية أو مستدير الشكل بجوار مساكنهم أو بعيدا عنها فى

(١) الن زيفى : مقبرة عبريا ، كشف فى سقارة (ترجمة عماد عدلى) دار الفكر

للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٥ ، ص ٥٣ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٦ .

جبانات مستقلة كما رأينا في حضارة مرمدة بنى سلامة أو البدارى وغيرها . وكان المتوفى يوضع على جانبه فى وضع القرفصاء كالنائم الذى يضم فخذه على بطنه ، وكان يلف فى حصير أو فراء ، أو يوضع فى وعاء من خوص ، ثم أصبح يدفن فى تابوت صغير من صلبال أو فخار أو خشب . (١)

وفى نهاية عصر ما قبل الأسرات ظهر الطوب اللبن فى البناء وتطور تبعا لذلك بناء المقبرة ، فلم تصبح حفرة بيضاوية أو مستطيلة تقليدا للمساكن ، بل تعد ذلك إلى ما يسمى ببداية العمارة الحقيقية . فأصبحت الحفرة مكسوة من الداخل بالطوب الجاف ، فمنها ما أصبح مستطيلا بجدران مستقيمة يغطيها الحصير ، ومنها ما كان يسقف بفروع الشجر ، ومنها ما كان له كوة فى نهايته يدفن فيها المتوفى ، ومنها ما كان يقسم بحاجز من مضافور أعواد النبات ، إلى قسمين ، يخصص أحدهما للمتاع الجنائزى .

وبعد ذلك أعدت حجرات صغيرة على الجانبين كانت تستخدم كمخازن للمواد الغذائية والمتاع الجنائزى الذى أصبح أكثر غنا ، فقد عثر على أدوات للصيد وأدوات للزينة من أمشاط ودبابيس وعقود من خرز وأساور من العاج وصلابات من حجر الشست وأوانى فخارية مختلفة الأحجام وأدوات أخرى منها سكاكين ومنال من الطران ورؤوس حراب وغيرها .

وقد ألفت عوامل التعرية الجزء الذى كان يعلو المقبرة فوق سطح الأرض ، ربما كان هناك مكان أعد ليقدم عنده أنواع القرابين للمتوفى . وفى البداية كان يوضع فوق سطح الأرض ركام من حصى وحجر كعلامة يسترشد بها عن مكان المقبرة .

وعثر فى هيراقونبوليس (الكوم الأحمر) على مقبرة لزعيم أو لحاكم ، وهى تحتوى على قاعتين ، وعلى جدرانها رسمت صور لستة مراكب فى صفين

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

تحيط بها صور مختلفة لأشخاص وحيوان ، وقد استخدم الفنان فيها عدة ألوان . (١)

فى عصر بداية الأسرات :

زاد الثراء المادى فى بداية الأسرات ، وما لاقاه البناؤون والصناع والعمال من تشجيع ملوكهم كان له أثر كبير فى التقدم فى بناء مقابر الملوك وكبار رجال الدولة (٢) . وهنا يجب أن نشير إلى الحفائر التى قام بها الفرنسى اميلينو والانجليزى بترى فى نهاية القرن الماضى فى ابيدوس فى منطقة تسمى أم الجعاب ، وهى التى جعلتنا نتعرف على جبانة ملكية من تلك الفترة . ويرى بعض العلماء أن الملوك الأوائل قد دفنوا هنا بالقرب من عاصمتهم ثينى التى لم يتعرف على مكانها حتى الآن ، ولكنها ليست بعيدة عن جرجا الحالية . وعثر كذلك على مقابر كبيرة فى سقارة من هذا العصر وهى تخص ملوك وكبار الشخصيات والوزراء . (٣)

وأجريت حفائر كذلك فى نقادة وهيراقونبوليس وحلوان (٤) ، وطرخان وغيرها وغيرها ، وأمام هذا العدد الكبير من المقابر كان لزاما علينا أن نتساءل كيف أن أشخاصا من الطبقة المتوسطة أصبحوا وزراء ؟ وهل مقابر أبيدوس مقابر فعلية أو رمزية ؟ وافترض بعضهم أن الجسد كان يدفن فى سقارة غرب منف ، على حين كانت الأحشاء توضع فى أوانى وتدفن فى أبيدوس . ومهما تكن صحة هذه

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ شكل ١٠١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧٢ ؛ Quibell, Hierakonpolis II p1. 75.

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦١ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٧٧ ؛ Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 57.

(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٧ - ٨ .

النظرية ^(١) ، فإن مقابر الملوك وكبار الشخصيات كانت تنقسم إلى جزئين :

أحدهما تحت سطح الأرض خصص لوضع المتوفى ، والآخر فوق سطح الأرض أعد لاستقبال الزوار لتأدية الطقوس الجنائزية ويشبه في شكله شكل المصطبة . والمصطبة هو لفظ العمال المصريون أيام ماريت على المبنى المستطيل المصمت الذى يعلو مقابر الدولة القديمة للشبه بينه وبين مصاطب الفلاحين أمام بيوتهم فى القرى . ^(٢)

وفى أبيدوس نجد أن حالة الموقع كانت سيئة لذلك فإن الحفائر الأولية التى نفذت كانت غير متقنة ولذلك اختفت كل الأجزاء العليا من المقابر ، بيد أنه يغلب على الظن أنه كان على شكل مصطبة كبيرة من اللبن سطحها مقبى يحيط بها سور . أما عن الجزء الذى تحت سطح الأرض فى المقابر الملكية فى أبيدوس كان فى بداية الأمر عبارة عن غرفة كبيرة مستطيلة بجدران سميكة من اللبن تحت سطح الأرض ، تحتوى على غرفة أخرى من الخشب لها سقف من الخشب أيضا . ولم تلبث أن أخذت تزداد اتساعا ويزداد سمك جدرانها . وما لبث أن صار للمقبرة درج يؤدى إلى حجرة الدفن من الشمال . وقد رصفت أرضية مقبرة الملك وديمو بحجر الجرانيت . ^(٣) وفى نهاية الأسرة بلغت مساحة القبر الملكى فى أبيدوس أكثر من عشرة أمثال مساحة أقدم مقبرة ملكية فيها .

ومن أهم ما تبقى من مقابر أبيدوس ألواح طويلة من الحجر الجيرى ، تعرف بأسم "نصب أبيدوس" وهى مقوسة فى أعلاها ، ومنقوش على وجه كل منها

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٨٥ ؛ Daumas, op. cit., p. 58 .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٣) بالنسبة للمقابر الملكية فى عصر بداية الأسرات وأنواعها وطرزها بوجه

عام ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie I, p. 613-714.

بخط كبير أسم الملك من داخل مستطيل فوق ما يعرف بواجهة القصر الملكى التى تعلوها صورة الصقر حورس . ويعتقد أنه كان لكل مقبرة ملكية لوحان من هذا الشكل . وكانت هذه النصب تثبت فى واجهات المصاطب من اللبن ، التى كانت تعلو المقابر الملكية . وتدل هذه النصب على المكان الذى يجب تقديم القرابين والطقوس الدينية أمامه ، وتدل على اسم صاحب المقبرة ، وهى أيضا عبارة عن الباب الذى يرشد الروح إلى مكان دخول المقبرة .^(١)

ومن المصاطب الملكية الهامة فى أبيدوس مصطبة الملكة مرت نيت . و خ ع م و ي إلى كانت تحتوى على أكثر من خمسين غرفة صغيرة فى صفوف متتالية تتوسطها جميعا غرفة الدفن التى كسيت جدرانها بأحجار صغيرة منحوتة من حجر جبرى^(٢) . مما يعد فاتحة لعهد جديد فى البناء .

وفى نقادة تقع أعظم مقابر عصر بداية الأسرات ، وقد تهدم الجزء العلوى منها أيضا ، وعثر على مصطبة ضخمة مستطيلة من اللبن محورها من الشمال إلى الجنوب ، وتشغل مساحة قدرها ١٤٢٥,٧٨ من المتر المربع وتميل سطوح جدرانها إلى الداخل قليلا من اسفل إلى أعلى على أبعاد منتظمة ، وكل مشكاة تماثل غيرها تماما . وكان لهذا الطراز أثره أيضا فى طراز كثير من التوابيت .

وتتميز مصطبة نقادة بأنها تشتمل على خمس غرف فى صف واحد فى طول البناء فوق سطح الأرض ، وكانت الغرفة الوسطى غرفة للدفن ، ويذهب الظن إلى أنها مقبرة الملكة نيت حتب زوجة نعرمر - منى وكان يحيط بالمصطبة سور كبير من اللبن .^(٣)

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ شكل ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ شكل ١٠٩ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ شكل ١٠٦ ،

وفى شمال شرقى سقارة ^(١) ، كشف عن كثير من المقابر الملكية من عصر الأسرة الأولى ، وهى أكبر وأفخم كثيرا من المقابر الملكية فى أبيدوس ونقادة . وغرف الدفن فى مقابر سقارة أكثر عمقا واتساعا عنها فى مقابر أبيدوس ، وبعضها منحوت فى الصخر لقربه من سطح الأرض ، مما أكسب النحات مهارة فى حفر الصخر منذ وقت مبكر . ومن هذه المقابر ما يشتمل على سبع غرف فى صف واحد . ومن غرف الدفن ما كانت جدرانها تؤزر بالخشب ومنها ما كان يلصق بجدرانها حصير ملون دقيق الصنع ، أو تثبت فى جدرانها قراميد من القيشانى تمثل الحصير ، كما أن منها كذلك ما غطيت أرضيتها بألواح رفيعة من الخشب . ومنها ما تحتوى فى داخلها على عدد كبير من المخازن عثر فيها على أوانى من المرمر والشست والصخر البلورى وأدوات ومعدات وأسلحة . ومنها كذلك ما كشف بجوارها عن بناء باللبن فى الأرض فى شكل مركب كبير كان يحتوى على مركب مفكك كان يستخدمه الملك فى حياته الدنيا .

ومنذ أواسط الأسرة الأولى كانت المقابر الملكية فى سقارة تزود على نحو مقابر أبيدوس بدرج يؤدى إلى غرفة الدفن . وكانت تعلو كل مقبرة مصطبة ضخمة من اللبن تتخلل سطوحها الخارجية مشكاوات عديدة . ومن المصاطب ما كشف فى داخلها عن مبنى مدرج ، ومنها وجدت بها مخازن وشون ، ومنها ما كشف بجوارها عن بناء باللبن فى الأرض فى شكل مركب كبير . وعثر فى سقارة على مقبرة حور - عا ^(٢) ، وجت (أو واجى) ، عج ايب وقاع آخر ملوك الأسرة الأولى . ويوجد حولهم مقابر كبار موظفيهم . وقد عثر من داخل سور مقبرة قاع على بناء من اللبن ربما كان معبدا جنازيا للملك ، وهو يحتوى على دهاليز وغرف عديدة . وفى

(١) نسبة إلى معبود الجبانة " سوكر " الذى ظهر عبادته فى منف منذ الأسرة الثانية ،

راجع : Brovorski, in LAV, p. 1055-1074

(٢) أنظر الرسم التخطيطى لمقبرة حور - عا فى سقارة فى : د. أحمد فخرى :

الأهرامات المصرية ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ ، ص ١٠ ، شكل ٢ .

الشرق من هرم ونيس كشف عن مقبرتين ملكيتين تنسبان لأوائل ملوك الأسرة الثانية . وتحتوى كل منهما على قاعات عديدة محفورة فى الصخر .

فى عصر الدولة القديمة :

أخذ ملوك الدولة القديمة يقيمون أهراما لهم على حافة الهضبة الغربية بعد أن تطورت فكرة المقبرة الملكية من مجرد مصطبة ضخمة إلى هرم مدرج ثم هرم منكسر الأضلاع أو منحنى ثم هرم كامل . واكتشف علماء الآثار فى مصر حتى الآن حوالى سبعين هرما ^(١) ، ومن الصعب تقدير عدد الأهرام التى يمكن أن تكون مدفونة تحت الرمل لم يصل إليها معول الحفار بعد .

الأسرة الثالثة :

مجموعة الملك جسر الجنائزية فى سقارة :

وهى أقدم المباني الكبيرة من الحجر ، وتعد إضافة فصل جديد هام عن معرفتنا عن العمارة المصرية القديمة وتعد هذه المباني التى شيدت منذ أكثر من سبعة وأربعين قرنا أول عمارة ضخمة من الحجر ظهرت لأول مرة فى حضارات العالم القديم . وقد حاول الفنان المصرى فيها تقليد خصائص المنشآت من اللبن وأعواد النباتات على نحو ما حاكى الإغريق بعد ذلك بعدة قرون فى مبانيهم الأولى من الحجر كثيرا من خصائص المنشآت الخشبية . ويرجع تحقيق كل هذه المنجزات المعمارية إلى رئيس معمارى الهرم المدرج ومجموعته المعمارية ، ايمحوتب . ونرى اسمه مكتوبا على قاعدة أحد تماثيل الملك جسر ، ويذكر ألقابه ، ومنها أنه كان يشرف على بيت المال فى الشمال ، وأنه أول رجل بعد الملك ، والمشرف على إدارة البيت العظيم (القصر) . والنبيل الوراثنى ، وكبير كهنة أيونو ، ورئيس المثالين ،

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٦ .

ورئيس النجارين . وفى وثائق أخرى كان يلقب بلقب وزير ، ومدير أعمال الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على المدينة (الهرمية) .

احترم المصريون القدماء فى أيام الدولة الوسطى ذكرى ايمحوتب احتراماً كبيراً ، وكان الكتبة فى عصر الدولة الحديثة يعتبرونه حامياً لهم ، وقبل أن يخطوا كلمة واحدة فى قراطيس البردى كانوا يريقون بعض قطرات من الماء من أنية قرابنا له . وأصبح مقدساً بعد ذلك وشيدت المقاصير تكريماً له . وقدسه المصريون كساحر نبغ فى رقى السحر وكمخترع لاستخدام الحجر فى البناء ، ورأوا فيه الطبيب الحكيم الذى حوت وصفاته جميع أسرار الطب . وكانت مقاصير ايمحوتب من الأماكن التى يقوم بزيارتها المرضى ليكتب لهم الشفاء ^(١) . وفى نقش تركه أحد المعمارين واسمه خنوم ايب رع من الأسرة السابعة والعشرين ، وفى وادى الحمامات ، سجل فيه ذهابه إلى تلك المنطقة ليقطع منها بعض الحجار . وذكر سلسلة من أسماء أسلافه وكان الكثيرون منهم مهندسين معماريين ، وأقدمهم يسمى " كا - نفر " الذى كان مديراً للأعمال فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، ثم يتلوهُ ابنه ايمحوتب ^(٢) ومما لا شك فيه أن هؤلاء المهندسين كانوا يقومون بإعداد رسم تخطيطى لكل بناية يكلفون بتشييدها سواء أكانت مقبرة أو معبداً ، ومما لا شك فيه أيضاً أن هذه الرسومات كانت عرضة للتغير والإضافة وكان هناك أكثر من رسم ، وكل ذلك كان يتم على أوراق البردى وأحياناً على قطع صغيرة من الحجر الجيرى . وللأسف الشديد فقدت معظم هذه الرسومات المعمارية على أوراق البردى ، وبقي ما هو مرسوم على قطع حجارة مثل العثور على رسم لمقبرة رمسيس التاسع على قطعة صغيرة من الحجر الجيرى محفوظة الآن بالمتحف المصرى ^(٣) ، كان يسترشد به ممن قاموا بتنفيذ حفر

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٥ شكل ١٨١ .

المقبرة ، وتشتمل هذه المجموعة المعمارية للملك جسر على تسعة عناصر
هى : (١)

١- الهرم المدرج :

يرجع تاريخه إلى حوالى عام ٢٧٨٠ ق.م وتم تشييد الهرم المدرج بعدة
مراحل فقبل أن يشيد العمال المصطبة الأولى ، حفروا بئرا فى الصخر عمقها ٢٨
مترا وطول كل جانب من جوانبها سبعة أمتار . وفى أسفل البئر شيّدوا حجرة دفن
مستطيلة الشكل من أحجار الجرانيت ، كما فتحوا نفقا يتجه نحو الشمال يزيد طوله
قليلًا على العشرين مترا بحيث يكون مدخل هذا النفق خارج مبنى المصطبة الأولى .
وحجرة الدفن نفسها لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق فتحة مستدير فى سقف تلك
الحجرة . وكانت الفتحة مسدودة بسدادة كبيرة من الجرانيت تزن أكثر من ثلاثة
أطنان وارتفاعها متران .

وقطعوا فى الصخر ، حول حجرة الدفن أربعة دهاليز ، كلها تتصل
بممرات ، وقد أعدت ليوضع فيها المتاع الجنائزى والأوانى الكثيرة التى كانت تدفن
مع الملك . كانت المصطبة الأولى من مبنى الهرم المدرج أول مقبرة ملكية مربعة ،
وكان طول كل ضلع منها حوالى ٦٣ مترا ارتفاعها ثمانية أمتار ، وقد شيّدت من
الحجر المحلى الذى قطعوه من محاجر سقارة . وأدخل أكثر من تعديل على بناء بدن
الهرم ، وهذا التعديل هو امتداد بدن الهرم فى الناحيتين الشمالية والغربية وزيادة عدد
المصاطب من أربع إلى ست . وأصبح طول قاعدة الهرم حوالى ١٤٠ مترا من

(١) أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٦٤ أشكال ٩ - ١٧ ؛ د. أنور
شكري : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ - ٢٩٧ أشكال ١١٣ - ١٢٢ ؛ د. رمضان
السيد : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية رقم ١٦ ، هيئة
الآثار المصرية ١٩٨٨ ، ص ١٨٦ - ١٩٠ .

الشرق إلى الغرب ، وحوالى ١١٨ مترا من الشمال إلى الجنوب ، وأصبح ارتفاعه حوالى ٦٠ مترا (١) . أما الكساء الخارجى فقد كان من الحجر الجيرى الجيد الأبيض الذى حصلوا عليه من محاجر طره .

وأول من دخل الهرم هو القنصل الألمانى فون مينو تولى عام ١٨٢١ ووصل إلى الدهاليز التى فى أسفل الهرم واكتشف عدة أشياء هنا أهمها إحدى الحجرات التى كسيت جدرانها بقوالب صغيرة من القرميد الأزرق اللون وعثر على أجزاء من مومياء الملك جسر نفسه ، واستمرت الحفائر فى داخل الهرم حتى عام ١٩٢٤ حيث عثر فيرث على دهاليز أخرى أسفل الهرم مليئ بأوانى مكدسة بعضها فوق بعض قدر عددها بما لا يقل عن ٣٦ ألف إناء من المرمر والجرانيت والديوريت والبرشا والشست (الاردوز) وغير ذلك من أصناف الحجر (٢) . ونقش على بعضها أسماء بعض ملوك الأسرتين الأولى والثانية وبعضها اعتبره صاحب الهرم ميراثا له وبعضها الآخر ربما كانت هدايا باسم حكام أقاليمه وكبار موظفيه .

وهناك دهليز رابع يؤدى إلى عدة قاعات ، منها أربع قاعات تكسو جدرانها قراميد صغيرة من القيشانى الأزرق الجميل . والتى كانت تثبت بتقبين صغيرين يمر فيهما خيط من الكتان أو الجلد لتربطهما فى مكانها حتى يجف الملاط . وكانت هذه القراميد تقلد شكل الحصير الفاخر المجدول الذى كانوا يتخذونه فى البيوت ستارا . وفى إحدى الجدران ثلاثة أبواب وهمية تواجه الشرق وتحليها نقوش غاية فى الدقة ، تمثل جسرا يؤدى فيه بعض طقوس عيد سيد .

٢ - المعبد الجنائزى أو معبد الشعائر :

فى الجهة الشمالية من الهرم نجد بقايا معبد ، وإلى الشرق منه نجد حجرة صغيرة ملاصقة لمبنى الهرم نفسه ، ويطلق عليها اسم " السرداب " عثر فيه على

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٣٩ .

تمثال للملك جسر يوجد الآن بالمتحف المصرى ، وضع مكانه نموذجا ليراه زائرو المعبد فى سقارة وكان هذا المعبد مكونا من قسمين متماثلين ، وفيه حمامان لكل منهما حوض فى أرضيته مزود بفتحات ومتصل بقنوات صغيرة لتصريف المياه . وهناك رأى بأن هذا المبنى المشيد بالحجر إنما يمثل جزءا مشابها له فى القصر الملكى كانت تقام فيه بعض الاحتفالات الهامة ^(١) . ورأى بعض العلماء أن وجود تمثال الملك فى سردابه لم يكن أكثر من هاد لروح صاحبه عندما تهبط من الركن الشمالى فى السماء ثم تتجه إلى معبد الشعائر لتتعم بالقرايين والطقوس المقدمة فيه .

٣ - بيتا الشمال والجنوب :

وهما بناءان مصمتان إلى حد كبير ، يشبه أحدهما الآخر ، ولكل منهما واجهة من حجر جبرى جيد أملس ، ويكتنفها سندان بينهما أربعة أساطين مقناة ويعلو المدخل إفريز من الزخرفة ، وكانت الواجهة مقوسة فى أعلاها . وفى كل بيت دهليز ضيق يؤدي إلى مقصورة فى جدرانها مشكوات صغيرة ، وغلى يمين كل منهما جدار كان يحلى واجهته فى بيت الجنوب اسطون صغير فى شكل نبات اللوتس ^(٢) ، وتحلى الجدار الجانبى لواجهة بيت الشمال ثلاثة أساطين جميلة فى شكل غصن البردى . ويعتقد أن هذين البيتين إنما يمثلان قاعتي عرش كان الملك فى العصور السالفة يقضى فيهما بعض الوقت ويدير شئون البلاد منهما ؟

وعثر على جدران هذا المبنى على عدة كتابات بالهيراطيقية منها نص لشخص يدعى ثاى عاش فى عهد الملك توت عنخ آمون . وجاء كاتب آخر من الأسرة الثامنة عشرة ويدعى أحمس بن بتاح وذكر أنه جاء إلى هذا المكان ليرى معبد الملك جسر ووجده كأنما السماء قد حلت فيه وأن المعبود رع يشرق فيه ^(٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

٤- فناء عيد سد :

عبارة عن فناء رحب واسع حفت بجانبيه مقاصير ضخمة ، شيدت الغربية منها بأسماء معبودات الوجه القبلى ، وشيدت الشرقية منها بأسماء معبودات الوجه البحرى . وتتصدر الفناء منصة حجرية متسعة ترتفع عن الأرض بنحو المتر . ويؤدى إلى سطحها درجان فى واجهتها الشرقية . وكانت تعلوها مظلتان تضم إحداهما عرش الوجه القبلى وتضم الأخرى عرش الوجه البحرى . ولم يتبق من قاصير هذا الفناء غير أطلال تتم عن مهارة صانعيها . وكانت تتصدر واجهاتها أساطين محدبة المقطع تحليها فى أعلاها دلايات مشكلة فى الحجر على هيئة أوراق الشجر . وأقيم للملك تمثالان كبيران على منصتين مرتفعتين فى مقدمة المقاصير . وربما كان له كذلك تمثال صغير فى كل مقصورة مع تمثال المعبود ، وفى المقصورة الأخيرة الغربية لفناء عيد سد ، عثر على أربعة أزواج من الأقدام ربما كانت تمثل الملك مع زوجته وابنتيه . (١)

٥- الجوسق الملكى الصغير :

عبارة عن قصر صغير أو استراحة تقع فى جنوب فناء عيد سد ، كان يستريح فيها الملك بعد كل طقس يؤديه . ويبدو أنه كان استراحة للملك يستبدل فيها ملابسه وشاراته خلال أداء الطقوس الدينية أو انه كانت تؤدى فيه بعض الطقوس أثناء الاحتفال بشعائر عيد سد . ويحتوى هذا القصر على ردهة ذات ثلاثة أساطين قضاه غير مستقلة تعتمد على جدران سائدة من ورائها ، ولكل اسطون قاعدة مستديرة ، وتعلوه ركيزة . ويصل بين الفناء الجنوبى والقصر أو الجوسق قاعدة طريق قصير ستدير نهاية جدارة الأيمن فى شكل ربع دائرة محكمة الاستدارة ليس لها مثيل فى العمارة المصرية وذلك لإعطاء الملك حرية كاملة فى تنقلاته .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٧ .

٦- السور الخارجى :

كان يحيط بالهرم والمبانى الملحقة به سور من الحجر الجيرى الأبيض كان ارتفاعه ١٠,٤٠ مترا وطوله من الشمال إلى الجنوب ٥٤٥ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٢٧٧ مترا ويبلغ سمكه فى بعض مواضعه نحو ستة أمتار ، وله ثلاث عشرة بوابة رمزية ، أى مرسومة فقط على السور ، واستخدام أيمحوتب فى تشييد هذا السور كتلا من الحجر الجيرى الصغيرة ^(١) وشادوا فيه دخلات رأسية متعاقبة أى مشكوات وزخرفوا الجزء العليا من واجهة السور بمربعات صغيرة محفورة قليلة العمق وفى أعلاها إفريز من الصلال (أى الحيات) المقدسة ، ورسوموا فى جوانب السور شكل البوابات أو الأبراج يبلغ عددها أربعة عشر .

٧- مدخل المجموعة :

يوجد مدخل المجموعة فى الركن الشرقى الجنوبى وكان مفتوحا دائما ، ويقود المخل إلى بهو طويل تبرز من جانبيه عشرون ركيزة متصلة بالجدار ارتفاع كل منهما ٦,٦٠ مترا وفى نهاية كل ركيزة عمود . والسقف عبارة عن تقليد لافلاق النخل ^(٢) . وعلى مقربة من نهاية هذا البهو ، وفى الناحية الغربية منه ، نرى قاعة صغيرة مستطيلة يحمل سقفها ثمانى ركائز من طراز خاص . وفى نهاية البهو ممر ضيق فى نهايته ما يمثل بابا نصف مفتوح . وعلى اليمين من المدخل مجموعة من المبانى المهدمة ، ربما كانت مجموعة من المخازن أو مساكن للكهنة والحراس القائمين على الخدمة فى هذه المجموعة المعمارية وملحقاتها .

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

٨- فناء واسع إلى الجنوب من الهرم :

ولسنا ندرى تفاصيل ما كان يتم فيه ولكن ليس من المستبعد انه ارتبط بصورة ما بما يسمى عيد سد .

٩- المقبرة الجنوبية :

كشفت عنها عام ١٩٢٨ ، ونصل إليها عن طريق بئر مربعة طول كل ضلع من أضلاعها سبعة أمتار وعمقها ثمانية وعشرون مترا ، وفي قاع هذه البئر حجر مشيدة من كتل مربعة من الجرانيت طول كل منها ١,٦٠ مترا . وفي هذا البناء عدة دهاليز وممرات جدرانها مزينة بقوالب من الفيانس أو القيشاني ونرى أحد الجدران وقد زين بثلاثة أبواب وهمية عليها نقش يمثل الملك جسر .^(١)

وقد دفنت أسرة جسر على مقربة من هرمه ، إذ نجد أحد عشر بئرا في الناحية الشرقية من الهرم ، وعمق كل منها يزيد على ٣٢ مترا ، وعند أسفل كل بئر منها يمتد دهليز يتجه نحو الغرب تحت المصطبة الأصلية طوله عشرون مترا^(٢) . وقد وصل اللصوص إلى هذه المقبرة الإحدى عشرة ونهبوها ولكن عثر في واحدة منها على تابوتين من المرمر حوى أحدهما مومياء طفل صغير .^(٣)

(١) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢) الجميع عناصر المجموعة المعمارية للملك جسر ، راجع : Vandier, Manuel d'archéologie I, p. 874-938.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ .

هرم سخم خت :

كشفت عنه زكريا غنيم عام ١٩٥٤ فى جنوب غربى هرم جسر ويعتقد أنه لو تم بناؤه لأتخذ شكل الهرم المدرج المكون من سبع درجات . وكشف عن جزء من السور الخارجى الذى لم يتم العمل فيه . وفى مبنى الهرم نفسه كشفت الحفائر عن بقايا مقطوعة فى مصطبتين احتوت على بقايا ثور وبعض الطيور والحيوانات الأخرى وأيضاً اثنتان وستون قطعة صغيرة من البردى المكتوب بالديموطيقية . كما كشف عن مدخل الهرم والدهليز وحجرة الدفن التى عثر بها على تابوت المرمر فارغ .^(١)

ويرى بعض العلماء أنه من المحتمل أن يكون هذا الهرم ضريحاً فقط ، أو ربما كان هو الهرم الذى شيده صاحبه ليدفن ولكنه لم يتمه ، ولم يستخدم للدفن فى أى وقت من الأوقات ، وعلى أى حال فإن أعمال الحفر فى هذا الهرم لم تستكمل حتى الآن . كما أنه لم تحدث أى حفائر فى الأجزاء الأخرى داخل السور الذى يحيط بالمكان .

هرمى زاوية العريان :

تقع بين الجيزة وأبو صير وبها أول هرم بها يسمى بالهرم الطبقي أو الهرم ذى الطبقات ويظن أنه لو تم بناؤه لكان من ست أو سبع درجات . وينسب إلى الملك خع - با رابع ملوك الأسرة الثالثة^(٢) . والهرم الثانى يسمى الهرم الناقص وينسب إلى الملك نب كا خامس ملوك الأسرة الثالثة^(٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٧٦ أشكال ١٨ - ٢٤ ؛ د. رمضان السيد : مصر القديمة ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٦ - ٨٣ شكل ٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٤ - ٩٠ أشكال ٢٧ - ٣٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ شكل ١٢٦ ؛ د. رمضان السيد : مصر القديمة ، ص ١٩٤ .

أهرام سيلا وزاوية الأموات وكوله :

وهى ثلاثة أهرام غير كاملة تقع فى سيلا بالفيوم وزاوية الأموات بالمنيا وكوله أمام مدينة الكاب ، وهى أهرام لم تدرس وتتسبب إلى الأسرة الثالثة أو ربما إلى عصر لاحق من عصور الدولة القديمة .^(١)

هرم حونى فى ميدوم :

يمثل المرحلة النهائية فى تطور طراز الهرم المدرج وهو يخص آخر ملوك الأسرة الثالثة . وكان من بين الأهرام التى عنى بفحصها برنج وفيس فى عام ١٨٣٩ . شيد الهرم على حافة الهضبة ويحيط به سور خارجى مهدم الآن . وفى الجهة الشرقية كان يوجد طريق صاعد وفى نهاية الطريق الصاعد كان يوجد معبد للوادى ، ولكنه موجود الآن تحت الزراعة تحت منسوب المياه الجوفية فى الحقول . وفى الجهة الجنوبية من الهرم بقايا هرم صغير . وفى الجهة الشرقية منه معبد جنائزى صغير له سور خارجى ، ويبلغ ارتفاع الهرم ٩٢ مترا وطول ضلعه ١٤٤ مترا .

هرمى سنفرو فى دهشور :

شيد أول ملوك الأسرة الرابعة هرمين فى دهشور ، أولهما عرف باسم الهرم الجنوبى أو الهرم المنكسر الأضلاع أو المنحنى ، فقد شيد بزاوية حادة أدت إلى تغيير تصميمه فى منتصف المرحلة . ويعد هذا الهرم بأنه وحده من بين أهرام مصر الذى له مدخلان فى الواجهتين الشمالية والغربية . وقد احتفظ هذا الهرم بالكثير من أحجار كسائه الخارجى لصعوبة قلعها . ويبلغ ارتفاعه الأصلي ١٠٥ مترا وأصبح

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩٨ شكل ٣٢ .

الآن ١٠١,١٥ مترا ، وزاوية ميله الأولى هي ٤٥,٣١ أدت إلى ارتفاع ٤٩,٠٠٧ مترا ثم زاوية ميل ثانية هي ٤٣,٢١ أدت إلى ارتفاع ٥١,٠٨ مترا . وفى الجانب الشرقى شيد الملك معبدا جنائزيا ، وهناك طريق صاعد يربط بين المعبد ومعبد الوادى الذى كشف عنه د. فخرى . وإلى الشمال شيد الملك هرما آخر ، ويعتبر أول بناء يتخذ شكل الهرم الحقيقى فى تاريخ العمارة المصرية القديمة . ويبلغ ارتفاعه الأصلي ١٠٤ مترا وأصبح الآن ٩٩ مترا ويسمى أيضا بالهرم الأحمر لأن الأحجار التى شيد منها تميل إلى الحمرة^(١) . وإلى الشرق من الهرم الشمالى انتشرت مقابر عائلة سنفرو ، ومن بينهم بعض أبنائه وبناته . ولم يتم الحفر فى المنطقة حول الهرم الشمالى حتى نستطيع القول أن كان له هو الآخر معبد جنائزى إلى الشرق وطريق صاعد ومعبد للوادى .^(٢)

ارتقى خوفو العرش وكان ابنا لسنفرو من زوجته حتب حرس ، وطبقا للنصوص التى وصلت إلينا فقط كان خوفو رجلا تقيا فيما يخص الديانة وكان يميل إلى ديانة معبود الشمس رع - ربما - على حساب المعبودات الأخرى لأن مانيتون يقول عنه : " أنه كان مبتكرا تجاه المعبودات ، ولكنه على الرغم من ذلك كتب كتابا مقدسا ، اعتبره المصريون من أهم الأعمال " .^(٣)

ويذكر هيرودوت الذى زار مصر فى حوالى عام ٤٤٨ ق.م : أنه قد أغلق كل المعابد وحرم على المصريين تقديم قربانهم^(٤) ، ولكن ربما كان كل ذلك تفسيرا

(١) نعلم أن سنفرو حكم حوالى ٢٤ عاما (من ٢٥٧٥ إلى ٢٥٥١ ق.م) وأن بناء الهرم الجنوبى وملحقاته استغرق ثمانية عشر عاما فهل استغرق بناء الهرم الشمالى ست سنوات ؟ ربما شيد الهرمين فى وقت واحد ، والسؤال لماذا هرمين ؟

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٠٩ - ١٤٣ أشكال ٥٩ ؛ د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، ص ١٩٧ - ١٩٨ . بالنسبة لأهرام الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة والأسرة الثانية عشرة وملحقاتها ، راجع بوجه عام : Vandier, Manuel d'archéologie II, p. 6-200.

(٣) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, p. 61; Beckerath, LAI, p. 932-933.

(٤) Herodote-Thucydide, Oeuvres Completes, Texte Présenté traduit par A. Barguet, Paris 1964, p. 192-193.

خاطئاً لبعض الأوضاع التى أراد أن يطبقها خوفاً بالنسبة لمقاصير القربان فى مصاطب كبار الشخصيات . ولكن كما أن ذكره قد خلدت على مدى الأجيال اللاحقة ، وعبادة روحه قد استمرت أكثر من ألفى عام فيما بعد ^(١) ، فإنه يبدو أن عدم التسامح الدينى قد جاء نتيجة لحرصه الشديد على التمسك بأداء الطقوس وليس نتيجة لتعصب أو كبرياء ، ومن أهم أعماله هو تشييده لهرمه الشهير الذى شرع فيه فى بداية حكمه الذى كان يعد بالأمس واحد من عجائب الدنيا السبع ولكنه يعد اليوم عجيبة العجائب لأن جميعها قد زالت واختفت معظم معالمها وبقي وحده شامخاً فى مكانه ^(٢).

(١) ذكر اسمه على العديد من الآثار ، راجع : Gauthier, Livre des Rois, I, p. 72-83.

(٢) الذى كان يعتبر من أهم عجائب الدنيا السبع القديمة إلى جانب حدائق بابل وتمثال كبير معبودات اليونان (زيوس) فى أثينا و ضريح الملك مرزولوس وزوجته ارتميزيا فى هاليكارنس بآسيا الصغرى (الموزيليوم) و معبد ارتميس معبودة الصيد عن اليونانيين أو كما يسمى (ديانا) وكان مشيداً فى مدينة افيسوس على بعد ٦٠ كم من مدينة أزمير ، وتمثال هليوس معبود الشمس فى جزيرة رودس وكان مصنوعاً من البرونز بارتفاع يزيد على الثلاثين متراً ليرشد السفن إلى ميناء الجزيرة ، وآخر هذه العجائب السبع منارة الإسكندرية ، أنظر : د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٠٨ حاشية (١) ؛ د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ١٠٨ حاشية (١) . وبالنسبة لمنارة الإسكندرية فنعرف أن الذى شيدها هو المهندس المعماري سوستراتوس من جزيرة كيندوس وقد بدأها فى عصر الملك بطلميوس الأول وتم افتتاحها فى عصر بطلميوس الثانى (حوالى عام ٢٨٥ ق.م) واستخدم فيها الحجر الجيرى والرخام والجرانيت وكانت مكونة من ثلاثة طوابق يبلغ ارتفاعها ١٢٠ متراً . وشيد الطابق الأول على شكل مربع وكان يحتوى على ٣٠٠ حجرة استخدمت كمخازن للمعدات ومساكن للعمال . ويبلغ ارتفاعه ٦٠ متراً

وكان أول شاغل لكل ملك فى بداية حكمه وعند صعوده على العرش هو إعداد مقبرته ومتاعه الجنائزى ، وقد اختار الملك خوفو هضبة الجيزة لبناء هرمه فوق مربع طول ضلعه ٢٣٠ مترا فى الأصل وحاليا ٢٢٧ مترا ، ومجموع مساحته

== والثانى له شكل مستدير قام على عدة أعمدة من الجرانيت وتعلوها قبة وتحتها كل يوجد مرآة كبيرة مقعرة تقاد أمامها النيران ويصل ضوءها المنعكس على بعد ١٠٠ ميل ويبلغ ارتفاع هذا الجزء ١٥ مترا . وكان يعلو هذه القبة تمثال للمعبود " بوزيدون " إله البحار ويبلغ ارتفاع القبة والتمثال معا ١٥ مترا . وظلت المنارة مستخدمة حتى الفتح العربى عام ٦٤٢م . ولكنها تعرضت لكارثتين : أولهما حدثت عام ٧٠٠ عندما سقط الجزء الذى يحتوى على المرآة فى البحر . وفى عهد أحمد بن طولون عام ٨٨٠م تعرض الطابق الثانى للهدم بدعوى أنه كان يوجد كنز للإسكندر الأكبر تحت القبة ولكن حدثت عملية ترميم لهذا الجزء عام ٩٨٠م وزار أبو الحجاج الأندلسى بقايا هذا الجزء وأخذ أبعاده بدقة متناهية عام ١١٦٦م . وحدثت الكارثة الثانية فى ٨ أغسطس عام ١٣٠٣م عندما تعرض ما بقى من المنارة لزلازال قوى أدى إلى سقوط بقية أجزائها وسجل تاريخ هدم المنارة فى سجل كنيسة فى مونييه . وقام لوصف هذه البقايا المعمارية ابن بطوطة فى إبريل عام ١٣٢٦ . وفى عام ١٤٨٠ شيد السلطان قيتباى قلعة مكان المنارة . وتم استخدام ما بقى من المنارة من قطع حجرية من الجرانيت فى بناء البرج الرئيسى للقلعة مستخدمين فى ذلك أساسات المنارة القديمة اعتقادا منهم أنها بنيت منذ آلاف السنين لذلك تعد أصلح أساسات للبرج الرئيسى لهذه القلعة ، كما استخدمت بعض الأعمدة الجرانيتية فى صلب بناء جدران هذا البرج ويمكن مشاهدتها بالعين المجردة وكذلك فى بوابة القلعة . وكانت أبعاد الطابق الأول للمنارة الأصلية تبلغ ٣٠ × ٣٠ وهذا ما يتفق تماما مع أضلاع البرج الرئيسى للقلعة ، راجع :

A. Bernand, Alexandrie la Grande; Hachette (Paris) 1996, p. 103-111; Sur le Phare en général cf. la Bibliographie., p. 340-341; Breccia, Alexandria and Agypyum, Bergamo, 1922, p. 107-110.

تبلغ حوالى ٥٤ ألف متر مربع ، وعلى هذه القاعدة شيد الهرم الذى بلغ ارتفاعه الأصلي ١٤٦ مترا ، ويبلغ ارتفاعه اليوم ١٣٧ مترا فقط واستخدم بنائه مليونين وثلاثمائة من كتل الأحجار الجيرية ويشمل ذلك أحجار الكساء الخارجى ، وفى الطبقات السفلى من البناء نجد أن أغلب الكتل تزن حوالى طنين أو أكثر ، وتم نقل بعض هذه الكتل عبر النيل من المحاجر التى تقع على الجانب الشرقى فى طره ، وذلك فترة الفيضانات عندما يصبح الوادى شبه بحيرة ، ثم تنقل على زحافات على الهضبة وتوضع فى أكوام متراسة لاستخدامها فى البناء استخدمت فى عملية البناء ستة ملايين طن من الحجارة .

ونقرأ هنا وهناك عن قسوة بعض ملوك مصر القديمة ، وإجبارهم أفراد الشعب الذين سخرُوا للعمل تحت نير السوط لتشييد الأهرام^(١) ، ولكن كل من يقرأ المزيد عن الحضارة المصرية سوف يوقن تماما أنهم كانوا أكثر إنسانية وأكثر احتراما للحياة الإنسانية من أى بلد آخر فى الشرق القديم ، وفى كل البلاد التى وجدت فيها قسوة ينعكس ذلك فى رسوماتها ونقوشها ، ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لتلك القسوة ؛ فكل شئ مصور بطريقة ملائمة ومناسبة - بل ومحبية .

يمثل بناء الأهرام قمة ما وصل إليه الإنسان المصرى القديم من فكر وعلم ، ولا يمكن أن يكون هذا الإنجاز المعمارى الفريد والدقة المتناهية فى البناء ، قد تم

== مرجع أمدنا به د. فوزى الفخرانى Riad, Alexandrie, guide archéologique de la Ville, p. 19-22 Fig.2

د. هنرى رياض : فى تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور ، محافظة الإسكندرية ١٩٦٣ ، ص ١٣٦ - ١٣٩ .

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١١٢ - ١١٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١١١ .

بالسخرة ، ولكنه عمل جماعى علمى وفنى وثقافى ^(١) ، ولا مكان فيه للمعبودات والاضطهاد ، فالسخرة ، لا تبنى أهراما ولا تحقق المعجزات بهذه الصور المتكاملة مجموعة من عوامل تتمثل فيما يأتى :

- محاولة إبراز الولاء للملك فى شكل عمل معمارى ضخم محسوس
- وضع خطة هندسية محكمة التصميم لابد وأنه تم اختيارها .. من بين خطط أخرى عديدة درست بعناية .
- تنفيذ هذه الخطة عن طريق إنشاء أجهزة فنية وإدارية وتوفير الأيدى العاملة الماهرة ، ومكافأتها على ذلك ورعايتها وتوفير أسباب الأمن لها وتحقيق العدالة الاجتماعية لها .
- إتقان إخراج هذا العمل الضخم بصورته النهائية التى تتحدى القرون وليس الأعوام ، وتتحدى أيضا عوامل الزمن التى لم تؤثر فى شموخها وعظمتها كعمل جماعى متكامل على ذكاء الإنسان المصرى .

ولا يمكن أن يحدث هذا كله فى ظل نظام يدعى البعض أنه استخدم " السخرة " أو إجبار الفلاحين والعمال المصريين على العمل لأن الإنسان المجبر لا يمكنه أن ينجز عملا رائعا وإذا أنجزه فإنه لا يمكن أن يخرج بمثل هذه الدقة والإتقان ^(٢) . لقد حقق المصرى القديم هذه المعجزة المعمارية بأبسط الوسائل لقطع

(١) ويذكر د. سليمان حزين فى مؤلفه " مستقبل الثقافة فى مصر العربية ، دار الشروق ، ص ٢٤ > ان بناء الهرم الأكبر وأمثاله من اثار هذا الشعب الخالد إنما كان من عمل مهندسين وفنانين وعمال يفهمون حقا ما يفعلون . ويحبون حقا ما يفعلون ... كانوا جميعا أهل ثقافة ، وكان عملهم عملا فنيا وثقافيا قبل أن يكون مشروعا إنشائيا عاديا " .

(٢) فى الفصل رقم ١٢٥ من فصول كتاب الموتى الخاص بإعترافات المتوفى ، يقرر المتوفى فى الفقرة رقم ٦ " أنا لم أجبر الناس على عمل (ما هو) فوق طاقتهم فى أى يوم " ارجع ببير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٤٨٤ حاشية (٥٣) .

الأحجار وصقلها ورفعها لأن " البكرة " لم تكن معروفة في مصر قبل العصر الروماني (١).

ولا يمكن أن يتم مثل هذا العمل المعماري الضخم بكل الكمال والجلال والعظمة بغير حب ، هذا الحب والتفاني تشعر به . ويحدثك ببديع صنع الصانعين الذين أعطوا الحجر الحب فأصبح ناطقا بالحياة لأنهم أعطوه حياتهم وقبسا من عشقهم ، وكل حبهم وصاروا مبدعين ، فالحرفيون خلدوا حرفتهم في هذا البناء .

إن سمة الكمال هي السمة التي تتسم بها كبرى المنجزات المعمارية فوضع أحجار الهرم الأكبر بلغ درجة من الإتقان لدرجة أنه صار من المستحيل على المرء أن يدخل بينهما نصل سكين (٢).

وإذا وضعنا كل هذه العوامل في الاعتبار فمن السهل علينا أن نفهم أنه في خلال ثلاثة أشهر من فصل الفيضان السنوي ، لا يستطيع المزارع المصري القديم أن يعمل في الحقل ، وفي أثناء هذه الفترة أيضا ، كانت هناك أعداد كبيرة من العمال يمكن استخدامهم في البناء دون أن يؤثر ذلك على رخاء البلاد واقتصادها . فهناك في الواقع ، التقارير المسجلة التي تدل على أنه كان يستخدم للعمل مئات الآلاف من العمال كل عام خلال الثلاثة شهور هذه ، وقد انتهى من العمل في بناء الهرم بعد عشرين عاما ، ويذكر هيرودوت أن الهرم الأكبر بنى أولا على هيئة سلالم أي مدرجات وأن الأحجار الأخرى رفعت بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة (٣) .

(١) د. أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٢) فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتي) ص ٣٣٦ .

(٣) عن التشابه بين هذه الألواح الخشبية التي ذكرها هيرودوت وفعل " يرفع إلى

أعلى " (wts / tsy) ، راجع : الدراسة التي قام بها حديثا : Deaton, in DE (1989), p. 5-7.

وعن استخدام الحبال في بناء الهرم الأكبر ، راجع :

Hansen, Akten, Munchen 1985, p. 45-52.

ويذكر هيرودوت بهذا الخصوص (11, 124-125) :

" جلس على العرش خيبوس الذى انغمس فى جميع وسائل الشرور ، فأغلق المعابد ومنع المصريين من تقديم القرابين فارضا عليهم جميعا العمل من أجله ، وكان يفرض على بعضهم جر كتل من الأحجار من المحاجر فى سلسلة من تلال الصحراء الشرقية حتى شاطئ النيل .. وكان يقوم بهذا العمل بصفة مستمرة مائة ألف شخص يعملون لمدة ثلاثة أشهر ثم يحل مكانهم غيرهم ، وقد احتاج بناء الطريق الصاعد الذى استخدموه فى نقل الأحجار إلى عشرة أعوام من ظلم الناس ، وهم عمل لا يقل فى رأى عن بناء الهرم نفسه ، وقد استغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما " . واستمر قائلا : " هناك نقش على جدران الهرم كتب بالمصرية كميات الفجل والبصل والثوم التى استهلكها العمال الذين شيدوه ، واذكر جيدا أن المترجم الذى قرأ له هذه الكتابة قال : أن المال الذى صرف فى هذا السبيل كان ١٥٠٠ تالنت وزنة من الفضة " .^(١)

ويبدو أن هيرودوت قد اصطحب معه فى جولته أحد التراجمة المصريين الذى كان يجيد الحديث باليونانية ولكن لا نعرف مدى ثقافته أو معلوماته .

وكان الحجر الجيرى يسوى بأزاميل من نحاس يطرق عليها بمداق من الخشب السميك ، وإذا كان الحجر الجيرى شديدا فقد كان يستعان فى صقله بمصاقل من حجر شديدة الصلابة من الطران (الصوان) أو بأدوات من الحديد أيضا ^(٢) ، وكانت الأحجار الصلبة تسوى بسحقها بكرات من الكوارتزيت وتصلق بمصاقل من حجر الجرانيت أو البازلت أو الكوارتزيت ^(٣) .

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ وأيضا :

Guides Bleus : Égypte, p. 159; Herodote-Thucydide, op. cit., p. 193-194.

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

وكانت هذه الكتل ترفع بعد صقلها على زحافات بطول منحدرات ملتوية ،
شيدت مؤقتا من الطوب المجفف على الأوجه الأربعة الخارجية للهرم .^(١)

ويذكر ديودور الصقلي الذى زار مصر فى عام ٥٩ ق.م . أن بناء الهرم
كان يتم بإقامة تلال من التراب ، ويبدوا أن المقصود من ذلك هى الجسور التى كانت
تتقل عليها الأحجار ، وكان وضع العقل يساعد فى إنزال الأحجار من الزلاقات وفى
تحريكها إلى الأماكن التى يراد وضعها فيها ، وتدل على ذلك نقر صغيرة فى
الأحجار الكبيرة كانت تعد لتستقر فيها أطراف العقل ^(٢) ، وكانت كل كتلة تستلزم
بدون شك مجهود ثلاثين عاملا ، وإذا كان يوضع بمعدل ١٢٠٠ كتلة فى اليوم ، لذا
فإن العمل كان يحتاج إلى ٣٦ ألف عامل يوميا لكل واجهة من الأوجه الأربعة
للهرم ، أى للأوجه كلها يحتاج العمل إلى حوالى ١٤٤ ألف عامل .

وإذا صدقنا هذه الأعداد من العمال فكان من المفروض أن يضعوا كتلة كل
يوم ، وربما كان هناك ما بين ١٤ ، ٢٠ منحدرًا ملتويا على كل واجهة ، وكان
يتناوب العمل حوالى ثلاث مجموعات تلى إحداها الأخرى على الممر المنحدر وكانت
كل كتلة توضع على زحافة أو زلاقة من الخشب ذات جذوع متحركة من تحتها سهلة
الشد أو الجذب ، وذلك بسبب صب الماء أمامها مما يساعد على عملية الدفع و
الجذب ^(٣) ، وكان قطع الكتل مستمرا طوال العام ، وكان يستخدم فى كل فصل
حوالى ١٠٠ ألف كتلة ، لذلك كان لابد من استخراج ٢١٠٠ كتلة فى الأسبوع أى
حوالى ٣٠٠ كتلة كل يوم ، وهو ما كان يقوم به المئات من عمال المحاجر أيضا .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ شكل ٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

(٣) عثر بالقرب من هرم سنوسرت الثانى فى اللاهون وهرم سنوسرت الثالث فى

دهشور على ما يدل على استخدام هذه الزلاقات ، راجع : د. أنور شكرى :

المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٢٦ شكل (٤) .

ويبدو أن الهرم كان يبنى من نواة وسطى تتضمن الغرف الداخلية ، تضاف إليها فى جوانبها الأربعة إضافات جانبية تميل بزاوية قدرها ٧٠ درجة ويعتقد أيضا أنه كان يتم بناء دهاليز والحجرات الداخلية قبل بناء المداميك التى تحيط بها ، وأن التابوت والمقابر التى تسد حجرة الدفن كانت تأخذ مكانها قبل أن يتم جدران الأماكن التى كانت توضع فيها .^(١)

وتظهر براعة النحات المصرى والبناء كذلك فى بناء الدهليز العظيم والممرات الداخلية والحجرات الداخلية التى تدل على قدرة وحسن تصرف لا يمكن قياسه لأن تلك الكتل موضوعة وملصقة بطريقة غاية فى الإتقان والبراعة .^(٢)

وقد بلغت دقة القياس فى البناء أقصى حد فى الهرم ولا سيما تحقيق النسب فى تخطيط البهو العظيم الذى يؤدى إلى حجرة الدفن .^(٣)

ويعتقد علماء الآثار أن التصميم الأول للهرم كان أصغر من ذلك ، فقد بدأ البناء بحفر حجرة دفن تحت الهرم وهى حجرة صغيرة ، ومنحوتة فى الصخر بطول حوالى ٣٠ مترا ولم يكتمل بناؤها ويبلغ أبعادها ٨,٢٨ × ٥,٣ مترا ، ثم عدل عن ذلك وشيدت حجرة أخرى تسمى حاليا حجرة الملك ذات سقف مسطح ويتكون سقف هذه الحجرة من أحجار جرانيتية طويلة موضوعة أفقيا فى الاتجاه الشمالى الجنوبى وتزن إحدى هذه الكتل ٤٠,٧٨ طنا^(٤) ويبلغ ارتفاعها ١٥ مترا ، وفى كل من

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٢ - ٣٢٠ .

(٣) د. أنور شكرى ، ص ٤٦٥ ، شكل ٥١ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات

المصرية ، ص ١٤٥ - ١٨١ شكل ٦١ .

وعن المقاسات والأبعاد فى الهرم راجع الدراسة الحديثة التى قام بها :

Legon, in DE 17 (1990), p. 25-34.

(٤) د. زاهى حواس : معجزة الهرم الأكبر ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ ،

ص ٦٣ ، ٦٨ .

حائطها الشمالى والجنوبى فتحة توصل كل منها إلى مسلكين غير منتهيين ، وفى جدار الحجرة الشرقى كوة كبيرة لها سقف متدرج ، ثم عدل عن هذا التصميم الثانى إلى آخر وهو الأخير ، فبنيت حجرة ثالثة أعلى من الحجرتين السابقتين والخاصتين بالمشروع الأول والثانى التى تسمى خطأ بحجرة الملكة ، ويصل الزائر إلى هذه الحجرة عن طريق ممر طويل يبلغ طوله ٤٧ مترا وارتفاعه ٨,٥٠ متر ، وقد غطى بسقف متدرج ، وبالطريق العلوى للممر فتحة تؤدى على حجرات خمس شيدت فوق بعضها لتخفف الضغط على حجرة الدفن ، واكتشفت هذه الحجرات عامى ١٨٣٧ و ١٨٣٨ ، وارتفاع كل حجرة من هذه الحجرات مترا واحدا ، وقد غطى سقف كل منها بكتل من الجرانيت ، وعثر فى أحد هذه الحجرات على نص مكتوب ، جاء فيه ذكر السنة السابعة عشرة من حكم خوفو ، وهى كل ما أمكن معرفته حتى الآن من نصوص هيروغليفية فى هذا الهرم . وينتهى بعد ذلك هذا الممر الصاعد بممر أفقى بنى من الجرانيت الأحمر على شكل ألواح والتى يغلق بها الممر الذى ينتهى بحجرة الدفن الخاصة بالملك التى كسيت حوائطها وسقفها بالجرانيت الأحمر وأبعادها ١٠,٨٠ × ٥,٢٠ متر .

ويقع التابوت من الجرانيت فى الجزء الغربى من الحجرة بدون غطاء وخال من أى نقش وبدون شك أنه كان يحوى تابوتا آخر من الخشب ويقع هذا التابوت على بعد ٢,٥٠ متر من فتحة البهو العظيم مما يؤكد أنه وضع فى مكانه قبل تشييد جدران حجرة الدفن .^(١) ، وبكل من الحائط الشمالى والجنوبى للحجرة فتحة صغيرة تمر وسط بناء الهرم حتى تصل إلى سطحه الخارجى من ناحيته الشمالية والجنوبية ، ويستطيع الزائر أن يشعر بالهواء المتجدد الداخل من هذه الفتحة^(٢) ، والتى يبلغ

(١) المرجع السابق ، ص ٦٩ شكل (٦) .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ؛ وقبل وضع الأحجار فى أماكنها التى أعدت لها كانت تتعرض لعدة ترتيبات ، راجع :

Varene, Sur la Taille de la Pierre antique, medievale et moderne, Centre de Recherches sur les Techniques Greco-Romaines, Université de Dijon, no 13 Dijon, 1974, p. 5.

اتساعها ٢٠ × ٢٠ سم واكتشفت هذه الفتحات للتهوية عام ١٨٩٨ .

ويقع المدخل فى الجانب الشمالى للهرم على مستوى مرتفع قليلا ، وبعد عملية الدفن كان هذا المدخل يغطى بالكساء الخارجى حتى لا يظهر مكانه على الوجه المصقول له والذى لا يمكن تسلقه ، وهذا المدخل غير مستعمل حاليا ، أما المدخل الذى يدخل منه الزوار فهو الذى يعرف بمدخل الخليفة المأمون ، إذ أنها فتحة قام بها عمال الخليفة فى القرن التاسع الميلادى فى عام ٨٢٠م^(١) . وفى المدماك السادس ، وبعد مسافة ٢٦ مترا تتصل هذه الفتحة بالممر الأصلى وبقية الممرات الأخرى .

وقد غطيت الأوجه الخارجية للهرم بكساء خارجى من كتل محددة بدقة وملصقة بمهارة ، وكان هذا الكساء الخارجى من الحجر الأبيض الجيد ويعنى البناءون بتسوية سطحه الظاهر من أعلى إلى أسفل^(٢) .

وكان يحيط بالهرم سور عظيم من الحجر الجيرى^(٣) . والشكل الهرمى للمقبرة الملكية ، وإن كان نتيجة تطور معمارى منذ عهد جسر ، إلا أنه اقترن فى تصور المصريين القدماء بالحجر المقدس بنين ، الذى كان يرمز إلى الأكمة الأولى التى استقر عليها معبود الشمس ، وهكذا يكون الملك المتوفى قد دفن فى أبرز مكان

(١) يذكر المقرئ أن الخليفة المأمون بن هارون الرشيد هو الذى أمر بفتح الهرم فى الجزيرة ظنا أنه يضم كنوزا دفينة ، راجع : د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ٩-١٠ ؛ بيل شول وإديتيت : سر قوة الهرم الأكبر (ترجمة أمين سلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣ ، ص ٣٧ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٦٩ ؛ وأيضا : Guides Bleus: Egypte, p. 160.

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، كان يطلق على الهرم لفظ مر منذ عصر الدولة القديمة (Wb 11, 94, 14) وعلى هضبة الجزيرة أسم جرى (Wb 111, 143, 12) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

على الأرض ، ويرى العلماء أن جوانب الهرم المائلة تشبه أشعة الشمس المائلة والتي بفضلها يرقى الملك المتوفى أو روحه إلى عالم السماء ^(١) . وكان هرم خوفو يسمى " آخت خوفو " أى أفق خوفو ^(٢) . وتكوين وبناء هذا الكم من الأحجار يعتبر معجزة فى التنظيم والترتيب يدل على قدرة وصبر ومهارة العامل المصرى ، وكان لابد لعمال لهم ، كان هناك فريق خاص من العمال لإعداد الطعام ، وفريق آخر لجلب الماء اللازم للشرب أو الاغتسال . كما كانت تصرف لهم الملابس والأدوات اللازمة للعمل من مخازن الملك . ^(٣)

وربما استخدموا فى إقامة مثل هذه الأهرام وسائل أخرى علمية لم يتوصل علماء المصريات بعد إلى الكشف عن أسرارها . ^(٤)

ومما قاله ديودور الصقلى فى القرن الأول ق.م عن الأهرام المصرية :
 " وافقت الآراء على أن الأهرام لم تحظ فى مصر بذلك المركز الممتاز لضخامة بنائها وبهاظ تكاليفها فحسب ، بل لقدة بنائها أيضا ، ومهندسو المشروع أولى بالإعجاب فيما يقال عن الملوك الذين دبروا المال لإنجازه ، لأن المهندسين استنفذوا

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ - ٣١٩ ؛ وأيضا :

Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 140.

Gauthier, Livre des Rois I, p. 72; Helck, in LAV, p. 5. (٢)

(٣) د . أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٥ - ٢٦ ؛ وأيضا :

Hoelscher, Das Grabdenkmal des konigs Chephren, Leipzig 1912, p. 15; Vandier, Manuel d'archéologie II, p. 28-86; Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 37-39; Stadelmann, in LAIV, p. 1227-1231.

(٤) عن مختلف الآراء بالنسبة لكيفية تشييد الهرم الأكبر ، راجع ما كتبه وما جمعه

حديثا د. زاهى حواس فى مؤلفه : معجزة الهرم الأكبر ، الهيئة العامة للكتاب ،

٢٠٠٤ ، ص ٤١ - ٥٧ .

فى إنجاز المشروع أرواحهم وهمهم ، بينما استغل الملوك الأموال التى ورثوها ومجهودات الآخرين " (١).

وقد يتساءل البعض ألم يكن أولى بملوك الدولة القديمة أن يعملوا على توجيه الجهود التى بذلها رعاياهم ومهندسيهم ورؤساء عمالهم فى تشييد أهرامهم إلى نواح عمرانية أخرى أو مشاريع أخرى يعم نفعها على الناس ؟

ليس لنا أن نحكم بمنطقنا الحالى على مثل هذه المشروعات . فالواقع أنه كان لكل طائفة من الحاكم ميول . منها النافع ومنها الضار . فقد عرف عن الأباطرة الرومان حب البطش والجبروت . وعرف عن ملوك وأمراء العصور الوسطى بذل جانب من موارد بلادهم فى بناء القصور . وكانت رغبة ملوك الدولة القديمة هو توجيه جانباً كبيراً من موارد بلادهم إلى بناء الأهرام الضخمة فى الجيزة وأبو صير وسقارة ودهشور والفيوم . وقد ابتغوا من وراء ذلك نعيم الدنيا وحب الآخرة . وقد يكون من وراء هذا الصرح المعماري أغراض أخرى نجهل أهدافها حتى الآن .

وحول الهرم كانت هناك مدينة حقيقية للموتى . فقد خصصت الناحية الشرقية من الهرم لأفراد عائلته . فنرى فى أول صف قريب من ضلع الهرم الشرقى وثلاثة أهرام صغيرة لأم خوفو وزوجتين من زوجاته ثم نرى مقابر أبنائه وأخوته وغيرهم من عائلته فى صفوف مترامية ، وكان لكل هرم صغير مقصورة بها باب وهمي (٢).

أما فى الناحية الغربية من الهرم فقد دفن عدد كبير من الأشراف ، والنبلاء ورجال البلاط وكبار رجال الدولة من وظيفين وإداريين وكهنة فى مقابر أو مصاطب

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٧ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .
 (٢) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢١ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٦٢ شكل ٦٥ - ٦٧ .

فى صفوف بينها طرقات مستقيمة . وكان لكل مقبرة مقصورتها الجنائزية ، ومن بين هذه المصاطب مقبرة " حم ايونو " الذى كان مشرفا على بناء الهرم والذى ربما كان يمت بصلة قرابة للملك خوفو . (١)

وعثر فى مقبرة أو مصطبة حم ايونو على جزء أعلى من تمثاله موجود الآن فى متحف هيلدز هيم بألمانيا الغربية . (٢)

وقد بدأت دراسة موقع الأهرام بالجيزة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ومن بين المكتشفين الأوائل كان كافيجليا Caviglia وبلزوني Belzoni الذى دخل الهرم الثانى عام ١٨٢٠ وفيس Vyse عام ١٨٣٧ وبرينج Perring ولبسيوس Lepsius وأعضاء البعثة الروسية التى عملت هناك فى بداية عام ١٨٤٠ . وقامت بكتابة نقش بالهيروغليفية فوق المدخل الرئيسى للهرم وذلك بمناسبة الذكرى لعيد الجلوس لملك بروسيا فيلهلم الرابع . وقد قلد لبيسيوس أسلوب البروتوكول المصرى القديم فسمى ملك بروسيا " ملك مصر العليا والوجه البحرى " (٣) وهو نقش مقلد وليس قديما بالطبع حتى لا يخدع البعض فى حقيقة أمره . كما عمل ماريت وبترى بنشاط فى الموقع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن . (٤)

(١) يعتقد يونكر وريزنر أنه هو مهندس الهرم الأكبر ، وهو ابن أخ خوفو أو أبن عمه ، وتلقب بألقاب " المهندس الملكى ومدير المنشآت المقدسة كلها " ، راجع : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦١ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٨٢ ، ص ١١٣ حاشية (١) ؛ Helck, in LA 11, p. 1117.

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١١٥ ، ١٩٧ شكل ٨ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٦ ؛ د. كمال رضوان : ألما فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية ، ١٩٩ ، ص ١١٤ .

(٤) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 156.

وقد تم عمل حفائر فى مصاطب الجانبين الشرقى والغربى على يدى أعضاء بعثة جامعة هارفارد - بوسطن برئاسة ريزنر وأكاديمية العلوم فى فيينا برئاسة يونكر وبعثة جامعة القاهرة عام ١٩٢٩ فى المنطقة الواقعة إلى جنوب الطريق الصاعد للملك خفرع برئاسة د. سليم حسن . ونشروا مؤلفاتهم عن نتائج هذه الحفائر . كما قام د. أبو بكر بعمل حفائر فى المنطقة نفسها على نطاق ضيق ونشر مؤلفه عنها .

وكان للهرم معبد جنائزى كبير فى الناحية الشرقية منه مازالت بقايا أرضيته من حجر الديوريت الأسود المقطوعة من محاجر فى شمال بحيرة قارون بالفيوم . (١) وفى الناحية الشرقية من المعبد شيّدوا طريقاً ضخماً يصل إلى معبد الوادى الذى لم يكشف مكانه حتى الآن ولا تزال أطلال هذا المعبد مطمورة تحت منازل قرية السمان (٢) . وعلى بعد حوالى ٤٠٠ متراً تقريباً من مكان معبد الوادى من الجهة الشرقية عثر على بطريق الصدفة أثناء حفر أساسات أبراج سكنية بواسطة إحدى شركات الاستثمار فى منطقة نزلة السيلى شرق نزلة السمان على رصيف أثري هو جزء من الرصيف الذى كان يطل على الفرع الثانى للنيل القديم المعروف باسم " النيل الليبى " (نهر قديم لأصله بينه وبين النيل الحالى) ويتقدم معبد الوادى للملك خوفو . وهذا الرصيف الأثري مكون من كتل أحجار جيرية مغطى بكتل البازلت الأسود الذى كان يغطى أرضية المعبد الجنائزى لملك خوفو . ويقع هذا الرصيف على عمق مترين فى الأرض الطينية ويمتد يمينا وشمالا بالأرض التى تملكها الشركة التى تقوم بالبناء . وقمت بمعاينة هذا الرصيف ضمن لجنة شكلت من قبل اللجنة الدائمة للآثار المصرية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٩٤ . ولكن ضاعت معظم معالمه

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٠٦ - ٣٢٤ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع

السابق ، ص ٣٢٠ .

تحت أساسات الأبراج السكنية^(١). بسبب عدم وجود الوعي الأثرى الكافى لدى مهندس المشروع الذى فضل إخفاء أمر العثور على هذا الميناء حتى لا تتعطل أعماله وفضل التضحية بهذا الموقع الهام وما عثر عليه فيه وللأسف الشديد أيضا قام مسئول الآثار فى ذلك الوقت بالتفريط فى هذا الموقع الهام ، واستمرت أعمال البناء حتى قررت اللجنة الدائمة للآثار المصرية التحفظ على ما بقى من سور مدخل الميناء والسماح للشركة باستكمال بناء الثلاث عمائر^(٢).

وقد وصف هيرودوت الطريق الصاعد وقال بأنه عمل لا يقل فى أهميته عن بناء الهرم وحفروا من تحت الطريق الصاعد نفقا ، كان يصل بين الشمال والجنوب من الجبانة دون الاضطرار إلى الالتفاف من وراء الهرم^(٣).

(١) أخيرا نشر خبر هذا الكشف الأثرى العام فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ / ٢ / ١٩٩٧ ، وص ١٣ تحت عنوان : " جريمة أثرية فى الهرم . شركة مقاولات تقيم أبراجا سكنية فوق كشف أثرى معروف بالهرم .

وتحدث د. حواس عن هذا الكشف فى مقال ظهر حديثا تحت عنوان :

Z. Hawass, The Discovery of the Harbors of Khufu and Khafre at Giza, in Etudes sur L'Ancien Empire et la Necropole de Saqqara, Montpellier 1997, p. 245-26.

وتأكيدا لوجود هذا الرصيف كان د. فخرى قد أشار إلى وجود رصيف ميناء عند المدخل الأصلي لمعبد الوادى للملك سنفرو بدهشور ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٢١ .

(٢) د. زاهى حواس : معجزة الهرم الأكبر ، ص ١١٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ . وقد نجح د. حواس فى

تحديد طول الطريق الصاعد لهرم خوفو بحوالى ٨١٠ مترا . وعثر فى نهايته على باقيا أرضية معبد الوادى التى كانت من البازلت الأسود والتى يبلغ طولها

٥٦ مترا ، راجع : Siliotti – Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 56.

وكان هناك هرم صغير للطقوس فى الناحية الجنوبية من هرم خوفو (١) هدم وزالت أحجاره منذ عهد بعيد . وقد كشفت الحفائر منذ وقت بعيد عن ثلاثة حفر كانت معبدة للمراكب الجنائزية فى الناحية الشرقية من الهرم (٢) ، اثنتين فى الناحية الشرقية والثالثة إلى جانب الطريق الموصل إلى معبد الوادى . وعثر فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ على أماكن اثنتين أخريين فى الناحية الغربية (٣) ، تم افتتاح إحداهما واتضح أنها تحتوى أجزاء مفككة عددها ١٢٢٤ قطعة خشبية لمركب ضخم ، وبعد أن تمت معالجاتها بالمواد الكيماوية ، رسمت أجزاؤها وأعيد بنائها وتركيبها (بفضل مجهودات المرمم الكبير أحمد يوسف الذى أمضى أكثر من عشر سنوات فى إعادة تركيبها حتى عام ١٩٦٨ . وتبين أنها مركب طوله ٤٣,٤ مترا وأقصى عرض له سبعة أمتار وارتفاع مقدمته خمسة أمتار ومؤخرته سبعة أمتار . وهو من خشب

(١) وعثر د. حواس على بقايا هذا الهرم الصغير الذى كان يتخذ شكل حرف T فى الركن الجنوبى الشرقى للهرم وكان قد عثر عليه بترى عام ١٨٨١ . كما كان يوجد هرم صغير بهذا الشكل فى الجانب لهرم خفرع ، وعلى بعد من الجانب الجنوبى لهرم الطقوس عثر حواس على ما يسمى بهريم الملك خوفو ، راجع : Siliotti-Hawass, op. cit., p. 56-57.

(٢) قام ريزنر بتنظيف حفرات هذه المراكب شرقى الهرم عام ١٩٢٠ وعثر فى واحد منها على قطع من الخشب المذهب وبعض بقايا حبال ، راجع د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٥٦ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١١٠ - ١١١ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ١٥٦ - ١٦١ شكل ٦٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١١١ - ١١٢ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ١٩٨٤ ، ص ٩٣ - ٩٤ ، وعن مركب خوفو ، راجع الدراسة الحديثة : Lipke, The Royal ship of Cheops, Oxford, 1984; Siliotti- Hawass, op. cit., p. 54-55.

الأرز وله اثني عشر مجدافا . وعثر مع المركب على كمية كبيرة من الحبال التي كانت تستخدم لربط قطع الأخشاب بدلا من المسامير وقطع الحديد ، وتركت الحفرة الأخرى التي تضم المركب الثاني كما هي حتى تم الانتهاء من العمل في إعادة تركيب المركب الأول وإعداد المتحف الخاص به ^(١) . وكان هذا المركب يعد جزءا من أثاث الملك الجنائزي ^(٢) ، وهي مركب رمزي كان من المفروض أن يستخدمه الملك في تنقلاته في عالم الآخرة ولم يثبت إنها أنزلت إلى مياه النيل ، وبالتالي لم يستخدم هذا المركب كما هو معتقد في نقل المتاع الجنائزي وتابوت الملك بعد الوفاة ، ثم يوضع مفككا في حفرة أو حفرتين بجوار الهرم ^(٣) . وقد كان معروفا من قبل ثلاثة

(١) ولكن تم تصويره بواسطة مختبر خاص بالتعاون مع الجمعية الجغرافية العالمية عام ١٩٨٧ واتضح انه مركب مشابه للأول ، راجع : Siliotti-Hawass, op. cit., p. 55.

(٢) تسمية هذه المركب بمركب الشمس ، هي في الواقع تسمية غير دقيقة لأن مركب الشمس هي من خيال المصريين القدماء ، فقد تخيلوا أن معبود الشمس رع يعبر محيط السماء في النهار من الشرق إلى الغرب في مركب تسمى " معنبت " . ثم يجوب عباب العالم السفلي أثناء ساعات الليل في مركب أخرى تسمى " مسكتت " وبعض هذه المراكب كان يستخدم رمزيا في رحلات أخرى جنائزية (راجع : Kitchen, in LAI, p. 619) والبعض ربما كان مراكب حقيقية تستخدم في نقل تابوت الملك ومتاعه الجنائزي من مقر إقامته ثم توضع في حفرة أو حفرتين بجوار الهرم لتكون جزءا من متاعه الجنائزي ، راجع د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ١٩٥ ، وفي هذه الحالة يمكن اعتبار مراكب خوفو مراكب رمزية كاملة العناصر والمعدات ولكن لم يثبت أنها استخدمت على سطح المياه بالفعل .

(٣) كانت الحفرة الاولى جنوب الهرم منحوتة في الصخر وتبعد ١٧,٨٥ مترا عن قاعدة الهرم ، وطولها ٣١,٢٠ مترا وعرضها ٢,٦٠ متر وعمقها ٣,٥٠ متر . وكانت مسقوفة بإحدى وأربعين كتلة كبيرة من الحجر الجيري . وطول كل كتلة ٤,٨٠ متر وعرضها ١,٦٠ متر وسمكها ٨٥ سم ومتوسط الوزن ستة عشر طنا . وكانت أطرافها مرتكزة على شفة خاصة على كل من جانبي الحفرة ، راجع : د. أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، ص ١٥٧ .

أماكن للمراكب فى الناحية الشرقية من الهرم وإلى جانب الطريق الصاعد الموصل إلى معبد الوادى .

ولا يزال الهرم الأكبر أكبر لغز معمارى فى تاريخ الحضارات القديمة لمعرفة حقيقة دوره والغرض من بنائه . فكما تعلمنا وكما نكتب ويكتب أغلب علماء الدراسات المصرية القديمة بأن الهرم الأكبر وبقية الأهرام كانت بمثابة مقابر للملوك . ولكن يستبعد البعض أن يكون هذا البناء الضخم مقبرة فحسب ، منهم من رأى أنه كان بمثابة مخزن كبير لتخزين الحبوب بداخله ، ومنهم من رأى أنه ساعة شمسية عملاقة ، وأنه يستغل لدراسة الفلك وأنه يمثل خلاصة المعارف المصرية القديمة . (١)

وهناك رأى آخر يعتقد أن الأهرام تعتبر كنقطة ثابتة التى تتحدد وتقاس وترصد منها الارتفاعات والمسافات بالإضافة إلى الاستخدامات الحضارية الأخرى

(١) راجع : بيل يول وإد بتيت : سر قوة الهرم الأكبر (ترجمة أمين سلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣ ، اللذان تحدثا عن استخدام الهرم فى عدة مجالات : الهرم صانع المعجزات ، القديم والجديد (ص ٢١ - ٣٤) اللغز التاريخى (ص ٣٥ - ٥٦) الهرم كمجال للطاقة الغربية (ص ٥٩ - ٧٣) ، الأهرام وقوة النبات (ص ٧٧ - ١٠٧) ، الهرم والتأثير فى السوائل (ص ١١١ - ١٢٧) ، الهرم والتأثير فى الجسام الصلبة (ص ١٣١ - ١٤٩) والهرم والقوى الشافية (ص ١٦٩ - ١٨٩) ، والهرم والتأثير فى إعادة الشباب (ص ١٩٣ - ٢٠٩) ، وتحدثنا عن صوت الهرم أو الذبذبات المفيدة فيه (ص ٢١٣ - ١٣١) الهرم وحالات الوعى المغيرة (ص ٢٣٥ - ٢٥٥) ، والهرم والهندسة الخفية وشبكات الطاقة (ص ٢٥٩ - ٢٧٥) ، وأخيرا الهرم كنافذة على الكون (ص ٢٩٣ - ٣٠١) ؛ وأيضا ما جاء من آراء عند د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

كالبوصلة والمنارة فضلا عن الوظيفة العلمية المتعلقة بالفلك والتقويم ، فهي فى رأى البعض أماكن لآزن المعارف وليست أبنية استأخدمت كمقابر .

وقد آرت محاولات كثيرة للوصول إلى حقيقة هذا اللآز بفضل التآدم العلمى والتكنولوجيا . فى عام ١٩٦٦ قامت مجموعة من العلماء الأمريكيين والمصريين بتصوير داخل الهرم الأكبر بالأشعة الكونية لتحديد دور الفراغات وما يوجد خلف الممرات الداخلية .

وفى عام ١٩٨٥ قامت مجموعة من غير المتخصصين والمغامرين فى علم المصريات من فرنسا بتآب بعض أحجار الممر الصاعد داخل الهرم بطريقة فنية للوصول إلى سر اللآز .

وفى عام ١٩٨٧ شك اليابانيون فى وجود آجرة سرية أو أكثر داخل الهرم الأكبر فاستأخدموا السونار واستأخدمت الكاميرات والأآزة الدقيقة التى صنعت فى ألمانيا وسويسرا .

وفى عام ١٩٩١ اكتشف أحد المهندسين الألمان ^(١) وجود ممر طوله ٦٥ مترا متفرع من آجرة الملكة فى وسط الهرم على ارتفاع نحو ستين مترا متفرع ضيق مثل فتحات التهوية يبلغ اتساعه ٢٢ × ٢٢ سم ويستحيل دخول آسم الإنسان فيه ولذلك أدخل المهندس الألمانى فيديو بإنسان آلى صغير الحجم ^(٢) . واكتشف فى نهاية الممر الضيق باب مستطيل له مقابض نحاسية طولها ٤ بوصات ^(٣) وهى أول

(١) يدعى رودلف آانتبرينك Rudolf Gantendrink ، راجع Kerisel, RdE 44 (1993), p. 35-37.

(٢) أطلق عليه المهندس الألمانى اسم وبواوت ٢ ، راجع : Kerisel, op. cit., p. 36 fig (2).

(٣) Kerisel, op. cit., p. 36 Fig (3) .

وينآرنا ذلك بما ذكره د. فآرى بالنسبة لهرم سنفرو الجنوبى بدهشور بأنه لآبد من وجود اتصال بين إحدى آجرات الهرم وآارج الهرم عن طريق أحد الممرات التى تدخل تيار من الهواء الشديد أحيانا ، راجع : د. أحمد فآرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٣٨ .

قطع نحاسية توجد داخل الهرم . ولا بد أنها ليست للزينة لفتح الباب الذى لابد من وجود شئ خلفه فالباب له هدف ولا بد من البحث وراء هذا الباب والكشف عن أسرار ه .

وكانت هناك مخاوف من عدم قدرة الكاميرا الصغيرة على الارتفاع ولكنها ارتفعت بعد إدخالها من فتحة الحجرة المعروفة خطأ باسم حجرة الملكة توازى فتحة التهوية فى حجرة الملك ، والتي اكتشفت عام ١٨٩٨ والتي تنتهى فى الجانب الجنوبى للسطح الخارجى للهرم . وكان ديكسون Dixon قد اكتشف عام ١٨٢٨ أنه يوجد فى هذه الحجرة التى تسمى خطأ بحجرة الملكة قناتان للتهوية تنتهيان فى الجانب الجنوبى والشمالى للهرم وكانت مغطيتان وهما يشبهان قناتى التهوية فى حجرة الملك وهما يقعان على ارتفاع ١,٤٠ متر من أرضية الحجرة وهما يبدأان أفقيا بطول مترين وبعد ذلك ينحدران . ويبلغ اتساع الواحدة ٢٢ سم تقريبا وبعد ذلك بفترة قام بترى بفحص نهاية القناة الجنوبىة بواسطة منظار ولكن لم يحاول اكتشافها حتى جاء المهندس الألمانى جانتبرنيك عام ١٩٩١ (١) ففى مؤلفه الحديث عن " معجزة الهرم الأكبر " يذكر لنا د. زاهى حواس مختلف الآراء التى قيلت بخصوص كيفية بناء الهرم الأكبر كما يذكر لنا فى مؤلفه ما كان به من أعمال داخل وخارج الهرم الأكبر . فحدثنا عن الحجرة الصغيرة المنحوتة فى الصخر بطول ٣٠ مترا أسفل الهرم ، كما تحدث عن المدخل والبهو العظيم وحجرة الدفن الخاصة بالملك وحجرة الدفن الثانية العلوية المعروفة خطأ بباسم حجرة الملكة ، وما بداخل الحجرات الخمس الصغيرة الضيقة التى تعلو حجرة الدفن الثانية . كما تحدث عن الفتحات الصغيرة الموجودة فى الجانبين الشمالى والجنوبى لحجرة الدفن العلوية ، كما تحدثنا أيضا عن أربعة عشر عنصرا معماريا تمثل المجموعة الهرمية للملك خوفو : الهرم ، السور الخارجى ، المعبد الجنائزى ، الأهرام الثلاثة التى تقع إلى الجنوب الشرقى من المعبد الجنائزى ، هرم صغير كان يعلو هرم الطقوس أو الشعائر ، كما تحدث عن أماكن الخمسة

مراكب السرى عثر عليها فى جنوب وشرق الهرم ، الورشة أو مكان التطهير ، الطريق الصاعد ، معبد الوادى ، مدينة الهرم التى كان يعيش فيها الكهنة وبقية المسئولين ، الميناء الذى يقع عند نزلة السيسى ، فم البحيرة وهو العنصر الثالث عشر . وأخيرا تحدث عن القرية التى سكنها العمال ودفناتهم الفقيرة وما عثر بها من بقايا عظمية .^(١)

ويرى د. حواس أن الأهرام الثلاثة الصغيرة التى تقع إلى الشرق من الهرم الأكبر خصصت لعائلة الملك . وفى الهرم الصغير الواقع إلى أقصى الشمال دفنت أمه حتب حرس ويظهر أن الهرم الشمالى قد وضع تصميمه ليبنى فى مكان يبعد بضعة أمتار إلى الشرق من مكانه الحالى . فقد مهدوا الصخر وبدأوا فى عمل الجزء المنحوت تحت سطح الأرض ، ولكن أتضح أن ذلك يتعارض مع تصميم البئر الذى أرادوا أن يعدوها لإعادة دفن المتاع الجنائزى للملكة حتب حرس ولهذا غيروا مكان بناء الهرم قليلا نحو الغرب . وربما لهذا السبب ينسب د. حواس هذا الهرم للملكة حتب حرس . أما الهرم الأوسط فقد دفنت فيه زوجته الرئيسة مريت ايت إس ، أما الهرم الثالث الصغير فقد رمت مقصورته فى أيام الأسرة الحادية والعشرين وأصبحت معبدا للمعبودة إيسه (إيزيس) ودفنت فيه الملكة حنوت سن الزوجة الثانية لخوفو^(٢) وتذكر بردية تورين أنه حكم ٢٣ عاما. ويذكر مانيتون أنه حكم ٦٣ عاما^(٣)

(١) د. زاهى حواس : معجزة الهرم الأكبر ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ ، ص ٤١ - ٥٧ ، ٦١ - ١٠٩ ، ١١١ - ١٢٣ .

(٢) راجع : Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 75-79; Siliotti- Hawass, Guide to Pyramids of Egypt, p. 56. وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠٣ ، د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٤٥ - ١٨١ أشكال ٦٠ - ٧٠ ؛ ١٦٢ - ١٦٦ أشكال ٦٥ - ٦٦ .

Gauthier, LRI, p. 72 (2) n. 2-3.

(٣)

ولكنه حكم تقريبا ٣٢ عاما (١) ، وهكذا شهد إتمام بناء هرمه .

بقايا هرم جدف رع :

إن ترتيب تتابع ملوك هذه الأسرة غير مؤكد ، فلا نعرف مثلا حتى الآن أين يوضع الملك جدف رع ، الابن الثاني لخوفو ، الذى سلب العرش بعد أن دبر مقتل أخيه كاوعب (٢) ، وربما قتل نفسه بعد ذلك . وقد وجد اسمه على الكتل الحجرية التى كانت تغطى المركب الكبير التى عثر عليها جنوب الهرم الأكبر ، مما يدل على أنه أشرف على دفن أبيه (٣) . وقد شيد لنفسه هرما أصغر حجما على بعد بضعة كيلو متر إلى الشمال بالقرب من أبى رواش وكان يحمل اسم " سجدو جدف رع " أى مضئ جدف رع (٤) ولا يزيد ارتفاعه الحالى عن اثنى عشر مترا ، وللهرم معبدان ،

(١) وذلك اعتمادا على نص لوحة عثر عليها فى الواحات وهى تخص الملك خوفو ومؤرخة بالعام ٢٧ من حكمه . وقد عرض د. زاهى صورة هذه اللوحة ولوحة أخرى للملك نفسه عثر عليها فى الواحات أيضا ومثل عليها الملك وهو يقوم بتأديب أسير . واعتمادا على هاتين اللوحتين يرى د. زاهى أن الملك خوفو حكم من ٣٠ إلى ٣٢ عام . وقد أشار إلى هذا فى المحاضرة التى ألقاها فى ندوة الموسم الثقافى للاتحاد العام للأثريين العرب فى ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٤ والتى كانت بعنوان : " المجموعة الهرمية للملك خوفو " .

(٢) Martin-Pardey, in LA 111, p. 378-379

(٣) وقد كتب على هذه الكتلة السنة الحادية والعشرين وهذا يدفعنا إلى اعتقاد أنها كانت قد قطعت فى هذه السنة أو أنها جهزت فى مكانها سنة أو سنتين قبل وفاة خوفو ، راجع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠٦ ، وأيضا : Baines-

Malek, op. cit., p. 140 .

(٤) يعطى جوتبيه اسما آخر هرم جدف رع هو : حرمر أى الهرم العلوى " ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨٦ - ١٩١ شكل ٧٢ ؛

Gauthier, Livre des Rois I, p. 83 (3); LA IV, p. 1231-1232;

Helck, in LAV, p. 5.

وتوجد حفرة على هيئة مركب منحوتة في الصخر تقع إلى الشرق من الهرم طولها ٣٥ مترا وأكبر عرض لها ٣,٧٥ متر وعمقها ٩,٣٠ متر ، وقد عثر فيها على ثلاثة رؤوس لتمائيل الملك في المتحف المصري واثنين في متحف اللوفر بباريس (١) . وتذكر بردية تورين أنه حكم ثمانية أعوام (٢) .

المجموعة الهرمية للملك خفرع :

تولى من بعد جدف رع^(٣) ، وحكم خمسة وعشرين عاما أو أكثر (٣) ، وقرر أن يشيد لنفسه هرما كبيرا مثل هرم خوفو ، وقد اختار نفس الهضبة المرتفعة قليلا إلى جوار هرم أبيه ، وعلى الرغم من أن الارتفاع الحقيقي لهرم خوفو هو أقل من الهرم الأكبر بحوالى ثلاثة أمتار أى بحوالى ١٤٣,٥ مترا وطول ضلع قاعدته المربعة ٢١٥,٥ مترا . وزاوية ميله هي ٥٣,١٠ درجة إلا أنه يبدو أكثر ارتفاعا وكان من المفروض أن يكون الكساء الخارجى من الجرانيت ولكن قبل الانتهاء من العمل توفى الملك . ويسمى هذا الهرم " ور خفرع " أى عظيم خفرع (٤) .

ونستطيع أن نرى بقايا معبد الجنائزى ، ومعبد الوادى الذى يمتاز باستقامة خطوطه وجودة صقل سطوحه الخارجية (٥) وكانت تماثيل خفرع منتشرة فى أرجاء

(١) عثر عليها الفرنسي شاسينا فى حفائر بالمنطقة عام ١٩٠٠ - ١٩٠١ ويبلغ ارتفاع الرأس ٢٨ سم ، راجع : Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 165.

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٣ . Gauthier, op. cit., I, p. 83 (3)n. (2).

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٨ ؛ Beckerath, LAI, p. 933.

(٤) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٩٢ - ٢٠٣ شكل ٧٥ - ٧٧ ؛

Baines-Malek, op. cit., p. 140; Gauthier, op. cit., I, p. 86 (4);

LAIV, p. 1232-1234; Helck, in LAV, p. 5 .

(٥) أنور شكرى العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٢٥ - ٣٣٢ ، ص ٤٦٥ ، شكل ٥٢ ، ٥٣ .

هذا المعبد وبعضها من حجر الديوريت ، ومن بينها تمثاله الشهير الذى يعتبر آية من آيات الفن المصرى ، ومن أجمل تحف المتحف المصرى ، ويمثل الملك وهو جالس على عرشه ووقف المعبود حورس على شكل صقر خلفه رأسه ليحميه ، ونرى مدى نجاح الفنان أو النحات المصرى فى إظهار التعبيرات على وجهه ودقته فى إظهار عضلات الجسم .^(١)

وكان ماريت قد عثر على هذا التمثال عام ١٨٦٠ ويبلغ ارتفاعه ١٦٨ سم وعرضه ٥٧ سم ويحمل رقم CG14 بالمتحف المصرى^(٢) . وكان لمعبد الوادى مرسى فى الجهة الشرقية . ويبلغ طول الطريق الصاعد الموصل بين المعبدتين حوالى ٥٠٠ مترا . ونرى أيضا الحفر التى كانت معدة للمراكب حول الهرم وعثر منها على خمسة مراكب جنائزية^(٣) . وهناك أيضا بقايا مدينة العمال فى الجهة الغربية من الهرم وكانت مقسمة إلى حوالى ١١٠ قاعة وكانت معدة لإيواء أكثر من ٣٥٠٠ عاملا .^(٤)

ومن أشهر المقابر الصخرية التى تقع فى الشرق من الهرم الأكبر ، مقبرة الملكة مرس عنخ الثالثة زوجة خفرع .^(٥)

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ ؛ د. عبد العزيز صالح :

المرجع السابق ، ص ١١٥ ؛ وأيضا : Daumas, La Civilisation de

L'Égypte Pharaonique, p. 96 fig, 26.

Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 31.

(٢)

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ ، صورة ٥٩ ؛ Simpson, in

LAIV, p. 78.

تمثال أبو الهول كجزء من المجموعة المعمارية لخفرع وما تشير إليه لوحة الحلم الخاصة بالملك تحوتمس الرابع :

سوف نتحدث عن هذا التمثال في محورين :

الأول : أبو الهول كتمثال لحور آختي :

من المعتقد بوجه عام أن تمثال أبي الهول الشهير مؤرخ من حكم خفرع ، وقد نحت تمثال أبي الهول في وسط مكان منخفض . وليس هذا المنخفض في حقيقة الأمر إلا محجرا كبيرا من المحاجر التي قطع منها العمال الأحجار اللازمة لبناء المجموعة الهرمية وكان في الأصل عبارة عن كتلة صخرية تعترض الطريق الصاعد بين المعبد الجنائزي ومعبد الوادي وهنا واجه البنائون مشكلة وجود هذه الكتلة وفكروا في تغيير شكلها ، وقد حولت هذه الصخرة إلى تمثال له جسد أسد ضخم رابض رمزا للملكية ورأس آدمية تحمل غطاء الرأس الملكي المعروف باسم " نمس " ويمثل وجهه الملك خفرع نفسه ويبلغ طول الجسم حوالي ٥٧ مترا وارتفاع الرأس من فوق مستوى الأرض ٢٠ مترا ، وارتفاع الأذن ١,٣٧ متر ، وارتفاع الأنف ١,٧٠ متر . ويبلغ اتساع فتحة الأنف ٢,٣٢ متر . ويبلغ أقصى عرض الوجه ٥ متر .^(١)

ويمكننا أن نلاحظ عن قرب بقايا اللون البرتقالي أعلى الوجه وكذلك على غطاء الرأس النمس وبقايا الصل المقدس في الجبهة^(٢) ولا نعرف هل هذا كان اللون الأصلي لوجه التمثال أو أنه تغير نتيجة عوامل التعرية وطول الزمن أما اللحية المستعارة فقد سقطت وعثر عليها كافيجليا عام ١٨١٨ وجزء منها موجود بالمتحف

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢١١ ؛ Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 60 n. 2; les Guides Bleus: Egypte, p. 167.

(٢) نجد بقايا هذه الألوان في الصور التي يعطينا إياها : Silliotte-Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 69 (c).

البريطاني والآخر بالمتحف المصري ^(١) . ولم يحدث أن ملكا من ملوك الدولة القديمة أو غيرها حاول تقليد هذا التمثال الضخم . قد وجد اليونانيون فيه شيئا من " أبى الهول المقدس " الذى يمثل عندهم أنثى الأسد برأس امرأة الذى كان يسبب الرعب فى مدينة طيبة " بوتى - Beoti " طبقا للأسطورة . لذلك أعطوه هذا الاسم الذى يطلق عليه خطأ حتى الآن .

وعند الحديث عن تمثال أبى الهول يخلط الناس بين عقيدتين مختلفتين : أبو الهول اليونانى الذى كان عبارة عن أنثى الأسد ذات جناحين ورأس امرأة وهى تلك الصورة المتخيلة فى أسطورة " أوديب " ، والأخرى وهى الأسود المقدسة الشهيرة المعروفة فى مصر والتي أسماها الإغريق أنفسهم " أبا الهول " ^(٢) ، ولكنها أسود برأس ملك وهى مذكرة ، كما ذكر هيرودوت . وهناك تشابه بين الكلمة اليونانية " Sphinx " والتعبير المصرى " Shespankh " (أى تمثال حى أو الصورة الحية ^(٣)) و الذى استخدمه المصريون للتعبير عن الأسود الرابضة وابتداء من هذه التسمية اقترح بعضهم أن اسم أبى الهول اليونانى وشكله ما هى إلا تقليد فنى نقل إلى

(١) Id., op. cit., p. 66-67 (E).

(٢) فضلنا استخدام اسم " أبو الهول " اسما مبنيا كما استخدمه د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١١٧ (٤٦) ؛ د. أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، ص ٢٢٧ - ٢٤٠ ؛ شكل ٩٣ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ٩٠ - ٩١ (١) ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١١١ .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١١١ . لكلمة ssp راجع . Meeks, Alex. I, p. 379 وحتى كلمة šsp وحدها تعنى " أبو الهول " (Id., p. 379); Chr. Zivie, in LAV, p. 1140; Gardiner, " Egypt of the Pharaohs, p. 82.

الإغريق عن طريق سوريا وقد ثبت صحة هذا الأمر . فأبو الهول أو الأسد يمثل قوة الملك ، الذى يقسو على المتمردين ويحمى الخيرين . بوجهه الإنسانى ذى اللحية فهو ملك ، وبجسمه الحيوانى فهو أسد ضار لا يمكن مقاومته أثناء القتال .

ونرى تماثيل أبى الهول موضوعة فى صفيين يزدان بهما طريق المعبد فيما بعد ، ويزيد الملك من إعداد تماثيل أبى الهول لكى يدعم حماية المعبد ، وهو يندمج مع روح أبى الهول (أو روح الأسد) حارس الأفقيين ، وأحيانا نجد أن المعبود نفسه هو الذى يتمثل فى الحيوانات الضارية لكى يدافع عن مسكنه ، وأبو الهول بالجيزة له شهرة كبيرة ، فهو أكبر تماثيل أبى الهول الموجودة لدينا ، وأقدمها ، وقد نحتها عمال خفرع على شكل أسد رابض حارس لجبانة الموتى الغربية حيث تغرب فيها الشمس ويسكنها الموتى .

وفى عصر الدولة الحديثة تغيرت فكرة المصريين عن " أبى الهول " فقد أصبح يمثل معبود الشمس وأصبحت له عبادة خاصة فى المنطقة ، وكان يطلق عليه حور آختى أى " حورس المنتمى إلى الأفقيين " (١) وكانت الصحراء التى حول الأهرام تعج بحيوانات الصيد ، وفى هذه الفترة كان أبو الهول مغطى بالرمال . وكان الملوك والأمراء يأتون للصيد وزيارة هذا المكان وقد حدث أن جاء الأمير تحوتمس إلى المكان القريب من أبى الهول لكى يستريح فى ظل رأسه . وعندما أخذت الأمير سنة من النوم رأى فى الحلم أن هذا المعبود يتحدث إليه ويشكو إليه مما تعرض له جسده من انهيار فأصبح كالمريض وأن رمال الصحراء تقترب منه . وبشر المعبود الأمير بأنه سيصبح ملكا على مصر . ونقرأ تفاصيل قصة حلم تحوتمس الرابع على لوحة أمر بإقامتها هناك أمام صدر أبى الهول عثر عليها كافيجليا عام ١٨١٨ (٢) . وفى

(١) Muller-Winkles, in LAV, p. 1139-1147; Assmann, in LA 11, p. 992-996.

(٢) Chr, Zivie, Giza au Deuxième Millénaire, BdE 70 (1976), p. 125-145 (Doc, 14); Id., in LA11, p. 604, 606-607; Id., in LAV, p. 1140-1141; Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 111, p. 307.

ترك تحوتمس الرابع حوالى ١٧ لوحة فى منطقة الجيزة مخصصة للمعبودات تحوتى وحورس وآتوم وسوكر وأمون رع وبتاح وشبات وحتحور وإيزيس وموت ، راجع : Chr. Zivie, op. cit., p. 154-159.

السطر ١٣ نقرأ : " تمثال (snn) ... خفرع الشبيه (twt) الذى خلفه آتوم - حور ام آخت " ^(١) وعثر فى حفائر عام ١٩٣٦ لوحات كثيرة هامة تدل على أن " أبا الهول " كان موضع تكريم فى الدولة الحديثة . ^(٢)

وقد عثر على معبد صغير شيده الملك أمنحتب الثانى تكريما لأبى الهول ، وقام الملك بوضع لوحة فى ذلك المعبد تكريما للمعبود يقص فيها زيارته للمنطقة . ^(٣) وقام الملك سبتى بتكريس لوحة من الحجر الجيرى وأضاف إلى البوابة الخارجية لهذا المعبد . ^(٤)

ولم يقتصر الأمر على اللوحات التى أمر الملوك بإقامتها ، بل كشفت الحفائر أيضا عن وجود عدد كبير من اللوحات التى أقامها رعاياهم ^(٥) . وقد وفد على

(١) Chr. Zivie op. cit., p. 129 .

راجع حديثا : د. رمضان عبده : أضواء جديدة على لوحة الحطم الخاصة بتحوتمس الرابع (دراسة أثرية ولغوية وتحليلية) ، نشر فى المجلة العلمية لكلية الآداب - جامعة المنيا ، العدد السابق والأربعون ، يناير ٢٠٠٣ ، ص ٣٤٩ - ٤٤٥ .

(٢) Id., op. cit., p. 160-203.

(٣) Id., op. cit., p. 64-84.

حرفيا " مهبط حور أم آخت " أو " مهبط خوفو وخفرع " أى المنطقة التى تشمل تمثال أبو الهول ومعبد أبو الهول الذى يقع أمامه مباشرة وكان مندثرا تحت الرمال ، عصر الدولة الحديثة ، وأراد أن يشيد معبدا شبيها لمعبد أبو الهول المخصص لحورون - حور أم آخت ، راجع د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ حاشية (٤) .

(٤) Id., op. cit., p. 184-189.

(٥) Id., op. cit., p. 207-249.

مصر فى عصر الدولة الحديثة الكثير من الآسيويين الذين جاءوا بعبادة معبوداتهم الآسيوية معهم وحاولوا التقريب بينها وبين المعبودات المصرية ، وقد استقرت فى هذه المنطقة مجموعة الرواد الآسيويين كانوا يتعبدون إلى معبودهم المسمى " حورون " ^(١) ورأوا فى " أبى الهول " المصرى شبيها لمعبودهم وقصدوه بهذا الاسم وأطلقوا على المكان الذى يحيط به " بوحولى " ولما جاء العرب حرفوا الكلمة إلى أبى الهول ^(٢) ، وذلك بعد إضافة حرف الألف إلى كلمة "أبو " وهى مأخوذة من لفظ مصرى قديم " بو " بمعنى مكان .

وقد تعرض تمثال أبى الهول لكثير من عمليات الردم بواسطة الرمال التى تحيط به . وفى العصر البطلمى حاول البناءون ترميم التمثال باستخدام أحجار صغيرة الحجم ، ووضعوا بين قدميه مائدة للقرابين من الجرانيت الأحمر ما زال فى مكانه حتى الآن . وكانت منطقة أبى الهول من المناطق التى كان يقبل عليها الناس فى العصر الرومانى . وكان الزوار ينقشون أسماءهم وتعليقاتهم على ذراعى أبى الهول وعلى لوحات تركوها على مقربة من هذا المكان وقد شوه أنفه وتحطمت اللحية والصل المقدس وأصاب النحر العنق وضاعت بعض ألوانه الأصلية .

ولم يقم جنود بونابرت بتحطيم أنف أبو الهول كما يقال . ولكن طبقا لما رواه المقرئزى عام ١٤٣٦ ميلادية ، أنه كان يعيش فى القرن التاسع رجل صوفى يدعى " صائم الدهر " هو الذى ذهب إلى منطقة الأهرام وشوه وجه أبى الهول ليثبت أنه مجرد تمثال من الحجر وليس شيئا مقدسا كما يعتقد البعض . ^(٣)

Id., op. cit., p. 311-313. (١)

S. Hassan, The Great Sphinx and its Secrets (1958), p. 52- (٢)
122; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p.
271-272; Chr. Zivie, Giza du Deuxième Millénaire (BdE 70),
(1967), p. 310-315.

Z. Hawass, The Pyramids of Egypt, p. 35. (٣)

المحور الثاني : ما تشير إليه الدراسة التحليلية التي قمنا بها للوحة تحوتمس الرابع :

عندما تولى تحوتمس الرابع العرش أظهر نشاطا كبيرا بالنسبة لمنطقة الجيزة ومقدساتها . ومن بين ما قام به من أعمال هو إقامة لوحة بين قدمي أبو الهول أطلق عليها العلماء " لوحة الحلم " وسرد لنا على هذه اللوحة قصة حلمه وكيف أن المعبود حور أم آخت تحدث إليه في حلمه وشكى إليه من اقتراب رمال الصحراء منه والحالة التي وصل إليها جسده وأصبح كالشخص المريض الذي أصابه انهيار . وللأسف الشديد أن نهاية النص مفقودة وتحطمت ولهذا لا نعرف على وجه التحديد ما قام به الملك لتمثال أبيه حور أم آخت من حسن أعمال لإنقاذه من الرمال وإنقاذ جسده من الانهيار . ونظرا لأهمية النص وأهمية المنظر المزدوج أعلى اللوحة ومنظر القاعدة التي يربط عليها تمثال حور أم آخت آثرنا أن ندرس هذه اللوحة بالتفصيل ^(١) وسوف نذكر بعض المقتطفات مما جاء في هذا المقال وما تشير إليه نصوصها :

السطر ٨ : حدث أن ذهب الأمير تحوتمس لكي ينتزعه وقت الظهيرة ، وجلس في ظل هذا المعبود العظيم ، فغشيه النعاس وحلم في لحظة كانت الشمس في كبد السماء .

السطر ٩ : وأتضح له أن جلاله هذا المعبود المبجل يتحدث من فمه شخصيا مثال الوالد الذي يتحدث إلى ابنه : تأملني وأنظر إلى يا بني : تحوتمس أنه أنا ، أبوك حور أم آخت خبري رع آتوم ، سوف أعطيك مملكتي على الأرض .

السطر ١٠ : على رأس الأحياء ، وسوف تحمل التاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش جب الوريث ، وسوف تخضع لك البلاد في طولها وعرضها وأيضا كل ما يضئ عيني سيد الكون ، وخيرات من داخل الأرضين سوف تصبح لك ، (وأيضا) منتجات كل بلد أجنبي بوفرة ، مع حياة طويلة غنية بالسنين ، أن

(١) د. رمضان عبده : أضواء جديدة على لوحة الحلم الخاصة بتحوتمس الرابع (دراسة أثرية ولغوية وتحليلية) مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٤ حاشية (٢) .

وجهي لك وقلبي لك (طالما) أنت لي .

السطر ١١ : (أنظر) إلى حالي مثل من يعاني ، (لأن) كل جسد أصبح منهارا (لأن) رمال الصحراء التي أقوم عليها تقترب مني ، ولهذا أسرعت لكي أجعلك تحقق ما في قلبي ، أنني أعرف ما هو آت ، أنك ابني ، وحمي ، أقرب أنت ، أنظر أنني معك ، أنني .

السطر ١٢ : مرشدك ، وبمجرد أن انتهى من نطق هذه الكلمات استيقظ هذا الأبن الملكي عند سماعه هذه ... (وعندئذ) فهم كلمات هذا المعبود واحتفظ بالصمت في قلبه وقال ... تعالوا فلنسرع إلى ضيعتنا (أو مقرنا) بالمدينة (أي منف) ونخصص القرابين .

السطر ١٣ : لهذا المعبود ونحضر له الماشية وكل الخضروات الغضة والطازجة .^(١)

وبعد ذلك قمنا بتحليل المنظر المزدوج في أعلى اللوحة واتضح لنا :

أولا : أن الملك يقوم بتقديم البخور ويصب ماء التطهير وفي المنظر المقابل يقوم بتقديم الأنية نمست بكلتا يديه لتمثال حور أم آخت أي أنه يقوم بأداء طقوس دينية أمام تمثال المعبود .^(٢)

ثانيا : أن صورة تمثال حور أم آخت الذي ظهر في المنظر المزدوج ليست صورة التمثال الكبير الفعلي ولكن صورة لتمثال فعلي مصغر كان موضوعا في مقصورة من عصر الملك تحوتمس الرابع خصصها لتمثال حور أم آخت .^(٣)

(١) المقال نفسه ، ص ٣٧٠ - ٣٧٣ .

(٢) المقال السابق ، ص ٣٧٧ - ٣٨٠ .

(٣) المقال السابق ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢ .

ثالثا : تحدثت عما أثاره شكل القاعدة التي يربض عليها تمثال حور أم آخت من جدل وقمت بمقارنة شكل هذه القاعدة في مناظر اللوحات الأخرى التي عثر عليها في منطقة أبو الهول ^(١) . وذكرت ١٧ مثلا ^(٢) من بينها كتلتين موجودتان الآن بمتحف اللوفر تحت رقمي ١٨ - ١٩ ب للملك رمسيس الثاني عليهما شكل القاعدة نفسه ^(٣) . وبناء على كل هذا أتضح لنا أن شكل هذه القاعدة يتخذ شكل السرخ الملكي . وهذا السرخ يمثل في رأينا واجهة المقصورة التي شيدها الملك تحوتمس الرابع في مكان ما بمنطقة أبو الهول . وانه قام بتأدية الطقوس أمام تمثال المعبود حور أم آخت في هذه المقصورة ^(٤) وهي المقصورة نفسها إلى قام الملك رمسيس الثاني بأداء الطقوس نفسها أمام التمثال نفسه ^(٥) . والسؤال : هل شيدت هذه المقصورة في مكان ما في منخفض أبو الهول نفسه ، وأنها كانت ما تزال قائمة حتى عصر رمسيس الثاني وعندما غطت الرمال هذا المنخفض هدمت أثناء عمليات إزالة الرمال المتراكمة ؟

هرم منكاورع :

جاء من بعده جدف حور ^(٦) وباواف رع ^(٧) اللذان جاء ذكرهما في بردية وستكار . ولكننا لا نعرف عن حكمها أى شئ . وتولى العرش بعد ذلك منكاورع الذى

(١) المقال السابق ، ص ٣٨٣ - ٣٨٨ .

(٢) المقال السابق ، ص ٣٨٨ - ٤١٨ .

(٣) المقال السابق ، ص ٤٠١ - ٤٠٣ (١٤) .

(٤) المقال السابق ، ص ٤١٨ - ٤٢٠ .

(٥) المقال السابق ، ص ٤٢٠ .

Beckerath, in LAI, p. 1099-1100.

Beckerath, in LAI, p. 600 .

(٦)

(٧)

شيد هرمه على الهضبة نفسها ، ويبلغ ارتفاعه ٦٥,٥ مترا وطول الضلع ١٠٨,٥٠ مترا . وقد اكتشفه " برينج Berring " عام ١٨٣٩ ، وقد شيد بحجم صغير دون أن يصل إلى ارتفاعات أهرام سابقه ، فهذا الهرم لا يصل إلا إلى منتصف الأهرام الأخرى ، مما يدل على ضعف الإمكانيات المادية في عصره^(١). وعندما دخل " برينج " حجرة الدفن في الهرم عثر على بقايا مومياء الملك في تابوته والذي كتب عليه النص الآتى :

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ، منكاورع ، الحى أبدا ، ولد من نوت ، وأنجبته معبودة السماء نوت ، ووريت المعبود جب المفضل لديه ، أمك نوت تبسط ذراعها عليك باسمها " سر السماء " وتمنحك الحياة كمعبود بدون أعداء^(٢) " . وقد عثر أيضا على التابوت الخارجى من البازلت ، الذى كان فى طريقه إلى انجلترا ولكن الباخرة التى نقلته غرقت فى البحر المتوسط أمام شواطئ أسبانيا . ويرقد التابوت الآن فى أعماق البحر ، وقد أجريت عدة حفائر فى معبد الوادى عثر فيه على بعض التماثيل الجميلة التى تمثل الملك وعن يمينه المعبودة حتحور وتمثال آخر على هيئة امرأة يمثل أحد الأقاليم المصرية ، وقد عثر على أربعة تماثيل من هذا النوع ، وهى من الشست ، وهى موجودة بالمتحف المصرى ويحمل رقم JE.40679 ويبلغ ارتفاعها ٩٢,٥ سم وعرضها ٤٦,٥ سم . وقد عثرت عليها بعثة هارفارد بوسطن عام ١٩٠٨ ولم ينته البناء فى المعبد عندما توفى الملك ، فأكماله ابنه وخليفته شبسكاف (٢٤٧١ - ٢٤٦٧ ق.م)^(٣) وأتم معبد الوادى بمواد بسيطة من الطوب

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 41-42.

د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢١٤ - ٢١٩ .

(٣) Saleh-Sourouzian, op. cit., no.33.

اللبن^(١) ، أما الطريق الصاعد فبنى من الحجر الجيرى المحلى .^(٢)

ويقال أنه فى نهاية حكمه عرف منكاورع الصعاب المالية ، وفرغت خزائنه " فقد أقام الكثير من الأعياد وكان يتمتع بالنهار والليل دون انقطاع " . وعاش ابنه فى تلك الصعاب المالية ، وعلى الرغم من أنه حكم حوالى ثمانية عشر عاما^(٣) إلا أنه ترك فى النصوص المصرية ذكرى طيبة كرجل متسامح .

جاء من بعده شبسسكاف الذى لم يحكم سوى أربع سنوات . ويذكر مانيتون أنه حكم سبع سنوات^(٤) ، وشيد لنفسه فى الناحية الجنوبية من سقارة ، مقبرة على هيئة مصطبة كبيرة سميت الآن بمصطبة فرعون^(٥) . وتبلغ ١٠٠ مترا × ٧٢ مترا × ١٨ فى الارتفاع ، وأضاف إليها معبدا جنازيا ومعبد للوادی وطريقا يوصل بينهما وكانت المقبرة تحمل اسم " كبحو شبسسكاف " طاهر شبسسكاف^(٦) .

(١) Baines-Malek, op. cit., p. 36.

(٢) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ - ٣٣٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢١٦ .

(٣) يذكر د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٢٣ أنه حكم أكثر من واحد

وعشرين عاما . ويذكر مانيتون أنه حكم ٦٣ عاما ، راجع : Gauthier, Livre

Rois I, p. 95 (5) n. (2) .

(٤) Gauthier, op. cit., I, p. 101 (6) n. (2); Beckerath, in LAV, p. 582-583.

(٥) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢١٩ - ٢٢٣ شكل ٨٨ - ٩٠ ؛

المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ١٢٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع

السابق ، ص ١٢٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ؛

د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٦) Baines-Malek, op. cit., p. 140; Gauthier, op. cit. I, p. 101 (6); Stadelmann, in LAIV, p. 1239-1241; Helck, in LAV, p. 5.

أما عن خنتكاوس فيثار الجدل بشأنها ويتجه الرأي الآن إلى أنها كانت ابنة منكاورع وأختا لشبسكاف وأنها تزوجت من بعده أحد الخواص وهو وسركاف فأيدت حقه في اعتلاء العرش ، وشيدت لنفسها مقبرة في الجيزة على هيئة مصطبة كبيرة أو تابوت كبير ، فوق قاعدة من الصخر كستها بحجر جيرى جيد وشيدت كذلك معبدا جنائزيا صغيرا .^(١)

وعلى بعد حوالى كيلو متر إلى الجنوب الشرقى من أهرام الجيزة عثر د. حواس على حوالى ٣٠ مقبرة كبيرة و ٦٠ مقبرة صغيرة واستخدمت لدفن الفنانين ورؤساء العمال والعمال الذين ساهموا فى بناء الأهرام وملحقاتها وهى مقابر بسيطة جدا شيدت بكتل صغيرة من الحجارة على سطح الأرض^(٢) . ويبدو أنها مقابر العمال الذين توفوا أثناء العمل ولا تقارن بمقابر العمال فى دير المدينة مثلا وسوف نتحدث عنها فيما بعد (ص ١٧٠ ، ١٧١) .

أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة :

كانت أقل حجما وشيدت فى سقارة وأبو صير وملحق بها المعابد الجنائزية ومعابد الوادى وتتميز معابد الوادى للأسرتين الخامسة والسادسة بكثرة ما يحليها من مناظر منقوشة . ويسود فى معابد أهرام الأسرة السادسة استخدام المرمر المصرى بدلا من حجر البازلت والجرانيت .

شيد الملك وسركاف أول ملوك الأسرة الخامسة هرمه فى سقارة ، ويسمى الآن " الهرم المخربش " ^(٣) وشيد ساحورع هرما فى أبو صير وله معبد جنائزى

(١) د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٢٣ - ٢٢٦ ؛ المؤلف نفسه :

مصر الفرعونية ، ص ١٢٥ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ ؛

Otto, in LAI, p. 930-931; Stadelmann, in LAIV, p. 1241-1243.

(٢) Siliotti-Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 86-87.

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٧ شكل ٩٤ .

وطريق صاعد ^(١) وشيد الملك نفر اركارع مجموعة هرمية فى ابو صير تشبه مجموعة الملك ساحورع ^(٢) . وشيد الملك نفر إف رع هرمه جنوبى غرب الهرم السابق فى ابو صير ^(٣) . كما شيد الملك نى أوسر رع هرمه فى منطقة أبو صير ^(٤) كما شيد جد كارع اسيسى هرمه فى سقارة ^(٥) . وكذلك الملك ونيس آخر ملوك الأسرة ^(٦) .

ومنذ عصر الملك ونيس كانت جدران غرفة الدفن ، فيما عدا الجدار الغربى ، وفى كثير من الأحيان جدران الدهليز المستقيم ، نقشت نصوص ما عرف بمتون الأهرام فى سطور راسية بخط هيروغليفى بلون أزرق مائل للاخضرار .

وفى الأسرة السادسة شيد الملك تيتى أول ملوك الأسرة هرمه فى سقارة ^(٧) كما عثر على هرم زوجته ايبوت ^(٨) . كما شيد بيبي الأول هرمه فى سقارة الجنوبية ^(٩) وشيد مري إن رع هرمه فى سقارة ^(١٠) . وشيد بيبي الثانى هرمه فى سقارة ^(١١) . وشيد خارج السور الخارجى لهرم الملك بيبي الثانى ثلاثة أهرام صغيرة لثلاث ملكات منهن الملكة نيت ^(١٢) . وكان لكل هرم معبد جنازى .

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٢ شكل ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٥ شكل ٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٥٨ شكل ١٠٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٦٠ شكل ١٠٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٦١ - ٢٦٦ شكل ١٠٣ - ١٠٤ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٧ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ - ٢٨٣ شكل ١٠٦ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ - ٢٨٥ .

فى العصر الوسيط الأول :

لا نعرف أى شئ ذو أهمية عن العمارة الجنائزية فى هذه الفترة ، غير هرم الملك ايبي ، أحد ملوك الأسرة الثامنة فى سقارة الجنوبية ^(١) . وهو هرم صغير لم يكمل بناؤه وتتقصه المباني الملحقة بأهرام الدولة القديمة . وكان يتألف من نواة من من حجر صغير الحجم ، يحيط بها جدار من حجر مبنى ، وربما كان يكسوه كساء من حجر جبرى . وكان مدخله إلى الشمال ، وتغطى جدران حجرة الدفن متون الأهرام . وهو هرم صغير لا يزيد حجمه على حجم هرم الملكة نيت . ويذكر د. فخرى هرم خوى فى سقارة من العصر الوسيط الأول ^(٢) .

فى عصر الدولة الوسطى :

شيد ملوك الدولة الوسطى العديد من الأهرام والمقابر والمعابد الجنائزية ، فقد شيد الملك انيوتف الأول من الأسرة الحادية عشرة مقبرة له فى الطرف فى البر الغربى فى طيبة . وكذلك انيوتف الثانى شيد مقبرة كبيرة كان يعلوها هرم وأيضاً انيوتف الثالث . وشيد منتوحتب الأول مقبرة له فى البر الغربى ولكنه لم يتمها . وشيد منتوحتب الثانى مقبرة ومعبداً جنائزياً بالقرب من الدير البحرى فى غرب طيبة فى بناء واحد من مسطحين كبيرين يلى أحدهما الآخر . وقد شيد هذا المعبد فى مكان يشرف عليه جبل عال مما دعا إلى بنائه على طراز مبتكر ، يدل على حسن تفكير وذوق فنى عال . ونلاحظ أنه كان يتوسط المسطح الثانى قاعدة مرتفعة كان يقوم فوقها هرم مسط ^(٣) .

-
- (١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ شكل ١٠٧ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٢٩ - ٢٩٤ شكل ١٠٨ .
 (٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ - ٣٧٨ شكل ١٥٥ - ١٥٧ ؛
 وأيضاً د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٩٦ - ٣٠١ شكل ١٠٩ .

وشيد الملك امنمحات الأول هرمه فى منطقة اللشت ^(١) ، وكذلك الملك سنوسرت الأول ^(٢) . ويشتمل هرم كل من امنمحات الأول وسنوسرت الأول على دهليز منحدر يؤدى إلى بئر تؤدى بدورها إلى غرفة الدفن ، وقد سد مدخل دهليز هرم سنوسرت الأول بحجرتين من الجرانيت طولهما أحد عشر مترا وعشرة أمتار على التوالى . وكان يؤدى إلى المعبد الجنائزى لهرم الملك سنوسرت الأول فى اللشت طريق مسقوف . وعثر فى هذا المعبد على عشرة تماثيل تمثل الملك جالسا ^(٣) .

وشيد الملك امنمحات الثانى هرمه فى دهشور ^(٤) وشيد سنوسرت الثانى هرمه فى منطقة اللاهون ^(٥) ، وأصبح مدخل الهرم فى عهد ذلك الملك فى الجانب الجنوبى للهرم . ويلاحظ أن أهرام الأسرة الثانية عشرة كانت أكبر من أهرام النصف الثانى من الدولة القديمة . ولا يعرف شئ ذو قيمة عن معبد الوادى والطريق الصاعد لأغلب أهرام الأسرة الثانية عشرة .

وشيد سنوسرت الثالث هرمه فى دهشور ^(٦) ، وكانت تواة الهرم تبنى بأكملها بمداميك أفقية من اللبن دون استخدام جدران مساندة . وكان يعلو الهرم هريم أو هرم رمزى من كتلة واحدة من حجر مصقول من الجرانيت أو البازلت . وقد شيد هذا الهرم من الطوب اللبن وكساه من الخارج بالحجر الجيرى .

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٠٣ - ٣٠٧ شكل ١١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٧ - ٣١١ شكل ١١١ .

(٣) Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 87.

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٣ - ٣١٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٣١٧ - ٣٢١ شكل ١١٢ .

وشيد امنمحات الثالث هرمه في هواره ^(١) . ولجأ فيه مهندسو إلى حيل مختلفة لتضليل اللصوص ، منها كثرة الدهاليز والغرف . وفي المتحف المصري هريم لامنمحات الثالث من جرانيت اشهب ، وقد زال الكساء الخارجى لأهرام الدولة الوسطى . وتقع المعابد الجنائزية في الجهة الشرقية فيما عدا المعبد الجنائزى لامنمحات الثالث ، إذ يقع في جنوب الهرم ، وهو ما أطلق عليه الإغريق " اللابيرانث " وقد عده الإغريق من عجائب مصر ، على أن أحجاره انتزعت منه ، ولم يبق منها سوى أكداس من الأنقاض تغطي الأرض . وقد زاره هيرودوت ووصفه ديودور الصقلي وذكره سترابون وقال أنه يضارع الهرم ، وأنه قصر كبير مؤلف من قصور كثيرة بعدد أقاليم مصر ^(٢) .

شيد امنمحات الثالث هرما آخر في دهشور وهو مشيد بين هرم سنfro المنحنى وبين منطقة دهشور قريبا من حافة الأراضي الزراعية ، وهو آخر مجموعة أهرام دهشور في الجهة الجنوبية . ولم يبق أحد حتى الآن بحفر معبد الوادى لهذا الهرم بالرغم من أن مكانه واضح ، ويدل عليه طريق صاعد طويل ^(٣) .

في العصر الوسيط الثانى :

أن الأعمال الفنية الباقية من هذا العصر تكاد تكون نادرة جدا ، لكى ندرك بسهولة أن هذه الفترة لم تكن ملائمة للإبداع الفنى ، وغذا كانت التحف الفنية نادرة فهذا مرجعه إلى أن الإنتاج الفنى نفسه قد قل إلى حد كبير ، ويلاحظ في بعض تحف هذا العصر افتقاد فنانيها للأصالة والابتكار هذا إلى جانب عدم الاتقان .

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢١ - ٣٢٦ شكل ١١٣ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٥ شكل ١٦٠ - ١٦٢ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ شكل ١١٤ ؛ وعن أهرام

الدولة الوسطى بوجه عام من حيث التخطيط وأهم عناصرها ، راجع :

Arnold, in LA 1V, p. 1263 - 1271.

ومن العصر الوسيط الثانى كشف حديثا فى سقارة عن بقايا هرمين ملكيين أحدهما كان مخصصا للملك وسر كارع خنجر الثانى من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . فى سقارة الجنوبية بالقرب من " مصطبة فرعون " وهو مبنى باللبن فى مداميك أفقية ، وكان يكسوه كساء من الحجر الجيرى الجيد ^(١) ، وإلى الغرب من هرم خنجر هرم آخر لا يعرف اسم صاحبه ، وتشبه دهاليزه وغرفه دهاليز وغرف هرم خنجر ، وغرفة الدفن فيه من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت تزن حوالى ١٥٠ طنا ^(٢) ، ولم يتم العمل فيه ، طول ضلعه ٩٥ مترا ولكن ارتفاعه لا يزيد إلا قليلا على ثلاثة أمتار . ويسميه د. فخرى " الهرم الناقص " ^(٣) . وفى مزعونة ، بين دهشور والشت ، عثر على هرمين مهدمين إلى حد كبير ينسبان عادة إلى الدولة الوسطى ، إلى الملك امنمحات الرابع وسبك ونفرو . ولكن د. فخرى يفضل نسبتها إلى الأسرة الثالثة عشرة ^(٤) . وهذه الأهرام نسخة طبق الأصل من أهرام الأسرة الثانية عشرة فى دهشور ، كما عثر على عدد كبير من الأهرام فى السودان بين نباتا عند الجندل الثالث ومروى شمال الجندل السادس ، وهى أهرام كورو الخاصة ببعنخى وأفراد أسرته ، وأهرام جبل برقل ، وأهرام نورى ، وأهرام مروى ^(٥) . وبالنسبة للجبانة الملكية فى دراع أبو النجا فقد تهدمت بأكملها ، ولكن من الأطلال الباقية يمكننا أن نتخيل تكوين كل مقبرة فكل منها كانت عبارة عن هرم من الطوب اللبن يرتفع فوق قاعدة عالية إلى حد ما أمام مقصورة محفورة فى الصخر ، وأمام كل هرم توجد مسلتان عثر على بقايا منها . وعثر على بعض مقابر أشراف هذا العصر ، وهى مقابر الكاب ، فقد حفر حكام هذا الإقليم الأقوياء وأفراد عائلتهم مقابر

-
- (١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٣٠ - ٣٣٣ شكل ١١٥ .
 (٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٣ - ٣٩٦ شكل ١٦٨ .
 (٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ٣٣٣ - ٣٣٦ شكل ١١٦ .
 (٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .
 (٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ - ٣٦٢ أشكال ١٢٠ - ١٢٤ .

فى الصخر ولكن مما حفر يوسف له أن هذه المقابر قد تهدمت إلى حد كبير ، ويبدو أن جدرانها كانت مغطاة بالمناظر التقليدية ، ونظرا لأن كل ما تركوه قد تعرض للهدم والتخريب فمن الصعب أحيانا تكوين حكم عادل على فنهم ^(١).

فى عصر الدولة الحديثة :

تعرضت مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة فى دراع أبو النجا غربى طيبة للنهب والسلب ، ويبدو أنها كانت أهرام صغيرة مصمتة من الطوب اللبن ، وكانت مقصورة القرايين محفورة فى الصخر أسفل الهرم أو مبنية عند الجانب الشرقى منه ، ويؤدى منها درج إلى غرفة الدفن . ولا يعرف مكان مقبرة أحمس الأول ، أول ملوك الدولة الحديثة وأن كان يغلب على الظن أنها لابد أن تكون قريبة من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وربما كان يعلوها هرم على شاكلة هذه المقابر .

وتقع مقبرة أمنحتب الأول فى دراع أبو النجا فى غربى طيبة ، وتتألف من بئر محفورة فى الصخر ، تؤدى فى جانب منها إلى دهليز ينتهى بحجرة دفن كبيرة ، يتوسطها عمودان .

غير بقية ملوك الأسرة الثامنة عشرة بعد ذلك من شكل المقبرة الملكية وإخفاء معالمها وفصل المقبرة عن المعبد الجنائزى وحفرها فى مكان خفى بعيد ومنعزل ، خلف الجبل المطل على النيل فى غربى طيبة ، حيث يشرف جبل عال تبدو قمته كأنها هرم صغير طبيعى .

كان تحوتمس الأول هو أول من اختار لمقبرته هذا الوادى . ويحدثنا مهندس انينى الذى حفر مقبرة الملك الرغبة فى إخفاء المقبرة بقوله : " أشرفت على حفر المقبرة المنعزلة لجلالة الملك دون أن يسمع أو يرى أحد " واستخدم هذا الوادى

بعد ذلك الملوك تحوتمس الثالث وأمنحتب الثانى وتحوتمس الرابع وأمنحتب الثالث وإخناتون وتوت عنخ آمون وآى وهور محب وسيتى الأول وأغلب ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

وتتكون المقبرة الملكية من مدخل فى سطح الجبل ويتألف من درج واحد وردهة يخرج منها على زاوية منفرجة درج إلى غرفة دفن بيضاوية الشكل يتوسطها عمود من الصخر ولها غرفة جانبية . ولم يلبث أن استطال الجزء الأول من المقبرة وأصبح يتألف فى مقبرة تحوتمس الثالث من درج ودهليز ثم درج ودهليز آخرين يؤديان إلى بئر عميق لتضليل اللصوص . وأصبح الجزء الثانى على زاوية قائمة من الجزء الأول ، ويشتمل على ردهة ودرج وحجرة للدفن .^(١)

وفى عهد أمنحتب الثانى أصبحت الغرف مستطيلة وأضيفت إلى قاع البئر غرفة إمعانا فى تضليل اللصوص^(٢) . وهو يعد أول قبر ملكى فخم . وفى عهد كل من تحوتمس الرابع وأمنحتب الثالث أصبح محور المقبرة ينحرف مرتين وتتألف من درج وأخدود وردهة وغرفة دفن وغرفة ملحقة جانبية . وكذلك مقبرة إخناتون .^(٣)

وتعد مقبرة توت عنخ آمون أصغر المقابر الملكية وتتألف من درج واحد وردهة فى شمالها غرفة التابوت ، ولكل من الردهة وغرفة التابوت غرفة جانبية . وأصبحت المقبرة فى عهد الملك أى وفى معظم مقابر عصر الرعامسة على استقامة واحدة مثل مقبرة حور محب وسيتى الأول التى تمتد فى جوف الصخر نحو مائة متر ورمسيس الثالث ، ورمسيس التاسع .

وأصبحت المقابر الملكية فى هذا الوادى تتكون من غرف ودهاليز وممرات مستقيمة تارة وملتوية فى النهاية إلى حجرة الفن ونقشت ورسمت مناظر عديدة على

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٦ - ٣٩٩ شكل ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٩ - ٤٠٥ شكل ١٨٢ - ١٨١ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

جدران هذه المقابر الملكية منها مناظر تظهر الملك واقفا أمام معبودات عالم الآخرة مثل أوزير وأنوبيس وحتحور وامنتت وفصول من كتاب الموتى وكتاب ما يوجد في عالم الآخرة وكتاب البوابات وكتاب الكهوف وكتاب الأرض وغيرها من مناظر الطقوس ونصوص الأساطير الدينية ^(١) وقد كشف من هذه المقابر الملكية حتى الآن أربع وستون مقبرة . ولكن لا يصلح لأن يزار منها سوى تسع عشرة مقبرة فقط ^(٢) . وبالمتحف المصرى شظية من الحجر الجيرى ، عليها رسم تقريبي لمقبرة ملكية بوادى الملوك ، تشمل سلسلة دهاليز على جوانبها حجرات صغيرة رسمت أبوابها مسطحة وملونة باللون الأصفر . ولابد أن ملاحظى العمال كانوا يسترشدون بهذا الرسم التخطيطي ، وقد أدخلت عليه ملاحظات عن المقاييس بالمداد الأسود ، من الأسرة العشرين ^(٣) .

مقابر أفراد الأسرة الملكية :

حفرت مقابر الملكات والأميرات والأمراء فى واد خلف معبد مدينة هابو ، وكان يسمى " المكان الجميل " ويطلق عليه الآن وادى الملكات ، ومن هذه المقابر ما يرجع إلى أواخر الأسرة السابعة عشرة إلا أن أهمها جميعا مقابر عصر الرعامسة . وهى تتألف عادة من ردهة وغرفة الدفن ، وتخلو فى الغالب من الدهاليز الطويلة

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة: الأقصر، ص ٣٢٩ - ٣٤٢ .
تحدثنا عن هذه الكتب وتسجيلها فى المقابر الملكية فى عصر الدولة الحديثة فى مؤلفنا عن : حضارة مصر القديمة ، الجزء الثانى ، الباب السابع ، ص ٣٥١ - ٣٥٦ .

(٢) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ .

(٣) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١١٢ (٤٣٧١) .

التي تشتمل عليها مقابر الملوك ولا بد من أنه كان لكل مقبرة مقصورة في مكان ما فوق سطح الأرض ، تؤدي فيها طقوس القرابين ^(١) . وهناك سبعون مقبرة للملكات في هذا الوادي ، وأهم جميع هذه المقابر مقبرة الملكة نفرتاري ، زوجة رمسيس الثاني ، وهي تحمل رقم ٦٦ في هذا الوادي ، وهي بلا شك من أجمل وأبدع مقابر طيبة جميعا ، وتمتاز بنقوش جدرانها ذات الألوان الجميلة ، ولكنها في حالة سيئة بسبب تأثير تجمع الأملاح على جدرانها ، وتسبب وجود هذه الأملاح في سقوط أجزاء متعددة منها . وقد دفن رمسيس الثاني ثلاثة من بناته أيضا في هذا الوادي . ومن المقابر الهامة في هذا الوادي المقبرة رقم ٥٥ للأمير آمون حر خبشف ابن رمسيس الثالث ، والمقبرة رقم ٥٢ للملكة تي وهي من أواخر عصر الرعامسة ، والمقبرة رقم ٥١ للملكة إيزيس زوجة رمسيس الثالث ^(٢) .

شيد بعض ملوك الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين مقابرهم في حرم المعبد في تانيس . وكان قبر بسوسينس الأول يتألف من دهليز وردة وثلاث قاعات وجد في إحداها التابوت ، ويظن أنه كان يعلو المقبرة بناء فوق سطح الأرض . شيد أغلب ملوك الأسرة السادسة والعشرين مقابرهم في ساحة معبد المعبودة نيت في سايس ، وأنها رواق كبير من الحجر مزدان بأساطين تحاكي النخيل وبضروب أخرى من الزينة ، وبداخل هذا الرواق بابان بينهما التابوت .

(٤) المقابر الرمزية :

شيد الملك سنوسرت الثالث لنفسه مقبرة رمزية في أبيدوس ^(٣) كما شيد الملك أحمس الأول لنفسه مقبرة رمزية أيضا في أبيدوس في شكل هرم ،

(١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ - ٤٣٠ شكل ١٨٦ - ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٦٦٨ حاشية (٦) = Petrie, Abydos, Vol. 111, p. 11.

وأخرى لجدته تيتى شرى التى كان لها مقبرة أصلية فى طيبة ^(١) . وعثر على لوحة فى أبيدوس تقص علينا نقوشها بر الملك أحمس يجدته تيتى شرى . وقد سجل أحمس الأول فى حديثه مع الملكة أحمس نفرتارى أنه يرغب فى أن يبنى لجدته هرما ومقصورة فى أبيدوس بجوار معبده الجنائزى ، وأن تحفر بركتها وتزرع أشجارها وتقدم فيها القرابين من الخبز ويقوم الكهنة على رعايتها وإدارة الطقوس فيها .

وشيد سيتى الأول قبرا رمزيا فى أبيدوس يعد من العمال الفريدة فى العمارة المصرية . وكانت تحيط به الشجار ، ويشتمل على دهليز طويل منحدر يبلغ طوله نحو ١١٠ مترا ، وسقفه مقبى ، وجدرانه منقوشة بنصوص دينية . ويؤدى الدهليز بعد أن ينحرف إلى زاوية قائمة إلى ردهة مستعرضة ثم إلى بهو يتوسطه مسطح مرتفع ، يؤدى إليه درجان متقابلان ، وتحيط به قناة ، وكأنه بذلك جزيرة وسط الماء . وتكتنف المسطح أعمدة ضخمة من حجر الجرانيت . ويخلو البهو من النقوش والصور ، وتتخل جدرانه عدة مشكاوات ، ومن ورائه قاعة كبيرة لم يكن لها مدخل يؤدى إليها ، وهى أشبه بتابوت ضخم ، وسقفها مقبى ولا يزال يحتفظ بمناظره الدينية ^(٢) .

(٥) مقابر كبار الشخصيات :

فى عصر بداية الأسرات :

فى سقارة كانت مقابر كبار رجال الدولة من الأسرة الأولى حفرا مكشوفة منحوتة فى الصخر . وكانت تسقف بالخشب أو بالحجر وتعلوها مصاطب تحلى سطوحها الخارجية مشكاوات على غرار المصاطب الملكية . وفى المقابر الكبيرة يتألف الجزء المحفور فى الصخر من دهليز طويل يكتنفه عدد كبير من الغرف ، قد

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ؛ Saleh-Sourouzan, op. cit., no. 118.

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ شكل ١٨٢ .

تبلغ فى بعض الأحيان ثمانى عشرة غرفة منها ما كان يستخدم كمخازن .

وفى الأسرة الثانية كان من المشكاوات ما يعلوه لوح من حجر الجير نقشت عليه صورة صاحب المقبرة جالسا أمام مائدة من القرايين^(١) . وأحيانا تصحبه زوجته ، ومن المقابر الهامة فى سقارة مقبرة حماكا وزير الملك وديمو التى عثر فيها على جراب مستدير من الخشب يحتوى على عدد من البرديات غير المكتوبة .

وكشفت الحفائر التى قام بها زكى سعد إلى الشمال من عزبة الوالدة بحلوان فى الفترة من عام ١٩٤٢ إلى ١٩٥١ عن ٩٥٣١ مقبرة من عصر بداية الأسرات^(٢) وعثر فى هذه الجبانة الهامة على مقابر ضخمة تخص بعض الأمراء والأميرات وكبار الموظفين ومقابر أخرى صغيرة عبارة عن حفر بسيطة لخدم وعمال^(٣) . وكانت المقابر الكبيرة أما حفرة مستطيلة أو بيضاوية وتبنى بالطوب اللبن . ولها سلم يبدأ من الجهة الغربية وينتهى بدرجة كبيرة ثم ينحدر إلى الجنوب وينتهى الدرج بدهليز به باب فى الجهة الشرقية يوصل إلى مخزن وجد مليئا بصوامع كبيرة من الفخار وينتهى الدهليز من الجهة الجنوبية بباب يصل إلى حجرة الدفن ، أغلق هذا الباب بكتلة ضخمة من الحجر الجيرى^(٤) .

وكان المتوفى يوضع فيها على شكل الجنين فى بطن أمه ، وتوضع الجثة على الجنب الأيسر فى أغلب الأحيان ويكون اتجاه الرأس إما إلى الشمال وإما إلى الجنوب^(٥) وتحتوى المقبرة على مخزن واحد أما فى الجنوب أو فى الشمال . كانت

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ - ٢٧٣ شكل ١٠٨ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٧ - ٨ ، ٢٢ - ٤١ ؛ Z. Saad, Fouilles de Helouan, les Grandes Decouvertes Archéologiques de 1954 (Revue du Caire); Id., ASAE 41 (1942), p. 405-409.

(٣) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢ (صور ٢ ، ٣ ، ٨ ، ٩) .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٤ (صور ١١٤ - ١١٥) .

توضع فيه أوان من الفخار تحتوى على أنواع من الطعام والشراب^(١) . أما الجزء العلوى من المقبرة فقد وجد مهتما وكان مشيدا من الطوب اللبن واحتفظت بعض المقابر بأجزائها العليا^(٢) .

وكانت المقبرة مخصصة لشخص واحد . والجثة لا توضع على الأرض بل كانت توضع داخل توابيت بعد لفها بالقماش . وكانت هذه التوابيت أمام من الخشب أو من الفخار أو من القش المجدول^(٣) . وعثر على عدد من المقابر بنيت حجرات الدفن فيها ومخازنها والسلالم الموصلة إليها بكتل كبيرة من الحجر الجيرى ، وقد محتت وصقلت بدقة متناهية^(٤) . وهذا يدل على أن المصريين القدماء استخدموا الأحجار فى البناء فى بداية الأسرات^(٥) .

وكانت الحيوانات الأليفة كالحمير والطيور المحببة إليهم تدفن إلى جوار مقابرهم ، فقد عثر فى ثلاث مقابر كبيرة على جثث لحمير كانت تستخدم لحمل الأثقال وكوسيلة للانتقال^(٦) . وعثر على كثير من جثث الكلاب مدفونة فى توابيت من الخشب وبعض جثث الطيور فى توابيت صغيرة من الخشب أيضا^(٧) . وفى بعض مناطق الصعيد كانت مقابر الأفراد تحفر فى الأرض الطينية ومنها ما كانت جدرانها تكتسى باللبن وله غرفة أو غرفتان فى أحد طرفيه وذلك عدا غرفة الدفن^(٨) .

(١) زكى سعد : المرجع السابق ، صورة ١١٧ .

(٢) المرجع السابق ، صور ١٢ - ١٢ .

(٣) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٩٥ صور ٢٤ - ٢٥ ، ١١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ ، ٣٧ - ٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٩٦ ، صور ٦٤ - ٦٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .

(٨) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٧٤ .

فى عصر الدولة القديمة :

كان كبار الشخصيات يفضلون أن يدفنوا فى الجبانة الملكية . فمثلا كان يحيط بالهرم الأكبر من الشرق والعرب والجنوب عدد كبير من المصاطب لأفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة . ومن بين هؤلاء الأفراد أميرات وأمرء ووزراء وقضاة وقواد وكهنة ومهندسون وفنانون وكتبة . وكذلك الوضع نفسه فى جبانة سقارة ، وذلك ليكونوا فى صحبة وخدمة مليكهم فى الآخرة كما كانوا يخدمونه فى الحياة الدنيا .

ظلت مقابر الأفراد فى الأسرة الثالثة مصاطب تبني باللبن . ومن المصاطب ما كانت تحلى جوانبها الأربعة مشكوات على شكل واجهة القصر ، وكان المكان الرئيسى لتقديم القرابين أمام المشكاة الجنوبية . وأشهر مقابر الأفراد فى الأسرة الثالثة مقبرة حسى رع فى سقارة من عهد الملك جسر ، وواجهتها الأصلية ذات مشكوات ، وكانت تحليها رسوم هندسية تمثل حصيرا من ألوان مختلفة معلقا على الجدار . وكان فى ظهر كل مشكاة لوح من خشب منقوش بصورة صاحب المقبرة واقفا ^(١) ، أو جالسا أمام مائدة القرбан فى نقش بديع دقيق .

ومن أشهر مصاطب سقارة من أواخر الأسرة الثالثة وعهد سنفرو مصطفىة خع باوسكر وزوجته ، ويكسو الحجر الجزء الداخلى من مشكاتى الزوج والزوجة ، أما بقيتهما فمن اللبن ، وكان فى جنوب مقصورة القرбан الرئيسية سرداب ، فى جداره الأمامى شق يدخل منه عبر البخور البخور إلى التمثال ^(٢) . وكانت مصطفىة

(١) وصور عليها وهو ممسك بأدوات الكتابة ورمز سخم ، وهى موجودة الآن

بالمتحف المصرى : Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 21

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢١ ، ٣٤٠ - ٣٥٨ ، ٣٦٠ - ٣٦١

شكل ١٣٧ - ١٥٠ .

متين تشمل على مقصورة مشيدة بأكملها من الحجر ، وهي الآن فى متحف برلين ، ويتوسط جدارها الغربى الباب الوهمى يعلوه منظر مائدة القربان ، وسقفها من الحجر يحاكي جذوع النخل . وكان فى شمال المقصورة سرداب وجد فيه تمثال صاحب المقبرة من حجر الجرانيت .

ومن الأسرة الرابعة أيضا مصطبة الأمير نفر ماعت ابن الملك سنfro ومصطبة رع حتب وزوجته نفرت . وكانت مقصورة القربان فى كل منهما على شكل صليب ومكسوة بالحجر ، وفى الجدار الغربى منها باب وهمى . وفى عهد خوفو بنيت مصاطب أفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة من حول هرم مليكهم ليكونوا فى صحبته وخدمته فى الآخرة كما كانوا فى الحياة الدنيا ويتميز كل منها بانها بناء ضخيم مستطيل مشيد بأحجار كبيرة من الحجر الجيرى ، تميل جدرانها قليلا إلى الداخل ، وتخلو من المشكاوات . وكانت الطقوس الدينية تؤدى فى مبنى من اللبن مغطى بطلاء أبيض ، يقوم أمام الجزء الجنوبى من واجهة المصطبة .

وكانت فى الجدار الغربى من المقصورة لوحة منقوش عليها صورة صاحب المقبرة جالسا أمام مائدة القربان ، ومن أمامها كانت تؤدى الشعائر الجنائزية . وتؤدى من سطح المصطبة بئر عمودية إلى غرفة الدفن ، حفرت فى الصخر على عمق كبير ، ويكسو جدرانها حجر جيرى جيد مرقط بما يحاكي حجر الجرانيت الوردى . وفى الزاوية الجنوبية الشرقية من غرفة الدفن حفرة فى شكل صندوق ، كانت تحفظ فيها أحشاء المتوفى .

وقد بنيت المصاطب فى شرق الهرم وجنوبه وغربه فى صفوف منتظمة تفصلها شوارع توازى قاعدة الهرم وتتعامد عليها . ومن المصاطب الهامة فى شرقى الهرم الأكبر مصطبة حم ايونو ، وهى مصطبة عظيمة تزيد مساحتها على ثلث فدان . وفى عهد منكاورع أصبحت غرفة القربان تبني من جديد فى بناء المصطبة ، وفى جدارها الغربى باب أو بابان وهميان ، وغدت جدرانها تنقش بالمناظر (١).

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ - ٣٦٥ شكل ١٥١ .

وحفر كثير من أفراد الأسرة المالكة مقابرهم فى الصخر فى هضبة الجيزة بالقرب من الأهرام الثلاثة . وكانت واجهة المقبرة الصخرية تسوى بحيث تميل قليلا إلى الداخل ، ومن الواجهات ما كانت تكسى بالحجر الجيرى . وتتألف المقبرة الصخرية عادة من غرفة أو أكثر ومقصورة القربان ، وكلها محفورة فى الصخر ، ومنها ما نحتت فى جدرانها التماثيل . وكانت الجدران تحلى بالنقوش فى كثير من الأحيان . ومن أشهر المقابر الصخرية مقبرة الملكة مرس عنخ الثالثة زوجة الملك خفرع ، وتقع إلى الشرق من الهرم الأكبر .

ومنذ أواخر الأسرة الرابعة أخذ حكام الأقاليم وكبار الشخصيات فى الوجه القبلى يحفرون مقابرهم فى الجبل فى أقاليمهم وذلك لندرة المساحات المسطحة . وقد اتخذت هذه المقابر فى بداية الأمر الشكل الخارجى للمصاطب المبنية .

وفى الأسرة الخامسة زاد عدد الحجرات التى كانت تبني داخل المصطبة ، وساعد ذلك على كثرة المناظر الملونة التى تحلى الجدران . ومنها مقبرة انسد جر كاي فى غرب الهرم الأكبر ، وبتاح شبس فى أبو صير . وفى سقارة مقبرة تي وأخت حتب ووالده الوزير بتاح حتب . وتتقدم مقبرة تي صفة صغيرة تؤدى إلى فناء كبير محاط بالأعمدة . وفى منطقة أهرام الجيزة مقبرة رع ور التى تحتوى على مالا يقل عن خمسة وعشرين سردابا . وكان رع ور أحد كبار رجال الدولة فى عهد الملك نفر اركارع . وهناك مقبرة سنب غربى الهرم الأكبر ، وهى بناء مربع من اللبن تعلوه قبة هى أقدم قبة معروفة فى مصر .

وفى الأسرة السادسة كثرت القاعات فى الجزء العلوى من المقبرة ، منها مقبرة مري روكا فى سقارة التى كانت تشتمل على ٢١ غرفة للزوج و ٦ غرف للزوجة و ٥ غرف للابن ^(١) . ومقبرة كايجمنى و نفر شمش رع و عنخ حاحور و نفر شمش بتاح ومقبرة " بيبي عنخ " الملقب باسم " سثو " الذى امتازت مقبرته إلى الشرق

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ - ٣٦٨ شكل ١٥٣ - ١٥٤ .

من معبد اسيسى بمناظر القرايين والأوانى المختلفة الجميلة . (١)

ومنذ بداية الأسرة الرابعة كانت جدران مقصورة القربان تحلى بالمناظر الملونة ، منها ما يمثل صاحب المقبرة وهو يشرف أحيانا على حقوله أو يجلس بين أفراد أسرته وأصدقائه يستمع إلى عزف الموسيقى وغناء المغنيين ويشاهد رقص الراقصات . ومنها ما يمثل حرث الأرض وصيد الأسماك والطيور وحيوانات الصحراء . ونرى الصناع وهم يعملون فى الحرف المختلفة فهنا النجارون وصناع القوارب والمراكب وهناك الصياغ وعلى مقربة منهم صانعوا الأوانى ، وعلى مسافة قريبة منهم نرى الاتباع وهم يحضرون الأزهار والهدايا ويقدمون القرايين من شراب وطعام ونرى الكهنة وهم يقومون ببعض الطقوس الدينية . وكل هذه المناظر تجعلنا نعيش معهم ونرى ملابسهم وحليهم وطعامهم وشرابهم ونتأمل فى محصولات حقولهم وأشجار حدائقهم وننظر إلى الطيور والحيوانات التى كانوا يربونها ونقف أمام الأسماك السابحة فى النهار وما يشبه الحقول فى غدوها ورواحها والطيور فوق الأغصان . ومن أبداع ما حفظ من هذه الرسوم ست أوزات من نوعين مختلفين من مقبرة نفر ماعت فى ميدوم .

وفى الأسرتين الخامسة والسادسة أخذت المناظر تكثر وتتنوع وتتابع جنبا إلى جنب ، تمثل صاحب المقبرة يتناول قرايينه وهو يستمع للموسيقى والرقص والغناء ، أو وهو يصيد الحيوان أو الطير أو الأسماك ، أو وهو يشرف على ما يؤدي أمامه من أعمال مختلفة ، منها ما يصور الزراع والمثاليين وصناع الحلى والنجارين . ومن المقابر الصخرية فى اسوان من عصر الأسرة السادسة ما سوى الجبل من أمامه فى شكل مسطح مسور يؤدي إليه درج ، ومن أهمها مقبرة سابنى . (٢)

(١) د. احمد فخر د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) دى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٩٨ شكل ١٠ ، ١١ .

ومن أهم العناصر المعمارية فى مقابر الدولة القديمة ما يعرف بالباب الوهمى ، وهو نقش بارز فى حجر أو الخشب لباب حقيقى ، كان واسطة الاتصال بين الجزء العلوى من المقبرة ، حيث كانت تقدم القرابين أمامه على مائدة قرابين من الحجر وتؤدى الطقوس الجنائزية ، وبين غرفة الدفن ، حيث ترقد مومياء المتوفى . وقد يثبت هذا الباب فى واجهة المصطبة أو فى الجدار الغربى لمقصورة القرابين . وكان ينقش عليه صورة المتوفى مع زوجته فى كثير من الأحيان أمام مائدة القرابين التى توضع عليها أطعمة مختلفة أو أنواع من الخبز . وقد نقش على الجانبين صور بعض أفراد الأسرة وحملة القاربين مقبلين لزيارة المتوفى وتقديم القرابين له . وأغلب هذه الأبواب الوهمية من الحجر الجيرى ، ومنها ما هو من حجر الجرانيت ، ومنها ما هو ألواح من الخشب وعثر على أبواب وهمية من الأسرتين الرابعة والخامسة فاخرة ومحلاة على طراز واجهة القصر الملكى . ويعتبر فأنديه أن الأبواب الوهمية واللوحات بأنواعها وأشكالها فى المقابر وموائد القرابين فى المعابد والمقاصير جزءا من العمارة الدينية والجنائزية معا .^(١)

ومن أهم أجزاء الأثاث فى المقبرة هو " التابوت " الذى يحتوى على مومياء المتوفى ، وكان يطلق عليه اسم " مالك الحياة أو سيد الحياة " ما يعبر عن الرغبة فى أن يحيى من يرقد فيه وأن يعيش إلى الأبد . وكان من الخشب من داخل تابوت آخر من الجرانيت أو البازلت . وبجانب التابوت كان يوضع صندوق الأحشاء الذى يحتوى على أوانى الأحشاء الخاصة بالمتوفى .

فى عصر الدولة الوسطى :

تقع مقابر موظفى عصر الدولة الوسطى من عصر الملك منتوحتب الثانى فى شمال وجنوب مقبرة مليكهم فى غربى طيبة ، من هذه المقابر حجرة دفن " حور حتب " الجميلة ، التى أمكن نقلها إلى المتحف المصرى ، ومن هذه المقابر أيضا مقبرة " مكت رع " المشرف على قصر الملك منتوحتب الثانى .

ولا يختلف طراز مقابر الأفراد حول هرمى امنمحات الأول وسنوسرت الأول فى اللشت وحول هرم امنمحات الثانى فى دهشور عن طراز المصطبة فى أوائل عصر الدولة القديمة . ومن أهم المقابر بجوار هرم سنوسرت الأول مصطبة سنوسرت عنخ ، مثال الملك وبناته .

وبلغت أقاليم الصعيد غاية ازدهارها فى النصف الأول من الأسرة الثانية عشرة ، وقد حفر حكامها مقابرهم فى أماكن ممتازة فى سطح الهضبة ومن أشهر مقابر ذلك العهد مقابر بنى حسن ، دير البرشا ، دير ريفا ، قاو الكبير ، وأسوان ، ومقابر مير مركز القوصية بمحافظة أسيوط . وكان يؤدى إلى مقابر بنى حسن طريق صاعد ، ويتقدم المقبرة فناء ، بعضه مبنى وبعضه محفور فى وجه الجبل . وكانت مقابر حكام " قاو الكبير " من طراز مبدع إذ كانت تتألف مما يقابل معبد الوادى والطريق الصاعد والمعبد الجنائزى ، مثل مقبرة واح كا الأول . ومن مقابر أسوان ما يعد بحق من أفخم المقابر المصرية على وجه الإطلاق إذ تمتاز بجمال موقعها ووضوح أجزائها المعمارية ، وحسن تنظيمها ، وعلى رأسها جميعا مقبرة سارنبوت الثانى .^(١)

وأهم ما فى تلك المقابر مناظرها ، فمثلا فى مقابر دير البرشا منظر للمصارعة الذى يبين أنه كان هناك حكم يقوم بمراقبة المصراعين . أما فى مقابر بنى حسن فكانت مناظر المصارعة مقسمة إلى مجموعات مختلفة وتتكون كل مجموعة من ٢١٩ شخصا وأخرى من ١٢٢ شخصا وأخرى من ٥٩ ليس معهم حكم وتتميز كل مجموعة بزى ملون ، وغير مناظر المصارعة هناك مناظر حمل الأثقال والقفز وتمارين تشبه لعبة الملاكمة والجمباز الحالية . ومنها ما يصور الفتيات بالكرات الصغيرة . وحرصوا أيضا على ممارسة رياضة السباحة ، ومن ألوان الرياضة الأخرى كانوا يعرفون المبارزة بالعصى والعدو والتسلق والتجديف

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ - ٣٨٩ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ ،

شكل ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

والفروسية والرماية ^(١) . وغير هذه المناظر الرياضية هناك مناظر الرقص الدينى أثناء عملية نقل تمثال المتوفى إلى المقبرة ، ومناظر للتسلية مثل لعبة الداما ومناظر الصيد فى الصحراء . ^(٢)

وهناك مقابر كبار الشخصيات من العصر الأهناسى والدولة الوسطى نجدها أيضا فى زاوية الأموات وأسيوط ودير الجبراوى والهجارسة وأخميم ودندرة وجبلين ^(٣) . وعثر فى مقبرة لحاكم أسيوط على مجموعتين من التماثيل الخشبية تتألف من أربعين جنديا . ^(٤)

فى عصر الدولة الحديثة :

عنى كبار الأفراد فى الدولة الحديثة بمقابرهم وقد حفروها فى وجه الجبل . بالقرب من معابد ملوكهم الجنائزية ، وتتألف بصفة عامة من فناء تليه ردهة مستعرضة ، تؤدى إلى دهليز طويل ، يؤدى إلى مقصورة فى جدارها الخلفى مشكاة لتمثال صاحب المقبرة وحده أو مع بعض أفراد أسرته . وتقع جميع أجزاء المقبرة على محور واحد . وكان يعلوها هرم من اللبن فى واجهته مشكاة لنصب أو لتمثال . وكان العمل يبدأ بحفر وإعداد الفناء الخارجى ، ثم حفر واجهة المقبرة ، ثم الصالة العرضية وصقل جدرانها ، وبعد ذلك الصالة الطولية . وعندما يبدأ النحاتون فى العمل فى نحت الصالة الطولية يقوم النقاشون برسم المناظر ونقشها ثم تلوينها على

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢١٢ - ٢١٣ حاشية رقم (١) وأشكال ٥٨ - ٦٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) Newberry, Beni-Hassan 11, p1. 16-32.

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٨٢ .

(٤) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٧٤ .

جدران الصالة العرضية (١)

ومن المقابر ماله فى مؤخرة الفناء صفة تحمى النقوش من أشعة الشمس ويستظل من تحتها وقت أداء الطقوس الجنائزية عند دفن المتوفى . ومن هذه المقابر مقبرة انينى ، وبويمرع ، ورخمى رع ، وسنوفر . ومن أفخم المقابر مقبرة الوزير رع موسى من عهد أمنحتب الثالث وإخناتون ، وتحتوى على الردهة المستعرضة على اثنين وثلاثين أسطونا فى مجموعتين تكتنفان محور المقبرة ، ويشتمل الدهليز الطويل على ثمانية أساطين ، على شكل حزمة البردى فى صفين .

وتعد مقبرة امنحات سرر من عهد أمنحتب الثالث أعظم المقابر فخامة بما فيها من أساطين على شكل حزمة البردى (٢) . وتحلى الجدران المقابر مناظر منقوشة أو مرسومة بألوان جميلة ، منها ما يمثل صاحب المقبرة يحيى الشمس عند شروقها ، ومنها ما يصور موضوعات تشير إلى وظائف صاحب المقبرة أو منها ما يمثل الملك على العرش يقدم إليه صاحب المقبرة تقريراً عن أعماله أو ما جمعه من ضرائب أو حصل على من جزى الشعوب الأجنبية . ومنها ما يمثل استعراض الجند وتوزيع المؤن عليهم ، أو يصور مسح الأرض وحرثها وحصاد الزرع ودرس الحب وتذريته ثم كيـله . ومنها ما يصور المثاليين والرسامين والنجارين والخبازين وصناع الجعة والسنعال والحلى يقومون بأعمالهم المختلفة . ومنها كذلك صور مآدب فخمة ، اجتمع فيها الأهل والأصدقاء يستمتعون بسماع الموسيقى ورقص الراقصات ، ويقوم على خدمتهم الخادmates . ومنها ما يصور صيد الطيور والأسماك وفرس النهر ، ومنها ما يمثل تحليق الطيور وجمال الزهور فى الطبيعة ، ومنها ما يمثل الاتباع والجوارى والنادبات والمشيعين ، ومنها ما يصور صاحب المقبرة وزوجته بزيهم الرقيق وحليهم المتنوعة وشعورهم الجميلة المعطرة ، ومنها ما يمثل مناظر جنائزية مختلفة مثل طقوس فتح القم ، ومراسيم الدفن ، وتقديم القرابين ، ومنها ما يمثل معبودات الجبانة

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٣٥١ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٠ - ٤٣٥ شكل ١٩١ - ١٩٨ .

ومحاكمة الموتى أمام أوزير . ومنها ما يمثل الزيارة إلى المدن المقدسة أبيدوس وايونو وسايس (١).

ومن النصوص والمناظر ما يدل على أن بعض مقابر الأشراف في الدولة الحديثة تلحق بها حديقة كان المتوفى يرجو أن ينعم فيها بالهواء المنعش تحت أشجار الجميز ، على أن مثل هذه الحدائق لابد وأنها كانت قليلة وضئيلة المساحة . وأصبحت مقابر الأفراد في البر الغربى فى طيبة ولاسيما فى عهد تحوتمس الثالث سجلا جامعاً لتصوير شعوب بلاد الشرق القديم فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، إذ سجل الفنانون المصريون خصائص الوفود الأجنبية حين كانوا يفدون على مصر بملابسهم الوطنية وما كانوا يحملونه من منتجات بلادهم ومحاصيلها وأنواع الجزية والهدايا فى مقابر سنموت ورخمى رع ومن خبر رع وأمنحتب . وكان موظفو الخزانة هم المسئولون عن تسلم هذه الهدايا (٢) . واختفت مناظر الحياة اليومية فى مقابر الرعامسة وسادت مناظر عالم الآخرة والمناظر الجنائزية .

وفى الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين كان لبعض المقابر الكبيرة فى البر الغربى مبنى ضخم من اللبن فوق سطح الأرض يتألف من صرح أو أكثر ، وفناء أو أكثر ، وعدد من الدهاليز والأبهاء ولقاعات المحفورة فى الصخر تحلى جدرانها النقوش . ومن أبرز أمثلة هذه المقابر مقبرة باباس فى العساسيف وتتألف من مبنى ضخم فوق سطح الأرض تحلى جداره الخارجى مشكاوات . ويشتمل على صرح من اللبن فى الشرق يؤدى إلى فناء يليه فناء آخر . وفى ارضيته بئر محفورة فى الصخر تؤدى إلى فناء القربان تحت سطح الأرض . وفى الشمال صرح ثانى يؤدى منه احدور ثم درج إلى قاعات محفورة فى الصخر تحت سطح

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ - ٤٣٨ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٥ .

الأرض ^(١) . ونجد الطراز نفسه فى مقبرة بادى حور رسنت رقم ١٩٦ فى البر الغربى فى طيبة ^(٢) . وفى العصر الفارسى حفر الأشراف مقابرهم فى اسفل آبار واسعة . وتتألف من غرف مبنية بالحجر الجيرى بسقوف مقببة . وكانت البئر تردم برمل نظيف وبجانبها بئر صغير تتصل بغرفة الدفن بدهليز صغير ، وكانت تفتح فى السقف بعد الدفن فتحات تسمح بدخول الرمال من خلالها فيملأ الرمل المدخل . ومثال ذلك مقبرة بادى أمنحتب فى البر الغربى . وهناك أكثر من ثلثمائة مقبرة للنبلاء وكبار رجال الدولة موزعة بين جبانة دراع أبو النجا والعساسيف ، وشيخ عبد القرنة ، وقرنة مرعى ، الحوزة ، والخوخة ، والدير البحرى .

ولا تختلف مقابر الأشراف فى تل العمارنة كثيرا عن مقابر البر الغربى فى طيبة ، إذ تتألف من فناء وبهو كبير ، نحتت أساطينها البردية من الصخر ذاته ، ثم نجد مقصورة فى نهايتها مشكاة فيها تمثال صاحب المقبرة . وأكثر ما يحلى الجدران من مناظر إنما يصور الأسرة المالكة وعبادة آتون ، ومنها ما يمثل الملك والملكة والأميرات فى نافذة التجلى يمنحون المخلصين من رعاياهم واتباعهم هدايا الذهب ^(٣) أو نرى الملكة والملك فى مركبتهما ، كما أن منها ما يصور معبد آتون والقصر الملكى والملحقات . وأهم هذه المقابر مقبرة مري رع .

وهكذا اختلفت الصور التى كانت تمثل أعمال صاحب المقبرة ونشاطه فى حياته الدنيا ومناظر أنشطته المختلفة والمناظر التى لها صلة بالطقوس الجنائزية ^(٤) .

(١) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٢ - ٤٤٤ شكل ٢٠٣ .

(٢) De Meulenaere, BSFE 66 (mars 1973), p. 10.

(٣) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 26.

(٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٢١ شكل ٣٠ - ٣٢ .

(٦) دفنات ومقابر العمال :

من المنطقي أن تكون مقابر العمال قريبة من مكان ايوائهم فيذكر د. فخرى بخصوص المجموعة الهرمية للملك خفرع أنه نستطيع أن نرى بقايا مدينة العمال في الجهة الغربية منها وهي مقسمة إلى ١١٠ قاعة وتتسع لإيواء عدد يتراوح بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ عاملاً^(١). ولهذا عثر على بعد كيلو متر واحد جنوبى شرقى أهرام الجيزة على جبانة لطبقة العمال ، حفرت وشيدت مقابرها على مستويين : المستوى الأعلى ويحتوى على مقابر رؤساء العمال والنحاتين وقاطعى الأحجار وصقلها ووضعها فى أماكنها . وقد عثر فى هذا المستوى على ثلاثين مقبرة كبيرة إلى حد ما يساهم أصحابها فى بناء الأهرام الثلاثة وملحقاتها ، وهى مؤرخة من الأسرة الرابعة^(٢). المستوى المنخفض ويحتوى على دفنات للعمال والمزارعين البسطاء الذين جاءوا من جميع أقاليم مصر للمساهمة فى بناء هذه المجموعة الهرمية ، وهم الطبقة التى كانت تساهم فى جذب كتل الأحجار ووضعها فى أماكنها أو من عمال المناجم وحملة مياه الشرب وغيرها من مؤن . وعثر فى هذا المستوى على حوالى ٦٠٠ دفنة وهى ليست مقابر بالمعنى الفعلى^(٣) ، وهى عبارة عن حفر بسيطة وسدت بداخلها أجساد المتوفين ويعلوها كومة من الأحجار الصغيرة ، مما يدل على بساطة مستوى هؤلاء العمال وهذا يعنى أيضا أنهم لم يكونوا أصلاً من سكان المنطقة . وعثر د. زاهى فى

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١١٩ ؛ د. رمضان

عبد : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٥٤٠ حاشية (٤) .

(٢) Siliotti-Hawass, Guide to the Pyramids of Egypt, p. 86-87 (A).

(٣) يعطينا المؤلفان (المرجع السابق) فى هاتين الصفحتين صورة جميلة (A)

لموقع هذه الدفنات .

هذه الدفنات تشبه إلى حد كبير الحفر البسيطة التى عثر عليها زكى سعد فى

حفائر عزبة الوالدة بخلوان وكانت مخصصة للخدم والعمال من عصر بداية

الأسرات ، راجع فيما سبق ، ص ١٥٨ .

المستوى الأعلى على مقبرة كبيرة كان بداخلها تابوت سليم لم تمسه أيدي
 اللصوص. ^(١) ومقابر هذا المستوى لا ترقى إلى مستوى مقابر العمال في دير
 المدينة ^(٢) من حيث التصميم والحجم ونقش ورسم المناظر بها فأغلبها شيد فوق سطح
 الأرض بكتل حجرية صغيرة ، وتختلف مقابر رؤساء العمال والفنانين والصناع
 والخدم في دار العدالة في دير المدينة من عصر الرعامسة والتي تقع بالقرب
 من وادي الملكات كثيرا من مقابر النبلاء وكبار رجال الدولة في عصر الدولة
 الحديثة ^(٣) ، وشيدت هذه المقابر على أرض مسطحة ، وتتألف من مدخل في شكل
 صرح صغير يؤدي إلى فناء تحيط به جدران من الطوب اللبن ، كانت فيه حديقة
 صغيرة وأشجار وزهور تنعم بها روح المتوفى ، وفي مؤخرة الفناء هرم أجوف من
 اللبن على قاعدة منخفضة من اللبن أو الحجر . وفي واجهة الهرم مشكاة كانت
 تحتوي على تمثال المتوفى ، الذي يمثله في بعض الأحيان راكعا وبين يديه نصب .
 ويؤدي إلى حجرة الدفن بئر محفورة في الفناء أو في مقصورة القربان ، ويتألف هذا
 الجزء عادة من غرفتين أو ثلاث محفورة في الصخر . وتكسو جوانب غرفة الدفن
 جدران من الطوب اللبن مغطاة بجص أو طين وعليها مناظر جنائزية ملونة ، وسقفها
 في الغالب على شكل قبو من اللبن محلى بالرسومات .

ومن مقابرهم ما أقيم على سفح الجبل مما أدى إلى حفر مقصورتها في
 الصخر . وهي تتألف عادة من مدخل في هيئة صرح يؤدي إلى فناء نحتت بعض
 جدرانه في الصخر . وفي مؤخرته صفة صغيرة تظل تمثالا أو أكثر ، وفي جدارها

(١) د. زاهي حواس : معجزة الهرم الأكبر ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) تحدثنا فيما سبق ، ص ص ٥٩ - ٦٠ عن مدينة العمال التي شيدها الملك
 سنوسرت الثاني بالقرب من هرمه في اللاهون ، ومدينة العمال في تل العمارنة
 التي كانت تحتوي على أربعة وسبعين منزلا ، وكان من المفروض أن نعثر
 على مقابر هؤلاء العمال بالقرب من هاتين المدينتين .

(٣) كانت طبقة العمال في دير المدينة لا تتلقى فقط رواتبها في شكل مؤن ولكن
 أفرادها كانوا يمنحون أيضا مكانا لحفر مقابرهم في جبانة دير المدينة . راجع :
 Lalouette, Thèbes ou la naissance d'un Empire, p. 471.

الخلفى مدخل يؤدي على دهليز قصير فقاعة ثم مقصورة فى جدارها الخلفى مشكاة فيها تمثال المتوفى (١) . وهناك حوالى أربع وخمسين مقبرة للعمال فى جبانة دبر المدينة ، وهؤلاء العمال هم الذين اشرفوا على تشييد وحفر ونحت ونقش ورسم وتلوين معابد البر الشرقى والغربى ومقابر الملوك والملكات وكبار الشخصيات ومقابرهم الشخصية فى البر الغربى . وقد تطورت هذه المقابر أيام الأسرة العشرين حتى أصبحت مقابر عائلية يدفن فيها أفراد العائلة الواحدة . ومن أهم هذه المقابر ثلاث هى : مقبرة سن نجم (رقم ١) الذى كان خادما فى دار العدالة من الأسرة التاسعة عشرة ، ومقبرة باشد (رقم ٣) من عصر الرعامسة ، ومقبرة إن حرخع (رقم ٣٥٩) الذى عاصر كل من رمسيس الثالث ورمسيس الرابع . (٢)

ثانيا - الفنون التعبيرية :

(١) الموسيقى :

عرف المصريون القدماء بحبهم الشديد للموسيقى ، وشغفوا بالنغمة العذبة واللحن الجميل . ففي أسطورة انوريس ما يدل على اعتقاد المصريين القدماء بأن الموسيقى تساعد على تهذيب المشاعر وترقية الأحاسيس . وليس أدل على اهتمامهم بالموسيقى من اختيارهم للمعبود احي (أو إهى) معبودا للموسيقى ، والذي يصور قابضا على شخشيخة يهزها وهو يتقدم الطقوس الدينية التى تؤدي لأمه المعبودة حتحور . (٣)

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ - ٤٤٢ ، شكل ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٤٢٥ - ٤٣٦ أشكال ٩٧ - ١٠٣ أ ب .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٨٣ - ٨٤ ؛ Hickmann, Quarante - cinq siècles de musique dans L'Égypte, Paris 1956 .

وهناك أيضا المعبود بس الذى نراه يلعب على إحدى الآلات الموسيقية ^(١) والمعبودتان مرتى (للجنوب وللشمال) اللتان تشتركان فى الطقوس الدينية .

وقد أهتم المصريون القدماء بضبط الإيقاع اهتماما كبيرا ، مما ساعد على توقيت النغم وتنظيم حركات التوقف وانتقال اللحن من مقطع لآخر . ^(٢)

ويكفى أن نذكر أن المصريين القدماء كانوا أول من وضع أصول النوتة والسلم الموسيقى ^(٣) . ويقال أن اليونانيين تعلموا النوتة من المصريين فمثلا " بيثا جوراس " قد تعلمها فى مصر . وأن المهاجرين من المصريين إلى بلاد اليونان كانوا يعلمون أصول الموسيقى والعزف على الآلات المختلفة لليونانيين عندما قام أحد الملوك البطالمة باضطهادهم فى الإسكندرية ونفاهم منها . ^(٤)

وقد استخدم المصريون القدماء آلات موسيقية متنوعة منذ أقدم عصورهم . وكانت هذه الآلات مصرية صميمة ولكن بعد إن ازداد اتصال المصريين بالشعوب الآسيوية المجاورة تطورت هذه الآلات تطورا كبيرا .

ومن تجربة جرت حديثا وهى العزف على ناى أثرى تمكن استخراج السلم الموسيقى خماسيا (الموسيقى الأولية) وسباعيا (المتطورة والمتداولة حاليا) وتوصلت مجموعة من البحث المصرية الأمريكية إلى أن النتائج إلى أجريت على أصوات الناي ترجع إلى عصر الدولة الوسطى والدولة الحديثة عثر على أحدهما فى بنى حسن والآخر فى سقارة . فقد أعطى أحدهما ٤٣٩ ذبذبة والثانى ٤٤٠ ذبذبة والنعلمات الصادرة عنهما متوافقة إلى حد كبير . وهذا يؤكد أن المصريين القدماء كان لديهم مصدر قياسى للذبذبات ليضبطوا عليها هذه الآلات . ومن الغريب أن

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها : المرجع السابق ، شكل ١٠ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٦ .

(٣) Manniche, Ancient Egyptian Musical Instruments (MAS 34) (1975), p. 24-25; Hickmann, Instruments de musique dans CGC, le Caire 1949, p. 5.

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٦ .

التقوب الثلاثة فى كل من النايين تدل على تفهم المصريين القدماء لأبعاد السلم الموسيقى وأن المقامات العربية (السيكاه والنهوند) ذات أصل مصرى قديم ، وليست كما قيل عنها أنها من أصل فارسى قديم . وهناك عدد من النايات المصرية القديمة فى متاحف اللوفر والمتروبوليتان لابد أن دراستها سوف يكشف معارفهم العميقة فى مجال السلم الموسيقى الذى نقله الإغريق إلى اليونان ومنها إلى أوروبا .

وتنقسم آلات الموسيقى إلى ثلاث مجموعات رئيسية : الآلات الوترية ، آلات النفخ ، ثم آلات الإيقاع ^(١) . ويعد الجنك أقدم الآلات الوترية وأكثرها شيوعا . وهو عبارة عن صندوق خشبى للصوت يخرج منه عدد من الأوتار العمودية الاتجاه ، والمثبتة فى طرف الآلة . وقد تعددت أنواع الجنك واختلفت أحجامه وتطورت أشكاله .

أما الكنارة فهى آلة خشبية آسيوية الأصل . تمتد أوتارها ، التى تبلغ خمسة فى العادة ، متوازية بين صندوق الصوت والإطار الخشبى .

الطنبور ، وهو آلة بيزاوية الشكل ، تمتد منه رقبة طويلة ، قد تقتصر فى بعض الأحيان ، حتى ليشبه شكل آلة العود الحالى . وكانت تحمل على الصدر فى وضع أفقى كما يستخدم الكمان الآن أو فى وضع رأسى كما تحمل الربابة . ويستخدم العازف على الطنبور ريشة يلعب بها على أوتاره الثلاثة أو الأربعة .

أما آلات النفخ ، فأهمها المزمار الذى تعددت أنواعه . ثم ظهر بعد ذلك المزمار المزدوج .

Manniche, op. cit., p. 12-20.

(١)

لوريه : ملاحظة عن الآلات الموسيقية فى مصر القديمة فى دائرة معارف الموسيقى ، لوميناك - باريس ١٩١٣ ، ص ١ - ٣٤ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٥ .

وتعد آلات الإيقاع من أقدم الآلات الموسيقية في مصر . ومن أهم أنواعها :
المصفقات أو الصاجات المعدنية والخشبية إلى تحدث صوتا عند قرع بعضها ببعض
 كالصنوج والمقارع والعصى المصفقة .

أما الدفوف فكانت تتكون من إطارات خشبية مستطيلة الشكل في الغالب
 تغطيها جلود رقيقة أسطوانية الشكل ومن الخشب أو المعدن تعلق على الكتف حين
 الضرب عليها .

واستخدم المصريون القدماء أيضا الصلاصل ، وهي مصنوعة من المعدن
 على هيئة حذوة حصان تخترقه بعض القضبان الرفيعة ، التي تحدث رنينا عند
 تحريكها . وكان استخدامها مقصورا على النساء وللأغراض الدينية .^(١)

ويلاحظ أن الموسيقى المصرية القديمة ارتبطت بالحياة الدينية . فكان
 للموسيقى مكانتها في المعبد ، عند إقامة الشعائر الدينية ، وكذا مراسيم الدفن والأعياد
 الدينية للمعبودات والأعياد الرسمية والحفلات العامة والمراسيم^(٢) . ويلاحظ على
 الموسيقى ارتباطها القوى والمنطقى في الوقت نفسه بالغناء والرقص وكان للقصر
 الملكي فرقة موسيقية خاصة به ، كما ولع المصريون بتناول الطعام على نغمات
 الموسيقى ، كما انتشرت عادة إحضار فرقة موسيقية كاملة ، لتعزف للضيوف
 وتساهم في الغناء والرقص أثناء الحفلات والولائم الكبيرة .

وشكلت الفرق الموسيقية في الدولة القديمة من واحد أو أكثر من عازف
 للجناك ونافخ للمزمار وضابطى الإيقاع والمغنيين . أما في الدولة الحديثة فقد أضيف
 إليهم ضاربوا الدفوف والعازفون على الطنبور والكنارة وكان بين الموسيقيين
 والمغنيين ، وخاصة عازفى الجناك عدد كبير من مكفوفى البصر .^(٣)

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ شكل ٣٠ .

ومع ذلك فلم يكن كل الموسيقيين محترفين ، فقد هوى الكثير من المصريين العزف على الآلات الموسيقية .

وتمتلى نقوش المقابر منذ الدولة القديمة بمناظر عازفى الآلات الموسيقية فى منظر بمقبرة مري روكا أحد نبلاء الأسرة السادسة نراه وقد جلس جلسة هادئة مسترخية ، يستمع إلى غناء زوجته وعزفها على الجناك .^(١)

وهناك منظر بالمتحف المصرى من مقبرة نن خفت كا من الأسرة الخامسة بسقارة ، ينقسم هذا المنظر الذى يوجد على كتلة من الحجر الجيرى ، على قسمين فى أعلى نرى فرقة موسيقية من الرجال ، نرى فيها موسيقيا يعزف على الجناك ، وآخرين ينفحان فى مزمارين ، ومغن رفع صوته بالغناء ، بينما يتابع ثلاثة رجال النغم بأصوات يخرجونها من أطراف أصابعهم . وفى اسفل نرى مجموعة من خمس فتيات يرقصن تحت إشراف مدربتين اللتين يصفقن لضبط إيقاع الرقص .^(٢)

وفى منظر آخر من مقبرة رخمى رع من الدولة الحديثة ، نرى منظر وليمة ، يوجد خلالها اثنتان من العازفات تلعبن بآلتين موسيقيتين :

الجناك والطنبور^(٣) . ومنظر من مقبرة نب آمون من الدولة الحديثة فى المتحف البريطانى يمثل امرأة تنفخ فى مزار مزدوج واثنتان يصفقن وأمامهن فتاتين صغيرتين يرقصن .^(٤)

وهناك منظر رسم على قطعة من الحجر الجيرى يمثل امرأة تعزف على آلة موسيقية ، وهذه القطعة موجودة الآن فى متحف استاتيلش ببرلين الشرقية سابقا

Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London 1958, p. 205. (١)

Saleh-Sourouzian, Official Catalogue: The Egyptian Museum (٢)
Caire, no 61; Vandier, Manuel d'archéologie IV, p. 364-417;

PM 111, p. 580-581. وأيضا : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة

المصرية ، ص ١٦٥ .

Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 15 . (٣)

Id., op. cit., p. 128. (٤)

وعثر عليها في دير المدينة وهي من الأسرة التاسعة عشرة^(١) . وجزء من نقش من مقبرة من الدولة الحديثة ، موجودة الآن في متحف ليدن ، يمثل ضرير يعزف على الجناك ومن خلفه نافخ المزمار .^(٢)

(٢) الغناء بأنواعه :

لازم الغناء الموسيقى في كثير من الأحيان . وكان المصري القديم يغنى في البيت وفي أثناء العمل وفي الطريق .

وقد دونت أغاني كثيرة على البردي أو نقشت على جدران المقابر . وكان منها ما يتصل بجمال الطبيعة ومباهج الحياة وبالحب والغرام ، ويتغنى فيه العاشق بجمال محبوبته وحسنها . وقد ترك لنا المصريون الكثير من أغاني الحب والغزل والأغاني المتنوعة التي تدل على حس مرهف وشعور رقيق . وقد صوروا لنا قسوة الفراق ، والسعادة في الوصال . وقد رموزا في تلك الأغاني على الحبيبة أو الزوجة بلفظ " اخت " وفي هذا التعبير سمو في المعنى ، يرتفع بعاطفة الحب إلى مستوى عاطفة الأخوة من حيث الطهارة والنقاء . وهناك الغناء الشعبي الذي يتصل بالعمل ، يغنيه المزارع والراعي والعامل أثناء مزاولته لعمله الشاق . فكان هناك أغان خاصة بالحرث والحصاد والدرس ، وعصر النبيذ ، ورعى الأغنام ، والتجديف وصيد الأسماك . ومنها ما يتصل بالمراسيم الجنائزية والطقوس الدينية في المعابد أو في مناسبات الأعياد وفي مواكب النصر .^(٣)

وكان هناك المغنيون الملحقين بالقصر الملكي من رجال ونساء ، والمغنيون في المناسبات والحفلات أو المغنيون في المعابد ، والمغنيون المرتبطون بالطقوس الجنائزية التي تؤدي للملك المتوفى ، وكان لطبقة المغنيين رئيس ، يسمى " رئيس المغنيين " .

(١) Id., op. cit., p. 16 .

(٢) Id., op. cit., p. 73 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٧ .

وهناك منظر فى مقبرة انحرخع فى دير المدينة من الأسرة التاسعة عشر ، يمثل مغنى يعزف على القيثارة وأمامه صاحب المقبرة وزوجته وترفع الزوجة يدها اليسرى تحية له .^(١)

(٣) الرقص بأنواعه :

لعب الرقص دورا هاما فى حياة المجتمع المصرى القديم ، فهم لم يقبلوا عليه رغبة فى اللهو أو التسلية والترفيه فحسب ، بل اخذوا منه أيضا سبيلا للتقرب إلى المعبود . وكان عبارة عن حركات معبرة وإيماءات رشيقة . وقد تنوع الرقص وفقا للمناسبات والأغراض . ويمكن تصنيف الرقصات المصرية القديمة إلى أنواع كثيرة ، منها ما يأتى :

الرقص الدينى : يؤدى فى المعابد ويؤدى أمام تماثيل بعض المعبودات لأنهم يبتهجون بالرقصات الجميلة كما يبتهج لها البشر . وكانت النسوة المشتركات فى الرقصات التى تحيط بموكب المعبودات يقرعن الطبول ويلوحن بالأغصان ، ويهدفن بذلك طرد الأرواح الشريرة التى قد تعوق سير موكب المعبود المقدس .^(٢)

الرقص الجنائزى : كان الجنائزى يشكل جزءا من الطقوس الدينية الجنائزية . وكان الهدف منها إدخال السرور على روح المتوفى ، وإلى طرد الأرواح الشريرة إلى قد تؤذيها . ومن أشهر الرقصات الجنائزية تلك التى صورت فيها الراقصات يتمايلن فى حركات وفقا لضربات الدفوف والراقصات " مو " أثناء الجنازة وأثناء زيارة جثة المتوفى لمدن المزارات مثل أبيدوس وسائس وبوتو وإيونو . وهناك منظر بالمتحف المصرى من الأسرة التاسعة عشرة ، من مقبرة بسقارة يمثل

Allam, op. cit., p. 119.

(١)

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

رقص جنائزى يشترك فيه ثلاث فتيات بالطبول وفتاتين صغيرتان تمسكان بعصا الكلاكيت ، ويشترك معهم مجموعة من الرجال يرفعون أيديهم إلى أعلى .^(١)

رقصات ذات طابع عسكرى : التى يمثل فيها الكر والفر والقفز والمبارزة ، وكان يمارسه بوجه خاص الجنود المرتزقة من ليبيين ونوبيين وغيرهم ، وكانت بمثابة وسيلة لبث روح القتال وللترفيه عن الجنود فى أوقات الراحة .

رقص التشكيلات الرياضية : الذى يمكن أن نسميه تجاوزا بالرقص الرياضى أو الأكروبات . ويتطلب هذا الرقص مرونة جسمانية كبيرة وتحتاج إلى تدريب طويل شاق . كأن تقف الراقصة على ساق واحدة وقد رفعت الثانية إلى أعلى أو أن يصور راقص فوق أكتاف زملائه مكونا شكلا هرميا أو تنتشى الفتيات إلى الخلف بأجسامهن حتى يلمسن الأرض بأطراف أيديهن^(٢) وذا الرقص يتطلب جرأة ومهارة .

ففى منظر لعيد المعبودة حتحور ، ربما عيد موسم الحصاد ، نرى فتى وفتاة يتخذان وضعا فى غاية البراعة يرتكز فيه كل منهما بأسفل بطنه وكفيه على الأرض ويرجع ساقيه إلى أعلى فوق ظهره ، حتى يكدان تبلغان مؤخرة رأسه .^(٣)

رقص المحاكاة : الذى يحاكي الراقصون فيه حركات الحيوانات أو الظواهر الطبيعية . ومن خير أمثلة هذا النوع من الرقص ذلك المنظر الذى مثل على جدران إحدى مقابر بنى حسن حيث رمزت فتاة واقفة باسطة ذراعيها إلى حركة الريح بينما ترمز الفتاتان المائلتان أمامها بانثناءاتهما إلى النباتات المتمائلة بفعل الريح .^(٤)

(١) المرجع السابق ، شكل ٣٦٥ ؛ Saleh- Allam, op. cit., p. 25; Sourouzian, op. cit., no 214; PM 111 (2), p. 754.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ص ١٦٦ ، ص ٣٥٥ شكل ٧٤ - ٧٥ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ١٧٩ شكل ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، ١٦٦ .

الرقص التمثيلي : ويهدف إلى تمثيل الحوادث التاريخية أو قصص الحياة ومظاهرها المختلفة . ومن أمثلة هذا النوع تلك الرقصة التي يمثل فيها أحد الراقصين الملك وهو يقبض بيده اليسرى على ناصية عدو راكم أمامه بينما ارتفعت يده اليمنى لتحطم رأس العدو .

الرقص الموسيقى : وهو الرقص المصاحب بالفرق الموسيقية . وكان الجنك والمزمار يؤلفان المصاحبة الموسيقية ^(١) ، وهو نوع من رقص السمر الذي تتمايل فيه الفتيات في رشاقة ودلال ، وهن يقمن بحركات بارعة بالأذرع والجذع والسيقان ، في حين تصفق أخريات مع وقع أقدام الراقصات وكان هذا اللون من الرقص يمارس عادة في المآدب والحفلات لتسلية الضيوف . ^(٢)

وفي مقبرة نخت رقم ٥٢ بالبر الغربي من عصر تحوتمس الرابع ^(٣) ، نرى مآدبة نرى فيها الضيوف يتمتعون بمشاهدة الرقص وسماع الموسيقى . ومن مقبرة نب آمون رقم ٦٥ بالبر الغربي من عصر الملكة حاتشبسوت ^(٤) ، نرى رقص وموسيقى تقومان بهما فتاتان . ورقص وموسيقى تقوم به مجموعة من الفتيات في مقبرة أخرى من مقابر البر الغربي في طيبة ، وهناك رقص مع أحداث صوت بفرقة أصابع اليد .

وهناك الرقصات التي تؤدي في المناسبات ، مثل تتويج الملك ، أو انتصاره وعودته مظفرا ، أو الرقصات أثناء الاحتفالات بالأعياد الكبرى مثل عيد أوبت في الأقصر . وهناك منظر في مقبرة خرواف رقم ١٩٢ بالبر الغربي من عصر الملكين أمنحتب الثالث والرابع يمثل فتاتان أجنبيتان وهن يرقصن وهن يتمايلن إلى الخلف

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٦ .

(٣) Les Guide Bleus: Egypte, p. 389.

(٤) Id., op. cit., p. 390-391.

وشعورهن الطويلة مدلاة إلى الخلف ^(١) . وهذه الرقصة تشبه إلى حد كبير الرقصات الحديثة التي تقمن بها فتيات الخليج .

ونرى في مقبرة حور محب بالبر الغربى منظر يمثل راقصة نوبية ^(٢) . وهناك أخيرا الرقص الأكروباتى الذى نراه فى بعض مقابر بنى حسن من الدولة الوسطى . وهناك رسم على اوستراكا من دير المدينة من الأسرة التاسعة عشرة بمتحف تورين ، يمثل امرأة ترقص الأكروبات ورفعت وسطها إلى أعلى بينما تلامس بشعرها ويديها الأرض ^(٣) .

(٤) محاكاة فن المسرح :

كما ذكرنا من قبل فى الباب السابع أن أسطورة أوزير أصبحت من أهم القطع المسرحية والمفضلة عند المصريين القدماء ، تبناها معبد أوزير فى أبيدوس منذ عهد الدولة الوسطى ، واحتفظت بها بعض البرديات من العصر المتأخر ، وكانت مثل هذه الأساطير تمثل داخل المعابد ، أما فى الأفنية أو أمام الصروح أو على حافة البحيرات المقدسة فى المعابد ^(٤) .

وقد تحدثنا عن نصوص أحد كبار موظفى الخزانة فى عهد سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة ، ويدعى " آخر نفر " أن الرواية كانت تمثل فى احتفال كبير فى معبد أوزير فى أبيدوس . وأن تمثيلها كان يستغرق عدة أيام قد تصل إلى ثمانية ،

(١) Allam, op. cit., p. 32; Les Guides Bleus: Egypt, p. 396-397.

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٦٣ - ٣٦٤ ، ٣٦٦ - ٣٦٩ .

(٣) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 204.

(٤) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ١٩٦٥ ، ص ٤٠٠ - ٤٠٤ ، ٤٠٥ حاشية ٤٤ .

وكان يشارك في هذه الاحتفالات جمهور كبير من زوار المعبد ، وأن الرواية كانت ذات فصول ثمانية .

وفي العصر البطلمي كانت تؤدي فصولا من هذه الأسطورة في معبد إدفو ، المركز الرئيسى لعبادة حورس . ويبدو أن اليونانيين لجأوا إلى إعادة تمثيل هذه القطعة الأسطورية في معبد إدفو نظرا لأن جميع جدران هذا المعبد تحمل نقوشا وصورا لمراحل الصراع بين حورس وست ، ولهذا كانت هذه الجدران بمثابة الديكور الخلفى ، والديكور الدائم ، والديكور الطبيعى الذى يناسب الأحداث فى هذا المكان المقدس .

ولابد أن الذين كانوا يقومون بتمثيل هذه المشاهد ، مجموعة من الكهنة والكهنة المساعدين . وهى عبارة عن مشاهد كانت تمثل أو تقلد بدون أصوات ، كما كان يحدث فى احتفالات اليوم السابع لأعياد المعبود ماردوك فى بابل . فقد كانت هناك مشاهد تعبر عن موت وبعث ماردوك تتم بالصورة نفسها كما كان يحدث لأوزير .

ويمكن القول بأن فن محاكاة المسرح فى مصر القديمة بقى داخل جدران المعابد المصرية ولم يخرج خارجها إلى المجتمع وكان قاصرا على فكرة الصراع بين الخير والشر . ولكن فن المسرح اليونانى خرج عن هذا النطاق وكان يعرض فقرات مسرحية تعالج مشاكل المجتمع اليونانى وما أكثرها والتى لم يعرفها المجتمع المصرى القديم الذى كان متمسكا بقيمه ومبادئه . كما كان هناك الرقص التمثيلى ، ويهدف إلى تمثيل الحوادث التاريخية ، مثل تلك التى يمثل فيها أحد الراقصين الملك وهو يقبض بيده اليسرى على ناصية عدو راكم أمامه ويقوم بمعاقبته .

(٥) محاكاة فن الكاريكاتير :

أبدع الفنان المصرى القديم فى رسم مناظر الحيوان الهزلية والفكاهية وعثر على الكثير منها مرسوما على قطع الاوستراكا من دير المدينة وعلى بعض البرديات

الأخرى . وفى هذه الرسوم نرى الحيوانات التى لها صلة عداء بغيرها تقوم بأعمال مع هذه الحيوانات أو تقوم بأعمال يقوم بها البشر ، ومنها :

- رسم على أوستراكا من عصر الدولة الوسطى ، نرى فيه قطا يرعى سربا من الأوز وممسكا بعصا طويلة . (١)

- رسم ملون على قطعة أوستراكا من الحجر الجيرى من الدولة الحديثة ، عثر عليها فى جبانة (دير المدينة) وموجودة الآن فى متحف برلين تحت رقم ٢١٤٤٣ نرى عليها قط متوحش يهدد قردا جالسا فى سكون وهدوء . (٢)

- رسم ملون على القطعة من الحجر الجيرى عن الدولة الحديثة ، فى متحف هيلدز هيم فى ألمانيا ، نرى عليها فارا جالسا مرتديا النقبة وممسكا بزهرة فى يديه وأمامه بطة مطهية وموضوعه على مائدة ، ويستعد لالتهاهما ، وأمامه قطة واقفة تقوم بالتهوية له بمروحة كبيرة فى يدها . (٣)

- رسم على أوستراكا من الدولة الحديثة ، فى متحف ميونخ ، نرى عليها فار كبير جالس مرتديا النقبة ممسكا بيده اليمنى بزهرة كبيرة فى شكل المروحة ويشرب عن طريق بوصة طويلة ممسكا بها بيده اليسرى النبيذ من إناء موضوع على حامل خفيف . وأمامه قطة كبيرة تزيد من كمية النبيذ فى الإناء ، وأمامها قطة أخرى صغيرة . ومن خلفه قطة كبيرة تحاول أن تتظف له النعق من الخلف ، ربما لتجفيف العرق الذى يتصبب منه ، ومن أمام هذه القطة بطة صغيرة . (٤)

(١) ولیم نظیر : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ١٩٦٥ ، ص ٢٢٣ شكل ١٢٨ ؛ دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٧٣ (٦ ، ٣٩) .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 119.

(٣) Id., op. cit., p. 93 .

(٤) Id., op. cit., p. 77 .

رسم على بردية من عصر الدولة الحديثة في المتحف البريطاني ، نرى عليها
أسد وكبش جالسين على كراسى بسيطة ويلعبان معا رياضة العقل ، لعبة الضامة
وأمامهما طاولة اللعب موضوعة على مائدة منخفضة .^(١)

رسم على بردية من عصر الدولة الحديثة في المتحف البريطاني ، نرى عليها
فى البداية قطة تقود سربا من البط وخلفها ذئبان يلعبان دور رعاة الماعز .
ويمسك كل منهما بعضا الرعاة ويحمل على كتفه سلة بها طعام معلقة بعضا
طويلة .^(٢)

رسم على بردية من عصر الدولة الحديثة ، يمثل ثلاث قطط يرعون سربا من
الإوز ، وفى البداية نرى قطتين أحدهما ممسكا بأنية مقلوبة والآخر القت إحدى
الإوزات به أرضا وتقوم بعضه من ذراعه ، وفى الخلف قط آخر ممسكا بعضا
ويحمل على كتفه صرة بها طعام معلقة بعضا طويلة مثل الرعاة .^(٣)

رسم على بردية من عصر الدولة الحديثة في متحف تورين ، يمثل فرس النهر
بحجمه الضخم فوق شجرة تين واستقر بين أغصانها بينما أخذ نسر يسعى إليه
على سلم من خشب .^(٤)

لعبة غريبة من الحجر الملون ، تمثل ثلاثة قردة تلعب دور الخوزية والخيول ، فى
مركبة ذات عجلات من الأسرة الثامنة عشرة ، من تل العمارنة .^(٥)

(١) ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ شكل ١٢٧ ؛ وأيضا : Allam, op. cit., p. 83.

(٢) ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ شكل ١٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ شكل ١٣٠ .

(٤) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٥١ ؛

وأيضا : ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ؛ Allam, op. cit., p. 68.

(٥) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص

- رسم على بردية من عصر الدولة الحديثة موجودة في متحف تورين ، نرى عليها مجموعة من الحيوانات تقوم بالعزف على آلات موسيقية مختلفة ، فيجعل القيثارة بيد الحمار ثم يطلق صوته بالغناء ، ويجعل العود بيد أسد وأخذ يردد النغم من ورائه ، ويجعل الرباب بيد التمساح ، والمزمار المزدوج بغم القرد .^(١)
- رسم على اوستراكا من الأسرة التاسعة عشرة ، في متحف بروكسل نرى عليها قردة كبيرة تحمل صغيرها على كتفها ، وتحمل على ظهرها عصا مستطيلة معلق بها أنيتين كبيرتين بهما ماء وذلك لرى حديقة أشجار .^(٢)
- رسم على بردية من عصر الأسرة العشرين موجودة بالمتحف المصرى عليها رسمان يمثلان فأرة يقمن على خدمتها أربع قطط ، والآخر يمثل ثعلبان يؤديان دور الراعى . ويحملا الماء لبقرة .^(٣)
- رسم على جدار من دير باويط (ديروط) من القرن السادس الميلادى ، وهو موجود الآن فى المتحف القبطى ، يمثل وفدا من الفئران يتقدم نحو قط طالبا السلام وقد رفع أحد الفئران علما رمزا للتسليم .^(٤)

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ وأيضا : وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ؛
Allam, op. cit., p. 76.
يبدو أن فن الفكاهة كان أقدم فى بلاد النهرين . فقد عثر على نقش من اور نقش على صندوق عثر عليه فى المقبرة رقم ٧٨٩ من النصف الأول للألف الثالثة ق.م نرى عليه حمارا يعزف القيثارة وهناك ثور رابض وأمامه حيوان يقرع آلة مستطيلة وأمامه حيوان صغير يمسك بآلة موسيقية لها أوتار رأسية ، ويوجد هذا النقش بمتحف فيلادلفيا ، راجع : Parrot, Sumer, Paris (1960), p. 300, 379, fig. 372 (A).

(٢) Allam, op. cit., p. 76.

(٣) Saleh-Sourouzian, Offical Catalogue: The Egyptian Museum
Cairo, No. 232.

(٤) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١١١ شكل ٥٣ ، ص ٢٢٤ .

- وهناك منظر لملاح محفورا في الخشب والملاح يداعب تمساحا بيده من العصر القبطى (١).

تعبّر هذه الرسومات عن روح الفكاهة التى كان يتمتع بها المصرى القديم ، وربما أراد من وراء هذه الرسومات هو التعبير عن سخريته عن أوضاع اجتماعية معينة سادت فى أواخر عصر الدولة الحديثة (٢) ، والعصور التى تلت .

وقد أراد الفنان الساخر أن يشير إلى أن الحيوانات الضارة أو النافعة مثل الأقوياء والضعفاء من الناس أو الأغنياء أو الفقراء لهم نفس الشعور ونفس الأحاسيس ويمكن لأى إنسان أو كائن من هذه الفئة أن يستمتع بمباهج الحياة ويستمتع بالنغم الحلو . مثل الثعبان الذى يتراقص على أنغام الموسيقى ، والحيوانات التى تتأثر بصوت الموسيقى .

والفكرة الأخرى التى أراد أن يشير إليها الفنان هو نموذج لفكرة إنسانية كانت ترى ضرورة تصالح الكائنات الأعداء بعضها مع البعض وبالتالي يمكن إسقاط ذلك على ما يحدث بين البشر . فالأعداء يمكن أن يصبحوا أصدقاء مسالمين ويصبحوا حماة للضعفاء ويجمعهم سامر واحد أو تسلية واحدة .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

الباب الحادى عشر

أساليب التربية ونظم التعليم

أولا : مفهوم التربية والتعليم :

كان المصريون القدماء يؤمنون بأن التربية والسلوك والقيم الخلقية والتعليم هى الأسلحة الضرورية التى يشق بها الإنسان السبل دائما إلى حياة أفضل ، وهى أسمى ما يمكن أن يصل إليه المرء فى حياته ، كما كانت إحدى السبل لتحقيق الخلود بعد وفاته ، وأن الفضيلة والمعرفة توأمان يجب على كل إنسان أن يتحلى بهما ويتمسك بهما .

وليس أدل على اهتمام المصريين القدماء بالاتجاهات التربوية وآداب السلوك والقيم الخلقية من ان هذه المعانى قد صيغت فى شكل نصائح ووصايا وتعاليم وحكم يزود بها الآباء أبناءهم منذ الصغر ، ففيها ذخيرة من تجارب الحياة التى عرکها الآباء بحلوها ومرها ، وفيها ما ينير سبل الحياة للأبناء فى المستقبل ، وفيها ما ينمى مداركهم وملكاتهم ، وفيها ما يعودهم على كل ما هو جاد ونافع وضرورى فى حياتهم ومستقبلهم ، وفيها نماذج من الفضائل الخلقية يجدر بالأبناء أن يتمسكوا بها ويحافظوا عليها^(١). ولهذا أطلقوا على " التربية والتهديب والتعليم " لفظ " سباو " أى بمعنى " توجيه وإرشاد وتعليم " . وأطلقوا على التلميذ لفظ " سباتى " أى " الذى يتلقى الإرشاد " . وعلى المدرسة " عت - سبا " أى " مكان الإرشاد والتعليم والحكم

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٣٩ .

والوصايا لفظ " سبابت " (١).

وكان المصريون القدماء يميلون إلى التعليم ويعرفون ما يجنيه المتعلم من ثمار التعليم ، وكانوا ينفرون من الجهل ، ويعدونه قذارة تصيب جسد الإنسان ولا بد من التخلص منها بفضل التحصيل والتعلم .

وأن العلم فى اعتقادهم مرجعه إلى السماء ، جاءهم به رسل من حكماء الماضى ، لا ينبغى أن يتغير أو يتبدل ، بل هو مدخر فى قراطيس البردى يتناقله الناس جيلا بعد جيل ، ثم هو يزداد جلالا وتعلو قيمته كلما أوغلت أصوله فى أغوار الماضى ، أى أنه علم مدون منذ القدم (٢) . ومن هنا جاءت أهمية الكتابة التى كانت أولى خطوات التعلم .

ومما لاشك فيه فى أن الاتجاهات التربوية والتعليمية بمفاهيمها الحديثة إنما تختلف فى صورها وأغراضها وأهدافها عن تلك التى كانت سائدة فى حضارة مصر القديمة (٣) . ولكن على الرغم من ذلك قد نجد فى آداب السلوك والقيم الخلقية التى نادى بها حكماء مصر القديمة ما يماثلها فى أغراضها وفلسفتها عند كبار السن من المصريين الحاليين الذى يعيشون فى قرى صعيد مصر والوجه البحرى لأنهم أكثر الناس حرصا على التمسك بتقاليدهم وآداب السلوك والقيم الخلقية التى توارثوها من التعاليم الإسلامية .

(١) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٢١٦ .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ .

ثانيا : مصادر دراسة نظم التربية والتعليم :

نعتمد فى دراستنا هذه على مصدرين أساسيين :

أولهما : الآثار المصرية نفسها ، فنجد أن هذه المادة الأثرية بأنواعها وبما تحمله من نصوص ونقوش متعددة تعطينا مادة علمية غزيرة عن دوافع التربية وأساليبها وأهدافها وفلسفتها ، وآداب السلوك والمثل الخلقية التى يجب على كل إنسان أن يتحلى بها . بينما لم تقدم لنا هذه المادة الأثرية صورة مفصلة عن الأساليب التعليمية ولم تقدم لنا وثائق واضحة وكاملة تصف لنا المدرسة المصرية القديمة ونظامها ومراحلها ومناهجها وطريقة إعداد الطالب فى مراحلها الدراسية المختلفة . وكل ما تمدنا به الآثار عبارة عن نصوص لمواضيع دراسية نعتمد عليها فى معرفة الأساليب التعليمية . وتنقسم هذه النصوص والنقوش والكتابات التى نجدها على المصادر الأثرية المختلفة إلى أربعة أنواع ، هي :

(١) نصوص تمثل المناهج الدراسية أو التمارين المدرسية التى تركت مكتوبة على قطع الاوستراكا . ونلاحظ أن بها أحيانا تلك التصحيحات التى أجراها المدرسون بالمداد الأحمر . أو التمارين التى كتبت على ألواح من الخشب أو سجلت فى كتب أو كراسات أى برديات بالخط الهيروغليفى أو الهيرواطيقى . ومن هذه النصوص التى تتناول موضوعات تعليمية بردية انستاسى رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٢٤٣ ، ١٠٢٤٤ ، ١٠٢٤٦ ، ١٠٢٤٩ ؛ وبردية سالييه رقم (١) تحت رقم ١٠١٨٥ ؛ وبردية لانسينج تحت رقم ٩٩٩٤ (١) وبولونا رقم ١٠٤٩ وتورين رقم ١ (١).

ولدينا نصين أحدهما فى متحف ميونخ والثانى فى متحف بروكسل ذكر

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 96.

وأىضا : د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١١١ .

ففيهما " كتاب " كان المصريون القدماء يعرفونه باسم " كميت " (١) ، أى " الكامل " أو بلغتنا الحديثة " النموذجى " . وهو أول كتاب مدرسى يضم من القواعد والأصول ما ينبغى للمبتدئ الإمام به من أصول المعرفة ، كما أنه أول مؤلف من نوعه عرفه تاريخ الإنسانية ، وهو يحتوى أيضا على مجموعة من الوسائل التى ينبغى على الطالب أن يستوعبها حتى يسلك طريق المعرفة . وقد اختار مؤلفه لكتابه أحسن الكلام وأجمل أسلوب ويرجع هذا الكتاب إلى أواخر الأسرة الحادية عشرة .

وهناك أيضا البردية المسماة " انوما ستيكا " وهى عبارة عن مجموعة من المسميات وخاصة الجغرافية جالت بخاطر كاتبها وأزدحم بها صدره ، فسجلها تسجيلا وجعلها من مصادر المعرفة فى عصر الدولة الحديثة (٢) . كما وصلت إلينا مجموعة كبيرة من الايوستراكا كلها من مخلفات المدارس ودور التعليم على اختلاف أنواعها . وهى من عصر الدولة الحديثة . وقد عثر على أغلب هذه الايوستراكا فى مكانين فى جبانة البر الغربى فى طيبة بين أنقاض منازل قرية عمال دير المدينة وأنقاض ملحقات معبد الرمسيوم .

ويضاف إلى كل هذا ما كان يدرس من تراث قديم من عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى وعصر الدولة الحديثة أى مختارات من النصوص الأدبية . وكما وجد المصريون القدماء المشاهير من أهل الفكر والمعرفة والنصائح والتعاليم والحكم . نجد أنهم وجدوا أيضا أصحاب البطولات والشجاعة . كما نرى ذلك على بردية تعليمية من القرن الثالث عشر ق.م .

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ . عثر عليها كوبيل ضمن مجموعة هامة من أوراق البردى أسفل أحد المخازن الخلفية الملحقة بمعبد الرمسيوم ، راجع : تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٦٥ .

كتبها طالب يدعى " بنتاؤره " وهي تحتوى على تاريخ بداية الصراع بين الملك المصرى سقنن رع وبين ملك الهكسوس بعد ثلاثة قرون من حدوثه . وتضمن لوح مدرسى صغير من القرن السادس عشر ق.م . موضوعا تكميليا عن مواصلة ابن سقنن رع ، كامس الجهاد ضد أعداء البلاد . وهناك من قصيدة بنتاؤره عن معركة قادش الشهير التى صورت انتصار الملك رمسيس الثانى على الحيثيين ، وجاء فى نصوصها الكثير من المبالغة والحماس . وكان الطالب يكرر أجزاء منها لحفظها فى المدارس كجزء من التاريخ القومى .

(٢) نصوص تمثل الأدب التهذيبى والتعليمى وهى عبارة عن نصائح ووصايا وتعاليم وحكم الحكماء وكبار رجال الدولة من كتبة ووزراء وممن شغلوا أكبر المناصب فى عهودهم وتشمل هذه النصائح ما كتبه بعض الملوك لابنائهم . وكانت أغلب هذه النصائح والتعاليم مسطرة على برديات أو على جدران بعض المقابر . وهى تعكس صورا صادقة عن حياة من كتبوها أو سجلت على لسانهم ، وتعبر عن تجاربهم الطويلة فى الحياة ، ورأوا أنه من الحكمة ان تدون هذه النصائح والتعاليم لما فيها من فائدة ونفع لابنائهم أولا وما يفيد النشئ من أبناء وطنهم بعد ذلك . وبعد وفاتهم أصبحت هذه النصائح والتعاليم تراثا أدبيا تهذيبيا وتعليميا تتناقله الأجيال ويدرس فى المدارس لكى يتعرف عليه النشئ يلتمسون فيه منفعة تفيدهم فى علاقاتهم بأفراد أسرهم وفى حياتهم الدنيا ومستقبلهم مع أصدقائهم ورؤسائهم ومرؤوسيههم وأفراد مجتمعهم ، وما يكفل لهم العيش دائما فى رضا المعبودات .

ومن هذه النصائح والتعاليم ما كتبه والد كايجمنى ويدعى كاراس ، وهى تعاليم موجهة لأولاده ، وعلى الأخص لولده الأكبر كايجمنى . وقد عاش كاراس فى بداية الأسرة الرابعة . وما قام بتأليفه الوزير بتاح حتب الذى عاش فى الأسرة الخامسة ، وقام بتأليف كتاب عن التعاليم والحكم القديمة وجهها لولده . وما كتبه الملك خيتي الثالث (أو الرابع) الذى حكم فى الأسرة العاشرة ، وكتب نصائحه وتعاليمه إلى ابنه ووريثه مريكارع فى وثيقة طويلة ، ولحسن الحظ ، نملك منها نسخة محفوظة حفظا جيدا .

وما تركه الملك امنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول من تعاليم . ومن تراث الدولة الوسطى أيضا نسان متشابهان ، أولهما تعاليم منسوبة إلى سحتب ايب رع (مسجلة على بردية شستر بيتي) ، وثانيهما ما يعرف تحت عنوان : " تعاليم رجل إلى ولده " وهو تراث لرجل لا نعرف اسمه والخطاب في كلا النصين موجه إلى الصبية الناشئين الذين يتعلمون تحت إشراف كبار الموظفين .^(١)

وهناك تعاليم كان كاتبها رجلا عاديا من عامة الناس المثقفين ، ولم يكن وزيرا أو صاحب منصب كبير ، اسمه خيتي بن دواواف كتبها لينصح بها ابنه المسمى " بيبى " عندما عزم على إرساله إلى العاصمة ليدخل المدرسة ليتلقى العلم مع أبناء الموظفين . ويبين له فيها فائدة التعلم وأهمية مهنة الكاتب وما تتيحه لصاحبها من تولى المناصب الهامة ، كما بين له مصاعب ومتاعب أصحاب المهن والحرف الأخرى . وترجع هذه التعاليم إلى عصر يقع بين أواخر عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى ، وكانت من أحب القطع الأدبية إلى قلوب مدرسي المدارس في عصر الدولة الحديثة .

ومن عصر الدولة الحديثة لدينا تعاليم الملك تحوتمس الثالث لوزيره رخمى رع ، وسجل الوزير هذه التعاليم في نقوش مقبرته بالبر الغربى فى طيبة . وهى تعاليم خاصة بما ينبغى أن يتحلى به المسئول خلال قيامه بمهمة الوزير . وهى تعبر عن خبرة الملك وتجاربه وحصافته ، ويمكن أن تعتبر فى مجملها دستورا لعلاقة الحكام برعاياهم خلال الدولة الحديثة .

وهناك نصائح أنى الذى كان يعمل كاتبا فى المعبد الجنائزى للملكة نفرتارى . وفيها يحث أنى ولده على مجموعة من الآداب والفضائل وأهمية تكوين أسرة . وترجع هذه النصائح إلى الأسرة الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين .

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

ونصائح امنمؤبت الذى كان يشغل وظيفة " الناظر على شئون الحبوب فى إقليم أبيدوس " ، وكتبها لابنه حور ام ماع خرو ويرشده فيها على سبيل السعادة فى الحياة وإلى ما يجب اتباعه من آداب السلوك وترجع هذه النصائح إلى الأسرة الثانية والعشرين أو بعد ذلك .

ونصائح عنخ شاشنقى الذى كان يعمل ككاهن فى ايونو ، وكتب هذه النصائح لابنه تاشاى نفر ، ويحدثه فيها عن السلوك العام والآداب العامة ، وترجع هذه النصائح إلى القرن الأول ق.م .

(٣) نصوص تمثل التراث الأدبى وخاصة أدب القصة ، ومن هذه القصص ما كان يدرس فى المدارس أيضا نظرا لما فيها من صور صادقة لمغامرات مستحبة وصور خيالية جميلة وأعمال سحرية تجذب السمع ، هذا بالإضافة إلى أنها كتبت بأسلوب جميل فيه الجودة والبلاغة وبراعة التصوير واستخدام قواعد اللغة من مجاز وتشبيه وكناية وتورية وبيان وبديع . وما فى كل ذلك من نفع لمعرفة الطالب لفن الكتابة واللغة السليمة . ومن هذه القصص ما كان يتداول لعدة أجيال . ومنها قصص أبناء الملك خوفو الأسرة الرابعة ولكنها كتبت فى عصر لاحق . وقصة سنوهى من الأسرة الثانية عشرة ، وقصة ملاح السفينة الغارقة من الأسرة نفسها . ومن أدب النقد نذكر قصة القروى الفصيح من الأسرة العاشرة ، و تنبؤات نفر روهو (نفرتى) من الأسرة الثانية عشرة . وتأملات خع خبر رع سنب ويرجع أصلها إلى الأسرة نفسها .

(٤) نصوص تمثل التراجم الشخصية التى تركها كبار الشخصيات على جدران مقابرهم أو سطروها على أوراق البردى ، وصوروا فيها أيام صباهم وخاصة ما يتصل منها بأساليب التربية والسلوك . ولم تسجل هذه السير والتراجم على جدران المقابر أو اللوحات بغية الزهو والفخر كما يخيل للقارئ من أول وهلة ، وإنما كانت وسيلة للنصح والإرشاد للأجيال القادمة ولكى تتعلم منها أجيال المستقبل المتعاقبة وتصبح قدوة لهم . ونذكر على سبيل المثال النصوص الخاصة

ببتاح شبسسى الذى عاش فى أيام الأسرة الخامسة ويحدثنا فيها كيف أنه تربى فى القصر مع أبناء الملك .^(١)

ويحدثنا خيتى احد حكام أسيوط فى العصر الأهناسى عن تربيته فى الصغر فى القصر الملكى فى اهناسيا ، حتى قال عنه أهالى مصر الوسطى والوجه البحرى : " أنه تربى حقا تربية ملكية " .

ويذكر حعبى جفاى الذى كان حاكما على كرما فى السودان والذى عاش فى عهد الملك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة ، كيف أنه كان " فصيح اللسان لبق الكلام ... اهتدى بعقله إلى سبيل الحسنى ، وعرف دائما كيف يقدر خطواته ... " .

وهناك نص من عهد امنحتب الأول يحدثنا عما قامت به جدته الملكة المسنة اعح حتب لرئيس ديوانها كارس نظرا لما كان عليه هذا الموظف من خلق فهى تقول عنه :

" حسن الكلمة ، متحفظ النفس ، الذى يدير القصر ، ممسك اللسان عما يسمعه فيه ، لا يمنح لنفسه أية تسلية بالليل أو بالنهار وأنه الرجل الذى يحب الحقيقة ، أمين للغاية ، حكيم فى قراراته ... " .

ووصف حاجب الملك تحوتمس الثالث ويدعى انتف على أنه : " الحكيم صاحب المعرفة ، المؤتمن حقا ... وأنه مكتمل العقل للغاية ، ذكى الفؤاد ، يدرك النوايا قبل أن تفصح عنها الشفاه ، يتكلم عن بصيرة وبوحى رأيه الخاص " .

وتعتبر كل هذه النوعية من النصوص والنقوش والكتابات على الآثار ذات أهمية كبيرة لأنها تعتبر المصدر الرئيسى الذى يصور لنا الحياة المدرسية بكل ما فيها من دور للعلم وحياة الطالب أو حياة المعلم ، ثم ما يصور مناهج الدراسة وطرق

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

التدريس للغة والآداب الدينية والتربية الأخلاقية والمثل العليا والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والرسم والتربية الرياضية ، ووسائل التقويم .

ثانيهما : ما خلفه المؤرخون والكتاب القدماء من الإغريق والرومان من كتابات عن المناهج التعليمية في مصر : (١)

فقد زار مصر ما بين القرنين الخامس قبل الميلاد والثاني الميلادى عدد معين من المؤرخين والرحالة اليونان والرومان ، منهم هيرودوت وديودور الصقلى وسترابون وبلوتارخ ، وزارها كذلك عدد كبير من محبى العلم والمعرفة والفلسفة وعشاق الفنون من بلاد الإغريق . وسجل كل هؤلاء وأولئك معارفهم ومشاهداتهم وملاحظاتهم عن بعض الآداب والعلوم وبعض الاتجاهات والأساليب التربوية والتعليمية التى كانت سائدة فى الأزمنة التى زاروا فيها مصر والتى سمعوا عنها من الكهنة المصريين أو من أهل المعارف الذين تقابلوا معهم عند زيارتهم لدور العلم التى كانت ملحقة بالمعابد الكبرى فى ايونو وسائس ومنف وطيبة وغيرها .

ثالثا : أهمية العلم والتعلم :

اعتقد المصريون القدماء أن العلم يساعد على ان يسموا معنويا وروحيا وماديا . وأن الهدف من التعليم اسمى من أن يكون ماديا ، فكان له هدف روحى وهو بلوغ السعادة فى الدنيا . فالعلم ضرورة ملحة لفهم الديانة وتعاليمها حتى يحقق الإنسان سعادته فى الدنيا ويعيش فى رضى المعبودات . وكان التعليم عندهم ضرورة من ضروريات الحياة . وقد حاول بعض أصحاب التعاليم إظهار قيمة العلم وربطوه ببعض القيم الأخرى فى الحياة ، وعبروا عن لفظ علم فى كتاباتهم بلفظ الكتب والكتابة . ونظرا للمكانة الخاصة التى كان يحتلها العلم والكتابة فى حياة المصريين القدماء فقد اتخذوا لهما معبودين :

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار: تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٩٧ .

أحدهما : ذكر ، كانوا يعبدونه تحت اسم تحوتى ، وكان يرمز إليه برمزين : بطائر ابي منجل نظرا لاستقامة خطوط جسمه ووقفته الثابتة . والذي يسير ويتهادى فى تودة وتناقل ووقار وهدوء ، ويبحث بمنقاره عن ديدان الأرض أثناء حرثه ليخلصها من الشوائب ، مثل الباحث فى باطن المعرفة الذى يواصل البحث بصفة دائمة حتى يصل إلى المعرفة الخالصة التى لا تشوبها أية شائبة ، فهو الرمز الحى للرصانة والصبر والبحث الدائم .

الثانى حيوان البابون الذى كان يمتاز بالذكاء والفطنة وهو ينظر دائما نظرة المتأمل ، فهو الرمز الحى للتأمل والفهم السريع . وكان يصور فى المناظر المتعددة بأحد هذين الرمزين . وأما يصور بجسم إنسان ورأس طائر أبو منجل ، أى جمع بين ذكاء الإنسان ووقار الطائر ، والذكاء والوقار هما من صفات الإنسان - العارف .^(١)

ولهذا اعتبر تحوتى معبودا للحكمة ، وهو الذى اخترع اللغة ، ويهب العلم والمعرفة واخترع أيضا الكتابة ، ووضع كتابا فى السحر ، وهو المنظم للوقت ، فتحوتى هو ملهم الحكمة ، فكان يوازى عند الإغريق معبودهم " هرمز " وقد ترجموا له وصفا مصريةا يعنى " على الدوام عظيم جدا " وسموه تريسمجستر " ثلاث مرات عظيم جدا " . ولقد وصلت إلينا باسمه مجموعة كاملة من البحوث الفلسفية يطلق عليها " الهرمزية - Hermetiques " مكتوبة بالإغريقية ومصطبغة بصبغة من الأفلاطونية الحديثة . وأن تضمنت قدرا كبيرا من الآراء المصرية القديمة ، إلى حد دفع البعض إلى أن يروا فيها ترجمة خالصة وبسيطة لكتب فلسفية مصرية تحدث عنها كلمنت السكندرى ، خلال حديثه عن المعارف التى يجب أن يلم بها الكهنة^(٢) . وهو أيضا الذى ابتدع اللغات التى تعبر بها الشعوب الأخرى عن ذوات نفوسها ،

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ، الحضارة المصرية ، ص ٣١٣ - ٣١٥ .

(٢) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) ، الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٦٩ .

وهو الذى هدى الناس إلى أسلوب الكلام وأسلوب الخط وفن إجادة الوصف وإجادة الكتابة وهو الفن الضرورى للإقناع ^(١) ، وهو الذى يهب المعرفة لأهل العلم ، ولهذا كان يبتهل إليه المعلمون ويتضرع إليه طلاب العلم والمعرفة والكتابة أن يتولاهم برعايته ويلهمهم العلم والمعرفة ، ولنستمع إلى واحد من طلاب المعرفة يبتهل إليه بالدعاء فيقول :

" أن فنونك ^(٢) لتفضل كل حقيقة (فى الوجود) ؛ فهى التى تسمو بالإنسان ، ومن حذقها كان أهلاً للمشورة " . ^(٣)

ويذهب الظن إلى أنه كان يقرأ قصة حورس وست بما أنه كان الوحيد بين المعبودات الذى يعرف الكتابة . ولهذا كان يعد " كاتب معبود الخليفة أتوم ، وكاتب التاسوع المقدس ، ذو الأنامل الماهرة " ^(٤) . وكان يرأس " بيت الحياة " الذى كانت تتسخ فيه وتصنف وتدرس جميع البرديات اللازمة للحفاظ على الحياة مادياً ومعنوياً ويتمثل ذلك فى البرديات الطبية بالنسبة للناس ، وبرديات الطقوس الدينية بالنسبة للمعبودات .

أن تلك المعرفة بالكتابة تضى على تحوتى قدرات رهيبة . أنه ساحر ووضع كتاباً فى السحر كتبه بيده ، ومن يتلو صيغاً من هذا الكتاب بصوت مرتفع يكتسب قدرات خارقة العادة ، ويستطيع أن يسحر ما فى السماء والأرض وعالم الليل والجبال والمياه . ^(٥)

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) يقصد بالفنون هنا " العلم والتحصيل والمعرفة والحكمة والكتابة " .

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

١٩٧٩ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ؛ فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٥) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

ونجد أن المناظر الفلكية المتأخرة تربطه بوجوه القمر . ولعله يدين بصفته كحاسب للمواقيت لارتباطه بذلك الكوكب ، فهو الذى يقسم الزمن إلى شهور وهو الذى ينظمها ويفصل فى القضاء . وهو الذى كان يقوم أيضا بنقش أعوام الملك ، خلال الأعياد الملكية ، على ساق نخلة انتزعت غصونها ، أو أنه يكتب على فاكهة شجرة اللبخ (البرساء) المقدسة اسم الملك الذى يجب أن يصبح وفقا لهذا يانع الحضرة إلى الأبد .^(١)

وعرف المصريون القدماء إلى جانب تحوتى معبودة للكتابة والتسطير سموها سشات أى الكتابة . وكانت موكلة بالتسطير والتسجيل والحساب ، كما أنها كانت " سيدة دور الوثائق الدينية " .^(٢)

وبلغ من حب المصريين القدماء للعلم أنهم قدسوا أدوات الكتابة ، فهذه سيدة تتعبد أدوات الكتابة من قلم ودواه^(٣) . وها هى الدواة مرفوعة إلى السماء بأيدى اثنتين من المعبودات ، ومن حولها أركان الدنيا الأربعة تتعبد إليها^(٤) . وهناك تمثالان يمثلان كاتبان يقدسان الكتابة والقراءة أمام تمثالين يرمزان إلى راعى الكتابة

- (١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .
 (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٠ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .
 (٣) أطلق المصريون القدماء على المقلمة أى أداة الكتابة والدواة اسمى جستى ، ومنهج (mnhd) ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 409; Wb 11, 83, 3. ؛ د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٩٩ ، ٢٦٩ ، وعلى اليراع أو القلم اسم هدين (راجع ص ١٤٨) وعلى لوح الكتابة اسم عن (راجع ص ٣٧) .

- (٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص

تحتوى (١).

وكان لقب " كاتب " من أحب الألقاب إلى نفوس المصريين القدماء . ومن تدرج من طبقة المثقفين في الوظائف الحكومية وأصبح وزيرا معروفا أو قائدا كبيرا او مهندسا معماريا مشهورا ، أو رئيسا للكهنة ، نجد أنهم كانوا يحرصون جميعا على وضع لقب " كاتب " في مقدمة ألقابهم .

وحرص بعض الكتبة أن يظهروا في مناظر مقابرهم وفي أيديهم أدوات الكتابة والمحبرة والقلم كما هو الحال بالنسبة لحسى رع " رئيس الكتبة الملكيين " من عصر الأسرة الثالثة ، اعتزازا منه بحملها لعلو شأنها .

وكان من أحب قطع الأثاث الجنائزى التى يرغب الكاتب أو رئيس الكتبة أن توضع معه فى المقبرة بعد وفاته هى لوحة الكتابة والمحبرة والأقلام . فقد عثر على أدوات الكتابة الخاصة برئيس الكتبة كاورع من عهد الملك بيبى الأول . كما عثر على هذه الأدوات فى مقابر بعض الأمراء والملوك أمثال توت عنخ آمون (٢) . ولم يتردد بعض الملوك أمثال حور محب ورمسيس الأول والثانى وغيرهم فى الظهور فى بعض صورهم أو تماثيلهم على هيئة كاتب يحمل على كتفيه لوحة الكتابة والمحبرة والأقلام .

وجرى ابناؤهم الأمراء على مذهبهم وظهر بعضهم فى تماثيله على هيئة الكاتب الجالس . وكان بعض كبار الشخصيات كالمهندس المعماري المعروف أمنحتب بن حابو (٣) ، والوزير بارع وغيرهم يقيمون لأنفسهم تماثيل فى مقابرهم أو فى معابد

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٠ شكل (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨١ شكل (٢) .

(٣) هناك مثلا تمثال الكاتب الشهير بالمتحف المصرى ، من الأسرة الخامسة ، من

حفائر مصلحة الآثار بسقارة عام ١٩٨٣ ، وهو من الحجر الجيرى الملون ،

ويحمل رقم CG36 ، راجع : : Saleh-Sourouzian: Official Catalogue :

The Egyptian Museum Cairo, no. 148 .

معبوداتهم ، يمثلونهم جالسين فى وضع الكاتب الذى نشر بردية مكتوبة على فخذه كأنه يكتب عليها أو يقرأ ما سطر عليها . ومن بين تراث المصريين أو من بين بقايا فن النحت العديد من التماثيل التى تصور الكتبة الحرفيين وقراطيس البردى منشورة بين أيديهم ^(١) ، يسطرون عليها . وقد ظهر هذا الوضع للكاتب الجالس منذ عصر الملك خوفو حتى العصر المتأخر ^(٢) . ولهذا كان الميل إلى التعليم والرغبة فيه كانتا دائما فى نفوس الناس وأولياء الأمور ، وكانوا يكرهون الجهل وينفرون منه .

وعبر المصريون القدماء على لسان أصحاب النصائح والتعاليم والحكم والمعلمين فى المدارس عن تقديرهم للعلم وللدور الذى يقوم به الكاتب ونفوره من الجهل والجهال فى فقرات عديدة لا يكاد يحصيها العد . واطهروا فى هذه الفقرات ما للعلم من فوائد ، فربطوا العلم بمكانة الأم ، وأن العلم مصدر السعادة ، وأن للعلم نشوة الشراب ، وأن العلم أنفع من الميراث ومن منزل مشيد ، ومن نصب يخلد ، ومن ضريح ومن مقصورة تشيد فى عالم الغرب .

فها هو خيتى بن دواواف ينصح ابنه بيبى بالإقبال على العلم والتعلم وتحصيل ما فى الكتب ، ويقول له : " ضع قلبك فى الكتب " ويقول أيضا : " أحبب الكتب مثل حبك أمك فليس فى الحياة ما هو أغلى منها " أى أنه يعبر فى هذه الأقوال عن قيمة التعليم بإغراء ولده بأن يضع انتباهه فى الكتب ، وأن هذه القيمة تعادل مكانة الأم ، ويقول له كذلك : " أعمل وصر كاتباً لأنك بذلك (تستطيع) أن تقود جميع الناس " ^(٣) .

ويقول الملك امنمحات فى نصائحه لابنه مريكارع : " اسلك سبيل آبائك وأسلافك ، فأن أقوالهم مسطرة وباقية فى الصحف (أى البردى) فانشرها (بين يديك) وأقرأ وأنشد الحكمة فيها " ^(٤) .

(١) Id., op. cit., no 43.

(٢) Id., op. cit., no 43.

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

ويوصي المعلم تلميذه ، فيقول : " سطر بيدك ، وائل بفمك ، وأفعل ما أمرك به ، حتى لا يضيق صدري بتعليمك ، ولسوف تجد في ثمرات التعليم ما هو أغنى من حياة موفرة بالطعام والشراب . تفوق على زملائك حتى يمكن تعيينك ، اقبل على الدرس وأهجر الرقص لتصبح موظفا يقظا ، اترك المصائد ، واستدبر عصا الرماية ^(١) . أكتب بالنهار واقرأ بالليل وأخى القرطاس والدواة ، فأن في ذلك نشوة ألد من نشوة الشراب ... " ^(٢) .

ويقول آخر : " ولسوف أقول لك طوال النهار أكتب " ^(٣) . وكان هناك بعض المدرسين الذين يعلنون لمريديهم وتلاميذهم أن : " الكتابة أعز عنده من ميراث في أرض مصر ، وأعز من ضريح في عالم الغرب (أى عالم الموتى) " .

ويقول أيضا : " الكتابة أعز قيمة من دار لبانيها ، وأعز من ضريح يبنيه صاحبه في عالم الغرب ، وامتع من قصر مشيد ، وأنفع من أثر يخلد (اسم صاحبه) في ساحة المعبد " ^(٤) .

وكان الكاتب آمن - مس يهيب بتلاميذه ، قائلا : " اكتب بيدك وناقش من هم أعلم منك ... ولا تنس أن المناقشة تدفع إلى التقدم ، لا تهمل الكتابة . أجعل قلبك ينصت إلى أحاديثي فستجدها نافعة لك " ^(٥) .

-
- (١) أى ينصحه بترك وسائل اللهو والتسلية .
- (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٨ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ، ٢٣٩ .
- (٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٨ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .
- (٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨١ .
- (٥) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٣٤٥ .

تعاليم امن نخت بن ابوى لتلميذه حورى - مين :

ولد امن - نخت فى دير المدينة وعاش فيها وأصبح كاتباً بارزاً فى عصر رمسيس الثالث^(١). وهى تعاليم تربوية كانت معروفة وكان أول من أشار إليها بوزنر عام ١٩٥٥ وكتبت على مجموعة من الاوستراكا عثر عليها فى دير المدينة^(٢). ونقرأ فى بدايتها : " بداية التعاليم التربوية :

قصائد للسلوك فى الحياة التى ألفها الكاتب امن - نخت من أجل تلميذه حورى - مين :

أنت رجل جدير بالاستماع إلى الحديث للتمييز بين الحسن والسيئ ، إنتهه ،
إصغ إلى حديثى ولا تهمل ما سوف أقوله لك : انه من المناسب جدا مقابلة
الرجل الكفاء فى كل المجالات، واجعل ذهنك قويا أكثر من جسر تتحطم
عليه اعلى الأمواج ، تقبل كلمتى بكل ما تحتويه ولا تغضب (أو تتأثر)
لدرجة الاغتياب ، انظر بعينيك لكل المهن وكل ما تحقق بالكتابة ، سوف
تفهم هذا ، وما هو صالح (هى) الكلمات التى سوف أجعلك تأخذ بها . لا
تتحول عن حديث قيم ، لأن الاعتراض لن يصبح فى محله . اجعل قلبك
يتباطئ فى سرعته . لا تتحدث إلا بعد أن تكون قد دعيت . فهل تستطيع أن
تصبح كاتباً وترتاد بيت الحياة . (دون أن تصبح) شبيها بصندوق
المخطوطات^(٣) أى مليئاً بالعلم .

Bickel- Mathiew, BIFAO 93 (1993), p. 31- 33, 35 – 38 .

Id., op. cit., p. 35.

Id., op. cit., p. 35, 38 (1 – 5) .

(١)

(٢)

(٣)

تعاليم حورى يحث فيها ابنه على الكتابة (اوستراكا جاردنر) :

حورى هو كاتب المقبرة عاش بين الأعوام ٢٩ من حكم رمسيس الثالث
والعام ١٧ من حكم رمسيس العاشر. (١)

ويرى البعض أن حورى عاش بعد وفاة زميله امن - نخت وألف تعاليم
تربوية إلى أحد أبنائه ربما هو حورى - شرى (٢) وفيها نقرأ (٣) :

" بداية التعاليم التربوية

التي ألفها الكاتب حورى :

عود نفسك على الكتابات بجد :

إنها مهنة مفيدة لمن يمارسها

كان أبوك ضليعا فى الهيروغليفية

كان محترما فى الشارع ،

كان يتمتع بصحة جيدة

وسنواته كانت مثل حبات الرمل

وكان فى رغبة طول حياته على الأرض

حتى وصل إلى الجبانة .

كن كاتبا ، وسوف تصبح بدون مساو (أو ند)

Id., op. cit., p. 49.

(١)

Id., op. cit., p. 51.

(٢)

Id., op. cit., p. 50.

(٣)

وسوف تزيد من ثروات منزلك

لعلك تسير ؟

ولعلك سمعتك تصبح معادلة لشخصك

لعلك تتسلم وظيفة أهلك دون ...

وسوف تصبح سعيدا على الأرض "

وكان أصحاب التعاليم يحثون الأبناء بصفة دائمة وأجيال المستقبل على قراءة تعاليمهم ، ولنستمع إلى ما جاء في أقوال الحكيم أمنوبت حين أخذ يتحدث عما ضم كتابه في التعاليم من فصول بلغ عددها ثلاثين ، فينصح القارئ قائلا :

" طالع هذه الفصول الثلاثين

أنها لتتحدث ، وإنها لتعلم

أنها تجمع بين ...

أنها لتجعل الجاهل عالما

وأنه ليتطهر بها

املاؤها بنفسك واقراها في صدرك

لتصبح رجلا يقدر على شرحها

فتشرحها كمعلم ". (١)

ويقولون في بردية ديموطيقية : " من لم يعلمه أبوه أصبح تمثالا من حجر ". (٢)

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

ويقال للصبي : " لا تكن بغير لب كمن لم يتعلم " (١).

وقد وضع عامة الشعب أهل الفكر والمعرفة فى المكان الأول فى دنياهم وأخراهم . وكانوا يحيطون الكتب بجو من الاحترام والتقدير فى حياتهم . وقد رفع المصريون بعض الكتب وجعلوهم فوق مراتب البشر حتى أصبحوا من الخالدين . ومجدوا المشاهير من أهل الفكر والمعرفة وأصحاب الحكم والتعاليم أمثال : كارلس ، بتاح حتب ، أنى ، وامنمؤبت . وكانوا يعتبرون ما تركوه من تراث فكرى يجب المحافظة عليه وإطالة النظر فيه دون تغيير أو تبديل .

رابعاً : الأهداف من وراء العلم والتعلم :

كان هناك أربعة أهداف :

- بناء الإنسان الصالح المجتمع ، الصالح تربوياً وعلمياً وعملياً .
- هدف روحى يقصد به السعادة فى الدنيا والآخرة .
- المحافظة على تراث أهل الفكر والمعرفة والحكمة .
- الاستفادة المادية من الدرس والتحصيل لتولى وظيفة هامة فى المستقبل .

وإذا تحدثنا عن هذه الأهداف الأربعة بشئ من التفصيل ، نقول :

أولاً : حرص الآباء على تهذيب أخلاق الأبناء فى الصغر قبل أن يغادروا المنزل ، وعلى تدريبهم على حسن المعاملة وآداب السلوك وتعليمهم كيف يعيشون مع الآخرين فى جو تشيع فيه المحبة والألفة بين الناس . وبفضل هذه المبادئ التى كان يتلقاها النشئ فى المنزل منذ الصغر ، نستطيع أن نؤكد أن التربية فى مصر قد نشأت أول أمرها فى مجتمع الأسرة الصغير ، حيث تقوم الأم ومن بعدها الابن على تربية طفلها . وبالإضافة إلى التنشئة الخلقية كان الصبية

يتعلمون القراءة والكتابة أحيانا على أيدي آبائهم فى المنازل قبل دخولهم المدرسة .

ويقول الحكيم أنى :

" أنه ذهب إلى المدرسة بعد أن تعلم الكتابة فى دار أبيه " (١) . وأثناء تعليم الأولاد مبادئ الخط والقراءة فى المنزل كان الأب يقوم بإسداء النصائح الخلقية له وذكر بعض أقوال الحكماء وتعاليمهم . حتى بعد دخول الصبى المدرسة كان الأب لا يتوقف عن توجيه وإسداء النصح إليه كلما استطاع إلى ذلك سبيلا ووجد استجابة من الابن ، حتى إذا ما كبر ونما أدرك بما يقوم بتحصيله فى المدرسة معانى وأهداف هذه المبادئ .

وقد آمن المصريون بكل هذه المبادئ التربوية وأكدوا إيمانهم بها على مر العصور لتكوين الإنسان الصالح للمجتمع . وحث الأبناء على الفضيلة والتسلح بالإيمان والتقوى والتحلّى بالمثل الخلقية السائدة كالبر بالوالدين وحين معاملة الزوجة ، واحترام الغير ، والتسامح والتواضع والاستقامة والعدل ، والعطف على الآخرين ، وحفظ السر والأمانة ، والإخلاص فى العمل ، والصبر والمثابرة ، وحسن اختيار الأصدقاء . وغير ذلك من القيم والآداب العامة مثل احترام كبر السن ، والامتناع عن شرب الخمر ، والبعد عن النميمة والكذب ، وعدم الاعتداء على حقوق الغير ، ومراعاة الآداب العامة عند الجلوس على المائدة وآداب دخول المنازل وآداب الحديث أو الكلام والصمت . ونلاحظ أن جميعها عبارة عن مبادئ تنظم العلاقات بين الأفراد فى أسرة واحدة وعائلة واحدة ، وبين أفراد هذه الأسرة والآخرين فى المجتمع ، أو بين أفراد المجتمع ككل .

ونقرأ عن تأثير هذه التربية فى أقوال أحد الكهنة : " أقول هذا لتسمعوا ما وقع لى منذ أيامى الأولى ومنذ أن نزلت من حجر أمى ، حتى أصبحت كاهنا

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

مطهرا ، فكنت لأبى عكاز للشيخوخة ما امتدت به الحياة على الأرض " (١).

وكان التعليم ينمى معانى وأهداف هذه المبادئ فى فكر الإنسان ، وبفضل هذه المبادئ والتمسك بها وتطبيقها ، وبفضل التعليم والتحصيل ينشأ الإنسان الصالح للمجتمع الذى يساهم فى بناء صرح مجتمعه ويشترك فى ازدهاره وتماسكه على أساس ثابت من القيم والسلوك القويم . ولهذا كان الآباء يحضون أبناءهم على طلب المزيد من العلم . وكان الميل إلى التعليم والرغبة فيه كائنا دائما فى نفوس أغلب الصبية ، فبالعلم شيد المصريون القدماء حضارتهم وبالتعاليم والحكم والمبادئ أحاطوها بسياج متين مما زادها تماسكا وازدهارا ، فخرجت حضارة متكاملة متجانسة بفضل أهلها .

ثانيا : كان الهدف الثانى من التعليم هو هدف روى يقصد به السعادة فى الدنيا والآخرة ، فالعلم ضرورة ملحة لفهم الديانة وتعاليمها الفهم الصحيح حتى يحقق الإنسان سعادة الدنيا والآخرة ولهذا ربطوا بين حب الكتب وبعض القيم الروحية . فيقول أحد الحكماء : " أعلم أن مهنة الكتابة ... هى أجلب للسعادة من ميراث الدنيا (المادى) " (٢).

فكان العلم مرجعه إلى السماء ، جاء به رسل من حكماء الماضى ، ولا ينبغى أن يتغير أو يتبدل ، بل هو مدخر فى القراطيس يتناقله الناس جيلا بعد جيل (٣).

وطبقا لعقيدة المصريين فإن المعبود أوزير هو الذى علم الناس الزرع وشرع لهم الأحكام والقوانين وطاف فى أقاليم الدنيا وأقطارها يبشر بالعدل والخير فعلم الناس وخطط لهم القرى والمدائن (٤) . وعلى ذلك لم يكن كافيا - لكى يتحول

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

(٢) د. أحمد بدوى د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

المرء إلى أوزير في عالم الآخرة - أن يتلقن الشعائر المملوءة بالأسرار ويمارس الطقوس وإنما كان من الواجب أن يسير وفق المثل أعلى والمبادئ عند المعبود أوزير الذى قدم للناس الحضارة ، لقد كان أوزير معبودا للخير . وعلى هذا كان واجبا على الإنسان الذى يريد التمثل به ، أن يعمل كل ما هو خير .^(١)

فمبدأ العلم هو مبدأ مقدس تمسك به الناس نقلا عما أنجزه المعبود أوزير ، كما أن العلم هو الذى حبيب إلى قلوب المصريين السلام يقدرونه ويعملون على نشره لتصفية حياة البشر من الشر . هذا بالإضافة إلى أن المتعلم كان قدوة لعامة الناس ، وليس أدل على ذلك مما جاء فى تعاليم خيتى بن دواواف لابنه : " المتعلم هو الذى يقود الناس جميعا " . فيقول خيتى بن دواواف لابنه عندما كان يصطحبه إلى المدرسة : " أحبب الكتب كحبك أمك فليس فى الحياة ما هو أعلى منها " . وأكثر من هذا فقد ربط المصريون بين العلم وبين منزلة الإنسان فى الآخرة . فتصوروا أن معبود الآخرة أوزير يغضب إذا وفد عليه شخص جاهل ، ويقول لمن أحضره : " اتأتى إلى برجل جاهل لا يعرف كيف يعد أصابعه ؟ " .^(٢)

وتصوروا أيضا أن أحدهم لن يقترب من المعبود تحوتى ، معبود الحساب فى دنيا الآخرة ، ما لم يؤكد لحراس بوابات عالم الآخرة ، أنه كان من أهل الكتاب ومن أهل المعرفة^(٣) . وترتب على هذه التصورات وأمثالها ، أن الكهنة كانوا

(١) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢ .

(٢) راجع الباب السابع ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ؛ كانت الرحلات طلبا للعلم من أهم دوافع المسلمين لترك أوطانهم يدفعهم إليها تشجيع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : " من سلك طريقا يطلب فيها علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " راجع : جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢ ، ص ٣٥ حاشية (١٥) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨١ .

يتمنون للملك فى نصوصهم الدينية ، منزلة الكتبة والعلماء فى أخراهم ، كما دعوا لكبار الشخصيات بمنزلة الكتبة والمفسرين فى عالم الآخرة أيضا .^(١)

ثالثا : كان من أهداف التعليم هو المحافظة على تراث السلف وإطالة النظر فيه دون تغيير أو تبديل لإيمانهم بفائدة ما تركته الأجيال السابقة من تراث أدبى وثقافى وحرصهم الشديد على أن ينقل هذا التراث إلى الأبناء الصغار وأجيال المستقبل . ولهذا حفظ المصريون القدماء ما يسمى بتراث أدب التهذيب أو التعاليم لأهل الفكر والمعرفة . وكانوا يذكرون ويدرسون فقرات من تعاليم ايمحوتب وكارس وبتاح وحتب وامنحتب بن حابو وآنى وامنمؤبت . وظلت أعمالهم مجالا للدراسة والتعلم حتى نهاية تاريخ مصر القديم ، نظرا لقيمة ما جاء فى تعاليمهم وما أثروا به فكر الإنسان المصرى القديم . وهذا هو أحد الملوك يوصى ولى عهده قائلا :

" اسلك سبيل آبائك وأسلافك ، فإن أقوالهم مسطورة وباقية فى الصحف (أى البردى) فانشرها (بين يديك) وأقرأ وأنشد الحكمة فيها " ^(٢) . وما جاء أيضا فى أقوال الحكماء بأن كلمات الحكم والتعاليم فيها تطهر النفس ويقول الحكيم امنؤبت لقارئ تعاليمه : " أنها لتتحدث ، وإنها لتعلم ... أنها لتجعل الجاهل عالما وأنه ليتطهر بها " ^(٣) .

رابعا : أخيرا كان من أهداف التعليم والتحصيل من وجهة نظر بعض الناس المتقنين هو الحصول على مزايا مادية كبيرة فى النهاية والتى تتحقق عن طريق تولى المناصب وخاصة عندما يصبح الإنسان كاتباً ، ولم يفت المربين المصريين أن يغروا تلاميذهم بمستقبل باهر إن هم حرصوا على الاستفادة من الدرس والتحصيل والتعليم ويحذرونهم فى الوقت نفسه من الجهل والكسل وعواقبهما ومستقبل الجاهل ومصيره

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٨

الملئ بالمتاعب . ولهذا لجأ المعلمون إلى تدريس القطع الأدبية التي تحت على التعلم والإعلاء من شأن العلم ووظيفة الكاتب ، مثل ما جاء فى نصائح خيتى بن دواوإف لأبنة بيبى التى وجهها إليه عندما عزم على إرساله إلى العاصمة ليدخل المدرسة ليتلقى العلم مع أبناء الموظفين ، ومن أهم وصاياه لابنه هى :

" ضع قلبك (أى عقلك) فى الكتب " ، " وتفوق على زملائك حتى يمكن تعيينك فى وظيفة ما " ^(١) ويذكر له متاعب أصحاب المهن والحرف الأخرى ومدى ما يعانونه من صعاب فى سبيل تحصيل أقواتهم . أما الكاتب فتتفتح أمامه كل فرص الترقى بين الموظفين ، ويقول له فى النهاية : " إن الكاتب هو الذى يرأس أعمال الناس جميعا ، وهو معفى من الضرائب لأنه يؤديها عملا عن طريق معرفته " .

ويحذرون فى الوقت نفسه من عدم التعلم ويقولون فى بردية ديموطيقية :
 " من لم يعلمه أبوه أصبح تمثالا من حجر " . ويقولون فى نص آخر : " لا تكن بغير لب (أى عقل) كمن لم يتعلم " .

خامسا : دور المعلم ووسائله التعليمية :

تختلف ثقافة المعلم طبقا للمرحلة الدراسية التى يقوم بالتدريس فيها ، وطبقا لطبيعة المدرسة أو المعهد أو المركز الملحق به .

ويبدو أن الطفل المصرى القديم منذ الصغر كان ينشأ ويتربى على يد معلم محترف متواضع الثقافة . وكان هذا المعلم يجمع فى بعض الأحيان بين التعليم وبين مهنة أخرى ، كأن يشتغل كاهنا فى معبد صغير فى المدن الصغيرة أو فى الأقاليم ، ثم ينتفع بأوقات فراغه من الواجبات الدينية بتعليم أبناء قريته ، نظير أجر يسير أو مكافأة بسيطة ، تماما كما يفعل بعض الشيوخ فى مساجد القرى وصغار الرهبان فى

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

الكنائس حتى عهد قريب (١) . وبحكم طبيعة عمله كان يعمل أيضا رساما وخطاطا ، يخط النصوص الدينية على جدران المعابد والمقاصير والمقابر . وكان يستعين في عمله هذه بعدة صبيان ، يعلمهم أسلوب الخط الجميل وفي الوقت نفسه يعودهم على حفظ فقرات وصيغ متعددة من هذه النصوص الدينية الضرورية لتكوين الصبي في الصغر .

ومما يؤسف له ليس لدينا في النقوش ورسوم الآثار ما يصور لنا طبيعة هذا المربي وهو يدرس ، أكان يفعل ذلك جالسا أم واقفا . وإن كان من بين النصوص ما يشير إلى أنه كان يدرس وهو جالس على حصير (٢) . ولكن نرى في بعض المناظر معلما واقفا يملئ على تلميذين جالسين وهما يكتبان بريشة من البوص وأمامهما صندوقان مملوءان بالبردى أو نرى كاتباً يتبعه تلميذه ويمسك له بالمحبرة (٣) . وكان المتقدمون من التلاميذ ، يعينون مساعدين في المدارس ، ويصبحون عوناً لمعلمهم .

وعندما ينتقل التلميذ إلى مرحلة أخرى من مراحل الدراسة لكي يصبح أحد الكتبة الصغار في دواوين الحكومة ومختلف مرافق الدولة ، أو يصبح أحد الكتبة الصغار الذين كانوا يعملون في الضياع الزراعية . ففي هذه الحالة كان يعهد به إلى كاتب قدير وذو خبرة في ديوان من الدواوين يأخذ عنه ويتلمذ عليه ليصبح كاتباً (أى موظفاً) ذا علم ومعرفة ودراية وخبرة .

وكان الصبي يرافق معلمه إلى الديوان أو مكان العمل ، ويقضى فيه شهوراً ينقل وينسخ خلالها الخطابات والوثائق والحسابات ، ويعيد كتابتها ونسخها أكثر من مرة حتى يتقن هذا العمل . ولا يتركه الكاتب - المعلم إلا حين يصبح قادراً على أداء العمل في الميدان الذي يعمل فيه الكاتب - المعلم أصلاً . أو أن الشاب كان يتدرب

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٢ .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٢ - ١٨٣ شكل ٣ -

على أيدي أحد قدماء الموظفين في الإدارات التي يلتحقون بها .^(١)

وكانت هناك مجموعة من العلماء والكهنة ذوي الخبرة ، الملحقيين بالمعابد الكبرى وبدور الحياة وهو أشبه بمعاهد علمية ، يلتقى فيها الكبار من الكتبة وأكثر المعلمين علما وأغناهم معرفة وأوسعهم ثقافة وفي رحابها يلتقى أيضا الجادون والراشدون من طلاب العلم المعرفة ينشدون مختلف المعارف والثقافات على أيدي ذوي الخبرة . وليس أدل على مدى اهتمام المصريين بالتربية من شهادة ديودور الصقلي فيقول :

" أن مما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقي حظه الكامل من التربية والرعاية " .^(٢)

ويقول سترابون : " من التقاليد التي كان يرباها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " .^(٣)

وكما شهد المؤرخون اليونان للمصريين في مجال التربية ، فقد شهدوا لهم أيضا في مجال المعارف والعلوم وما كان يدرس منها في مدارسهم أو في المعابد على أيدي الكهنة المصريين وأهل العلم والمعرفة فيها ، ومن العلوم التي تأثر بها

(١) هناك تمثال بالمتحف المصري ، وهو يحمل رقم CG241 عثر عليه في مقبرة نى - عنخ - بيبى في منطقة مير في عام ١٨٩٤ ، وهو من الخشب الملون ومؤرخ من الأسرة السادسة ، ويرى العلماء أنه تمثال لحامل القرايين ، ولكن في رأينا الشخصى أنه يمثل دارس أو متعلم نظرا لوجود حقيبته الدراسية فوق ظهره ويمسك بيده اليسرى الحقيبة المعلقة خلف ظهره ، وعلى يده اليمنى وضعت سلة يمكن القول عنها سلة خفيفة للطعام ، راجع : Saleh-Sourouzan : Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no 65.

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) د. بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ١ ، الحضارة المصرية ، ص ٣٠ .

فلاسفة اليونان ومؤرخوها ، الرياضة المصرية ، التي اعتبروها أصلاً لبعض نظرياتهم وقوانينهم الرياضية . وتذكر المصادر اليونانية أن طاليس كان من أقدم من نقوا أصول الهندسة المصرية إلى اليونان . وقد نصح طاليس تلميذه " بيتا جوراس " أن يتم دراسته مع الكهنة المصريين ففضى في مصر اثنتين وعشرين عاماً يتعلم الهندسة والفلك في معابدها . (١)

ووصف أفلاطون في كتابه " القوانين " بعض أساليب المصرية لتعليم الناشئ عمليات الحساب ، ودعا أبناء قومه إلى أن يتعلموا ما يتعلمه الناشئ المصري من فروع المعرفة . وروى لهم أن مصر جعلت من تعليم الحساب متعة . وكان المعلم يوزع على تلاميذه ثماراً وأزهاراً ، لتعليمهم العد الصحيح . وبهذه الوسائل ، كما روى أفلاطون ، كان الطالب المصري يكتسب خبرة حسابية كافية ، يعتمد عليها في حياته العملية . (٢) ويقال أن أفلاطون حضر إلى مصر مرتين مع تلميذه الفلكي ايدوكس وتعلم في مدرسة ايونو ، واستقر هناك لمدة عامين كاملين . كما تأثر أفلاطون في آخر مؤلفاته Le Timée بالديانة المصرية وشبه المعبودة نيت معبودة سايس بالمعبودة اثينا وخاصة في الفقرة ٢٣ .

وعندما أصبحت سايس عاصمة البلاد في عصر الأسرة السادسة والعشرين ضاعف من أهميتها وجود مجمع من الكهنة الذين كانوا بلا شك علماء كثيرون النشاط . ولقد أقام فيها أفلاطون حيناً من الزمن ومن المرجح أنه هو الذي وجه إليه أحد الكهنة الكلمة ذائعة الصيت والتي قيل أنها قيلت لـ سولون :

" أيها الإغريق ، أنكم على الدوام أطفال ، والإغريقى الذى يكون مسناً ، لا

(١) د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦ ، ص ٣٥١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٥ - ٥٩٧ ويتضح مما ذكره أفلاطون أن المعلم المصري كان يتبع أبسط الوسائل التعليمية .

وجود له ^(١) . ويحدثنا ديودور الصقلي عن مناهج التعليم فى مدارس المعابد المصرية فقال : " كان الكهنة يعلمون أبناءهم نوعين من الكتابة : الهيروغليفية ثم الكتابة العادية (أى الهيراطيقية) ، كما كانوا يعنون بتعليمهم الحساب وهندسة المساحة " ^(٢) .

وغير هؤلاء وفد على مصر من بلاد اليونان الكثيرين يلتمسون العلم والمعرفة فى مدارسها . وحفظت لنا المصادر اليونانية أسماء هؤلاء الذين حضروا إلى مصر من أهل اليونان ، ولكنها لم تحتفظ للأسف باسم واحد من أولئك الكهنة المصريين والعلماء الذين تقابلوا معهم ، ومن أولئك اليونان الذين حضروا إلى مصر وأفادوا علم من علمائها فى المعابد وغيرها من دور العلم : ^(٣)

- سولون وليكورج من المشرعين .

- فيثاغورس من الرياضيين .

- ميلامبوس من الأطباء .

- انوبيدز من الشعراء .

- اورفى من الموسيقيين .

وان هناك بعض الطلاب الذين جاءوا من اليونان طلبا للعلم والمعرفة . وعثر بين قراطيس البردى المكتوبة باليونانية على رسالة من أن يونانية إلى ولدها الذى يقيم فى مصر ، جاء فيها :

(١) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) ، الألف كتاب (الثانى) ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

"وعندما بلغنى أنك تتعلم الكتابة المصرية فرحت لك ... " (١) . وفى ذلك ما يدل على أن بعض اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر كانوا يرون إن الإفادة العلمية لن تتم دون تعلم لغة البلاد أى اللغة المصرية القديمة . ومع دخول الإسكندر أسست مدينة الإسكندرية التى أصبحت مدينة الحكماء والشعراء وغدت مقرا يأتى إليه طلاب العلم والثقافة من كل مكان . (٢) ويبدأ تاريخ المكتبات فى العصر البطلمى - الرومانى بتأسيس دار العلم (الموسيون) والمكتبة الكبرى فى الإسكندرية فى عهد بطلميوس الأول (٣٢٣ - ٢٨٥ ق.م) ، الذى أزداد من وفود العديد من الطبقة المثقفة اليونانية إلى الإسكندرية والإفادة من دار العلم والمكتبة بها . (٣)

سادسا : مراحل التعليم وتدرجها :

آمن المصريون القدماء بان المدرسة من أهم وسائل التربية . وأن التربية عندهم هى الحارس للثقافة ، أى هى الحافظة للقيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والعلوم والمعارف والفنون المتوارثة جيلا بعد جيل . ولهذا كان التعليم حقا للجميع . فكان من حق الفقير أن يسعى إلى المدرسة ليأخذ فيها نصيبه من المعرفة . ففى العلم لا تمييز بين الطبقات .

ولم يضع المصريون القدماء فواصل بين مراحل التعليم المختلفة على نحو ما هو موجود فى عصرنا الحاضر . ولكن أخذوا بمبدأ التدرج حسب ظروف وميول

- (١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .
- (٢) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ حاشية (١) .
- (٣) كانت أول مكتبة عامة كبيرة بعد مكتبات الشرق القديم التى قامت فى نينوى عاصمة الآشوريين ، ومكتبة اوجاريت (رأس الشمرا) التى كشفت عن معالمها شيفر والتى يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر إلى الثالث عشر ق.م ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٥٩ حاشية (١) .

واستعداد كل تلميذ . ولكن من واقع ما لدينا من وثائق نستطيع أن نقول أنه كانت عندهم ثمانية أنواع من المدارس :

(١) كان يوجد في العواصم والمدن ^(١) والأقاليم ما أطلق عليه المصريون القدماء اسم " عت سبا " أي " قاعة الدرس " أي المدرسة التقليدية . وهي مدارس نشأ بعضها داخل أبنية مستقلة في داخل المدن ونشأة بعضها الآخر في أبنية المعابد وملحقاتها .

عثر على آثار مدرسة حول معبد الرمسيوم . وأخرى بقرية دير المدينة ، وبين أنقاض كل منهما ألواح لبعض من كانوا يتعلمون فيها من التلاميذ ، وما زالت محتفظة ببعض ما كانوا يقومون به من واجبات مدرسية ، وتشمل هذه الواجبات من أخطاء وما عليها من تصويبات .^(٢)

وفي قصة سا أوزير التي نسخت في القرن الأول الميلادي أو قبل ذلك ، يشير النص إلى وجود مدرسة في أحد المعابد كان يديرها أحد المعلمين .^(٣)

وأخذت بعض هذه المدارس بطريقة اليوم الدراسي بمعنى أنها تتعهد بالتلميذ طوال يومه . وكان تلاميذها يخرجون من قاعات الدرس في منتصف النهار في فسحة طويلة ، ليتناولوا طعامهم ويلعبوا في ملحقات المدرسة وكانت الدراسة تبدأ مع الصباح الباكر ، وتنتهي عند منتصف النهار وبعد أن يتناول التلميذ وجبة الغذاء .^(٤)

(٢) وكان الصبي الصغير يذهب إلى المدرسة في المرحلة الأولية في سن السادسة أو السابعة . وكانت مدة التعليم في تلك المرحلة تتراوح غالبا بين أربع وخمس

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

سنوات . أى يبقى فى هذه المرحلة حتى يبلغ سن العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ^(١) . ويستمر الصبى فى مرحلته الأولية هذه حتى يتعلم القراءة والكتابة والنسخ ، فيتعلم مبادئ اللغة وقواعدها ويتمرن على رسم ونسخ مفرداتها وحروفها وأشكال كتاباتها ، ويتلو ويحفظ وينسخ بعض النصوص الأدبية القصيرة عن قصص وتراث الأقدمين من نصائح وتعاليم وحكم ويتعلم أيضا التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، ومبادئ الرياضيات والهندسة ، وموضوعات من التاريخ والسير والعديد من المعلومات الجغرافية والرسم والتلوين والرياضة البدنية .

(٢) ظهر فى عصر الدولة القديمة نظام تعليمى ثانى ، يجمع فيه الطالب بين الدراسة النظرية والدراسة التطبيقية فى الوظائف العامة . فكان الغالب أما أن يكتفى بدراسته الأولية وأما أن يستمر فى دراسته ليصبح أحد الكتبة الصغار فى دواوين الحكومة ، أو أحد الكتبة الصغار الذين كانوا يعملون فى ضياع الأثرياء والنبل . وتكلفت بهذا النظام دواوين الحكومة وإدارات الجيش والمعابد ، ويجمع الشاب فى هذه المرحلة بين المعرفة النظرية وبين التدريب فى الوظائف الصغيرة ، على أيدى قداماء الموظفين فى الإدارات التى يلتحقون بها . ويعلمون تحت أيديهم باعتبارهم مساعدين مهنيين وتلاميذ لهم فى آن واحد . أو يعهد بالشاب إلى كاتب قدير فى ديوان من الدواوين يأخذ عنه ويتلمذ على يديه ليصبح كاتباً ذا علم ومعرفة وخبرة . وكان الصبى يرافق معلمه إلى الديوان أو مكان العمل ، ويقضى فيه عدة شهور تحت التمرين ويقوم بنسخ مجموعة من الخطابات الإدارية والوثائق والحسابات حتى يتقن هذا العمل ، كما كان يقوم بقراءة الكتب أى البرديات المحفوظة فى أرشيف الديوان وغيره ، حتى يتعلم منها ويتقن تفهم ما فيها من معلومات ، حتى إذا ما توفرت له الخبرة الكافية الحق بوظيفة كاتب .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥١ ، د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

وكان يتعين على الطالب فى هذا النظام التعليمى أن يعرف أسماء المناصب الإدارية المختلفة ، والألقاب الشائعة والصيغ المستخدمة فى البلاط الملكى والإدارات الحكومية ووحدات الجيش وإدارات المعابد وبين طبقات الكهنة ^(١) . كما كان عليه أن يتعرف على افتتاحية الرسائل أو المخاطبات الرسمية والإدارية ومضامينها وخواتيمها التقليدية ، وأساليب الرد عليها ، وذلك لإعدادهم للوظائف الإدارية التى كانوا يرجون الالتحاق بها وهم على خبرة ودراية .

ونلاحظ من بعض نصوص الوثائق أنه كان يتعاقب على إدارة واحدة أو مصلحة واحدة مجموعة من الكتبة ، يتضح من أسمائهم أنهم ينتسبون جميعا إلى أسرة واحدة ، مما يدل أن هذه الوظيفة ظلت متوارثة بين أفراد هذه الأسرة وأن الابن كان يخلف أباه ^(٢) . ولكن يبدو أن توريث وظيفة الكاتب كان يتم بعد أن ينتهى الشاب من نظام التدريب العملى واكتساب الخبرة اللازمة .

(٣) وظهر فى عصر الدولة القديمة أيضا نظام تعليمى ثالث ، وهو الالتحاق بما يعرف باسم " بر - عنخ " أى بيت الحياة " ^(٣) ، وترجع هذه التسمية إلى اعتقادهم بأن العلم يتناول كافة مجالات الحياة وأنها تؤهل الدارس فيها وتعدده لمواجهة الحياة العملية . وكانت هذه الدور ملحقة بالمعابد الكبرى . وكانت موجودة بصفة مؤكدة فى منف وأبيدوس والعمارنة واخميم وقفت وطيبة واسنا وادفو وإيونو وسائس وغيرها .

وكانت دور الحياة هذه عبارة عن مؤسسات أو مراكز متخصصة مثل

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

"موسيون" الإسكندرية في العصر البطلمي (١). حيث كان يتلقى العلماء وأهل المعارف والأطباء وطلبة العلم في بيوت الحياة هذه ليتبادلوا الآراء فيها ، على أساس أنها معاهد علمية تلحق بالمعابد ، ويشغل المتخرج منها منصبا مرموقا ، لأنه كان كاتباً في دار الحياة . وهي تزود الملحقين بها من جماعة الدارسين والمتقنين بثقافة عامة في مجالات : الديانة والعقائد والطقوس ، وفنون الدب ، والعلوم المختلفة مثل الطب والتشريح والرياضيات والهندسة وبخاصة هندسة العمارة والكيمياء والفلك والتنجيم والسحر والفنون المتعددة .

وكان يشرف على بيوت الحياة مجموعة من العلماء والكهنة وذوى الخبرة ، وهم الذين يحافظون على التقاليد الدينية ، وهم الذين يحررون وينسخون أهم النصوص الدينية والدنيوية الخاصة بالعقيدة . وحوليات الملوك والألقاب والنعوت الملكية والتشريعات . ومارس بعض الملحقين بهذه الدور مهنة الطب ، فقد الحق ببيوت الحياة مدارس لدراسة الطب ، أشهرها في معبد المعبودة نيت في سايس ، كما توفر للبعض الآخر من الملحقين ببيوت الحياة خبرة كبيرة في مجال المعارف المختلفة والعلوم ، ولهذا كانوا يسجلون النظريات العلمية وتجاربهم المختلفة . كما كان لدى البعض الآخر خبرة ومعرفة في مجال الفنون في وقواعد الرسم والنقش والنحت ، وكان يتعلم على أيديهم العيد من الرسامين والحفارين والمثالين ، الذين كانوا يستخدمون مواهبهم في نقش صور المعبودات والملوك في المعابد الكبرى ، وكذلك نقش النصوص الدينية الطويلة الهامة إلى تخصص الطقوس للمعبودات . وسجل أصحاب الخبرة في الفنون في بيوت الحياة نظرياتهم العلمية في مجال الفنون والقواعد الفنية المختلفة .

ويرى بعض العلماء أن المتخرجين فيها لم يكونوا كهنة بالمعنى المفهوم ، فهم يهتمون بالعلم أكثر من الديانة وألقابهم تشير إلى تمسكهم بالألقاب الخاصة بالكتابة أكثر من تمسكهم بألقاب الكهنة .

(١) د. بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

على أن هناك من يذهب إلى الاعتقاد بأن بيوت الحياة لا تعدو أن تكون بناءا مزدوجا من مدرسة ودار للنسخ حيث كانت النصوص القديمة تجمع وتنسخ وتدرس ، وحيث كانت تعد المؤلفات اللازمة لأداء الطقوس الدينية ، وتناقش فيها المذاهب الدينية المختلفة ، وحيث كان إلى جانب الكتبة الفنانون والرسامون الذين يقومون بنقش جدران المعابد والمقابر بالنصوص والمناظر .

وكان من أبرز ألوان النشاط في بيوت الحياة هو إعداد الكتب أى البرديات الدينية القديمة اللازمة للعبادة ، وذلك بإعادة كتابة المخطوطات القديمة (١) ، وتصحيح ما فيها من أخطاء ، وسد ما فيها من فراغ بسبب ما الحق بالقراطيس من تلف أو تآكل أو محو . هذا وقد أطلق اليونان على الملحقين ببيوت الحياة اسم " هيروجراماتس " أى المهتمين بنسخ النصوص . وقد كان بعضهم من الكتبة البارزين . وكان الباقون من ذوى الثقافة الرفيعة ممثلين للحكمة والعلم في رحاب المعبد . وكان الملك يختار أحيانا من بينهم ممثليه لإيفادهم فى بعثات رسمية .

وقد ذاع صيت هذه المراكز العلمية . وانتقلت سمعة دارسيها عبر البحار ، كما تشير إلى ذلك الكثير من النصوص اليونانية إلى تحدثت عن حكمة وعلم هؤلاء الكتبة المقدسين ومعرفتهم الغنية . فقد كان منهم من يفهم فى الطب وعلاج بعض الأمراض ، وفى النباتات الطبية ، والجغرافيا ، والعلامات المميزة للحيوانات المقدسة ، وتاريخ الملوك ، والتنبؤ بالمستقبل . وأما زملاؤهم الكهنة المرتلون من نساخ الكتب المقدسة فقد شاركوهم هذه الشهرة العلمية المحلية .

(٤) وكانت هناك مدرسة ملحقة بالقصر الملكى ، وهى مدرسة خاصة أعدت لتربية وتنشئة الأمراء الصغار وكذلك بعض أبناء كبار رجال الدولة ورجال البلاط . وكان يستعلم فيها الأمراء إلى جانب القراءة والكتابة والثقافة العامة التدريب على آداب اللياقة وتقاليد وعادات البلاط الملكى ، وذلك بتأهيلهم لما يناسبهم من مناصب فى الوظائف الحكومية الكبرى كالوزارة أو حكم الأقاليم أو قيادة

الجيش أو أن يجعلوهم على استعداد وكفاية لخدمة البلاط الملكى . ويحدثنا نص لأحد حكام أسيوط من الأسرة العاشرة عن كيفية تربيته فى الصغر فى القصر الملكى فى اهناسيا ، ويقول : " سمح لى الملك بان اتولى الحكم (فى اسيوط) وكان قد رفع من منزلتى فى شبابى وسمح لى بأن أتعلم السباحة مع الأمراء " أى الرياضة مع أبناء الأمراء "

ومنذ عصر الدولة الحديثة فى عهد الملك تحوتمس الثالث ، عندما زادت علاقات مصر الخارجية بجيرانها فى الشرق ، كان أبناء الأمراء والحكام الآسيويين يحضرون إلى مصر للالتحاق بهذه المدرسة ليتربوا فيها ولينالوا من معين الثقافة المصرية . وكانت هذه المدرسة تدار بواسطة معلمين مهرة ، نعرف أن منهم من كان يحمل لقب " كبير معلمى القصر " . (١)

(٥) وكانت هناك المدارس الدينية ، وكانت توجد فى العواصم الدينية الكبرى مثل ايونو ، ومنف ، والأشمونين ، وطيبة ، يتعلم فيها الكهنة الصغار كل ما يخص الديانة وعقائد الدنيا والآخرة والمذاهب الدينية المختلفة ، ويتدربون فيها على ترديد الطقوس والشعائر الدينية المتعددة ، ويتدربون على قراءة وفهم ما كان يسطر على جدران المعابد ومقاصير العبادة من نصوص مختلفة .

(٦) إلى جانب هذه المدارس التقليدية نشأت منذ عصر الدولة القديمة ، المدارس الفنية لتعليم الرسم والنقش والنحت والموسيقى والرقص . وكان تدريب الرسم والنقش يتم على أيدى رسامين كبار ذوى خبرة . كما أن تدريب الموسيقى كان يتم على أيدى معلمين مهرة . وكانت الفتيات يمارسن فيها ألوانا من الرقص بين أيدى مدربات يجدن أسلوبه وتوقيعه . كما أن تدريس الموسيقى كان يتم على أيدى معلمين مهرة يحذقون ألوان هذا الفن . وقد تحدث أفلاطون وديودور الصقلى عن تعليم الموسيقى وأهمية الموسيقى فى حياة المصريين القدماء (٢) .

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٩ ، ص ٢٠٦ .

وكانت الفتيات يتعلمن ويمارسن العزف على آلات مختلفة .

(٧) وكان هناك مدارس التربية العسكرية ، مثل تلك التى أنشئت فى منف يتلقى فيها الشباب فنون الحرب والرياضة العسكرية . والثقافة العامة . وكانت هناك صرامة فى تعليم فنون الحرب ، ونعلم أن الملك تحوتمس الثالث أرسل ابنه امنحتب إلى منف ليتربى فى المدرسة الحربية هناك ^(١) . وكان يقوم بالتدريس فى هذه المدارس ضباط معلمين يهتمون بالتربية البدنية والمعارف والخبرات العسكرية وكان لهم دور كبير فى التوعية ونشر الثقافة العامة . فكانت تربية القادة والضباط الصغار تتطلب قدرا من الثقافة العامة إلى جانب الثقافة العسكرية ^(٢).

(٨) وكانت هناك مدارس للطب التى كانت ملحقة بالمعابد كسائر بعض المدارس ومن أشهر مدارس الطب تلك التى كانت ملحقة بمعبد المعبودة نيت فى سايس فى غرب الدلتا . وفى عصر الأسرة السابعة والعشرين الفارسية نجح القائد البحرى وجا حررسنت فى إعادة بناء بيت الحياة فى سايس وعلى الأخص مدرستها الطبية ^(٣).

سابعاً : دور المخطوطات والمكتبات والأرشيفات :

أنشئت إلى جوار دور العلم ودور الحياة بالمعابد ما يسمى بالبرمجات التى تعنى " بيت الكتب أو المخطوطات " أى المكتبة التى تحفظ فيها وثائق المعبد

- (١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .
- (٢) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافة الأثرية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٩ - ٤٠ .
- (٣) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سعد) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٩٥ .

ومجموعة من النصوص مختلفة الأغراض والتي كتبت على أوراق البردى منها ما يخص فنون الدب من تعاليم وحكم ، ومنها ما يخص العلوم كالطب والرياضة والهندسة والكيمياء والفلك ، ومنها ما يخص السحر ، وكذلك الفنون كالرسم والنقش والنحت والموسيقى . وقام بكتابة هذه البرديات مجموعة كبيرة من كبار الكتبة المتخصصين (رخ - خت) .

تشير نصوص حوليات حجر بالرمو على أن معابد الدولة القديمة كانت تحتوى على مكتبة تحفظ فيها حوليات الملك ^(١) . ونعرف أيضا أنه كان يوجد بمعبد الكرنك مدرسة ومكتبة ^(٢) . وكانت الكتب الموجودة فى المكتبة فى متناول أيدي الكهنة مثل مكتبة معبد ادفو التى توجد فى غرفة صغيرة ، على مقربة من مدخل بهو الأعمدة . والبعض الآخر كان يودع فى أكثر الأماكن خفاء فى المعبد كما هى الحال فى معبد دندرة . حيث يوجد مخبأ السجلات الذى يقع مدخله على ارتفاع ثلاثة أمتار فى أحد الهياكل التى تحيط بقدس الأقداس . وكانت المكتبات المفتوحة تضم على الأخص كتب الطقوس التى كان الكهنة يحتاجونها عدة مرات كل يوم . بينما المكتبات الأخرى تغلق فى حرص شديد على البرديات الدينية أو القانونية التى تحدد امتيازات الكهنة المادية ^(٣) .

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) جمع جاردنر نحو ستين نصا تتعلق ببيوت الحياة ، راجع : Gardiner, JEA 24 (1938), p. 187-179; Volten, Demotische Traumdeutung, Copenhag 1942, p. 17 . وأيضاً : د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٨١ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ١٩٦٥ ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

فى الواقع كان يطلق على المكتبة لفظين : Pr n sšw " بيت الكتابات " أو " المكتبة " منذ عصر الدولة الوسطى (راجع Wb 111, 479,3) و Pr md3t " المكتبة " أو " بيت المخطوطات " أو " الأرشيف " منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة (راجع : Wb I, 515, 12; 11, 187, 8)

ولم تكن مكتبات بيوت الحياة قاصرة على طلاب العلم وتحصيل المعرفة ، ولكنها كانت مباحة كذلك لسائر الناس على مختلف طبقاتهم من عشاق الثقافة ^(١) ، فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم والإطلاع ، ولا شك أنه كان فيها ما يحتاج الناس إليه من محابر وأقلام وأوراق بردى . ولهذا لم يتردد بعض الملوك فى الذهاب إلى تلك المكتبات للإطلاع على ملفات البردى بحثا عن معرفة ما أو معلومة ما وسوف نشير إلى بعضهم عند الحديث عن عشاق الثقافة العامة .

إلى جانب هذه المكتبات التى كانت ملحقة بالمعابد ، كانت هناك بدون شك ما يسمى بالمكتبات العامة والتى كانت تابعة لإحدى الإدارات أو الدواوين الحكومية ، وكانت موجودة فى العواصم والمدن الكبرى ^(٢) . وكانت هناك المكتبات الملحقة بالقصور الملكية منذ عصر الدولة القديمة وكانت تحتوى على كتب فى الدين والطب ^(٣) . فيحدثنا نص من الأسرة الثامنة عشرة أن الملك أمنحتب الثالث وزوجته كانا يمتلكان مكتبة خاصة بالقصر الملكى ^(٤) . هذا بالإضافة إلى دور الوثائق والسجلات والأرشفات التى كانت ملحقة بالقصور الملكية والإدارات الحكومية والمعابد ، لحفظ البرديات والوثائق الخاصة بهذه الإدارات ، مثل الأرشف الذى كان ملحقا بمعبد الملك نفرار كارع بابى صير من الأسرة الخامسة . وأرشف المراسلات الأجنبية الذى كان ملحقا بقصر الملك إخناتون من الأسرة الثامنة عشرة . وكان يحتوى على ألواح صغيرة من الطين المحروق كتبت بالخط المسمارى ، بلغ عددها ٣٣٧ رسالة . وتعتبر هذه اللوحات من أهم المصادر التاريخية إلى توضيح العلاقات التى كانت سائدة بين مصر وبلاد سورية وبابل وآشور . وتدل على أن من كتبها

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٩٩ حاشية (٢) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٥٠ .

المصريين كانوا يعرفون قراءة وكتابة الخط المسماري .

ومن رسوم الدولة الحديثة ما يمثل مبنى وثائق القصر الملكي في عهد الرعامسة . وهو يشتمل على قاعة رئيسية ، تدعم سقفها عشرة أساطين في صفين ، وفيها مقاعد مرتفعة يجلس عليها الكتبة ، وقد نشر كل منهم بردية على مائدة أمامه . ويليهما بهو تتخلله أربعة صفوف من الأساطين ، ويؤدي منه درج يتوسطه احدور إلى دهليز وتطل عليه ثلاث قاعات . وفي القاعة الوسطى تمثالان للمعبود تحوتى في شكل قرد . أما القاعتان الجانبيتان فتحتويان على صناديق تشتمل على الوثائق . (١)

وكان يطلق على مكان الأرشيف ثلاثة أسماء هي : Pr md3t و H3 n sšw, وتعنى حرفيا " قاعة المخطوطات " منذ عصر الدولة الحديثة و Hnrt أى " الخزانة " . (٢)

وكان يطلق على أمين المكتبة لقب " ساو سشو " الذى يعنى " أمين المخطوطات " أى الراعى والحافظ لها . وكان هؤلاء الأمناء على دراية وخبرة بما تحتويه برديات المكتبة من معارف مختلفة ، وكانوا يقومون بترتيبها داخل المكتبة طبقا لنوعية المعرفة . وكان على كل أمين أن يقوم بترتيب هذه البرديات وإصلاح ما يجده تالفا منها . وكان يحضر من وقت لآخر كمية كبيرة من لفائف أو قراطيس البردى ذات القيمة الأدبية أو العلمية حتى لا ينقص المكتبة أى فرع من فروع المعارف المختلفة . واكن لهؤلاء الأمناء دور كبير فى التوعية ونشر الثقافة العامة . (٣)

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ شكل ٣٩ (أ) .

(٢) راجع : Wb 111, 222, 4; 296, 18; 469, 2.

(٣) ويبدأ تاريخ المكتبات فى مصر القديمة من العصر البطلمى بتأسيس دار العلم التى يطلق عليها اسم " الموسيون - Mouseion " والمكتبة الكبرى (الببليوتك - Bibliotheke) . وقد شيدت دار العلم والمكتبة بجوار القصر الملكى الذى كان يقع شرقى الميناء . وكانت دار العلم فى الأصل معبدا لربات الفنون = =

ثامنا : مناهج التعليم والدراسة :

كانت عبارة عن دروس تعليمية مختلفة كتبها المعلمون والتلاميذ على كسر الفخار وشطافات من الحجر الجيري الرقيق (الاوستراكا) والألواح الخشبية الصغيرة

== والعلوم موسا - Musae . وكان الملك بطلميوس الاول - سوتير (ومعناها المنقذ) ٣٢٣ - ٢٨٥ ق.م . هو الذى فكر فى بناء هذه الدار والمكتبة عندما عهد إلى المفكر والسياسى الاثينى ديمتريوس فالبريوس بمهمة تصميم وبتأسيس العلم أو الحكمة (الموسيون) والمكتبة الكبرى فى الحى الملكى بالإسكندرية (ولا يجوز ترجمة هذه الكلمة بـ Museum بمعنى متحف لأن هذا المعنى معنى حديث) .

وتعد دار العلم أول منشأة علمية حكومية فى العالم الإغريقى . وكانت مقرا للعلماء والأدباء والباحثين وملقى للمفكرين من كل مكان . وكانت تشبه أيضا الأكاديمية أو المعهد العالى فى لغتنا الحديثة من حيث تبعيتها للدولة فى الصرف عليها والإشراف عليها . وكان يقيم فيها على نفقة الدولة عدد من العلماء والأدباء لا تبجى منهم الضرائب تشجيعا للعلم .

وكانت تتشابه أيضا مع مدارس اثينا الفلسفية فى طريقة الدراسة الحرة والمناقشة . أما المكتبة الكبرى فقد زودت بعد كبير من لفائف البردى ، بلغت فى عام ٢٨٥ ق.م . مائتى ألف مخطوط أى لفافة من البردى ، وبلغت فى أيام بطلميوس الثانى نحو أربعمائة ألف مخطوط ، أضيف إلى ذلك ألوف أخرى من المخطوطات ، فمثلا بلغت فى عهد بطلميوس الثالث سبعمائة ألف لفافة من ورق البردى . ولكى يزيد الملك بطلميوس الثالث من حجم هذه المجموعة أصدر أمرا يقضى بأن كل مسافر يحل بالإسكندرية عليه أن يسلم أى كتب توجد بين متاعه لضمها إلى المكتبة إذا لزم الأمر ، على أن يعطى صاحبها نسخة رسمية بدلا منها ، وتحفظ المكتبة بالأصل ، وترسل بعض هذه النسخ إلى مراكز الثقافة اليونانية المختلفة ، وكذلك إلى روما فيما بعد . ويقال أيضا أن

والسبرديات القصيرة . وكان يكتب عليها فى أغلب الحيات بالخط الهيراطيقى ، ومنها ما كتب عليه بالخط الهيروغلىفى والديموطيقى واليونانى والقبطى .

== بطلميوس الثالث استعار من اثينا الأصول الرسمية لمؤلفات ايسخيلوس وسوفر
كليس ويوريبيدس كى يقوم بنسخها نظير ضمان مالى .

وقد اقتضى هذا أن يعمل بالمكتبة عدد كبير من النساخ يعملون تحت إشراف علماء بعضهم يعد للناس طبعات من الكتب القيمة ، وبعضهم يكتب تعليقات وشروح على النصوص المنسوخة ، ومما يدل على أهمية المكتبة أن أصبح منصب أمين المكتبة من أكبر المناصب الإدارية فى الدولة إذ أصبح من اختصاصه أن يكون معلما لولى العهد .

ويرى بعض العلماء أن البطالمة جمعوا لاستعمالهم الخاص فى هذه المكتبة نحو ما يقرب من نصف مليون لفافة برنية . وفى مكتبة الإسكندرية وضعت أسس علم التصنيف وتطبيقاته ونقد النصوص . كما وضعت قوائم للمؤلفات اليونانية الأدبية يمكن أن يطلق عليها علم الفهرسة الوصفية . وبفضل هذه القوائم حقت وقيمت مؤلفات هوميروس ، وابتكرت كذلك العلامات الصوتية وعلامات الاستفهام والتعجب فى اللغة اليونانية القديمة .

وأقيمت بالإضافة إلى المكتبة الكبرى مكتبة أخرى هى مكتبة معبد السرابيوم التى أسست فى عهد بطلميوس الثانى ، وكانت ملحقة بمعبد سراپيس . وكانت هذه المكتبة فرعا من المكتبة الكبرى ، ويقال أنها كانت تحتوى على حوالى خمسين ألف مخطوط .

وقد ارتفع عدد كتب مكتبة السرابيوم على حد قول المؤرخ اميانوس ماركيلينيوس إلى ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد فى آخر أيام كليوباترا . وهكذا أصبح بالإسكندرية مكتبتان عامتان تحتويان معظم تراث الإنسانية إذ شملتا كتباً أخرى غير المكتوبة باليونانية ، بعضها كتب بالخط الهيروغلىفى وربما بالهيراطيقى والديموطيقى وبالعبرى والفينيقى . وظلت هذه المكتبة تحمل مشعل العلم والمعرفة فى الإسكندرية حتى احترق قسم كبير منها فى =

ومن هذه الدروس المسطرة على البرديات والألواح التعليمية الباقية ، يمكن
استخلاص صورة تقريبية لمناهج التعليم ومواد الدراسة وهي :

== عام ٤٨ ق.م . عندما أشعل يوليوس قيصر النيران في مراكب المصريين ،
 فامتدت ألسنتها إلى الأرصفة القريبة ، واحترقت المخازن الجمركية ، وامتدت
 بعدها إلى مخازن الكتب التابعة للمكتبة في الحى الملكى ، وقرر انطونيوس تقديم
 التعويض اللازم لكليوباترا بعد ذلك بإهدائها مائتي ألف مجلد من مكتبة مدينة
 برغامه أو برجامه الشهيرة في آسيا الصغرى . فقد قامت بيرجامون مكتبة
 ضخمة كانت مركزا للدراسة والبحث كمكتبة الإسكندرية ، وكان لها أثر هام في
 تطوير التعليم في روما نفسها التى كانت تربطها بيرجامون علاقات سياسية
 قوية . ويروى بلوتارخ (٤٦م - ١٢٠م) أن مكتبة بيرجامون كانت تضم مائتي
ألف مجلد (لفافة) وظلت مزدهرة حتى جاء ماركوس انطونيوس وأهداها إلى
 كليوباترا . وقد استمر للمكتبة امنؤها من العلماء البارزين .

وهكذا كان لدى علماء دار العلم (الموسيون) مكتبتان احتوتا معظم
 المؤلفات العلمية في كافة فروع العلم والمعرفة . فأقبل العلماء على الإسكندرية
 خلال العصر البطلمى من كل مواطن أما للانضمام إلى عضوية الموسيون أو
 للدراسة والإفادة من مكتباتها الغنية . واحتضن الرومان مؤسسات الثقافة والتعليم
 فى الإسكندرية بعد الفتح فبقى الموسيون والمكتبة يلقيان التشجيع والتأييد من
 الأباطرة الرومان ، وأصبح الموسيون بمثابة أكاديمية للبحث العلمى وليست
 جامعة للتدريس بها قاعات يجتمع فيها العلماء ويتباحثون ، وقد زار بعض
 الأباطرة الرومان الموسيون وشاركوا العلماء والفلاسفة هناك ندواتهم
 ومناقشتهم .

وأصبحت العضوية فى الموسيون شرفية بالنسبة لكثير من الشخصيات
 البارزة مثل كبار رجال الإدارة والجيش والأبطال الرياضيين . وتعرضت
 المكتبة الكبرى للتبديد مرة أخرى فى عام ٢٧٢ ميلادية بسبب الاضطرابات
 السياسية والدينية فى الإسكندرية ، عندما أحمَد الإمبراطور
 = = =

اللغة :

كانت أولى هذه المناهج هو تعليم اللغة والكتابة ، وكانت تشمل تعليم مبادئ الكتابة والقراءة والإملاء وقواعد اللغة ونماذج من القطع الأدبية .

== اوريليانوس الثورة التي أشعلها فيرموس ، وحاصر الثوار في الحي الملكي وقضى على ثورتهم وتأثرت المكتبة من هذا الحصار .

واستمر الموسيون والمكتبة في العصر البيزنطي في الاحتفاظ بمكانتهما كمراكز للعلم والثقافة يقصدهما الدارسون من شتى الأقطار وكثيرا ما حضر الشباب إلى الإسكندرية لدراسة العلوم الإنسانية (أى الفلسفة وآدابها) ثم تحولوا بعد ذلك إلى المسيحية وخاصة في القرنين الرابع والخامس . وظلت الإسكندرية تحتفظ بهذه المكتبة الكبرى حتى نهاية القرن الرابع الميلادي حتى قاد أسقف كنيسة الإسكندرية ثيوفيلوس أكبر حملة اضطهاد تعرض لها النثيون من أجل القضاء عليهم وعلى دار العلم باعتبارها أكبر مركز للثقافة الوثنية . وقد ساعد ثيوفيلوس على تحقيق ذلك الهدف جيش الإمبراطور ثيودوسيوس . ويرى بعض العلماء أن المقصود بالمكتبة هنا هي مكتبة السيرابيوم ، وعلى أية حال التي قادها ثيوفيلوس أكبر كارثة حلت بمكتبة الإسكندرية ، وكان ذلك في عام ٣٩١ ميلادية . ومن المؤكد ان مكتبات المعابد الأخرى قد تعرضت للتخريب ولكن من الثابت أيضا أن بعض الكتب قد تم إنقاذها . ولكن يبدو أن المكتبة المشهورة انتهى تاريخها وقت اضطهاد ثيوفيلوس للوثنيين ولا نسمع عن وجودها بعد ذلك .

خاض بعض المؤرخين في مسألة إحراق مكتبة الإسكندرية ، فنسبها بعضهم إلى عمرو بن العاص ، وزعموا أن عمر بن الخطاب أمره بإحراقها . وناقش هذه المسألة كثير من علماء الغرب وبعض المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامي . وذكر اورازيوس أنه وجد رفوف مكتبة الإسكندرية خالية من الكتب عند زيارته مدينة الإسكندرية في أوائل القرن الخامس الميلادي . مما يثبت عدم وجود هذه المكتبة قبل استيلاء العرب على الإسكندرية وعلى ذلك = =

(أ) مبادئ القراءة والكتابة :

كان النشئ يقضى وقتا طويلا فى التعرف على أشكال وصور الحروف والرموز والعلامات والمخصصات والمفردات التى تسطر بها اللغة والتمرن على إتقان رسمها لأن حسن كتابتها كان يتطلب جهدا كبيرا ومرانا كثيرا . ويبدأ المعلم أو

== فإن الكتب التى كانت بالمكتبة من عصر البطالمة لم يبق لها أثر منذ اواخر القرن الرابع الميلادى ، أى منذ عهد الإمبراطور ثيودوسيوس . كما أنه لم يرد لها ذكر فى الآداب فى القرنين السادس والسابع . ومن المعروف أن حالة مصر قبيل الفتح الإسلامى - أى منذ أيام دقلديانوس - كانت ، على ما سبق أن كانت عليه من حالة تأخر فى الزراعة والصناعة والعلوم والمعارف والآداب ، فمن الصعب إذن أن يهتم الناس بإعادة هذه المكتبة إلى عهدها الأول . ولو فرضنا أن هذه المكتبة بقيت إلى الفتح الإسلامى ، فإنه لم يكن ثمة ما يمنع من نقلها إلى القسطنطينية على أيدى الروم فى أثناء الهدنة فقد أجاز لهم عمرو فى عهد الصلح أن يحملوا كل ما يقدرون عليه ، وكان لديهم من الوقت ما يمكنهم من نقل مؤلفات المكتبات إلا مؤلفات مكتبة واحدة . فالقول إذن بأن إحراق مكتبة الإسكندرية كان على يد عمر بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب محض إفتراء ، لأن التعاليم الإسلامية تهدف إلى عدم التعرض للكتب الدينية - اليهودية والمسيحية - التى كانت المكتبة تحوى البعض منها .

أما دار العلم فقد استمرت كمركز للمعرفة والتعليم فى القرنين الخامس والسادس ، حتى الفتح العربى . فوصفها الرحالة العرب وغيرهم ، وسماها بنيامين التطيلي أستاذ الإسكندرية ، باسم " أكاديمية أرسطو " (عن دار العلم والمكتبة راجع : د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤ - ٣٦ ؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، مكتبة النهضة العربية ، ص ٢٤٥ - ٢٥٠ ؛ د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة = =

المربى عادة بإعطاء دروس بسيطة فى الخط والهجاء . وكان هذا المنهج يستغرق بعض الوقت نظرا لكثرة العلامات والرموز والحروف التى تبلغ المئات ، ونظرا لأن اللغة المصرية كتبت بخطوط أربعة : الهيروغليفى ، الهيراطيقى ، الديموطيقى ، والقبطى . ولكن فى هذه المرحلة الأولية كان النشئ يتعلم أصول الكتابة بالخط الهيروغليفى . ويبدأ التلميذ بتعلم الحروف والرموز والمخصصات أولا ، ثم يثنى بيناء المفردات والكلمات من تلك الحروف والرموز من ذلك إلى بناء الجملة الصحيحة .

وتعليم أصول الكتابة كان المعلم يبدأ بتعليم الحروف الهجائية ، ثم يبدأ بعد ذلك فى تعليم التلميذ كيفية كتابة التاريخ اليومى . وقد عثر على قطعة صغيرة من الحجارة عليها درس أولى لصبى صغير فى كيفية التاريخ بالفصل والشهر واليوم ^(١) . وكان المعلم يكلف التلميذ فى مرحلته التعليمية الولى بكتابة عبارات قصيرة وهجاء لكلماتها للتعود على تجويد الخط ، ثم يكلفه بعد ذلك بحفظها ليتعود على النطق اللغوى السليم ^(٢) .

== (الحضارة الإغريقية) ، ص ٢١٩ - ٢٢٢ ؛ د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، ص ٦٢ ، ١٤٣ - ١٤٤ ، ص ٢٦٩ - ٣٥٢ ؛ د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٢ ؛ ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية و اضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٢ - ٧٣ ؛ راجع حديثا : د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والأحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٦٦ - ٧٩ ؛ د. مصطفى العبادى : مكتبة الإسكندرية القديمة ومصيرها ، وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى للآثار ٢٠٠٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٨ .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٨ شكل (١) .

(٢) عن أمثلة الواجبات المدرسية ، راجع : Collart, BIFAO 30 (1931), p. 417 - 423.

(ب) الإملاء :

كانت الإملاء من مواد تعليم اللغة ، يدل على ذلك ما عثر عليه من ألواح التلاميذ وعليها أخطاء لغوية وهجائية . وكان الغرض من الإملاء تعويد الناشئ على الكتابة من الذاكرة ومعرفة حروف مفردات اللغة والكتابة في صفوف أفقية تارة ، ورأسية تارة أخرى .

(ج) قواعد اللغة :

بعد تعليم الكتابة ومعرفة الإملاء ، يبدأ التلميذ بعد ذلك في تعلم قواعد اللغة والصرف والنحو والإعراب . وتضمنت مجموعة البرديات التي عثر عليها في اللاهون على تمارين لتعليم الإنشاء وصيغ الرسائل التي كان التلاميذ ينسخون دروسها ^(١) . وذلك للتعود على البلاغة والأسلوب الصحيح . ولاشك في أن التلاميذ في عصر الدولة الحديثة كانوا يلقون الصعاب في سبيل تعلم الفصحى ، نظرا لصعوبة رسم مفرداتها في هذه الفترة نظرا لانتشار استخدام الخط الهيراطيقى في الوثائق .

(د) مقتطفات من الأدب :

حرص المعلمون على تعليم الأدب القديم (أدب عصر الدولتين القديمة والوسطى) بقصصه ^(٢) وتعاليمه ، حرصا شديدا . واعتبروا أن دراسة الأدب القديم

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) فمثلا قصة سنو هي كانت من أحب القصص إلى قلوب المصريين القدماء ، وقد وصل إلينا كثير من أجزاءها مكتوبا على البردى أو على اللخاف (الاوستراكا) مما يدل على إقبال الناس عليها ، وبخاصة المدرسين الذين كانوا يقومون بإملائها على تلاميذهم .

تراثا قوميا وينبغي أن يخلد عن طريق التعليم . مثلما نقوم به فى العصر الحالى من دراسة للأدب الجاهلى نظرا لما فيه من بيان وبلاغة . وإلى جانب تدريس القطع الأدبية القديمة كانوا يفسحون المجال أيضا لتدريس آداب عصورهم . ويقوم المعلم بتدريس الآداب القديمة والمعاصرة عن طريق القراءة وشرح ما بها من بيان .

ولقد رأى بعض المعلمين أنه لى يتعود الطالب على تقويم الأسلوب والتمرن على الفصاحة وإتقان البلاغة ومعرفة قواعد اللغة يجب أن يقرأ التلميذ كثيرا وبتوسع التراث الأدبى القديم لى يستمتع بالأسلوب والبيان ، كما كان يكلف بحفظ مقتطفات من أنواع هذا الأدب كما اهتم المعلمون بتدريس أدب المراسلات لى يعودوا تلاميذهم على أسلوب الوصف الدقيق ، ووسائل التعبير عن الأمنى ، وعبارات الاستفسار عن أخبار الأهل والأقارب . وكذلك لى يتعودوا على تحرير الرسائل وبخاصة ما كان يوجه منها إلى المعلمين وكبار موظفى الدولة . وكانت وسائل تعليم اللغة هى الاهتمام بما نسميه اليوم بالواجبات المدرسية وكانت تتميز بنقطة حمراء . وكان نسخ تلك الواجبات من مقتضيات الدراسة اللغوية والأدبية .

التربية الدينية :

أحتل الأدب الدينى نصيبا كبيرا فى مناهج الدراسة . ولم يكن قاصرا على الكهنة فقط ، ولكنه جزءا هاما من ثقافة التلميذ . وكانوا يتلقون معارف الديانة عن طريق غير مباشر ، فيدرسونه خلال ما يكلفون بحفظه وكتابته من أناشيد للمعبودات ، والأساطير الدينية المعروفة ، والمذاهب الدينية الرسمية والمعترف بها ، ومعرفة العواصم الدينية ومعبوداتها ، والأسماء والرموز المقدسة ، وكذلك ما عسى أن ينفعهم فى حياتهم اليومية وأن يعرفوا آداب السلوك العامة وما يجوز وما لا يجوز ، وأن يفرقوا بين ما هو حسن وضار فى نظر المعبودات .

التربية الخلقية :

تكفل بالتربية الخلقية أو التنشئة الخلقية أطراف أربعة : المعلمون في المدارس ، الكهنة في المعابد ، الآباء المثقفون في المنازل ، والأدباء المحترفون في المجتمع . الذين كانوا يوجهون نصائحهم وتعاليمهم وحكمهم في سمات الآباء تارة وسمات المعلمين تارة أخرى وسمات النصح والخبراء تارة ثالثة . وتفاوتت المستويات الاجتماعية التي ينتسب إليها أهل النصائح والحكم فكان منهم ملوك وأمراء ووزراء ، جنباً إلى جنب مع أفراد من أواسط الكتبة والكهنة وكبار الشخصيات وتجارب أسلافهم وقراءتهم الشخصية وهذا هو احد الملوك ينصح ولى عهده قائلاً :

" اسلك سبيل آبائك وأسلافك ، فان أقوالهم مسطورة وباقية في الصحف (أى قراطيس البردى) فانشرها (بين يديك) واقرأ وانشد الحكمة فيها " .^(١) وسلك المعلمون في تدريس المواضيع التربوية والتهديبية ثلاث وجهات :

وجهة لجأ فيها المعلمون إلى تدريس القطع الأدبية التي تحت على التعليم والإعلاء من شأن العلم ووظيفة الكاتب وهجاء الحرف والمهن الأخرى ، مثل نصائح خيتى بن دواواف لابنه بيبى ، التي وجهها إليه عندما عزم على إرساله إلى العاصمة ليدخل المدرسة ليتلقى العلم مع أبناء الموظفين . وقد ذكرنا ما جاء فى هذه البردية فى باب الأدب . وينصح دواواف ابنه بالإقبال على العلم وحب الكتب ، ويخبره بمكانة الكاتب الذى تتفتح أمامه كل فرص الترقى بين الموظفين وبهذه المكانة يكتسب ثقة الحكام ويكلفونه بالقيام ببعض المهام الرسمية . ومن أهم وصايا لابنه هي :

" بان يضع قلبه فى الكتب " وأن " يحبها كما يحب أمه " لن مهنة الكاتب تفوق كل مهنة فى هذه الحياة . ويذكر له متاعب أصحاب المهن والحرف الأخرى ومدى ما يعانونه فى سبيل تحصيل أوقاتهم ، ثم يختم حديثه بقوله :

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

" بيد أن الكاتب هو الذى يترأس أعمال جميع الناس ، وهو معفى من الضرائب لأنه يؤديها عملاً عن طريق معرفته ولن يكون مستحقاً عليه أى شئ " . (١)

ويقدم لابنه بعض النصائح التى تساعد على اكتساب محبة الناس ، وأهمها القناعة وطاعة الرؤساء ، ويحذره من أحداث الضجيج عند عودته إلى المدرسة . وكان المعلمون يتبارون فى إملاء مقتطفات من هذه النصائح على تلاميذهم أو نسخ فقرات منها ، ولهذا وصلت إلينا بعض نصوص هذه النصائح ملأى بالأخطاء . وكانت هذه القطع الأدبية من أحب القطع إلى قلوب معلمى عصر الدولة الحديثة .

وجهة أخرى لجأ فيها المعلمون إلى تدريس تعاليم ونصائح الحكماء القدماء المشهورين أمثال والد كايجمنى ويدعى " كا ارس " ، بتاح حنّب ، أنى ، امنؤبت ، وعنخ شاشنقى (٢) ، ورغبوا من وراء تدريسها كلها أو اختيار فقرات منها أن يتعرف تلاميذهم على ما تضمنته من قواعد لآداب السلوك والتربية ، وأن يتعلموا منها فى الوقت نفسه ، ما جاء فى هذه النصوص من أساليب البلاغة والبيان وحسن التعبير . وكان المعلمون يقتبسون من هذه النصائح والتعاليم ما يلاءم مستوى تلاميذهم . (٣)

وركز المعلمون فى اختيارهم لفقرات من هذه التعاليم على العبارات التى تحذر التلميذ أو الابن من عدة أمور منها : الغرور بسبب العلم ، وضرورة اتباع الحق ، والالتزام بآداب المائدة ، واتباع آداب الحديث والصمت ، وضرورة اتباع الأمانة فى إيلاغ الرسالة ، واحترام الرؤساء ، والاستماع إلى شكوى المظلوم ، والحث على الاستقامة والابتعاد عن الاثم والفجور ، والحث على الزواج ، وتجنب الطمع فيما يملكه الآخرون ، وعدم التفاخر بالغنّى ، والتذكر بحساب الآخرة .

وللأسف لم تصل إلينا بعض هذه الحكم والتعاليم سليمة ، وبالنسبة لتعاليم والد كايجمنى " كا ارس " التي تعتبر أقدم هذه التعاليم ، نجد فيها ما يشير إلى آداب

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص (ذ) المقدمة .

(٢) الباب التاسع : الفصل الثانى .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٤ ، ٤٣٢ .

السلوك العامة على المائدة وعدم التفاخر بالقوة الجسمانية ، وعدم الغرور فيقول :

" إذا جلست (للأكل) مع أشخاص كثيرين ، فلا تقبل كثيرا على الطعام حتى ولو كنت تشتهييه ، ولن تحتاج إلا لحظة قصيرة لتسيطر على نفسك فانه من المخجل أن يكون الإنسان شرها ... أن كوبا من الماء يروى الظمأ ، وإذا ملأ الإنسان فمه من ... فإن ذلك يقوى القلب . وكما يحل الشئ الطيب محل شئ طيب آخر فإن القليل يقوم مقام الكثير . ما اتعس الرجل الذي يكون نهما من أجل بطنه " " وإذا جلست (للأكل) مع شخص نهم فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من طعامه ... " (١) ويقول أيضا بالنسبة لاتباع مجموعة أخرى من الآداب :

- " لا تتفاخر بقوتك بين أقرانك فى السن ، وكن على حذر من كل إنسان حتى من نفسك ، إن الإنسان لا يدري ماذا سيحدث أو ما الذى سيفعله المعبود عندما ينزل عقابه " . (٢)

- " كل البيوت تفتح أبوابها لغير المتكبرين ، ولصاحب اللسان المتواضع توجد حجرات عديدة ، وهناك سيف حاد يوقف من يرغب فى أن يظهر أهميته " . (٣)

ولعل التعاليم التى تعتبر أكثر التعاليم شمولاً ، هى تعاليم الوزير بتاح حتب من الأسرة الخامسة ، وهى تحتوى على اثنتى عشر نصيحة تهذيبية ، وقد عثر على مقتطفات منها على ألواح بعض التلاميذ ، كانوا يقومون بنسخها وحفظها ويقولون فيها : (٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٢) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ١٦٣ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٦ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣١ حاشية (١) ، ص

٤٣٢ - ٤٣٤ ؛ د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى

مصر ، ص ١٤٠ - ١٤١ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى = =

(١) " لا يداخلنك الغرور بسبب علمك ، ولا تتعال لأنك رجل عالم . استشر الجاهل ^(١) ، كما تستشير العالم لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلى آخر حدود الفن " .

(٢) " إذا كنت زعيما يحكم الناس فلا تسع إلا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة فيها . ما أعظم العدالة فإن قيمتها خالدة ولم ينل منها (أى) إنسان ... " .

(٣) " إذا كنت مدعوا إلى مائدة من هم أعظم منك فخذ ما عسى أن يعطيه لك عندما يوضع أمامك . ولا تنظر إلا ما هو أمامك ، ولا توجه نظرات عديدة إليه ؛ لأن إجباره على الالتفات إليك أمر تكره النفس . غض من طرفك حتى يحييك ولا تتكلم حتى يخاطبك . أضحك عندما يضحك فإن ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك كل ما تفعله ، إن الإنسان لا يعلم ما فى القلب " .

(٤) " إذا كنت ممن يوثق فيهم ويرسلهم أحد العظماء إلى عظيم آخر ، فكن أميناً جداً عندما يرسلك . بلغ الرسالة كما قاله . لا تخف شيئاً مما قاله وأحذر النسيان . تمسك بأهداب الصدق ولا تتخطه حتى ولو كان ما تقوله قد خلا مما يرضى (الآخرين) وأحذر من أن تشوه الكلام ... " .

(٥) " إذا كنت شخصاً فقيراً تعمل تابعا لأحد الرجال المعروفين ... فلا تحاول معرفة شئ عن ماضيه عندما كان مغموراً . لا تجعل قلبك يتعال عليه بسبب ما تعرفه عنه فى ماضى أيامه ، احترمه لما أصبح عليه ... " .

== عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٤١٥ ؛ د. عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ؛ وقد ذكرنا مقتطفات من هذه النصائح عند الحديث عن الزواج فى الأسرة فى الباب الخامس .

(١) يقصد به هنا الرجل الذى لم ينل قسطاً وافراً من التعليم ولكنه ذو خبرة فى أكثر من مجال .

ويقول أيضا :

" احن ظهرك لمن هو أعلى منك ، لرئيسك في العمل وسيعمر بيتك بخيراته
وتنال مكافأتك في موعدها المقدر لها . ما اتعس الذى يناصر رئيسه
العداء "

(٦) " إذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكاوهم فكن رحيمًا عندما تستمع إلى
الشاكى . لا تعامله إلا بالحسنى حتى يفرغ مما فى نفسه ، وينتهى من قول ما
جاء بسببه ليقوله لك ... ان رفاقك بالناس عند إصغائك للشكوى يفرح قلوبهم " .

(٧) " إذا أردت أن تطيل صداقتك فى بيت تزوره سيدا كنت او أخا أو صديقًا فأحذر
من الاقتراب من النساء فى أى مكان تدخله ... " (١)

(٨) " إذا أردت أن يحسن خلقك وتصون نفسك من كل سوء فأحذر من الطمع ، فهو
مرض عضال لا دواء له ، ولا يمكن لإنسان أن يطمئن إلى وجوده معه ، فهو
يحيل الصديق حلو المودة إلى عدو مرير ، ويبعد الخادم الموثوق به عن سيده ،
 ويفصل ما بين الآباء والأمهات والأخوة الذين ولدتهم ام واحدة ، ويفرق بين
الزوجة وزوجها ... " .

(٩) " إذا كنت شخصًا عاقلًا ناجحًا فأحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق
وأمانة كما يليق لها ... " .

(١٠) " إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحت غنيا بعد أن كنت فقيرًا فى
بلدك الذى يعرفه (أهله) فلا تتس كيف كان حالك فيما مضى . ولا تغتر
بثروتك التى جاءتك كهبة من المعبود ... " .

(١١) " لا تصمت تمامًا ولكن تحفظ وترو قبل أن ترد فى حماس مفتعل فإن الحماس
المفتعل لا بد وأن يخمد والحصيف كلما خطأ خطوة أعد طريقة ومهده ، وإذا
أصبحت رجلاً ذا مقام يحضر مجلس مولاه فاحضر ذهنك فى الخير أو أصمت

فإن الصمت خير لك .. كن عميق الفكر قليل الكلام ... " .

(١٢) وأخيرا أنهى كلامه بقوله :

" عندما يأتى الموت ، فانه يصيب الطفل الرضيع المتعلق بئدى أمه ويصيب أيضا ذلك الذى أصبح هرما ، وعندما يأتى هذا الرسول (الموت) ليأخذك ، فيجب أن يجددك على استعداد له " .

ويحث الحكيم أنى فى تعاليمه على مجموعة من الفضائل ، نختار منها ستا (١) :

(١) عدم الإكثار من الكلام والتروى عند الحديث ، فيقول :

" لا تكثر من الكلام ، فالصمت خير لك ، وكن قبل كل شئ حريصا فى كلامك ، إذ أن هلاك المرء فى لسانه ، ولا تكن ممن يحبون الخوض فى الحديث عن الناس " .

ويقول أيضا :

" أن جوف الإنسان أوسع من شونتى الغلال الملكيتين ، يتسع لكل جواب فتخير خير الحديث وتكلم صوابا ، واحتفظ بسيئه فى جوفك " .

(٢) ويحثه على آداب الدعاء ، فيقول :

" أن شر ما يحدث فى بيت المعبود (أى المعبد) هو إحداث ضجة ، أزع بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك ، يستجيب المعبود لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل قربانك " .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٤ ، د. عبد العزيز

صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص

٣٥٣ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم ، ص ١٤١ ،

وأيا :

Suys, la Sagesse d'Ani, (An. Orient. 11, 1935), p. XV111, I. 40.

(٣) ويحثه على عدم شرب الخمر ، فيقول :

" لا تؤذ نفسك بشرب الجعة .^(١) أنك إذا أردت الكلام فإن ألفاظا أخرى سوف تخرج من فمك . وإذا سقطت وكسر أحد أعضائك فلم يمد أحد يدا إليك ويصرخ أعز أصدقائك قائلا : " احموني من هذا الرجل عندما يشرب " وإذا ما حضر إليك شخص ليبحث عنك ويوجه إليك سؤالا يجدهك ملقى على الأرض (فاقد الوعي) كطفل مسكين " .

(٤) ثم أراد أن يصرفه عن نهم الطعام إلى قيمة الإحسان ، فيقول :

" لا تأكل طعاما وغيرك واقف دون أنت تحت الخطي إليه وتمد يدك بالطعام إليه ، ولسوف يعرف لك ذلك إلى أبد الأبد " .

(٥) ثم أوصاه بمقاومة النفس الأمارة بالسوء والالتواء ، فيقول :

" إياك إلا تقاوم الالتواء في أعماق نفسك " .

(٦) ثم يحدثه بعد ذلك عن مكانة الأم وما تقوم به نحو أولادها من تربية ورعاية ، وحثه على حبها وطاعتها ورعايتها في كبرها ومكانتها عند المعبود إذ هي غضبت عليه . وقد أشرنا إلى هذه الفقرة عند الحديث عن الأسرة وواجب الأبناء نحو الوالدين . ومن تعاليم امنمؤبت وخاصة ما جاء منها في

(١) ظهرت مشارب الجعة وفيها المغنيات والراقصات المحترفات في طيبة في

عصر الملك أمنحتب الثالث الذي امتاز عهده بالرفاهية والبذخ ، وكان يرتادها

العمال وغيرهم من طبقات الشعب ، ولا نستغرب بعد ذلك أن يعم خطر هذه

المشارب فنقرأ في بردية من البرديات تحذير معلم لتلميذه من ارتيادها واصفا له

ما يجرى فيها من أعمال تنافى الخلق المستقيم ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر

الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٩٩ .

الفصل التاسع ، نختار سبعاً ^(١) :

(١) عدم مصاحبة الحمق ، فيقول :

" لا تتخذ الرجل السريع الغضب لك صاحباً . ولا تزره لكي تحادثه . "

(٢) عدم الاندفاع في الحديث ، فيقول :

" لا تسرف في إعطاء الحرية لنفسك عند الإجابة . ويجب ألا تتناقش في أجابتك إلا مع من يماثلكم قدراً ، واحتط لنفسك لئلا تتدفع في ذلك ... وثمة شيء آخر محبب إلى المعبود هو التروى قبل الكلام " .

(٣) وفرق بين الرجل العاطفي والرجل الصامت ، فيقول :

" أما عن الرجل العاطفي ، فهو كشجيرة تنمو في العراء ، سرعان ما تسقط أوراقها ، ويصبح مصيرها في دار صناعة المراكب أو في مكان بعيد إلى حيث يصبح اللهب كفنها . أما الرجل الصامت فهو كشجرة تنمو في بستان تقف أمام صاحبها مزدهرة مثمرة ، إن ثمارها لطيفة ، وأن ظلها لمنعش " . ويقصد أئمنؤبت بالصامت ذلك الرجل النافع الذي يسيطر على نفسه ويتحكم في مشاعره .

(٤) ودعاه إلى احترام كبار السن ، فيقول :

" لا تسب من يكبرك سناً ، فإنه قد شاهد (نور المعبود) رع قلبك (أى ولد قبلك) ... دعه يضربك أن شاء ويدك في خاصرته ... ودعه يسبك أن شاء وأنت صامت ... " .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٦ ؛ د. أحمد بدوى -

د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ١٤١ ؛ د. عبد العزيز

صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ٣٥٣ -

- (٥) ودعاه إلى الثبات وعدم تغيير كلامه والنفاق ، فيقول :
- " كن ثابتاً أمام غيرك من الناس ، فالإنسان في مأمن في يد المعبود والمعبود يمقت من يزور في الكلام ، وكبر مقتاً عنده النفاق " .
- (٦) وحثه على اتباع العدالة ، فيقول :

" لا تخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب ، وتقبله في الاسمال .
ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ ، أو تظلم مقصور اليد من أجله ،
فالعدل هبة غالية من المعبود يهبها لمن يشاء " .

- (٧) ويخبره عن مكانه الفقير عند المعبود ، فيقول :
- " أن المعبود يحب إسعاد الفقير ، أكثر مما يحب تعظيم النبيل " .

وأخيراً نجد في تعاليم عنخ شاشنقى لابنه ، ستة معاني تذكره بقيمة حفظ
اللسان ، وقيمة التعليم بعد الأخلاق ، والتفرغ للعلم ، ونبيه إلى أدب السؤال ،
والتفكير فيما تعلمه ، واختيار الصحبة الصالحة والنجدة عند الشدة ، فيقول :

- " آية الحكيم فمه " .
- " وإنما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق " .
- " لا تشاور عالماً في أمر تافه ... ولا تستشر جاهلاً (لم ينل قسطاً وافراً
من التعلم) في أمر قيم ... " .
- " ومن وعى ما تعلمه تفكر في ذلاته " .
- " رفيق الغبي غبي ، ورفيق الحصيف ، ورفيق الأبله أبله " .

ويقول أيضاً :

" لا تكن ساقط الهمة حين الشدة وأفعل الخير وارمه في سوط البحر . وإذا
فعلت معروفًا لخمسمائة إنسان وراعه واحد (فقط) فحسبك أن جزاء منه لم

يضع" (١) ويلفت نظره إلى عدم إغضاب المعبود رع .
ويقول كذلك :

" إذا غضب رع على أرض رفع جهلتها وخفض عليتها
إذا غضب رع على أرض جعل اغبياءها فوق علمائها" (٢)

وقد وجد المعلمون في كل هذه الأقوال من النصائح والحكم والتعاليم منها
غنيا ينهلوا منه وجعلوا من هذه التعاليم آيات ترتل ، بعد أن مرت على وفاة أصحابها
عهودا طويلة .

وجهة ثالثة ، اتجه بعض المعلمين إلى تأليف قطعاً أدبية خاصة بهم وبها
عبارات تحض على الشجاعة والمروءة ومعاونة الغير واحترام الجميع وقد ظهر هذا
الاتجاه التهذيبي عند معلمى عصر الرعامسة ، فقد أراد أحدهم أن يزكى روح النخوة
والنجدة والعون فى نفس تلميذه ، فقال له :

" إذا رجاك يتيم مسكين اضطهده آخر وود هلاكه ، فسارع إليه وقدم العون
إليه . واجعل نفسك منقذاً له ، فمن أعانه المعبود حق عليه أن يعين كثيرين
غيره " . (٣)

وآخر يقول :

" حرر غيرك ان وجدته رهن القيد ، وكن حاميا للضعيف " .
" وايا ما كانت خبرتك بالكتب وكنت متعمقا فى التعاليم .. فعليك أن تحترم
الغير حى تحترم ، وأحبب الناس يحبك الناس ، ولا تبالغ فى أحاديثك " . (٤)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٥ ؛ د. عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧ ، ص ٣٥٤ ؛ طبعة ١٩٨٤ ، ص ٣٦٢ .

(٤) المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٥٤ .

الرياضيات :

تتناول موضوعات الرياضيات المصرية القديمة تعليم الساب وكذلك تعليم الوحدات المستخدمة فى قياس الأطوال والمساحات والمكاييل والموازين التى استخدمها المصريون فى حياتهم اليومية وفى حياتهم الاقتصادية وفى تنفيذ مشروعاتهم المعمارية المختلفة .

وليس بين أيدينا سوى كتابين ، واحد وضع للمتقدمين فى الرياضيات ولم يوضع للمبتدئين ، وهو بردية رند من عصر الهكسوس^(١) ، وهى تحتوى على خمسة أبواب تضم سبع وثمانين مسألة موزعة بين تلك الأبواب ، فنجد فى الباب الأول طريقة العد وكتابة الأرقام ، والثانى فى القواعد الأربع : الجمع والطرح والضرب والقسمة على اثنين ، والثالث فى الكسور ، والرابع فى المربع والجذر التربيعى وحل المعدلات ، والخامس فى الهندسة وحساب المثلثات والمربع ومساحة الدائرة .

والكتاب الثانى يعرف عند علماء الدراسات المصرية القديمة باسم بردية انستاسى رقم ٤ ، ويرجع تاريخا إلى عصر متأخر ، وفيها نوع من الجدل الرياضى مثار حول مناقشة بعض المسائل الحسابية .

وقد تولى تعليم الرياضة فريقان : فريق المعلمين فى المدارس ، وفريق الموظفين والمهندسين الذين يعملون فى دواوين الحكومة وإدارات الجيش والمعابد . واحتفظت البرديات والألواح التعليمية الباقية ، بمسائل وتمارين كثيرة يمكن التمييز فيها بين مجموعة من المسائل غلبت عليها الصبغة الحسابية وتناولت مسائل الجمع والطرح والضرب والقسمة للأعداد الصحيحة والكسور ، كما تناولت طريقة تحويل

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ؛
Gillain, L'Arithmétique au Moyen Empire, Bruxelles 1927.

المكاييل إلى مضاعفتها وإلى أجزائها الصغيرة ، وعالجت مسائل التقسيم التناسبي ،
والمعادلات البسيطة .

وهناك مجموعة أخرى من المسائل ظهرت فيا مبادئ البر ، وبعض
المعادلات من الدرجة الثانية ، ومسائل التابع الرياضي . وهناك مجموعة ثالثة
تناولت موضوعات الهندسة ومشكلاتها ، وعالجت المساحات والحجوم والزوايا
والارتفاعات .^(١)

استخدم المعلم لتعليم الجمع والطرح والضرب والقسمة طريقتين :

- طريقة تجريبية يلتزم المبتدئ بها في حل مسائل الحسابية أو الرياضية .
- طريقة ذهنية يستخدمها المتعلم الناضج في حل مسائله .

فمن الوسائل التجريبية التي التزم المبتدئون بها في عمليات الجمع والضرب
والقسمة : كتابة العدد المطلوب جمعه أو طرحه أو ضربه أو قسمته . ولم يجدوا
صعوبة في جمع عددين معا ومعرفة حاصل الجمع لأنهم كانوا يعرفون الأعداد من ١
إلى ١٠ ، والأعداد من ١٠ إلى ١٠٠ ، والمئات والآلاف والمليون .

أما الطريقة الأخرى التي جعلها بعض المعلمين مقياسا للنشاط الذهني في
عمليات الجمع ، مسألة نظرية قصيرة ، افترض فيها المعلم أنه : " كان يوجد في حي
ما سبعة بيوت ، وأنه تسالت إلى كل بيت من البيوت السبعة سبع قطط ، فافترست
كل قطة سبعة فئران ، بعد أن قرض كل فار سبع سنابل من الغلال ، كان أصحاب
البيوت يستطيعون ان يزرعوها فتنجح كل سنبل منها سبع حبات من الحبوب " .

والمطلوب هو حاصل جمع البيوت والقطط والفئران والسنابل والحبوب ،
واستطاع كاتب المسألة أن يدون حل مسألته بطريقتين : رصد في إحداهما أعداد
البيوت معا ، وأعداد القطط معا ، وأعداد الفئران معا ، وأعداد السنابل معا ، وأعداد
الحبات معا ، ثم جمع مجاميعها في وحدة واحدة .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٨ .

ولجأ فى طريقته الثانية إلى جمع نصيب كل بيت من القطط والفئران والسنابل جمعا ذهنيا على حدة ، ثم ضرب مجموعها فى سبعة .^(١)

وبالنسبة للطرح كان على المبتدئ أن يسجل العدد المضروب ، ويضاعفه كتابة عدة مرات فى خطوط راسية متعاقبة ، إلى أن يحصل فى نهاية المسألة على ما يساوى حاصل الضرب المطلوب . وإذا اطمأن التلميذ إلى نتيجة الضرب ، ورسم شرطة صغيرة مائلة بجانب جمع الناتج من الضرب ، مثال ذلك :

إذا أراد الطالب أن يضرب 19×6 فيكتب على لوحته أو على الشقفة الصغيرة التى يكتب عليها ، العدد ١٩ ، ثم يضربه فى ٢ ، ويكتب العدد ٢ أمام الحاصل ٣٨ ، ويضاعف الحاصل السابق ويكتب أمامه ٧٦ ، ولما كان مجموع ٢ + $6 = 114$ وو العدد ضربه فى ١٩ فإن مجموع العدد المقابل يساوى بطبيعة الحال حاصل الضرب ، وكان يكتبها كالاتي :

$$38 = 19 \times 2$$

$$76 = 19 \times 4$$

$$114 = 6$$

أو أن حاصل ضرب $77 \times 7 = 539$ يجل بالطريقة الآتية :^(٢)

$$77 = 77 \times 1$$

$$154 = 77 \times 2$$

$$308 = 77 \times 4$$

$$539 = 7$$

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٢) James, An Introduction to Ancient Egypt, London 1979, p. 123.

وبالنسبة للقسمة ، فإذا أراد المبتدئ أن يقسم العدد ١١٤ على ١٩ ، اتباع الطريقة نفسها خطوة خطوة ، حتى ينتهى إلى أن ١١٤ تساوى ستة أمثال العدد ١٩ .

وابع المصريون فى جمع الكسور وضربها وقسمتها ، ما كانوا يتبعونه مع الأعداد الصحيحة . وجرت كتابة الكسور المصرية القديمة على ما جرت عليه كتابة الكسور عن أصحاب الحضارات القديمة ، فظل بسط الكسر عندهم لا يزيد عن الواحد الصحيح ، إلا فى أحوال قليلة ، استخدموا فيها كسورا مركبة مثل $\frac{3}{2}$ و $\frac{4}{3}$.

وأعد المعلمون المصريون لتيسير عمليات الكسور ، جداول جمع وضرب وقسمة ، كان المتعلم يستطيع أن يحفظ منها ما يسهل عليه حفظه ، أو يحتفظ بهذه الجداول معه للاستعانة بها أثناء دروسه ويمكن الرجوع إليها ، وقام بترتيبها على النحو الآتى : (١)

$$\frac{2}{1} + \frac{6}{1} \text{ تصبح } \frac{3}{1}$$

$$\frac{10}{1} + \frac{10}{1} \text{ تصبح } \frac{5}{1}$$

$$\frac{18}{1} + \frac{36}{1} \text{ تصبح } \frac{12}{1} \text{ وهلم جرا .}$$

واتبع بعد ذلك جداول أكثر تعقيدا وأكثر طولا .

وبالنسبة لضرب الكسور ، فكان المعلم يتدرج فيها مثل جمع الكسور من السهولة إلى الصعوبة ، وقد رتبت مسائل ضرب الكسور على النحو الآتى :

$$\frac{6}{1} \times \frac{3}{2} = \frac{9}{1}$$

$$\frac{10}{1} \times \frac{3}{2} = \frac{15}{1}$$

وتضمنت موضوعات المعادلات ، مسائل أخرى جبرية خالصة . واعتمدت

بعض مسائل الجبر على التتابع . ونجد فى مسألة منها على سبيل المثال ما يأتى :

"وزع مائة رغيف على خمسة رجال (بفارق حسابى ثابت بين نصيب كل رجل منهم عن الآخر) ، فإذا كان سبع نصيب الثلاثة الأوائل منهم ، وهم رؤساء

العمال ، مساويا لنصيب الاثنين الباقيين وهما من العمال ، فما مقدار نصيب كل فرد منهم ؟ (١).

وعثر في اللاهون على مجموعة من البرديات تحتوى على تمارين حسابية ورياضية ، منها طريقة التربيع والجزر المربع والمعادلات المختلفة (٢) . وتتناول موضوعات الرياضة أيضا مسائل الهندسة ومشكلاتها ، ومعالجة المساحات والحجوم والزوايا والارتفاعات التي كانت تشغل بال المهندسين المعماريين والفنيين عند تصميم المنشآت المعمارية الضخمة .

عرف الرياضيون المصريون القدماء مساحة المستطيل والمربع والمثلث والدائرة والمكعب والأبعاد المختلفة الطول والعرض والارتفاع والعمق . ووصلت إلينا ستة تمارين رياضية تناولت مساحة المستطيل ومساحة المثلث ، ومساحة الدائرة من بردية هيراطيقية للكاتب أحمس من أوائل القرن السادس عشر ق.م. (٣)

وبردية أخرى معاصرة للبردية الأولى عليها تمرينات تتناول استخراج قاعدة المثلث وارتفاعه ، واستخراج حجم المثلث الناقص (٤) . ويبدو أنهم كانوا يكثرون من التطبيقات العملية في مجال العمارة . فكانوا يقدرّون مثلا ما كان يلزم من رجال ومعدات لنقل مسلة من محاجرها والإبحار بها عبر مياه النيل ، ثم إقامتها فى مواضعها ، ومعرفة وزنها التقريبي (٥) . وبقيت مسائل الزوايا ، والارتفاعات

- (١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٢ .
- (٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ٥٩٤ شكل (٢) ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٤١٩ .
- (٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٦ شكل (٣) .
- (٥) يعطينا د. محمد عبد القادر فى مؤلفه : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ، ص ٧٩ قائمة بعدد المسلات التي أقيمت فى معبد الكرنك وأوزانها الحالية .

العمودية للأهرام أكثر موضوعات الرياضة دراسة . وكان من نماذجها التعليمية ما صاغه المعلم لتلميذه على النحو الآتي:

" هرم قاعدته ١٤٠ ، وزاويته ٥ قبضات وإصبع ، فما طول ارتفاعه العمودى ؟ " (١).

وبالنسبة لوحدة قياس الأطوال والمسافات ، نجد أن المصريين استخدموا وحدة الذراع للأطول الصغيرة . وكان عندهم الذراع الملكى الذى يساوى ٥٢,٣ سم، وذراع آخر يصغره قليلا ويستخدمه الناس فى معاملاتهم العادية . وقسموا الذراع إلى سبع قبضات متوسطة (أو ست قبضات كبيرة) تتكون كل قبضة من أربعة أصابع . واستخدموا أيضا وحدة قياسية تبلغ مائة ذراع ، أطلقوا عليها اسم " خت " وتستخدم لقياس مساحة الأراضى ، ووحدة أخرى أكثر طولاً أطلقوا عليها اسم " سنات " ويبلغ طولها ٢٧٣٥ مترا مربعا ، وأخيرا وحدة طولية للمسافات الكبيرة تبلغ نحو كيلو مترين ، أطلقوا عليها اسم " اترو " (٢).

واستخدموا ، بالنسبة لوحدة المكايل ، وحدة لكيل الغلال ، تسع ٢٩٢ بوصة مكعبة ، أطلقوا عليها اسم " حقات " وقسموا الحقات إلى وحدات صغيرة تسمى " هنو " ثم قسموا كل هنو إلى " رو " واستخدموا لكيل السوائل وحدات صغيرة ، تعادل نحو ٩١ جراما ، أطلقوا عليها اسم " دبن " .

ونلاحظ أن هذه الطرق الرياضية تختلف بالطبع عما هو معروف الآن من قواعد ونظريات علمية وأساليب حديثة . ولكن ذلك لا يقلل من قيمة ما توصل إليه المصريون القدماء فى شئ . فبهذه الطرق البسيطة نجحوا فى تقييم الروائع فى فن العمارة ، ولا زالت الدقة البالغة فى المنشآت المعمارية من أهرام ومعابد مشيدة أو منحوتة فى الصخر ، أو مسلات قائمة ، تؤكد أنهم كانوا يعرفون الشئ الكثير عن هندسة العمارة وأساليبها وتطبيقاتها .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

وعندما زار أفلاطون مصر وزار مدارسها وترد عليها ، أعجب بمناهج التعليم فى هذه المدارس وبخاصة أساليب تعليم الصغار عمليات الحساب ، فأهاب بقومه الإغريق أن يتعلموا هذه الأساليب والطرق المنهجية ، ويتبعوها فى تعليم أصول الحساب فى بلادهم ، وأن يجتهدوا فى العمل على اجتذاب النشئ من أولادهم إلى مواد الرياضة ، وأن يجعلوا من تلك المواد وطرق تدريسها موضع تشويق وترغيب . وروى له أن المعلمين فى مصر جعلوا من تعليم الحساب متعة . (١)

فكان المعلم يوزع على تلاميذه ثمارا وأزهارا ، لتعليمهم العد . وأوزانا من الذهب والنجاس والفضة لتعليمهم تمارين الحساب وبهذه الوسائل ، كما روى أفلاطون ، كان التلميذ المصرى القديم يكتسب معرفة لا بأس بها فى مجال الرياضة معرفة يمكنه الاعتماد عليها فى حياته الوظيفية والعملية . (٢)

موضوعات من التاريخ والسير :

تتناول موضوعات التاريخ ، دراسة التاريخ القومى ، وكان مصدر المعلم فى هذا الشأن هو نقوش جدران المعابد وسجلات ومحفوظات دور الحكومة ، والقصائد وأناشيد النصر ، وكانوا يتناقلونها على هيئة قصص بطولية . ومنها بردية تعليمية من القرن الثالث عشر ق.م . كتبها طالب يدعى " بنتاؤره " وهى تحتوى على تاريخ بداية الصراع بين الملك المصرى سقننرع وبين ملك الهكسوس بعد ثلاثة قرون من حدوثه . فيها يروى كيف بدأ الملك المصرى جهاده لتحرير البلاد . وتضمن لوح مدرسى صغير من القرن السادس عشر ق.م . موضوعا تكميليا عن مواصلة ابن سقننرع ، كامس مراحل الجهاد ضد أعداء البلاد . ومواقف البطولة والشجاعة التى أبدأها كل من سقننرع وكامس أثناء معارك التحرير .

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٩٥ - ٥٩٧ .

وهناك أيضا نسخ من قصيدة عن معركة قادش الشهيرة التي صورت لنا انتصار الملك رمسيس الثانى على الحيثيين ، وكتبت بعبارات فيها الكثير من المبالغة ، كان الطالب يكرر أبياتا منها لحفظها ^(١) وتتناول الموضوعات التاريخية أيضا كتابة القوائم الملكية ، فكان التلاميذ يقومون بكتابة ونسخ هذه القوائم الملكية التي كانت تحتوى على أسماء العديد من الملوك ويدونون كذلك أهم ما قام به هؤلاء الملوك من أعمال فى الداخل والخارج . وأمروا بتسجيلها على جدران المعابد أو على لوحات أو على لفائف بردى ^(٢) . أو سير هؤلاء الملوك والحكام وما فيها من أخبار صباهم ووصف بعض أعمالهم التي تعتبر قدوة للآخرين .

المعلومات الجغرافية :

تتناول الموضوعات الجغرافية تعريف التلميذ أسماء الظواهر الطبيعية كالفيضان والأعاصير والرياح والندى والصقيع والبرى ، وبعض المسميات الفلكية مثل أسماء الكواكب والنجوم المعروفة والأبراج السماوية . وتتناول أيضا تدريس أسماء المدن الكبيرة مرتبة بترتيبها الصحيح من جنوب الوادى إلى شماله ، بحيث يبدأ من البجة وأسوان وكوم أمبو وجبل السلسلة وادفو ... وتستمر هكذا حتى تنتهى بمدن الحدود الشمالية والشمالية الشرقية . وتتناول كذلك تدريس أهم حاصلات البلاد ومنتجاتها ، وبعض أسماء حيواناتها وطيورها . ويتناول البعض الآخر تعريف أسماء الشعوب والأقطار الأجنبية ومدنها الرئيسية والمنتجات المشهورة فى هذه البلاد ، كزبوت قبرص وخيتا وسنجار وآمور ونبذ سوريا وتينها . وشهرة بعض مدنها بالجة وتطعيم الأخشاب ، وشهرة بلاد بونت بالبخور والتوابل ، وشهرة بعض المناطق فى أفريقيا بالعاج والأبنوس وريش النعام والحيوانات البرية .

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الضارة المصرية ، ص ٨٩ .

أما الطريقة التي اتبعها المعلم في تدريس هذه المعلومات الجغرافية ، فكان يملئ على التلميذ أسماء المدن المصرية ، في مفردات متتالية لكي يحفظها ، أو يكلفه بنسخها من بردية قديمة ، وقد يملئ معلم آخر على تلميذه أسماء المنتجات المحلية في موضوع أشبه بموضوع الإنشاء أو يدرس له أسماء الأقطار الخارجية ومعالمها الرئيسية في محاضرة رمزية بين شخصين يسأل أحدهما الآخر عما يعرفه عن معالم فينيقيا وما فيها من أشجار الأرز وحيوانات متوحشة .

وقد وصلت إلينا قطعتان من الشقافة عليهما درسان في الجغرافيا ، على الأولى درس كرر التلميذ فيه عبارة لطيفة يقول فيها : " جاء الفيضان من أجل أحبابه " وعلى الثانية حوار بين شخصين " يسأل شخص زميله عن حلب وقادش وسميرا ، ويصف له جبال لبنان " . وكلا القطعتين كتبنا بالخط الهيراطيقى .^(١)

الرسم والتلوين :

كان على التلميذ أن يتعلم قليل من الرسم . وكان الكاتب عادة ، رساما ونقاشا في وقت واحد . وكان يستخدم للزخرفة في كتابة بعض البرديات الدينية أنواعا من المداد المختلفة الألوان منها الأخضر والأزرق والأصفر والأبيض^(٢) . ومن تراث الدولة القديمة عثر على لوح من ألواح أحد التلاميذ في منطقة الجيزة ، كان صاحبه ممن يتعلمون الرسم والتلوين أيام الأسرة الخامسة .^(٣)

هذه هي بعض المناهج إلى كانت تدرس في المدارس المختلفة ، ولا شك في أنه كان يوجد بجوار هذه المناهج السبعة ، مناهج أخرى لا نعرف عنها أي شيء ،

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٩ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٣٤٤ .

(٣) د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

مثل تدريس معارف ومبادئ الكيمياء والعلوم الطبيعية وما إلى ذلك . ولابد أنه كان يوجد مشرف عام على مثل هذه المناهج لاختيار أفضلها وأنسب الطرق لتدريسها في المراحل التعليمية المختلفة .

التربية البدنية :

كان الناشئ في المدرسة يتدرب على فنون الرياضة البسيطة لتربية بدنه بطريقة سليمة . ونعلم من بردية شستر بيتى رقم ٢ التى تحتوى على " قصة الحق والبهتان " أن الأم ألحقت ابنها بالمدرسة لكي " يتقن الكتابة ويتعلم فنون الرياضة والنزال " (١).

تاسعا : طرق ووسائل التقويم التعليمية :

كان المعلمون المصريون حريصين أشد الحرص على توجيه الناشئ التنشئة السليمة . فلم يحرم الطالب المصرى من حق السؤال ، فكان يعرف كيف يسأل وكيف ينصت لتلقى الإجابة ، وكيف يناقش بغية الوصول إلى المعرفة والفهم الكامل .

أما عن الطرق والوسائل التى اتبعها المعلمون فى تعليم الصبية وتقويمهم وتعويدهم على ما تقتضيه أمور التربية من ضرورة السمع والطاعة واحترام النظام وتقدير الواجب . واختلفت ألوان التقويم باختلاف طباع المعلمين والمربين ، فمنهم من كان يلجأ إلى إسداء النصح والنصيحة والوعظ والإرشاد والإغراء دون الإرغام ، أو إلى التحذير والتذكير ، أو إلى التأنيب والتوبيخ ، أو إلى التهديد والوعيد ، وأخيرا إلى العقاب (٢).

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ك مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ٣٤٨ .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٨ .

آمن بعض المعلمين بأن مهمة التربية هي التوجيه والترغيب وإسداء النصح والإرشاد عند ترك بعض التلاميذ لدروسهم وإهمالهم إياها وتكاسلهم عن استذكارها بوجه عام ، أو إهمالهم فى عمل الواجب ، أو أنهم هجروا الكتابة وهربوا من المدرسة ، أو تعالوا على معلمهم وانصرفوا عن الاستماع إلى الدرس . وكان هذا التوجيه يتم عن طريق حوار مباشر ، أو رسائل متبادلة بين المعلم والطالب . وآمنوا بالنصائح الأخلاقية يوجهونها صريحة إلى تلاميذهم ، ولعل خير ما نستشهد به على سبيل المثال ، قول الحكيم أنى لتلميذه " خونسو - حتب " وهو يعظه :

" لا تثق بتلك الفكرة الواهية ، واخشى مما اعتقدته ، أن شكواك فى رأى ليست بذات موضوع ، وأنى من أجل ذلك لموجهك ... " (١) وكان المعلمون يوصون تلاميذهم بفتح حوار بناء حول ما سمعوا وما قرأوا فى قاعة الدرس ، ليفهم من لم يكن قد فهم ، وليتعلم منهم من لم يكن قد علم وكانوا يوصونهم بذلك على أن يختاروا له الوقت المناسب .

ومنهم من كان يرغب فى العلم ، فقال أحدهم لتلميذه :

" آخ القرطاس واللوحه ، فكلاهما أمتع لصاحبه من الخمر المعتقة " (٢).

أو يقول :

" ركز قلبك فى الإصغاء لكلماتى لتستفيد منها " .

أول يقول أيضا :

" كن دؤوبا على طلب النصيحة ولا تهملها " (٣).

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

ونهج بعض المدرسين منها آخر هو الإقناع ، وكان الغرض منه تقويم التلميذ الطائش وهدايته إلى الطريق المستقيم ، فقال أحدهم لتلميذه : " قيل لى أنك تهمل الكتابة ، وانك تمارس الرقص وتنتقل من حانة إلى أخرى ، وأن رائحة الجعة تفوح منك فى كل خطواتك . انك تشبه بالمعبد الخالى من معبوده أو البيت الذى انعدم فيه الخبز . وقد رأوك تصطدم بالجدران فيفر الناس من أمامك . فهل تستطيع أن تقتنع بأن الخمر رذيلة شنيعة ؟ " (١).

أو يقول كذلك :

" ... لىتك تعلم أن الخمر شئ مكروه ، وليتك تقسم على تجنب شراب الشدح " (خمر الفاكهة) وليتك لا تتجه بقلبك نحو إناء الخمر ، وتتسى شراب النلك " لقد علموك الغناء على نغمات الناي ، ومصاحبة ... " (٢).

وأخيرا يقول :

" أفعل ما أقول وسيصبح بدنك وتصبح لا مثيل لك (حرفيا ليس هناك من هو احسن منك علما) " (٣).

ولم يفت بعض المربين من أن يغروا تلاميذهم بمستقبل باهر أن هم حرصوا على اغتنام الفرصة للاستفادة من العلم والتحصيل . ومن أجمل ما نقرأ فى هذا الصدد ما جاء فى وصية خيتى بن دواواف لولده المدعو بيبى ، فيقول :

" أعمل وصر كاتباً لأنك بذلك (تستطيع) أن تقود الناس جميعاً " (٤).

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

ويقول أحد المربين لتلميذه :

" سطر بيدك ، وائل بفمك ، وافعل ما أمرك به ، حتى لا يضيق صدرى بتعليمك ، ولسوف تجد فى ثمرات التعليم ما هو اغنى من حياة موفورة بالطعام والشراب . تفوق على زملائك حتى يمكن تعيينك (فى أحسن المناصب) ".^(١)

أما عن أساليب التحذير والتذكير نتيجة لكسل التلميذ أو إهماله أو هروبه من المدرسة إلى حياة الرقص والشراب ، فقد لجأ بعض المربين إلى أسلوب تكرار الحث على المذاكرة ، ويقول أحدهم مخاطباً ولده أو تلميذه :

" ولسوف أقول لك طوال النهار أكتب " . أو يكثرون من ضرب الأمثلة ومن المقارنة بين حياة الإنسان الكريمة بالعلم وحياة الجاهل التى تشبه حياة البهائم والأنعام ، فالحياة الثانية فى حاجة إلى نور العلم وتفتيتها بالمعرفة . كما لجأ البعض الآخر من المربين إلى إذكاء روح المنافسة بين تلاميذهم وهذا واحد منهم يقول لتلميذه :

" تفوق على نظرائك (أى زملائك) لبيعك إليك بأمر تكليف (أى يصبح من رجال الإدارة والوظائف العليا) " ^(٢) ، أو التنبيه بالبعد عن اللهو فيقول أحدهم :

" أقبل على الدرس وأهجر الرقص لتكون موظفاً يقظاً ، اترك المصائد واستدبر عصا الرماية " .^(٣)

أما عن أسلوب التهديد والوعيد ، فيقول أحد المعلمين يهدد تلميذه :

" لسوف أجلك مائة جلده ، ولسوف لا تتساها جميعاً . لسوف اجعلن منك أيها العاصى الشرير إنساناً " .^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٦ .

ويقول آخر :

" لا تقض يوما واحدا دون عمل وإلا فسيكون الضرب نصيبك " . (٢)

أما عن وسائل العقاب فكانت متنوعة ، أما بالضرب بالعصى والسوط على الظهر والقدمين ، وأما بالقيد ، وأما بالحبس . فكان الضرب من أوائل وسائل العقاب لتقويم السلوك ، وإقامة النظام وسوف نقتبس بعض الشواهد من أقوال المربين حين يقول أحدهم مخاطبا تلميذه :

- " لأعلمن قدميك كيف تجوبان الطرق والمسالك عندما تلهبان بسوط من جلد فرس النهر " . (٣)

- " أذن الصبى فى ظهره ، فهو لا يسمع ولا يطع إلا إذا ما ألهب ظهره " . (٤)

- " للولد ضعفه ولا ينصت إلا عندما يضرب " . (٥)

" أن التلميذ لن يموت من الضرب من يد أبيه وأن الأب الذى يدفعه حب ولده إلى الإشفاق عليه من الضرب (لا ينبغي له - أن فسد ولده - أن لا يلومن إلا نفسه " . (٥)

ويتحدث معلم إلى أم جاءت تسأله عن حال ابنها فقال لها :

" لما كنت صبيا فى المدرسة ، علمنى معلمى الكتابة بعد أن ألهب أطرافى من الضرب ، فتعلمت ولم أهجر - رغم ذلك - معلمى " . (٦)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٣) د. إيفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة شاكر إبراهيم) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٨٢ .

(٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

ويقول تلميذ مخاطبا معلمه :

" لقد نشأت طفلا في رحابك فكنت تضربني على ظهري ، ومن أجل ذلك بقي صدى تعاليمك في أذني " . (١)

وفضلا عن الضرب بالعصى والسوط ، كان هناك التقييد بقيد . ولنستمع إلى ما جاء في حديث معلم يخاطب تلميذه فيقول :

" بلغني أنك هجرت التعليم وانغمست في اللهو حتى طار لبك . فأصبح وجهك كوجه الحيوان المتحفر دائما للهرب ، وأنت حين توضع قدمك في القيد تبيت عصبيا حتى تتمكن من الإفلات لكي تتسلق الجدار (سور المدرسة) ولتقفز هاربا إلى ما تريد من مكان ... " . (٢)

وإذا لم تنفع وسيلة الضرب أو القيد فإن المعلم يلجأ إلى وسيلة أخرى ، قد تكون الحبس ؟ فيقول أحدهم مخاطبا تلميذه :

" فإذا ما أخذتك بكافة وسائل التأديب من ضرب وقيد ، ووجدت أنك لم تطع بعد ، فأني لن أحجم عن أخذك بوسيلة أخرى ، أن وجدت (إلى ذلك سبيلا) حتى أحملك على الطاعة لتصبح رجلا يصلح لمهنة الكتابة " . (٣) فقد عرفوا العقاب بالحبس ، وعن ذلك يتحدث أحد المربين خطابا واحدا من تلاميذه ، فيقول :

" إذا نظرت إلى ، أنا نفسي عندما كنت في مثل سنك فقد قضيت وقتا والقيود في يدي ، وربطوا جسمي ، وظلت على ذلك ثلاثة أشهر مكنتها جميعا بين جدران المعبد ، على حين كان والدي وإخوتي في القرية . وعندما فكو قيدي وأصبحت يدي حرة عوضت ما فاتني ومهرت يدي في الكتابة ، وأصبحت بذلك

(١) د. ايفار ليسنر : المرجع السابق ، ص ٨١ ؛ د. أحمد بدوي - د. جمال مختار :

المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

متفوقا على (كل) من كان يتقدمنى من الزملاء ، ثم أصبحت على رأسهم جميعا . (١)

كيفية التقييم :

ليس لدينا نصوصا تحدثنا صراحة عن كيفية تقييم الطالب فى نهاية كل مرحلة دراسية ويشهد له فيها بأنه أتم دراسته ، فهل كان التلميذ يؤدى امتحانا تحريريا وشفهيا ، وهل كان يمنح شهادة بنجاحه أو تفوقه ، وهل كان يشار إلى رسوبه إذا حدث أنه لم يوفق فى امتحانه ، لا نعلم أى شئ عن كل هذا . ولكن يمكن القول أنه ربما كان يحصل على شهادة محررة ممن علموه أو توصية مكتوبة من معلمه إلى أصحاب المسئولية من كبار موظفى الدولة . (٢)

وربما أيضا كان هناك نظام يشبه نظام منح الشهادات ، فنعرف من وثيقة من القرن السادس أو الخامس عشر ق.م . أن ضابطا فى الجيش كان حاصلا على شهادة المرحلة الثانوية (٣) . وذلك على غرار منح الأوسمة أو النياشين من الذهب التى كانت تمنح للقادة العسكريين على ما أبدوه من شجاعة فى المعارك الحربية (٤) .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٩ .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٣) Allam, Every day life in Ancient Egypt, p. 33.

(٤) مثل قلادة الشجاعة التى تتكون من ثلاث ذبابات من الذهب الخالص والتى

عثر عليها فى مقبرة الملكة إمح حتب والتى أعطاها إياها أبناءها كامس

وأحمس ، نظرا لشجاعتها ومساندتها لزوجها سقنرع أثناء صراعه ضد

الهكسوس ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم CG 52671 ، راجع :

Saleh-Sourouzian : Official. Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no 120 .

وكان من حق الملك ترقية من يعجب بنشاطه وكفاءته من الكهنة ^(١) ، في سلم الترتيب الكهوتي ، وعلى ذلك فلا بد أن يكون هناك أيضا شهادة تقييم للتلميذ المتفوق .

عاشرا : نصيب الفتاة من التعليم :

لسنا على يقين من أن التعليم في مصر القديمة كان من نصيب الأولاد دون الفتيات . ولكن أظهرت بعض النصوص والوثائق ، ان من الفتيات من كن يعرفن القراءة والكتابة ، ويذكر بترى امرأتين من مثققات الدولة القديمة ، واحدة منهن كانت تتولى كتابة رسائل الملكة ، والأخرى كانت تستطيع قراءة الخط الهيروغليفي بسهولة كبيرة . ^(٢)

ومما لا شك فيه أن بعض النسوة نلن قسطا من التعليم مما سمح لهن بالمشاركة في أنشطة الحياة الاجتماعية في مصر القديمة . فهناك نص من عصر الدولة القديمة يدلنا على وجود طبيبة دون تحديد تخصصها الدقيق ^(٣) . وكانت أحيانا قاضية ووزيرة . فهل كان يتم هذا دون الحصول على قسط من التعليم ؟

وهناك لوحة بالمتحف المصري تحمل رقم ١٥٧٨ من عصر الأسرة السادسة وعليها نص يخص إحدى السيدات النبيلات وتدعى " نبت " وكانت تحمل من بين ألقابها الألقاب الآتية : " الأميرة الوراثية ، ابنة جب ، النبيلة ، ابنة مرحو ، ذات السترة ، القاضية ، الوزيرة ابنة تحوتى ، سميرة ملك الوجه البحرى ، ابنة

(١) د. بيومى مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٤٦٧ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ١٩٩٧ ، ص

٥٩٩ حاشية (٤) ؛ Ghalioungui, BIFAO 75 (1975), p. 163.

حورس " (١) . فهل يشير هذا النص إلى أن هذه المناصب كانت قاصرة على بعض سيدات الأسرة الملكية ؟ . وعندما يقال لها أنها ابنة تحوتى فهذا يدل على أنها كانت صاحبة ثقافة وعلم . ولو أن البعض يرى أن هذا اللقب كان شرفيا . كما تذكر النصوص سيدة من القرن الحادى والعشرين ق.م . حكمت إقليم أسيوط باعتبارها وصية على ابنها (٢) . ومن بداية عصر الأسرة السادسة والعشرين تولت ارت راو منصب الكاتبة والتابعة الأولى للعبادة المقدسة نيتو كريس وتحمل مقبرتها فى البر الغربى رقم ٣٩٠ . (٣)

ويبدو أن كثيرا منهم كن يتلقين فى المنازل ألوانا من التربية والتعليم تكفى لتتويز أبصارهن وعقولهن . وكان هذا هو حال الفتاة فى البيوت القادرة وأهل الغنى فى مصر القديمة . فمن المؤكد أن أمر التربية والتعليم كان إلزاما للأميرات من بنات الملك وغيرهن من بيوت الإمارة ، ولدينا مثال الأميرة نفرو رع ابنة الملكة حاتشبسوت والاهتمام بتربيتها وتعليمها على يد سنموت كبير رجال البلاط فى قصر أمها . كما عثر فى مقبرة توت عنخ آمون على أدوات للكتابة عبارة عن محبرة ومقلمة خاصة بالأميرة مريت آتون ابنة الملك إخناتون . (٤)

(١) Caire 1578 = Borchardt, Denkmaler des Alten Reiches II, p. 59 (1); Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 455 (3); Meeks, Alex 11, p. 418; Wb V, 344, 2 وأيضا جلال أبو بكر : أسبوط حتى نهاية عصر الدولة القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة المنيا ١٩٨٩ ، ص ٣٠٥ حاشية ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٥٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، ص ٧٣ .

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية طبعة ١٩٩٠ ، ص ٣٨٨ .

(٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٦٧ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

حادى عشر : عشاق الثقافة وما بقى من تراثهم :

نشأت إلى جانب الطبقة المثقفة التى تلقت العلم فى دور العلم المختلفة ، فئة أخرى من عشاق الثقافة العامة ، وكانت تضم بعض الملوك وكبار الشخصيات ومتقنين من أواسط الناس وعامتهم ، فئة استهدفت من وراء العلم المتعة والتذوق وحب الأدب والمعرفة وللمعرفة والعلم للعلم والثقافة للثقافة ، لا تبغى منصبا أو جاها . ولدينا العديد من نصوص التراجم الشخصية التى تدل على أن أصحابها كانوا يفخرون بأنهم علموا بأنفسهم إيماننا منهم بضرورة العلم والمعرفة وأنهم ربوا أنفسهم بأنفسهم فى غير المدرسة أو دور علم أخرى . ومثل هذه السير كانت مسجلة على جدران المقابر أو لوحات داخل هذه المقابر ، وكان الغرض من تسجيلها إسداء النصح للأجيال القادمة ونشرها على الملأ أمام أجيال المستقبل ولمن يقرأونها . وذلك لبناء صرح المجتمع على أساس من العلم والقيم والسلوك القويم .

على أن يعرف الناس عنهم أنهم كانوا يكتبون بأنفسهم ويقرأون بأنفسهم مثل سنفرو ، ففى قصة تنبؤات نفر روهو (أو نفرتى) ، نجد أنه عندما حضر هذا الكاهن أمام الملك ليتحدث إليه عن تنبؤاته ، مد الملك يده إلى صندوق أدوات الكتابة ليسجل بنفسه ما يتحدث به الكاهن المرتل ^(١) . ولم يتردد بعض الملوك فى التوجه إلى مكتبات المعابد الكبرى فى ايونو وطيبة وأبيدوس للإطلاع على المعلومات المسجلة على لفائف البردى بها .

ويتحدث أحد الموظفين ويدعى خنواردو ، والذى كان فى خدمة إحدى زوجات الملك منتوحتب الأول من الأسرة الحادية عشرة ، فى نقوش لوحته التى عثر عليها فى دندرة ، قائلا عن سيده أنها كانت :

(١) د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر والعراق ،

" ماهرة فى الكتابة وبارعة فى مؤلفات العلوم التى تحتويها المكتبة الكبيرة فى الجنوب " . ويبين هذا النص أن الثقافة العامة لم تكن قاصرة على الرجال فقط . ويتحدث عن مجموعة الكتب الخاصة التى كانت تمتلكها هذه الملكة : " لقد ضعفت المجموعة بإحضار كمية كبيرة من الكتب ذات القيمة (العلمية) لدرجة أنه لا ينقصها أى شئ فى حدود معرفتى بالأمور " .

ويقول أيضا :

" لقد قمت بترتيبها ، وأصلحت ما وجدته تالفا منها ، وجمعت المخطوطات التى وجدتها ممزقة ، وأعدت تنظيم ما وجدته قد أهمل " .^(١)

ويحدثنا نص آخر من عهد الملك خع نفر رع - سبك حتب من الأسرة الثالثة عشرة أن هذا الملك درس المخطوطات القديمة فى المكتبات . وهناك نص سجل باسمه ، تحدث فيه عن رغبته فى أن يزور مكتبة معبد المعبود آتوم فى إيونو ليطلع فى وثائقها القديمة على الصورة الأصلية لمعبود الغرب أوزير وهيئة جسده وأطرافه^(٢) ، فقال له حاشيته :

" فلتدخل جلالتم المكتبات ولتفضلوا بالإطلاع على النصوص الدينية " .^(٣) ونعلم من نص ثالث أن الملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة تي كانا يمتلكان مكتبة خاصة بالقصر الملكى^(٤) . وكانت تحتوى على كتب أدبية وقصص .

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛ وأيضا : Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 66.

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ١٧٩ حاشية (٣) .

(٣) بيير مونتنيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

وكشف فى معبد الأقصر عن قاعة كانت خزانة للكتب . ومن نصوص واجهتها نعرف أن رمسيس الثانى كان يحضر إلى مكتبة دور الحياة وعرف من مخطوطاتها خفايا السماء وأسرار الأرض .^(١)

ويحدثنا نص رابع عن الملك رمسيس الرابع بأنه كان يتردد بانتظام على مكتبة دور الحياة فى ابيدوس لكى يطلع فى وثائقها^(٢) . وظهر من طبقة أواسط الناس من يحب الثقافة ويعشقها ، ويتمثل ذلك فى مجموعة من النصوص من عصر الرعامسة . وقد شاركت الفتيات الشباب فى الحصول على قسط من الثقافة ، وكن يتذوقن الأدب ويتراسلن به ، منهن فتاة تولت كتابة رسائل الملكة فى عهدها .

واحتفظ لنا عصر الرعامسة بأربع رسائل لإناث من أواسط الناس ، كن يتراسلن مع بعضهن البعض ، وافضن فى الدعاء والأمانى وأساليب الوصف الجميلة . ولعل أهم هذه الرسائل تلك التى تخص ستى - كا وكانت تعمل كموسيقية فى معبد المعبودة حتحور . وقد وجهت رسالتها إلى صديقة لها تدعى سخت نفرت موسيقية فى معبد آمون فى المدينة الجنوبية : طيبة . فقد نزلت ستى - كا منف زائرة ذات مرة ، ومن هناك كتبت إلى صديقاتها سخت نفرت فى طيبة ، تصف لها بأسلوب طريف جمال مدينة منف ، وإنها عادة بيضاء ، فأسوار المدينة مرتفعة بيضاء ومبانيها مطلاة باللون الأبيض . وكتبت لها عن فتيات منف الجميلات ، وما يؤثرونه من أنواع الزهور وأكاليل النبات ، وصورت لها رخاء المدينة ، ورقى الحياة فيها ، ومواكب الجند الذين يشقون طرقات المدينة بين تهليل الجماهير ودقات الطبول .^(٣)

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ حاشية (٢) .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٨ ؛ د. بيومى

مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

ولدينا رسالة أخرى من العصر نفسه ، كتبتها إحدى سيدات الحريم الملكي في الفيوم إلى الملك سیتی الثاني تخبره فيها بنجاحها في تنقيف وتدريب جماعة من الفتيان الأجانب عهد بهم إليها ، وأغلب الظن أنه لو لم تكن هذه السيدة على درجة من العلم والمعرفة بالفعل لما عهد إليها بتنقيف أولئك الفتية الأجانب باسم البلاط الملكي^(١) . وهناك أيضا امرأة شاركت زوجها فيما يقرأه ويكتبه^(٢) ، وهناك مجموعة من النصوص التي كتبها بعض المثقفين ، ونقص علينا تواريخ حياتهم أو بمعنى آخر تراجعهم الشخصية ما قاموا به من جليل الأعمال . وعثر على هذه النصوص مسجلة على جدران مقابرهم أو كتبت على لوحاتهم أو تماثيلهم ، أو على برديات تركوها لنا . وهي تنسب إلى أصحابها معارف متعددة وثقافة عامة . فهي قد تجعل صاحبها على سبيل المثال قائدا عسكريا ، وذا خبرة في بيت المال وشئون الخزانة ، ومشرفا على مشاريع معمارية كبيرة ، وكاهنا في معبد أو في أكثر من معبد . وتنسب إليه المهارة في الكتابة وبلاغة الحديث ، والدراية في الحساب والإدارة ، والمعرفة بالطقوس الدينية^(٣) . وقد يكون في مثل هذه النصوص بعض المبالغة ، ولكنها في مجملها كانت تعبر عن واقع صاحبها ومعرفته وثقافته ، ولدينا أمثلة عديدة من هذه الشخصيات منذ عصر الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة وبعدها ، وتحدثنا عن بعضهم في فصل الأدب ، عند الحديث عن أدب التراجم الشخصية .

وتطلبت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من ثقافة القلم والفكر ، وترجع أصول الجمع بين الثقافة العسكرية والثقافة العامة إلى الدولة القديمة ، التي جمع بعض قادتها بين لقب القائد ولقب الكاتب في آن واحد . واستمر هذا التقليد

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨٤ .

خلال عصر الدولة الوسطى ، ثم زاد في عصر الدولة الحديثة . وصور جوانب الثقافة العامة لبعض قواد الجيش في عصر الدولة الحديثة حوار دار بين شابين من شباب الجيش في عصر الرعامسة ، وهما حورى وامنمؤبت ^(١) . وقد تلقب الأول بلقب " الضابط مربى خيول الملك " ، ولقب " معلم المساعدين في ديوان الكتابة " . وحرص على الافتخار باللقبين وبثقافته العسكرية والكتابية ، وتلقب زميله امنمؤبت بلقب " كاتب الأوامر الملكية للجيش المظفر " ولقب " ماهر " وهو لقب من اصل آسيوى تلقب به الضباط المصريون الذين كانوا يقومون بمهام رسمية في أراضى سورية وفلسطين ^(٢) . وراسل كل من الشابين زميله وحاوره . وبدأ حوارهما رقيقا ليئا ، ولكنه انقلب بعد ذلك إلى هجاء شديد وتهكم لاذع . وتعمد كل منهما أن يبين لزميله فى رسائله ما يعرفه وسعة ثقافته . وأراد حورى أن يتهم من زميله ، فافترض فيه ثقافة عسكرية كاملة ، وبدأ يحاوره على هذا الاعتبار . وأخذ يسأله عن الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب والحجوم مثال ذلك مقدار المؤنة اللازمة لفرقة من المحاربين ، وما عدد الأحجار اللازمة لبناء سور معروفة أبعاده ، وعدد الرجال المطلوبين لنقل مسلة ، وكيفية إقامة تمثال ضخمة ، وكيفية تنظيم حملة حربية ؟

وسأله أيضا أسئلة تتعلق بجغرافية البلاد وأسماء بعض المدن الداخلية ، وسأله عن شهرتها ومنتجاتها . ثم كان من أمتع ما سأله عنه هو مدى معرفة الضابط المثقف بظروف البلاد الأجنبية مثل سوريا ، إلى كان يتعين على الضابط أن يجوس خلالها ويعمل فيها أحيانا ، فسأله أين تقع بعض المدن الهامة فى سوريا وما هى خصائصها العامة وتضاريس أنهارها وأطوالها . ^(٣)

(١) أنظر بردية انستاسى رقم ١ بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٢٤٧ ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 117.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٥ .

(٣) وأيضا : James, op. cit., p. 117 .

ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٥ ؛ ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ - ٣٥٥ .

كما ظهر من طبقة عامة الناس من يحب الثقافة ويعشقها ، ويتمثل ذلك فى قصة القروى الفصيح الذى عاش فى الأسرة العاشرة ، وكتب تسع شكاوى أو فقرات يعبر فيها عما وقع عليه من ظلم واضطهاد ، وهو ينادى فى هذه الفقرات بالعدالة والحق . وهى تحتوى على كلمات قوية وتعبيرات جميلة وصور وتشبيهات نادرة وأسلوب شائق . مما يدل على أن كتابها كان على درجة كبيرة من فهم لقواعد اللغة ونحوها . لدرجة أن كبير أمناء القصر الملكى الذى رفعت إليه هذه الشكاوى أعجب بفصاحة القروى وقرر أن يعرضها بنفسه على الملك لكى يبين له أن من بين رعيته قرويا فصيحاً جيد التعبير . وانتهاز الملك الفرصة وطلب من معاونيه أن يتركوه يتكلم حتى ينتهى من شكاياته على أن تسجل كل أحاديثه .

وخرج من طبقة عشاق الثقافة طبقة أخرى من كبار المثقفين ، منهم من تدرج فى الوظائف الحكومية وأصبح من كبار رجال الدولة ومنهم من أصبح وزيراً أو موظفاً إدارياً كبيراً ، أو مهندساً معمارياً معروفاً ، أو رئيساً للكهنة أو كاتباً مشهوراً . وأصبحوا جميعاً من أصحاب التعاليم والحكم والأمثال وأصبحوا هم وبعض الملوك من أعلام الثقافة فى مصر القديمة .

وقد ترك لنا هؤلاء الأعلام مجموعة من النصائح والوصايا هى من أدب التعاليم وهى تعكس صوراً صادقة عن حياة من كتبوها أو سجلت على لسانهم ، وتعبر عن تجاربهم الطويلة فى الحياة ، ورأوا أنه من الحكمة أن تدون هذه النصائح والوصايا لما فيها من فائدة لأبنائهم أولاً وما يفيد النشئ من أبناء وطنهم بعد ذلك . لكى يتعرف عليها النشئ يلتمسون فيها منفعة تفيدهم فى علاقاتهم بأفراد أسرهم وفى حياتهم العملية ومستقبلهم مع رؤسائهم ومرعوسيهـم والمحيطين بهم ، وما يكفل لهم العيش دائماً فى رضى المعبودات ، كما أن هذه التعاليم تحثهم على المحافظة على تقاليد المجتمع واحترام قوانين الدولة .

وركز المعلمون أو المربون فى اختيارهم لفقرات من هذه التعاليم على العبارات التى حث فيها الآباء الأبناء على اتباع السلوك القويم واتباع الآداب العامة . وترك بعض الملوك المثقفين مجموعة من هذه التعاليم كانت موجهة لأولادهم ، كتبت

بأبلغ العبارات ويجمع فيها الملوك تجاربهم فى شئون الحكم والسياسة ونجد فيها الكثير من آداب السلوك ، ومنها :

ما كتبه خيتى الثالث (أو الرابع) لولده مريكارع من تعاليم :

وصف فيها خلاصة تجاربه فى السياسة الداخلية بأسلوب بسيط واضح مما يدل على أن الملك نفسه كان صاحب كلمات هذه التعاليم وها هو يقول بالنسبة لتأثير المتعلم أو المتقف على الناس : " استخدم اللبابة فى كلماتك ، إذا كنت تريد أن تصل إلى أغراضك لأنه بالنسبة للملك ، اللسان مثل السيف ، والكلمة أكثر قوة من كل الأسلحة ، ولا أحد يستطيع أن يخدع خطيب ماهر " . (١)

" ومن هو متكبر يسعى لنهايته ، ولا تكن قاسيا ، وتحكم فى نفسك فهذا شئ حسن ، وشيد لنفسك أثرا خالدا بحب رعاياك " .

ما كتبه امنمحات الأول لأبنة سنوسرت الأول من تعاليم :

وصف فيها المؤامرة التى تعرض لها ، ودعاه إلى الحذر وألا يثق فى أعوانه كثيرا فمن أكل طعامه هو الذى ثار ضده ومن مد له يده هو إلى دبر المؤامرة ضده . وحكى له كل ذلك بأسلوب مؤثر جميل ينم عن ثقافة عامة واسعة (٢) . ومن أعلام الثقافة نذكر بعضهم حسب الترتيب التاريخي :

- ماكتبه ايمحوتب ، مهندس الملك جسر (٢٧٨٠ ق.م) الذى تتسبب إليه المصادر الأدبية أنه كان صاحب تعاليم وألف العديد من الكتب ، ولكن كل هذه المؤلفات لم يعثر عليها ، ولا نعرف أين هى . لذلك ينثر الكتب بعض النقاط من الماء قبل البدء فى كتاباتهم وذلك وفاء لذكراه . وكان أيضا موضوع تكريم التلاميذ .

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

وتأتى بعد ذلك مجموعة أخرى ذكرنا أغلبها فى الفصل الخاص بالأدب :

- ما كتبه والد كايجمنى كا ارس والذى ترجع تعاليمه إلى عام ٢٧٢٣ ق.م .
- ما كتبه الوزير بتاح حنّ و ترجع تعاليمه إلى عام ٢٥٦٣ ق.م .
- ما كتبه خيتى بن دواواف ، وكان متقفا من عامة الناس وترجع تعاليمه إلى عام ٢٠٠٠ ق.م تقريبا .
- ما كتبه خع خبر رع سنّب الذى كان كاهنا وأديبا من ايونو عام ١٨٧٨ ق.م تقريبا .
- ما كتبه أمنحتب بن حابو مهندس الملك أمنحتب الثالث عام ١٤٠٨ ق.م ، وكان معروفا طوال حياته بالحكمة وللأسف لم يصلنا أى شئ من حكمه وتعاليمه .
- ما كتبه أنى الذى كان كاتبا فى عهد رمسيس الثانى ١٢٩٨ ق.م .
- ما كتبه امنمؤبت الذى كان رئيسا لشون الحبوب فى أبيدوس فى القرن العاشر أو التاسع ق.م (؟) .
- أخيرا ما كتبه عنخ شاشنقى الذى كان كاهنا فى ايونو فى القرن الأول ق.م .

وكما كان هؤلاء الأعلام محل تقدير كبير فى حياتهم من عامة المتقنين ومن عامة الشعب ، كانت ذكراهم محل تكريم أيضا بعد وفاتهم ، وأصبحت أعمالهم وكل ما كتبوه تراثا أدبيا تهذيبيا وتعليميا خالدا تتناقله وتسجله وتعيد نسخه أجيال المتقنين كبارهم وصغارهم فى دور العلم والمراكز الثقافية المختلفة لمدة مئات السنين .

وما هو بتاح حنّ يقول عنهم :

" أن ذكراهم لتجرى على ألسنة الناس ، لأن أقوالهم سديدة ، كل كلمة منها تراث ، لا تذهب واحدة منها سدى على هذه الأرض " (١) . وقد جاء فى إحدى

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ حاشية (٣) .

البرديات ، ما يدل على مدى تقدير المصريين للكتابة وأصحاب التعاليم والحكم حين تذكر عن أعمالهم :

" انهم لم يقيموا لأنفسهم أهراما من النحاس أو لوحات من المعدن ، ولم يتركوا أولادا كورثة لى ينطقوا أسماءهم ، بل جعلوا ورثتهم تلك الكتابات وكتب التعاليم التى تركوها أكواما ... إن كتب الحكمة هى أهرامهم والعلم هو ابنهم ... وإذا كانوا (هم) قد ذهبوا فإن أسماءهم ما زالت تذكر فى كتبهم وسوف تبقى ذكراهم (خالدة) إلى الأبد " (١).

وكان منهم من يصف الحكماء ، فيقول :

" أولئك الكتاب العلماء ... ، الذين خلدت أسماؤهم ، والذين اعتبروا الكتاب كاهنهم المرتل ، ولوح الكتابة ابنهم المحبوب ، وجعلوا كتب التعاليم هرمهم ، وقلم الغاب ولدهم ، وسطح الحجر (للكتابة) زوجتهم " (٢).

ويقال أيضا :

" والذين قامت كتبهم مقام المقاصير والأهرام فى ترديد أسمائهم " .

" وبهذا أصبح الكبير والصغير (من الناس) ابتاعا لهم " (٣).

وكان الكتابة الصغار ينثرون بعض النقاط من الماء قبل البدء فى كتاباتهم وذلك وفاء وترحما على ذكرى هؤلاء الكتاب الكبار (٤) . كما كانت تشيد لبعضهم

(١) جاء هذا النص على بردية شستر بيتى رقم ٤ ، بالمتحف البريطانى تحت رقم

James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 96. ، راجع : ١٠٦٨٤ ،

وأیضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -

الجزء الأول ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٨١ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٤) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٤٥ .

المقاصير وفاءا لذكراهم أو تقام لهم التماثيل يمثلونهم جالسين في وضع الكاتب أو
تنقش صورهم على جدران المعابد الكبرى نظرا لمكانتهم الرفيعة . وكان من بين
الذين نعموا بهذه التكريمات بعد وفاتهم ايمحوتب ^(١) وامنحتب بن حابو ^(٢) .

(١) مثل المقاصير التي شيدت لايمحوتب في الدير البحري وفيله .

(٢) وهناك نص كتب بالهيراظيقية من عصر الأسرة الحادية والعشرين على لوحة
بالمتحف البريطاني ، يحدثنا عن تخصيص مقصورة لشخص أمنحتب بن حابو ،

راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 90 Fig. 31.

الباب الثاني عشر

مظاهر الحضارة المصرية القديمة

وانعكاساتها وتأثيرها في مجال العلاقات الخارجية

مقدمة :

كان للمظاهر الحضارية المتعددة التي حققها الإنسان المصري القديم ، بغض النظر عن الأهمية التي احتلها كل مظهر داخل هذا الإطار الحضارى ، سواء أكان ذلك يخص نظم الحكم والإدارة ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، والعقائد الدينية ، والحياة الثقافية ، والحياة العلمية ، والحياة الفنية ، وأساليب التربية ونظم التعليم ، أثرها في مجالات العلاقات الخارجية وسياسة مصر الخارجية بالدول المحيطة بها أو البعيدة عنها في بلاد الشرق الأدنى القديم : مثل بلاد فارس ، بلاد النهرين (سانجار = بابل) ، ميتانى (نهارينا) ، الأناضول (خيتا) ، بلاد الشام (رتنو العليا والسفلى) ، فلسطين (خارو) ، شبه الجزيرة العربية ، واليمن ، والشعوب والقبائل التي كانت تعيش في الغرب في الصحراء الغربية والواحات وفي شمال أفريقيا . والشعوب القبائل والممالك التي كانت تعيش في الجنوب : النوبة السفلى أى واوات من جنوب أسوان حتى الجندل الثانى والنوبة العليا أى كوش ذلك الاسم الذى كان يطلق على المنطقة جنوب الجندل الثانى حتى الجندل السادس ، وكذلك المناطق الأخرى من أفريقيا ، وأخيرا علاقاتها ببعض الشعوب والإمبراطوريات والممالك في الشمال : مثل الشعوب التي أطلقت عليهم النصوص المصرية أسماء : الحاونبوت ، بلاد كفتيو ، الجزر التي تقع في وسط الأخضر العظيم ومنوس واسى (قبرص) وبلاد اليونان بوجه عام واسبرطه وليديا في الشمال الشرقى .

وكما أثرت بعض هذه المظاهر الحضارية في شعوب هذه البلاد والمناطق فقد تأثرت الحضارة المصرية بدورها بحضارات هذه الشعوب . ولكن مجال تأثيرها كان أقل فهي لم تأخذ من معالم هذه الحضارات إلا القليل ويجب القول بأن الحضارة المصرية لم تؤثر بكل مظاهرها الثمانية التي ذكرناها في كل شعوب هذه المناطق ، ولكن قد يظهر هذا التأثير الحضارى واضحا في مظهر واحد في بلد معين أو في مظهرين في بلد آخر أو في أكثر من مظهر حضارى في بلد ثالث .

وفي الواقع أن هذا التأثير أو التأثير الحضارى كان يخضع لعاملين أساسيين

هما :

١- طبيعة السياسة الخارجية التي اتبعتها بعض ملوك مصر القديمة تجاه الدول والشعوب المجاورة لحدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية والشعوب في المناطق والبلاد المطلة على شواطئ البحر المتوسط في الشمال . فأحيانا هي علاقات قائمة على حسن الجوار وما يترتب على ذلك من تأثير وتأثر حضارى متبادل ، أو علاقات يشوبها التوتر والصراع وما ينتج عن ذلك من فتح وغزو واحتلال قد يكون له تأثيره السلبي أو الايجابي على بعض المظاهر الحضارية .

٢- الفترة الزمنية التي حدث فيها هذا الاتصال أو التأثير الحضارى ، فمصر لم تتصل بكل هذه الدول والشعوب منذ بداية تاريخها ، ولكن يمكن القول بأن الدول والشعوب المجاورة لحدودها الشرقية والغربية والجنوبية مباشرة كان لها اتصال بمصر بصفة دائمة منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت هذه الاتصالات بأشكالها المختلفة حتى نهاية تاريخ الأسرات الوطنية القديمة . أما الدول والشعوب الأخرى البعيدة إلى حد ما عن حدودها الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية فلم تتصل مصر بهم أو يتصلوا بها إلا في فترات معينة أو على فترات متقطعة طوال تاريخها القديم .

لقد عاشت مصر فترات استقرار وازدهار في تاريخها السياسى القديم ، كما عاشت فترات ضعف واضطرابات في الداخل في بعض عصورها ، وعانت كذلك من فترات الاحتلال الأجنبى . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فإن تأثيرها

الحضارى ظل قويا ومؤثرا على كل من اتصل بها من قريب أو بعيد ، سواء أكان هذا الاتصال مباشرا أو غير مباشر .

فكانت مصر من أهم المراكز الحضارية فيما يسمى بالعالم القديم ، فقد انبعثت حضارتها من مقومات بيئتها ونمت على ثراها وتطورت على مر العصور بفضل مجهودات أبنائها ، لذلك تعتبر الحضارة المصرية القديمة أكثر الحضارات اكتمالا فى كثير من المجالات الحضارية وفى أكثر من مظهر .

ونظرا لموقع مصر المتوسط بين قارتى آسيا وأفريقيا ، فأصبحت منطقة جذب أو مطمع لشعوب الشرق والغرب والجنوب والشمال خلال عصورها التاريخية الطويلة القديمة ، وجاءتها هذه الشعوب تحت صور مختلفة :

- فجاءها المسالم الباحث عن مورد رزق وموطن استقرار فى ربوعها ودخلها بالطرق الشرعية وفضل الإقامة فيها ولم يغادرها وعاش تحت سمائها وعلى ثراها ونعم بخيراتها مع أبنائها فى خير وسلام .
- وجاءها السفير والمبعوث الرسمى والصدىق باحثا عن إقامة علاقات ود وصداقة مع ملوكها ، كما جاءتها الوفود الرسمية حاملين هداياهم ومنتجات بلادهم وزارت عواصمها الكبرى ومدنها المقدسة .
- وجاءها الزائر والرحالة والمؤرخ باحثا عما يشبع فضوله فى ربوعها .
- وجاءها المتعطش للعلم والمعرفة فى مدارسها ومعابدها .

فكان للحضارة المصرية القديمة تأثيرها الثقافى المباشر على شعوب البلاد المحيطة بها ، فكانت مثل الشعلة الوضاعة التى تضى من نور العلم والمعرفة على كل من يجاورها أو يتصل بها من قريب أو بعيد . ونحن لا ننتقص من قدرة وذكاء شعوب الحضارات الأخرى المجاورة ، ولا ننكر فضلهم أيضا وما أضافوه فى مجال المعارف المختلفة فى الحضارة المصرية .^(١)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٢٠ .

وإذا كانت مصر قد أخذت القلة القليلة من الحضارات الأخرى ، فإنها في مقابل ذلك أعطت الكثير لأن تأثيرها الحضارى ظل قويا ومؤثرا على البلاد المجاورة .

حتى فى عصور الاحتلال الأجنبى لمصر فى أواخر عصورها التاريخية ، ونقصد بذلك أسرات الملوك البطالمة والرومان ، نجد أن الإسكندرية كانت من أهم مدن البحر المتوسط ، وأهم مراكز العلم ، وكانت مكتبتها وعلماؤها مقصد كل متعطش للعلم من جميع البلاد فى العالم القديم فى ذلك العصر .^(١)

وهذا جزء من رسالة مصر الحضارية على من يعيشون من حولها أو جاءوا إليها فقد بقى العامل الثقافى هو العامل المؤثر والفعال والدائم فى الشعوب التى تحيط بها والتى اتصلت بها وجاءت إليها .

- وجاءها التاجر الذى كان يسعى للكسب المشروع وفتح أسواق جديدة .
- وجاءها المرتزقة للعمل بجيشها .
- وجاءها المريض باحثا عن العلاج والشفاء .
- وجاءها الأسير الذى ساقته الأقدار إليها .
- وأخيرا جاءها بعض الأنبياء والرسل من بلاد الشرق الأدنى القديم يبلغون رسالات ربهم ومما لا شك فيه ان ما نادوا به كان له تأثير عميق فى معتقدات بعض المصريين القدماء .
- وجاءها الطامع فى خيراتها الذى لم يتوقف عن إثارة الاضطرابات على حدودها وما وراءها حدودها ، ولما نجح فى غزوها كان يأمل الاستقرار فيها إلى الأبد ولكن هذا لم يتحقق ، فكانت مصر بموقعها وبخيراتها وبحضارتها أكثر الدول من منطقتها عرضة للغزو وطمع الطامعين . وذلك نظرا لأهميتها وحضارتها

(١) المرجع السابق ، ص ٦١٨ .

وما تمثله من نقل ثقافى ، وهذه هى الضريبة التى كان على مصر أن تدفعها للحاقدين والطامعين فيها وفى خيراتها . وحتى هذا الحاقد أو الطامع عندما دخلها تأثر بحضارتها ولم يؤثر فيها ، وحتى عندما ظهرت القوى الكبرى والإمبراطوريات فى آسيا وغزت مصر فى فترات ضعفها السياسى وجدت نفسها أمام حضارة عريقة ومتقدمة ، فتأثرت بها كثيرا .

- كما خرج المصريون القدماء أنفسهم على مختلف طوائفهم ووظائفهم خارج حدودهم لكى ينشروا ديانتهم ومعتقداتهم وألوان العلوم والمعارف التى اكتسبوها ولكى يقيموا علاقات دبلوماسية وتجارية مع البلاد المجاورة أو لكى يساهموا بخبراتهم فى البناء الحضارى فى مختلف هذه الدول .

وأى كانت صور هذه العلاقات أو الاتصالات (من قريب أو بعيد) فىمكن القول بأن الحضارة المصرية القديمة بمظاهرها الثمانية قد أثرت ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فى حضارات الشعوب فى الشرق والغرب والجنوب والشمال .

وإذا نظرنا إلى كل مظهر حضارى على حده لمعرفة إلى أى مدى أثرت الحضارة المصرية فى الشعوب المجاورة والبعيدة وتأثرت بهم فى مظاهرها الحضارية الثمانية، نقول :

أولا - بالنسبة لأساليب الحكم والنظم الإدارية وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى فى الشرق والغرب والجنوب والشمال :

نقول أن ما يهمنا فى هذه النظم هو السياسة الخارجية التى اتبعها ملوك مصر القديمة وطبيعة علاقات مصر بالدول المحيطة بها فى الشرق والغرب والجنوب والشمال منذ أقدم العصور .

ففى بلاد الشرق القديم اتخذت هذه العلاقات الخارجية صورا ثلاثة بين مصر وسوريا وفلسطين ، فهى علاقات ود وصداقة ، أو علاقة ترابط ومصاهرة ، أو علاقة يسودها طابع التوتر والعنف والحملات العسكرية .

(أ) وأول دليل يقابلنا ويمكن الاستناد عليه في الحديث عن وجود علاقات ود وصداقة بين مصر وجبيل ، هو عبارة عن قطعة من الحجر عثر عليها في جبيل وعليها اسم الملك خع سخموى آخر ملوك الأسرة الثانية . ويذكر د. الناضورى أن هذا الأثر يدل على اتساع دائرة الصلات الخارجية وازدياد نشاطها نسبيا نظرا لازدياد أعباء الحياة ومتطلباتها ^(١) . وعثر أيضا على آثار تحمل اسم خوفو والملكة مريت أيت اس وخفرع ومنكاورع ^(٢) . وعثر على بعض آثار لملوك الأسرة السادسة في جبيل ، فقد عثر على اسم الملك بيبى الأول منقوشا على جزء من إناء لهذا الملك . ^(٣)

كما عثر على شقف بعض الأواني والتي تحمل اسم الملك بيبى الثانى ، ويبدو أن هذه الآثار تمثل جزءا من الهدايا التى بعث بها بعض ملوك الأسرة السادسة إلى أمراء جبيل ، ربما كان يحملها رؤساء البعثات البحرية التى كان يرسلها هؤلاء الملوك إلى فينيقيا ^(٤) . وعلى الرغم من استمرار إرسال بعثات التعيين إلى سيناء خلال الدولة الوسطى ، والتى كانت تصحبها أحيانا وحدات عسكرية ، إلا أنه يلاحظ عدم وجود مناظر يظهر فيها الملك وهو يقوم بتأديب أحد رؤساء البدو . بل على العكس كان الآسيويون من سيناء أو البلاد المجاورة غالبا ما كانوا يرافقون البعثات المصرية ، وكان بعض رؤساء البدو واتباعهم ينضمون للعمل ضمن أفراد البعثات المصرية . ^(٥)

فعلى مسلة صغيرة من الحجر الرملى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٠٢ (٦٩٣) . وقد نقشت من جوانب ثلاثة فقط ، ونقش عليها

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

(٢) Montet, Byblos, p. 68 (45), 74.

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

ثلاثة أسماء أجنبية من رتتو . ويرى شرنى أن هؤلاء الثلاثة قد اشتركوا فى رفع المسلة وأن أسماءهم ليست مصرية . (١)

وهناك نقش آخر عن أربع بعثات ذهبت إلى سيناء فى عهد الملك امنمحات الثالث ، وقد ورد فى السطر الثلاثين من هذا النقش أن ثلاثين آسيويا اشتركوا مع هذه البعثات للتعدين ، ويظهر فى أعلى هذا النقش " خبدد " شقيق أمير رتتو راكبا حمارا ، وأمامه رجل يقود الحمار ومن الخلف شخص آخر هو نجل " خبدد " . (٢)

ومن عصر الملك امنمحات الثالث أيضا نقش فى سرايية الخادم يدل على أن عشرة آسيويين من رتتو كانوا ضمن أفراد بعثة بلغ عددها ٢٠٩ رجلا (٣) . وفى سرايية الخادم كذلك بقايا منظر يرجع إلى عهد الملك نفسه يمثل رجلا يمتطى حمارا يقتاده رجل من الأمام ويسوقه غلام من الخلف . وفوق المنظر عبارة " ستة من رتتو " .

ولدينا من سرايية الخادم منظرا آخر لآسيوى يمتطى حمارا ويقتاده رجل يحمل رمحا على كتفه الأيسر كذلك ، والراكب فى يده اليسرى بلطة وفى يده اليمنى عصا قصيرة يحت بها الحمار على السير (٤) . وتمثيل هذين الشخصين هكذا يدل على أنهما كانا يعاونان أعضاء بعثات التعدين المصرية . وإن أعداد منهم خدمت ضمن أفراد البعثات . مما يجعلنا نفترض وجود نوع من التقارب بين المصريين وبعض العناصر الآسيوية . ولدينا من عهد الملك امنمحات الرابع نقش بسرايية الخادم نعرف منه أن ذلك الملك قام بإرسال بعثة إلى شبه جزيرة سيناء ، وذلك فى العام السادس من حكمه ضمت ٢٠٠ عاملا

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

لقطع الأحجار و ٢٠ خادما و ٣٠ فلاحا و ٢٠ رجلا من رتتو . ويبدو أن الآسيويين الذين اشتركوا في هذه الحملة قد اشتركوا فيها كخبراء لمعرفة الجيدة بالمنطقة وكوسطاء للاتصال بالسكان المحليين من البدو .^(١)

ومن قصة سنوهى نعلم أنه أوشك على الموت ظمأ في صحراء سيناء ولكن أحد البدو تعرف عليه فمنحه ماء أو لبنا مطبوخا وصحبه إلى قبيلته وعامله بالحسنى حتى وصل إلى جبيل وتعرف على أحد رؤساء القبائل البدو وحكى لرئيس القبيلة قصته ، فرحب به الرجل وزوجه من كبرى بناته ووهبه أرضا وقطعانا من الماشية . وبعد سنين طويلة أخذ الحنين إلى وطنه يهز شهوره ، وتاق إلى أن يدفن بأرض مصر فاستجاب الملك سنوسرت الأول لطلبه^(٢) . مما يدل على روح المودة إلى كانت تسود بين المصريين وبعض الحكام في سوريا وفلسطين .

ومن ناحية أخرى نشأت علاقات ودية بين ملوك الدولة الوسطى وأمراء شرق البحر المتوسط ، فكان الملوك وبعض أفراد أسرهم ، وبعض رجال البلاط يرسلون الهدايا إلى أمراء سورية . وكانت هذه الهدايا كافية لكسب شئ من الصداقة في تلك الدويلات الصغيرة في آسيا ، فقد عثر على آثار مصرية في فلسطين وسوريا ، والتي جاءت إليها كهدايا ملكية^(٣) . فقد عثر في بيسان على جعل من الاماتيست يحمل اسم الملك سنوسرت الأول وفي منطقة تل الدوير عثر على جعل من الحجر عليه اسم الملك نفسه ، كما عثر على جعل ثالث في تل العجول وعليه خرطوس للملك سنوسرت الأول^(٤) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩ - ١١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

ومن ناحية أخرى عثر في قطنة شمالي حمص على تمثال صغير للأميرة عنتا ابنة الملك امنمحات الثانى وهو أقدم تمثال معروف من نوعه يمثل سيدة مصرية فى هيئة أبو الهول ^(١) . كما عثر فى منطقة الطود من عصر هذا الملك على بعض الآثار فى ودائع الأساس وهى عبارة عن أربعة صناديق مصنوعة من البرونز وبداخلها أواني ذهبية وفضية ذات طراز سورى وإيجى ^(٢) . وفى اوجاريت (رأس الشمرا) عثر على تمثال نصفى لزوجـة سنوسرت الثانى ، وكانت تدعى خنمت - نفر حجت ^(٣) .

وعثر فى رأس الشمرا أيضا على تمثال للوزير سنوسرت - عنخ يمثلـه هو وزوجته وأمه وابنته (سات آمون) ، والذي كان فيما يبدو موفدا من قبل الحكومة المصرية ، فى مأمورية فى جبيل وذهب إلى هناك ممثلا للحكومة المصرية كما يتضح من النص الذى تركه على تمثاله " المبعوث الذى يرضى الملك فى سورية وفى مصر " وعاش هناك فترة هو وأسرته ولهذا ترك هذا التمثال ضمن آثار المعبد هناك أو أنه أعطاه كهدية ليوضع بين تماثيل المعبودات الفينيقية المحلية ^(٤) .

ومن عهد سنوسرت الثانى نجد حاكم إقليم الوعل خنوم حنـب الثانى صاحب المقبرة رقم ٣ فى بنى حسن ، يسجل على جدرانها من الناحية الشمالية وصول جماعة من الآسيويين فى السنة السادسة من حكم هذا الملك . ويبلغ عددهم سبعة وثلاثين شخصا ، وعلى رأسهم زعيمهم إيشاى ، والمنظر يوحى لنا بما يشبه هجرة جماعية لهذه القبيلة إذ نجدهم قد أحضروا معهم

(١) المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١١٤ لوحة ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ ، ١١٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١١٨ لوحة ٢٢ ، ص ١٢٢ .

نساءهم وأطفالهم ^(١) . ولم يكن تمثيل هذه الجماعة فى تلك المقبرة لإظهار أن الهدف من مجيئها كان بسبب التجارة أو أنهم كانوا مارين بإقليم الوعل بحثا عن مناطق أخرى للاستقرار فى سبيل العيش ، بل نعتقد أن سبب مجيئها كان للاستقرار بالفعل فى إقليم الوعل ، وذلك للأسباب الآتية :

- (١) أنهم جاءوا ومعهم نسائهم وأطفالهم مما يشير لإقامة دائمة .
- (٢) أنهم يرتدون جميعا الملابس الفاخرة ذات الألوان المتعددة .
- (٣) كان الرجال يطلقون لحاهم ومسلحين بالأقواس والسهام ربما لحماية أنفسهم أثناء عبورهم من جنوب فلسطين من التعرض لأى هجوم من بنى جنسهم أو قبائل أخرى على الحدود الشرقية لمصر .
- (٤) نرى فى بداية المنظر رجلين يسوق الأول وعلا والآخر يمسك وعلا آخر من قرنيه ، مما يدل على أنهم أحضروا بضاعة محببة إلى أهل هذا الإقليم الذى اتخذ الوعل رمزا له ، وهو حيوان كان منتشرا فى هذه المنطقة .

- (٥) أن ما تحمله دوابهم كانت عبارة عن منتجات هدية لحاكم الإقليم .
- (٦) إن خنوم حتب الثانى نفسه كان فى استقبال هذه الجماعة ، وتمثيلهم فى مقبرته هو بالذات يدل على أنه كان مكلفا من قبل الملك باستقبالهم وربما كان فى هذا جزءا من تنفيذ سياسة الملك سنوسرت الثانى فى حسن معاملته رؤساء القبائل التى كانت تسكن الصحراء الشرقية وذلك لضمان صداقتهم ومساعدتهم .

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١٢٠ لوحة ٢٣ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٢٩ حاشية (١) .

(٧) أن تمثيلهم فى مقبرة خنوم حتب الثانى يدل على أنهم جاءوا لأداء مهمة معينة فى إقليم الوعل بناء على طلب خنوم حتب .

(٨) أخيرا أن تمثيلهم فى هذه المقبرة يدل على الترحيب بإقامتهم فى هذا الإقليم أو ضواحيه .

ومن شخصيات الدولة الوسطى ، نعرف شخصية تحوتى حتب الذى عاش أثناء حكم الملك سنوسرت الثالث وعثر له على تمثال نصفى فى مجدو . وقد تساءل بعض العلماء عن سبب وجود هذا التمثال فى مجدو وخاصة وأن تحوتى حتب كان كاهنا للمعبود تحوتى فى هرموبوليس فهل ذهب إلى هناك فى مأمورية رسمية مثل سنوسرت عنخ .^(١)

ومن المستبعد أن تكون إقامته هناك فى مجدو كانت بسبب علاقات تجارية وربما أن تحوتى حتب كان سفيراً لمصر هناك ، فوجود تمثال حتب فى مجدو وتمثال سنوسرت عنخ فى أوجاريت يعطينا انطباعاً بقيام الملوك بتعيين رجال على مستوى المسئولية فى الخارج فى عصر الأسرة الثانية عشرة .

ومن المحتمل أن العلاقات الطيبة بين مصر وجبيل قد نمت فى عهد الملك امنمحات الثالث إذ عثر له على صدريّة فى جبيل باسمه تمثله وهو يتغذى من البقرة حتحور . ويرى مونتييه أن هذه الصدريّة الذهبية ، أرسلها ملك مصر كهدية من هداياه إلى أمراء جبيل ومن شدة اهتمامهم بتمثل هذه الهدايا قاموا بإيداعها فى مقابرهم .^(٢) كما عثر فى المقبرة نفسها التى عثر فيها على تلك الصدريّة على جعل فوق خاتم لموظف يدعى ايمحوتب كان يعمل فى إعداد الجعة^(٣) . ويبدو أيضاً أن هذا الملك كان على علاقة طيبة

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ لوحة ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

بأمير ببلوس أبى شمو إذ أهداه الملك بآنية ذهبية جميلة عثر عليها فى مقبرته ، كما عثر على بعض الأدوات الصغيرة القيمة .^(١)

وفى عصر الملك امنمحات الرابع استمرت العلاقات الطيبة بين مصر وجبيل إذ عثر فى مقبرة أبى شموا أبى ابن الأمير أبى شمو على صندوق من الزجاج المصقول والذهب . ويبدو أن الصندوق كان يحتوى على البخور وبداخل الصندوق كان يوجد عليه مطعمة بنقش يحمل اسم أمنمحات الرابع .^(٢)

واستمرت هذه العلاقة الطيبة فى عصر الأسرة الثالثة عشرة ، إذ عثر على نقش يتضمن قيام أمير جبيل " يناتن بن ريان " بتقديم فروض الطاعة والولاء للملك نفر حتب الأول من ملوك الأسرة الثالثة عشرة^(٣) . ويذكر هيس أنه يوجد فى متحف بروكلين قطعة من ورق البردى دون على ظهرها قائمة طويلة بأسماء خدم آسيويين وعددهم خمسة وأربعون آسيويا من الرجال والنساء والأطفال الحقوا بخدمة أحد الموظفين الكبار فى عصر الملك سبك حتب الثالث .^(٤)

وفى عصر تحوتمس الثالث كان هناك نوع من العلاقات بين مصر والحيثيين ، ويبدو أنه كان هناك معاهدة بين تحوتمس الثالث وخوزياش الثانى الذى كان يحكم فى خيتا فيما بين عامى ١٤٧٠ - ١٤٦٠ ق.م . ومضمون هذه المعاهدة هو الموافقة على ترحيل عدد سكان مدينة كورو شتاما التى تقع فى القطاع الشمالى الشرقى من مملكة خيتا إلى داخل الحدود المصرية^(٥) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

ومن عصر أمنحتب الثاني نرى منظرا فى مقبرة نب آمون طبيب الملك يمثل أميرا آسيويا تصحبه زوجته ويتبعه خدمه الكثيرون ، جاء إلى مصر محملا بالهدايا لكي يعالج عند هذا الطبيب . واعتمد أمنحتب الثالث فى حكم مناطق نفوذه فى آسيا على صلته بملوك هذه البلاد فى الشرق . وكان يعتقد أن تبادل رسائل المودة بينه وبينهم وتبادل الهدايا والزواج من نبات الملوك أو الأمراء كان كافيا لكسب ولائهم . وعلى أية حال كان الأمن قد استتب فى أنحاء البلاد وفى مناطق النفوذ فى الشرق وتدفقت الجزية والهدايا إلى مصر بانتظام وأصبحت خزائن الملك المصرى مليئة بالذهب والفضة ، وجاءت الوفود والرسل إلى طيبة إلى أصبحت من العواصم الهامة فى العالم القديم ، كانوا يفدون إليها حاملين أفضل ما أنتجت بلادهم من ذهب وفضة ومعادن وأحجار كريمة ومصنوعات مختلفة .

وتعتبر فترة حكم أمنحتب الثالث من فترات تطو العلاقات الدولية بين دول الشرق الأدنى القديم . ففى أقصى الشرق كانت هناك دويلة بابل التى دعم أمنحتب الثالث علاقاته بملوكها عن طريق الهدايا الذهبية التى كان يرسلها لهم ^(١) . وإلى الشمال الشرقى كانت دولة ميتانى ولتوضيد علاقتها بمصر تزوج هذا الملك من ابنة الملك شوتارنا .

وإذا ألقينا نظرة على الرسائل التى كانت متبادلة بين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع (أخناتون) وملوك وأمراء غرب آسيا نستطيع أن نتعرف على طبيعة العلاقات الدولية فى هذا العصر ، ولا سيما وأنه عثر فى تل العمارنة على نسخ من هذه الرسائل كتبت بالخط المسمارى ، وهو خط اللغة الأكديّة التى كانت مستخدمة كلغة دبلوماسية ، ويبلغ مجموع هذه الرسائل ٣٣٧ رسالة وهى تبين حقيقة الأوضاع السياسية فى بلاد سوريا وفلسطين وبابل وآشور وميتانى وخيتا فى أواخر أيام أمنحتب الثالث وطيلة أيام

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

أمنحتب الرابع بل أن منها ما كان قد أرسل إلى سمنخ كارع خليفة أمنحتب الرابع . (١)

وتوضح لنا هذه الرسائل الكثير من أساليب المراسلات الدولية في ذلك العصر . وتنقسم هذه الرسائل إلى مجموعتين منفصلتين :

الأولى : خطابات متبادلة بين ملوك مصر وأصدقائهم من ملوك وأمراء غرب آسيا .

الثانية : خطابات متبادلة بين البلاط المصرى والأمراء التابعين لمصر في غرب آسيا . (١)

ففي المجموعة الأولى نجد خطابات تخص كاداشمان - انليل ملك بابل إلى اخناتون معبرا عن رغبته في الحصول على الذهب . وكان أمنحتب الثالث يرسل إليه ثلاثين وزنا كل عام كهدية . وفي الواقع أن السياسة نفسها قد اتبعها أمنحتب الثالث مع توشراتا ملك ميثانى . وكتب هذا الخير بعد وفاة أمنحتب الثالث إلى ملكة مصر تى يطلب منها أن تستخدم نفوذها لدى العاهل الجديد (أمنحتب الرابع) لكى تستمر علاقة الصداقة بين البلدين .

وفى المجموعة الثانية خطابات ربعدى حاكم جبيل ومعها خطابات أخرى من حكام ارتبطت مصالحهم بدرجات متفاوتة ، بمصالحه . وكان يناصب ربعدى العداء عبد اشرتا وابنه عزيزو وحاكم امورو . وكان ربعدى يتهم أمير امورو عبد اشرتا بأنه يسعى لتقويض النفوذ المصرى فى سوريا . وبدأت سلسلة المراسلات هذه فى عهد أمنحتب الثالث ، وكان ربعدى يحث الملك أمنحتب الثالث فيها على الدفاع عن الأخطار التى تتعرض لها جبيل ، وبينما كان الوضع فى جبيل مضطربا نجد أن أمير امورو عبد اشرتا يكتب خطابا إلى الملك أمنحتب الثالث يدافع فيه عن نفسه وما نسب إليه .

واستمرت هذه المراسلات بهذه الصيغة حية فى عصر أمانحتب الرابع وتعطينا هذه الخطابات انطبعا بان إخناتون لم يكن مهملًا للشئون وإنما كلما وصلته أخبار صحيحة ، قام على الفور بإرسال القوات اللازمة وهى عبارة عن قوات من حملة السهام (١).

ومن أشكال تغير العلاقات من العداء إلى الصداقة ، المعاهدة التى وقعها الملك رمسيس الثانى وخاتوسيل ملك خيتا ويتضح من بنود هذه المعاهدة أن الطرفين قد سئما الحرب ورغبا فى حياة سلام بينهما وكذلك ليتفرغا لمقاومة شعوب البحر . وتضمنت بنود المعاهدة الدفاع المشترك والهجوم المشترك (٢) . وعادت المراسلات بين البلدين وتشير وثائق بوغاز كوى إلى التهنية التى كتبتها الزوجة الكبرى لرمسيس الثانى - نفرتارى - إلى بودوهيبات ملكة الحيثيين وتقول فيها :

" أننى فى سلام وارضى فى سلا وأننى اتمنى لك يا أختى السلام " . (٣)

وكان مرنبتاح وفيا لمعاهدة السلام هذه ، وعندما خربت هجرات شعوب البحر أرض الحيثيين وشاعت المجاعة فيها ، قام مرنبتاح بإرسال شحنات كبيرة من الغلال عن طريق المراكب إلى بلاد خيتا . (٤)

فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة وفى تلك الأيام المضطربة التى عاشتها البلاد تمكن شخص من اصل سورة اسمه ارسو من الوصول إلى العرش . وربما كان ارسو هذا من زعماء الجنود المرتزقة الذين كانوا فى الجيش ، جمع حوله رجاله وحاول الاستيلاء على السلطة لمصلحته . (٥)

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ٢٠٦ - ٢١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

(٤) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٧٠ .

(ب) وبالنسبة لعلاقات الترابط والمصاهرة ، فهي ترجع إلى عصر الدولة القديمة
 ففي عهد الملك ساحورع من ملوك الأسرة الخامسة أرسلت بعثة بحرية إلى
 فينيقيا ، وصور الفنان جانب من هذه البعثة على جدران معبد الملك الجنائزي
 بابي صير . وقد ظهرت المراكب محملة بالرسل والخيرات والحيوانات
 وصور استقباله وحاشيته . لهذه البعثة عند عودتها . وكان من بين الشخصيات
 البارزة فوق ظهر المراكب شخصية المترجم الذي كان يؤدي دور السفير .
 ويرى مونتيه أن الغرض من هذه البعثة كان إحضار أميرة سورية لتكون
 زوجة لملك مصر . ويذهب إلى القول بأنها الملكة نفرت ويستند في ذلك إلى
 ورود اسمها على جدران المعبد وإلى مظاهر الاحتفال التي تبدو عند رحيل
 الأسطول وكذا عند عودته . ويذكر د. صالح أنه إذا صح هذا الظن فإن ذلك
 يعد أقدم دليل على اتخاذ المصاهرات سبيلا إلى تدعيم العلاقات بين الدول
 المتجاورة وحكامها ^(١) . ويظهر على المراكب بعض السوريين ويبدو من
 مظهرهم أنهم جاءوا كأصدقاء .

ويقال أن تحوتمس الثالث قد تزوج من ثلاث أميرات سوريات . وامتلا
 قصر ابنه أمنحتب الثاني بجواري آسيويات من أخوات الأمراء وبناتهم كما
 تشير نصوص عهده ، وليس من المستبعد أن يكون قد تزوج واحدة منهن أو
 أكثر من واحدة . ولكن لم تصبح واحدة منهن زوجة رئيسية له .

ورأى الملك تحوتمس الرابع أن خير روابط السلم المنشود مع دولة
 ميتاني هو رباط المصاهرة ، فخطب لنفسه ابنة ارتاتاما ملك الميتانيين ، وقيل
 أن أباه جادل في مهرها عدة مرات رغبة في زيادة نصيبه من الهدايا قبل أن
 يزفها إليه . وجعل تحوتمس زوجته المتيانية ضمن زوجاته الرئيسيات
 في قصره . وأعطى لها اسما مصرياً هو موت أم ويا . وتزوج أمنحتب الثالث

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،
 طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ حاشية (٦٨) .

من الأميرة الميتانية جيلوهيا ابنة شوتارنا التي وصلت ومعها ثلثمائة وسبع عشر من حريم الشرف اختيروا من بين النساء الأكثر جمالا في الحريم الملكي وتزوجت من الملك . ولكنها نحيت إلى الصف الثاني بواسطة الملكة تي فيما بعد . وقد تزوج الملك أيضا من إحدى الأميرات البابليات ، لذلك نجد أخاها الملك السبابلي " كاداشمان - انليل " يشكو من أنها اختفت بعد الزواج وهو يجهل ما إذا كانت على قيد الحياة .^(١)

ومن بين الرسائل التي عثر عليها في تل العمارنة ، رسالة من ملك بابل كاليماسين الذي كتبت إلى الملك أمنحتب الثالث أن ابنته التي طلبها للزواج ، قد بلغت سن الرشد ، وأنه سوف يرسلها له ، ويعلن أن كمية الذهب التي أرسلها إليه كانت ضئيلة .

تزوج إخناتون من زوجات أخريات من بينهن أميرة ميتانية تسمى تادوهيا ابنة أخت جيلوهيا التي تزوجت من أمنحتب الثالث وبعد توقيع معاهدة السلام بين رمسيس الثاني وخاتوسيل ملك خيتا بحوالى ثلاثة عشر عاما ، جاء الملك الحيثي خاتوسيل في زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا معه ابنته لتصبح زوجة لملك مصر ، ولقبت هذه الأميرة بالاسم المصرى ماعت نفرو رع .

(ج) وبالنسبة للعلاقات التي يسودها طابع التوتر والعنف والحملات العسكرية تجاه بعض بلدان الشرق ، نقول أنه كان على ملوك مصر أن يتنبهوا لما يحدث من تحركات لقبائل البدو على الحدود الشرقية والتي كانت تطمع في التسرب عبر الحدود للاستقرار في البلاد أو تقوم بالاعتداء على حملات أو بعثات التعدين التي كان يرسلها الملوك منذ أقدم العصور إلى شبه جزيرة سيناء ، التي كانت تعد مصدرا هاما لبعض المواد الخام التي كان من أهمها معدن النحاس

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٢٠ ، وأيضا : Eman- Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 106 .

والدهنج والفيروز . وكان الملوك يقودون هذه الحملات بأنفسهم أو أنهم يرسلون قوادهم بدلا منهم والذين كانوا يتركون نقوشا تحدثنا عما قاموا به من أعمال .

فمنذ الأسرة الأولى تحدثنا النقوش والنصوص المختلفة عن نشاط بعض الملوك على الحدود الشرقية وفلسطين وسوريا وقد استمر هذا النشاط أو الطابع العسكري لتأمين حدود مصر خلال عصور بداية الأسرات حتى نهاية الأسرة العشرين ، وانعكست هذه السياسة الخارجية على الأوضاع السياسية في الداخل وما نسميه بالمظاهر الحضارية .

قد جاء على حجر بالرمو ، ان الملك جر ، ثالث ملوك الأسرة الأولى ، حارب أو ضرب أرض الآسيويين أى العناصر البدوية التى كانت تقطن سيناء فى ذلك الوقت . ومن المحتمل أن يكون ذلك الملك أول من قام بعمل عسكري ضد بدو الصحراء الشرقية أو بدو شبه جزيرة سيناء لتأمين الطريق التجارى المؤدى إلى سراييه الخادم ووادى المغارة من أجل الحصول على الفيروز والنحاس ^(١) . والعثور على أساور من الفيروز فى مقبرة هذا الملك فى مقبرته فى أبيدوس يؤكد استغلاله لهذه المناجم ^(٢) . ولدينا من عهد خامس ملوك الأسرة الأولى وديمو (أودن) لوحة

(١) كما نعلم أن مناجم الفيروز كانت توجد فى منطقة سراييه الخادم أما مناجم النحاس فكانت توجد فى وادى المغارة ، راجع :

Aufere, l'Univers mineral dans la pensée égyptienne, BdE 105/1 (1991)p. 541-543.

أطلق المصريون القدماء على شبه جزيرة سيناء اسم htyw (Wb 111, 349) (6 وذلك منذ عصر الدولة القديمة . وكان يقصد بهذه التسمية "مدرجات الفيروز" . وعرفت هذه التسمية أيضا فى عصر الدولة الوسطى , Faulkner, Concise Dictionary of Middle Egyptian, p. 199) htyw Mfk3t وأطلقوا على وادى المغارة اسم dw n mfk3t " جبل الفيروز أو التركواز " منذ عصر الدولة القديمة راجع : Wb 11, Aufre, op. cit., p. 501-508; 57,4

(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٣ - ١٤ .

من العاج عثر عليها فى أبيدوس ، صور الملك عليها وهو يهوى بمقمة قتاله على رأس أسير راع ، ونقش خلف الأسير نص قصير :

" وأول مرة يضرب فيها الشرق " . ومن المحتمل أن منظر الملك وهو يقضى على عدد بمقمته أصبح تقليديا رسميا منذ ذلك الحين ، يبين قوة الحاكم وعدم تهاونه مع بدو شبه جزيرة سيناء الذين يتعرضون لبعثات التعدين ^(١).

ومع قيام الأسرة الثالثة استمر ملوك مصر فى استغلال معدن النحاس فى مناجم شبه جزيرة سيناء إذ عثر على منظرين يمثل أحدهما الملك جسر وهو يهوى بمقمة قتاله على رأس أحد رؤساء البدو وذلك على صخور وادى المغارة ^(٢) . والثانى يمثل الملك سخم خت وهو يضرب أحد رؤساء البدو ^(٣).

وقد صور الملك سخم خت فى هذا المنظر بحجم ضخم وهو يرتدى التاج الأبيض ويمسك بيده اليسرى قمة رأس أسير راع ، ويهوى بيده اليمنى على رأسه بمقمة القتال حج . ويعتبر هذا المنظر من العصور النادرة التى تصور لنا سخم خت وقد عثر للملك سخم خت على ثلاثة نقوش فى وادى المغارة بسيناء ^(٤) . مما يدل على نشاط هذا الملك فى هذه المنطقة .

ويستمر هذا النشاط الحربى لحماية بعثات التعدين فى شبه جزيرة سيناء فى عصر الأسرة الرابعة ، إذ أننا نجد سنفرو مؤسس الأسرة يقوم بإرسال بعثات التعدين إلى وادى المغارة . وخلف لنا رجاله ذكرى تلك الحملة على صخور وادى المغارة ، فعلى مقربة من مناجم الدهنج والنحاس فى تلك المنطقة نقش رجال الحملة نقشا يمثل

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٦ لوحة (١) ؛ وأيضا : James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 42 Fig. 11.

(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ لوحة (٢) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠ لوحة (٣) .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨ حاشية (٣) ، وربما أحدهما يخص سانخت ، راجع : James, op. cit., p. 35-36 Fig.6.

الملك وهو يعاقب أحد البدو ومن خلف الملك كتب النص الآتي : المعبود الطيب قاهر البلاد الأجنبية " (١).

واستمر الملك خوفو فى فرض هذه الحماية لبعثات التعدين. فقد عثر على نقش فى وادى المغارة يمثلُه وهو يعاقب أحد رؤساء البدو وكتب فوق هذا المنظر : " خنوم خو اف وى ، المعبود الطيب ، الذى يضرب المنثو " (٢)، أى " بدو سيناء " (٣).

واستمر بعض ملوك الأسرة الخامسة فى السياسة الخارجية نفسها فقد عثر على نقوشا كثيرة فى وادى المغارة ، تمثل ساحورع ونى اوسررع أنى ومن كاو حور وجد كارع اسيسى وهم يؤدبون البدو . فعلى لوحة الملك ساحورع نراه يؤدب أسير راع وأمامه نقرأ :

" المعبود الطيب ضارب المنثو وجميع البلاد الأجنبية " (٤).

ومن عصر ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة نجد نقشا بالطريق الصاعد للهرم الذى يربط بين (معبدية الجنائزى والوادی) بسقارة ، ظهر فيه الآسيويين على انهم أسرى ، احضروا عن طريق البحر لأحد الموانى المصرية . (٥) وفى عصر الملك بيبي الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة نجده يقوم بإرسال حملة للتعدين إلى وادى المغارة . وقد ترك لنا نقشا يصوره فى المنظر التقليدى المعتاد وهو يعاقب أحد رؤساء البدو ، وأمامه كتب النص الآتى :

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٤ لوحة (٤) .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥ - ٢٦ لوحة (٥) .

(٣) عرفت هذه التسمية " منثو " فى نصوص الأهرام وأصبحت تنطق " منثيو

فى العصر المتأخر، راجع: Faulkner, op. cit., p. 110; Wb 11, 92, 4-6

(٤) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٧ لوحة (٦) .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

"المعبود الطيب الذى يضرب المنثو وكل البلاد الأجنبية". (١)

وفى عهد هذا الملك حدث تهديد من نوع معين لتجارة مصر فى ذلك مع فلسطين الأمر الذى دفع ذلك الملك إلى استدعاء أعظم رجاله وهو القائد ونى الذى يروى لنا هذه الأحداث على اللوحة التى تركها فى مقبرته فى أبيدوس . ويذكر أن الملك أرسله ليقود الجيش خمس مرات فى أرض البدو عند كل عصيان ، ومدحه الملك كثيرا من أجل ذلك .

ويبدو أنه فى عصر الملك بيبي الثانى توافدت على أراضى فلسطين هجرات بدوية متقطعة لقبائل سماهم المصريون باسم " هؤلاء الذين فوق الرمال " ويبدو أنها هددت سبل التجارة بين مصر وجيرانها ، وحاولت أن تثير الاضطرابات وتعبّر الحدود الشمالية الشرقية لمصر ، لذا عهد بيبي الأول إلى ونى بحماية تجارة مصر وحماية حدودها . وكان من نتيجة ذلك خروجه فى خمس حملات على أقل تقدير ، أربع عن طريق البر وخامسة كا طريق البر والبحر . وكللت كلها بالنجاح على حد قوله وعودته إلى مصر بقواته سالمة من كل سوء وقد جاء على لسان ونى فى نص لوحته : " لقد اكتسح جلالته البدو سكان الرمال " . ويذكر سميث أن نقش ونى هذا يعد فى الواقع النقش الوحيد الذى يمدنا بمعلومات عن حملة حربية منظمة خلال الدولة القديمة فى جنوب فلسطين . (٢)

وحذا الملك بيبي الثانى حذو أسلافه ، إذ أنه قام بإرسال بعثة تعدين إلى وادى المغارة بشبه جزيرة سيناء . ولكننا لا نجد هذا الملك ممثلا فى النقوش المعتادة وهو يعاقب عدوا آسيويا . (٣) وعلى الحائط الشرقى من مقبرة انتى بدشاشة من أواخر الأسرة الخامسة أو بداية الأسرة السادسة ، يوجد منظر يمثل معركة بين المصريين والآسيويين فى جنوب فلسطين ، وهجوم المصريين على قلعة الآسيويين المحصنة. (٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨ - ٢٩ لوحة (٧) .

(٢) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ٥٣ - ٥٥ ، ٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٥١ لوحة (٩) .

ولدينا من عصر الأسرة السادسة منظر حصار لقلعة ، وهو موجود بمقبرة كا - ام -
حست بسقارة .^(١)

ولم تخرج علاقات مصر السياسية بشبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين عن كونها
للحصول على المعادن والأحجار الكريمة من سيناء وعلى تأديب بعض البدو القريبين
من الحدود الشرقية لمصر والذين جاءوا من جنوب فلسطين والذين كانوا يحاولون
التوغل إلى الحدود المصرية وقد اتسمت كل هذه العلاقات بالعنف . كما أن منطقة
جبيل الساحلية كانت تتبادل التجارة مع مصر بطرق سلمية في معظم الأحيان بينما
كانت جنوب فلسطين وخاصة المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل مثيرا للمتابع
بالنسبة لمصر.^(٢)

وفي نهاية الدولة القديمة أخذت بواذر الضعف في الظهور في السياسة
الخارجية لمصر ، وتسرب الآسيويون واستقروا في الدلتا ولم تستطع السلطة
المركزية في ذلك العصر الحيلولة دون وقف عملية الانهيار . فقد عثر أثناء تنظيف
المعبد الجنائزى للملك بيبى الثانى بسقارة على بقايا تماثيل حجرية تمثل أسرى
راكعين وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم . وتمثل ملامح هذه التماثيل مختلف الجنسيات
ميزها المصريون القدماء من بين أعدائهم الأجانب .^(٣) وقد وصف لنا ايبور حالة
الضعف التى انتابت البلاد فى أواخر الدولة القديمة وذلك على بردية متحف ليدن ،
والذى يعنينا هو قوله :

" غدا الأجانب منتشرين فى كل مكان " ، " ودخل البرابرة مصر من
الخارج " . ويتحدث عن توقف الاتصال بالساحل الفينيقي قائلا :

(١) المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ لوحة (١٠) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٢ حاشية (١) .

" لم يعد اليوم أحد يبحر شمالا إلى (جبيل) . فما الذى سوف نفعله لإحضار خشب الأرز لمومياواتنا " (١) ، أى إعداد التوابيت من خشب الأرز . واستمر الحال على ذلك حتى جاء الملك خيتى الثالث (أو الرابع) من ملوك الأسرة العاشرة ، وحاول أن يظهر أراضي الدلتا الشرقية من البدو الذين تسربوا إليها منذ أواخر الدولة القديمة . ويبدو أنه نجح فى طرد البدو الآسيويين من شرق الدلتا . وأوصى خيتى ابنه فى نصائحه التى تركها له بأن يتبع سياسة ذات شقين مع البدو الآسيويين : أولا الاهتمام بشباب البلاد . ثانيا مكافحة البدو عن طريق إنشاء المدن المحصنة على حواف الوادى وتعميرها بخير الرجال . ثم شجعه على اتباع سياسته وقال له :

" أقم الحصون فى كل المناطق الشمالية ولاحظ أن سمعة الرجل فيما يفعله ليست بالشيء الهين ، البلد العامرة بالسكان لن يمساها سوء ، فابن مدنا " . (٢)

واهتم منتوحتب الثانى فى الأسرة الحادية عشرة بالحدود الشمالية الشرقية إذ عثر على نقش على جدران معبد الجنائزى بالدير البحرى يظهر فيه آسيوى منحنى إلى الأرض أمام الملك . (٣) وعثر فى معبد فى جبلين على نقش آخر يظهر فيه الملك وهو يعاقب أربعة أسرى من الجنوب والخرى والشمال والشرق . (٤) ومما يؤكد قيام هذا الملك بحملة ضد الآسيويين فى شبه جزيرة سيناء ، ما ذكره القبطان البحرى اختوى فى نقوش مقبرته بطيبة من قيامه بحملة حربية إلى سيناء . ويبدو أن هذه الحملة قد ذهبت إلى هناك من أجل إحضار النحاس والفيروز ولكنها تعرضت لهجوم البدو فانتصر اختوى عليهم وسجل أخبار انتصاره على صخرة هناك ، ولكنه لم يرده إلى نفسه ورده إلى ملكه . (٥)

(١) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١٠٧ .

ونعلم أن أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة أقام ما عرف باسم " حائط الأمير " وذلك لمنع تسرب البدو الآسيويين إلى داخل البلاد .^(١) وهو الذى أشار إليه سنوهى عند هروبه . ويذكر جاردنر أن هذا الحائط كان يقع بالقرب من وادى طميلات . وهناك نقش فى مقبرة خنوم حتب حاكم إقليم الوعل " بنى حسن " من عهد هذا الملك يذكر فيه انه قاتل من أجل هذا الملك فى الجنوب وضد قبائل البدو الآسيويين .^(٢) ولدينا لوحة بمتحف اللوفر تخص أحد النبلاء وهو نسو منتو يذكر فى نصها أنه قام فى العام الرابع والعشرين من حكم الملك أمنمحات الأول بحملة ضد الشعوب القاطنة فى الشمال الشرقى .^(٣)

ومن عباراته انه يقول " هزمت سكان الكهوف الآسيويين الساكنين فوق الرمال ... " . وعثر على صدرية بمنطقة دهشور صور عليها الملك سنوسرت الثالث فى هيئة المعبود مونتو وهو يبطاً أربعة من البدو تحت أقدامه .^(٤)

ونعلم من ناحية أخرى أن سنوسرت الثالث أرسل حملة عسكرية وصلت فى تقدمها إلى إقليم سككم ، مما يدل على قيام بدو شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين ببعض المتاعب ضد مصر ، الأمر الذى دفع سنوسرت الثالث إلى القيام بهذه الحملة التأديبية . ونستقى أخبار هذه الحملة من لوحة عثر عليها فى أبيدوس وتخص المدعو سبك- خو .^(٥) وعثر على صدرية أخرى بمنطقة دهشور صور عليها الملك أمنمحات الثالث وهو يضرب بدويا بمقعدة قتاله .^(٦)

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ لوحة ١٩ ، ص ١٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٦٢ ، ١٦٨ .

(٦) المرجع السابق ، ١٠٣ لوحة ٢٠ .

ونعلم أيضا أن أمنمحات الثالث أرسل فى العام الثانى من حكمه حملة قوامها ٧٣٤ جنديا بقيادة خنت خاتى- حتب- خنوم- سو كلفت إلى جانب تأديبها البدو بإحضار الفيروز والنحاس من مناجم وادى المغارة^(١). ولدينا من نهاية الدولة الوسطى والأسرة الثالثة عشرة مجموعة من النصوص تسمى نصوص اللعنة التى كانت عبارة عن دعوات كتبها الكهنة (السحرة) بالمداد الأحمر على أوانى صغيرة من الفخار وتمثيل من الصلصال ، وصبوا اللعنة فيها على مجموعة من حكام القبائل والمدن فى الشمال الشرقى وفى الغرب وجنوب الحدود المصرية .

وكان من المفروض أن يجمع الكهنة هذه الأوانى والتمثيل الصغيرة بأسمائها الملعونة ، ويتلوا عليها قراءات وتعاويذ سحرية معينة ثم يحطموها فى حفل خاص أملا فى أن يؤدى تحطيمها إلى تحطيم عزائم المذكورين عليها ويبلغ عدد المدن التى ذكرت فى هذه النصوص وأسماء القبائل حوالى ثلاثة وستين اسما ، أغلبها أسماء من سورية وفلسطين^(٢).

وبعد ذلك خضعت مصر لحكم الهكسوس . ولم يكن فرض سيادة الهكسوس على مصر نتيجة لغزوة مفاجئة ، ولكنها كانت نتيجة تسرب قبائل وشعوب من أواسط آسيا أجبرت الشعوب فى الشمال الشرقى من مصر على التحرك نحو حدود مصر الشرقية . وحكم الهكسوس مصر مدة قرن ونصف إلى أن عزم المصريون على طردهم . وتم طرد الهكسوس ودفعهم إلى ما وراء الحدود الطبيعية لمصر . وعندما تعرضت مصر لغزو الهكسوس واحتلوا أرضها لأول مرة فى تاريخها فى نهاية العصر الوسيط الثانى ، حاول الهكسوس أن يندمجوا مع المصريين وتقلدوا بالتقاليد المصرية . وكانوا ينتمون فى الأصل إلى قبائل جبلية تفتقد إلى الأصالة الحضارية وبالتالي عجزوا عن إضافة أى شئ جديد إلى مظاهر الحضارة المصرية المعروفة فى ذلك العصر ، كما عجزوا عن تبديل تقاليدھا الدينية والثقافية والفنية الراسخة ، بل على العكس من ذلك ، نجدهم قد تأثروا وتطبعوا بمظاهر هذه الحضارة ، ويبدو أنه

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٧٢ .

لم يكن لديهم هوية ثقافة ، ولهذا كان تأثرهم بالحضارة المصرية العريقة واضحا واقتبسوا منها الشيء الكثير .

وتعلم المصريون منهم استخدام الخيل التي تجرها العجلات الحربية وكذلك صناعة بعض الأسلحة من البرونز . وخرج حكام مصر من محنة الهكسوس وقد غلب على تفكيرهم انه لا أمان لاستقلالهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشهم ، وانه لا أمان لتجارتهم من اعتداءات الهكسوس إلا إذا أبعدوهم عن مسالك تجارتهم الخارجية . وانه لا أمان لمستقبل بلادهم من غزو هجرات جديدة غريبة إلا إذا سيطروا بأنفسهم على مداخل الهجرات في شمال سوريا وأطراف العراق ، وهذا ما تكفل به الملوك الأوائل في الأسرة الثامنة عشرة : أحبس الأول وأمنحتب الأول وتحتمس الأول .^(١)

وزاد الطابع العسكري للسياسة الخارجية لمصر ، نتيجة لرد الفعل ضد الغزو الأجنبي والاحتلال ، فازدادت الحملات العسكرية على الحدود الشرقية وفي فلسطين وسوريا . هذا ولم يشهد عصرى كل من تحتمس الثاني وحاتشبسوت نشاطا عسكريا في الشمال الشرقي . ولكن بعد انفراد تحتمس الثالث بالعرش نجد تغيرا ملموسا قد طرأ في السياسة الخارجية مع سوريا وفلسطين وخاض الملك أكثر من ست عشرة حملة . وطوال عشرون عاما أخذ يشن حملات على آسيا ، بمعدل حملة كل عام تقريبا وبعض هذه الحملات كانت من أجل قتال حقيقى وذلك بغرض حماية من يدينون بالولاء لمصر ، والبعض الآخر كانت إظهارا للقوة .^(٢)

ولم يكتف تحتمس الثالث بالحملات في سبيل توطيد سلطان مصر في سوريا بل شيد قلعة في لبنان أسماها " من خبر رع يربط المتشردين " .^(٣) وكذلك أراد أن يضمن ولاء أمراء سوريا في المستقبل فكان يحضر معه أبناء الأمراء

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

المحليين ليقوم بتربيتهم في مصر ويغرس في قلوبهم حبها ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تعيينهم في المستقبل في أماكن آبائهم الحكام القدامى . وقد بلغ عدد من أحضرهم من أبناء الأمراء إلى مصر في حملته الأولى ستة وثلاثين طفلاً .^(١)

وعندما وقعت بعض الاضطرابات الداخلية في ممالك غرب آسيا في عهد إخناتون ، نجد أن ربعدي حاكم جبيل الموالي لإخناتون ، يذكر في أكثر من خطاب من خطابات تل العمارنة أن الملك كان يقوم بإرسال قوات من حملة السهام ، مما يدل على أن قوات إخناتون كان لها نشاط في غرب آسيا .^(٢)

ويبدو أنه كانت هناك محاولة قام بها الملك توت عنخ آمون لتهدة اضطراب الأحوال في سوريا في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة .^(٣)

وبعد ذلك قام سيتي الأول بحملة إلى سوريا في العام الأول من حكمه ، وكانت حملة الملك تهدف إلى تخليص مدينة بيت شان ورحوب من الهجوم الذي كانت تتزعمه مدينة حماة ومن ثم فإن هذه الحملة لم يكن القصد منها توسيع حدود أو بسط نفوذ ، بقدر ما كانت للدفاع عن مناطق ما زالت خاضعة للنفوذ المصري .^(٤) وفي العام الثاني من حكمه قام سيتي الأول بحملة ضد مدينة قادش على نهر الاورنت وكذلك ضد أرض أمور . ونجح في إعادة النفوذ المصري على فلسطين كلها وقطنه وتونيب بعد أن هزم بدو سيناء وجنوبي فلسطين الشاسو .

وقد عثر على لوحات صغيرة في قادش وفي تل شهاب ذكر على كل منها اسم سيتي الأول ، وعثر في بيت شان (بيسان) على لوحة تؤكد وصول جيوشه إلى مدينة حماة . وقد عثر على تمثال له على هيئة أبو الهول في معبد الجنائزى بالبر الغربى في طيبة ذكر عليها معظم البلاد التي أخضعها في فلسطين وهي حوالى ستة

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

عشر بلدا ، وربما قد وصل فى حملاته الأربع حتى قادش .^(١)

تقابل الملك سيتى الأول فى حملته الرابعة إلى آسيا مع ملك الحيثيين وذلك فى شمال قادش ، وربما وقع فى هذه المرة معاهدة مع ملك الحيثيين ولكن لم تصلنا نصوصها وليس لدينا أية تفاصيل عن الحرب التى دارت بين المصريين وقوات مواتلى ملك الحيثيين . وإنما تذكر أن سيتى عاد منتصرا من هذه الحملة .^(٢) وفى عصر خليفته رمسيس الثانى قامت حرب كبيرة بينه وبين الحيثيين دارت رحاها كذلك عند مدينة قادش . وانتهى الأمر برغبة الطرفين مصر وخيتا فى وضع حد لهذه الحروب التى نشبت بينهما ووقعا معا معاهدة سلام ، والسبب الرئيسى وراء هذه الرغبة هو ظهور خطر جديد على مسرح الأحداث وهو ظهور شعوب البحر .^(٣) ولكن رمسيس الثانى ذهب بعدها أكثر من مرة إلى آسيا . وقام مرنبتاح بحملة على بعض المدن فى فلسطين التى عاقبها بشدة مثل كنعان ، عسقلون ، جزر ، وبنعام وقضى قضاء تاما على قبائل اليسيراو وأصبحت خارو (فلسطين وسوريا) تابعة لمصر . ومما يدل على أن قبائل اليسيراو كانت قبائل رحل نقش لأحد الموظفين يشير فيه إلى انه منع قبائل الشاسو من آدوم من المرور من حدود مرنبتاح .^(٤)

ومما يدل على تدهور نفوذ مصر السياسى الخارجى وبصفة خاصة فى جبيل التى كانت تربطها بمصر علاقات تجارية وغيرها منذ أقدم العصور ، هى قصة ون آمون وما حدث له ، فقد أرسله حاكم طيبة الفعلى فى عصر رمسيس الحادى عشر إلى جبيل من أجل إحضار خشب الأرز لتجديد القارب المقدس لآمون ، فرفض أميرها أن يمدّه بالأخشاب المطلوبة إلا بعد أن يدفع ثمنها .

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ - ٤٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨٨ .

ومن أحداث حكم ششنق الأول فى الأسرة الثانية والعشرين غزو سوريا العليا وفلسطين وقد جاء ذكر هذه الحملة فى الكتاب المقدس فقد جاء فيه أن الملك ششنق هاجم القدس وكان معه جيش من المرتزقة من الليبيين والسوقيين والكوشيين ، واستولى على خزائن بيت الأبدية وخزائن بيت الملك . وأخذ كل شئ وأخذ كل الدروع من الذهب التى صنعها سليمان . وعندما عاد ششنق منتصرا إلى مصر ، سجل بالنقوش قصة انتصاره على الجدران الجنوبية الخارجية ليهو الأعمدة الكبيرة فى معبد الكرنك . وقد كتبت فوق رؤوس الأسرى ، الذين يمثلون أهالى أسماء مائة وست وخمسين مدينة فى فلسطين والتى تقع على الحدود الجنوبية لأرض يهوذا وشمال الجليل . ومن بينها نجد أسماء عديدة معروفة فى الكتاب المقدس .

من بين هذه الأسماء " حقل إبراهيم " الذى لم يتعرف عليه ولكنه يمثل أول ذكر تاريخى لاسم سيدنا إبراهيم . ويقوم الملك فى هذه المناظر بتقديم الأسرى إلى المعبود آمون . ولا نعلم هل قام ششنق بحملة أخرى بعد ذلك على شمال فلسطين أم لا . (١)

فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين تعرضت مصر لثلاث غزوات آشورية أعوام ٦٧١ ، ٦٦٦ ، ٦٦٤ ق. م ، وهذه هى المرة الثانية التى تتعرض فيها لاحتلال أجنبى ، ووصل الآشوريون فى حملتهم الثالثة حتى مدينة طيبة التى تعرضت للتخريب على أيديهم . واعتمد ملوك الأسرة السادسة والعشرين الأوائل على المرتزقة اليونانيين الذين ساعدوهم فى طرد الآشوريين .

أما بالنسبة للعلاقة مع بلاد فارس ، فنجد أن أحد ملوك الفرس أرسل إلى الملك المصرى طلبا يلتبس فيه أن يأذن لأحد أطباء العيون من رجال بلاطه بالسفر إلى فارس للقيام بعلاجه . (٢) وفى نهاية الأسرة السادسة والعشرين تعرضت مصر للغزو للمرة الثالثة فى تاريخها على أيدي الفرس الذين دخلوا البلاد وحكموا

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٩١ .

خلال الأسرة السابعة والعشرين ، التي تكونت من ملوك فرس ابتداء من عام ٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق. م .

وقد عثرت البعثة الفرنسية للآثار التي تقوم بحفائر في منطقة سوس في إيران في عام ١٩٧٢ على تمثال ضخيم من الجرانيت الأسود يمثل الملك دارا الأول ، واقفا مرتديا ثوبا متسعا مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفي في خطوط رأسية . وقام العالم الفرنسي " جان يويوت " بنقل نص هذا التمثال وعمل ترجمة علمية له .^(١) واتضح انه عبارة عن نص يذكر فيه الملك دارا حروبه في بلاد الشرق القديم ويعطينا أسماء الشعوب والمدن التي تم غزوها وإخضاعها للإمبراطورية الفارسية ، كما يحدثنا عن فترة حكمه في مصر .

وقد أثار العثور على هذا التمثال في هذا المكان تساؤلات كثيرة من جانب العلماء . ولكن يبدو أن هذا التمثال قد نحت ونقش بالخط الهيروغليفي في مصر بأيدي فنانين مصريين أثناء فترة حكم الملك دارا في مصر والتي استمرت حوالي ستة وثلاثين عاما ، وكان الغرض من هذا هو وضع ذلك التمثال في أحد المعابد المصرية لكي يتعرف المصريون بلغتهم على فتوحات دارا . لأنه ليس من المنطقي أن يكون هذا التمثال قد نحت ونقش بواسطة فنانين مصريين كانوا يعيشون في سوس أثناء فترة حكم هذا الملك في مصر لأن نقشه بالخط الهيروغليفي يؤكد أن الغرض منه كان مخاطبة المصريين وليس الفرس . ويبدو أن الملك دارا قد أمر بنقل هذا التمثال إلى سوس قبل وفاته وذلك نظرا لجمال نحته ونقشه . ويبدو انه كان من المعجبين بفن النحت المصري ، فهو الذي سار على سنة ملوك مصر القدماء في إقامة المعابد وإرسال البعثات لقطع الأحجار من وادي الحمامات ، ولهذا أثر في نهاية حياته أن يحتفظ بهذا التمثال لنفسه وأمر بنقله إلى سوس .

(١) في حوليات أكاديمية التسجيلات وعلم الأدب بفرنسا :

Yoyotte, Inscriptions Hieroglyphiques égyptiennes de la Statue de Darius, dans C. R. Academie des Inscriptions et Belles lettres, Paris (1973), p. 256 – 259; Id., Journal Asiatique (1972), p. 253 – 266 .

وفى نهاية الأسرة الثلاثين غزا الفرس مصر للمرة الثانية عام ٣٤١ ق. م. حتى جاء الاسكندر الأكبر لينقذ مصر مما كانت تعانيه من ويلات نتيجة للاحتلال الفارسي . إن العلاقات المصرية الخارجية بصورها المتعددة لم تقتصر فقط على فلسطين وسوريا وبلاد النهرين وبلاد فارس ولكن تعدتها أيضا إلى ما هو أكثر شمالا ، آسيا الصغرى ، فهي علاقات ود وصداقة ، وتصاهر ، وتوتر وصراع .

(أ) وتتمثل علاقة الود في العثور في منطقة دوراك الواقعة على الجانب الشرقى من جنوب بحر مرمرة على بعد نحو ثلاثين كيلو مترا على شواطئ بحيرة ابوليونت في داخل إحدى المقابر الملكية على بعض قطع لكرسى مكسو بصفائح من الذهب وتحمل ألقاب الملك ساحورع .^(١)

ومن عصر الدولة الوسطى عثر في منطقة قلعة كوريجن إلى الشرق من انقره على تمثال لأحد المصريين يدعى " كرى " ويبلغ ارتفاعه حوالى ٣٥ سم وهو فى حالة جيدة ، ومحفوظ الآن فى متحف أنقره الجديد . وذكر فى نقوشه اسم المعبودين أوزير وبواوات مما يدل على أن هذا الشخص قد حضر فى مهمة ما إلى هذه المنطقة وأحضر تمثاله معه الذى نحت ونقش فى مصر .^(٢)

كما عثر كذلك فى منطقة اضمه الواقعة فى سهل كيليكيا على تمثال لمربية مصرية " سات- سنفرو " ويرجع هذا التمثال إلى الأسرة الثانية عشرة . ويقول هيس أن هذا التمثال من أكبر وأجمل تماثيل السيدات ، وهو مصنوع من الديوريت ، ويرجع وجود تمثال لهذه السيدة فى هذه المنطقة إلى أنها أرسلت إلى هناك لخدمة أحد الموظفين المصريين المعينين هناك أو لتربية أطفال أحد الأمراء من آسيا الصغرى .^(٣)

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٥٧-٥٨ لوحة ١١ ، ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١-١٣٥ لوحة ٢٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣-١ ١٣٦ لوحة ٢٦ .

وكان هناك نوع من العلاقات الودية بين مصر والحِيثِيِّين ، ويبدو انه كان هناك معاهدة بين تحتوتمس الثالث وخوزياش الثاني ملك الحِيثِيِّين . وقد ظلت هذه المعاهدة سارية المفعول خلال عهد أمنحتب الثالث .^(١) وهناك أيضا معاهدة السلام التي وقعها الملك رمسيس الثاني مع خاتوسيل . واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاما حتى أيام ولده مرنبتاح ، الذي أرسل شحنات من الحبوب عن طريق البحر إلى الحِيثِيِّين الذين واجهتهم مجاعة نتيجة هجمات الشعوب الهندوأوربية عليهم .^(٢)

وكانت لابنة ملك الحِيثِيِّين أختا أكبر سنا وكانت تعاني من مرض عصبى ، ووصفت بأنها ابنة ملك من قطر بعيد يسمى باختان قد أصابتها روح شريرة فأرسل إليها من مصر الطبيب المصرى " تحتوى ام حب " الذى لم يستطع علاجها فأرسلوا إليها تمثالا شافيا للمعبود خونسو معبود طيبة ، ولكن الحِيثِيِّين لم يرغبوا فى إعادة التمثال مرة أخرى إلى مصر ، ولمدة تقرب من الأربع سنوات ظل التمثال فى أرض أجنبية حتى اللحظة التى رأى فيها الملك حلما أثر فيه ، فأرسل فى طلب التمثال الذى وصل إلى طيبة بين احتفالات الكهنة والشعب . وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم لا إلا أنها تدل على نوع العلاقات التى كانت سائدة بين البلدين .^(٣)

(ب) أما عن علاقات المصاهرة ، فقد عثر فى أرشيف بوغازى كوى على بعد مائة كم إلى الشرق من أنقره ، على خطاب أرسلته أرملة توت عنخ آمون تطلب فيه الزواج من أحد أبناء الملك سبيلو ليوما نظرا لوفاة زوجها توت عنخ آمون فى سن صغيرة ووعده بأنه سيصبح ملكا على البلاد . وقد تشكك الملك الحيثى فى جدية هذا الطلب وأرسل مبعوثا من قبله ليتحرى عن حقيقة الأمر

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية، ص ٥٢٩ ، ٦١٩ ؛ د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

فاحتجت الأرملة ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل .

وعقب توقيع معاهدة السلام بين رمسيس الثانى وخاتوسيل ملك الحيثيين، جاء خاتوسيل إلى مصر ومعه ابنته ، وكثيرا من رجاله، ليزفها زوجة إلى رمسيس. وقد أقام رمسيس احتفالات كبيرة واستقبل ضيفه خير استقبال . وكان حضور ملك خيتا إلى مصر فى العام الرابع والثلاثين من حكم رمسيس وكان فى مصاهرة هذين البيتين ما كفل الأمن والطمأنينة فى غرب آسيا ، ولو إلى حين . (١)

(ج) أما عن علاقات التوتر والمواجهة العسكرية ، فقد بدأت فى عصر أمنحتب الثالث ، فكانت مملكة ميتانى فى شمال العراق ، وكانت تربطها بمصر صلات من الود والمصاهرة ولكن مملكة خيتا (فى الأناضول) الناشئة الطموحة أرادت أن تستولى عليها فى عهد سبيلو ليوما فاستغاث ملك ميتانى بمصر ، فأرسل إليه أمنحتب الثالث نجدة ساعدته فى صد الحيثيين . (٢)

وأدرك ملك خيتا انه لن يتمكن من تحقيق أطماعه فى آسيا ما دام النفوذ المصرى قويا ، ولهذا أخذ يؤلب بعض الأمراء الآسيويين ليشقوا عصا الطاعة فاستجاب له أميران طموحان وهما أمير قادش الذى بسط نفوذه على سهل سورية الشمالى وهزم الأمراء المواليين لمصر . ثم عبد اشرتا ملك الآموريين الذى أخذ يهاجم مدن الساحل الفينيقي وتبعه فى ذلك ابنه عزيزو الذى كان يتظاهر دائما بالولاء لمصر ويرسل الرسائل مؤكدا إخلاصه وينفى ما يقال عنه . وأصيب النفوذ المصرى بضربات قاصمة فى سورية وفى مدن الساحل الفينيقي وفى أعلى الفرات وفى فلسطين . ولم يستطع إخناتون إنقاذ المواليين لمصر من فتك الحيثيين . (٣)

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

كان سيتي الأول يعرف انه طالما كانت خيتا بعيدة عن متناول يده فإنها لن تتوقف عن الاستمرار في دسائسها لتأليب الإمارات في سورية وفلسطين على مصر خصوصا بعد أن تغلبت على بلاد ميتاني في أعالي الفرات . ومصادرنا عن حرب سيتى مع خيتا هي ما دونه على جدران معبد الكرنك ، وكانت المعركة التي دارت بينه وبين الحيثيين في شمال مدينة قادش وعاد منها سيتى منتصرا ومعه الأسرى والغنائم . وأثمرت هذه المعركة في جعل مملكة خيتا تعرف أن مصر في عهد سيتى الأول غيرها في عهد إخناتون . وان الملك لن يسمح لقوة أجنبية أن تتدخل لإشاعة الفوضى على حدود مصر الشرقية .^(١)

وفي عصر رمسيس الثانى استمرت مملكة خيتا في الدور نفسه بتحريض بعض الأمراء على الثورة أو العصيان . وكان ملك خيتا في ذلك الوقت يسمى مواتلى ولم يترك وسيلة من الوسائل إلا التجأ إليها لجعل من مقابلته لجيش مصر ضربة قاضية تحقق نفوذ مصر وسيادتها في آسيا . ولهذا لم يكتف بأن يضم إليه ، سواء بالوعيد ، الساخطين على مصر أو الطامعين في إرضاء خيتا ، بل استعان بشعوب أخرى كثيرة وأخذ منها جنودا مرتزقة وكان من بين هذه الشعوب سكان جزر بحر ايجه ، وإمارات آسيا الصغرى ، وبلاد ما بين النهرين .

وتقدم الجيشان نحو مدينة قادش وهي المدينة المحصنة ذات الموقع الإستراتيجى الهام . وانتهى اليوم الأول دون أن يكون النصر الحاسم في جانب رمسيس أو في جانب أعدائه . وفي الحقيقة أن الحرب لم تكن فاصلة ووقع الخصمان معاهدة سلام واتفق الطرفان المتحاربان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر وألا يتدخل في شئون رعاياه . وعاد رمسيس وجيوشه إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش تحت نفوذه .^(٢)

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ - ٣٥١ .

- أما بالنسبة للحدود الغربية فكانت العلاقة مع القبائل الليبية تمتاز بالتوتر منذ أقدم العصور حتى نهاية الأسرة العشرين . فمنذ الأسرة الأولى أرسل الملك جر حملة لصد هجمات القبائل الليبية في الغرب . وقام سنفرو في الأسرة الرابعة بحملة ضد الليبيين وأحضر منهم العديد من الأسرى والماشية بما يقدر بعشرات الآلاف . ونعرف من بقايا النقوش التي كانت تغطي جدران معبدى ساحورع والطريق الموصل بينهما كثيرا من نشاط هذا الملك وبخاصة على الحدود الغربية إذ تعرضت مصر في أيامه إلى غزو من ناحية الغرب عندما جاءت بعض القبائل الليبية ومعها زعماءها ونساؤهم وحيواناتهم ليهاجموا غرب الدلتا ويستقروا في وادى النيل فهزمهم ساحورع (١).

انتهاز أعداء أمنمحات الأول فرصة غياب ابنه وولى عهده وشريكه في الملك ، سنوسرت ، في حملة على ليبيا ، ودبروا مقتله . وكان سنوسرت مع قوات الجيش على الحدود الغربية عندما جاء إليه رسول يخبره بالنبأ فأمر سنوسرت بإخفاء الأمر عن الجيش وعاد في الحال مسرعا إلى العاصمة .

وفي عصر سيتي الأول كانت الحالة في شمال أفريقيا بدأت تدخل في دور من عدم الاستقرار على أثر الهجرات الهندو-أوربية التي أخذت تجتاح كل بلاد الشرق القديم في ذلك العصر . ونزلت عناصر منها في ليبيا وبدأوا يهددون الحدود الغربية لمصر . ولا نستطيع أن نحدد تاريخ حرب سيتي الأول في ليبيا بالضبط ولكن من المؤكد أن تلك الحملة كانت بعد استيلائه على قادش (٢).

وفي عصر رمسيس الثاني بدأت العناصر الهندوأوربية التي استقرت في ليبيا تعاود تهديدها للحدود الغربية لمصر . وربما كان هذا الخطر هو السبب الرئيسى الذى جعل رمسيس الثانى يبنى سلسلة من الحصون فى الجهة الغربية من مصر مثل حصن الغربانيات (على مقربة من برج العرب) وحصن آخر عند العلمين وحصن

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

عند زاوية أم الرخم إلى الغرب من مرسى مطروح .^(١)

وفى عصر مرنبتاح تمكن أحد رؤساء القبائل التى كانت قد استقرت على شاطئ ليبيا أن يجمع إليه عدة قبائل من الشعوب الهندوأوربية وان يهجموا تحت إمرة زعيم يسمى مرى على مصر ومعهم نساؤهم وأطفالهم ، فدارت بينهم وبين مرنبتاح معركة عند مكان يسمى بربر فى غربى الدلتا . وقد استمرت هذه المعركة ست ساعات انتهت بهزيمة ساحقة للمهاجمين ففر منهم من فر وقتل من قتل ووقع تسعة آلاف من الأسرى فى أيدي المصريين .^(٢)

وفى السنة الخامسة من حكم رمسيس الثالث هجم جيش كبير من الليبيين وحلفائهم من السبد والماشوش من الشعوب الهندوأوربية على مصر ولكن الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر هزموا شر هزيمة على حدود الدلتا الغربية عندما كانوا فى طريقهم إلى منف .^(٣)

وفى العام الحادى عشر أخذت شعوب الماشواش وحلفائهم الليبيين فى تنظيم أنفسهم ويهاجمون مصر تحت إمرة ابن زعيم ليبيا المسمى مششر فوقفت جيوش مصر تصد هذا الغزو فأوقعت بالقادمين هزيمة كبرى على حدود الدلتا الغربية وارتدوا إلى الصحراء فتتبعتهم الجيوش المصرية نحو عشرين كيلو مترا وأفنت منهم عددا كبيرا ، وأسرت كثيرين كان من بينهم مششر نفسه وبهذا تخلص رمسيس الثالث من أعدائه فى الغرب .^(٤) وبعد هذا التاريخ بدأت العلاقات تدخل فى دور جديد ، فكما نعلم كانت الأسرة الثانية والعشرين من أصل ليبي ، تنتمى فى الأصل إلى عائلات المرتزقة الليبية الذين استقروا فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين أو بعد

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

ذلك بقليل وفي خلال القرون التالية حاولوا أن يتمصروا فقاموا بالزواج من مصريات وأصابهم الكثير من القوة والنفوذ واعتنقوا حضارة البلاد وأصبحوا مصريون من أصل أجنبي وليسوا غرباء على الإطلاق فقد اعتنقوا اللغة والديانة والعادات المصرية .

وعرفت الشعوب غرب مصر باسم التمحو التى لم تكن أصلا من شمال أفريقيا ويرجح أنهم وفدوا من شمال أوروبا وعبروا عن طريق مضيق جبل طارق إلى المغرب ثم انتشروا غربا على الساحل واصطدموا بالتحنو الذين كانوا يقيمون قبلهم وتغلبوا عليهم تدريجيا حتى قضوا عليهم كشعب مستقل بعد فترة من الزمن . وبدأ اسم التمحو يظهر فى النصوص المصرية منذ أيام الأسرة السادسة، ولكن هناك من الأدلة ما يرجح أنهم كانوا على صلة بمصر منذ أيام الأسرة الرابعة ، ويرجح أيضا أن خوفو تزوج واحدة منهم أصبحت أما لبعض أبنائه ونجد فى مقبرة مرس عنخ بالجيزة رسوما لبعض نساء من هذا الفرع وهن يلبسن ملابس تختلف عن الملابس المعتادة للمصريات (١).

وبالنسبة لتأثر السياسة الخارجية لملوك مصر بما يحدث فى المناطق على الحدود الجنوبية أطلق المصريون القدماء التعبير " تاش- رسى " على الحدود الجنوبية (٢) كما أطلقوا على بلاد النوبة اسم : " تا- ستى أو ستيو " أى أرض القوس أو الأفواس " ولم يكن هذا الاسم إلا تعبيرا عاما دلالة على شدة بأس رجالها (٣) والحقيقة أن معظم أهل النوبة تميزوا منذ أقدم العصور بمهارة استخدامهم

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها- الموسوعة المصرية ، المجلد الأول- الجزء الأول ، ص ١٩٠ .

(٢) كلمة تاش تعنى " حد وحدود " ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 412

(٣) وولتر إمري : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفه حندوسه) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

للأقواس والسهام فى القتال .^(١) وعرفت هذه التسمية فى نصوص الأهرام منذ نهاية الأسرة الخامسة .^(٢) وأطلقوا فى العصر البطلمى تسمية أخرى تؤكد المعنى نفسه هى كنستيو " أهل الأقواس " ^(٣)

وقسم بعض علماء المصريات بلاد النوبة إلى قسمين :

- النوبة السفلى : وتقع معظمها داخل الحدود المصرية إذ تمتد من جنوبى أسوان (الجندل الأول) حتى ادندان جنوب قسطل . وكان المصريون القدماء يطلقون على هذا الجزء اسم " واوات " .^(٤) وعرفت هذه التسمية منذ عصر الدولة الوسطى فى نقوش مقبرة امينى حاكم إقليم بنى حسن الذى كان معاصرا للملك سنوسرت

(١) ذكرت د. سيده كاشف فى ملخص بحثها القيم عن " الفتح العربى لمصر وحدود مصر الجنوبية " فى ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ فى ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ما يلى : " ومنذ فتح العرب لمصر ومنذ سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) أرسل عمرو بن العاص الحملات إلى بلاد النوبة . وكانت الحرب ضد النوبة شديدة على المسلمين وذلك لتفوق النوبيين عليهم فى رمى السهام ، وذهب بذلك الكثير من أعين المسلمين المجاهدين حتى سمي النوبيون باسم " رماة الحدق " .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ .

(٣) Wb V, 134, 6.

(٤) Wb. I, 250, 7.

فى القائمة التى سجلها الملك تحوتمس الثالث بالكرنك للشعوب التى كانت تعيش فى جنوب الحدود المصرية ، نجد أنه يذكر منطقة واوات وهى النوبة السفلى ويندرج تحت هذا المفهوم ٢٤ اسما جغرافيا ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص

الأول .^(١) وأطلقوا فى العصر البطلمى اسما آخر وهو كنست الذى يعبر عن " النوبة السفلى وشدة بأس سكانها " .^(٢)

- النوبة العليا : وتقع معظمها فى أرض السودان شمال جنوب ادندان ووادى حلفا أى من جنوب الجندل الثانى حتى الجندل السادس شمال الخرطوم . وأطلقوا على هذا الجزء اسم " كاش " الذى عرف فيما بعد باسم " كوش " . وقد عرفت هذه التسمية فى عصر الدولة الوسطى أيضا .^(٣)

وأطلق المصريون القدماء على الذهب كلمة " نوب " وإن هذه المنطقة التى نعرفها الآن بالنوبة كانت بلاد الذهب ويبدو أن كلمة نوب كانت الأصل لكلمة نوبة . وتحدث سترابون عام ٢٥ - ٢٤ ق. م. نقلا عن اراتو سثينيس عن النوبيين الذين كانوا يعيشون على الشاطئ الغربى للنيل وتمتد بلادهم من مروي حتى منحى النهر .^(٤)

ومنها جاءت التسمية " بلاد النوبة " التى عرفت فى القرن الثالث الميلادى تقريبا عندما استقرت الهجرات النوبية على ضفاف النيل فى تلك المنطقة من جنوب البلاد . وأطلقت هذه التسمية على المنطقة الممتدة إلى الجنوب من أسوان حتى جزيرة تنقستى إلى الجنوب من دنقلة .^(٤)

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) Meeks, Alex. I, p. 399.

(٣) Wb. V, 109, 1.

فى القائمة السابقة نجد أن الملك تحوتمس الثالث يذكر بلاد كوش وهى النوبة العليا (التى تشمل المناطق شرق حدود مصر الجنوبية والسودان) ويندرج تحت هذا المفهوم ٢٢ اسما جغرافيا ، راجع : المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

(٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٦ .

واتخذت هذه العلاقات مع المناطق الجنوبية صورا وأشكالا عديدة في مجال

السياسة الخارجية .

(أ) علاقات صراع وصدام حربي :

كانت العلاقات مع القبائل الجنوبية تمتاز بالتوتر والصراع منذ أقدم العصور وكانت هناك عناصر من القبائل المشاغبة في الجنوب طامعة في الاستقرار خلف الحدود الجنوبية . وترجع غارات القبائل المشاغبة المنتشرة على أطراف الصحراء من الشرق أو من وراء الجندل الرابع على حدود مصر الجنوبية في عصورها المختلفة إلى طبيعة بلادهم الجغرافية التي كانت تصاب بالجفاف أحيانا مما يؤثر على مواردها الاقتصادية ، مما كان يدفع بأهلها إلى تكرار مهاجمة حدود مصر الجنوبية وخاصة المناطق الغنية منها .^(٢) أو أنهم كانوا يقومون بالإغارة على قوافل التجارة القادمة من شمال الوادي فاضطر المصريون القدماء إلى الإكثار من الحملات العسكرية على تلك المناطق لتأمين طرق القوافل والمحافظة على سلامة حدود الوادي .^(٣)

وأصبح من سمات السياسة الخارجية التي اتبعتها ملوك مصر القديمة منذ أقدم العصور هو تأمين الحدود الشرقية والجنوبية والغربية ضد أى غزو أجنبي أو أية تسربات من عناصر أجنبية وأصبح ذلك من ثوابت السياسة الخارجية وأصبح خط ملزم لكل ملك الذى كان يعمل بكافة الوسائل على تطبيق هذه السياسة للمحافظة على حدود البلاد . والواقع أن علاقات مصر بجنوب الوادي لم تقم على فكرة الاستعمار أو الاستغلال وإنما قامت على تأمين سلامة حدود الوادي الجنوبية وإظهار هذه العلاقات بمختلف الوسائل .^(٣) واستمرت هذه السياسة منذ الأسرة الأولى (حوالى

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٢) حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

٣٢٠٠ ق. م) عندما اصطدم الملك عحا ثانى ملوك الأسرة الأولى^(١) بأعدائه من القبائل الجنوبية الطامعين فى خيرات البلاد والذين تسربوا عبر حدودها الجنوبية وكانوا يستقرون بكثرة على ضفاف النيل حتى حدود الجندل الثانى فحاربهم الملك عحا وأمن حدوده الجنوبية . ويقص علينا الملك جر ثالث ملوك الأسرة فى نقش محفور فى قمة جبل الشيخ سليمان عند مدخل الجندل الثانى أخبار حملة قام بها فى الجنوب .

كما أرسل الملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة (حوالى عام ٢٧٨٥ ق. م) الحملات الحربية إلى حدود النوبة السفلى لتأمين الحدود ، وكذلك أرسل الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة (حوالى عام ٢٦٨٠ ق. م) حملة تأديبية ضد القبائل الجنوبية وراء الجندل الثانى .

ونعلم أن الملك ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة (حوالى عام ٢٤٥٨ ق. م) أرسل حملة إلى بلاد النوبة السفلى (بين الجندلين الأول والثانى) وذلك بغرض تأديب القبائل المشاغلة . كما عمل الملك بيبي الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة (حوالى عام ٢٤٢٠ ق. م) على مراقبة حدود بلاد النوبة وقد عثر على اسمه فى النوبة السفلى منقوشا على صخور توماس .

وفى عصر الدولة الوسطى ، اخضع الملك منتوحتب الثانى خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة (حوالى عام ٢٠٤٣ ق. م) المنطقة جنوب الفنتين ، ويبدو انه وصل حتى الجندل الثانى . كما أرسل الملك امنمحات- الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة حوالى (١٩٩١ ق. م) حملة حربية إلى منطقة كورسكو وربما وصلت حتى سمنة عند الجندل الثانى إلى الجنوب من كرما . كما قام الملك سنوسرت الأول خليفة أمنمحات الأول بحملة لإخضاع القبائل المشاغلة فى السنة الثامنة عشرة من

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، ١٩٩٧ ،

حكمه وبسط نفوذه حتى الجندل الثالث . وأقام عدة تحصينات عند كوبان حتى بوهن عند الجندل الثانى . ويقص علينا حاكم إقليم بنى حسن امنمحات المسمى امينى فى نقوش مقبرته فى بنى حسن قصة اشتراكه مع الملك سنوسرت الأول فى حروبه ضد القبائل الجنوبية المشاغبة . وفى عصر الملك سنوسرت الثانى رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة (حوالى عام ١٨٩٧ ق.م) نجد انه فى بداية حكمه حدث تهديد خطير من الجنوب ، حيث بدأت القبائل الجنوبية المشاغبة ، تتور ورفضت مبدأ احترام المحافظة على الحدود الجنوبية واحتلت كل الأراضى جنوب الجندل الثانى ، وبدأت تهدد بغزو حدود مصر الجنوبية . وهناك لوحة صخرية فى أسوان للمدعو " حابو " يذكر عليها انه زار بلاد النوبة فى العام الثالث من حكم الملك سنوسرت الثالث ليتفقد الطريق البرى إلى واوات .

أما عن أعمال الملك سنوسرت الثالث خامس ملوك الأسرة (حوالى عام ١٨٧٨ ق.م) فى الجنوب فهى عديدة وهامة . فنجد انه فى بداية حكمه اتبع السياسة التى بدأها سلفاه امنمحات الأول وسنوسرت الأول وأكمل ما تركوه لتحقيق المحافظة على النفوذ المصرى هناك . ولحماية حدود مصر الجنوبية من خطر هجوم القبائل الجنوبية المشاغبة قام الملك بإقامة عدة تحصينات قوية ، عبارة عن حائط كبير من الطوب اللبن بطول الشاطئ الشرقى للنيل عند الجندل الأول .

وهكذا وضع نهاية للتهديد الذى تعرضت له حدود البلاد من الجنوب من غارات هذه القبائل المستمرة وثبت حدود مصر عند الجندل الثانى . وقام بأربع حملات ضد هذه القبائل ، وشيد على الحدود الجديدة ثلاثة حصون كبيرة واحد على شاطئ النيل فى سمنا وقمة والثالث على جزيرة فى وسط نهر النيل ، بالقرب من وادى حلفا . ولتسهيل السيطرة على الجنوب ، لجأ إلى شق قناة فى الجندل الأول للحد من شدة التيار ولكى يسمح للمراكب بأن تمر بسرعة وكذلك لتسهيل رسو المراكب فى هذا الجزء الوعر من النهر . حيث كانت المراكب تشد على معابر صناعية عبر التيار ، أو أنها كانت تربط بالحبال عند إنزالها النهر ، وقد سميت هذه القناة باسم " حسنة طرق خع كاورع " . وقد أقام فى سمنا تمثالا كبيرا لشخصه وعدة لوحات لكى يحدد مكان الحدود . وقد عثر هناك على لوحة تقص نقوشها انه شيدها " لكى يمنع أى

معتدى من أن يعبرها عن طريق البر أو النهر ، على قارب أو مع قطعانه من الماشية على الإطلاق ، وذلك إلا بإذن خاص " .

ويحدثنا هيرودوت عن أعمال الملك سنوسرت الثالث قائلا : " انه تقدم بأسطول من مراكب الحرب من البحر الأحمر نحو شواطئ البحر الارتيرى واخضع القبائل فى أثناء مروره ، حتى وصل أخيرا إلى بحر لا يمكن الإبحار فيه نظرا لمياهه الضحلة ، ومن هناك عاد إلى مصر " . وقد عثر على نص من عصر لاحق فى تل بسطه يؤكد هذه الحملة . وهكذا نجحت مصر فى الدفاع عن حدودها الجنوبية ضد أى غزو متوقع من العناصر المشاغبة . وتحقق للسكان الذين يعيشون فى اضطراب فى تلك المناطق ، نوعا من الهدوء . ويرى بعض الباحثين أن عدد ما أقامه الملك سنوسرت الثالث من حصون يبلغ أربع عشرة قلعة وحصنا مزودة كل منها بملحق للعبادة . وقد وجه الملك نفسه فى إحدى لوحاته رسالة إلى الأجيال المقبلة :

" إن أيا من أبنائى يستطيع أن يحافظ على هذه الحدود التى ثبتها جلالتي لهو ابنى وولد من صلبى ، إنه يشبه أباه ويصون ملك من أنجبه وأما من يهملها ويفشل فى الحفاظ عليها فهو ليس ابنا لى ولم يولد من صلبى إن هذا تمثالى أقيم لك على الحدود لعله أن ينفعكم فزودوا عنه " . (١)

أما عن امنمحات الثالث سادس ملوك الأسرة (حوالى عام ١٨٤٤ ق . م) فتشير النصوص إلى قيامه بحملة إلى بلاد النوبة وعمل على مد حدود مصر الجنوبية حتى الجندل الثالث .

وبعد أن استشهد الملك سقن رع فى أولى مواجهة مع ملوك الهكسوس ، ترك مهمة استكمال أو متابعة حرب التحرير إلى ولديه كامس و أحمس وكانت بلاد النوبة العليا (كوش) قد انفصلت عن مصر فى بداية فترة حكم الهكسوس ويعتقد أن إمارة كوش قد نشأت كإمارة مستقلة منذ الأسرة الرابعة عشرة فى الوقت الذى كان

(١) حياة وأعمال أحمد بدوى - دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٦ .

يسود فيه عدم الاستقرار والاضطراب السياسى فى داخل مصر . وانسحبت قوات ملك طيبة من الجنوب وهناك انتقلت المراقبة إلى أيدى حاكم وطنى أو موظف كبير .

وفى نص مؤرخ من العام الثالث يذكر لنا الملك كامس مخاطبا مجلس النبلاء فى بلاطه : " بماذا تفيد سلطتى فهناك حاكم فى آفارس وآخر فى كوش ؟ وأنا هنا مقيد بين آسيوى من ناحية وكوشى من ناحية أخرى وكل منهم يسيطر على جزء من مصر هذه . وأنا لا أريد أن أتنازل على الإطلاق للملك أبو فيس الذى يحكم معى هذه البلاد من مجرى النهر فيما بعد منف فى اتجاه الجنوب . وعلى الرغم من انه يسيطر على الآشموين فانه لا يوجد أى شخص فى تلك المنطقة إلا وتراه متعبا من خدمة الآسيويين ، سوف أقاومه وسوف أمزقه من أعلى إلى أسفل (أى أبقر بطنه) لأن رغبتي هى أن أحرر مصر وأقضى على هؤلاء الآسيويين " . (١)

ونشأت صداقة بين أمير كوش وحاكم الهكسوس فى آفارس وكانت هناك بعض الاتصالات بين كوش وآفارس . وربما كانت هذه الصلات ذات طابع تعاون ودفاع مشترك . وهذا ما يتضح من الخطاب الذى أرسله ملك الهكسوس إلى أمير كوش يطلب فيه العون وأرسل هذا الخطاب عن طريق رسول تم القبض عليه بواسطة قوات كامس ومنه تبرز حقيقة هى أن كامس حاول التحرش بأمير كوش . وقد تم القبض على هذا الرسول أثناء قيام كامس بحملة بجوار سكو (القوصية) . وبعد أن تم القبض على هذا الرسول والاستيلاء على الرسالة التى كانت فى حوزته أرسله كامس مرة أخرى إلى ملك آفارس لكى يخبره بما حدث . (٢)

وفى هذه الرسالة يحيى ملك الهكسوس أمير كوش ويخاطبه فيها بأنه " ولده " ويعتب عليه انه لم يخبره عن ارتقائه عرش مملكته ويخبره عن هجوم كامس .

(١) وولتر إمري : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة هندوسة) الهيئة المصرية

العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٧ ؛ د. رمضان عبده : المرجع

السابق ، الجزء الثالث ، ص ٤٤ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٨٤ .

ويذكره ببعض الهجمات الأولى للطيبين على كوش ويحثه على مهاجمة حدود مصر الجنوبية عندما يتقدم الملك كامس إلى الشمال ، ويقول الملك :

" قبضت على رسول له ، بعيدا عن الواحة ، مسافرا جنوبا نحو كوش ومعه رسالة مكتوبة من حاكم آفارس : أنا عا اوسررع ابن رع اببى احيى ابن حاكم كوش . كيف أصبحت قائدا دون علمي : ألم تسمع بالذى فعلته مصر ضدى . إن القائد المصرى كامس العظيم طردنى من أرضى ولم أصل إليه بعد . وبعد كل ما فعله ضدك فقد اختار تدمير الأرضيين ، أرضى وأرضك وتخريبهما . أبحر حالا إلى الشمال ولا تكن خائفا . انظر انه هنا معى ... لن ادعه يرحل قبل أن تصل . حينئذ سنقسم مدن مصر هذه بيننا ". (١)

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة اتبع الملوك السياسة نفسها التى كانت متبعة من قبل ونعلم أن نقوش قائد الأسطول أحمس بن أبانا التى تركها فى مقبرته فى الكاب أن الملك أحمس (حوالى ١٥٧٠ ق. م) بعد أن قضى على فلول الهكسوس فى الشمال اتجه إلى " خنت إن نفر " وهى تقع فى الجنوب بعد الجندل الثانى لكى يقضى على القبائل المشاغبة هناك . ويذكر لنا أحمس بن أبانا أن معركة كبيرة دارت بينه وبين هذه القبائل . (٢)

ويقول : " وبعد ذلك نزل جلالته مجرى النهر ، سعيدا بنصره العظيم لأنه هزم من هم فى الشمال ومن هم فى الجنوب " . (٣)

(١) وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ١٩٩٧م ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٧ ؛ وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

وفى نقوش الملك أمنحتب الأول (١٥٤٥ ق. م) يقول " أن جلالتة أبحر جنوبا إلى كوش ليوسع حدود مصر " ، " وضرب جلالتة قائد الجيش الكوشى " ويستمر النص فيقول " وبعد أن ساق كل قومه أسرى مع قطعانهم عاد الملك مبحرا إلى مصر ، فى رحلة استغرقت يومين " . ويبدو أن هذه الحملة قد وقعت فى العام الثامن من حكم هذا الملك .^(١) ويرى إمري أن هذه المعركة وقعت جنوب سمنا ولهذا فمن الصعب قطع هذه المسافة الكبيرة فى يومين .^(٢)

وقد بدأ الملك تحوتمس الأول (١٥٣٠ ق. م) سياسته العسكرية بحملة ضد الجنوب وبفضلها مد حدود مصر الجنوبية حتى تومبوس التى تبعد قليلا عن الجندل الثالث . وعثر له على نقش يمجّد الملك بهذه الكلمات ويتحدث عن إنجازاته :

" لقد أخضع رئيس الجنوبيين ، وقبض بيده على الأعداء وربط حدوده على ضفتى نهر النيل ، حتى انه لم يكن يوجد رجل واحد بين الشعوب ذوات الشعور القصيرة قادرة على مهاجمته لأنه لم ينجح أحد من كل هؤلاء الذين حاولوا مهاجمته من قبل . وسقطت كل القبائل بفعل السلاح وتناثرت جثثهم على كل أراضيه " ولم تجرؤ أية قبيلة معادية على التقدم أمام قلعة الحدود لأن مجد جلالتة قد أبهرهم مثل الفهد الصغير فى وسط قطيع متفرق " .^(٣) كما يحدثنا أحمس بن أبانا فى نقوشه عن هذه المعارك ، فيقول : " جاءت سفينة الملك (تحوتمس الأول) المبجل عند إبحاره جنوبا إلى خنت- إن- نفر لتخمد الثورة فى المرتفعات وليوقف الغارات فى منطقة التلال . وأظهرت شجاعة أمامه فى المياه الصعبة وفى قيادة السفينة عند المنحنى (دنقله) فكافأنى (الملك) وعيننى قائد للأسطول وجئ بأهلهم كأسرى أحياء ..

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٥٧ ؛ د. رمضان عبده : المرجع

السابق ، ص ٧٨ ؛ وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٢) وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٩٠ ؛ وولتر إمري : المرجع السابق ،

وأبحر جلالته جنوبا وكل البلاد في قبضته " (١).

كما ترك لنا نورى نصا آخر عند الجندل الأول مسجلا فيه أن الملك اضطر ، قبل الإبحار متقدما نحو عاصمته طيبة ، أن يظهر قناة سنوسرت الثالث التى كانت قد امتلأت بالحصى . وقام بهذا العمل فى السنة الثالثة بعد انتهاء الحملة . وهناك أدلة على أن تحوتمس الأول ، شيد سلسلة حصون فى تومبوس وعلى جزيرة ساي ولاشك أنه أعاد ترميم العديد من حصون الدولة الوسطى ووسع بعضها . ويبدو أن هذا العمل العظيم أنجز تحت إشراف نائب الملك حاكم كوش نورى ولا شك أنه فى آخر حكمه كانت بلاد النوبة كلها ودنقلة أيضا تحت سيطرة يد قوية (٢).

وهكذا نجح الملك فى إعادة الهدوء وضم كل بلاد النوبة جنوبا حتى أبو حمد الحالية فى جرجوس . وجعل المنطقة ابتداء من الكاب شمالى إدفو حتى آخر حدوده فى السنوبة السفلى وحدة واحدة يحكمها موظف أطلق عليه " الابن الملكى (حاكم) كوش " (٣).

وبدأ تحوتمس الثانى حكمه (١٥٢٠ ق. م) بالقضاء على ثورة فى الجنوب بالقرب من المناطق المتاخمة لبلاد كوش ، ولم يقم بحملة تأديبية لأنه اكتفى بالقضاء على تمرد بسيط بمساعدة القوات التى كانت تقطن فى المنطقة وذلك قبل وصول قوات الملك . ولكنه وصل حتى الجندل الأول ، واستعرض الأسرى الذين جئ بهم من الجنوب . وقد جاء ذكر هذه الثورة فى بلاد كوش على لوحة أقيمت على الطريق بين أسوان وفيله . وتذكر نقوشها أنه لما علم جلالته بذلك ثار كالفهد ، وأقسم أنه لن يدع أى رجل من هؤلاء حيا . وبالفعل قضى على كل هؤلاء الثوار (٤).

(١) وولترى إمري : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٤) وولترى إمري : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

وهكذا انتهت هذه الحملة التأديبية ، وبعد أسر أمراء كوش ، عاد السلام واستمر سائدا فى الجنوب لعدة سنين مقبلة . ولقد عثر على اسم الملك تحوتمس الثانى فى برقل ودكه .^(١) أما الملكة حاتشبسوت التى تلت تحوتمس الثانى على العرش . فلم تجد ضرورة لجهود حربية فى النوبة لأن الأراضى الجنوبية بقيت فى سلام خلال حكمها ولقد شيدت الملكة معبدا فى بوهن لا يزال يحتفظ بمعالمه المعمارية ومناظره الملونة التى يمكن اعتبارها من أجمل ما عثر عليه فى النوبة .^(٢)

وفى نهاية حكم تحوتمس الثالث (١٥٠٤ ق. م) استغل الملك قيام ثورة محلية فى الجنوب فذهب إلى هناك وقضى عليها ولا نعرف تماما الحدود الجنوبية التى وصل إليها ، وربما وصل إلى الجندل الرابع حيث عثر هناك على لوحة فى جبل برقل تخلد ذكرى هذا الانتصار . وقد خلد ذكر انتصاراته فى النوبة على الصرحين السادس والسابع بالكرنك وذكر أسماء العديد من المناطق الجنوبية التى استولى عليها .^(٣) ويرى بعض العلماء أن هذه الحملة لم تكن إلا استعراضا لقوة الملك العسكرية . وأصبحت واوات جزءا مكملا لمصر . وفى حوليات تحوتمس الثالث كانت جزية واوات وكوش كما يلى :

كميات من الذهب وأعداد من الماشية وكميات من سن الفيل وأبنوس وعاج وعدد غير معروف من الأسرى .^(٤) وبلغت كمية الذهب التى تم الاستيلاء عليها أكثر من ثمانمائة واثنين وعشرين ألف دين وكانت ذات تأثير كبير لكثرتها فقد كانت الأشياء الأخرى قليلة جدا . وربما كان هذا شاهدا على فقر البلاد بعد الحروب .

وفى أثناء حكم تحوتمس الثالث وصلت إدارة بلاد النوبة التى كانت فى يد الحاكم " نعى " إلى أعلى المستويات .. ومن الواضح أن العمل فى مناجم الذهب

(١) وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ١٢٨ .

(٤) وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

وكذلك الطرق التجارية قد تمتعا بالأمان فلم تقلقها غارات البدو . وكان من الطبيعي أن يتجه الملك فى سياسته البعيدة المدى إلى تطهير قناة سنوسرت الثالث عند الجندل الأول .^(١) أما عصر أمنحتب الثانى (١٤٥٠ ق . م) فكان عصرا يسوده السلام فى الجنوب ولهذا أكمل عملية البناء الضخمة التى بدأها أسلافه فى النوبة ويبدو أنه أكمل بناء المعبد الأصلى فى كلابشة . وأمر بنحت مقصورة فى قصر ابريم .^(٢)

وفى عصر تحوتمس الرابع (١٤٢٣ ق . م) اندلعت الثورة فى الجنوب فى العام الثامن من حكمه . وطبقا لنص منقوش على صخور جزيرة كونوسو عند الجندل الأول وصلت أنباء ثورة فى واوات حركتها غارة من عناصر كوشية . وانتهى الأمر بإخماد الثورة ورجوع الملك إلى عاصمته مصطحبا عدد من الأسرى وضعوا فى ملحق عند معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة . ولقد عثر على لوحة فى سور المعبد تقول : " فرقة كوش التى أحضرها جلالته بعد انتصاراته " .^(٣)

خلفه ابنه أمنحتب الثالث (١٤١٠ ق . م) الذى قام بحملة ضد القبائل الجنوبية المشاغبة وكان هذا فى السنة الخامسة من حكمه . وكانت تبدو كأنها حملة تأديبية أكثر منها حملة حربية وكلف الحاكم مرمس بتجنيد فرقة نوبية من مناطق كوبان وعنيبة . ولقد سجلت هذه الحملة على لوحة فى سمنة تتضمن قائمة للأسرى .^(٤) وشيد الملك فى صولب أجمل معبد فى الجنوب شيده من الحجر الرملى .

وشيد أيضا معبدا لزوجته تى فى سدنجا شمالى صولب ولم يبق منه إلا عمود واحد ، واستمر الهدوء فى بلاد النوبة أثناء فترة حكم أمنحتب الرابع وخليفته سمنخ كارع . وتحت حكم توت عنخ آمون الذى أصبح ملكا عام ١٣٦٢ ق . م . كان " حوى " حاكما لبلاد النوبة آنذاك قد شيد مقبرة له فى طيبة تصور نقوشها أنواع

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

الجزية التى أحضرت من كوش من سبائك ذهبية وفضية وأوان من الذهب والفضة وعسبة ودروع وأثاث .^(١) ووصلت هذه الجزية عن طريق ست سفن : " الوصول من كوش حاملين هذه الجزية الطيبة من أحسن وأنقى ما فى المناطق الجنوبية برئاسة ابن الملك حاكم كوش حوى عند مدينة الجنوب طيبة .^(٢) وفى بداية الأسرة التاسعة لم تسجل أية حروب فى النوبة أثناء الحكم القصير للملك رمسيس الأول . أما خليفته الملك سي تي الأول الذى اعتلى العرش فى عام ١٣١٣ ق . م . فلقد وجه عنايته إلى العمل فى مناجم الذهب فى النوبة ولهذا قام بحفر بئر فى المناطق التى لا تصل إليها المياه لتأمين بعثات التعدين .

وفى عصر رمسيس الثانى (١٢٩٠ ق . م) قام بحملات تأديبية على الحدود الجنوبية حتى يحافظ على الهدوء والسلام اللذين سادا الأراضى الجنوبية عامة والدليل على ذلك هو نشاط الملك المعمارى فى بلاد النوبة ولم يكن فى استطاعته القيام بذلك لو أن أرض بلاد النوبة كانت فى حروب مستمرة . واتجه اهتمام رمسيس الثانى فى السنة الثالثة من حكمه إلى تنمية مناجم الذهب وخاصة مناجم أكيتا التى تشبه مناجم وادى العلاقى .^(٣)

وبعد وفاة رمسيس الثانى فى عام ١٢٣٤ ق . م . خلفه ابنه مرنبتاح ترك لنا لوحة فى معبد عمدا تسجيل حديثا وجهه لرعاياه فى الجنوب مطالباً إياهم بمزيد من الجهود الحربية للمحافظة على أمن الحدود الجنوبية .^(٤)

وفى عصر الأسرة العشرين عثر على اسم الملك رمسيس الثالث فى معبد عند حصن سمنا .

(١) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

وفي نهاية الأسرة الثالثة والعشرين تطورت الأمور في الجنوب في نباتا وكوش ، وابتداء من هذه الفترة بدأت تنعكس دفة الأمور وبدأ ملوك الجنوب وحكامه الأقوياء يفكرون في غزو أراضي مصر نظرا لضعف الوضع السياسى فى داخل البلاد . وكانت بلاد النوبة العليا (كوش) قد انفصلت عن مصر فى بداية حكم الهكسوس لمصر . وفى بداية الأمر قامت إمارة كوش وكان يرأسها زعماء أو حكام مستقلين .^(١) وذلك فى الفترة التى يقابلها فى مصر الأسرة الرابعة عشرة إلى بداية الثامنة عشرة أى من عام ١٧٣٠ إلى ١٥٨٠ ق.م.^(٢) ثم قامت بعد ذلك مملكة فى كوش التى استمرت فترة طويلة فى الفترة من الأسرة الخامسة والعشرين (أى حوالى ٧٤٨ - ٦٦٤ ق.م) إلى ٣٥٠ ميلادية . وانقسم عصر هذه المملكة إلى عشرين :

- عصر مملكة نباتا من ٧٤٨ إلى ٢٩٥ ق.م .

- عصر مملكة مروي من ٢٩٥ ق.م . إلى ٣٥٠ ميلادية .^(٣)

ونجح ملوك نباتا الأوائل فى غزو مصر وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين بها . وكما نعلم أن بعنخى تولى الحكم فى مملكة نباتا عام ٧٤٨ واستمر يحكم حتى عام ٧١٢ منها أربع تقريبا فى مصر . أى أن حكم ملوك نباتا لمصر استمر لمدة حوالى أربعة وثمانين عاما أى فى الفترة من ٨٤٧ إلى ٦٦٤ ق.م.^(٤) وأصبح المعبود آمون هو المعبود الرسمى للأسرة الملكية الحاكمة فى نباتا .

(١) تقع نباتا عند الجندل الرابع جنوب دنقله ومروى عند الجندل السادس شمال الخرطوم، راجع: وولتر امرى: مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة هندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠، المقدمة انظر الخريطة .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٠ ، ١٨٨ .

(٤) يرى إمري (المرجع السابق ، ص ٢٣١) إن سيادة ملوك نباتا على مصر امتدت حوالى سبعين عاما .

وكان أول ملوك الأسرة فى نباتا هو الملك ألرا ، وكان مواليا لعبادة آمون . وبعد ذلك تولى شقيقه كاشاتا ، الذى أخذ يعد العدة لغزو مصر .^(١) واستطاع الاستيلاء على جزء من صعيد مصر ، واستولى على طيبة وأجبر الملك أوسركون الثالث الذى كان يحكم فى طيبة على التقهقر إلى الدلتا .^(٢)

وتوفى كاشاتا عام ٧٥١ ق.م. وجاء من بعده ابنه بعنخى (٧٤٨ - ٧١٢ ق.م) الذى صمم على إتمام ما بدأه أبوه لفتح شمال الوادى وتوحيده تحت زعامة نباتا ، وتحدث بعنخى عن حروبه فى نصوص لوحة من الحجر الجيرى عثر عليها عام ١٨٦٢ فى معبد آمون بجبل برقل وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم JE 48862 ، وحينما أمر بعنخى قواته بالتقدم شمالا لإعادة الأمور إلى نصابها فى مصر ، كان يوصهم خيرا بمدينة آمون فيقول :^(٣)

" إذا ما وصلتكم مدينة طيبة ، وواجهتم معبد الكرنك ، فأنزلوا إلى الماء وتطهروا فى النهر ، ثم ارتدوا ملابسكم قبل أن تخرجوا إلى الشاطئ ، اخفضوا القوس ، وفكوا السهام ولا تتباهوا أمام معبود القوة (آمون) فليس هناك من شجاعة بدونه ، فهو يجعل من الضعيف قويا ، ويجعل الكثرة تعطى ظهرها للقلّة ، والرجل الفرد يغلب ألفا ، وانثروا مياه قرابينه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وقولوا له : أهدنا الطريق ، فكلنا يحارب فى ظل بأسك ، فالجيش الذى يقوده ينتصر ، وتخضع له الكثرة .^(٤) ونزل جيش بعنخى النيل فوق أسطول ضخم ، ووصل إلى طيبة ، وبعد أن تلقى بركة آمون تابع طريقه فى النيل وتقابل مع أسطول تف نخت الأمير الوطنى من سليس والذى كان يصعد النيل فى اتجاه طيبة ، واندفعت قوات بعنخى حتى

(١) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ١١٠ ؛ وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٥ . قام بدراسة هذه اللوحة حديثا :

Grimal, la Stèle Triomphale de Pi (ankh)y, IFAO CV (1981), p. 224-226 .

هيراقليوبوليس حيث كان يوجد تف نخت على رأس تحالف مكون من أمراء هرموبوليس وليونتوبوليس وبوبسطة . وكان القتال برا وبحرا ، وتلقى المتحالفون من الشمال أول هزيمة لهم فى منطقة بحر يوسف . واضطر تف نخت وحلفاؤه للانسحاب إلى الدلتا . وعندما وصلت قوات جيش بعنخى إلى هذا الحد ترددت ورأت انه من الأفضل لها العودة نحو الجنوب . وعندما وصلت هذه الأخبار إلى بعنخى فى نباتا ، أظهر نوعا من الضيق لأن جيشه لم يواصل انتصاراته وغزا الدلتا . وقرر على التو الذهاب بنفسه إلى مصر وبدأت قواته تقتحم هرموبوليس والبهنسا وطهنا واللاهون ومنف وهليوبوليس وأتريب وبعدها اتجه إلى الدلتا .^(١) وبعد ذلك تم له غزو البلاد كلها . ويعد بعنخى هو المؤسس الرئيسى للأسرة الخامسة والعشرين فى مصر ، وذلك بعد هزيمة تف نخت . ولا نعرف حتى الآن الأسباب التى أدت إلى عودة بعنخى المفاجئة إلى نباتا . ولكن نعلم انه حكم على عرش نباتا ومصر حوالى خمسة وثلاثين عاما .^(٢) (اى من حوالى عام ٧٤٨ إلى عام ٧١٢ ق. م) . وانه حكم على مصر لمدة أربع سنوات فقط من عام ٧٣٦ إلى عام ٧٣٢ ق. م.^(٣)

وبعد ذلك جاء شاباكا خليفة بعنخى وأعاد غزو مصر كلها (٧١٢ - ٦٩٨ ق. م) وهو الذى أنهى حكم الأسرة الرابعة والعشرين . وأقام شاباكا فى معبد الكرنك أجزاء معمارية هامة . وفى الكرنك أرخ تسجيل ارتفاع مياه الفيضان بالعام الثانى من حكمه .^(٤) وهو الذى قرر أن يوحد المملكة المصرية ومملكة نباتا فى مملكة واحدة كبيرة وعندما حاول باك إن رن إف ثانى ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ٧١٦ - ٧١١ ق. م. التصدى لغزو شاباكا للدلتا لقي حتفه ، ويعد ذلك هو الغزو الكوشى الثانى لمصر ، ثم أصبحت البلاد كلها خاضعة تحت لواء حكم شاباكا بعد أن قامت الأسرة الخامسة والعشرين (أعوام ٧٤٨ - ٦٦٤ ق. م) . وحكم فيها بعد بعنخى أربعة ملوك :

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، طبعة ١٩٩٧ ، ص ٣٨٧ - ٣٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، مر ٣٩٧ حاشية (١) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

شاباكا (٧١٢ - ٦٩٨ ق.م) ، شاباتاكا (٦٩٨ - ٦٩٠ ق.م) ، طهرقا (٦٩٠ - ٦٤٤ ق.م) ، تانوت آمون (٦٦٤ - ٦٦٣ ق.م)^(١) . و انتهت هذه الأسرة الكوشية بالغزو الآشوري لمصر ثلاث مرات ، الأولى فى عام ٦٧١ ق.م . والثانية فى عام ٦٦٦ ق.م . الثالثة عام ٦٦٤ ق.م . وأرغم تانوت آمون على الفرار فيما وراء الحدود الجنوبية إلى نباتا وعاد إلى كوش وتوفى ودفن فى كورو . وهو يعد آخر ملك فى سلسلة ملوك نباتا الذين حكموا مصر . ولن نرى أى ملك من هذه السلالة يحكم مصر بعد ذلك . ولكن هذه السلالة استمرت وعاشت لعدة قرون بعد ذلك فى منطقتى مروي ونباتا .

وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين بدأت كوش تعد العدة من جديد للهجوم على حدود مصر الجنوبية (٥٩٤ ق.م) وأحس الملك بسماتيك الثانى ثالث ملوك الأسرة (٥٩٤ - ٥٨٨ ق.م) بهذا الخطر فأرسل جيشا مكونا من قوات مصرية ومرتزقة من الكاريبيين والدرونيين والفينيقيين واليهود . وكان القائد بوتاسيمتو أولئك الذين يتحدثون لغة أجنبية . وكان يقود القوات المصرية القائد المصرى أمازيس وعبرت القوات النوبة العليا ووصلوا إلى نباتا وربما تتبعوا الأعداء حتى الجندل الرابع (برقل ودنقله القديمة) . وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين عثر عليهما فى تانيس والكرنك . وعند عودة هؤلاء المرتزقة نقشوا على ركبة أحد تماثيل رمسيس الثانى الضخمة أمام معبد أبو سمبل النقوش اليونانية الشهيرة لبوتاسيمتو^(٢) وبعد هذه الحملة قام الملك بسماتيك بمحو كل أسماء ملوك نباتا مثل

(١) يعطى ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة د. أحمد موسى ود. أحمد يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية العدد ٢٧ ، ١٩٩٨ ، ص ٥٦ التواريخ الآتية : بعنخي (٧٥١ - ٧١٦ ق.م) ، شاباكا (٧١٦ - ٧٠١ ق.م) ، شاباتاكا (٧٠١ - ٦٩٠ ق.م) ، طهرقا (٦٩٠ - ٦٦٤ ق.م) ، تانوت آمون (٦٦٤ - ٦٤٤ ق.م) .

(٢) ترجم هذا النص المكون من خمسة أسطر إلى العربية فى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦-٣٤٧ ، ونقرأ فى السطرين ٣-٤ : " إذا صعدوا إلى كركيس بقدر ما مكنهم النهر من المسير إذا كان بوتاسيمتو يقود الأجانب وأمازيس المصريين " .

بعنخى وطهرقا من على كل الآثار (١).

(ب) علاقات ود وتعاون مشترك :

لم تكن العلاقات متوترة بصفة مستمرة مع أهل الجنوب ولكن نعرف من نصوص عصر الدولة القديمة أن مصر كانت تستعين بجنود من عناصر المجاو في جيشها وخاصة كحراس للمناطق الحدودية وكحرس خاص للملك ورجال شرطة . ويذكر د. بكر إن مصر كانت تستعين بأهل كوش كمحاربين أقوياء منذ عصر الأسرة السادسة . وفي العصر الأهناسي حتى قيام الدولة الوسطى لعبت القوات الكوشية دورا هاما أثناء الخلافات بين بيوتات الحكم المتنازعة على عرش مصر في كل من مصر الوسطى والصعيد . وقد حفظ لنا أحد حكام الأقاليم في مصر الوسطى ويدعو " مسحتى " في مقبرته بأسقوط ، نموذجا فريدا لفصيلة من المحاربين من أهل كوش ، الذين تخصصوا في حمل الأقواس ودقة التصويب بالنبال . (٢) ونعلم أن الملك أحمس أثناء حرب التحرير ضد الهكسوس استعان بقوات من المجاو التي أصبحت تعمل أمره القيادة المصرية وتمثل أفضل العناصر المحاربة وأشدّها صلابة في القوات المتقدمة .

واستمرت شهرة جنود كوش كمحاربين أقوياء . فكان الملوك المصريين يحرصون على استدعاء نفر منهم ليكونوا ضمن حرسهم الخاص . ففي عصر تحوتمس الثالث ذكر انه اختار عشرة رجال من كوش ليصبحوا ضمن حرسه الخاص . (٣)

وكان حامل المروحة الخاص بالملك توت عنخ آمون من أهل كوش .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٤٢٨ .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

وفى المقبرة رقم ١٨ بالبر الغربى بطيبة نرى نقشا لثلاثة أشخاص كان أحدهم يحمل لقب " رئيس فرق الشرطة الكوشية " ولوحظ أنه صور وفى يده قوس . وهو السلاح الذى طالما برع سكان جنوب مصر فى استخدامه .^(١)

وكان الغرض من تبنى ابنة بعنخى كعابدة مقدسة لآمون هو السيطرة على نفوذ كهنة آمون وأملاكهم .^(٢)

وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، كان ضمن قوات الملك نكاو الثانى ثانى ملوك الأسرة (٦٠٩ - ٥٩٤ ق . م) مرتزقة من كوش وليبيا .

(ج) **تأثر الجنوب بنظم الحكم المصرية والاستعانة بالخبرة المصرية فى هذا المجال :**

تطلب الأمر عند قيام دولة كوش الاستعانة بعدد من رجال الإدارة المدربين من مصر للعمل فى المراكز الإدارية ، حيث شاركوا فى إنشاء جهاز إدارى منظم ، على نمط ما كان موجودا فى مصر فى عصر الدولة الحديثة وما قبلها .^(٣) وكان من نتيجة ذلك أن استقرت بعض العائلات المصرية فى بعض الأماكن فى كوش . وفى الواقع أن سياسة ملوك الدولة الحديثة تجاه كوش كانت تهدف إلى التعاون مع أهل البلاد ، حيث سمح للأمراء المحليين أن يستمروا فى حكم مقاطعاتهم ومدنهم ، كما سمح لأبناء الأمراء الكوشيين بأن يتربوا فى القصر الملكى مع أولاد الملك ليألفوا مظاهر الحضارة المصرية ، وليتم إعدادهم إعدادا خاصا ليخلفوا آبائهم فى حكم أقاليمهم .^(٤)

وبعد أن أعيد ضم بلاد النوبة إلى مصر فى أوائل الدولة الحديثة . أصبحت بلاد النوبة بقسميها واوات وكوش تحت إشراف أحد كبار رجال الدولة ، وكان يختار

(١) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ٢١٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

من بين رجال الدولة المصريين ليس من الأسرة المالكة ويحمل لقب " نائب الملك أو ابن الملك حاكم كوش " . ويلاحظ أن معظم من حملوا هذا اللقب كانوا أصلاً من طيبة وقد تركوا لنا آثاراً عديدة وبخاصة في دائرة عملهم منها العديد من اللوحات والتماثيل . وكانت أحياناً عبارة عن مقاصير حجرية كاملة أو نقوش صخرية . ومعنى ذلك أن إقامة مقاصير للعبادة بواسطة نائب الملك في كوش إنما يشير إلى مدى النفوذ المطلق الذى منحه الملك المصرى لشاغل ذلك المنصب وينبغى أن نذكر أن اسم الملك ظل يحتل مكان الصدارة فى نقوش هذه المقاصير .^(١)

وكان نائب الملك فى كوش يشرف على المنطقة الواقعة جنوبى مصر التى امتدت من الكاب شمالاً حتى نباتا جنوباً وربما إلى أبعد من ذلك . وكان تحت إمرته العاملون فى الجهازين العسكرى والإدارى وعلى رأسهم قائد الجيش وكان يلقب بلقب رئيس الرماة ، يليه اثنان من المستشارين يختص أحدهما بالجزء الشمالى " واوات " والآخر بالجزء الجنوبى " كوش " .^(٢) ويضاف إلى واجباته الإشراف على جميع شئون البلاد وتقديم الجزية فى موعدها حيث يقوم نائب الملك فى كوش على رأس الوفد المحلى المرافق لحاملى الجزية ويشرف بنفسه على تسليمها لوزير الخزانة فى احتفال كبير ، يحضره عدد من الأمراء المحليين الذين يفدون فى صحبة نائب الملك إلى طيبة . وقد قسمت بلاد كوش إلى خمسة أقسام ، يحكم كل قسم منها أمير محلى معنى ذلك أن أمراء البلاد المحليين شاركوا فعلاً فى إدارة دفة الحكم أيام الدولة الحديثة كل أمير فى منطقته .^(٣) وفى نفس الوقت كان عليهم الالتزام بجانب الوفاء لنائب الملك المصرى فى كوش .

وبلغ عدد نواب الملك حكام كوش فى الفترة من الأسرة الثامنة عشرة حتى

(١) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

الأسرة الحادية والعشرين ثلاثين شخصا .^(١) (ثلاثة عشر نائبا من الأسرة الثامنة عشرة و سبعة عشر نائبا من عصر الأسرات التاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين) .

ومن أهم المناظر المسجلة في مقابر " نواب الملك في كوش " والمنحوتة في البر الغربى بطيبة ، نرى مواكب تقديم منتجات كوش وجزيئها .^(٢) وتبين هذه المناظر مدى تأثير مظاهر الحضارة المصرية على سكان كوش . فنرى أن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية يرتدون الأزياء المصرية . ونرى في مقبرة آمون مس ورخمى رع مناظر تمثل منتجات كوش أهمها الذهب والعاج والبخور وجلود الحيوانات وبيض النعام والماشية والزراف والقردة . وفي مقبرتي حور وقن آمون نرى بعض الأدوات من كوش مثل قطع الأثاث والعجلات والمراوح وريش النعام والدروع .^(٣)

أما بالنسبة للشمال ، فكانت هناك علاقات ما بين الشاطئ المصرى وجزر بحر ايجه منذ أقدم العصور ، فإذا تحدثنا عن المادة الأثرية المصرية نقول أنه عثر في قصر كنوسوس على آثار مصرية ترجع إلى عصور ما قبل الأسرات وبداية الأسرات ، فقد عثر بقصر كنوسوس على الآثار الآتية :

- إنشاء من الحجر الرخامى الملون يبلغ ارتفاعه ١١ سم ، وقد عثر عليه فى شمال غرب القصر ، والآخر موجود الآن بمتحف كانديا تحت رقم ٢٠٩٢ .
- الجزء الأسفل من إنشاء من الحجر الرخامى الملون .
- رأس حربة من حجر الديوريت كمثرية الشكل ، وهو محفوظ الآن فى متحف الأشموليان باكسفورد تحت رقم ٨٣٨ .

(١) المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

- إناء من الحجر الرخامى الملون ويرجع تاريخه إلى عصر الأسرتين الأولى والثانية. (١)

ويرى بعض العلماء أن هذه الأوانى الحجرية المصرية قد ذهبت إلى جزر بحر ايجيه فى مراكب سورية أو كريتيه كسلعة قيمة للتجار فيها. (٢) ومن جهة أخرى عثر على بقايا آثار كريتيه أو ايجيه فى مقابر الأسرة الأولى فى مصر . فقد عثر بترى على فخار ايجى فى مقبرة جر بأبيدوس وكذلك مقبرة وديمو . (٣)

وعثر من عصر الأسرة الحادية عشرة على منظر نقش على قطعة من حجر إحدى المقابر ظهر فيه بعض المينويين الذين جاءوا إلى الوزير المصرى يحملون بعض السبائك المعدنية كهدية له . ومن منظرهم ما يدل على انهم ايجيين. (٤) وعثر على آثار مصرية أخرى فى بعض المواقع الكريتية والتي ترجع إلى عصر الأسرة نفسها . ففي منطقة المقابر فى جنوب جزيرة كريت ، فى آجيوس انفريوس عثر على ثلاثة جعارين من الأسرة الثانية عشرة وفى منطقة اجيا تريادا عثر على خاتم أسطوانى عليه رسم لزهرة اللوتس ، من العصر نفسه ، كما عثر على تميمة من اللازورد . (٥)

وفى منطقة بسيخرو عثر على جعل من الأمايست ظهر عليه قرص الشمس ويرجع كذلك إلى عصر الأسرة الثانية عشرة . وفى منطقة بلاى كاسترو عثر على تمثالين لرجلين مصريين صغيرين من العاج محفوظان بمتحف كانديا تحت رقمى ١٤٢-١٤٣. (٦)

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٦١ (أ- د) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ٦١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٠-١٤٢ لوحة ٢٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٥-١٤٦ لوحة ٣٠ .

وعثر في بلاتانوس على جعل من الحجر الجيرى . وفي منطقة جورنس
عثر على حبات خرز من القيشانى . وفي منطقة كنوسوس عثر على النصف الأسفل
لتمثال مصرى وهو لأحد الموظفين المصريين الذى يدعى اوسر ، أرجعه بعض
العلماء إلى عهد الملك أمنمحات الأول أو بعد ذلك .^(١) وقد عثر على هذا التمثال فى
القصر الملكى فى شمال غرب الفناء الأوسط ، والأثر موجود الآن فى متحف كانديا
تحت رقم ٩٥ . وربما كان اوسر هذا مبعوثا مصريا أرسل فى مهمة رسمية إلى
كريت . أو أن صاحب التمثال حضر بنفسه إلى كنوسوس لتحقيق منفعة شخصية .
أو انه مكث فى داخل القصر ورغب فى أن يترك ذكرى له داخل جدرانه .^(٢)

ومن ناحية أخرى عثر تحت أرضية معبود الطود جنوبى الأقصر على
أربعة صناديق كان ضمن محتوياتها مصوغات أو حلى ذات طراز ايجى . ويرجع
هذا الكنز إلى عهد الملك أمنمحات الثانى .^(٣) وعثر كذلك على فخار كريتى فى مدينة
اللاهون ، وهى المدينة التى شيدت فى عهد سنوسرت الثانى ، وهى عبارة عن أوانى
من الفخار الكريتى الذى عرف باسم الفخار الكامارى .^(٤)

وعثر على غطاء مصنوع من الألباستر والذى يحمل اسم خيان ملك
الهكسوس فى كنوسوس ، مما يدل على أن العلاقات التجارية بين مصر وكريت لم
تنقطع أثناء حكم الهكسوس .^(٥) وعثر فى ميكناي فى كريت على عدة آثار مصرية
من عصر الدولة الحديثة فقد عثر على تمثال لبابون من القيشانى الأزرق نقش على
كتفه الأيمن اسم أمنحتب الثانى .^(٦) وهو محفوظة الآن بمتحف أثينا تحت رقم

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧ - ١٥٠ لوحة ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥١ - ١٥٦ لوحة ٣٢ - ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٤ - ١٥٧ لوحة ٣٤ - ٣٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

٤٥٧٣ . وعثر على جعل نقش عليه اسم الملكة تى زوجة الملك أمنحتب الثالث محفوظ بمتحف أثينا تحت رقم ٢٥٣٠ وعثر كذلك على قطعة من أنية من القيشانى الأزرق عليها اسم الملك أمنحتب الثالث . (١)

ومن الدولة القديمة عثر فى بلاد اليونان على أنية من المرمر فى جزيرة سريجو بالقرب من الشاطئ الجنوبى لليونان عليها اسم وسر كاف أول ملوك الأسرة الخامسة . (٢) وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة عثر فى بلاد اليونان على جعل من الحجر عليه نقش لعلامة عنخ نقشت أمام تمثال لأبى الهول المجنح ، وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى . (٣)

وعثر أيضا فى إسبرطة على جعل من القيشانى الأزرق عليه منظر غير واضح . (٤)

أما عن ذكر المناطق الشمالية : الحاو نبوت وبلاد كفتيو والجزر التى تقع فى وسط الأخضر العظيم ومينوى واسى (قبرص) فى النصوص المصرية وتمثيل شعوبهم فى مقابر عصر الدولة الحديثة نقول :

إن فركوته قام فى مؤلفه عن " مصر والعالم الايجى قبل الهليني " بدراسة هامة تناول فى الجزء الأول منها ما يلى :

أولا : من هم الحاو - نبوت ؟

قام بعرض مختلف الآراء بالنسبة لهذه الشعوب ، فمنذ عصر الدولة القديمة كانت تشير إلى شعوب غير محددة التى تقع فى الشمال الشرقى لحدود مصر . وفى

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ١٧٩ .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ - ٢٤٦ لوحة ٤٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

عصر الدولتين الوسطى والحديثة كانت تشير إلى الآسيويين فى شمال شرق مصر .
وفى نهاية الدولة الحديثة أصبحت تشير إلى البرابرة أو الأجانب بوجه عام . ويرى
فركوته أن هذا التعبير الغامض يشير إلى شعوب الساحل الآسيوى البعيد .^(١)

وفى رأينا أن هذا التعبير يتكون من جزئين : H3w بمعنى " فيما وراء " ^(٢)
و nbwt بمعنى " حدود " ^(٣) أى أن التعبير يعنى " الشعوب التى (تقطن) فيما وراء
الحدود " (أى الحدود الشمالية لمصر) .

ثانيا : بلاد كفتيو ^(٤) :

عرض أولا المشكلة وأشار إلى آراء العلماء فى هذا الصدد وجاء ذكر
الكفتيو لأول مرة فى النصوص المصرية ، وفى نص إيبور الذى كتب فيما بين
الأسرة الثامنة وبداية الأسرة الحادية عشرة يتحدث عن عدم مجئ الزيوت التى كانت
مخصصة لتحنيط مومياوات الملوك وتأتى من البلاد البعيدة للكفتيو .^(٥) وفى نص
آخر على لوحة من عصر الأسرة الثانية عشرة (سنوسرت الأول) يذكر لنا لقب
" كاهن حورس كفتى " .^(٦) وفى بردية من بداية الأسرة الثامنة عشرة تصف لنا وصفة
طبية جاء ذكر الحمى التى تنتقل عدواها من بلاد كفتيو ^(٧) ، وذكرت أيضا على لوحة
تلميذ من بداية الأسرة الثامنة عشرة وجاء فيها " كون أسماء بلاد كفتيو " .^(٨) وابتداء

Vercoutter, L'Égypte et le monde Égeen, p. 15-32 (2). (١)

Meeks, Alex. I, p. 234; r. 111, p. 183. (٢)

Meeks, op. cit., I, p. 187. (٣)

Vercoutter, op. cit., p. 33-123. (٤)

Id., op. cit., p. 43 (doc. 3) . (٥)

Vercoutter, op. cit., p. 38 (doc. 1) . (٦)

Id., op. cit., p. 39 (doc. 2) . (٧)

Id., op. cit., p. 45 (doc. 4) . (٨)

من عصر تحوتمس الثالث جاء الحديث عن كفتيو فى نصوص عديدة : نص يصف الرعب الذى يسببه جلالته لبلاد الغرب : كفتيو وإسى (قبرص)^(١) ، ومن النصوص التى تخص حملاته فى معبد الكرنك ، نص الحملة التى قام بها فى العام ٣٤ من حكمه على بلاد نهارينا الذى يشير إلى موانئ جلالته التى فتحت لاستقبال أفضل المنتجات التى تحملها سفن الكفتيو .^(٢)

ونص آخر يحدثنا عن سفن شيدت بواسطة أهالى كفتيو ومزودة ببخارة من بنى جنسهم ، وصدرت إلى مصر وكانت تعمل فى ميناء منف^(٣) ، ونص ثالث يحدثنا عن جزية عبارة عن أنية اوشابتى من الفضة من إنتاج بلاد كفتيو .^(٤)

وفى مقابر نبلاء عصر الأسرة الثامنة عشرة تحت حكم تحوتمس الثالث توالى أنواع الجزية والهدايا من بلاد كفتيو . وفى مقبرة رخمى رع جاء ذكر " جزية الكفتيو التى أحضرها أمراء كفتيو والجزر التى فى وسط البحر"^(٥) ، أو التى أحضرها كبير (أو زعيم) بلاد الكفتيو .^(٦)

وأشار بعد ذلك إلى النصوص من عصر أمنحتب الثانى حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة ، وتشير إلى الجزية من بلاد متعددة منها بلاد كفتيو .^(٧) ونص من عصر تحوتمس الرابع يشير إلى أنية حست تحتوى على منتجات كفتيو .^(٨) وفى نص آخر من عصر أمنحتب الثالث يشير إلى البلاد التى هزمها الملك من بينها

Id., op. cit., p. 51 (doc. 5) (١)

Id., op. cit., p. 53 (doc. 6) . (٢)

Id., op. cit., p. 54 (doc. 7) . (٣)

Id., op. cit., p. 55 (doc. 8) . (٤)

Id., op. cit., p. 57-58 (doc. 9 a-b) . (٥)

Id., op. cit., p. 64 (doc. 109) . (٦)

Id., op. cit., p. 68-69 (doc. 11-12) . (٧)

Id., op. cit., p. 75 (doc. 13) . (٨)

بلاد الكفتيو .^(١) (ونحن نشك في أنه وصل إلى هناك ، وربما ذكر ذلك على سبيل
الدعاية الحربية) . ومن عصر هذا الملك تعويذة ضد أمراض سكان الكفتيو .^(٢)

ثم حدثنا بعد ذلك عن نصوص الأسرة التاسعة عشرة : ففي معبد أبيدوس
من عصر رمسيس الثالث ذكر البلاد التي كانت تدين له بالولاء وتحضر له الجزية
من بينها بلاد الكفتيو وإسى (قبرص) .^(٣) ونجد القائمة نفسها في بعض معابد بلاد
النوبة والأقصر لرمسيس الثاني وذكرت فيها بلاد كفتيو .^(٤)

ويمكن القول بأن مصر كانت تستورد الأحجار نصف الكريمة خلال الأسرة
الثامنة عشرة من بلاد كفتيو ، ففي نص يرجع إلى عصر لاحق لعصر رمسيس
الثاني نجد ذكر : " الأحجار ذات اللمعان من بلاد كفتيو " ^(٥) ومن نهاية الأسرة
التاسعة عشرة جاء في بردتين اسم شخص يدعى " الكفتاوى " .^(٦)

ومن عصر الملك رمسيس السادس لدينا نص يحدثنا عن زيارة أمراء
بوزيريس لبلاد الكفتيو .^(٧)

ومن العصر البطلمي تحدثنا بعض النصوص عن البلاد التي كانت ترسل
القمح إلى مصر " من بلاد الكفتيو " ^(٨) وبعض المعادن .^(٩)

Id., op. cit., p. 78-79 (doc. 14-15). (١)

Id., op. cit., p. 82-83 (doc. 16 a-b). (٢)

Id., op. cit., p. 87 (doc. 17). (٣)

Id., op. cit., p. 89 (doc. 18-19). (٤)

Id., op. cit., p. 95 (doc. 20). (٥)

Id., op. cit., p. 96-97 (doc. 21-22). (٦)

Id., op. cit., p. 98 (doc. 23). (٧)

Id., op. cit., p. 100 (doc. 24). (٨)

Id., op. cit., p. 102 (doc. 25). (٩)

ويقال لبطلميوس الثاني وارسينوى أن أهل بلاد الكفتيو يحضرون لك هداياهم ^(١). وفى المناظر التى تمثل مواكب الأقاليم فى معبد كوم أمبو ذكرت بلاد كفتيو مرتين ^(٢). والمقصود هنا بذكرها هو ذكر منتجاتها هدية المعبود الرئيسى للمعبد . وفى معبد إدفو نجد أن من بين الهدايا التى تقدم لحورس منتجات كفتيو ^(٣). ثم تحدث فركوته بعد ذلك عن كيفية كتابة الاسم كفتيو ^(٤) ومعنى الاسم من Kf3 بمعنى " يكون فى المؤخرة أو فى الخلف" ^(٥) ، وأعطانا بعد ذلك قائمة بأشكال الكلمة فى الكتابة ^(٦).

ثالثا : تحدث عن " الجزر التى تقع فى وسط الأخضر العظيم " ^(٧) :

(Iw w ḥryw-ib nw W3d-wr)

عرض أولا مشكلة هذه الجزر ^(٨) ، ثم تحدث عن ذكرها فى النصوص قبل عصر تحوتمس الثالث . وأول ذكر لها فى قصة سنوهي فى نهاية دعاء للمعبودات :

" المعبودات أسياذ مصر وجزر الأخضر العظيم " ^(٩)

وجاء ثانى ذكر فى نص من عصر تحوتمس الأول ، شبه فيه الملك بالمعبود حورس وأن " جزر الأخضر العظيم خضعت له ، والأرض كلها تحت أقدامه " ^(١٠).

(١) Id., op. cit., p. 103 (doc. 26) .

(٢) Id., op. cit., p. 104 - 105 (doc. 26 - 27) .

(٣) راجع فيما بعد النصوص الخاصة ببلاد بونت ، النص رقم (١٣٨) .

(٤) Id., op. cit., p. 106-115 .

(٥) Id., op. cit., p. 116-122 .

(٦) Id., op. cit., p. 122-123 .

(٧) Id., op. cit., p. 125-158 .

(٨) Id., op. cit., p. 125-126 .

(٩) Id., op. cit., p. 127 (doc. 29) .

(١٠) Id., op. cit., p. 128 (doc. 30) .

ثم تحدث عن ذكرها في النصوص المعاصرة لتحتومس الثالث حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة . فعلى نقش حفر حول أنية من الذهب للقائد تحوتى ومحفوظة فى متحف اللوفر نقراً : " إنه كان محل ثقة الملك لكل البلاد الأجنبية والجزر التى فى وسط الأخضر العظيم ، الذى يملأ المخازن باللازورد والفضة " .^(١)

وفى مقبرة وزير تحوتمس الثالث ووسر آمون نقراً نصا يصاحب تمثيل الجزية الأجنبية :

" تلقى الجزية التى أحضرتها قوة جلالته من البلاد الأجنبية الشمالية لقارة آسيا ومن الجزر التى فى وسط البحر ، بواسطة الأمير والحاكم وسر آمون " .^(٢)

وفى نص على لوحة من جبل برقل يتحدث تحوتمس الثالث قائلاً : " لقد قضيت على الأقواس التسعة ، والجزر التى فى وسط الأخضر العظيم ، والحاو نبوت ، والبلاد الأجنبية النائرة " .^(٣)

وفى نص آخر على لوحة لتحتومس الثالث يذكر المعبود آمون فيه أفضاله على الملك : " لقد وصلت ، وجعلتك تعاقب هؤلاء الذين فى الجزر ، وهؤلاء الذين يسكنون فى وسط الأخضر العظيم " .^(٤)

وفى مقبرة رخمى رع يوجد نص ، نقراً فيه : " المجئ فى سلام بواسطة أمراء بلاد كفتيو والجزر التى تقع فى وسط الأخضر العظيم " .^(٥)

وابتداء من عصر أمنحتب الرابع أصبحت الوثائق تذكر الجزر فى وسط الأخضر العظيم بدقة أكثر . ففى نص من تل العمارنة نقراً :

Id., op. cit., p. 129 (doc. 31). (١)

Id., op. cit., p. 130 (doc. 32). (٢)

Id., op. cit., p. 132 (doc. 33). (٣)

Id., op. cit., p. 133-34 (doc. 34). (٤)

Id., op. cit., p. 133 (doc. 35). (٥)

" لتلقى جزية خارو (سوريا) وكوش (النوبة) والبلاد الغربية ، والشرقية ومن كل البلاد الأجنبية التي اتحدت مرة واحدة والجزر في وسط الأخضر العظيم تحضر هداياها إلى الملك الذي على العرش الكبير لأخت آتون " .^(١)

ونقرأ في نشيد لآتون : " الجنوب وأيضا الشمال والغرب والشرق (وأيضا) الجزر التي في وسط الأخضر العظيم ، يصبحون في سعادة بفضل شخصك " .^(٢)
ومن عصر الرعامسة نجد النص الآتي على لوحة محفوظة في متحف الإسماعيلية يتحدث فيه حورس إلى الملك رمسيس الثاني :

" سيفك يحمي مصر ، توسعت حدودك ، قضيت على السوريين ، والنوبيين ، والليبيين ، والبدو الشاسو ، والجزر التي في وسط البحر الأخضر ، بسبب انتصارات سيفك ، أنت تصطحبهم إلى مصر " .^(٣)

وفي نص آخر لرمسيس الثاني من طيبة يقال له : " إنه (أى آمون) يعطيك الجنوب والشمال والغرب والشرق وأيضا الجزر في وسط الأخضر العظيم " .^(٤)

وعلى لوحة من تانيس يقال لرمسيس الثاني : " رمسيس الثاني ، هيئته عبرت الأخضر العظيم ، والجزر التي في وسطه أصبحت تحت رهبته ويأتون إليه مع جزية رؤسائهم " .^(٥)

وفي معبد الأقصر يوجد قائمة بالبلاد التي بها مناجم ، من عصر رمسيس الثاني : " صيغة تقال بواسطة بلاد المناجم والجزر التي في الوسط إلى ابن رع ، رمسيس

Id., op. cit., p. 134-135 (doc. 36) (١)

Id., op. cit., p. 36 (doc. 37). (٢)

Id., op. cit., p. 137 (doc. 38). (٣)

Id., op. cit., p. 138 (doc. 39). (٤)

Id., op. cit., p. 139 (doc. 40). (٥)

الثانى : لقد جئت وأحضرت لك ... فى زكائب عديدة " (١).

وابتداء من عصر الأسرة العشرين ، أى عصر رمسيس الثالث ذكرت الجزر فى وسط الأخضر العظيم أكثر من مرة . وفى معبد مدينة هابو ، نقراً :

" الأجانب الذين أتوا من بلادهم ومن الجزر وسط الأخضر العظيم ، بينما هم يتقدمون نحو مصر ، وقلوبهم كلها ثقة فى قوة أيديهم ، كان هناك فخا يعد لهم " (٢).

وعلى بردية محفوظة فى متحف ليدن يوجد نشيد لآمون نقراً فيه : " ... ثقيل عندما يصل الأرض ، فى الجزر التى فى وسط الأخضر العظيم " (٣).

وفى نص لوحة بعنخى يتوجه بالكلام إلى آمون ويؤكد أنه أطاع أوامره المقدسة : " إننى وصلت جزر الأخضر العظيم لأننى أحترم قوتك " (٤). وفى هذا النص نوع من المبالغة لأنه لم يصل بالفعل إلى هذا المكان .

وفى معبد إدفو نقراً فى منظر تقديم منتجات خنت - شى : " لأن خوفك يغمر الوجهين وفى البلاد الأجنبية ، والرعب الذى تثيره فى جزر الأخضر العظيم " (٥).

وفى نص آخر فى معبد إدفو يعلن حورس للملك : " إننى جعلت خوفك يغمر الجزر التى فى وسط الأخضر العظيم وبلاد الحا نبوت " (٦).

Id., op. cit., p. 139 (doc. 41). (١)

Id., op. cit., p. 141 (doc. 42). (٢)

Id., op. cit., p. 145 (doc. 49). (٣)

Id., op. cit., p. 147 (doc. 51). (٤)

Id., op. cit., p. 147 (doc. 52). (٥)

Id., op. cit., p. 148 (doc. 53). (٦)

وفى نص مشابه فى معبد إدفو نقرأ : " إننى جعلت خوفك يذهب إلى الجزر
التي فى وسط الأخضر العظيم " (١).

وفى مرسوم كانوب نقرأ : " (قمح يأتى من) جزيرة سبى ناي التي فى وسط
الأخضر العظيم " (٢).

ثم تحدث فركوته عن معنى الاسم ، وأشكال كتابته (٣).

رابعا : تحدث عن " منوس " (Mnws) (٤) :

وبداً بعرض المشكلة ومختلف آراء العلماء عن موقعها (٥) ، ويذكر أنها ظهرت
لأول مرة فى نص قصة سنوهى :

" ولعل جلالتك تأمر بأن يصطحبوا مكى (أسير) من قدم الجنوبية ، وإياوشى
من كشو ، ومنوس من بلاد الفنخو " (٦).

وفى نص من عصر لأمنحتب الثانى ذكرت بجوار كفتيو : " كل أمراء رتنو
العليا ، وكل أمراء رتنو السفلى ، الكفتيو ، المنوس ، وكل البلاد الأجنبية بأجمعها " (٧).

وفى نص آخر من عصر الملك نفسه ذكرت بجوار كفتيو : " (الأقواس التسعة) ،
نهارينا (ميتانى) ، الكفتيو ، منوس ، رتنو العليا (شمال سوريا) ورتنو السفلى " (٨).

Id., op. cit., p. 148 (doc. 54). (١)

Id., op. cit., p. 149 (doc. 55). (٢)

Id., op. cit., p. 149-158. (٣)

Id., op. cit., p. 159-182. (٤)

Id., op. cit., p. 159-160. (٥)

Id., op. cit., p. 160 (doc. 56). (٦)

Id., op. cit., p. 162-163 (doc. 57). (٧)

Id., op. cit., p. 163 (doc. 58). (٨)

وفى نص الكرنك من عصر سيتى الأول يذكر لنا قائمة بشعوب الأقواس التسعة بعد إضافة اسم قبرص ومنوس إليها :

" خيتا ، نهارينا (ميتانى) ، رتنو العليا (شمال سوريا) ، رتتو السفلى (سوريا) ، سانجار (بابل) ، ونو فى الجزيرة ، قادش ، بابخ (فى بلاد النهرين) قطنة (شمال قادش) ، إسى (قبرص ؟) ، ومنوس " .^(١)

كما ظهرت مرتين فى نص يرجع إلى عصر سيتى الأول يذكر قائمة بالشعوب المنهزمة حوالى ١٩ اسما ، كما ذكرت إسى (قبرص) فى النص نفسه .^(٢)

وفى نص فى الكرنك من عصر الملك رمسيس الثانى ، جاء ذكر منوس وإسى^(٣) .

وفى نص فى معبد مدينة هابو جاء ذكر منوس وإسى أيضا.^(٤) ثم تحدث فركوته عن قراءة الاسم ومعناه وأشكال كتابته .^(٥)

ارتبط بمشكلة الكفتيو وتحديد موقع منوس ، بلاد إسى ، فى وثائق الأسرة التاسعة عشرة منوس ارتبطت ببلاد إسى وأجمع علماء المصريات على أنها قبرص^(٦) ، ولم يظهر هذا الاسم بين حاملى الجزية من عصر تحوتمس الثالث . ويرى فركوته أن إسى تعبر عن قبرص وكانت مرتبطة ببلاد كفتيو ومنوس .^(٧) وجاء ذكر إسى فى قصة ون آمون ، الذى اضطرت ربحا مضادة للالتجاء إلى جزيرة قبرص وهناك كاد يقتله أهلها ، ولكن ملكة قبرص عطفت عليه عندما عرفت قصته .^(٨)

Id., op. cit., p. 165 (doc. 59). (١)

Id., op. cit., p. 166 (doc. 60) no 27, 36, 41. (٢)

Id., op. cit., p. 169 (doc. 61) no 17, 22. (٣)

Id., op. cit., p. 169 (doc. 62) no 7, 8. (٤)

Id., op. cit., p. 176-182 . (٥)

Id., op. cit., p. 179 . (٦)

Id., op. cit., p. 182 (٧)

ويعطينا فركوته أشكال كتابة الاسم ومن بينها T3 n sbjw بلاد أهل إسى

(قبرص) = Id., op. cit., p. 182 n. (2)

(٨) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٩٠ .

وفى الجزء الثانى من مؤلفه تحدث فى الفصل الأول عن خصائص الآثار التى تصور الشعوب السابقة. (١)

وفى الفصل الثانى تحدث عن أشكال هذه الشعوب وتمثيلهم فى مقابر سنموت وبوى ام رع ووسر آمون ورخمى رع ومنخبر رع سنبل وآمن ام ابت وقن آمون وانينى وآمن - ام - حب. (٢) فنجد فى مقبرة سنموت منظر وصول بعض المينويين وهم يحملون أوانى كبيرة متعددة الأشكال ، وذات ألوان جميلة. (٣) ونجد أيضا منظرا للمينويين فى مقبرة الوزير وسر - آمون الذى عاصر الملك تحوتمس الثالث ونجد على جدرانها مبعوثين مينويين يحمل أولهم تمثال نصفى على شكل رأس ثور ، ويحمل الثانى أنية من الفضة بينما يحمل الثالث تمثال ثور صغير ويحمل الرابع تمثال رأس ابن آوى . ويبدو أن هذه التماثيل كانت مصنوعة من الذهب والفضة ومن الأشكال المفضلة عند المصريين. (٤)

وكذلك على جدران مقبرة رخمى رع وزير تحوتمس الثالث نرى مبعوثين من الكفتيو والمينويين ، نراهم فى مجموعتين : مجموعة من ثلاثة أشخاص ، والثانية مكونة من أربعة وهم يحملون أوانى وعقود وكتل من معدن القصدير. (٥)

وفى الفصل الثالث تحدث عن زيهم : عصابة الرأس ، النقبة وأنواعها ، وحزام الوسط ، وحذاء وصنادل القدم ، وزينة الملابس. (٦)

وفى الفصل الرابع تحدث عن المنتجات التى صورت معهم وأحضروها معهم : من أكواب وأوعية برؤوس حيوانات ، وأغطية أوعية فى شكل رؤوس حيوانات ، وأوانى

Id., op. cit., p. 185-200 .

(١)

Id., op. cit., p. 200-240 .

(٢)

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ٢٣٧ - ٢٣٩ لوحة ٣٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ لوحة ٤٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤٢ لوحة ٤١ أ ب .

Id., op. cit., p. 241-304 .

(٦)

بدون مقابض ، أواني مزينة بأشكال حيوانية ، تماثيل ثيران ، وأسلحة وأقمشة وأشياء متنوعة (١).

وفي الجزء الثالث من هذا المؤلف الهام ، تحدث في الفصل الأول عن مشكلة الكفتيو وزيههم والمنتجات التي كانوا يحملونها وخاصة الأواني وشكل تسريحة شعورهم (٢).

وفي الفصل الثاني تحدث عن مشكلة الموكينييين ومختلف الآراء بالنسبة لهم ، وتمثيلهم في مقبرة وسرامون بزيههم (٣).

وفي الفصل الثالث تحدث عن تاريخ العلاقات بين جزر بحر ايجيه ومصر وتمثيل شعوب هذه المناطق في مقابر عصر الدولة الحديثة وذكرهم في النصوص المختلفة (٤).

وفي الفصل الرابع تحدث عن الطرق التجارية التي كانت تربط بموانئ مصر الشمالية وجزر بحر ايجيه في عصر الدولة الحديثة . فكان هناك طريقان : الأول : يبدأ من ميناء في شرق الدلتا ويمر بطول الساحل الفينيقي ويمر بعدها بشمال قبرص . والثاني طريق مباشر يبدأ من ميناء في غرب الدلتا ويمر مباشرة بعرض البحر المتوسط (٥).

وترى لالويت أنه كان هناك علاقات دبلوماسية وتبادل للسفراء مع مملكة قبرص (آلاسيا) في عصر الملك أمنحتب الثالث ، فهناك خطاب من هذه المملكة إلى ملك مصر : " إلى ملك مصر ، أخى ، هكذا يتحدث ملك آلاسيا ، أخيك . بالنسبة لى فإن الأمور تسير بالحسنى ، وبالنسبة لك فأرجوا أن تكون كذلك ، (وأيضا) بالنسبة لبيتك ، وزوجاتك ، وأولادك ، وخيولك ، وعرباتك ، وبالنسبة لكل ما هو فى داخل بلدك ، فأرجو أن تكون جيدة .

Id., op. cit., p. 305-366 .

(١)

Id., op. cit., p. 369-395 .

(٢)

Id., op. cit., p. 397-406 .

(٣)

Id., op. cit., p. 407-416 .

(٤)

Id., op. cit., p. 417-429 .

(٥)

ومن ناحية أخرى ، علمت أنك تتربع على عرش منزل أبيك ... لقد تلقيت التحيات من أخى ، وعلى ذلك أرسلت لك ... و ٢٠٠ تالنت من النحاس ... أرجو أن تجعل رسولى يرحل على وجه السرعة إن أمكن الذى حمل إليك هذه الرسالة . أكتب إلى ، أخى لا يجب حجز رجلى الذى تحدث معك ، اتركه يرحل بسرعة بقدر الإمكان ، حتى يستطيع رسولى أن يأتى إليك كل عام . وفيما يخصك لعل رسولك يأتى كل عام أمامى " . (١)

وفى خطاب آخر يقول للملك المصرى : " هناك مواطن قبرصى (آلسيا) قد توفى فى مصر ، وممتلكاته موجودة فى بلدك ، فى حين يوجد أولاده وزوجته فى قبرص (آلسيا) لعل أخى يحرص على جمع ممتلكات المواطن القبرصى ويضعها بين يدى رسولى " . (٢)

وهناك نوع آخر من العلاقات يتمثل فى هجوم شعوب البحر فى العام الثامن من حكم رمسيس الثالث على مصر عن طريق البر والبحر وأعد الملك رمسيس الثالث لصد هذا الهجوم أسطولاً ضخماً للدفاع عن الدلتا وأعد قوات مدربة جيداً ، ويبدو أنه فاجأ الغزاة بعنصر المفاجأة حتى أنهم لم يستطيعوا الرسو على الشاطئ وهلك أغلبهم ، وقد صور لنا الفنان قتال المصريين فوق سفنهم وشوهد العدو أمامهم وكان من بين تلك الشعوب الشردانة ، الدانو ، والبلست الذين اشتهروا فيما بعد ، والتكر ، وعلى أية حال فقد تحطم أسطول الغزاة من شعوب البحر أمام شواطئ الدلتا ولم يعاودوا الكرة مرة أخرى . (٣)

فى عصر الأسرة الثالثة والعشرين ، أقام بعض التجار الآيونيين من جزيرة ميليه فى آسيا الصغرى ، مركزاً تجارياً فى غرب الدلتا ، وكان لهذا الحدث أهميته لأنه يمثل أول خطوة فى سلسلة العلاقات العميقة بين اليونان ومصر التى يمكن تحديدها ابتداء

(١) Lalouette, Thèbes ou la naissance d'un Empire, p. 431 .

(٢) Id., op. cit., p. 433 .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

من هذا التاريخ .^(١)

اهتم بسماتيك الأول فى بداية الأسرة السادسة والعشرين - أساسا بعلاقاته مع ليديا واليونان . ولتوطيد مركزه السياسى فى بداية حكمه استعان بسماتيك الأول بالمرتزقة الذين أرسلوا بواسطة القائد المسمى جيجس الذى كان صديقا لبسماتيك . وكان جيجس هذا قد اغتصب عرش مملكة ليديا فأرسل له جنودا مرتزقة من المدربين على القتال بكامل عدتهم لمعاونته . وبالفعل نجح بسماتيك الأول فى القضاء على سلطان بعض الأمراء الأقوياء فى السنوات الأولى من حكمه .^(٢) وأخذت علاقاته ببلاد اليونان تزداد أهمية فى هذا العصر ، وأخذت الحضارة اليونانية تزداد أهمية بصفة عامة فى أثينا وكورنث وإسبرطة وجزر بحر ايجه ، وفى المدن المستقلة للشاطئ الغربى لآسيا الصغرى وفى أماكن أخرى أيضا . وقد استعان بسماتيك فى بداية الأسرة بالمرتزقة اليونانيين للتخلص من الاحتلال الآشورى . وأصبح هؤلاء المرتزقة يمثلون القاعدة الرئيسية فى جيشه .^(٣) ولكى يمنع أى صدام بينهم وبين القوات المصرية حدد لهم منطقتين مميزتين لإقامتهم ، إحداهما فى شرق الدلتا والأخرى فى أطراف عاصمته سايس ، ولذلك تركزت القوات اليونانية الرئيسية فى دفة ، بالقرب من مدينة القنطرة الحالية ، وبقية القوات اليونانية فى نقراتيس بالقرب من مدينة دمنهور الحالية .

وتبعاً لذلك نشطت التجارة مع المدن اليونانية ، وكان المرتزقة اليونانيون يعودون إلى بلادهم يحملون معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصا عجيبة عن رخاء مصر ويروجون لفنها وصناعاتها وديانتها حتى أن الرحالة اليونانيين بدأوا يتوافدون على مصر وبدأ اليونانيون من جانبهم فى دراسة فلسفة الديانة المصرية والرسم والنحت والعمارة والطب والموسيقى .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٢١ ؛ د. رمضان السيد :

المرجع السابق ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦ .

(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٥٩٩ .

وحافظ نكاو الثاني على علاقاته مع اليونانيين وأصبح ضمن قواته إلى جانب المرتزقة الكوشيين والليبيين - يونانيين من آسيا - وكان يريد تكوين أسطول بحرى مصرى قوى بمساعدة الإغريق . وعندما أخذت كوش تعد العدة للهجوم على مصر من الجنوب ، أحس بسماتيك الثاني بهذا الخطر وأرسل جيشا من المرتزقة والمصريين . وكانت القوات المرتزقة تشمل كاريين ودورنيين وفينيقيين ويهود وكانوا تحت قيادة بوتاسيمتو ، أما القوات المصرية فكانت تحت قيادة أمازيس . وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين عثر عليهما فى تانيس وفى الكرنك . وعند عودة هؤلاء المرتزقة نقشوا على ركبة أحد تماثيل رمسيس الثاني أمام معبد أبو سمبل النقوش اليونانية الشهيرة لبوتاسيمتو كما ذكرنا من قبل (ص ٣٢٥) .

وكان أمازيس حريصا كذلك على توثيق علاقات الود مع اليونانيين فهؤلاء يكونون القاعدة الأساسية فى جيشه ، كما حدث تحت حكم الملوك السابقين . وقد تأثرت الروح الوطنية فى كبرياتها بسبب وجود الأجانب ، وحدثت اضطرابات هامة من جانب الجنود المصريين ضد التجار اليونانيين المتفرقين فى الدلتا . وكان أول عمل به هذا الملك لتجنب تدهور الموقف وارضاء للشعور الوطنى فقد طلب من اليونانيين بأن يستقروا فى أراضى محددة .

وقد أرسل أمازيس الهدايا إلى بلاد اليونان فالى كورينى أرسل تمثالا لأثينا مغطى بالذهب مع صورة مرسومة ، وإلى ليندوس تمثالين من الحجر . وكان أمازيس ماهرا جدا فى السياسة ، فقد قاد دفعة الأمور بنوع من الحرص والذكاء الشديدين . وذلك بمحافظته على علاقات الود والصداقة مع اليونانيين وعلى مصالح شعبه وكان محبا لليونانيين لدرجة أن هيرودوت لقبه " بالمحب لليونانيين " ولكن بدأت تظهر فى ذلك الوقت قوة جديدة فى الشرق ، وفى نهاية حكم أمازيس نجد أن الفرس الذين لم يتوقفوا فى توسعاتهم عند حد معين ، بدأوا يهددون كل الشرق القديم ، ولتجنب الخطر الفارسى المرتقب اضطر أمازيس إلى التحالف مع كيزيس ملك ليديا ومع حكام إسبرطة . وبالفعل قام قورش ملك الفرس بمهاجمة ملك ليديا وغزا آسيا الصغرى بعد معركة بتريا واستولى على عاصمة ملك الليديين . ولم يستطع أمازيس مساعدة حليفه .

اعتمد نفريتس الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين على صداقة ومساعدة اليونانيين فى توطيد سلطانه . ولذلك قام فى عام ٩٣٦ ق. م. بعقد معاهدة مع إسبرطة وضم إلى قواته مرتزقة يونانيين .

ويقص علينا ديودور الصقلى أن نفريتس وضع تحت تصرف ملك إسبرطة ، اجيسيلوس مهمات حربية تشمل مائة سفينة ، ولكن الأثينيين حطموا الأسطول الإسرطى فى عرض رودس . وجمع الفرس جيشا كبيرا لمهاجمة مصر ولكن هذا المشروع قد باء بالفشل .

وعندما تولى هكر (أخوريس) ثانى ملوك هذه الأسرة عمل على إدخال ضمن قواته حوالى عشرين ألفا من المرتزقة اليونانيين لكى يدافعوا عن مصر فى حالة هجوم متوقع من جانب الفرس .^(١) وبفضل هؤلاء المرتزقة نجح فى تفادى غزو جديد لمصر . وقد رأى هكر انه لا فائدة من التحالف مع إسبرطة ، وبحث عن حليف آخر هو ايفا جوراس ملك قبرص ، وقد ترك أحد القواد الأثينيين المشهورين ويدعى شابرياس خدمة أثينا ليعمل فى الجيش المصرى . وقام بتدريب البحارة المصريين وعمل عدة استحكامات بين الفرع البلورى للنيل ومستنقعات سيربونيا . وقد ظلت هذه التحصينات معروفة حتى العصر الرومانى باسم " استحكامات شابرياس " . وفيما يتعلق بايفا جوراس فقد تلقى معونة من هكر وكون أسطولا من مائتى سفينة واستولى على صور وبعض المدن الأخرى ولكن قضى عليه فى النهاية ، ويقال أن أفلاطون قد زار مصر فى عصر الملك هكر ومكث فترة طويلة فى ايونو .

وعندما تولى تيوس فى الأسرة الثلاثين بعد أبيه نختبو ، وجد انه من الضرورة التحالف مع اليونانيين كما كانت هى العادة السائدة آنذاك ولهذا سعى إلى عقد معاهدات مع أثينا وإسبرطة . واستطاع تكوين جيش قوى قوامه ثمانون ألف جندى مصرى وعشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين ، وقوة مكونة من ألف جندى من إسبرطة وأسطول تبلغ قوته أكثر من مائتى سفينة .

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

ويذكر ديودور الصقلي أن اجيسيلوس ، ملك إسبرطة ، جاء إلى مصر على رأس ألف من المحاربين ليعاون تيوس . وجاء معه شابرياس القائد اليوناني الذي كان موجودا في مصر من قبل .

وشكل تيوس قوة وطنية وأسطولا منظما وتقدم نحو فلسطين وسوريا لمقابلة الجيش الفارسي . ووضع اجيسيلوس على رأس المرتزقة اليونانيين ، وقام شابرياس بقيادة الأسطول البحري . ووضع تيوس ابن أخيه نخت حربييت على رأس الجنود المصريين الوطنيين .

ولكن بعد أن تقدمت القوات نحو سوريا أعلن نخت حربييت العصيان على ملك مصر ، وفر شابرياس إلى أثينا فقد أحدثت الثورة انشقاقا في صفوف الجيش المصري . وعاد اجيسيلوس إلى إسبرطة . وعندما شعر تيوس أن مصر في أيدي الثوار فقد صوابه ولجأ إلى ملك الفرس .

وعندما تولى حربييت (نختبو الثاني) الحكم في مصر . كان عليه أن يواجه ثورة شعبية في إقليم مندرس . وقد نجح نختبو الثاني في القضاء عليها بمساعدة المرتزقة من إسبرطة .

حاول أرتاكسر كسيس الثالث - آوخوس غزو مصر للمرة الثانية عام ٣٥١ ق.م. واستعان نختبو الثاني بالمرتزقة اليونانيين ولم يستطع أرتاكسر كسيس الثالث أن يقضى على قوات نختبو الثاني وذلك بفضل حسن تصرف القائدين يوفانتوس من أثينا وليمياس من إسبرطة واستطاع نختبو أن يصد هذا الهجوم .

وفي عام ٣٤١ ق.م. بدأ الملك الفارسي يعد العدة لغزو مصر من جديد وأخذ يهاجم مصر عن طريق البر والبحر بمعدات هائلة . فاستعان نختبو الثاني بالمرتزقة من إسبرطة وأثينا ولم تكف شجاعة المرتزقة الإغريق في الحد من تقدم الجيش الفارسي ، وكان أرتاكسر كسيس الثالث قد جمع كل هذه الأعداد من المرتزقة من بلاد اليونان ، ووصل بقواته عند بلوز (الفرما) وكان يقوم بالزود عنها فيلوفون ومعه خمسة عشر ألف جندي من اليونان ، ولم يستطع أرتا كسر كسيس الثالث أن يخترق استحكامات بلوز . وحشد نختبو الثاني حوالي عشرين ألفا ومثل هذا العدد من الليبيين وستين ألفا من

المصريين لوقف تقدم الفرس ومحاولتهم غزو الدلتا . ولكن الأسطول الفارسي استطاع أن يدخل مصاب النيل واستسلمت المدن المصرية الواحدة بعد الأخرى ، وعندما رأى المرتزقة اليونانيون ذلك الموقف ، غيروا المعسكر وانضموا إلى ارتاكسركسيس الذي استولى على بلوز وبوبسطة وتراجع نختنبو الثانى إلى مصر العليا .

ودخل الفرس منف للمرة الثانية ، وتعرضت البلاد فى هذه المرة للسلب والنهب وهدمت دور العبادة وانتهكت حرمتها . وعاد ارتاكسركسيس إلى بلاده بعد أن أسس أسرة فارسية .

منذ عام ٣٣٨ ظهرت مقدونيا كقوة تسيطر على العالم ، فاندفع فيليب الثانى ليكون حلفا مع اليونان ، وجاء من بعده ولده الاسكندر الأكبر الذى ظهر فى ذلك الوقت كمحرر لمصر . فهزم دارا الثالث - قودمان فى معركة اسوس شمال الاسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق.م. وبعد هذا الانتصار أصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه باعتباره المنقذ المرتقب من جبروت الفرس .

وفى نهاية عام ٣٣٢ ق.م. سار نحو مصر واستقبلته البلاد كمحرر لها واستسلم الحاكم الفارسي ساباسس وكان اليونانيون منذ زمن بعيد حلفاء للمصريين ولكن هذه المرة أغفل المصريون أن هؤلاء الإغريق قد جاءوا مستعمرين وليسوا مآجورين وكسادة وليسوا مرتزقة . وفى منف استقبل الإسكندر بحماس ، وقد بدأ بالذهاب لتقديم القرابين للعجل أبيس المقدس ، ونحر الأضاحى قربانا إلى معبودات منف .

وفى بداية عام ٣٣١ ق.م. ذهب إلى معبد واحة سيوة فى الصحراء الغربية لزيارة معبد آمون معبود سيوة ويسأل الوحي هناك . وقبل أن يغادر مصر ، أسس على الشاطئ فى الطريق الشمالى لغرب الدلتا ، مدينة يونانية أعطاها اسمه .

ثانيا - بالنسبة لمظاهر الحياة الاجتماعية وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى فى الشرق والغرب والجنوب والشمال :

فقد ذكرنا من قبل أن التكوين الاجتماعى فى مصر القديمة كان يشمل الأقليات الأجنبية والأسرى الأجانب ، وكان منهم العمال ، الذين يأتون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية بحثا عن عمل . وكان من بينهم أيضا المرتزقة الأجانب من الشرق والغرب والشمال والجنوب وينضمون إلى القوات المصرية .

وكان هؤلاء الأجانب يقيمون فى البلاد ويؤدون مختلف الأعمال فى ظل قوانين اجتماعية تكفل لهم الحماية والأمن . ومن هؤلاء الأجانب من كان يتجمع حسب جنسيته فى أحياء خاصة بهم .

فمن الشرق ، نجد انه كان يوجد حول معبد الكرنك من أيام تحوتمس الثالث ، جالية سورية وتجار سوريون . وحول معبد أمنحتب الثالث الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة كان يوجد حى سوري ، تحت إدارة أحد الأمراء الذين حضروا إلى مصر من سوريا .

وفى محاجر طره كان يعمل بعض الأجانب من الهكسوس . وكان هناك أيضا بعض الفينيقيين الذين كانوا يعملون فى بناء معبد بتاح فى منف ، وكالما هناك أيضا بعض السبدو الآسيويين من شرق الدلتا الذين كانوا يعملون فى مشروعات الملك المختلفة فى منطقة تانيس ومنهم بعض الجنسيات الأخرى .

إلى جانب هؤلاء الأجانب من الشرق كان يوجد أسرى الحرب الذين كانوا يعملون فى مشروعات مختلفة . واستخدموا كعمال فى الزراعة والبناء والنسيج . ومن هؤلاء الأسرى من كان يعمل كعبيد . وهناك بردية كتبت بالهيراطيقية من عصر الرعامسة بالمتحف للمصرى ، يحدثنا نصها عن توثيق بيع مجموعة من العبيد ، وهناك نص على تمثال صغير فى متحف اللوفر يشرح الشخص فيه انه اعتق عبدا لديه ووهبه ميراثا لكى يزوجه ابنة أخيه المصرية .

وهناك نص آخر على بردية في متحف اكسفورد يشير إلى أن رجل أراد أن يتزوج إحدى العبيد التي كانت ملكا لأخته التي أعتقتها وأعطتها بعض الإرث لكي تتزوج .

وكان هناك آسيويون يعيشون بالقرب من الملك مرنبتاح ، وكان بينهم كبار ضباطه أمثال ابن أزان الذي كان نديما للملك . ونجد في بلاط الملك رمسيس الثالث أحد الأجانب الذي كان يعيش بالقرب من الملك ويحمل اسما فينيقيا .

وكان من حق المصري أن يتزوج من امرأة آسيوية . ففي بردية في متحف تورين نجد نصا بهذا المعنى . كما كان من حق الآسيوي أن يتزوج من مصرية . ونعرف أن الملك نكاو الثاني في الأسرة السادسة والعشرين أرسل بعثة للاكتشافات البحرية حول الشواطئ الأفريقية وربما أيضا بغرض التجارة . وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام . ويبدو أن هذا المشروع قد نفذ بمساعدة بعض البحارة الفينيقيين ^(١).

كان جيش رمسيس الثاني الذي اشترك به في معركة قادش يشمل بعض الجنود المرتزقة من الآموريين الذين ربما جندهم الملك في فلسطين ^(٢) وفي نهاية الأسرة التاسعة جاءت هجرة من هجرات الشعوب التي كانت تعيش في الناحية الشرقية من مصر . وكان ارسو من أصل سوري من زعماء الجنود المرتزقة الذين كانوا في الجيش والذي جمع حوله بعض رجاله من المرتزقة ونجح في الاستيلاء على السلطة لمصلحته في نهاية الأسرة ^(٣) وكانت الحملة التي أرسلها بسماتيك الثاني إلى كوش تشمل مرتزقة فينيقيين ويهود ^(٤).

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٠٥ .

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

(٤) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٠٦ .

وكان يقسم في منف والفنتين في بداية الأسرة السابعة والعشرين عدد كبير من المرتزقة اليهود . وكان لدى الجالية اليهودية في الفنتين بردية تحمل تاريخ حياة دارا بالآرامية .^(١)

ومن الغرب جاء المرتزقة من ليبيا ، فكان جيش رمسيس الثالث يشمل مرتزقة ليبين . ونعرف أيضا أن أصل الأسرة الثانية والعشرين يرجع إلى أصل لبي . فنجد أن المرتزقة الليبين والماشواش قد نجحوا في أن تكون معظم وحدات الجيش قاصرة عليهم وحدهم . وقد كان رؤسائهم يتمتعون بنفوذ كبير نظرا لأن البلاد كانت في حالة انهيار سياسى وعسكرى واقتصادى . وقد استقر المرتزقة الليبيون في مصر منذ بداية الأسرة العشرين ، وفى خلال القرون التالية حاولوا أن يتمصروا ففقدوا بذلك وحدتهم وخصائصهم الجنسية^(٢) ، عن طريق زواجهم المتكرر من مصرية . وتخلوا عن تقاليدهم وعاداتهم وأصبحوا مصريون من أصل أجنبى . ولهذا لم يعتبرهم التاريخ أجنبى بقدر ما اعتبرهم مغتصبين للعرش . وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، كان ضمن قوات نكاو الثانى مرتزقة من الليبين .

ومن الجنوب جاء أفراد المجاو الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى ويمثلون أقوى عناصره .

ومن الشمال ، أصبح المرتزقة اليونانيون يمثلون القاعدة الرئيسية فى الجيش المصرى فى عصر الملك بسماتيك الأول فى الأسرة السادسة والعشرين . ولكى يمنع الملك أى صدام بينهم وبين القوات المصرية حدد لهم منطقتين مميزتين لإقامتهم ، إحدهما فى شرق الدلتا فى دِفْنَه ، والأخرى فى أطراف عاصمة الملك فى ذلك الوقت ، سايس فى غرب الدلتا ، فى جنوب غرب سايس فى مدينة نقراطيس . وكان جيش نكاو الثانى يضم قوات مرتزقة من اليونانيين والحملة التى أرسلها بسماتيك الثانى إلى كوش كانت تضم مرتزقة كاريين ودونيين ، كما استمر كل من نكاو الثانى وأمازيس فى اعتمادهما على

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .

المرتزقة اليونانيين وكذلك نفرتيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين وهكر (آخورييس) ثانى ملوك الأسرة وأيضا تيوس ثانى ملوك الأسرة الثلاثين الذى سعى إلى عقد معاهدات مع أثينا وإسبرطة وذلك لجلب المزيد من المرتزقة لتقوية جيشه ضد الفرس .

ثالثا - بالنسبة لمظاهر الحياة الاقتصادية وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى فى الشرق والغرب والجنوب والشمال :

نقول أن هناك مجموعة من الآثار والنصوص التى تدل على انه كانت هناك علاقات تجارية بين مصر وبعض بلدان الشرق القديم وبعض المناطق فى أفريقيا منذ أقدم العصور .

فبالنسبة للشرق ، حرصت مصر على تجارتها مع الساحل الفينيقي وذلك للحصول على أخشاب الأرز والصنوبر التى استخدموها فى تسقيف مقابر ملوكهم منذ الأسرة الأولى . فقد استخدمت هذه الأخشاب فى بعض مقابر أبيدوس وكذلك فى صناعة المراكب الكبيرة منذ عهد الملك عجا .^(١)

ومما يدل على وجود علاقات تجارية بين مصر وسوريا فى عصر الأسرة الثالثة هو العثور على عدد من الأوانى الحجرية فى سوريا ترجع إلى عصر تلك الأسرة . كما عثر على تابوت خشبي فى هرم الملك جسر المدرج ، وهو مصنوع من أربعة أنواع من الخشب أحدهما مصرى والثلاثة عبارة عن أخشاب سورية من الصنوبر والسرو والأرز .^(٢)

وتحدثنا نقوش حجر بالرمو عن إحضار الملك سنfro مؤسس الأسرة الرابعة لأربعين مركب محملة بخشب الأرز من جبيل ، وذلك لاستخدامها فى صناعة بناء

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

المراكب وفى تدعيم بعض الأحجار فى هرمه الجنوبي بدهشور . ولاشك أن إحضار أربعين مركب محملة بالأخشاب خلال عام واحد من أعوام حكم سنfro ليدل دلالة واضحة على اتساع نطاق التبادل التجارى . وإحضار هذه المراكب فى عهد سنfro يثبت لنا أن التجارة فى ذلك الوقت كانت تتم بين مصر وجبيل عن طريق البحر . وتحدثنا نقوش حجر بالرمو أن الملك أعد مشروعا لبناء ستين مركب لكل منها ستة عشر مجدافا .^(١) كانت ضرورية لبناء أسطول تجارى بحرى .

ويبدو أن الملك خوفو قام بمثل ما قام به والده وهو إرساله بعثة بحرية إلى جبيل فقد عثر على اسم القارب الملكى لخوفو عند منبع نهر ادونيس (نهر إبراهيم) .^(٢)

وعن الرحلات البحرية إلى جبيل فى عصر الأسرة السادسة فإن لدينا نص هام يتحدث عن جانب من هذه الرحلات ، وهو نص الملاح خنوم حتب نقشه على جدران مقبرة خوى بقبة الهواء بأسوان ، ويذكر فيه انه خرج مع ثثي وخوى إلى كوش وبونت وجبيل إحدى عشرة مرة ونقرأ ما يلى :

" خرجت مع سيدى الأمير الوراثة وحامل ختم المعبود ثثي (وأيضاً) خوى إلى كبن (جبيل وبونت) إحدى عشرة مرة حاملاً بسلام ما أنتجته (حرفياً ما صنعتته) هذه البلاد الأجنبية " . أى أن خنوم حتب خرج مع هذين الموظفين إلى كوش وبونت مرات متساوية أى خمس مرات وإلى جبيل مرة وأنه استمتع بما شاهده فى هذه البلاد .^(٣) مما يدل على وجود خط ملاحى يربط بين بونت وجبيل . ويرى مونتيه أن هذه المراكب كانت تمخر عباب البحر المتوسط بحذاء الساحل السورى حتى تصل إلى شواطئ الدلتا ، ثم تسير فى أحد أفرع النيل كالفرع البيلوزى أو الثانيسى حتى مدينة بوبسطة ثم تسير المراكب حتى الموقع الحالى لمدينة الإسماعيلية حيث كانت هناك مياه البحر الأحمر .^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٦ ،

ص ١٣٩ ؛ د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٣ ؛ Urk I, p. 140 .

(٤) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ٤٣ .

وعثر فى جبيل على قطعة من مائدة قرابين من المرمر نقش عليها نص يخص " كاتب النجارين الملكيين نفر سشم - رع " . وان العثور على اسم أحد النجارين الملكيين هناك يعطينا انطبعا إلى إرساله من أجل الإشراف على إحضار الأخشاب اللازمة لبناء الأسطول الملكى .^(١) وتوقفت هذه العلاقات التجارية فى عصور الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة ، واستؤنفت هذه العلاقات التجارية بعد ذلك مع الشاطئ الفينيقي وعاد استيراد أخشاب الأرز كما تخبرنا بذلك تعاليم خيتى الثالث (أو الرابع) . وهناك نقش من عصر الملك سنوسرت الأول فى الكرنك يتحدث فيه عن أن رؤساء المدن الفينيقية كانوا يقطعون له أشجار الأرز اللازمة . ونعلم أيضا أن سكان مجدو قد أحسنوا استقبال المبعوث المصرى المسمى تحوتى حتب من عهد سنوسرت الثالث الذى أصبح فيما بعد حاكما لإقليم الأرنب فى مصر الوسطى ، وكان يشغل وظيفة المشرف على تسمين الماشية ، وربما قد ذهب إلى هناك للتفاوض على شراء قطيع من الثيران من مجدو . ويبدو أن العدوى قد انتشرت بين الماشية فى مصر . وقد ذهب إلى هناك لتعويض النقص أو المفقود من الماشية المحلية أو تأكيدا لذلك فنجد انه صور فى مقبرته بعض القطيع الذى وصل إلى مصر بالفعل .^(٢)

وكان الملك أبى شمو ملك بيلوس والمعاصر للملك أمنمحات الثالث والملك ابشمو ابى يتلقيان الهدايا مقابل تيسير سبل التجارة .

وفى عصر الدولة الحديثة زادت العلاقات التجارية مع الشاطئ الفينيقي . وفى نص لوحة أمنحتب الثالث التى عثر عليها فى معبد الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة ، يخبرنا الملك انه قام بإعداد قارب مقدس لأمون رع من أخشاب الأرز التى قطعت له من جبيل ووضعت على زحافات .

وعندما قام سبتى الأول بحملته على آسيا ، وصل إلى فينيقيا ، ونشاهد على الجدار الشمالى من الخارج لبهو الأعمدة الكبرى فى معبد الكرنك ، الأمراء وهم يقومون

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

بقطع أخشاب أشجار الأرز له ^(١) وهناك بردية ون آمون ، من بداية الأسرة الحادية والعشرين ، الذى ذهب إلى ميناء جبيل لإحضار أخشاب الأرز اللازمة لترميم القارب المقدس لآمون ، وما لاقى من متاعب نتيجة تدهور نفوذ مصر الخارجى فى هذه الفترة .

كان من أول أهداف دارا الأول فى مجال السياسة الداخلية فى مصر هو العمل على إعادة حفر القناة التى كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر . وكان من دوافع هذا المشروع ، تيسير وصول مراكب الجزية إلى فارس ، وإسهام تلك القناة فى تنشيط التجارة البحرية مع بلاد الشرق القديم . ويرجع التفكير فى هذا المشروع إلى أيام الأسرة الثانية عشرة عندما فكر الملك سنوسرت الأول أو الثالث (؟) فى إيصال النيل بالبحر الأحمر بواسطة قناة مائية تيسر الاتصالات التجارية مع الشرق . وكانت هذه القناة تبدأ عند ضواحي بوبسطة وتأخذ مياهها من فرع النيل البيلوزى وتصل إلى البحيرات المرة ثم إلى خليج السويس وتعد أقدم طريق مائى يصل النيل بالبحر الأحمر . وإن هذه أول تجربة لوصول البحر المتوسط بالبحر الأحمر بواسطة النيل . وشرع الملك نكاو الثانى فى إعادة حفر هذه القناة فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ولكنه عدل عنه . ثم أعاد حفرها الملك دارا ، وفى الواقع أن دارا كان أكثر من ملوك مصر حاجة إلى هذا الممر المائى الذى يسمح له بالاتصال بالعاصمة التى تقع فى الخليج العربى . وهكذا قام دارا بإعداد هذا الممر المائى فى حوالى عام ٥١٨ ق.م. كما يدل على ذلك الخمس لوحات الكبرى التى أقامها بطول القناة تخليداً لذكرى هذا العمل .

وتحدثنا هذه اللوحات عن كيفية شق القناة وكيف تم حفرها مرة أخرى . ويذكر النص كذلك أنه بعد الانتهاء من أعمال الحفر كان هناك أسطول من ثمانين (أو اثنين وثلاثين) مركب محملة بالجزية سارت فى النيل وعبرت هذه القناة واتجهت نحو البحر الأحمر لكى تكمل طريقها بعد ذلك إلى إحدى الموانئ الفارسية ^(٢).

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ،

طبعة ١٩٩٠ ، ص ١٤٩ .

(٢) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٢١ - ٦٢٢ .

وردمت القناة بعد ذلك ، ثم أعاد حفرها الإمبراطور الرومانى تراجان وردمت بعد ذلك . ولكن بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ (٦٤٠ م) واستقر له الأمر فيها وأنشأ مدينة الفسطاط وجامع عمرو بن العاص ، وقام بفتح خليج قيل له خليج أمير المؤمنين وقد حفر فى سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م ، وفرغ منه فى ستة أشهر وكان هذا الخليج يقع فى شمال الفسطاط وتصل مياهه إلى مدينة عين شمس ثم تسير فى وادى الطميلات وتتقابل مع مجرى القناة القديمة ، الذى كان يخرج من الفرع الثانيسى للنيل عند ضواحي بوبسطة وتلتقى مياه القناتين فى المجرى الذى يسير فى وادى الطميلات حتى بحيرة التمساح ومن جنوب هذه البحيرة يتابع جريانه خلال البحيرات المره حتى يبلغ خليج السويس عند القلزم على البحر الأحمر . وكان طول خليج أمير المؤمنين نحو ستين ميلا . وظل هذا الخليج مستخدما إلى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف بالخليج الناصرى . وكان هناك خليج ثالث يسمى الخليج المصرى ويخرج من النيل جنوبى قصر العينى عند السواقي السبع التى تمد القناطر المقامة بجانبها بالمياه إلى القلعة ، ويعرف اليوم مكان هذه السواقي بفم الخليج وكانت هذه السواقي تدار بواسطة جواميس ، فترفع الماء وتصبه فى حوض كبير يجرى منه إلى القلعة .

وعندما يبلغ النيل الوفاء ابتداء من العاشر من أغسطس أو سبتمبر إلى العشرين من أكتوبر أو نوفمبر ، ويبلغ ارتفاع الماء عشرين ذراعا عن مستواه فى الشتاء ، يحضر السلطان راكبا ليفتح النهر الذى يسمى " الخليج " والذى يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة . وهو ملك خاص للسلطان . وفى ذلك اليوم (يوم ركوب السلطان لفتح الخليج) تفتح الخلجان والترع الأخرى فى الولايات كلها .^(١)

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ - ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٦ - ٤٠ ، ١٧٠ - ١٧١ ؛ المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكرى الخطط والآثار

أما عن نوعية العلاقات الاقتصادية وغيرها بين مصر وبعض المناطق في الجنوب الشرقي للجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا فهذا يجعلنا نتحدث بالتفصيل عن :

ذكر بلاد بونت - وتا - نثر في النصوص المصرية القديمة وطبيعة علاقتها بمصر :

حين نتحدث عن أقدم العلاقات بين مصر واليمن فإننا نقصد العلاقة التي كانت قائمة بين مصر وما يسمى ببلاد بونت وتا- نثر . فقد قمنا بعمل دراسة عن " بونت وتا- نثر وأثر منتجاتهما في الحياة اليومية في مصر القديمة منذ أقد العصور حتى العصر البطلمي- الروماني " (دراسة وثائقية) .^(١) وقد حاولنا حل مشكلة موقع بلاد بونت ، تلك البلاد البعيدة التي اشتهرت بمنتجاتها الوفيرة من العنتيو- cntyw الذي كان يستخرج من شجر المر ، وكان يستخدم كبخور في الطقوس الدينية في المعابد وفي الطقوس الجنائزية عند دفن الموتى وكذلك في الاحتفالات العامة وفي الحياة اليومية . كما استخدم أيضا في تركيب بعض الأدوية كما تدخل زهرته في صنع العطور . كما أحضر المصريون من هناك المرحت - mrht وهو صمغ راتنجي أيضا كان يستخدم في صناعة البخور لرائحته الذكية ويستخدم أيضا ضمن مواد التحنيط وكان يستخدم أيضا كمرهم لدهان الجسد وعلاج

== (المعروف بالخطط المقريرية) الجزء الأول ، دار صادر بيروت ، ص ٤٧٠- ٤٧٥ ؛ الجزء الثاني ، ص ١٣٩- ١٤٤ وردم هذا الخليج في أواخر القرن التاسع عشر ويسمى الشارع الآن شارع بورسعيد (راجع د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٩) وكان يعرف قبل الإسلام بخليج مصر ، وفي أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين ، يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، (راجع: ابن ظهيره : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ١٩٦٩ ، ص ١١٢ حاشية (٨) .

(١) نشرت في مجلة التاريخ والمستقبل التي يصدرها قسم التاريخ ، كلية الآداب- جامعة المنيا ، العدد الثاني ، شهر يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ - ١٠٣ .

بعض الجروح ويدخل في صناعة بعض الأدوية . كما أحضر المصريون كذلك من هناك الذهب الخام والأبنوس والعاج النقي والنباتات العطرية (h3w) والبهارات والتوابل وأشجار المر الأخضر والبخور والكحل الأسود . والثروات الطبيعية من جبال بونت وبعض الحيوانات كالنسانيس والقردة والكلاب وجلود الفهود .

وقد اختلف العلماء حتى الآن في تحديد موقعها ، هل هي في المنطقة الممتدة من سواكن إلى مصوع أو تقع في منطقة خليج زولا على ساحل إرتيريا أو في منطقة خليج تاجورة في الصومال أو في شمال الصومال أو في شماله الشرقي ، أو في مكان ما في اليمن ؟ أو في جنوبه في المناطق القريبة من الساحل أو في جنوب حضرموت أو عند بوغاز باب المندب ؟ بل منهم من ذهب إلى أبعد من هذا ورأى أنها تقع في المغرب أو في مورتانيا أو في زامبيا .^(١)

آراء العلماء بالنسبة لتحديد الموقع :

وسوف نستعرض هنا ما جاء في هذا المقال بالنسبة لبعض الآراء من قبل علماء الدراسات المصرية القديمة من أجنب ومصريين ، ونبدأ بأقدمها حتى أحدثها ثم نستعرض بعد ذلك ذكر بونت وتا- نثر في الوثائق المصرية القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر البطلمي- الروماني ، ونذكر أيضا ما تمدنا به هذه الوثائق والمصادر من معلومات . ونحاول بعد ذلك تصنيف هذه المعلومات في أربعة محاور : الاسم ومعناه ، الموقع ومحاولة تحديده ، طبيعة هذه العلاقات وأهمية بلاد بونت كمصدر للمر والبخور والصمغ ولمواد ومنتجات أخرى وأنواع من الحيوانات وجلودها ، تأثير الديانة المصرية في هذه المناطق البعيدة .

(١) نجد الإشارة إلى بعض هذه الآراء عند : Saleh, BIFAO 72 (1972) p. 247 n. 2-5, 248 n. 1-6, 249 n. 3-6; Saleh, JEA 58 (1972), p. 140-158 Mokhtar, Histoire Générale de l'Afrique (Afrique Ancienne 1980), p. 144-148; Kitchen, in LA 1V (1982), p. 1198-1201 n. 1-34.

- يرى بيسينج (فى عام ١٩٤٨) فى دراسة عن بونت والرحلات البحرية المصرية أن بونت تقع عند بوغاز باب المندب .^(١)
- ويرى لوفر (١٩٤٩) فى مؤلفه عن الأدب " أن اسم بلاد بونت كان يشمل حتى نهاية الدولة الوسطى الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن وكذلك الجزر الموجودة فى مواجهة هذا الساحل " . وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة امتدت هذه التسمية حتى تشمل بقية الساحل حتى خليج جردفوى (بلاد الصومال على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن) وليس من المستبعد أن هذه التسمية أصبحت تشمل فى عصر لاحق الساحل المقابل للجزيرة العربية وخاصة اليمن .^(٢)
- ويرى كل من دريوتون وفانديه (١٩٥٢) أنها تقع فى مكان ما على الساحل الصومالى .^(٣)
- ويرى فركوتيه (١٩٥٦) أن بلاد بونت تقع فى الجانب الصومالى فى منطقه حول بوغاز باب المندب .^(٤)
- ويرى د. فخرى (١٩٥٨) أن بونت هى بلاد تشمل الشاطئين الأفريقى والآسيوى حول بوغاز باب المندب .^(٥) ويضيف أيضا أنه اسم عام يطلق على المنطقة التى تثبت البخور فى جنوبى البحر الأحمر على مقربة من بوغاز باب

-
- (١) Von Bissing, Pyene (Punt) und die See Fahrten des Agypten, Sitzb, Bayern Akad " Wiss " (Munchen S. B.), 1948, p. 146-157; Gauthier, DG 11, p. 45-46.
- (٢) Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, Paris (1949), p. 30.
- (٣) Drioton-Vandier, L'Égypte (ed. 1052), p. 208.
- (٤) Vercoutter, L'Égypte et Monde Egeen, BdE 22 (1956), p. 56 n. 6, 61, 153, 389 (c),
- (٥) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٧ ؛ المؤلف نفسه فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٦٠٥ .

المنذب وتشمل كل من الشاطئين الأفريقى والآسيوى أى أن هذه البلاد تشمل الآن ما يسمى باسم جنوبى الجزيرة العربية والصومال وإرتيريا (١).

- ويرى بوزنر (١٩٥٩) أن بلاد بونت تقع فى محيط ارتيريا والصومال (٢).
- ويرى كل من ارمان-ورانكه (١٩٦٣) أن بلاد بونت تقع فى خط عرض مدخل البحر الأحمر وبخاصة على الشاطئ الصومالى (٣).
- ويرى فانديه (١٩٦٤) أن بونت هى منطقة تقع إلى جنوب شرقى مصر ، من ناحية الساحل الصومالى (٤).
- ويرى دوما (١٩٦٥) أنها تقع جنوبى رأس جردفوى (أقصى شرق القارة الأفريقية) على الساحل الصومالى (٥).
- ويرى كوترل (١٩٦٦) أنها تقع فى الشرق على حافة البحر الأحمر وربما شملت جزءا من الصومال أو شاطئ البحر الأحمر (٦) وأيضا الساحل الصومالى (٧).
- ويرى هيرتزوج (١٩٦٨) فى دراسة قام بها عن بلاد بونت أنها تقع فى المناطق السودانية المتاخمة للحبشة على النيل الأبيض والنيل الأزرق ، وأن

-
- (١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- (٢) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, Paris (1959), p. 229.
- (٣) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, Paris (1963), p. 676.
- (٤) Vandier, Manuel d'archéologie 1V, p. 574 (a) .
- (٥) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, Paris (1965), p. 176 (54) .
- (٦) Cottrell, les Epouses des Pharaons, Paris (1966), p. 55.
- (٧) Cottrell, op. cit., p. 24 .

المصريين القدماء لم يصلوا إلى بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر بل عن طريق النيل (١).

- ويرى د. عبد المنعم عبد الحليم (في أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ، ١٩٧٩) في ست دراسات مختلفة أن بلاد بونت تقع في شمال شرق الصومال وتطل على خليج جل وين (نهر الفيل) (٢).

- (١) Herzog, Punt Abh. DAIK, Bd 6 (1968), p. 20-30, 42-43.
- (٢) تحدث عنها أولا في رسالته للماجستير غير المنشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٦٨ ، وتحمل عنوان " دراسة لعلاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشاطها في البحر الأحمر ، ونشر ملخصا لهذه الرسالة في مؤلفه " البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢-١٥ . وتحدث عنها ثانيا في رسالته للدكتوراه غير المنشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٣ والتي تحمل عنوان : " دراسة تاريخية للصلات ومؤثرات الحضارة بين حضارة مصر الفرعونية وحضارة البحر الأحمر " . ونشر ملخصا عنها في مؤلفه السابق ذكره : " البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة " ، ص ٢٣-٢٧ . وأشار في هذا الملخص إلى التشابه بين بونت وأوفير وخاصة في تجارة سلعة البخور التي كانت تجلب من كل من المنطقتين وذكر أن أوفير كانت تقع في منطقة أفريقية وليس في منطقة آسيوية وحدد موقعها على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة في الصومال الفرنسي سابقا . كما تحدث عنها ثالثا في مقال يحمل عنوان : " محاولة لتحديد موقع بونت " نشر في مجلة دراسات أثرية وتاريخية ، جمعية الآثار بالإسكندرية ، العدد الخامس ، ١٩٧٤ ، ص ١-٣١ . وأعيد نشر هذا المقال في مؤلفه الذي ذكرناه " البحر الأحمر وظهيره " ، ص ٣٩-٧١ . كما تعرض للحديث عنها رابعا في بحث يحمل عنوان : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة " نشر في مؤلفه السابق ، ص ٥٦٤-٥٩٥ وتحدث عنها خامسا في مقدمة حديثه عن كشفه الأثرى عن موقع ميناء من الأسرة الثانية عشرة في وادي جواسيس على ساحل البحر الأحمر (راجع : مؤلفه عن : البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، ص ٧٤-٧٦) وأخيرا تحدث عنها سادسا في بحث ألقاه في ندوة " دراسات تاريخ الجزيرة العربية " التي عقدت بكلية الآداب بجامعة الرياض في أبريل ١٩٧٩ ونشر في أعمال الندوة " مصادر تاريخ الجزيرة العربية " الجزء الأول ، ص ٣٩-٤٥ ، ونشر هذا البحث الأخير تحت عنوان : " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش العربية في مصر " ، في مؤلفه : البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، ص ٤٠١-٤٠٩ . وأشار هذا البحث إلى مفهوم كلمتي تا- نثر وبونت كاسمين مترادفين ، أطلق أولهما على الصحراء الشرقية وعلى المنطقة الممتدة بمحاذاة النيل .

- وأشار د. صالح (١٩٧٢ ، ١٩٧٦) إلى بلاد بونت في مقالين وكتاب ، ففي الأولين يرى أن بونت تقع على الجانب الأفريقي للبحر الأحمر في خط عرض ارتيريا والصومال ^(١). وفي الثاني يرى أن بلاد بونت هي منطقة الصومال وارتيريا معا . وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربي لبلاد اليمن في بعض العصور . وكانت البعثات تسلك طريقها إلى بونت عن طريق وادي الحمامات ثم تنزل إلى البحر الأحمر عند القصير أو عند مخرج وادي جواسيس ^(٢).
- ويرى جيمس (١٩٧٩) أن مكانها لم يحدد بنوع من الدقة . ولكن ربما شمل جزءا من الساحل الصومالي ^(٣).
- ويرى كل من بانز ومالك (١٩٨٠) أن موقع بونت لم يحدد بنوع من التأكيد ولكن ربما يقع في منطقة ارتيريا الحديثة أو في الصومال ^(٤).
- ويرى د. جمال (١٩٨٠) أنها تقع في القرن الأفريقي مع صعوبة تحديد مكانها بنوع من الدقة ^(٥) أو أنها توجد على الساحل الارتيري أو الصومال ^(٦).

(١) Saleh, BIFAO 72 (1072), p. 247; Id., in JEA 58 (1972), p. 140-158.

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ .

(٣) James, An Introduction to Ancient Egypt, London, (1979), p. 36.

(٤) Baines-Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford (1980), p. 20.

(٥) Mokhtar, op. cit., p. 144-145 n. 23, 146-148.

(٦) Id., op. cit., p. 253.

ويذكر د. جمال مختار في : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩٨ حاشية (٢) أن بونت هي الصومال الحالية في أغلب الظن .

- ويرى كيتشن (١٩٨٢) أن بلاد بونت كانت تحتل مساحة كبيرة من شرق السودان وشمال غربى الحبشة ، وأن المصريين القدماء كانوا يصلون إليها عن طريق البحر الأحمر ثم يتجهون بعد ذلك غربا فوق اليابسة .^(١)
- وترى لا لويت (١٩٨٥) أن بلاد بونت لا تشمل فقط الصومال الحالية ولكن منطقة أوسع من ذلك تقع إلى الشرق من السودان فى اتجاه البحر الأحمر وفى شمال وغربى أثيوبيا .^(٢) وتضيف أيضا " أن بونت كانت جزءا من تا- نثر (أرضى المعبود) لأنها كانت تنتج البخور والنباتات التى تضى القداسة " .^(٣)
- ويرى أبو العيون (١٩٨٦) أنها تقع فى المناطق الجنوبية .^(٤)
- ويرى كل من د. صالح وسوروزيان (١٩٨٨) أن بلاد بونت تقع فى مكان ما على الساحل الصومالى .^(٥)
- ويرى كل من فرنوس ويويوت (١٩٨٨) ، فى مؤلفهم المشترك عن " الفراعنة " أن شواطئ بونت الشهيرة ومناطقها الداخلية تشمل مساحة صحراوية وأخرى ساحلية وتقع بين خط عرض ٢٢ و ١٨ . ويقطعها من الجنوب إقليم كسلا الحالى (شرق السودان) وفى الشمال ارتيريا . ونحو الغرب والشمال الغربى توجد حدود تفصلها عن كوش وبلاد المجاو^(٦) (أثيوبيا الحالية) .

(١) Kitchen, in : LA 1V (1982), p. 1198-1201; Id., in Or 40.

(٢) Lalouette, Thèbes ou la naissance d'un empire, Paris (1958), p. 67-68, p. 184-207.

(٣) Lalouette, op. cit., p. 68.

(٤) د. أبو العيون بركات : " بونت بين المصادر المصرية واليمينية القديمة " فى مجلة اليمن الجديد ، الستة الخامسة عشرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٥) Saleh-Sourouzan, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo (1987) no. 130 a.

(٦) Vernus-Yoyotte, les Pharaons, Paris 1988, p. 115.

- ويرى د. عاطف (١٩٩٤) فى دراسة حديثة لم تنشر بعد أن بلاد بونت هى بلاد ظفار الواقعة فى جنوب عمان . وذلك اعتمادا على أن هناك أربعة أنواع من الكندر تنمو فى ظفار وتختلف أماكن زراعتها باختلاف ارتفاعها وابتعادها عن الساحل .^(١) ويضيف أن الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء عليها هو نفس الاسم الذى كان يطلقه عليها أهل اليمن وهو " بنت " .

- وحديثا قام د. محفوظ (٢٠٠٢) بإعداد رسالة دكتوراه غير منشورة ناقشها فى باريس فى يوليو ٢٠٠٢ وهى بعنوان : " سياسة ملوك الدولة الحديثة فى الصحراء الشرقية " .^(٢) وكان من الطبيعى أن يتحدث بالتفصيل عن بلاد بونت فى أكثر من موضع وكلها تنحصر فى نصوص عصر الدولة الحديثة ، وناقش أكثر من موضوع يخص هذه البلاد نلخصها فى الآتى :

• فى ص ٢٢ - ٣١ تحدث تفصيليا عن الرحلة التى أمرت بإرسالها الملكة حاشبسوت إلى بلاد بونت ، وتحدث عن أغلب نقوشها بالدير البحرى وقام بترجمتها (راجع أيضا ص ٤٢٦) .

• فى ص ٥٧ - ٥٩ تحدث عن ذكر بونت فى نصوص عصر الملك تحوتمس الثالث ونصوص كبار رجال الدولة فى عصره . فتحدث عن ذكر بونت فى حولياته فى أعوام ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ . وذكرها فى نقوش مقابر : بوى ام رع (رقم ٣٩) ومقبرة رخمى رع (رقم ١٠٠) ومقبرة فنجر رع سنب (رقم ٨٦) .

• فى ص ٧٠ - ٧١ تناول نصين يتحدثان عن العلاقات التجارية بين مصر وبلاد بونت فى عصر الملك أمنحنب الثاني وتمثل كبار بونت فى المقبرة رقم ١٤٣ .

(١) د. عاطف عبد السلام : موقع بلاد بونت وتجارة اللبان فى ظفار ، بحث قبل للنشر فى مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، ١٩٩٤ ، ص ١٢٠٢ .

(٢) El Sayed-Mahfouz, la Politique des Souverains du Nouvel Empire au desert Oriental, Paris 2002 (non publiée).

- وفى ص ١٠٤ - ١٠٨ تحدث عن البعثات التى أرسلت إلى بلاد بونت فى عصر الملك أمنحتب الثالث وتصوير مراكب من بونت فى مقبرة آمن مس .
- وفى ص ١٢٦ - ١٢٧ تحدث عن التصوير الوحيد لكبار بونت فى مقبرة مري رع الثانى فى تل العمارنة واستقبال الملك إخناتون وعائلته لهم .
- وفى ص ١٣١ - ١٣٢ تحدث عن حضور أمراء بونت لتحية الملك حور محب ومعهم جزييتهم على ظهورهم فى نقوش الصرح العاشر فى معبد الكرنك .
- وفى ص ١٦٥ - ١٦٦ تحدث عن النقش الذى يشير إلى بونت فى قاعة الأعمدة الكبرى فى معبد الكرنك من عصر الملك سيتى الأول .
- وفى ص ١٩٥ - ١٩٦ تحدث عن نصين يشيران إلى بونت من عصر الملك رمسيس الثانى فى نقوش معبدى العامرة الغربية واكشا .
- وفى ص ١٩٧ - ١٩٨ تحدث عن نصوص أخرى من عصر الملك رمسيس الثانى فى معبدى سرايية الخادم وأبيدوس .
- وفى ص ٢١٦ تحدث عن القرابين المسجلة فى الحجرة رقم ١٢ (حجرة الخزانة) فى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث وتذكر المر الذى يأتى من تا - نثر .
- وفى ص ٢١٨ - ٢٢٢ تحدث عن بردية هاريس التى تذكر إرسال بعثة إلى بلاد بونت فى عصر الملك رمسيس الثالث وشرح لنا فى نصين : مراحل الاستعداد للرحلة ، الوصول إلى بلاد بونت ، ثم العودة والرسو فى قفط .
- وفى ص ٣٢٥ - ٣٣٦ ناقش بعض الآراء التى قيلت بخصوص بلاد بونت ابتداء من هيرتز وج ومختلف العلماء الأجانب والمصريين .

- وفى ص ٣٣٦ - ٣٣٧ يذكر رأيه بالنسبة لموقع بونت ويقول : " يبدو أن بلاد بونت كانت قارة تمتد بطول البحر الأحمر فى الشرق (ميناء السودان) حتى الشمال فى عقيق فى الجنوب إلى عطبرة فى الغرب . وأن المصريين يصلون إليها فى عصر الدولة الحديثة عن طريق البحر الأحمر " . وفى رأينا أن كلمة قارة هنا هو تعبير مبالغ فيه بعض الشيء وأفضل أن نقول أنها تشمل منطقة شاسعة أو لها امتداد واسع .
 - وفى ص ٣٣٧ - ٣٣٩ ناقش سبع نقاط يؤيد بها رأيه السابق .
 - وفى ص ٣٤٠ - ٣٤١ تحدث باختصار وبوجه عام عن نقوش الدولة الحديثة التى تتناول بلاد بونت .
 - وأخيرا فى ص ٣٥٨ - ٣٦٠ تحدث عن وجود قدس أقداس أو مقصورة للمعبودات المصرية فى بلاد بونت فى عصر الدولة الحديثة . ويأمل فى حدوث حفائر للعثور على بقاياها . كما تحدث عن ارتباط بعض المعبودات المصرية ببلاد بونت .
- وفى رأينا أن معظم هذه الآراء عبارة عن اجتهادات وآراء شخصية من قبل العلماء ولا يعتمد أغلبها (إلا القلة مثل ما ذكره د. محفوظ بالنسبة لذكر بونت فى نصوص عصر الدولة الحديثة) على معلومة محددة مشتقة من نص أو أكثر من نقش يمكن الاعتماد عليه فى تأكيد أو رفض أى من هذه الآراء . لهذا رأينا أن نرجع إلى المصادر الأثرية وخاصة النقوش والنصوص المصرية القديمة لمعرفة أين تقع هذه البلاد على وجه التقريب وما كانت تمثل منتجاتها من أهمية فى الطقوس فى الحياة الدينية والاقتصادية فى مصر القديمة . وذلك ابتداء من نصوص عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى - الرومانى . ولا ندعى أننا جمعنا كل النصوص ولكن حاولنا تجميع أكبر قدر منها وهى أكثر من ١٦٢ نصا .

عصر الدولة القديمة :

- أ- فسى إحدى المقابر من عصر الأسرة الرابعة جاء ذكر أنه كان يوجد فى خدمه أحد أبناء الملك خوفو شخص من بونت يدعى نحسى الملقب بحرايزى .^(١)
- ٢- وجاء أول ذكر لبلاد بونت فى نقوش حجر بالرمو التى تذكر لنا أن الملك ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة (حوالى ٢٤٥٨ ق. م) قد تلقى ٨٠ ألف وحدة من المر وستة آلاف وحدة من الالكتروم ، و ٢٩ ألف عصا (من الأبنوس) وكمية من الذهب والأخشاب والأحجار الكريمة .^(٢) فهل أرسل الملك ساحورع بعثة مصرية إلى تلك المناطق البعيدة وتلقى منها كل هذه الجزية ؟
- ٣- وفى نقوش المعبد الجنائزى الخاص بالملك ساحورع نجد تصوير لأسرى أو سجناء من أهل بونت ، صورهم الفنان مقيدى الأيدى .^(٣) دلالة على خضوعهم

(١) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 678; LD 11, 23;

Herzog, Punt, p. 9 n. 1.

مع أن كيتشن يشك فى صحة هذا النص ، راجع : Kitchen, in LA 1V, p. 1198 n. (1)

(٢) Lalouette, op. cit., p. 68; Erman-Ranke, op. cit., p. 678

Breasted, ARI, 161, 8.

وأيضاً : د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٢ حاشية (٢) ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، دار النهضة العربية ١٩٦٦، ص ٢٣٥؛ حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤، ص ١٤٣؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٥٥٤ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ حاشية (١) ، ١٤٣ حاشية (١) ؛

د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٧ حاشية (٦٧) .

Latouette, op. cit., p. 68; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. (1); Erman-Ranke, op. cit., p. 677 fig. 253.

لسطوته ولا يعنى ذلك أنه أخضعهم عسكريا حيث لا تشير النصوص إلى قيام هذا الملك بحملة عسكرية على بلاد بونت ولكنه نوع من الدعاية العسكرية .

٤- ومن عصر الملك جد كارع اسيسى ثامن ملوك هذه الأسرة (حوالى عام ٢٣٦٩ ق. م) تخبرنا النصوص أنه أرسل حملة إلى بونت ، وكان يقودها القائد " باور جدت " وكان على القوات أن تعبر الصحراء بين النيل والبحر الأحمر ، وبعد ذلك تم بناء مراكب على الشاطئ غير المسكون . وأبحرت المراكب من ميناء كان يطل على البحر الأحمر . ثم قطعت المراكب مسافة ٢٠٠٠ كم بحرا بطول الشاطئ الخالى من المياه العذبة . وأخيرا وصلت البعثة إلى بلاد بونت وكان لابد لأعضائها من إقامة علاقات ودية مع سكان بلاد بونت الأصليين ، والذى كانوا ينظرون إليهم بعين الحرص والحذر . وقد كافأه الملك بعد عودته على إنجاز هذه المهمة بنجاح لدرجة أن هذه المكافأة كانت هامة ومجال تعليق تحت حكم الملك بيبي الثانى . وجاء ذكر هذه الحملة على حجر بالرمو الذى أمر الملك جد كارع اسيسى بإقامته . وأحضرت الحملة من هناك حوالى ثلاثة آلاف عصا من الأبنوس وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ والجلود .^(١)

٥- ومن الأسرة السادسة عثر ريزنر على إناء أثناء حفائر فى نجع الدير عليه اسم الملك تيتي وعليه صورة لأنثى تعبر عن بلاد بونت وهذا الإناء موجود حاليا فى مجموعة جامعة كاليفورنيا .^(٢) ربما كان هذا الإناء يحتوى على زيوت عطرية من بونت أو أطعمة يحملها البحارة معهم عند ذهابهم إلى بلاد بونت (راجع فيما بعد النص رقم ٢٠) .

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 46; Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 44; Erman-Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 678; Kitchen, in LA 1V, p. 1199.

؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ؛ Smith, in CAHI, part 2, p. 1950.

٦- وكتب حرخوف أحد حكام أسوان إلى الملك بيبي الثاني خامس ملوك الأسرة (حوالي ٢٢٤٦ ق. م) أنه أحضر قزما زنجيا من بلاد الأرواح ورد عليه الملك بخطاب سجل محتواه حرخوف على جدران مقبرته في أسوان ويقول الملك فيه : " إن جلالتى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل ثروات مناجم سيناء أو بلاد بونت " (١).

٧- كما أرسل الملك بيبي الثاني بعد ذلك أحد حكام أسوان ويدعى بيبي نخت الذى قام بعدة رحلات وخاصة إلى بلاد بونت . وخصص الملك لهذه الرحلة قوة من الجنود والبحارة والعمال لبناء المراكب اللازمة على شواطئ البحر الأحمر (٢). وكان يرأس هذه الحملة أحد الضباط . ولكن هذه الحملة لم تتم بسبب هجوم قبائل بدو الصحراء الشرقية على أفرادها وقضوا عليهم . وعندما وصلت أنباء هذا الحدث أرسل الملك بيبي نخت بهدف معاقبة هؤلاء البدو والانتقام منهم والعودة بأجساد الضحايا .

(أى أن بونت ذكرت مرتين فى عصر الملك بيبي الثاني)

٨- وعن الرحلات البحرية إلى كبن (جبيل) وبونت فى عصر الأسرة السادسة لدينا نقش للملاح خنوم حتب فى مقبرة حامل ختم المعبود " خوى " فى الفنتين ويقول فيه :

(١) Aldred, les Egyptiens au temps des Pharaons, Paris (1965), p. 88, 110; Weigall, op. cit., p. 54; Mokhtar, op. cit., p. 252; Breasted, AR I, 339.

وأیضا : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ١٣٠ - ١٣١، ٤٠٢ حاشية (٦) ؛ وولتر إمري : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفه هندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ١٣٥ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٤.

(٢) James, op. cit., p. 48; Kitchen, in LA 1V, p. 1199; Drioton-Vandier, L'Égypte (éd. 1952), p. 208, 228 (9); Erman-Ranke, op. cit., p. 678; Breasted, AR I, 336.

" مدير المقصورة خنوم حتب يقول : خرجت مع سيدى الأمير الوراى حامل ختم المعبود تى (وأيضاً) خوى إلى كبن (جبيل) وبونت ، إحدى عشرة مرة ، حاملاً بسلام ما أنتجته (حرفياً ما صنعتها) البلاد الأجنبية .^(١) والمقصود بالمقصورة هنا هو المكان الذى كانت تمارس فيه الطقوس الدينية ويبدو أن ما أحضره كان له صلة بما يتم فى هذه المقصورة من حرق للبخور . وهناك نقش آخر يخص تى نفسه ونقرأ فيه ألقابه وإنجازاته ويبدو أنه ذهب إلى المناطق الجنوبية لإحضار منتجاتها إلى الملك ، ويقول " لقد أحضرت ثروات (حرفياً ممتلكات - hrt) البلاد الأجنبية الجنوبية إلى ملك مصر العليا ، تى " .^(٢)

وتوقفت العلاقات التجارية مع بلاد بونت وتا- نثر خلال فترة الاضطرابات السياسية فى مصر فى العصر الوسيط الأول من الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة . واستؤنفت هذه العلاقات مع بداية عصر الدولة الوسطى .

عصر الدولة الوسطى :

نجد أن بونت ذكرت فى أكثر من نص من نصوص التوابيت :

(١) Kitchen, op. cit., p.1199 n. 6; Urk I, 140-141 (291, 1. 14-15, 1-3; De Morgan, Catalogue des Monuments et Inscriptions I, p. 157; Mokhtar, op. cit., p. 147 n. 30; Drioton-Vandier, op. cit., p. 209, 227; Breasted, AR I, 361.

وأيضاً : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٩ حاشية (١١١) . وذكر هذا النص فى مؤلف د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٤١-٤٢ . ولكن الترجمة محتاجة إلى مراجعة ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ حاشية (٣) .

(٢) Urk I, 140-141 (30), 1. 6-8; De Morgan, op. cit., I, p. 199-200.

٩ - فيحدثنا نص عن دور حتحور بالنسبة لأوزير (أى المتوفى) فيقول أنها : (١)
" سيدة بونت " (٢) التى تعطى (لأوزير) المر فى القصر الكبير . (٣)

١٠ - وفى نص آخر يتشابه فيه المتوفى مع أوزير ويتقبل المنتجات الثمينة التى تخرجها الأرض وأيضا العطور والروائح التى يقدمها المعبود جب ونقرأ (٤) :

" انه جب الذى يحضر له المر (cntyw) من تا- نثر " .

١١ - وفى نص ثالث يقال للمتوفى (٥) :

" فليحضر له المر من تا- نثر والعطور (٦) من بونت " .

١٢ - وفى نص رابع يقول المتوفى (٧) :

" أمى إيزيس هى التى أَرْضَعْتَنى ... إنى أبحث عن مكان للاستقرار
باسمى هذا " ححو " ووجدته فى بونت . وشيدت منزلا هناك على تل مسطح
حيث تمكث أمى (إيزيس) بين أشجاره للجميز " .

هنا يشبه الكاتب بونت بالجبانة التى يجد فيها المتوفى المقر مع إيزيس .

(١) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, p. 91 n. (2) .

(٢) عن حتحور سيدة بونت ورمز لكل منتجات المناجم ، راجع :

Aufrere, L'Univers mineral dans la Pensée Égyptienne, BdE
105/1 (1991), p. 82, 121, 174 .

(٣) المقصود بالقصر الكبير هو المقصورة الموجودة فى المعبد ، مثل التى كانت موجودة فى معبدى الكرنك واسنا ، راجع :

Gitton, BIFAO 74 (1974), p. 64-73; Sauneron, Esna V, p.
329 n. (d) .

Aufrere, op. cit., p. 316 n. 79. (٤)

Id., op. cit., p. 316 n. 80. (٥)

(٦) كلمة cntyw تعنى مر أو عطور ، راجع : Wb I, 206, 7-14

Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 117 n. 7. (٧)

١٣- وهناك نص من عصر الملك منتوحتب الثاني خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة نعرف منه أنه أمر بإرسال بعثة عبر الصحراء إلى بلاد بونت^(١).

١٤- وهناك نقش في وادي الحمامات يحمل رقم ١١٤ من عصر الملك منتوحتب الثالث سادس ملوك الأسرة ومؤرخ بالعام الثامن من حكم هذا الملك ويحدثنا أن هذا الملك أرسل حملة إلى بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر وقد وضعت هذه الحملة تحت قيادة ضابط يسمى حنو وكان معه ثلاثة آلاف من الجنود وكان يصرف لكل واحد من جنوده ٢٠ رغيفا وقدرتين من الماء يوميا . وقام هذا القائد بحفر آبار للمياه حتى لا يتعرض أفراد البعثة لمشاكل العطش وأعدت المراكب وأنزلت إلى المياه ، وأخيرا كللت هذه الرحلة الطويلة بالنجاح وعادت إلى البلاد محملة بكميات كبيرة من البخور والعطور . وبعد عودتها قام أفراد البعثة بتقديم القرابين والتضحيات شكرا للمعبودات على عودتهم سالمين . وقد عثر على لوحات في موقع الميناء عند مرسى وادي جواسيس من عصر الدولة الوسطى^(٢) ونقرأ في السطرين ١٠ - ١٥ ما يلي :

" أرسلني سيدي لكى أجهز سفنا من بيبيلوس متجهة إلى بونت لكى أحضر له المر الطازج (cntyw w3d)^(٣) الذى ينتجه الحكام رؤساء الصحراء (hryw- tp dšrt) (أى أرض جنوب الجزيرة العربية) لأن الخوف الذى يوحى به (جلالته) كان يعم البلاد الأجنبية . ورحلت من ققط عبر الطريق الذى أمرنى جلالته بأن أتبعه مصحوبا بقوات من أرض الجنوب .. وقمت بما أمرنى به جلالته وأحضرت له كل المنتجات التى وجدتتها فى مناطق تا- نثر " .^(٤)

(١) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 7; Hayes, JEA 35 (1949), p. 43.

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١٢٢ (١)

(٣) Wb I, 206, 13.

(٤) ذكر هذا النص العديد من الباحثين ، راجع :

Aufrere, op. cit., p. 13, 43 n. 155; Kitchen, op. cit., p. 1199 n. 8; Couyat-Montet, Inscriptions du Ouadi-Hammamat, p. 81 pl.

١٥- وفى النقش رقم ٣٣٢ فى شبه جزيرة سيناء من عصر الدولة الوسطى جاء ذكر المعبود " تحوتى كسيد لبونت " (١).

١٦- وفى قصة مغامرات سنوهى ، نرى فى النهاية كيف سر سنوهى من الرد الذى تلقاه من الملك سنوسرت الأول عندما رحب بعودته فأخذ يدعو للملك بأنه المفضل من قبل مجموعه من المعبودات منها (B 209-210) :

" مين- حورس الذى يقطن فى الصحارى ، ووررت سيدة بونت " (Pwnt) (٢).

ومن عصر الملك سنوسرت الأول لدينا نصين هامين عثر عليهما فى منطقة وادى جواسيس فى مكان الميناء القديم على البحر الأحمر :

====
31 (114); Breasted, AR I (427); Weigall, op. cit., p. 67; Aldred, op. cit., p. 125, 201; James, op. cit., p. 52; Drioton-Vandier, op. cit., p. 244; Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 677-678; Mahfouz, la Politique des souverains du Nouvel Empire au desert Oriental, Paris 2002, thèse inédite, p. 312.

وأيضاً : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٨ حاشية (١٣) .
(١) Aufrere, op. cit., p. 41 n. 80.

كان للمعبود تحوتى دور فى سيناء ، وبالتالي كانت هناك علاقة بين منتجات بونت وسيناء ، راجع : Posener, Annuaire du College de France (1973), p. 369-374; Chadeffaud, les Statues Porte-Enseignes de L'Égypte Ancienne, p. 44, 175 n. 30.

(٢) Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, BdE22 (1956), p. 127 n. 5; Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 116 n. 4; Lefebvre, op. cit., p. 18; Blackman, Middle Egyptian Stories, BAe 11 (1932), p. 33.

١٧- وعلى لوحة للوزير إنتف-إقير كانت مقامة في مواجهة خليج وادي جواسيس ، وتسجل نقوشها أمرا صدر من الملك سنوسرت الأول إلى الوزير لبناء سفنا لإرسالها إلى منطقة مناجم بونت ورحلت هذه السفن من ميناء جواسيس .^(١) ونقرأ في السطرين ٣-٤ :

" بناء هذه السفن الخاصة بترسانة قفط لإرسالها إلى منجم^(٢) بونت- (بيا- بونت) (bj3 Pwnt) " .^(٣)

(١) Drioton-Vandier, op. cit., p. 258; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 9-10.

وعن هذا الميناء راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، ١٨٣ شكل ٤٦ ب .

(٢) يعطى اوفرر في دراسته الهامة عن عالم المناجم والمحاجر في الفكر المصري لكلمة bj3 أكثر من عشرة معانى منها : منجم ، منطقة محاجر ، معدن ، روائع (معدنية) ، ثروات أو روائع المناجم (من أحجار كريمة) ، ثروة (طبيعية) ، حجر صوان ، نبات- bj3 ، آبار ، قبة زرقاء (بما فيها من روائع الكون) ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 64 (1), (index), p. 19; Meeks, Alex. 1, p. 113; Wb I 438, 12-13; Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, BdE 59 (1972), p. 120 n. 248.

(٣) يترجم اوفرر كلمة bj3 Pwnt بـ " منجم بونت " راجع :

Aufrere, op. cit., p. 64.

يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٢٨-١٣٨ أن بيا- بونت هي منطقة تقع في المنطقة الممتدة من بورسودان وسواكن شمالا حتى عسيق جنوبا على وجه التقريب . وفي رأينا أنها منطقة المناجم الخاصة ببونت كما ذكر اوفرر .

١٨- كان للوزير السابق ذكره انتف اقر مقبرة في البر الغربى فى طيبة ولكنه دفن فى اللشت^(١). وجاء فى نقوشها ذكر لقب " حتحور سيدة بونت " ^(٢).

١٩- نقوش بقايا مقصورة كانت مقامة فى وادى جواسيس لشخص يدعى عنخو ، كان رئيسا للبحارة فى عصر الملك سنوسرت الأول وتسجل نقوشها أخبار بعثة بحرية إلى مناجم بلاد بونت فى ثلاثة أماكن متفرقة حيث نقرأ فى النص ما يلى :

أ- " (سنوسرت الأول) المحبوب من حتحور سيدة بونت " ^(٣).

ب- " وتوجهت فى رحلة إلى منجم بونت (bj3 Pwnt) " ^(٤).

ج- وفى نفس النص السطر ٦ جاء ذكر العبارة :

" منتجات ^(٥) تا- نثر " ^(٦) (inw T3-ntr) .

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ حاشية (٢٥) .

(٢) Chadeaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 175 n. 30.

(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٦ (١) ، ١٦٧ شكل ٢٦ ب

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠١ (٢) ، ١٧١ شكل ٢٨ ب سطر ٢؛ Mokhtar, op. cit., p. 145 n. 26.

(٥) تعنى منتجات أو جزية فى شكل منتجات ثمينة من المناجم والمحاجر ، راجع :

Aufrere, op. cit., p. 49, 103, 108 et index, p. 17.

(٦) يرى فركوته أن تا- نثر هى الأرض التى تقع إلى الشرق فى الشمال الشرقى

والجنوب الشرقى لمصر ويطلق أحيانا على سوريا وفلسطين وأحيانا أخرى على المنطقة التى توجد بها بلاد بونت ، وأن كل من بونت وتا نثر كانتا مرتبطتان ،

راجع : (2), p. 12-13 n. (2), Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, 65-66, 90 n. (4), 101 n. (5), 102 n. (8); Kuentz,

BIFAO 17 (1920), p. 121-140 وهذا هو رأى كوينز أيضا فى :

ويذكر لنا فركوته نصا من عصر الأسرة العشرين حيث جاء فيه ذكر - T3

ntr mhty أى " تا- نثر الشمالية " أى التى تقع إلى الشمال من الجزيرة العربية وتشمل سوريا ، راجع : (4), n. (23), p. 98 Vercoutter, op. cit.,

كما إننا نقرأ بقايا نص مهشم بقيت منه كلمة واحدة هي " بونت " (١).

== ويفهم من ذلك النص أن هناك تا- نثر الجنوبية التي كانت تشمل كل الجزيرة العربية وسطها وجنوبها . وفي دراسة لأستاذنا د. صالح أشار إلى أن تعبير تا- نثر كان يطلقه المصريون القدماء على أكثر من منطقة ، على الصحراء التي تقع بين النيل والبحر الأحمر وامتد هذا المعنى ليشمل كل البلاد التي تقع جنوبى وشرقى الحدود المصرية . وأصبح له معنى أكثر شمولاً فيضم أراضي شبه جزيرة سيناء وشمال الجزيرة العربية ثم فلسطين وفينيقيًا وسوريا وأراضي خاتى (آسيا الصغرى) . ثم أصبح بعد ذلك مصطلحاً عاماً لا يحدد منطقة معينة بل يشمل مفهوم المصرى القديم كل الأراضي التي خلقها المعبود فى كل مكان ، راجع : Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 108-111, 115-116; Id., BIFAO 72 (1972), p. 249 n. (1) .

ويرى أوفرر أن تا- نثر هي الأرض التي تقع بين النيل والبحر الأحمر شرق قفط وسلسلة جبال الجزيرة العربية ، راجع : Aufreere, op. cit., p. 743 : (a) - ويرى كل من ارمان ورانكه أن تا- نثر تشمل الشرق حيث يشرق المعبود رع يومياً . ومن ثم أطلق هذا التعبير على المنطقة الصحراوية الجبلية بين النيل والبحر الأحمر وأيضاً شبه جزيرة سيناء وشمال الجزيرة العربية ووسطها، راجع : Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 676 بينما يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ أن تا- نثر يمكن أن تشمل الجزيرة العربية أى أنها الأرض التي يشرق منها المعبودان تا- نثر وبونت تقعان فى منطقة متجاورة .

كل هذه المعانى نجدها فى -1, 225, Wb V; Meeks, Alex. I, p. 441; 3. كما أطلق التعبير تا- نثر على الجبانة بوجه عام ، راجع :

Meeks, Alex. III, p. 319; Wb V, 225, 5.

وسوف نرى فى نصوص الملكة حاتشبسوت بالدير البحرى أن التعبير تا- نثر بمعنى " البلد المقدس " كان يطلق أيضاً على بلاد بونت نفسها، راجع : أرقام ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩ ؛ وأيضاً : Wb V, 225, I.

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٦٢، ١٧٢ شكل ٢٩. فهل المقصود هنا بيا بونت أى منجم أو محجر بونت الموجود فى جبال بونت والذي كان يستخرج منه الذهب الخام، راجع : RdE 29, p. 150 n. 10 ويفهم من لوحة انتف- اقر السابق ذكرها أن السفن المصرية التي كانت متجهة إلى بلاد بونت أو إلى مناجم جبال بونت كانت تبحر من ميناء يطل على =====

٢٠- عثر فى حفائر وادى جواسيس على كسر أوانى فخارية عليها كتابات بالهيراطيقية تشير إلى أنواع الأطعمة وأشياء أخرى كانت تحتويها هذه الأوانى .

=== البحر الأحمر . وقد تم الكشف عنه فى عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، بواسطة بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية برئاسة د. عبد المنعم عبد الحليم . وكان هذا الميناء يقع إلى الشمال من ميناء القصير الحالى بحوالى ٦٠ كم. وكانت هذه اللوحة من بين العديد من الآثار التى عثر عليها فى هذا الموقع الهام. ويفهم من نصها وخاصة السطرين ٣ - ٤ أن سفن البعثات البحرية إلى بونت كانت تشيد فى ترسانة فقط على شاطئ النيل (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٧٣ - ١٤٥ ، ٤٣٩ حاشية (٥٥) ؛ Lalouette, Thebes ou la naissance d'un Empire, p. 68; Drioton-Vandier, op. cit., p. 244. ويفهم من هذا النص أيضا أن هذا الميناء كان مستخدما فى عصر الملك سنوسرت الأول ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وربما كان موجودا من قبل هذا التاريخ (؟) . (يرى كيس أن رحلات الدولة القديمة إلى بلاد بونت كانت تتركب البحر من منطقة السويس فقط ، راجع د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٧ حاشية "٦٦") . ويضيف د. عبد المنعم عبد الحليم (المرجع السابق، ص ١٤٤ - ١٤٥) أن هذه السفن كانت تفك إلى عدة أجزاء وتنقل بعد ذلك عبر الطرق الصحراوية من النيل إلى البحر الأحمر ، حينما كانت تتركب وتجمع فى هذا الميناء وتستخدم فى الإبحار فى البحر الأحمر ، وأنه بعد عودتها من رحلتها، يعاد فكها مرة أخرى فى الميناء وتنقل أجزاؤها إلى النيل لتستخدم كمراكب نيلية .

وكان يطلق على هذا الميناء اسم " ساوو " أو " سو " . وقد ورد هذا الاسم فى نقوش عنخو ولوحة خنتى ختى - ور وفى نقوش تحوتمس الثالث (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢١ ؛ Erman- Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 676) . وأحيانا كان يسبق كلمة ساوو كلمة " دمي " بمعنى ميناء أى ميناء ساوو ، (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ١٢١) .

وعن معنى كلمة dmi ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 436

وكذلك الأماكن التي جاءت منها . ومنها أنية عليها ثلاثة أسطر ، ففي السطر الثاني نقرأ اسم الجهة الصادر إليها الطعام وهي بونت (*Pwnt*) وفي السطر الثالث الجهة الوارد منها (في مصر) .^(١)

٢١- ومن عصر الملك امنمحات الثاني ثالث ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٢٩ ق. م) لدينا بردية تحمل اسم قصة بحار السفينة الغارقة أو الملاح الذي نجا وتسمى أيضا قصة جزيرة الثعبان . وهي المعروفة باسم بردية جولينشف ومحفوطة الآن في متحف الارميتاج في ليننجراد تحت رقم 1115 .^(٢) وتقص علينا قصة بحار كان ذاهبا في بعثة إلى بلاد بونت^(٣) لإحضار البخور من هناك فقامت عاصفة وهلك جميع البحارة المائة وعشرين وحملته الأمواج إلى جزيرة أمضى هناك ثلاثة أيام وحيدا لا أنيس معه وفوق هذه الجزيرة كان يعيش ثعبان يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وله لحية طولها أكثر من ذراعين وأعضاؤه مغطاة بالذهب . وعندما سأله عن أحضره إلى هذه الجزيرة أخبره بقصته وهلاك المائة والعشرين بحارة الذين كانوا معه . وطمئنه وقال لا تخف أن المعبود أراد أن تحيا لأنه اصطحبك إلى هنا إلى جزيرة الروح وسوف تمضي شهرا يلي شهرا حتى أربعة وبعد ذلك تأتي مركب لتعود بها إلى بلدك مع بحارة تعرفهم ، وسوف تعود معهم وتتوفى في مدينتك . وقص عليه الثعبان قصته التي حدثت له على هذه الجزيرة ، وأنه كان مع بنى جنسه وكان يوجد من بينهم أطفال . وكان عددهم خمسة وسبعين ثعبانا . وكان يوجد أيضا

(١) Chadeffaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 175 n. 30.

(٢) راجع : Erman- Ranke, op. cit., p. 676-682

وأیضا د. عبد الحمید زاید : مصر الخالدة ، ص ٣٧٧-٣٧٨ ؛ د. أحمد فخری : دراسات فی تاریخ الشرق القديم ، ص ١٤٣ (١) ؛ د. رمضان عبده : تاریخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩١٧ ، ص ٦٦٧-٦٦٩ .

(٣) كان ذاهبا إلى جزيرة الروح وكانت موجودة في بلاد بونت ، راجع :

Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, Paris (1949), p. 30.

فتاة صغيرة السن ، وهبت لهذا الثعبان عن طريق الطقوس والدعاء وسقطت
نجمة من السماء عليهم جميعا فهلكوا بنارها واحترقوا جميعا . وتبين هذه
القصة مدى المصاعب والمخاطر التي كان يتعرض لها البحارة المصريون
أثناء رحلاتهم فى البحر الأحمر . وما يهمنا هنا هو ما جاء فى حوار الثعبان
مع البحار عندما قال له ^(١) :

أ - السطر ١٥٠ :

" انك لا تملك الكثير من المر (cntyw) (بينما أنا) نشأت كسيد
للبخور (sntr) . وأنا بالتأكيد حاكم بونت (Pwnt) والمر (cntyw)
والذى بها يخصنى . (أما عن) عطر - hknw ^(٢) هذا الذى قلت أنك تستطيع
إحضاره فإنه المنتج (حرفيا المكان) ^(٣) الرئيسى لهذه الجزيرة " .

ب - الأسطر ١٦٢ - ١٦٦ :

ويذكر البحارة فى نهاية الحوار ما أعطاه له الثعبان من منتجات :

" ثم أعطانى حمولة (sbt) من المر (cntyw) وعطر - hknw ،
وعطر - iwdnbw ^(٤) ، والتوابل (hs3yw) ^(٥) والبهارات (ti - špsw) ^(٦) ،

(١) Lefebvre, op. cit., p. 38-39; Erman-Ranke, op. cit., p. 681-682;
Blackman, Middle Egyptian Stories, Bae 11 (1932), p. 46-47;
Desroches-Noblecourt, Memnonia 1X (1998), p. 59-64.

(٢) Wb 111, 180, 5; Meeks, le Grand texte des donations au temple
d'Edfou, p. 105 n. 182.

(٣) كان من المنتظر أن يكتب الكاتب هنا كلمة m3c بمعنى " منتج " (راجع :
Faulkner, Concise Dictionary, p. 102)

ولكنه كتب كلمة bw التى ربما تعنى هنا " (منتج) المكان " .

Wb I, 59, 9. (٤)

Wb 111, 400, 3-4. (٥)

Wb V, 243, 8. (٦)

ومنتج الـ Š3c - ch^(١) ، وكحل أسود ، وذيول زراف^(٢) ، وزكائب ضخمة
للسبخور (sntr)^(٣) ، وسن فيل^(٤) ، وكلاب صيد ، وقردة^(٥) ، ونسانيس^(٦) ،
وكل النفائس الطيبة (Špssw nb nfr) ثم حملت هذا إلى هذا المركب " .

ج- السطر ١٧٥ :

وعند عودته إلى مصر وضع كل هذه المنتجات أمام الملك ، ويقول :
" وقدمت (ms) له (أى الملك) هذه المنتجات^(٧) (inw pn) التى
أحضرتها من داخل هذه الجزيرة . وشكرنى فى حضرة نبلاء البلاد كلها ، ثم
رفعنى إلى مرتبة صديق ومنحنى العبيد من بين الذين كانوا فى ملكيته " .^(٨)

٢٢- عثر على لوحة للمدعو خنثى ختى - ور الأمير الوراثنى - من عصر الملك
أمنمحات الثانى ، عثر عليها فى الموقع الرومانى بوادى جواسيس^(٩) ، ولكن
يبدو أنها كانت مقامة فى الأصل بالقرب من مرسى ميناء جواسيس ، وتذكر
نصوصها :

(١) Wb 1V, 409, 12 .

(٢) تقرأ : sdw nw mmy ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 156

(٣) تقرأ : mrywt c3t nt sntr ، راجع لمعنى mrt : Meeks, Alex. I, p. 164

(٤) تقرأ : nhdt nt 3bw ، راجع لمعنى nhdt : Meeks, Alex. I, p. 198

(٥) تقرأ : gwfw

(٦) تقرأ : kyw وجاء ذكر معظم هذه المنتجات فى نصوص حاتشبوت بالدير
البحرى ، (راجع فيما بعد رقم ٣٥ أ) .

(٧) عن هذا المعنى لـ inw ، راجع فيما سبق رقم ١٩ حاشية (٤) .

(٨) Lefebvre, op. cit., p. 39.

(٩) يذكر د. عبد الحميد زايد فى : مصر الخالدة ، ص ٣٨٠ ، ٤٠٧ أن هذه اللوحة
نقلت إلى إنجلترا وهى الآن فى قلعه Alnwick .

" التعبد للمعبود وأداء الابتهاالات إلى مين فقط بواسطة الأمير الوراى ،
حامل ختم الوجه البحرى ، المشرف على القاعة خنتى ختى- ور وذلك بعد
وصوله بسلام من بلاد بونت (Pwnt) وقواته معه ورسى بأسطوله بسلام فى
ساو . (١)

٢٣- كما عثر فى وادى جواسيس على لوحة تخص المدعو إى- مرو من الأسرة
الثانية عشرة ، ولكن للأسف الشديد تآكلت معظم نقوشها ولم يتبق إلا نقوش
بسيطة فى الجزء السفلى ونقرأ منه بقايا العبارة ".... إلى منجم بونت " (bj3)
(Pwnt) . (٢)

وتوقفت للمرة الثانية العلاقات التجارية مع بلاد بونت وتا- نثر من الأسرة
الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة ، وذلك أثناء فترات الضعف السياسى
وتمزق وحدة البلاد السياسية وتعرضها للغزو والاحتلال الأجنبى لأول مرة فى
تاريخها فكان من الطبيعى أن تتوقف الرحلات التجارية إلى الجنوب .

عصر الدولة الحديثة :

زادت العلاقات التجارية مع بونت فى هذا العصر ، فقد أرسلت الملكة
حاتشبسوت فى العام التاسع من حكمها (حوالى عام ١٤٩٦ ق. م) بعثتها الشهيرة
إلى بلاد بونت لإحضار المنتجات والثروات الطبيعية لجبال هذه البلاد البعيدة . (٣)

(١) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 10; Mokhtar, op. cit., p. 145;
Erman-Ranke, op. cit., p. 678; Drioton-Vandier, op. cit., p. 258.
؛ وأيضا : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ١٢١ ،
١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٤٧ شكل (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص
٣٨٠ .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩١ ، ١٦٠ شكل ١٩ أ- ب .
(٣) قام فاندييه بالحديث تفصيلا عن هذه الرحلة التى أمرت بإرسالها حاتشبسوت
وحاملى الجزية منها فى مقبرتى امنمحات والمقبرة رقم ١٤٣ .

Vandier, Manuel d'archéologie 1V, p. 574 – 578 Fig. 311-312 .
Lalouette, Thèbes ou la naissance d'un Empire, Paris (1985), p.
299-256; Saleh

وسجلت مراحل هذه الرحلة في نقوش الشرفة الثانية أو المدرج الثاني ،
الرواق الأيسر ، الجدار الجنوبي . ويبدو أنه كان يصحب البعثة فنان كبير من القصر
الملكى يعاونه آخرون تولوا بعد عودة البعثة نقش كل تفاصيلها على جدران المعبد^(١)
من أصل تخطيطى رسم وسجلت عليه كل التفاصيل بدء من الرحيل حتى العودة .
وربما كان مع البعثة مجموعة من الكتبة الذين أدوا دور المراسلين الصحفيين^(٢).

فنرى رحيل الأسطول ووصوله إلى شواطئ بونت . ونرى المبعوث
المصرى " نحسى " وقد رسى بمراكبه على الشاطئ ومعه أحد الضباط وثمانية جنود
مسلحين بأسلحة خفيفة مما يدل على الغرض السلمى أو التجارى من إرسال هذه
البعثة . ونرى أمامه أشياء عبارة عن خرز وفأس وخنجر وأساور وصندوق خشبى .

Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, ==
no. 130 a-c, Mokhtar, op. cit., p. 146 (1), 147 n. 31; Kitchen, in
LA 1V, p. 1199 n. 12 (B); Drioton-Vandier, op. cit., p. 339;
Erman-Ranke, op. cit., p. 683-684, 686; Breasted, AR 11
(260)؛ بالنسبة لنصوص هذه البعثة، راجع : Urk 1V, 317-354؛ وبالنسبة
للمراجع العربية التى ذكرت هذه البعثة ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم :
البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤٩ شكل (٢) ؛ د. أحمد
فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٣-١٤٥ ؛ د. عبد العزيز
صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ،
ص ٢٠٧-٢٠٨ حاشية ٣٨-٣٩ ؛ د- صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٨٠-٨١ شكل ٢٤-٢٥ ؛ د. سيد توفيق :
تاريخ العمارة فى مصر القديمة : (الأقصر) ، ص ١٨٨-١٩٣ شكل ٣٦ أ-ب
(١) نعلم من قصة سنوهى أن الملك سنوسرت الأول أمر بأن يشيد لسنوهى بعد
عودته إلى أرض مصر هرما بين الأهرام ليدفن فيه وأصدر أوامره إلى النحاتين
ورئيس الرسامين بالقصر الملكى لتنفيذ هذا العمل ، راجع :

Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, p. 24.

Cottrell, les Epouses des Pharaons, Paris (1966), p. 55, 57. (٢)

وهى عبارة عن الهدايا التى أحضرها من مصر لتقديمها إلى حتحور سيدة بونت " .
وعلى الجانب الآخر وقف زعيم بونت " بارو هو " ^(١) (Wr n Pwnt P3rw) رافعا
يديه يحيى الوفد المصرى ومن خلفه زوجته، البدينة ذات الأرداف الثقيلة " إتى " ^(٢)
hmt. f ity وهى ترفع يديها للتحية ومن خلفها جاء للتحية أيضا واستقبال البعثة
المصرية أولادها " ولدان وبنت " ^(٣) ، وصور من خلفهم حمارا كتب أعلاه الحمار الذى
يحمل زوجته " ^(٤) (جزء من هذا النقش موجود الآن بالمتحف المصرى) ^(٥) وخلف
هذين الزوجين نرى قرب بلاد بونت التى يظهر فيها النخيل والأكواخ العالية المقامة
على دعائم والتى يصعد إليها عن طريق سلم خشبى . ونرى الماشية وهى ترعى
ويرى كلب رابض وآخر يصحب سيده . وأعلى هذا المنظر نرى منظر خيمة
ضربها المصريون لكى يستقبلوا فيها زعيم بونت وفى الصف الثانى من الجدار
الغربى نرى منظر المراكب ويقوم الحمالون بنقل المنتجات إليها . فهناك رجال
يحملون شتلات شجر المر فى سلال وثمة قرود تقفز على المنتجات أو تسير على
حبال المراكب .

وفى منتصف ذلك الجدار نرى منظر يمثل الملكة (وقد كشط شكلها) وهى
تقوم بتقديم منتجات وثروات بونت إلى المعبود آمون - رع . وتعلن فى الوقت نفسه
نجاح بعثتها فتسمع المعبودات هذا الخبر ، فتبارك عملها . وعلى الجدار الشمالى
منظر يمثل الملكة وهى تعلن نتائج بعثتها إلى موظفى القصر الملكى ومن بينهم

(١) Urk 1V, 324 (1. 16).

(٢) Urk 1V, 325 (1. 1).

(٣) Urk 1V, 325 (1. 2 - 3).

(٤) Urk 1V, 325 (1. 5); Saleh-Sourouzan, op. cit., n. 130 b.

(٥) Saleh-Sourouzan, op. cit., n. 130 b. وفى مكان آخر بنفس المنظر

نرى زعيم بونت وزوجته البدينة وخلفهم رجل يحمل الهدايا ، راجع :

Saleh-Sourouzan, op. cit., n. 130 a .

؛ وأيضا د. صبحى بكري : المرجع السابق ، شكل ٢٥ .

سنموت (١).

قامت الباحثة الفرنسية " لالويت " بوصف مراحل هذ الرحلة وترجمة أغلب النصوص التى تصاحب مناظرها . بدأ بالأمر الملكى بإرسال هذه البعثة حتى عودتها واستقبال الملكة لها وقيامها بتكريس كل ما أحضرته من ثروات ومنتجات إلى أبيها آمون رع بعد وزن وقياس وكيل هذه المنتجات . وسوف نقوم بترجمة ما قامت بمراجعتها لالويت بعد الرجوع إلى النص الأصيل المنشور فى Urk 1V (٢) وسوف نتبع فى هذه الترجمة نفس ترتيب ذكر هذه النصوص كما وردت فى صفحات مؤلف Urk 1V التى تحدثنا عن النصوص المصاحبة للمنظر وعن مراحل الرحلة المتعددة وهى كالآتى :

٢٤ - أ - بقايا نسخة من التمثال الأصيل الذى اصطحبته البعثة معها :

عثر على بقايا تمثال من الجرانيت كان يمثل المعبود آمون والملكة ويبدو أنه كان نسخة أخرى للتمثال الأصيل الذى اصطحبته البعثة معها وكان يمثل آمون والملكة (٣) وعثر على هذه البقايا فى موقع معبد الدير البحرى (٤) وعلى هذه البقايا نقراً :

- " بونت المكان المقدس " (St - dsrt) . (٥)

- " لكى تسر قلوبهم بالأشجار (nhwt) . (٦)

(١) د. صبحى بكرى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٢) Lalouette, op. cit., p. 249-256; Urk 1V, 317-354.

(٣) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 686; Lalouette, Thèbes ou la naissance d'un Empire, Paris (1985), p. 250 n.

109.

(٤) Urk 1V, 316 (1. 12-13).

(٥) Urk 1V, 317 (D) (1.1).

(٦) Urk 1V, 317 (H) (1.3).

-التاسوع الكبير... بونت " (١).
-مر طبقا لرغباتهم " (٢).
- (آمون سيد) المجاو حاكم بونت " (٣).

٢٤ ب - وتعطى هذه البقايا بعد ترميمها وإعادة كتابتها النص الآتى (٤) :

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع فلتعش أبديا ، ما فعلته كأثرها
لأبيها آمون رع سيد عروش الأرضيين أن صنعت له تمثالا كبيرا (يمثل)
ماعت كارع و آمون رع سيد المجاو وحاكم بونت (٥) ، المحبوبة (mryt)
وصنعته جلالته طبقا لفكر (٦) قلبها وأقامته فى البلد المقدس (T3 - ntr)
وصنعت تمثالا لهذا المعبود مرتبط بتمثال ملك مصر العليا والوجه البحرى
ماعت كارع ونحتته من كتلة واحدة من حجر الجرانيت الصلب وسوف يوفر
الحماية (٧) لهما التاسوع الكبير الذى يقطن بونت (Psdt c3t hryt-ib
Pwnt) وسوف يظلان ويمكثان إلى الأبدية ودائما فى مكانهما أمام مدرجات

Urk 1V, 317 (L) (1.3). (١)

Urk 1V, 317 (F) (1.5). (٢)

Urk 1V, 318 (N) (1.1). (٣)

Urk 1V, 319 (1.6-17); 320 (1.1-3). (٤)

(٥) فى قصة باخنتان نجد أن المعبود آمون كان يحمل لقب " حاكم الصحراء "

(hk3 dsrt) راجع : Lefebvre, Roman et Contes Égyptiens, p. 226 (3) n. (14).

(٦) تقرأ k3t-ib ، راجع للمعنى : Piankoff, le Coeur dans les textes Égyptiens, Paris (1930), p. 121.

Lalouette, op. cit., p. 250-251. (٧)

مر بونت^(١) (m hnt htyw cntyw nw Pwnt) المكان المقدس (St-
dsrt)^(٢) الذى يسعد القلب^(٣) ، وما تحقق له : هذا المعبود المبجل ، أن
جلالتها نفذت هذا .

٢٥- وعندما أرسلت القوات إلى هذا البلد وتتأ لها أبوها بالطريق لكى يسمح لهذا
البلد بأن يرى جلالتها مع أبيها حاكم بونت نهار كل يوم بسبب عظم قدراته
وبسبب فائدة قدراته وبسبب حسن قدراته تجاه كل المعبودات بقدر حبه لابنته
ماعت كارع أكثر من الملوك الذين كانوا فيما سبق . ووصل جيش جلالتها
هذا فى أحسن حال وسليما ومعافى إلى مدرجات من بونت (htyw cntyw
nw Pwnt) . وكان هذا التمثال معهم ، وكانت قدرات هذا التمثال المبجل
هى التى أرشدتهم على الماء وعلى الأرض . ولم ترسل حملة إلى هذه البلاد
منذ زمن المعبود بواسطة (أى ملوك) آخرين سابقين مبجلين^(٤) .

٢٦- وكشف عن وجه جلالتها (أى تمثالها) (عند) الوصول إلى مدرجات المر
(htyw cntyw) وحمل إليهم (أى أعضاء البعثة) المر طبقا لرغباتهم
وحملت أساطيلهم بما يرضى قلوبهم (من) أشجار المر الطازج (nhwt

(١) لم يعثر على مكان هذا التمثال حتى الآن . عن معنى كلمة htyw ، راجع :
Aufreere, op. cit., p. 29; Meeks, Alex. 11., p. 291; t. 111, p. 226;
Wb 111, 349, 9 ؛ وهناك التعبير المركب " عود المر " (ht n cntyw)
راجع : Wb 111, 340, 6 . وهذا يذكرنا بالتعبير الذى أطلقه المصريون
القدماء على " مدرجات الأرز " (htyw nw cš) (راجع Wb 111, 349, 8)
و" خشب أرز قمة المدرجات " (cš n tp htyw) راجع : Meeks, op. cit.,
Wb 111, 349, 8 ، وأيضا : 111, p. 226

(٢) Lalouette, op. cit., p. 251 n. 110.

(٣) Piankoff, op. cit., p. 120.

(٤) Urk 1V, 320 (1. 3-17) = Lalouette, op. cit., p. 253 n. 116.

m3cw nb nfr n (cntyw w3d ... وكل المنتجات^(١) الطيبة لهذا البلد)
h3st tn (والكل شاهد^(٢))

٢٧- وحينئذ جاء كبار رجال بونت وأبدوا جميعهم (Wrw nw Pwnt) خدماتهم لها (أى لتمثالها) وجاءوا منحنيين لهيبتها (hryt)^(٣) هم كلاب وأتوا بمثل ما يفعل الكلاب ، رافعين الحمولة وحاملين منتجاتهم... سائلين السلام من جلالتها ملك مصر العليا والوجه البحرى حاكم الأرضيين.... التى تمارس منح الحياة مثل رع أبديا " ^(٤).

٢٨- الإبحار والوصول بسلام والتقدمة للمعبودة حتحور :

نرى منظر يمثل خمس سفن ، اثنتان منها راسية وثلاث على وشك الرحيل لأن أشرعتها مفرودة بفضل الرياح . ونرى الكابينة مزودة برصيفين ^(٥) . وكانت البعثة تضم ٢١٠ رجلا ، منهم ثلاثين مجدف لكل مركب و ٢١ بحارة ، تصحبهم سرية صغيرة من ثمانية جنود وضابط للحماية أو الحراسة . " تلبية دعوة ^(٦)

Faulkner, Concise Dictionary, p. 102. (١)

Urk 1V, 321 (1. 1-7) . (٢)

Faulkner, op. cit., p. 176. (٣)

Urk 1V, 321 (1. 9-17) . (٤)

(٥) عن أنواع السفن المصرية التى كانت تجوب البحار ، راجع :

Erman-Ranke, op. cit., p. 656-657.

وكان يطلق على الأسطول المتجه إلى جبيل " الجبيلى " والمتجه إلى بونت

" البوننتى " ، راجع : Id., op. cit., p. 656

(٦) عن المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 175

الأرض العظيمة (T3-wr)^(١) : الإبحار فى الأخضر العظيم واتخاذ الطريق المناسب إلى الأرض المقدسة (T3-ntr) . الرسو بسلام فى بونت بواسطة قوات سيد الأرضيين طبقا لتعليمات (tpt rd) سيد المعبودات آمون سيد عروش الأرضيين الذى يترأس الكرنك لكى تحضر له ثروات كل البلد (أو الجبل)^(٢) (bj3wt h3st nbt) بقدر^(٣) حبه لابنته ماعت كارع أكثر من الملوك السابقين المبجلين للوجه القبلى ولم يحدث هذا تجاه ملوك آخرين للوجه البحرى الذين تواجدوا على هذه الأرض أبديا " .^(٤)

٢٩- (ثم) تفريغ هذه المراكب (ipntw) مما تحمله إلى أمه (أى أمها) مركب وراء مركب ... إلى حتحور سيدة بونت من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها.^(٥)

٣٠- " ووصول المبعوث الملكى إلى البلد المقدس (T3-ntr) مع القوات التى تعقبه أمام (tp m)^(٦) كبار بونت (Wrw nw Pwnt) ووصل بكل الأشياء الطيبة

(١) Urk IV, 322 (L. 4).

(٢) يعطى اوفرر أكثر من سبعة معانى لكلمة h3st فهى تعنى : " جبل ، محجر ، منطقه محاجر أو مناجم ، جبانة ، صحراء ، مستورد من الخارج ، أجنبى ، بلد أجنبى " ، راجع : (index) Aufriere, op. cit., p. 24-25 ويعطى مكس معنى إضافى وهو " هضبة " راجع : Meeks, Alex. 1, p. 270-271 ومن الأفضل ترجمة هذه الكلمة فى جميع نصوص حاتشبسوتب بمعنى " جبل أو منطقة جبلية .

(٣) تقرأ : n c3t n وعن المعنى ، راجع : Meeks, Alex. 1, p. 56

(٤) Urk IV, 322 (1. 6-15) = Lalouette, op. cit., p. 251.

(٥) Urk IV, 323 (1. 2-5) .

(٦) Faulkner, op. cit., p. 296.

من القصر الملكى فليعيش فى رخاء وصحة .^(١)

٣١- " مخصصة لحتحور سيدة بونت^(٢) من أجل حياة ورخاء وصحة جلالته .^(٣)

٣٢- استقبال البعثة بواسطة كبار بونت :

يأتى بعد ذلك منظر وصول البعثة إلى شواطئ بونت واستقبال عظيم
بونت وزوجته لها . ومن وراء المبعوث الملكى نرى السرية العسكرية المكونة
من ثمانية جنود يحمل كل واحد منهم حربة ودرع أما الضابط فيحمل جعبة
وحربة وبلطة .^(٤)

" المجئ بواسطة كبار بونت (Wrw nw Pwnt) منحنيين ومطأطئ
الرأس لكى يستقبلوا قوات الملك هذه . وأدوا الابتهاالات إلى سيد المعبودات
آمون رع^(٥) ، أزلنى الأرضيين الذى يطئ المناطق الجبلية . (hb h3swt)
قائلين ومرددن وسائلين السلام : كيف وصلتكم إلى هذا البلد الذى يجهله الناس ؟
هل هبطتم على طرق السماء ؟ أم أبحرتم على الماء أو على الأرض ؟ كم هو
مخضر هذا البلد المقدس (W3dw T3-ntr) الذى وطنه رع من أجلكم (أما
بالنسبة) لملك الأرض المحبوبة (T3-mry) (مصر) فلا يعرف الطريق إلى

(١) Urk IV, 323 (1. 14-17) = Lalouette, op. cit., p. 251-252.

(٢) ذكر هذا اللقب عند : Erman-Ranke. Op. cit., p. 686; Saleh BIFAO 81, p. 116 n. 3.

(٣) Urk IV, 324 (1. 1).

(٤) لهذا المنظر ، راجع : Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 176 Fig, 54.

(٥) أى أنهم تعبدوا إلى تمثال آمون الذى أحضرته البعثة معها .

جلالته لكى نعش بفضل النسيم من عطاياه " (١).

٣٣- " عظيم بونت بارو هو (P3 rwhw)

" زوجته " (Ity)

" ولداه وابنته "

" الحمار الذى يحمل زوجته " (٢)

٣٤- نصب الخيمة والتبادل التجارى :

على يمين المنظر نصبت خيمة المبعوث الملكى وأمامه وضعت
منتجات بونت وعلى اليسار مجموعة من أهالى بونت يحملون أشياء مشابهة
وعلى رأسهم عظيم بونت وزوجته البدينة وصور أمير بونت وهو يحمل كومة
من المر وأحد أبنائه يحمل إناء يحتوى على التبر .

" نصبت خيمة للمبعوث الملكى مع قواته فى مدرجات مر بونت (m
hr gswy) (٣) على شاطئ الأخضر العظيم (٣) (htyw cntyw nw Pwnt
W3d-wr) لاستقبال عظماء هذا البلد وقدم إليهم الخبز والجعة والنبذ
واللحوم والفواكه وكل الأشياء من داخل الأرض المحبوبة (T3-mry)
(مصر) طبقا للأمر الذى صدر فى القصر الملكى فليعش فى رخاء
وصحة " (٤).

(١) Urk IV, 324 (13-14) = Lalouette, op. cit., p. 252 n. 111

Erman-Ranke, op. cit., p. 684.

(٢) Urk IV, 324 (1.16); (1. 1-3); 325 (1. 5).

(٣) النص يتحدث هنا عن شاطئ (بالمتنى) البحر الأحمر مما يشير إلى الشاطئ
الآسيوى والأفريقى معا .

(٤) Urk IV, 325 (1. 12-17) = Lalouette, op. cit., p. 252 n. 112;

Erman-Ranke, op. cit., p. 686.

٣٥- تلقى منتجات عظيم بونت (Wr n Pwnt) بواسطة المبعوث الملكى : المجئ
بواسطة عظيم بونت (Wr n Pwnt) حاملا منتجاته (inw) ^(١) على شاطئ
الأخضر العظيم (hr gswy W3d wr) أما المبعوث الملكى... القصر الملكى
فليعيش فى رخاء وصحة . (عبارة عن) ذهب عامو ومر... " . ^(٢)

٣٦- "... كل المر الوفير بها وبكثرة . فى المدرجات... واقتلاع ^(٣) أشجار المر
(nhwt cntyw) ^(٤)

٣٧- " أقدامكم (يا) رفاق انتبهوا الحمولة ثقيلة التى نفذناها فى صالح الملك
القوى ^(٥) ، والسلامة تصبحنا (لأن) أشجار المر التى فى وسط البلد المقدس
(nhwt hryt-ib T3-ntr) سوف تخصص لمعبد آمون ، هناك سوف يكون
مكانها حيث سوف تزرعها ماعت كارع فى حديقته على جانبى معبده طبقا لأمر
أبيها . ^(٦)

٣٨- "... حرق البخور لحتحور سيدة بونت من أجل حياة ورخاء وصحة
جلالتها " . ^(٧)

(١) عن هذا المعنى (inw) راجع نص رقم ٢١ ج .

(٢) Urk IV, 326 (1. 5-9) = Lalouette, op. cit., p. 252.

(٣) Faulkner, op. cit., p. 99.

(٤) Urk IV, 327 (1. 3-6).

(٥) Urk IV, 327 (1. 11-13).

(٦) Urk IV, 328 (1. 3-7) = Lalouette, op. cit., p. 253 n. 114.

(٧) Urk IV, 328 (1. 13-14).

٣٩- تحميل وشحن المراكب بمنتجات بونت :

صور لنا كل من ارمان وارانكه والدرد^(١) منظرا يمثل تحميل وشحن المركب بالمنتجات . فنرى مركب كبير له شراعان كبيران وعلى ظهره بحاران مصريان يمسك أحدهما بعصا ويقوم الآخر بتوجيه الحماليين الذين نصبوا سقالتين للصعود عليهما إلى ظهر المركب . فنرى على السقالة الأولى مجموعة من الحماليين يحملون شتلتين من أشجار المر وضعتا في سلة كبيرة يحمل كل سلة ستة حماليين ثلاثة من أمام وثلاثة آخرين من الخلف وذلك بمساعدة كتلتين طويلتين من الخشب مربوط بهما حبل لحمل كل شتلة على حده () . ونرى اثنين آخرين يحملان على أكتافهما أوعية أو زكائب بها مواد ومنتجات عطرية أو توابل وعلى السقالة الأخرى نرى منظر صعود ستة حماليين ومعهم شتلة من شجر المر . وهناك آخر يدفعهم من الخلف . ويتقدمهم ويسير من ورائهم عاملان يحملان أوعية أو زكائب بالمنتجات الأخرى من ثروات بونت . ونرى على ظهر المركب أكوام المر والتوابل وأربع شتلات لأشجار المر في أوعيتها . ورتب كل ذلك بطريقة منظمة ومتقنة . كما نرى فوق هذه البضائع قردة ونسائيس كما نقش الفنان أسفل المركب خمس أسماك تختلف كل واحدة منها عن الأخرى فكأنما أراد بذلك أن يبين لنا ما تمتعت به سواحل بونت من ثروات بحرية .

وها هي قراءة هذا النص الهام الذي كتب أعلى المركب^(٢) :

(١) Erman-ranke, op. cit., p. 685 Fig. 255; Aldred, les Égyptiens au temps des Pharaons, Paris (1965), p. 154-155 Fig. 40; Lalouette, op. cit., p. 252-253.

(٢) Urk IV, 328 (1. 17); 329 (1. 1-12).

3tp chꜥw r c3t wrt m bj3wt h3st Pwnt h3w nb nfr
 n T3 – ntr chꜥw m kmjt nt cntyw m nhwt nt cntyw w3d
 m hbny hr 3 bw wcb m nwb w3d n c3 mw m ti – šps hs
 – 3yt m ihmt sntr msdmt m cncw gfw tsmw m
 inmw3byw nw 3bw šmcw m mr (w) hnc msw sn n sp
 in tw mitt nn n nswt nb hpr dr p3wt t3 .

وها هي الترجمة الحرفية ^(١) :

" تحميل المراكب إلى درجة كبيرة جدا بالثروات (الطبيعية) لجبل بونت :
 كل النباتات العطرية ^(٢) الجميلة للبلد المقدس ، وأكوام ^(٣) من صمغ ^(٤) المر ،
 وبأشجار المر الأخضر (أو الطازج) ^(٥) وبأبنوس وعاج نقي وبذهب خام من
 عامو ^(٦) وبالبهارات ^(٧) والتوابل ^(٨) وبالمر ^(٩) والبخور ^(١٠) والكحل الأسود

(١) راجع ترجمة كل من : Erman- : p. 253 n. 115; Lalouette, op. cit.,
 Ranke, op. cit., p. 685-687.

(٢) عن معنى h3w ، راجع : Meeks, p. 330, 777; Aufreere, op. cit.,
 Alex. I, p. 267; t. 111, p. 209 Shimy, Memnonia 1X (1998), p.
 213 n. 37, p. 233; Wb. 111, 221, 4; Vernus, Athribis, p. 225 n.
 (a).

Wb I, 220, 10-11. (٣)

(٤) عن المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 206, 14; V, 39, 7,
 279.

Wb I, 207, 11; 283, 1. (٥)

(٦) يعبر عن الشعوب التي تقطن جنوب الحدود المصرية ، راجع : Wb I, 167,
 19.

(٧) راجع النص رقم ٢١ ب حاشية (٥) .

(٨) راجع النص رقم ٢١ ب حاشية (٤) .

(٩) لهذه العلامة التي تعبر عن المر في عصر الدولة الحديثة ، راجع : Wb I,
 119, 2.

Wb 1V, 180, 18-22. (١٠)

وبالنسائيس والقردة والكلاب وبجلود الفهود من الجنوب وبخدم (أو أنفار)^(١) مع أولادهم . ولم يحدث أن أحضر مثل هذا بواسطة أى ملك منذ بداية خلق الأرض " .^(٢) كما صور الفنان ثوران و زرافة^(٣) وفهدين .^(٤)

٤٠ - الرحيل والوصول إلى طيبة بسلام :

" الإبحار والوصول بسلام والرسو عند الكرنك وسط السرور^(٥) بواسطة قوات سيد الأرضيين والعظماء فى أعقابهم من هذه الأرض وأحضروا ما لم يحضره أمثالهم لملوك الوجه البحرى الآخرين من ثروات جبل بونت (mbj3w h3st Pwnt (t)) بسبب عظم قدرات هذا المعبود المبجل : آمون رع سيد عروش الأرضيين .^(٦)

(١) Wb 11, 107, 1.

(٢) Wb V, 592, 1.

(٣) قام العديد من العلماء بذكر بعض هذه المنتجات فى مؤلفاتهم ، راجع : Kitchen, in LA 1V, p. 1199 (B); Mokhtar, op. cit., p. 94, 114, 147-148; Aldred, op. cit., p. 154-155; Drioton-Vandier, op. cit., p. 378, 379, 438; Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 113; James, op. cit., p. 36, 59; Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 673; Erman-Ranke, op. cit., p. 686-687.

وأيضاً : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٢٤-٥٢٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٤) Erman-Ranke, op. cit., p. 687 Fig. 257.

(٥) Urk 1V, 329 (1. 15-17) .

(٦) Urk 1V, 330 (1. 1-6) = Lalouette, op. cit., p. 253.

٤١ - وفود كبار بونت والبلاد الجنوبية على مصر :

ونرى فى المنظر وفود حاملى الجزية والهدايا فى طوابير طويلة قادمين من بونت والبلاد الجنوبية، ربما جاءوا فى رحلة مستقلة : " إعطاء الدعوات لماعت كارع وتقديم التبجيل لذات الشخصية^(١) القوية (Wsrt k3w) بواسطة كبار بونت (Wrw nw Pwnt) ... والبدو النوبيين (Iwntyw styw)^(٢) من النوبة^(٣) وكل بلد جنوبى مصر (h3st nb rsy nw kmt) جاءوا فى خضوع منكسى الرأس حاملين منتجاتهم حيث المكان الذى به جلالته.. على طرق لم تطئ بواسطة الآخرين ... كل بلد اتخذ (mn) كخدم لجلالته " .^(٤)

٤٢ - " كبار بونت (Wrw nw Pwnt) قالوا مرددين وسائلين السلام من جلالته : تحية لك ملك الأرض المحبوبة (T3-mry) الشمس المؤنثة التى تسطع مثل آتون ، سيدتنا ، وسيدة بونت ، ابنة آمون ملك المعبودات . ان اسمك يصل إلى دائرة السماء وقدرات ماعت كارع عمت الدائرة الكبرى (أى الكون كله) " .^(٥)

٤٣ - " وكبار نما - يو^(٦) ، وكبار ارم^(٧) قالوا مرددين وسائلين السلام من جلالته تحية لك " .^(٨)

(١) نعرف أنه كانت الملكة هى المسئولة عن توزيع الثروات الطبيعية على أهل البلاد ، راجع : Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 161 n. 273

(٢) Faulkner, op. cit., p. 253 .

(٣) Id., op. cit., p. 195 .

(٤) Urk 1V, 331 (1. 1-14) = Lalouette, op. cit., p. 254.

(٥) Urk 1V, 332 (1. 7-16) = Lalouette, op. cit., p. 254.

(٦) شعب نوبى ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 117

(٧) بلد يقع فى السودان الحالية وبه آبار كانت تلعب دورا هاما فى تمويل البعثات ،

راجع : Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 118

(٨) Urk 1V, 333 (1. 8-10) = Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 117-119.

٤٤ - تكريس كل المنتجات والثروات لآمون :

وكان من الطبيعي أن تكرس كل منتجات وثروات بونت والمناطق الجنوبية لآمون وتزيد من ثروات خزائنه . ويقول النص :

" الملك نفسه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ماعت كارع يكرس (hrp) ثروات بونت (bj3w n Pwnt) ونفائس البلد المقدس (Špssw n T3-ntr)^(١) مختلطة بمنتجات (inw) البلاد الجنوبية وبأفضل منتجات (b3kw) كوش الخاسئة وبمنتجات بلاد النوبة (العليا) لآمون سيد عروش الأرضيين الذى يترأس الكرنك من أجل حياة ورخاء وصحة ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع التى تتعم بالحياة والاستقرار وبالسرور حاکمة الأرضيين مثل رع أبديا " .^(٢)

وهى عبارة عن :

٤٥ - " أشجار المر الطازج ٣١ التى أحضرت من بين ثروات بونت (bj3w Pwnt)^(٣) لجلالة هذا المعبود : آمون سيد عروض الأرضيين ولم ير المثل منذ بدء الخليقة . (وهى) :

- ذهب خالص (فى شكل حلقات) .

- كحل أسود (معبأ فى زكائب) .

(١) راجع : Meeks, Alex. I, p. 57

(٢) Urk IV, 334 (1.4-14) = Lalouette, op. cit., p. 255.

(٣) يذكر د. صالح أن عظيم بونت قبل استقباله للبعثة التجارية المصرية قام هو ورجاله باستيراد ٣١ نوعاً من شجيرات المر من مدرجات المر فى اليمن حتى يقوموا بدور الوسطاء التجاريين النشطين حتى يجنبوا بعثة الملكة مشقة الذهاب إلى جنوب اليمن ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢ ، ص ٤٢ .

- بومارانج (عصى) (cmc3t)^(١) خالص بالبوننتين^(٢).
- أبنوس (فى شكل عصى ضخمة) .
- عاج خام (فى شكل أنياب فيله) .
- مادة التلوين K3z km^(٣).
- أكوام المر الطازج بوفرة عظيمة (أو كبيرة)^(٤).

٤٦ - قياس وزن وتسجيل وكيل الثروات الطبيعية الخاصة ببلاد بونت :

نرى منظرا يمثل المعبودات والرجال الذين يقومون بعملية قياس وزن جزيرة البلاد الجنوبية . وتترأس الملكة كل هذه العمليات أمام آمون جالسا على العرش ونصب أمامها ميزانين كبيرين ، وهى موازين تحوتى الدقيقة والعادلة. ومائت الكفتين بحلقات من الذهب . ويراقب عملية الوزن المعبودان حورس رئيس الوزانين وددون من النوبة ، الذى أدخل استخدام البخور فى مصر^(٥)، وتقوم المعبودة سشات ربة الكتابة بتسجيل نتيجة الوزن . كما يقوم معبود آخر بعملية القياس وهو " تحوتى " " الكاتب وكيل المؤن " ويقدم رئيس الخزانة تقريرا إلى الملكة . كما يقوم المعبود تحوتى بتقديم تقرير أيضا إلى آمون

(١) Faulkner, op. cit., p. 42.

(٢) نكروا فى : Wb I, 506, 16; Faulkner, op. cit., p. 88

(٣) ظهرت هذه الكلمة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، راجع : Wb V, 101, 13

(٤) = (1. 4-11) 335 (1. 1-2) 335 (1. 16-17) 334 Urk IV, 334
Lalouette, op. cit., p. 255 = Erman-Ranke, op. cit., p. 687.

(٥) يقال لددون فى نصوص الأهرام أنه " الشاب المصرى الطويل القادم من النوبة

والذى أدخل استخدام البخور فى مصر " راجع : Morenz, la Religion Égyptienne, Paris (1962), p. 299 n. (4).

رع .^(١) وتقول النصوص المصاحبة لهذا المنظر ما يأتي :

" قياس (h3t) المر الطازج الوفير جدا والمخصص لآمون سيد
عروش الأرضيين (من) ثروات جبال بونت (bj3wt h3swt Pwnt)
ونفائس البلد المقدس (Špss (w) n T3-ntr) من أجل حياة ورخاء وصحة
ابنة رع من صلبه (حاتشبسوت) .^(٢)

٤٧- " تحوتى الكاتب ، وكيل المؤن (mr pr) " .

" تلقى ثروات جبال بونت (bj3w h3swt Pwnt) من أجل آمون رع
سيد عروش الأرضيين سيد السماء من أجل حياة ورخاء وصحة ماعت كارع
التي تنعم بالحياة " .^(٣)

٤٨- وزن الذهب والالكتروم (dcmw) وأفضل (أنواع) الجزية للبلاد الجنوبية
من أجل آمون رع سيد عروش الأرضيين الذى يترأس الكرنك من أجل
حياة ورخاء وصحة ماعت كارع التي تمارس منح الحياة مثل رع أبديا " .^(٤)

٤٩- " الميزان الدقيق والعاذل لتحوتى . ما قامت به ملكة مصر العليا والوجه
البحرى ماعت كارع لأبيها آمون رع سيد عروش الأرضيين لوزن الفضة
والذهب واللازورد والتركواز وكل الأحجار الثمينة من أجل حياة ورخاء
وصحة جلالتها التي تنعم بالحياة أبديا " .^(٥)

(١) Lalouette, op. cit., p. 255 n. 121; Chadeffaud, op. cit., p. 175.

(٢) Urk IV, 335 (1. 13-16).

(٣) Urk IV, 336 (1. 9-12).

(٤) Urk IV, 337 (1. 7-11).

(٥) Urk IV, 337 (1. 13-17).

٥٠- وفوق رأس حورس نقراً :

" كلام يقال بواسطة حورس الذى يترأس الوزانين (mh3tyw) الذين يجعلون العدالة تصعد إلى سيدها " (١).

وفوق رأس ددون نقراً :

" ددون الذى يترأس بلاد النوبة الذى فى وسط المناطق الجبلية الغربية " كلام يقال : كل البلاد الجنوبية تحضر إليك كشخص واحد (٢) إلى شخصك ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع " (٣).

٥١- " تسجيل وحساب الحصيلة (٤) والجمع النهائى (٥) بالملايين ومئات الآلاف وعشرات الآلاف والآلاف والمئات لما ورد من ثروات من البلاد الجنوبية والمخصصة لآمون سيد عروش الأرضيين الذى يترأس الكرنك " (٦).

٥٢- " الملك نفسه ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، ماعت كارع ، تلقى صاع (hk3t) من الذهب الخالص ومد الذراع لكى يفتح الأكوام . ويعد (هذا) أول خطوة لحدث سعيد (ألا وهو) قياس المر الطازج (h3t cntyw w3d) المخصص لآمون سيد عروش الأرضيين سيد السماء من بواكير كل محصول (tp šmw nb) (٧) الذى أحضر من بين ثروات جبل بونت (bj3w h3st)

(١) Urk IV, 338 (1. 4-5).

(٢) Meeks, Alex. I, p. 82.

(٣) Urk IV, 338 (1. 10-11).

(٤) نقراً : Smnt n sšw ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 345

(٥) نقراً : dmd sm3 ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 346

(٦) Urk IV, 338 (1. 15-17); 339 (1. 1-2).

(٧) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 371

Pwnt (وتحتوى سيد الأشمونين يسجل وسشات ذات القرون السبعة) sfht
cbw^(١) تحسب الحصيلة " .^(٢)

٥٣- الملكة تجرب العطر بنفسها :

" وجلالتها نفسها استعملت بيديها أفضل أنواع المر (h3t cntyw) على
كل جسدها لدرجة أن عطرها أصبح شبيه بالرائحة المقدسة (i3dt ntr)
واختلطت رائحتها (sty) بما فى بونت (وظهر) جلدها وكأنه مطروق فى
الذهب الخالص^(٣) ساطعا مثل ما تحدثه النجوم فى داخل صالة الأعياد أمام
الأرض كلها . وأوديت الرقصات بواسطة كل العامة وأدوا الابتهالات لسيد
المعبودات وبجلوا ماعت كارع بفضل أعمالها المقدسة نظرا لعظم المعجزات
التي أحدثتها ولحم يحدث بالمثل تجاه المعبودات السابقين منذ أزلية الأرض
التي تمارس عطاء الحياة مثل رع أبديا " .^(٤)

٥٤- تقديم المر للمعبود آمون :

وفى منتصف الجدار الغربى للرواق الأيسر ، نرى منظرا يمثل الملكة
(وقد كشط شكلها) وهى تقوم بتقديم كل هذه المنتجات والثروات الطبيعية
لبونت إلى المعبود آمون . وتعلن فى الوقت نفسه نجاح بعثتها فى مهمتها .
فتسمع المعبودات هذا الخبر فتبارك عملها . وعلى الجدار الشمالى منظر

(١) عن هذا المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 225

(٢) Urk IV, 339 (1. 4-12) = Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 113.

(٣) Urk IV, 339 (1. 13-17).

(٤) Urk IV, 340 (1. 1-8) = Lalouette, op. cit., p. 255-256 n. 122.

الملكة وهى تعلن نتائج هذه البعثة على موظفى القصر الملكى ونرى من بينهم مهندسها سنموت (١).

" تقديم أفضل المر الطازج (tp cntyw w3d) لآمون سيد عروش الأرضيين ، سيد السماء الذى يمارس إعطاء الحياة والاستقرار والسيطرة والصحة الذى يسر مثل رع أبدياً " (٢).

٥٥ - فضل آمون فى تسهيل مأمورية البعثة :

" الملك نفسه ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع ، دعت القصر الملكى له الحياة والرخاء والصحة إلى شرفة سيد المعبودات وسمع الأمر فى المكان العظيم وأخذت نصيحة المعبود نفسه بأن تطرق الطرق إلى بونت وتفتح المسالك إلى مدرجات المر (htyw cntyw) وترشد القوات على الماء وعلى الأرض لإحضار الثروات من البلد المقدس (bj3w m T3- ntr) لهذا المعبود الذى خلق محاسنها " (٣).

وتتفيذا لما قيل وطبقا لأمر السيد وجلالة هذا المعبود المبجل وكما هى رغبة جلالته تجاهها (أى بونت) التى تمارس إعطاء الحياة والاستقرار والقوة رع " (٤).

٥٦ - " اننى أهبك بونت بأكملها وأيضا (r nm n) أراضى المعبودات أو الأراضى المقدسة (T3w - ntrw) . والبلد المقدس T3 - ntr () فى أثرها

(١) د. صبحى بكري : دليل آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص ٨١ .

Urk IV, 340 (1. 13-16).

Urk IV, 342 (1. 9-17).

Urk IV, 343 (1. 1-3).

(٢)

(٣)

(٤)

(hnd.f) (وأيضا) مدرجات المر (htyw cntyw) التى يجهلها الناس^(١).

٥٧- " وأرشدتها (البعثة) على الماء وعلى الأرض وفتحت لهم الطرق الغامضة ووطئت مدرجات المر (htyw cntyw) وهذا الشاطئ المقدس للبلد المقدس (idb pw dsr n T3 - ntr) المريح للقلب^(٢) بالتأكيد^(٣).

٥٨- " وما حققته هى لى لى تنعش (skb) قلبى مع موت وحتحور سيدة تاج الوجه القبلى وبونت وسيدة السماء وورت حقا وسيدة كل المعبودات^(٤) : ان حملوا المر الذى يفضلونه، وحملوا السفن ليسعدوا قلوبهم بأشجار المر الطازج (nhwt nt cntyw w3d)، وكل المنتجات الجميلة لهذا البلد (m3cw nb) (nfr n h3st tn) . والبونتيون الذين يجهلهم الناس (هم) خبستيو^(٥) البلد المقدس (hbstyw nw T3-ntr)^(٦) الذين أبدوا تجاهها حسن التصرف عن

(١) Urk IV, 344 (1. 6-8).

(٢) تقرأ pw grt : و عن الاستخدام، راجع: Meeks, op. cit., I, p. 406 .

(٣) Urk IV, 345 (1. 1-5).

(٤) معبودات كانت تعبد مع آمون فى معبده Naville, Deir el Bahari 111, p1. 84, 1. 15; Vercoutter, op. cit., p. 124n. 3.

(٥) هذا الاسم مشتق أساسا من كلمة hbst بمعنى "منجم أو محجر" راجع : Aufreere, op. cit., p. 63, 66, 756-757; Meeks, Alex. I, p. 274; Wb 111, 255, 15-16 .

وعلى ذلك يمكن ترجمة التسمية hbstyw بـ " أهل المناجم أو المحاجر" بينما يرى د. عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٤٠٤ حاشية (١١) أن الخبستيو هم قبائل ذات أصل عربى جنوبى كانت تسكن منطقة مهرة فى جنوب الجزيرة العربية ثم هاجرت إلى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر واستقرت فى بلاد الحبشة .

(٦) Wb V, 225, 7.

٥٩- تحقيق أمنيته آمون وأحضر المر وزرعت أشجاره في معبده :

" انتبه، هم جاعوا في سلام إلى الكرنك يحملون الثروات العظيمة
(bj3wt c3t) وكل شئ طيب (أو جميل) للبلد المقدس (ht nbt nfrr nt)
(T3-ntr) وجلالتي أرسلتهم بخصوصها وهي : أكوام من صمغ المر الطازج
(Kmjt nt cntyw) وأشجار صلبة محملة بالمر الطازج (nhwt mn hry)
(cntyw w3d) فلتفتح صالة الأعياد لكي ترى كل المعبودات أن جلالتي
سوف تزرعها بنفسها في الحديقة على جانبي معبدي لكي يسر قلبي بهما. (٢)
وشهرتهما (سوف تصبح) أمام المعبودات (كما هي) شهرتك أمام كل
الأحياء أديا. وسوف تغمر السماء والأرض بالرائحة المقدسة (sty ntr)
وتشم في حوت- سر (٣) وسأرتبها وأنظفها من الشوائب (Ksnt) الكبيرة
لكي يستخرج الزيت (nwdwt) (٤) المعطر (mdt) الخاص بالأعضاء
المقدسة. (٥)

(١) Urk 1V, 345 (1. 6-16).

(٢) Urk 1V, 346 (1. 10-16); 347 (1. 1-7).

(٣) قاعة العدالة في ايونو وأيضا القاعة التي يولد فيها ملك المستقبل ، راجع:
Meeks, Alex. I, p. 233.

(٤) Wb 11, 226, 8-9; Meeks, Alex. I, p. 187; Shimy, Memnonia IX (٤)
. (1998), p. 212, p. 233 n. 38, p. 235 n. 63 .

وتستخدم كلمة nwd كفعل بمعنى " يصحن، يعد، يطبخ " أو كاسم بمعنى

" زيوت عطرية أو روائح "، راجع : Id., op. cit., p. 233 n. 38.

(٥) المقصود بها هنا أجزاء التمثال المقدس الموضوع في قدس الأقداس، الذي بفعل
الطقوس سوف تدب فيه الحياة. فيقال مثالا لروح أوزير: " ادخل في هذه
الأجساد من الخشب ، من الحجر ، من المعدن " راجع:
===

٦٠ - أصل المرسوم الملكي والأمر بإرسال البعثة إلى بلاد بونت :

نرى الملكة جالسة على العرش وتخاطب رجال البلاط الملكي وأمامها
ثلاثة من النبلاء من بينهم نحسى وسنموت . وهى تقول لهم :

" انظروا ، أمرت جلالتي بأن تزداد قرابين من خلقي ويزاد الزيت
المعطر (mdt) للأعضاء المقدسة المقدرة له لكى تصبح أكثر وفرة عما
كانت عليه فيما سبق .^(١)

" وعلى ذلك أمرت جلالتي بأن يعطى أمرا^(٢) بحملة إلى مدرجات المر
(htyw cntyw) وتفتح طرقها من أجل مصلحتها ويعرف جوارها وتفتح
مسالكها طبقا لأمر أبى آمون... والزيوت المعطرة الثمينة لكى يستخرج الزيت
المعطر للأعضاء المقدسة كما قدرت لكل المعبودات لكى تستمر قوانين معبده
وتقتلع الأشجار فى البلاد المقدس (fdt nhwt m T3-ntr) وتوضع فى
الأرض ... فى حديقة ملك المعبودات ويحضرها حاملو المر هناك (hry
(w) cntyw im) لكى يستخرج الزيت المعطر للأعضاء المقدسة^(٣) كما
قدرت لكل المعبودات .^(٤)

٦١ - .. له وأعطيت أمرى لكى تقام له بونت فى عاصمته وأن توضع " أشجار البلاد
المقدس على جانبى معبده " (mnw nw T3-ntr hr gswy hwt.f ntr)^(٥)

Moret, la Mise `a mort du dieu en Egypte, p. 37. ==

Urk 1V, 351 (1. 14-17). (١)

Faulkner, op. cit., p. 175. (٢) نقرأ rdit (w) m hr ، راجع :

Aufrere, op. cit., p. 249-250 n. 108. (٣)

Urk 1V, 352 (1. 2-14). (٤)

Urk 1V, 353 (1. 1-4) = Weigall, Histoire de L'Égypte (٥)
Ancienne, p. 112-113.

٦٢- " وصنعت له بونت فى حديقته كما أعطى أوامره لى فى طيبة ما أعظمها له
(عندما) يسير فيها " (١).

٦٣ أ- " حتحور سيدة المر تفتح لك نراعيها بالصمغ (*Kmjt*) (وكل) الأشياء .
وعندئذ صدر الأمر فى جلالة القصر الملكى فليعيش فى رخاء وصحة إلى
الأبد إلى النبيل ، حامل ختم الوجه البحرى ، السمير الوحيد ، المشرف على
الختم ، " نحسى " لإرسال حملة إلى بونت " (٢).

ب- وفى النص المصاحب لمنظر الميلاد المقدس للملكة حاتشبسوت فى معبد الدير
البحرى ، يتحدث النص عن أمها الملكة أحمس حتب تمحو قائلا :

" أنها أيقظت بسبب عطر المعبود (آمون) الذى أخذت تستنشق فى حضرة
جلالته ... وكان حب المعبود يتخلل فى أجزاء جسدها ، وغمرت بواسطة
عطر المعبود ، عطره القادم من بونت " (٣).

٦٤ أ- وعلى قاعدة المسلة الجنوبية المهشمة للملكة فى معبد الكرنك ، نجد أن الملكة
تؤكد فى نصوصها أن حدود بونت تمثل أقصى الحدود الجنوبية لسلطانها ،

(١) Urk 1V, 353 (1.15-16); 354 (1. 1-3).

وقد عثر رجال الآثار على بقايا هذه الأشجار على جانبى الشرفة الأولى
لمعبد الدير البحرى وكانت مغلفة بالطمى الذى جلب إلى هناك لكى يقوى الجذور
ومضى عليها وقت طويل ولم تروى بمياه النيل لهذا جفت وماتت، راجع :
Cottrell, op. cit., p. 59، بينما يذكر د. عبد المنعم عبد الحليم: (البحر
الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٥٧٤) أن عدم نمو أشجار المر فى
البر الغربى يرجع إلى عدم توافر البيئة والتربة المناسبة لأن البيئة المصرية
كانت تختلف عن بيئة بلاد بونت.

(٢) Urk 1V, 354 (1. 15-17).

(٣) Cottrell, op. cit., p. 52.

ونقرأ ما يلى :

" إن سلطانها يمتد من بلاد بونت التى أحضرت لها المر والبخور حتى حدود آسيا ومنها يحضر لها الفيروز وان الليبيين أحضروا ٧٠٠ سن فيل وعدد لا يحصى من جلود الفهود ". (١)

ب- ويحدثنا نص من عصر الملكة حاتشبسوت عن وجود مخزن لحفظ البخور فى معبد الكرنك . فعلى كتلة من كتف باب أعيد استخدامها داخل الصرح الثالث للملك أمنحتب الثالث نقرأ أن الملكة شيدت لأبيها آمون " مخزن للبخور " (Pr-hd cntyw) ويقول النص " لعمل تعطير كل يوم ، لكى يبقى هذا الحرم (أى هذا المعبد) دائما فى روائح تال-نثر ". (٢)

٦٥- وعلى لوحة للملك تحوتمس الثالث كانت موجودة فى الأصل فى القاعة التى تقع إلى الشمال الغربى من قدس الأقداس فى الكرنك ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم CG34010 ويذكر نصها حديثا للمعبود آمون رع إلى الملك ويذكر له ما حققه له من انتصارات فى الشرق والغرب والشمال و الجنوب. (٣)

ويقول له فيما يخص شعوب آسيا والشرق (٤) ما يلى :

(١) Barguet, le Temple d'Amon-Rê a Karnak, le Caire (1962), p. 99; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 256 n. (4); Id., in Suppl. BIFAO 81, p. 111 n. (2) .

(٢) Shimy, Memnonia X (1998), p. 228 n. 73 .

(٣) Lalouette, op. cit., p. 317-319, 603 n. 74 = Urk 1V, 611-619; Saleh, BIFAO, p. 317.

(٤) لمثل هذه النوعية من النصوص التى تمثل نوعا من الدعاية لإنجازات الملك ، راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale Égyptienne, Paris (1986), p. 450-463.

أ- " اننى أتيت وجعلتك تسحق شعوب آسيا وأن تضرب الرؤساء الآسيويين لرتو... ".

ب- " اننى أتيت وجعلتك تسحق الأرض الشرقية، وأن تسير (أو تطأ) على سكان مناطق بلاد تا- نثر ^(١) وعملت على أن يروا جلالتك كالنجمة ^(٢) التى تلقى بضوئها مثل الشعلة وتعطى ظلالها ^(٣) ".

٦٦ أ- وهناك أربع حجرات كانت تطل على فناء الصرح السادس الذى شيده تحوتمس الثالث فى الكرنك ، ويوجد مدخل هذه الحجرات فى الحائط الشمالى ، ويقوم الملك أو تمثاله بالاشتراك فى تقديم القرابين المقدسة فى هذه الحجرات . وتحمل الحجرة الثانية (أو المقصورة الثانية) اسم :

" مخزن المر أو العطور " (Pr - hd n cntyw) . ونرى على جدران الحائط الداخلية تمثيل لأكوام المر وشتلات أشجار المر ، ويقول النص :

" أنها اختيرت من أفضل ثروات بلاد بونت " (bj3wt Pwnt) ^(٤) .

ب- وعلى الكتف الشمالى نقرأ النص التالى:

" (الملك تحوتمس الثالث) شيد كآثر له من أجل أبيه آمون ، سيد عروش الأرضين ، تنفيذ تشييد مخزن المر (Pr - hd cnty) ... لإعداد العطور

(١) نقرأ حرفيا ww nw T3-ntr " ضواحي تا- نثر " وهذا يعنى أن تا- نثر كانت تشمل مناطق عديدة وأنها كانت تقع شرق مصر، راجع : BIFAO 72, p. 257; Id., in Suppl. BIFAO 81, p. 110; Wb V, 225, 6.

(٢) هل يشير ذلك إلى عبادة النجوم التى انتشرت فيما بعد فى جنوب اليمن ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 317 .

(٣) فى قصة سنوهى زوجة لسنوسرت الأول لقبت بلقب " سيدة النجوم "، راجع : Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, p. 23 (B, 270).

(٤) Barguet, op. cit., p. 125 n. (2) = lacau, ASAE 52, p. 185-198.

الثمينة ، لكى يصبح هذا الحرم دائما فى روائح العطاء المقدس " (١) ويذكر د. شيمى أن هذا المكان أعد لـ irt nwdw špsw لاستخراج العصير الثمين " أى عصير الروائح (٢) وقد سبق أن أشار لأكو فى مقال قيم إلى وجود مخزن للبخور فى معبد الكرنك من عصر حاتشبسوت وتحوتمس الثالث . (٣) وتذكر ساوت أن مثل هذه المباني كانت مقامة فى معبد الكرنك منذ عصر الدولة الوسطى. (٤) ويضيف د. شيمى أن مثل هذه المخازن كانت موجودة فى معبدى الرمسيوم ومدينة هابو وفى بعض المعابد البطلمية . (٥)

٦٧- وعلى جدران الحائط الذى شيده تحوتمس الثالث أمام قاعات الملكة حاتشبسوت بالكرنك ، وعلى الجزء الشرقى منها نرى الملك تحوتمس ممثلا فى حضرة آمون رع وهو يستعرض قائمة الجزية التى تلقاها من البلاد الأجنبية وخاصة بونت وجنوب الجزيرة العربية (٦) ، ونقرأ فى هذا المكان ثلاثة نصوص هامة :

أ- فى نص مؤرخ بالعامين ٣١ ، ٣٢ من عصر هذا الملك نقرأ أنه بعد حملته السابعة فى غرب آسيا جاء إليه مبعوثو جنوب الجزيرة العربية :

" وعندما وصل جلالته إلى مصر جاء مبعوثو الجنبتيو (Gnbttyw) (٧)

Shimy, op. cit., p. 228 n. 74.

(١)

Id., op. cit., p. 228 n. 75.

(٢)

Lacau, ASAE 52 (1952), p. 185-190.

(٣)

Shimy, op. cit., p. 227 n. 71.

(٤)

Id., op. cit., p. 226 - 230 n. 76-88.

(٥)

Barguet, op. cit., p. 152.

(٦)

(٧) عن هذه الشعوب راجع دراسة د. صالح فى : Saleh, BIFAO 72, p. 245-

262. ، ويرى أن هذه الشعوب عاشت أما فى بلاد بونت أو فى جنوب الجزيرة

يحملون هداياهم من المر (cntyw) وصمغ - K3j .^(١)

ب- ومن العام ٣٢ نقرأ النص التالي^(٢) :

" ثروات أحضرت إلى جلالته من بلاد بونت في هذا العام : المر (cntyw) (مقداره) ١٦٨٥ حقات^(٣) ، وذهب (من بلاد العامو) ."

ج- ومن العام ٣٨ نقرأ النص التالي أيضا :

" ثروات أحضرت بسبب شهرة جلالته من بونت : المر (cntyw) (مقداره) ٢٤٠ حقات^(٤) ."

٦٨- وجاء ذكر اسم بونت من بين البلاد التي هزمها الملك تحوتمس الثالث في الجنوب . علما بأن بونت لم تتعرض لأي غزو عسكري من قبل أي ملك مصري . ولكنه نوع من الدعاية العسكرية للدلالة على قوة الملك .^(٥) ولكن

Id., op. cit., p. 250-258. ==

يذكر د. صالح أن هذا النص يسجل وصول وفد من تجار " جنبتيين " بمتاجرهم من المر والبخور والكندر إلى مصر في العام ٣٢ من عهد الملك تحوتمس الثالث (أي في حوالي عام ١٤٥٨ ق. م) . وكان الجنبتيون عشائر نشطة من العرب القتبانيين في جنوب شبه الجزيرة العربية، راجع : د. عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ ، ص ٤١ .

Wb V, 96, 14. (١)

Saleh, op. cit., p. 257 n. (4) = Urk 1V, 702, 1. 4-7; Lalouette, (٢) op. cit., p. 307; Vercoutter, op. cit., p. 61 n. (4); Drioton-Vandier, op. cit., p. 404; Kitchen, in LA1V, p. 1199 n. 14.

Lalouette, op. cit., p. 307. (٣) أي ما يعادل ٧٤٨٢ لترا ، راجع :

Saleh, op. cit., p. 255 n. (1) = Urk 1V, 720, (1. 6-7). (٤)

Vercoutter, op. cit., p. 74 n. (2) = Urk 1v. 798. (٥)

بلاد بونت لم تخضع للنفوذ المصرى مباشرة ^(١).

٦٩- وبجوار قاعات الأعياد للملك تحوتمس الثالث فى الكرنك فيما يسمى بصالة أو حجرة النباتات . وفى الجزء الغربى من الجدار الشمالى نقرأ نصا هاما ولكن بدايته مفقودة للأسف ونقرأ ما يلى :

".... كل أنواع النباتات الأجنبية وكل أنواع الزهور الجميلة التى توجد فى تا- نثر ^(٢) (التى أحضرها) جلالتة عندما كان ذاهبا إلى رتنو العليا لكى يخضع البلاد الشمالية ، طبقا لأمر أبيه آمون الذى وضع كل الأراضى تحت نعليه ... " ^(٣).

وفى بعض مناظر مقابر الأشراف فى البر الغربى فى طيبة من عصر الدولة الحديثة نرى مناظر تمثل حملة الجزية من بلاد بونت .

٧٠- ففى مقبرة رخمى رع (رقم ١٠٠) والذى كان حاكما فى طيبة ووزيرا فى عصر الملك تحوتمس الثالث نرى تمثيلا لكبار البلاد الأجنبية الذين حضروا إلى مصر محملين بهداياهم إلى الملك. فنرى الوزير رخمى رع يدخل قاعة الاجتماعات فى القصر الملكى لكى يتلقى باسم الملك الجزية من ممثلى البلاد الأجنبية ومن بينهم كبار بونت (Wrw nw Pwnt) وفوق رؤوسهم نقرأ النص التالى :

(١) Saleh, BIFAO 72, p. 255 .

(٢) يذكر بارجيه ان كل النباتات الممثلة على جدران هذه القاعة هى التى كانت تنمو فى المناطق إلى الشرق من مصر وفى سوريا والجزيرة العربية ، راجع: Barguet, op. cit., p. 199

ولكن فى رأينا أن المقصود بتا- نثر هنا هى مناطق فلسطين وسوريا ، راجع : فيما بعد ، ص ٤٢٣ النص رقم ٩٥ .

(٣) Barguet, op. cit., p. 198-199 (d).

" تلقى الهدايا من البلاد الأجنبية فى الجنوب ، وأيضا هدايا بونت ، وهدايا رتنو ، و هدايا الكفتيو ، وأيضا هدايا (أو جزية) كل البلاد الأجنبية (الأخرى) التى أحضرت (بفضل) قوة جلالتة (أى تحوتمس الثالث) .^(١)

٧١- " المجئ فى سلام لكبار بلاد بونت ، منحنيين ومطأطي الرأس ، أنهم يحملون هداياهم ، هناك حيث يوجد جلالتة مع كل الأشياء الجميلة الثمينة من بلادهم حيث لم تطأ أى قدم (ملوك) آخرين (هذه المناطق) وذلك بسبب عظمة قوته عبر بلادهم .^(٢)

ويلاحظ أن الفنان فى تمثيله لشعوب الجنوب^(٣) فى مقبرة رخمى رع وخاصة أهل بونت أو كبار بونت قد أعطى لهم نفس السمات والملامح والخصائص التى أعطاها لهم الفنان فى نقوش معبد الدير البحرى .^(٤) ولكن يلاحظ أن أزياء بعضهم تشبه أزياء الآسيويين^(٥) مما يجعلنا نعتقد أنهم من أصل

(١) Vercoutter, op. cit., p. 56 (ga), 58 (A2) = Urk IV, 1094, (1. 6-11); Lalouette, op. cit., p. 304, 334, 603 n. 95; Saleh, BIFAO 72, p. 255 n. 2; Erman-Ranke, op. cit., p. 687.

(٢) Vercoutter, L'Égypte et, le Monde Égeen., p. 60 n. (3); Saleh, op. cit., p. 254-255 n. (1), 258-259 n. (1).

ويرى فركوته فى هذا النص أن الملك تحوتمس الثالث قام بحملة إلى هذه البلاد وأنه وصل إلى أماكن لم يصلها الآخرون . وأن هدايا كبار هذه المناطق جاءت عقب حملة قام بها الملك إلى هناك ، راجع : Vercoutter, op. cit., p. (4). 61 n. وعن هذه الحملة لتحوتمس الثالث إلى بلاد بونت ، راجع أيضا :

Save-Soderbergh, The Navy of the 18th. Dynasty, p. 17.

(٣) بلغ مجموع حاملى الجزية فى عصر الملك أمنحتب الثانى ٢,٦٥٧ ، منهم ٢٠٠ من حاملى النباتات العطرية من بلاد الجنوب ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 399-400.

Vercoutter, op. cit., p. 39 n. (4). (٤)

Saleh, op. cit., p. 259 n. (2). (٥)

سامى (؟) اختلط بالأصل الحامى (١).

٧٢- وفى مقبرة منخبر رع سنبل (رقم ٨٦) من عصر تحوتمس الثالث أيضا وكان كبيرا لكهنة آمون ، نرى وفود رجال بونت ونقرأ فوق رؤوسهم النص التالى :

" انهم يحملون فوق ظهورهم كل منتج طيب من تا- نثر : الفضة ، الذهب ، الفيروز ، الدهنج ، وكل أنواع الأحجار الكريمة لكى يعطى لهم نسيم الحياة من خلال الرغبة فى الوفاء لجلالته لكى تحميهم قوته " (٢) وذكر الفيروز والدهنج يدل على أن بلاد بونت كانت جزءا من الجزيرة العربية .

٧٣- وفى المقبرة رقم ١٤٣ (الاسم مفقود وكذلك اللقب) من عصر تحوتمس الثالث نرى أيضا تمثيلا لوفد من بلاد بونت (٣).

٧٤- وعلى بردية موجودة بالمتحف المصرى من عصر الملك امنحتب الثانى نقرأ نشيد طويل موجه إلى المعبود آمون - رع ، حيث يقال له :

أ- " تحية لك يا آمون رع ، سيد عروش الأرضيين ، الذى يترأس الكرنك ، ثور أمه ، الذى يترأس حقوله ، ذو الخطوة الكبيرة ، الذى يترأس الوجه القبلى ، سيد المجاو ، وحاكم بونت ، معبود السماء الكبير ، أزلى الأرض ، سيد كل شىء كان الوحيد ، ولم يتواجد الآخرون (بعد إلا) سواه " (٤).

(١) Saleh, op. cit., p. 260 n. (1).

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 13 n. (3), 65 n. (2); Urk IV, 929;

(3-4) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 255 n. (3-4) ، ولمثل هذه النوعية من

النصوص ، راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale Égyptienne, p. 238-239 .

(٣) Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 15-16; Mokhtar, op. cit., p. 148.

وأيضاً د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ (١) ؛ د. عبد المنعم

عبد الحليم : البحر الأحمر وظهره فى العصور القديمة ، ص ٢٠٣ . كما تحدث

فانديه عما جاء فى هذه المقبرة بخصوص حملته الجزية من بلاد بونت

Vandier, Manuel d'archéologie IV, p. 576-577 fig. 313-314 .

(٤) Lalouette, op. cit., p. 494, 604 n. 135 = Urk IV, 940-94

ب- " أنها (أى المعبودات) تحب رائحته عندما يعود من بلاد بونت ، أمير أصحاب الروائح ، الذى يهبط بلاد المجاو ، (المعبود) ذو الوجه الجميل الذى يجىء من البلد المقدس ... " (١).

٧٥ أ- وفى مقبرة قن آمون (رقم ٩٣) الذى كان كبيرا لاستقبالات الملك من عصر الملك امنحتب الثانى ، صور شخص يقال انه " رجل بونت " (٢).

ب- على جدران مقبرة رئيس الخزانة المدعو " مين " فى البر الغربى من عصر الملك امنحتب الثانى . نرى مين ومعه مجموعة من الجنود وهم يستقبلون المراكب القادمة من بونت . وفى منظر علوى نرى مركبا يحمل الوافدين من بونت حيث يتم بواسطة أربعة أشخاص منهم تفريغ حمولة هذا المركب فى الميناء المصرى المطل على البحر الحمر وربما هو ميناء ساو المعروف منذ عصر الدولة الوسطى . وتتكون هذه المنتجات من أفضل منتجات بونت من عطر ihmt وأشجار المر (nhwt nt cntyw) (٣).

٧٦- وفى حجرة الدفن الخاصة بمقبرة الملك تحوتمس الرابع عثر على بقايا آنية عليها نص يعبر عن نوعية المادة التى كانت تحفظ فى هذه الآنية منها أفضل أنواع التوابل Ti-špsy (نفس الاسم نجده فى نقوش حاشيسوت من بين المواد التى أحضرتها بعثتها من بونت (راجع أيضا ٤١) وأفضل أنواع الصمغ (Kmjt) الذى يأتى أصلا من بونت (٤).

Lalouette, op. cit., p. 494 = Urk IV, 959-962. (١)

Vercoutter, op. cit., p. 224 n. (3), 389 (c); Mokhtar, op. cit., (٢)
p. 146 (2), 148; Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 15-16.

؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

Urk IV, p. 1472-3 (452) . (٣)

Vercoutter, op. cit., p. 224 n. 4-5, 92 no. 13. (٤)

وعثر فى مقبرة توت عنخ آمون على آنية من المرمر خاصة بالعطور وهى الآن بالمتحف المصرى . راجع: Saleh-Sourouzian, op. cit., no. 190
كما كان هناك من بين عناصر المتاع الجنائزى فى مقبرة مرنبتاح البخور والزيوت العطرية، راجع: Valbelle, les Ouvriers de la tombe, p. 77 n. (9)، وكما نعلم أنه أثناء تشييع جنازة المتوفى إلى المقبرة كان يطلق دخان البخور وتؤدى مراسم التطهير المرتبطة بطقوس فتح الفم التى يقوم بها الكاهن " سم " ، راجع: Valbelle, op. cit., p. 303 n. 12-14

٧٧- وعلى لوحة للملك أمنحتب الثالث المحفوظة بالمتحف المصرى وهى تحمل رقم CG 34025 يحدثنا نصها على أن المعبود آمون رع تحدث إلى الملك أمنحتب الثالث وعدد له ما تحقق من معجزات . وأنه بفضل تدخل هذا المعبود تحققت تلك المعجزات ألا وهى مجئ سكان الجهات الأصلية الأربع^(١) : الجنوب والشمال والغرب والشرق محملين بخيرات ومنتجات بلادهم هدية للملك . فنقرأ ابتداء من السطر ٢٧ إلى ٣١ ما يلى :

أ - " واتجهت بوجهى نحو الجنوب (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى جعلت كبار (بلاد) كوش الخاسئين يعبرون (الحدود) إليك محملين بكل عطاياهم فوق ظهورهم .

ب - " واتجهت بوجهى نحو الشمال (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى سببت أن يأتى إليك (سكان) المناطق الجبلية من أطراف آسيا محملين بكل عطاياهم فوق ظهورهم يقدمونها إليك بأنفسهم مع أبنائهم متضرعين لعلك تهبهم نسيم الحياة .

ج - واتجهت بوجهى نحو الغرب (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى جعلتك تقبض على التحنو ولم يستطيعوا تدمير بناء هذا الحصن بسبب اسم جلالتي . والمحاط بسور عال على وشك أن يخترق السماء وعمر بأبناء عظماء رجال الأقواس من النوبة .

د - " واتجهت بوجهى نحو الشروق (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى سببت أن يأتى إليك (سكان) جبال بونت محملين بكل النباتات العطرية^(٢) الأخاذة لجبالهم (h3swt nw Pwnt hry h3w nb ndm h3swt. sn) لكى يطلبوا السلام مصحوبا باستنشاق النسيم من عطائك " .^(٣)

(١) لم يذكر كيتشن هذا النص الهام ضمن وثائق الأسرة الثامنة عشرة عن بلاد بونت، راجع: Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 12-17

(٢) عن معنى كلمة h3w ، راجع: Aufrere, op. cit., p. 330, 779

(٣) عن هذا النص الهام راجع : Lalouette, Thèbes ou l'naissance d'un Empire (1972), p. 426, 607 n. 26; Grimal, les Termes de la Propogande Royale Égyptienne, p. 460-462;

يفهم من هذا النص الهام بأن بلاد بونت تقع في اتجاه الشرق وخاصة وأن كاتب النص يحدثنا في السطرين ٢٧-٢٨ عن بلاد كوش في الجنوب ولم يضع بونت معها في الجنوب بل وضعها في الشرق . وأن بيئتها جبلية بها مدرجات النباتات العطرية الآخاذا .^(١) أضف إلى ذلك أن مخصص كلمة بونت هنا هو مخصص سلسلة الجبال . كما رأينا في نصوص حاتشبسوت (أرقام ٢٤ أ- ب ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦) أنه كان يوجد بها مدرجات المر التي تقع على شاطئ البحر الأحمر .^(٢) وكما يذكر د. صالح أنه كان يوجد باليمن مدرجات المر التي تثبت خير أنواعه .^(٣)

٧٨- وفي النص الذي يصاحب منظر عملية الوضع في قصة الميلاد المقدس للملك أمنحتب الثالث في معبد الأقصر ، نقرأ النص التالي :

" (وكان) القصر مغمورا بعطر المعبود وكل روائحه من بلاد بونت (hnmw .f nb n Pwnt) .^(٤)

Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 257 n. (2); Kitchen, RI IV, p. 12- ==
19; Urk IV, 1656-1657; Breasted, AR 11 (892); PM 11, 49 (7)
قام جريمال في دراسته بتجميع ستة نصوص من هذه النوعية من عصور
أمنحتب الثالث ، سيتي الأول ، أربعة من عصر رمسيس الثالث ، راجع : Id.,
op. cit., p. 454-463 (وراجع فيما بعد أرقام ٨٠ أب ، ٨٤ أب ، ٨٥ أب) .
(١) في نص حاتشبسوت رقم أنجد : h3w nb nfr n T3-ntr وعند أمنحتب الثالث
نجد h3w nb ndm h3swt. sn وفي فيله نجد h3w nb sty n Pwnt (انظر
فيما بعد النص رقم ١٣٧) .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم: البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، ص ٤٩ .
(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق : ص ٢٠٧ .

Daumas, les Mammisis des temples Égyptiens, Paris (1958), (٤)
p. 397 n. (2).

٧٩- وعلى الجدار الشرقى للفناء الواقع بين الصرحين التاسع والعاشر ، يوجد نقش يمثل الملك حور محب ومعه رجال مجلسه وهم يستقبلون رؤساء البلاد الأجنبية الذين جاءوا يحملون خيرات بلادهم كهدايا للملك . وهم رؤساء رتتو والحاوئبو وبونت .^(١) ويقول كبار بونت :

" تحية لك ملك مصر وشمس الأقواس التسعة ، لعل شخصك يكون دائم العطاء (أو التدفق) . إننا لا نعرف مصر ، آباؤنا لم يطأوا هذه الأرض . امنحنا النسيم الذى تهبه عادة ، إن كل البلاد تحت نعليك " .^(٢)

٨٠- وفى نص جاء على لوحة للملك سيتى الأول ، كانت موضوعة أمام الواجهة الجنوبية للصرح السابع بمعبد الكرنك ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم CG. 34011 ، نقرأ أن المعبود آمون يؤكد لابنه سيتى الأول خضوع كل البلاد الأجنبية له فى الجهات الأصلية الأربع ، فيقول له فى موضعين :

أ- " أنا سببت أن يأتى إليك البلاد الأجنبية التى لا تعرف مصر ، يحملون هداياهم الثقيلة من الذهب والفضة والفيروز وكل أنواع الأحجار الثمينة من تا- نثر " .^(٣)

ب- " واتجهت بوجهى نحو الشرق (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى قيدهم (سكان الشرق) لك عن آخرهم مجتمعين فى قبضة يدك وجمعت كل (سكان) جبال بونت (h3swt nbt nt Pwnt) (مع) هداياهم من الصمغ والمر الثمين " .^(٤) (Kmjt cntyw špss) .^(٥)

(١) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 261 n. (2).

(٢) Lalouette, Thèbes ou la naissance d'un Empire, p. 582, 612 n. (٢)

(12) = Urk IV, 2128, 1.3-8; Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 17.

وأيضاً د. صكبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص ٦٦٢.

(٣) Grimal, op. cit., p. 458-459; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 257 (٣)

n. (3); Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (18).

(٤) عن هذا المعنى لكلمة špss ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 368

(٥) عن هذا النص ، راجع : Grimal, op. cit., p. 461

٨١ أ - ويتحدث إلى الملك قائلا له في موضع آخر^(١) : " اننى فتحت له (أى لسيتى) الطرق إلى بونت " .^(٢)

ب - لوحة جدارية فى سرايية الخادم للمدعو نحسى ومعه كاتبه آمن مس من عصر الملك سىتى الأول ، نقرأ عليها أن الكاتب آمن مس " عندما أصدر له الملك الأمر بالرحيل ، رحل بحذاء شاطئ البحر الأحمر بحثا عن أفضل منتجات بونت " .^(٣) يدل هذا النص أن بلاد بونت كانت تشمّل الشاطئين الشرقى والغربى للبحر الأحمر .

ج - كما عثر فى موقع سرايية الخادم على بقايا نصين رقمى ٢٣٨ و ٤٢٧ من عصر الدولة الحديث جاء الحديث فيهما عن " عبور جبال بونت لإحضار أفضل المنتجات (من هناك) لجلالته " .^(٤)

٨٢ - ذكرت بلاد بونت فى خمسة مصادر من عصر الملك رمسيس الثانى : معبد العمرة الغربية ومعبد اكشا ، وسرايية الخادم ، وفى قائمة رمسيس بأبيدوس ، ونشيد لآمون على بردية ليدن .

أ - يتحدث النص الأول عن حملة للملك لإحضار أفضل منتجات بونت (bj3wt Pwnt) .

ب - والثانى عن إرسال حملة إلى بونت وأن البونتيين هناك أحضروا المراكب المحملة بالجلود وأشجار البخور والعطور اشش وارتيو وغيرها .

(١) Saleh, op. cit., p. 257 n. (3).

(٢) فى قصة ون آمون يخبرنا أنه كان معه تمثالا لآمون فاتح الطرق ، راجع : Lefebvre, op. cit., p. 217 n. 65 .

(٣) Urk IV, p. 1891-3 (687).

(٤) Edel, Sinaiin Schriften, in NAWG, p. 176-180 fig. 6.

ج - والثالث عن المعبود " تحوتى سيد بونت " (١).

د - والرابع عن قيام الملك بحفر العديد من البحيرات وحفها بكل الأشجار والنباتات العطرية من بلاد بونت .

هـ - والخامس من أن " كل من هم فى بونت يأتون إليه (آمون) وتا- نثر تحضر بسبب حبك ، والمراكب تبخر نحوك وتحضر الصمغ (*Kmty*) من أجل احتفال معبدك بالأعياد حيث عبق الروائح الطيبة " (٢).

٨٣- وفى معبد أبيدوس من عصر رمسيس الثانى نجد أنه صور من بين النوبيين أو أهل الجنوب واحد من أهالى بونت كان يتفاخر بحدائق نباتات بونت فى بلاده. (٣)

وفى معبد رمسيس الثالث بمعبد الكرنك وفى مدينة هابو أربعة نصوص تشير إلى انتصار الملك على الشعوب الأجنبية فى الجهات الأصلية الأربع . والنص الأول سجل على الكتف الشمالى للصرح الأول فى معبد مدينة هابو . وهو أكثر النصوص اكتمالا ، أما الثلاثة الآخرين فنجدهم فى معبد رمسيس الثالث بالكرنك. (٤)

(١) كان تحوتى مع حورس ومين وحتحور وأوزير من المعبودات التى لها صلة بالدورة القمرية الخيرة وارتباط منتجات المناجم والمحاجر بعين حورس المقدسة. كما كان شو وتحوتى مسئولان عن مناجم جنوبى أسوان ومين مسئول عن حماية الصحراء الشرقية وسوبد وشو عن شرق آسيا ، راجع : *Aufrere, op. cit., p. 81-82, 121.*

(٢) لهذه النصوص الخمسة ، راجع : *Kitchen, RI 11, p. 211, p. 215-6* ; *Gardiner, ZAS 42, p. 12-20* (204) 514 (149) 401-402 (55) وأيضا : *Saleh, Suppl. Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (19)* ; *BIFAO 81, p. 116 n. (5)* .

(٣) *Kitchen, op. cit., p. 1199 n. (22)* .

(٤) *Grimal, op. cit., p. 454 n. (85)* ; *Kitchen, IR V, p. 97, 1. 2, 98* , *PM 11, p. 489* = 1.2 ويعطى كيتشن خمس نسخ من هذه النوعية من النصوص .

٨٤- نصي معبد مدينة هابو :

أ - " أنا سببت أن تأتي إليك البلاد الأجنبية التي لا تعرف مصر ، (مع)
 جزيثهم الثقيلة من الذهب والفضة والفيروز الخالص وكل أنواع الأحجار
 الثمينة المختارة من تا- نثر من أجل وجهك الجميل " .^(١) وهذا يؤكد أيضا
 أن تا- نثر كانت جزءا من الجزيرة العربية إن لم يكن كلها .

ب - " واتجهت بوجهي نحو الشرق أثناء معجزتي لك فقيدتهم (أي سكان
 الشرق) لك عن آخرهم مجتمعين في قبضة يدك وجمعت لك كل (سكان)
 جبل بونت (h3st nbt nw Pwnt) (مع) هداياهم من الصمغ والمر
 الثمين^(٢) (Kmjt cntyw špssty) .

٨٥- نصي معبد رمسيس الثالث بالكرك :

أ - " واتجهت بوجهي ناحية الشرق (فكانت) معجزتي لك فقيدت بقوة كل
 (سكان) جبل بونت (h3st nbt nt Pwnt) (مع) هداياهم من الصمغ
 والمر الثمين (Kmjt cntyw špsy) .^(٣)

ب - " واتجهت بوجهي ناحية الشرق (فكانت) معجزتي لك وقيدتهم لك ...
 (بقية النص مهشم جدا) .^(٤)

٨٦- وفي معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث يوجد منظر يمثل موكب
 الاحتفال بتكريم تماثيل الملوك الذين كانوا محل تقديس ، ومن وراء هذا الموكب

(١) Grimal, op. cit., p. 458-459 (1) .

(٢) Id., op. cit., p. 463 (1) .

(٣) Id., op. cit., p. 463 (2) .

(٤) Grimal, op. cit., p. 461 (3) .

يسير حملة الرموز والشارات المقدسة ويتبعهم مجموعة من الكهنة منهم رئيس الكهنة المرتلين ، ورئيس المغنيين ، وزنجرى من أهل بونت ، كل منهم يوجه التحية إلى تمثال المعبود مين .^(١) وهذا ما سوف نقابله فى النصوص من العصر البطلمى التى تشير إلى مجئ بعض الشعوب الأجنبية للمشاركة فى الاحتفالات الدينية .

٨٧- وعلى بردية هاريس (77,8F) من عصر رمسيس الثالث ، نجد نصا يصف لنا سفن البعثة التى أرسلها الملك إلى بلاد بونت ، فنقرأ^(٢) :

" انه أرسل سفن كبيرة على البحر الكبير^(٣) (الأحمر) إلى جبل بونت (h3st Pwnt) .

٨٨- وعلى البردية السابقة فى موضع آخر (70b,14) نقرأ بأنه من بين الهدايا التى منحت لمعبد ايونو حوالى : " ٣٠٠ دين من الصمغ الأسود الخالص (mnn)^(٤) من بونت " .^(٥) ويشير هذا النص إلى كمية الصمغ الخام الكبيرة التى كانت تستخدم فى الطقوس فى معبد واحد .

(١) Vandier, la Religion Égyptienne, Paris (1949), p. 185 n. (5) .

(٢) Saleh, BIFAO 72, p. 261 n. (3); Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (24); Mokhtar, op. cit., p. 145; Drioton-Vandier, op. cit., p. 357; Erman-Ranke, op. cit., p. 687 .
د. عبد المنعم عبد الحليم :

البحر الأحمر وظهيره ، ص ٢٠٤ .

(٣) اختلف العلماء فى التسمية : m kdw فهل يقصد بها " نهر الفرات أو البحر الأحمر أو الخليج العربى ، راجع : Saleh, op. cit., p. 261; Wb 11, 52, 6.

(٤) عن هذا النوع من الصمغ أو المر ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 639-641.

(٥) Aufrere, op. cit., p. 340, 639 n. (145) .

٨٩- وعلى بردية تورين رقم ٢٢ من عصر الملك رمسيس السابع نجد أن الملك يخاطب بالألفاظ الآتية في السطرين ٣ - ٤ :

" البحر يرفع نفسه من أجلك فرحا ، وباونت (P3wnt) تعطى عطرها (لك) ... ما بقيت (؟) السماء " .^(١)

٩٠- وعلى بردية ليدن رقم ٣٤٧ من عصر الرعامسة نقراً عدة صيغ لحماية حورس خنتى ختى ، فنجد في السطرين ٣ - ٤ ما يلي :

" سيد بلاد النوبة الذى من أجله خلقت بونت وإليه أعطى القطرين " .^(٢)

٩١- وعلى بردية ليدن السحرية رقم ١٣٤٥ من عصر الرعامسة نجد تعويذة ضد كل الأمراض ، حيث يقول المريض على لسان الكاهن الساحر^(٣) :

" إن الأمر الذى صدر فى صالحى هو أمر من حعبى وقد صدر فى صالح أخيه رن-وى^(٤) القادم من بونت ، وشفى من مرضه " .

٩٢- وفى النصوص التى جمعها كيتشن من عصر الرعامسة نقراً نص يشير إلى كمية " صمغ بونت " (Kmjt n Pwnt) .^(٥) ويذكر الـ (Wb) منتج آخر من بلاد بونت ظهر فى نص من عصر الأسرة التاسعة عشرة هو : اشش -
(i š š) .^(٦)

(١) Grimal, op. cit., p. 256 n. (1188) .

(٢) Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 318 (296) .

(٣) Lexa, la Magie dans L'Égypte Antique, Paris (1925), p. 11, 55 (I).

(٤) عن اسم هذا المعبود ، راجع : Wb 11, 429, 10 .

(٥) Aufrere, op. cit., p. 591 n. (3) .

(٦) Wb I, 135, 13 .

٩٣- وعلى لوحة من الأسرة العشرين والموجودة الآن بالمتحف البريطاني تحت رقم ١٩٤ نجد أن المعبودة نيت تحمل اللقب الآتي في السطرين ٢٠ - ٢١^(١) :

" نيت ... التي تترأس بلاد تا- نثر " .^(٢)

يشير النص هنا إلى محاجر شبه جزيرة سيناء .

٩٤- وعلى لوحة رع - مس في مجموعة بانكس وتحمل رقم ٤ والتي عثر عليها في دير المدينة وهي من عصر الرعامسة ، نجد نشيد لآمون رع حيث يقال له :
" حاكم بونت " (hꜥ3 Pwnt) ، الأول في أرض الجنوب ، سيد
المجاو " .^(٣)

العصر المتأخر :

٩٥- هناك لوحة للملك بعنخي من الأسرة الخامسة والعشرين بالمتحف المصري وتحمل رقم J. E. 48862 يحدثنا نصها في النهاية في السطرين ١٥٣ - ١٥٤ عن رجوع الملك إلى نباتا بعد حملته على مصر ومعه أساطيله المحملة بالفضة والذهب والنحاس وأنواع الأقمشة وكل خيرات الوجه البحري وكل كنوز سوريا وكل النباتات العطرية لتأ- نثر (h3w nb T3-ntr) .^(٤)

في رأينا أن المقصود بتأ- نثر هنا هي فلسطين وسوريا معا وخاصة وأن الملك نفسه قادم من كوش في جنوب مصر .

(١) R. el Sayed, La Deesse Neith de Sais, p. 381 (doc. 399) .

(٢) عن دور المعبودة نيت كحامية لمناطق المناجم والمحاجر وعن التشابه بينها في

هذا الدور وبين حثور ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 135-137

(٣) Chadeaud, les Statues Porte-Enseignes, p. 175 n. (30) .

(٤) Grimal, la Stèle Triomphale de Piankhy, la Caire (1981), p. 180 (27) .

٩٦- وهناك لوحة الملك تانوت آمون من نفس الأسرة وهي بالمتحف المصرى أيضا وتحمل رقم J. E. 48863 وتشير نصوصها إلى أنه بعد أن استولى الملك على منف ودخل معبد بتاح وقدم القرابين لأبيه بتاح- سوكر وسخمت أصدر أوامره لأحد رجاله للذهاب إلى النوبة العليا (نباتا) لى يشيد بوابة من الحجر الجيرى لأبيه آمون رع اعترافا منه بالجميل ، وفى السطر ٢٠ نقرأ (١) :

" ولونها الأحمر (tms) من زيت شجرة الأرز المعبق بالمر المجفف (٢)
من بونت (cnty šw n Pwntt) وبواباتها مغطاة بالذهب الخالص " .

٩٧- وهناك نص هام من عصر أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، فهل هو بسماتيك الأول أو الثالث (؟) (٣) وعثر على هذه اللوحة بترى فى حفائره فى دفنه . ويحدثنا نصها فى السطرين ٨ - ٩ عن :

" مطر السماء فى الشهر الرابع (؟) من فصل الشتاء اليوم ... بدرجة كبيرة على جبل بونت (dw n Pwnt) " .

ويعتبر كاتب النص أن سقوط هذه الأمطار بغزارة على جبل بونت بمثابة معجزة كبرى فى موسم قلت فيه الأمطار فى المناطق الجنوبية والوجه البحرى . كما يشير النص إلى دور المعبودة نيت ، معبودة سايس وحامية الأسرة السادسة والعشرين ، فى جلب الفيضان السماوى (أى المطر) لى تهيأ قوات الملك (٤) . ويبدو أن أفراد هذه القوات كانت فى مهمة فى بلاد بونت ربما لإحضار منتجاتها

(١) Grimal, Quatre Stèles Napateennes au Musée du Caire, le Caire (1981), p. 12, 104.

(٢) عن هذا المعنى ، راجع : Wb I, 206, 12; Meeks, Alex. I, p. 365

(٣) يرى فيكنتيف أن هذه اللوحة ترجع إلى عصر الملك بسماتيك الأول ، راجع :

Vikentiev, la Haute Crue du Nil, le Caire (1930), p. 52.

(٤) هذا النص يذكرنا بما ورد عند هيرودوت بأن أمطار معجزة هطلت بغزارة على مدينة طيبة فى عهد الملك بسماتيك الثالث ولم يحدث مثل هذا من قبل ، راجع : (111, 222) Barguet, Herodote-Thucydide, Paris (1964), p. 10).

وتعرضت لخطر الموت ظمأً عند اجتيازها لمناطق جبلية وعرة يندر فيها سقوط الأمطار في أواخر فصل الشتاء . ولكنهم نجوا بفضل هطول الأمطار بغزارة على جبال بونت . وهكذا بفضل تدخل ومعجزات المعبودة نيت تم إنقاذ أفراد جيش جلالة الملك ^(١).

ونقرأ في الأسطر من ١٢ إلى ١٥ ما يلي :

(١٢) ... معجزة كبرى حدثت في وقت جلالتك .

(١٣) ... (لم) ير هذا ولم يسمع هذا فقد أمطرت السماء (hy pt) على جبل بونت (dw n Pwnt) (فى وقت) قل (cndw) فيه المطر فى المناطق الجنوبية .

(١٤) ... وخلال هذا الشهر الذى أمطرت فيه لم يكن موسمها بالتأكيد على مدن أرض الشمال (الوجه البحرى) .

(١٥) ... أمك نيت (من) سايس أحضرت لك الفيضان لكى تحيا قوائك " ^(٢).

(١) Mokhtar, op. cit., p. 147 n. (28); Montet, L'Égypte Éternelle, Paris (1970), 132; Vikentiev, op. cit., p. 51-52 n. (5).

(٢) Vikentiev, op. cit., p. 52 n. (2) .

عن هذا النص ، راجع : Tanis (Petrie, Nebsheh and Deffenneh (1888), p. 107-108 (103), pl. 42; R. el Sayed, la Deesse Neith de Sais, BdE 86/2 (1982), p. 408 (doc. 457); Vikentiev, op. cit., p. 52; Z. Topozada, les activités des Rois de la XXVI^{eme} dynastie en Égypte, p. 270-271 (doc. 341).

رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة المنيا ، ١٩٨٣ ؛ Gauthier, LR IV, p. 77 n. (1); Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. . (27). د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ،

ص ٤٠٣ حاشية (٨) .

ويضع نص هذه اللوحة بلاد بونت في جنوب الحدود المصرية وانه يسقط على جبالها أمطار غزيرة وقت الشتاء .

٩٨ أ - نعلم أن الملك نكاو ثانى ملك فى الأسرة السادسة والعشرين قد أرسل بعثه للاستكشاف البحرية حول الشواطئ الأفريقية .^(١) وربما أرسلت أيضا بغرض التجارة والتعرف على أسواق جديدة وموانئ جديدة . وربما مرت أيضا ببلاد بونت (؟) وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام .^(٢)

ب - فى نسخة من كتاب ساعات السهر لأوزير على تابوت من العصر المتأخر (الأسرة السادسة والعشرين) ، عند الساعة الثالثة نقرأ : " ها هو ابنك حورس يأتى إليك وسيد بونت من خلفه ويؤدى إليه التسبيح بالزيت هكنو " .^(٣)

ج - وفى طقس للتحنيط يقال لحتحور - تفنوت التى تحضر منتجات بونت ويقال أيضا " شسمت سيدة بونت " .^(٤)

د - يرى هيرودوت الذى زار مصر عام ٤٤٨ ق.م . (خلال الأسرة السابعة والعشرين) أن موقع بلاد بونت يوجد على ساحل الصومال .^(٥)

(١) بعد ذلك بفترة طويلة فى عامى ٥٤ ، ٦٨ ميلادية أرسل الإمبراطور الروملى نيرون بعثتين لكشف منابع النيل ولكنهما رجعتا بعد وصولهما غالبا إلى منطقة السدود ، راجع : د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ٢٨ .

(٢) راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٧٤٢٦ .

(٣) Soukiassian, BIFAO 82 (1982), p. 337 (3) .

Id., op. cit., p. 337 (4) .

ونجد هذا اللقب أيضا لشسمت على لوحة بالهيرايطية من الأسرة الثامنة عشرة

لا نعرف مكانها ، راجع : Vernus, RdE 33 (1981), p. 92, 97 n. v. :

(٥) د. صقر خفاجه : هيرودوت يتحدث عن مصر ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

٩٩- لوحة الملك نختنبو الثانى بالمتحف المصرى ، كان قد عثر عليها فى
الأشمونين ، وهى مؤرخة بالعام الرابع من حكمه وتسجل زيارة الملك لمعبد
الأشمونين وما قام به من أعمال معمارية هناك . ويحدثنا النص فى السطرين
١٦ ، ١٨ عن تشييده لمعبد للمعبودة نهمت عاوى وبعد إتمام البناء يقول
النص (١).

أ - " فإنه على الأرض مثل أفق آمون رع فى سماء بونت (Pwnt) وكالسيدة
فى حسرت " .

ب- " (وعندما) دخله الأسياذ (أى الملوك) لم ينقبض القلب (٢) تجاهه
(وقدمت) الأشياء المختارة القادمة (؟) من بونت " (Pwnt) .

العصر البطلمي - الروماني :

١٠٠-أ- فى نقوش مقبرة بيتوزيريس (التى ترجع إلى عام ٣٠٠ ق.م. أى بداية
العصر البطلمي) نجد منظرين فى قاعة المدخل ، الحائط الشمالى ففى هذا
المنظر نرى أربعة أشخاص يقومون بصحن المواد العطرية فى أوانى (٣).
وفوق الأول فى أقصى اليمين نقرأ : shm h3w (٤) " صحن النباتات
العطرية " . وفوق الثانى نقرأ : nwdw hr ir cnty " العصارون
يستخرجون المر " وفوق الاثنتين الآخرين اللذين يقومان بصحن ودق المادة
الخام على حامل وضع أمامهم فنقرأ :

(١) Roeder, ASAE 52 (1954), p. 380 .

(٢) تقرأ hcw-ib ، راجع : Piankoff, le Coeur dans les textes
Egyptiens, Paris (1930), p. 116; Wb 111, 51, 15.

(٣) Shimy, Memnonia IX (1998), p. 213 n. 34 Fig. 8 = Lefebvre,
le Tombeau de Petosiris 111, p. 58 pl. X1.

(٤) عن المعنى ، راجع : Wb IV, 215, 12; Meeks, Alex. I, p. 337

Shm imyw nw Pwntt " صحن (ما يأتى) من داخل بونت " .

ب - وفى منظر آخر فى نفس المكان نرى أربعة أشخاص يقومون بإعداد وطبخ البخور- ونقرأ فوق الشخصين الأولين : nwdw ir cnty ndm sty " العصارون يستخرجون المر والعطر الطيب " وفوق الشخصين الآخرين الذى يقوم أحدهما بصحن أو تقليب العطر فى وعاء كبير بمساعدة عصا طويلة ويقوم الآخر بعمل فتحة أسفل الإناء لاستخراج المادة السائلة ونقرأ ما يلى : shm imyw nw Pwntt وصحن (ما يأتى) من داخل بونت " (١).

١٠١- عثر فى منطقة سقارة على تابوت من الخشب يوجد الآن بالمتحف المصرى بالبندروم تحت رقم (SS 27/ B4) طوله ٢٠٠ سم وعرضه ٦٠ سم وارتفاعه ٣٩ سم وهو يحمل أقدم نقش عربى وجد فى مصر مدون بالخط المسند الذى كان منتشرا فى جنوب الجزيرة العربية . ويرجع هذا النقش إما إلى العام الثانى والعشرين من حكم بطلميوس الثانى (أى عام ٢٨٥ ق. م) أو عصر بطلميوس السادس (أى عام ١٧٢ ق. م) (٢) ويخص أحد التجار من معين وهو زيد- ايل (٣) من منطقة " العلا " والذى دفن فى جبانة سقارة ويحدثنا فى هذا النقش عن المعاملات التجارية التى كانت قائمة بينه وبين كهنة المعابد المصرية ويشير إلى أنه قدم إلى هذه المعابد مقادير من المر وقصب الطيب

(١) Shimy, op. cit., p. 223 n. 54 Fig. 17 = Lefebvre, op. cit., p. 59 pl. X.

(٢) د. محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٢٧ ، ١٨٠ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٢١ ؛ وبوجه خاص د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ . وقام سيادته بنشر هذا النص فى مقال باللغة الإنجليزية فى المؤلف نفسه ، 193-199 p. ؛ د. سيد الناصرى : الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة ، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية ، ١٩٧٧ ، ص ٤١٢ .

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة فؤاد حسنين وزكى حسن) ، ص ٢٦٩ .

مقابل أقمشة مصرية . ويذكر أنه استخدم سفينة في استيراد هذه المنتجات العربية . كما يشير إلى دين عليه يستحق الوفاء في شهر حتحور (هاتور) . وفي موضع آخر في النص يشير إلى أنه وفى بكل ديونه في شهر كهياك .

ويختم زيد- ايل حديثه بنوع من الدعاء إلى المعبودات يبدو منه أنه يبتهل إليها لكي تضيف حمايتها على تابوته وهو يجمع في هذا الدعاء بين المعبود المصرى أوزير- حعبى (وهو يورده في النص بنطق معرب وهو اثر حف) وبين معبودات موطنه الأصلي .^(١)

ونستطيع أن نتعرف من خلال هذا النقش على عدة حقائق من بينها مدى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بين هذا التاجر المعينى وبين الكهنة المصريين . ويدل على انخراطه فى سلك رجال الدين المصريين الذين رأوا فى هذا ما ييسر عليهم الحصول على حاجتهم من البخور والطيب اللازمة لأداء الشعائر والطقوس الدينية بشكل مباشر دون وساطة السوق التي ترفع وساطتها من ثمن هذه السلع بالضرورة . ويكشف لنا هذا النقش عن حقيقة هامة هي أن المواصلات فى هذه الفترة بين عرب شبه الجزيرة وبين مصر لم تكن قاصرة على الطريق البرى ، وإنما كانت تتم كذلك عن الطريق البحرى عبر البحر الأحمر ، فكانت هناك عدة موانئ فى مصر على شاطئ البحر الأحمر مثل موانئ : ساو وميوس هرموس وبيرينيكي (رأس بناس حاليا) وميناء القصير . ويشير هذا النص أخيرا إلى اندماج هذا التاجر المعينى فى المجتمع المصرى وهو اندماج يمكن أن يكون واردا فى حالة عدد كبير من

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ ؛ أمل بيومى مهران : دراسة تاريخية للعلاقة بين الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية ١٩٩٦ ، ص ٥٩ - ٧١ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

سكان جنوب الجزيرة العربية النازحين إلى مصر في تلك الفترة . فنحن نرى هذا التاجر يتقدم بدعائه وابتهالاته لا إلى معبوداته فحسب ، بل كذلك إلى معبود مصرى . ثم هو لا يذكر هذا المعبود المصرى باسمه الذى كان شائعاً بين اليونانيين المقيمين فى مصر وهو سرابيس ولكنه يذكره باسمه المصرى أوزير- حبى بعد أن عربه إلى اثر حف مما يشير إلى أن اندماج هذا التاجر لم يكن مع الإغريق وإنما مع المصريين .

وإذا قمنا بفحص بعض النصوص فى المعابد البطلمية- الرومانية والتي جاء فيها ذكر اسم بلاد بونت أو تا- نثر نجدها عديدة وكثيرة وخاصة النصوص الدينية التى تتناول الطقوس المختلفة وبالتحديد طقوس تقديم القرابين اليومية فى المعابد .^(١) وهناك حقيقة هامة وهى أن أغلب المراجع والمؤلفات التى تعرضت لذكر بونت لم تعطينا أية أمثلة من العصر البطلمى - الرومانى وهذا ما مثل لنا مشكلة كبيرة اضطررنا معها إلى فحص المؤلفات الكبرى التى تتناول نصوص المعابد البطلمية - الرومانية ونحن لا ندعى أننا قمنا بفحص كل النصوص التى ذكرت فيها بلاد بونت ولكن هناك بدون شك نصوص أخرى قد مرت علينا دون أن نراها أو هناك مصادر أخرى لم نعرفها . ولكن يكفى أن نقول أننا جمعنا حوالى ٧٢ نصاً من هذا العصر وحده .

قدس الأقداس فى معبد الكرنك :

على الجدار الشمالى ، يوجد فى الجزء العلوى ، خمسة مناظر تبدأ من وسط الجدار الغربى ، وفى المنظر الخامس نرى الإسكندر مرتدياً غطاء النمى وهو يقدم الزيت المعطر^(٢) (mdt) إلى آمون رع ويقدم أيضاً تمثال

(١) مثال ذلك : Kitchen, LA IV, p. 1199 n. 28; Herzog, op. cit., p. 20-21; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 229.

(٢) وهو الخاص بالأعضاء المقدسة ، راجع النص رقم ٢٤ أ وحاشية (٦) .

صغير لأبى الهول ، ومن خلفه قرين الملك وهو يحمل بخور بونت ويقول
النص :

١٠٢- " كلمات تقال بواسطة الكا الخاصة بك إلى آمون : اننى أحضرت لك بونت
(Pwnnt) اننى مخلص فى حبى لك " (١).

معبد اسنا :

فى قاعة الأعمدة ، الباب الجنوبى الشرقى من العصر الرومانى ،
نرى منظرا يمثل الإمبراطور دوميسيان يقدم البخور للمعبودة نيت قائلا :
١٠٣- " خذى لنفسك المر من بونت (٢) والروائح العطرية (٣) (h_dw) (٤) من تا-
نثر " .

(١) Barguet, le Temple d'Amon-Rê a'Karnak, p. 197.

(٢) R, el Sayed, la Déesse Neith de Sais, I, p. 143; t. II, p. 626
(doc. 1010) = Sauneron, Esna 11, p. 138, texte 62.

(٣) نعلم من نصوص اسنا أنه كانت هناك صيغة مقدسة لتقديم آنية العطر ، راجع :
Sauneron, op. cit., p. 141 (texte 293, 26) .

وأنه كان هناك كاهنا فى نفس المعبد مسئولوا عن المبخرة ويقوم بتطهير تماثيل
المعبودات بالبخور ، راجع : Sauneron, op. cit., p. 134 (texte 284 ,
10) . ونعلم أنه كان يوجد بمعبد الكرنك رئيس لحملة المباخر ، راجع : R. el
Sayed, BIFAO 69 (1983), p. 219-239; Id., ASAE 70 (1984-
1985), p. 323-349.

(٤) عن هذا النوع من الروائح ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 214-215 n.

11, 212, Wb 111, 337, (d) (C) ويرى البعض أن h_dw لها نفس معنى

h₃w ، راجع : Shimy, Memnonia IX (1998), p. 233 n. 37

وفى أربعة نصوص أخرى فى أماكن أخرى بمعبد اسنا ذكرت
المعبودة نيت بالألقاب الآتية :

- ١٠٤- " حاكمة بونت " (١).
١٠٥- " سيدة تا- نثر " (٢).
١٠٦- " سيدة بونت " (٣).
١٠٧- " ملكة بونت " (٤).
١٠٨- " ذات العطر الذى يفتح ابتداء من بونت ورائحتها رائحة العطر الطبيعى " (٥).
١٠٩- ويقال لابن رع الكبير :
" الفنكس المقدس الذى يجوب بونت " (٦).

معابد الميلاد المقدس :

فى مؤلف دوما عن هذه المعابد فى ادفو وندرة نجد ثلاثة نصوص هى :

- (١) R. el Sayed, op. cit., II, p. 91, 660 (doc. 1055b, 1086).
(٢) Id., op. cit., p. 91 (doc. 1049) = Sauneron, Esna V, p. 291 (texte 163, 23).
(٣) Id., op. cit., p. 91 (doc. 055b) = Sauneron, op. cit., p. 113.
(٤) Id., op. cit., p. 91 (doc. 1049) = Sauneron, op. cit., p. 291 (texte 163, 23).
(٥) Sauneron, Esna V, p. 153 (texte 331, 18).
(٦) Sauneron, op. cit., p. 370 (texte 262, 23).

فى معبد دندرة (معبد الميلاد المقدس) :

يحدثنا نص عن القرابين والهدايا والعطايا التى تقدم للمعبودة حتحور من بينها :

١١٠- " كل بخور تا- نثر وكل زيت عطرى آخاذا (*thn*) من بونت " (١).

وفى نصوص المناظر التى تصاحب عملية الميلاد المقدس فى دندرة نجد المعبود آمون رع يتحدث إلى المعبود حتحور قائلا :

١١١- " عطرك من تا- نثر وروائح جسدك من بونت " (٢).

فى معبد ادفو (معبد الميلاد المقدس) :

نقرأ ما يلى :

١١٢- " كل النباتات العطرية من بونت " (*h3w nw Pwntt*) (٣)

معبد مدامود :

نرى على أحد الأعمدة منظرا يمثل أحد الملوك البطالمة وهو يقدم إلى إحدى المعبودات البخور ويقول :

١١٣- " متع قلبه بالمر المستخرج من بونت (*cntyw pr m Pwntt*) " (٤).

(١) Daumas, les Mammisis des Temples Égyptiens, p. 229.

(٢) Id., op. cit., p. 397 n. (2) .

(٣) Id., op. cit., p. 229 n. (I) .

(٤) Drioton, Rapport sur les Fouilles de Medamoud (1926), p. 36 (341) .

١١٤- وفى نص آخر فى معبد مدامود نجد إشارة عن طقوس الرقص التى تشارك فيه شعوب البلاد الأجنبية احتفالاً بأعياد حتحور ، ونجد بينهم البدو والآسيويين وأهل بونت من :

" الخبستيو (hbstyw)^(١) يؤدون التحية لك " .^(٢)

معبد دير الشلويط :

وهو معبد صغير مخصص لعبادة إيزيس من العصر الرومانى ويقع على بعد ٣,٥ كم من معبد مدينة هابو .

فى الجزء الذى يقع أمام قدس الأقداس ، نقرأ النص التالى :

١١٥- " فليعش المعبود الطيب سيد بونت " (Pwntt)^(٣) (اسم الملك البطلمى غير معروف) .

١١٦- " فليعش حورس الطيب سيد " (٤) تا- نثر " .^(٥)

معبد طود :

نصوص صالة الأعمدة :

(١) عن هؤلاء الأقوام الذين يعملون بالمناجم فى بونت ، راجع النص رقم ٥٨ .

(٢) Drioton, op. cit., p. 27-28 texte 328, 1. 8.

(٣) Chr. Zivie, le Temple de Deir Chelouit, t. 11, le Caire (1983), p. 52 (texte 78, 5).

(٤) لهذه العلامة ، راجع : Wb 11, 235.

(٥) Chr. Zivie, op. cit., p. 58 (texte 80, 1).

١١٧ أ - وفى منظر يمثل موكب المقاطعة الخامسة (ققط) يقال لمونتو : " هو (أى الملك) يحضر لك ضاحية تتروى محملة بثرواتها القادمة (h3j) من مدرجات الجبال (htyw dww) والمر (ihmw) والفضة (hdw) والروائح الطيبة (3hdw) وأشجار البخور (nnibw) الخاصة بتا - نثر " (١).

وفى منظر آخر نرى نرى الملك البطلمي يتحدث إلى المعبودة سخت قائلا (٢) :

ب - " تلقى منى البخور (3 tf) (٣) من تا- نثر و (٤) بونت (ihm nw) (Pwntt) ... سيدة كبن وسيدة ثرت التى توجد فى معبد من استغل (حرفيا حطم) بونت " (hd n. f Pwn) وترد عليه المعبودة قائلة (٥) :

١١٨ - " اننى أعطيك المر (mrs) (٦) أمام كل الناس مثلما ينتشر (٧) عطر بونت (mi phr cntyw Pwntt) .

وفى نص ثالث بنفس المعبد نقرأ :

١١٩ - " بخور بونت (3tf n Pwn) (٨)

(١) Grenier, Tod, publ. IFAO (1980), p. 134 (texte 86, 4-5).

(٢) Id., op. cit., p. 196 (texte 132, 4).

(٣) Wb I, 23, 7.

(٤) Aufreere, op. cit., p. 33, 766-767; Wb I, 119, 2.

(٥) Grenier, op. cit., p. 198, (texte 132, 2).

(٦) Wb. 11; 113; 1 .

(٧) عن هذا المعنى لكلمة phr ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 137

(٨) Grenier, op. cit., p. 238, (texte 152, 4).

وفى نص رابع بنفس المعبد أيضا نقرأ :

١٢٠- " الروائح الطيبة (3hḏw)^(١) من ثرواته من تا- نثر (bj3wt n T3- ntr)^(٢) (وهى) الغطاء لكل معبود ... ".^(٣)

أى أن الروائح تعبق كل تمثال المعبود فى قدس الأقداس .

معبد أدفو :

ففى نصوص تكريس المعبد لسيدته نقرأ :

١٢١- " اسمه مكتوب على حائط معبد ادفو (msn)^(٤) كملك لمصر العليا والوجه البحرى ، بطلميوس الحادى عشر ، الإسكندر الأول ، الذى هرب^(٥) إلى بلاد بونت (Pwnt) واستولى أخوه الأصغر على مصر وتوج ملكا من جديد " .^(٦)

(١) كلمة مشتقة أساسا من كلمة iht أو ih ، وللمعنى راجع : Wb I, 120, 14
(٢) سجل جرنبيه فى هذا المكان علامة sst3 ولكنه أخطأ فالكلمة أقرب إلى كلمة bj3 وتقرأ bj3wt nt T3-ntr وهى معادلة لكلمة bj3wt nt Pwnt راجع النص رقم ١٣٦ فيما بعد ، وأيضا : Wb I, 440, 4

(٣) Grenier, op. cit., p. 238, (texte, 152, 5).

(٤) اسم معروف لادفو منذ عصر الدولة القديمة ، راجع : Wb 11, 145, 2; Gauthier, DG 111, p. 60.

(٥) تقرأ Wcr r ، راجع : Wb I, 286, 10

(٦) Chassinat, Edf. V, p. IX (avant propos)

يرى بعض المؤرخين إن بطلميوس الحادى عشر قد هرب إلى قبرص وقضى هناك حوالى عشرين عاما فى المنفى ، بينما نص أدفو يذكر أنه هرب إلى بونت ، راجع : (88) 387 (2), 355 n. (2), LR 111, p. 355 Gauthier,

وفى أكثر من مكان وأكثر من نص نقراً :

١٢٢- " وجود ملك مصر العليا والوجه البحرى (بطلميوس الحادى عشر) فوق
عرشه كحاكم لتا- نثر " (١).

١٢٣ أ - " كلام يقال بواسطة حورس ادفو ، المعبود العظيم للسماء ، حورس
الذهبى ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، الصقر (drty) سيد
الصقور ، كبير (٢) تا- نثر وبونت (tnj T3-ntr Pwntt) ... " (٣).

ب - فى نص بالفناء يقال لحورس : " عظيم القوة عندما يجوب المستنقعات
بالقرب من بونت " (S3b sšw m-ht Pwntt) (٤)

ج - وفى نص آخر بالفناء يقال لأنوبيس : " الذى يترأس بونت " (hnty
Pwntt) (٥)

١٢٤- " ... البخور طيب الرائحة ... إنه معبود مبدل ، بحدتى سيد بونت
(Pwntt) ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، العظيم الذى يحمى أرض
مصر العليا ... " (٦).

١٢٥- " حتحور سيدة دندرة ، عين رع ، سيدة السماء ، المعبودة المقدسة ، سيدة
تا - نثر " (٧).

وفى حديث للمعبودة موت موجهة إلى الملك نقراً :

Chassinat, op. cit., p. 78, 105. (١)

Wb V, 374, 4. (٢)

Chassinat, op. cit., p. 78, 1. 8-9. (٣)

Id., op. cit., V, p. 174-175, 1. 17. (٤)

Id., op. cit., p. 186 1. 9. (٥)

Id., op. cit., p. 78, 1. 1-13. (٦)

Id., op. cit., p. 391, 1. 7. (٧)

١٢٦- " تعال في سلام ملك بونت (Pwntt) الكبير (tnj) الذي يترأس ما يحيط
بالسمااء " (١).

١٢٧- " ملك مصر العليا والوجه البحرى ... سيد بونت (Pwn) (٢) ، العين
المقدسة (٣) (ntrt ntrt) ، سيدة الضوء (hdwt) ... " .

ويقال للملك البطلمى :

١٢٨- " المعبود الطيب الذى يحرق البخور (K3p) (٤) لأبيه (حور سماتاوى)
ولكى يرضى المعبود برائحته الذى يجوب تاوى - نثرو (٥) (T3wy-ntrw)
معتنيا بما فيها (nwy) ، سيد بونت (Pwntt) ، ابن رع (بطلميوس)
... " (١).

ويرد عليه المعبود حور سماتاوى قائلا :

١٢٩- " اننى أعطيك بونت (Pwntt) محملة بما فيها وتا- نتر محملة (بكل) ما
يخرج منها " (٢).

(١) Chassinat, op. cit., p. 196, 1. 15.

(٢) Id., op. cit., p. 205, 1. 7.

(٣) Wb 11, 366.

(٤) Wb V, 104, 1.

(٥) جاءت هنا بالمتنى مما يعنى أنه كان يوجد أكثر من تا - نثر ، راجع :

Aufrere, op. cit., p. 215 (d), 220 (b); Wb V, 225, I.

ويعتقد أوفرر أنها البديل عن المفرد . بينما يعتبرها مكس منطقة مختلفة ،

راجع : Meeks, Alex. 11, p. 407

(٦) Chassinat, op. cit., p. 364, 1. 1-2.

(٧) Id., op. cit., p. 364, 1.5.

الحديث هنا يخص المعبودة حتحور :

١٣٠- " الأم التى لا مثيل لها ، الحاكمة فى بونت (hk3t m Pwntt) والتى

تترأس حنت- نفرت ، السيدة فى جبل المر (int cntyw) " .^(١)

هناك منظر يمثل تقديم البخور إلى المعبودة حتحور :

١٣١- "... على يد الأسد (m3j) ، حاكم بونت (Pwntt) ..." .^(٢)

ونفس النص والمعنى نجدتهما فى مكان آخر فى ادفو وفيلة :

١٣٢- " احضر الإناء ذو الأرجل الأمامية للأسد ، حاكم بونت ، صديق شسمو " .^(٣)

١٣٣- "... خذ لك بخور كل إنسان لأنفه من يد الأسد (m3j) ، حاكم بونت " .^(٤)

١٣٤- " الملك المنتمى إلى المعبودتين ، عظيم القوة ، سيد تا- نثر " .^(٥)

١٣٥- "... عمل ابتهالات إلى أمه (حتحور) ، عظيم الهيبة فى تاوى- نثرو

(T3wy-ntrw) ، سيدة تا - نثر " .^(٦)

١٣٦- " حتحور سيدة دندرة ... سيدة المنيت (mnjt)^(٧) ، عين رع^(٧) التى فى

(١) Id., op. cit., p. 382, 1. 12.

(٢) Id., op. cit., p. 378, 1.9.

(٣) Chassinat, EdF. 11, p.378, 11-13 = Aufrere, op. cit., p. 214 (b).

(٤) Aufrere, op. cit., p. 213 (B).

(٥) Chassinat, EdF. V, p. 378, 1. 13-14.

(٦) Id., op. cit., p. 370, 1. 1-2.

(٧) نعلم من نصوص ادفو أن أفضل أنواع البخور تخرج من عين رع . وأن

قرايين البخور تحمل أسماء : " عين حورس ، عين رع ، عين أوزير " ،

راجع : Aufrere, op. cit., p. 215 (c) ، كما أشار اوفرر إلى أن تلاعب

الألفاظ بين لفظى cntyw الذى يعنى بخور ولفظ cndw فى

- قلب بحدث (ادفو) ، سيدة البخور (nbt cntyw) ، سيدة تا- نثر " .^(١)
- ١٣٧- " حتحور العظيمة ، سيدة دندرة ، عين رع التى فى قلب ادفو ، معبودة ادفو التى تعطى تا- نثر محملة بما فيها إلى ابنها محبوبها " .^(٢)
- ١٣٨- وفى نص يعدد فيه الكاتب الهدايا التى يتلقاها معبود ادفو الرئيسى حورس منها (٣) :
- " منتجات خنتى- ش^(٤) ، بونت ، الواحات الغربية ، وكفتيو " . نلاحظ أن النص يبدأ بمناطق الجنوب ثم الغرب ثم الشمال .
- ١٣٩- " سوبدت ... ضع السلاح (hpš)^(٥) أمامها ، عظيمة القوة عند المرور بالبحيرات^(٦) التى تلى بونت " (Pwntt)^(٧) .

== بعض النصوص البطلمية والذى يعنى " ضوء الفجر أو ضوء الشمس " ،

راجع : Aufrere, op. cit., p. 214 n. (a); Meeks, Alex. I, p. 67.

(١) Chassiant, op. cit., p. 316, 1.2.

(٢) Id., op. cit., p. 315, 1. 7-8.

(٣) Vercoutter, op. cit., p. 174 n. (3) = Chassinat, EdF. V1, p. 202.

(٤) منطقة محاجر بجوار اثيوبيا، راجع : Vercoutter, op. cit., p. 103 (26);

Aufrere, op. cit., p. 735-736, 746, 765, 767.

(٥) راجع : Wb 111, 260, 1.

يقرأ سنرون هذه العلامة " حقا " التى تعنى " الحكم أو السيطرة " وينطقها

بمفردها k فى اسم المعبود hk3 ، راجع : Sauneron, Esna V111, p. 71

211 (242, 25H81), 210 (242, 22H; 46-47), 209 (H. 81), (232, 27 H. 115).

(٦) نقرأ s3b sšw ، راجع : Wb 111, 420, 15.

(٧) Chassinat, EdF. V, p. 174, 1. 17, 175, 1. 1 .

١٤٠- " (الملك البطلمي) مثل المعبود حاكم تا- نثر ، عظيم الهيبة فيما يخصه في أرض بونت . (Pwntt) . ^(١)

١٤١- " (الملك البطلمي) سيد بونت . (Pwn) . ^(٢)

١٤٢- " حتحور ... سيدة بونت " . ^(٣)

١٤٣ أ - الصمغ سنن (snn) من تا- نثر والخشب عو (cw) من بونت " . ^(٤)

ب - أضف إلى ذلك النصوص التالية في ادفو : أعطيك صحارى الشرق وما تنتجه بونت من أجلك ^(٥) .

ج - " مين مجاى تا - نثر وبلاد الشرق ، الذى يبحث عن عينه فى تا- نثر ، انه الذى يكشف عن عجائب بونت ويبحث عن عما يخصه (بالنسبة للعين) ليوسع نظره . ^(٦)

د - " أعطيك بونت مع ما يخصها وتا- نثر كلية " ^(٧) .

هـ- " الصورة الحية للشاب الصغير (سيد) بونت ، قوة حورس القوى " . ^(٨)

و - " الصورة الحية للشاب الصغير (سيد) بونت ، صورة حورس القوى

Chassinat, op. cit., p. 166, 1. 3. (١)

Id., op. cit., p. 58, 1. 9. (٢)

Id., op. cit., p. 174 (5) n. (58). (٣)

Aufrere, op. cit., p. 765 (k) n. (L-m). (٤)

El Kordy, ASAE 68 (1982), p. 214 (k)= EdF. I, 84, 4-11. (٥)

Id., op. cit., p. 216 (m) = EdF. 11, 84, 13. (٦)

Id., op. cit., p. 204 = EdF. 11, 85, 4-5. (٧)

Id., op. cit., p. 217 (O). (٨)

(مين) . (١)

ز - " الذى يكشف عن عجائب بونت (Sr bj3 pwntt) مثل القفطى ، الذى يحضر الخليط المقدس للعين من تا - نثر . (٢)

ح - " يقال لمين : " الباحث الكامل عن ثروات بونت " . (٣)

نصوص معبد دندرة :

١٤٤ - " نجد أن المعبود مين لقب بلقب " الباحث عن الثروة (الطبيعية) لبونت " (Sr bj3 n pwnt) (٤) . أو الذى يكشف عن ثروات بونت .

١٤٥ - ويقال أيضا أن " كل المسحوق الزجاجى (أو الفيانس) (thnt) (٥) من بلاد بونت " . (٦)

١٤٦ - " (الملك البطلمى) .. سيد بونت " . (٧)

١٤٧ أ - فى منظر يمثل الملك والملكة ومن خلفهما موكب للمعبودات وهم يتجهون

(١) Id., op. cit., p. 200 n.3.

(٢) Id., op. cit., p. 215 (L) = EdF. I, 425, 11-18.

(٣) El Kordy, BIFAO 84 (1984), p. 124 n.3.

(٤) Aufrere, op. cit., p. 138, 438 n. (82).

يعتبر مين سيدا لوادى الحمامات وشاطئ البحر الأحمر وحاميا للطرق المؤدية

إلى الجزيرة العربية كما يعد رئيسا لجبال تا - نثر ، راجع : Saleh, Suppl.

BIFAO 81, p. 117 n. (111) n. (2); Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 677; El Kordy, ASAE 68 (1982), p. 198-199.

(٥) عن معنى هذه الكلمة كمنتج للمناجم ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 166- 167, 179-181.

(٦) Chassinat, Mammisi de Dendara, p. 229 = Aufrere, op. cit., p. 521, 534 n. (5).

(٧) Aufrere, op. cit., p. 582 (2) (b).

نحو عرش حورس " سيد المعمل " فى وسط الجدار الشمالى لهذا المبنى .
وفوق العتب نقرأ ايضا النص التالى :

" ابن حورس ، عظيم الانتصارات ، سيد المعمل ، وريث معبود
ادفو ، سيد بونت (nb Pwntt) : اننى أتيت إلى بحدت محملا بمنتجات تا
- نثر لكى ينعم حورس بعطرها ، فالمر (cnty) فى يده مع أشجار
البخور (nnibw) وانا أعطر مسن (ادفو) بروائحها " .^(١)

ب - ويقال لمين : " الذى يكشف عن عجائب بونت (Sr bj3 Pwntt) مثل الذى
فوق (منصته) .^(٢)

- مقصورة القارب المقدس فى دندرة :

بها عدة مناظر موزعة على جدرانها الأربعة . فعلى الواجهة الشرقية
وعلى العتب الخارجى الجنوبى ، نرى منظرا يمثل الملك بطلميوس الثامن
يورجيتيس الثانى وهو يقوم آنيتين من الذهب تحتويان على المر إلى
حتحور ، ويقول النص :

١٤٨ - " ملكة مصر العليا والوجه البحرى ، عين رع ، سيدة بونت (Pwnt)^(٣)
التي تحضر ثروات بلد المناجم " .^(٤)

(١) Shimy, Memnonia IV (1998), p. 229 n. 82= Chassinat, EdF. 11, p. 190.

(٢) El Kordy, ASAE 68 (1982), p. 199 n. 11, 208 (D) = Chassinat, Dendara 111, 182, 9-10.

وعن المعنى الحرفى للقب sr bj3 أى " الذى يكشف (للملك) عجائب
بونت " ، راجع : 216 (L), 215 (D), 198-199, 208 (D), 216 (M), 221(T).

(٣) Cauville, BIFAO 93 (1993), p. 95 tabl. 7, 1.2.

(٤) تنطق Hh3t بلد مناجم ينتج الذهب ، راجع : 173- Aufrere, op. cit.,
174, 318, 324.

وعلى الجدار الشمالى منظر تقديم المر من قبل الملك بطلميوس التاسع
سوتر الثانى إلى المعبودة حتحور وحورس سماتاوى ، ويقول النص :

١٤٩- " أننى أعطيك المر المستخرج من بونت (cntyw pr m Pwntt) الذى
يدخل السرور بسبب رائحته " (١).

ويقال للملك أيضا :

١٥٠ أ - " فليعيش حورس ، الشاب ، حاكم وذن ، والحاكم (ity) الذى فى وسط
بونت (Pwntt) المنتمى إلى السيدتين ، عظيم القوة ، غنى الروائح ، سيد
المر " (٢).

ب - فى نص على جدران حجرة الخزانة فى معبد دندرة نقرأ : (٣)

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ... يصطحب لك بلاد - منتيت وما بها
من كبريت الرصاص وكبريت النحاس المحلل والجيد لبونت " (٤). (gsfn)
(nfr Pwntt) .

ج - يقال " بس الطيب " سيد بونت (Pwntt) وحيثى " سيد بونت " (٥).

ويقال حتحور أيضا :

١٥١- " حتحور سيدة دندرة ، عين رع ، ... من التوبة .. وتا - نثر " (٦). وفى
دندرة نجد نص مشابها فى مكان آخر :

(١) Cauville, op. cit., p. 119 tabl. 20, 1.

(٢) Id., op. cit., p. 119 tabl. 20, 1.3.

(٣) Aufrere, BIFAO 84 (1984), p. 6 (y).

(٤) عن هذا المنتج الخام والمحلل والضرورى لإعداد الكحل الأخضر ، راجع :

Aufrere, op. cit., p. 4-18; Id., l'Univers Mineral dans la Pensée
Égyptienne, p. 738.

(٥) Daumas, les mammisis des Temples égyptiens, p. 143 (1) (4).

(٦) Cauville, op. cit., p. 119 tabl. 20, 1. 4.

١٥٢- " حتحور ... سيدة دندرة ، عين رع ، سيدة بونت ، حاكمة تا - نثر " (١).

وعلى الواجهة الغربية ، وعلى العتب الجنوبي ، نقرأ ما يلي :

١٥٣- " عملية حرق البخور وعملية التبخير بالمر بدون حدود ، انه (يشبه) تا - نثر في روائحه " (٢).

- القبو الشرقي والجنوبي في معبد دندرة :

ففي القبو الشرقي رقم ١ ، الحجرة رقم ٢ ، نجد نقوش الإفريز وعليه النص التالي :

١٥٤- " (حتحور) ... عين رع التي تأتي من بونت (Pwn) إلى هذا المعبد في العيد الجميل " (٣).

وفي القبو الجنوبي رقم ١ ، الحجرة رقم E ، نقرأ في نقوش الإفريز نص يحدثنا عن الثروات الطبيعية التي تحضر إلى المعبودة حتحور : (٤)

١٥٥- " (من) الصحراء وأرض الفيروز (tfrt) (٥) والفيانس (thnt) (٦)

(١) Aufrere, op. cit., p. 177, 186, n. (72) = Chassinat, Dendara 1V, p. 249, 5-13.

(٢) Cauville, op. cit., p. 133 tabl. 111, 1.2.

(٣) Chassinat, Dendara V, p1. 339.

(٤) Id., Dendara V, p1. 449.

(٥) Aufrere, op. cit., p. 170, 172-173; Wb V, 300, 1.

(٦) Wb V, 390, 12; Aufrere, op. cit., p. 166-167, 179-181.

تقدم (m3c)^(١) إلى العدالة^(٢) مع نباتات العطر^(٣) الطويلة^(٤) لبونت
(3w h3w nw Pwntt) وأشجار البخور (nnibw)^(٥) تحت
مسئوليته ... " .^(٦)

- وعلى بوابة الحائط الخارجى لمعبد موت بالكرك (من العصر البطلمى) :

فى نص يسير إلى طقوس الاحتفالات والرقص من قبل الشعوب
الأجنبية^(٧) التى جاءت للمشاركة فى احتفالات أعياد موت ، ومن بينهم

(١) Aufrere, 11, op. cit., p. 22 1; 23,6.

(٢) لقب للمعبودة حتحور ، راجع : Wb 11, 20, 13.

(٣) كتب الكاتب كلمة h3w بمخصص غير معروف ولم يسجل من قبل واتبع هذا

المخصص بعلامة الجمع : (Wb 111, 221, 8)

(٤) تقرأ 3w ، وعن المعنى ، راجع : Wb 1, 4, 10

(٥) تقرأ أيضا njbw ، راجع : Wb 11, 276, 10-14; Aufrere, op. cit., p. 331-333.

(٦) تقرأ r-ht عن المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 225.

Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, p. 149. n. 106-107 ربما تقع مسئولية تلقى هذه الثروات على عاتق كبير الكهنة .

جاء ذكر " أشجار العطر (nnybw) من تا - نثر " فى نصوص معبد

طود ، راجع : Grenier, Tod, p. 134, 1. 4.

(٧) Sauneron, la Porte Ptolémaïque de l'enceinte de Mout a Karnak, le Caire (1983), p. 20 n. 3, pl. 11 texte 11, 1. 21.

النوبيين والليبيين والآسيويين الذى يجوبون الصحارى (البدو) وجامعى الصمغ (Kmjt)^(١) (وهم من أهل بونت) .

١٥٦- " فليكن هناك مرح إلى أم المعبودات والناس التى تأتى إليها كبن (جبيل) من الأخضر العظيم محملة بثروة (ht) تا- نثر " .^(٢) وكما هو واضح هنا أن تا- نثر تشير هنا إلى سوريا .

معبد فيله :

١٥٧- فى المناظر التى تمثل مواكب الأقاليم يقال لمعبود المعبد الرئيسى أن الملك " هو الذى يحضر لك بونت " بكل منتجاتها .^(٣)

وعلى الجزء الشرقى خارج بوابة الصرح الثانى بمعبد فيله : نرى الملك بطلميوس الثامن (يورجيتيس الثانى) يقدم العطر إلى أمه المعبودة ساتيس ويقول :

١٥٨- " اننى أعطيك تا- نثر مع كل ما فيها دون أى نقصان ، كلية " ^(٤) وتجبب المعبودة عليه قائلة ^(٥) :

١٥٩- " اننى أعطيك كل النباتات العطرية ذات الرائحة ^(٦) لبونت " (h3w nb sty n Pwntt) .

(١) Wb V, 38, 5.

(٢) Sauneron, op. cit., pl. X111, texte 17, 1. 12.

(٣) Aufrere, op. cit., p. 233 n. f.

(٤) Valbelle, Satis et Anoukis, publ. DAIK (1981), p. 58 (407 R), p. 139 (60) n. (1057).

(٥) Valbelle, op. cit., p. 58 n. (288) (407 R), 139 (60) n. (1058).

(٦) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 355

كما إننا فى نقوش أخرى فى فيله عدة ألقاب لحورس منها :

١٦٠- " الذى يقدر تا- نثر حاكم بونت " .

١٦١- " الصقر المقدس الذى يأتى من بونت " (١).

معبد كوم أمبو :

نجد فوق الأعتاب الثلاثة للمدخل ، نجد مجموعة من النصوص تصاحب روح المعبودات التى تأتى لتعطى هباتها إلى المعبود الرئيسى . وهى مقسمة إلى مجموعتين شمالية وجنوبية ، والنص يخاطب هذه الأرواح فى الجزء الجنوبي نقرأ :

١٦٢ أ - " تعسال (يا) روح حور- سا- ايزه (؟) أتوم (؟) من تا- نثر ، أنه يطير نحو الأفق ، أنه يدخل قرص إمن- ور ، أنهم يعطون الحياة والقوة للملك ... " (٢).

ب - ويقال لمين " الذى يكشف عن عجائب بونت " (٣) (Sr bj3 Pwntt)

ج - فى قائمة للمواكب الجغرافية من العصر الرومانى بالمعبد ، جاء ذكر " بونت " (٤) وكتبت الباء بعلامة السماء pt .

ومما سبق يتضح لنا أن بونت كانت من أكثر المناطق ذكرا فى النصوص المصرية مما يدل على أهمية منتجاتها بالنسبة للحياة اليومية فى مصر القديمة وبالنسبة لطقوسهم الدينية ومعتقداتهم الجنائزية .

(١) Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 116 n. (6), 117 n. (5).

(٢) Gutbub, Textes Fondamentaux de la Théologie de Kom-Ombo, BdE 47/ 1 (1973), p. 387 (I).

(٣) El Kordy, op. cit., p. 221 (T).

(٤) Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, p. 104 (27A).

تحليل ما جاء فى هذه المصادر :

وإذا استعرضنا ما جاء من معلومات فى كل هذه النصوص التى يتجاوز عددها الـ ١٦٢ نصاً^(٣) منذ أقدم العصور أى عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى- الرومانى فإننا سوف نناقش بالنسبة لكل عصر العناصر التالية : كتابة الاسم ، الموقع ، كمصدر للبخور ، ارتباط بعض المعبودات المصرية ببلاد بونت :

أولاً بالنسبة لنصوص عصر الدولة القديمة : فإنها تذكر الاسم وتنطقه بونت (Pwnt) (٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨) وتتبعه بمخصص سلسلة الجبال .

أما بالنسبة للموقع فبعضها يتحدث عن بونت بوجه عام دون تحديد مكان جغرافى معين (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ويفهم من بعض النصوص الأخرى ضمناً أنها كانت تقع فى جنوب الحدود المصرية (٦ ، ٧ ، ٨) . وكانت بعض الرحلات البحرية التى تذهب إليها عن طريق البحر الأحمر (٧) تحت قيادة أحد القواد الكبار (٤) . كما أن بعض كبار رجال الدولة كانوا يذهبون إليها أكثر من مرة (٨) .

أما بالنسبة لكونها مصدراً للذهب والأخشاب الثمينة والأحجار الكريمة وثروات المناجم والأبنوس والصمغ والجلود وما تنتجه هذه البلاد فتؤكد عدة نصوص (٢ ، ٤ ، ٨) .

أما عن تمثيل أهالى بونت فنجد على مصدر واحد (٣) أما عن ذكر أحد أهالى بونت فنجد على مصدر واحد أيضاً (١) .

(١) على اعتبار أن هناك بعض الوثائق تشمل أ ، ب ، ج ، د ، مثل أرقام ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٢ . ولهذا يمكن أن يبلغ عددها ٢٠٠ نصاً .

ثانيا بالنسبة لنصوص عصر الدولة الوسطى : فنجد أنها تذكر الاسم بونت

(Pwnt) (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ أ- ب) .

أما بالنسبة للموقع فيفهم من بعض النصوص أن بلاد بونت وتا- نثر^(١) كانتا مرتبطتان (١١) وهذه هي المرة الأولى التي نجد فيها ذكر تا- نثر قبل بونت . ويبدو أن بونت أصبحت جزءا من تا- نثر ابتداء من عصر الدولة الوسطى أى أصبحت جزءا من جنوب شبه الجزيرة العربية (١٤) وكانت بعض الرحلات تتم إليها إما برا عن طريق الصحراء (١٣) أو بحرا عن طريق البحر الأحمر . وكانت السفن تبحر من ميناء " ساو " قرب وادى جواسيس على شاطئ البحر الأحمر (١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣) . كما أن بعض النصوص الأخرى لا تحدد موقعها وتذكرها بوجه عام (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ أ) .

أما بالنسبة لكونها مصدرا للمر والنباتات العطرية والمر الطازج ومنتجات المناجم فنجد في أكثر من نص (٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ب ، ٢٣) ، ويخبرنا النص ٣١ ب بمعلومة هامة وهى أن إحدى الجزر فى مدخل البحر الأحمر كانت تقع فى بلاد بونت وكانت تنتج المر والبخور وعطر hknw وعطر iwdnbw والتوابل والبهارات ومنتج Š3c-ch والكحل الأسود وذيول الزراف وسن الفيل وأنواع معينة من كلاب الصيد وأنواع من القردة والنسانيس وكل النفائس الطيبة .

كما كانت أرض تا- نثر مصدرا للبخور والمر ومنتجات المناجم (١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٩ ب - ج) .

(١) يرى فركوته أن تا- نثر هو تعبير جغرافى يطلق على المناطق التى تقع إلى

الشرق أو الشمال الشرقى أو الجنوب الشرقى لمصر أو هى منطقة تقع فيها بلاد

بونت ، راجع : Vercoutter, L'Égypte et le Monde Égeen, p. 12-13

وأیضا : Saleh, BIFAO 81 (1981), p. 107-117 نجد نفس الآراء

التي ساقها فركوته من قبل .

كما تخبرنا بعض النصوص أن السيادة الدينية في بلاد بونت كانت لبعض المعبودات المصرية وعلى رأسها حتحور (٩ ، ١٨ ، ١٩ أ) وتحتوي (١٥) ووررت (١٦) . كما شبه المتوفى بلاد بونت بالجبانة التي كان يتمنى أن يكون له بها مقرا (١٢) كما كانت أمنيته أن يحضر له المر والبخور من بونت وتا- نثر (١٠ ، ١١) .

ثالثا بالنسبة لنصوص عصر الدولة الحديثة : فنجدها (وخاصة نصوص الملكة حاتشبوت) أكثر حديثا وتفصيلا عن بلاد بونت . فنجد أن جميع نصوص الملكة حاتشبوت تذكر الاسم بونت (Pwnt) (٢٤ - ٦٣ أ) .

أما بالنسبة للموقع فيفهم من المناظر المسجلة على جدران معبد الدير البحري ومن النصوص المصاحبة لها أن هذه البلاد كانت تقع في أقصى جنوب الحدود المصرية (٢٤ أ- ب ، ٤١ ، ٤٤) . ونعلم أن الملكة أمرت بإرسال هذه البعثة في العام التاسع من حكمها (٦٠) وكانت تحت إمرة نحسى (٦٣) واتخذت طريق البحر الأحمر (٢٨) حتى وصلت إلى الشاطئ الشرقى لأفريقيا بعد أن أرشدتها إلى الطريق السليم وسهل لها مهمتها المعبود آمون (٢٥ ، ٥٥ ، ٥٧) وتحدثنا النصوص وتشير المناظر إلى وصول البعثة على شواطئ العظيم الأخضر (أى البحر الأحمر) (٢٨) . وعند وصولها نصبت الخيمة لإقامة المبعوث المصرى مع قواته في منطقة مدرجات المر على شاطئ العظيم (٣٤) وجاء عظيم بونت وزوجته وبقية كبار بونت لاستقبال أعضاء البعثة (٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤) وتساءلوا عند مقابلتهم لأعضاء البعثة المصرية عن كيفية وصولهم إلى بونت هل تم ذلك بحرا أم برا ؟ (٣٢) ويقصد بذلك هل اتخذت البعثة طريق البر في البداية ثم اتجهت بعدها إلى البحر . ويخبرنا النصين أرقام ٣٤ ، ٣٥ أن مدرجات المر في بونت كانت تقع على شاطئ العظيم ويلاحظ هنا أن الكاتب استخدم كلمة شاطئ بالمتنى مما يدل على أن المقصود بالشاطئين هما الشاطئ الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر .^(١)

(١) د. أحمد فخرى فى مؤلف: تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤١٦ حاشية (٢).

أما بالنسبة للثروات الطبيعية والحيوانية التى أحضرتها البعثة من هذه البلاد فهى عديدة ومتنوعة ووفيرة على حد تعبير الملكة (٦٠) . وكما تذكر نصوص الملكة أنها أمرت بإرسال هذه البعثة لإحضار كميات من المر الخام والطازج لأعضاء التمثال المقدس لآمون (٦٠) . فالمر كان يؤتى به من مدرجات المر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) . أو من المناطق الجبلية لبونت (٢٨ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢) وأن جذور شتلات شجر المر سوف تقّلع من على هذه المدرجات (٣٦ ، ٤٥) ليعاد زراعتها مرة أخرى فى حديقة معبد آمون (٣٧ ، ٥٩) لكى تصبح حديقة معبده فى البر الغربى أو فى عاصمته نموذجاً آخر لبلاد بونت (٦٢) يتمتع بالسير فيها (أى تمثاله المحمول) وتذكر النصوص أن الذى سوف يحضر المر هم حملة المر الذين سوف يحضرونه ليعصر على التو بعد تنظيفها من الشوائب لاستخراج الزيوت العطرية (٥٩ ، ٦٠) التى تستخدم فى الطقوس الدينية لتمثال المعبود (٥٩ ، ٦٠) .

أما تفاصيل هذه الثروات التى أحضرتها البعثة من جبال بونت فكانت تشمل : النباتات العطرية الجميلة للبلاد المقدس ، أكوام من صمغ المر ، أشجار المر الأخضر (أو الطازج) ، أبفوس ، عاج نقى ، ذهب خام من عامو ، بهارات ، توابل ، مر ، بخور ، كحل أسود ، نسانيس ، قرده ، كلاب ، جلود فهود ، وخدم مع أولادهم هذا بالإضافة إلى ثيران وزرافة وفهدين (٣٩) وزيادة على أشجار المر الطازج كل المنتجات الطبية لهذا البلد (٢٦) وأيضاً ٣١ شجرة أو شتلة من أشجار المر الطازج (٤٥) أو أشجار صلبة محملة بالمر الطازج (٥٩) . وذهب فى شكل حلقات وكحل وضع فى زكائب وأبنوس فى شكل عصى ضخمة وعاج من أنياب الفيلة ومادة K3j-Km للتلوين ، وعصى البومارانج التى كان يستخدمها أهل بونت فى صيد الطيور وكان يستخدمها المصريون أنفسهم (٤٥) .

كما صور زعيم بونت وهو يحمل بنفسه كومة من المر (٣٣ ، ٣٥) كرمز لأفضل منتجات بلاده . ويذكر النص أنه " المر المستخرج من وسط البلاد المقدس " (٣٧) . وكان أحد أبناء زعيم بونت يحمل إناءاً يحتوى على كمية من التبر (٣٤) كرمز لأفضل ما تنتجه محاجر بلاده .

وتشير بعض النصوص إلى " نفائس البلد المقدس " (٤٤ ، ٤٦)
و" المنتجات الطبية لهذا البلد " (٣٦) .

وكان المر يعصر بعد إحضاره إلى مصر بواسطة حملة البخور لاستخراج
الزيوت العطرية (٥٩ ، ٦٠) للأعضاء المقدسة للمعبود (٦٠) .

وعادت البعثة بكل هذه الثروات والنفائس بعد أن وضعت تمثالا للمعبود آمون
والملكة على شواطئ بونت أمام مدرجات المر ذلك المكان المحبب إلى القلب (٢٤ أ-
ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وذلك لكي يراه الناس في هذا البلد يوميا (٢٥) . وقد عثر
على نسخة أصلية لهذا التمثال في موقع الدير البحرى (٢٤ أ) .

وعادت البعثة وأعقبها مجيء وفد من كبار بونت جاءوا لتقديم هذه المنتجات
بروح سمحة طالبين السلام مع الملكة (٤١ ، ٤٢) وكان من الطبيعى أن تزيد هذه
المنتجات من ثروات خزائن معبد آمون بالكرنك (٤٤) . وقامت الملكة بنفسها
والمعبودات معها بكيل أكوام المر بصاع خاص بالكيل والإشراف أيضا على وزن
البخور الطازج وقياسه وتسجيله (٤٦ - ٥١) وذلك في احتفال رسمى وشعبى . كما
قامت الملكة بنفسها بتجربة تعطير جسدها بأحسن أنواع البخور من بونت (٥٣) .
ولهذا لقبت الملكة بلقب " سيدة بونت " (٤٢) . كما أمرت الملكة بزرع شتلات
الـ ٣١ شجرة من المر على جانبى معبد آمون فى حديقته وأرادت أن تصنع له
نموذج أصلى لبونت فى حديقته (٣٧ ، ٥٩ ، ٦٢) وتعهدت الملكة برعاية هذه
الأشجار حتى تغمر بروائحها عنان السماء والأرض (٥٩) ويتمتع المعبود
بروائحها الطبية فى حديقة معبده عندما يتجول فيها (٦٢) .

ومما يؤكد وقوع بونت فى جنوب مصر ما جاء فى نص مسلة حاشبسوت
من أن " سلطانها يمتد من بلاد بونت التى أحضرت لها المر والبخور " جنوبا حتى "
حدود آسيا ومنها يحضر لها الفيروز " شمالا " (١٦٤ أ) .

أما بقية النصوص الأخرى من عصر الدولة الحديثة فتذكر الاسم بونت
(Pwnt) (٦٤ - ٩٤) وكتبت مرة واحدة باونت (P3wnt) (٨٩) .

أما بالنسبة للموقع فنجد نص من عصر الملك تحوتمس الثالث تجعل من تا-نثر تقع في الشرق (٦٥) ونصوص أخرى تجعلها تقع في شمال الجزيرة العربية أو في فلسطين وسوريا (٦٩ حاشية (٢) ، ٨٠ ، ٨٤ ب ، ٩٣) .

ويفهم من بعض النصوص الأخرى أن بونت كانت تقع في جنوب الحدود المصرية (٦٧ ب - ج ، ٧٠) بينما تضعها نصوص أخرى جهة الشرق (٧٧ د ، ٨٠ ب ، ٨٥ أ - ب) واستمر تدفق البخور والمر من بعد عصر الملكة حاتشبوت وكان يختار من أحسن الأنواع ويخزن في مخازن للبخور أو العطور بمعبد الكرنك (٦٦) كما أن جزية أهل أو زعماء بونت كانت تحضر إلى ملك مصر في شكل كميات كبيرة من المر أو الزيوت العطرية والهدايا أو العطايا (٦٧ أ - ب ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣) . واستمر تدفق الصمغ والمر الثمين في عصرى سيتى الأول ورمسيس الثالث (٨٠ ب ، ٨٤ ب - ٨٥ أ) . كما وردت كميات كبيرة من الصمغ لعدة معابد (٦٧ أ ، ٩٢) . وكان من بين العطايا التي قدمت لمعبد إيونو في عصر رمسيس الثالث كميات من الصمغ السود الخام الواردة أيضا من بلاد بونت (٨٨) . كما كان يحتفظ في بعض مقابر بعض ملوك عصر الدولة الحديثة بالصمغ والبهارات (٧٦ حاشية ٣) كما أحضر المنتج إيش من بلاد بونت في عصر الأسرة التاسعة عشرة (٩٢ حاشية ٢) .

وفى النص المصاحب لمنظر الميلاد المقدس لحاتشبوت يخبرنا أن جسد أمها الملكة أحمس حتب تمحو غمر بواسطة عطر المعبود (آمون) ذلك العطر القادم من بونت (٦٣ ب) ونجد نفس الحدث في المنظر الذى يقص علينا قصة الميلاد المقدس لأمنحتب الثالث فى معبد الأقصر نجد أن القصر كان مغمورا بعطر المعبود آمون ، ذلك العطر الذى أحضر من بونت (٧٨) كما أحضرت نفس المنتجات من تا-نثر (٧٢ ، ٨٠ أ) .

كما أنه كثر تمثيل أهالى أو زعماء بونت فى مقابر النبلاء فى البر الغربى فى عصر الدولة الحديثة جاءوا ليعبروا عن ولائهم لملك مصر وكسب صداقته وحملوا معهم أفضل ما تنتجه أرض بونت (٦٧ ب - ج) وحرص الفنان على أن

يصورهم بدقة متناهية بملامحهم الأصلية وخصائصهم الجسمانية وملابسهم (٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ب ، ٧٩) كما صور في معبد أبيدوس من عصر الملك رمسيس الثاني أحد أهالي بونت الذى كان يفتخر بجودة نباتات العطر فى حدائق بونت (٨٣) . كما صور أحد أهالي بونت وهو يشترك فى أحد الاحتفالات الدينية الخاصة بالمعبود مين فى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث (٨٦) . وكان الطريق المستخدم إلى بونت فى عصر الرعامسة هو البحر الأحمر (٨٧ ، ٨٩) .

وهناك نص يحدثنا عن أن بونت كانت ضمن البلاد التى هزمها تحوتمس الثالث فى الجنوب علما بأن هذه البلاد لم تتعرض لأى غزو عسكرى من قبل أى ملك مصرى على مر العصور (٦٨) . ولكن إذا كان النص رقم (٧١) يحدثنا عن تواجد الملك تحوتمس الثالث هناك فهذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها مثل هذا الحدث ، ولو أننا نرى فى هذا النص نوع من الدعاية العسكرية لإظهار أو الترويج لقوة الملك العسكرية. كما تحدثنا بعض النصوص عن وجود " مخزن للمر " فى معبد الكرنك (٦٦ أ - ب) وكان يتم فى هذا المكان " استخراج عصير الروائح الثمين " (٦٦ ب) .

واستمرت السيادة الدينية لبعض المعبودات المصرية فى بلاد بونت فأقامت الملكة حتشبسوت تمثالا لآمون على شواطئ بونت أمام مدرجات المر (٢٤ أ - ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وأن المعبود آمون كان يحمل لقب حاكم بونت " (٢٤ أ - ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) ^(١) وأن حتحور كانت سيدة بونت (٣٩ ، ٣١ ، ٣٨) أو حتحور سيدة المر (٦٣) . وكان تحتي سيدا لبونت (٨٢ ج) وجاء رِع إلى بونت (٣٢) وخلقت بونت من أجل حور خنتي خيتي (٩٠) وقدم رن - وى من بونت (٩١) وكانت نيت تترأس تا - نثر (٩٣) وكان هناك تاسوع كبير يقطن فى بونت ويوفر الحماية السحرية لتمثال آمون هناك (٢٤ أ - ب) .

Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes de l'Égypte Ancienne, (١)
p. 175 n. 30.

رابعاً - بالنسبة لنصوص العصر المتأخر فهي قليلة ، ولكن نخرج منها بأن اسم بونت كان يكتب بونت Pwnt (٩٧ ، ٩٩) وأحيانا بونتت (Pwntt) (٩٦ ، ٩٩) ويشير نسان إلى أنها تقع في جنوب الحدود المصرية (٩٦ ، ٩٧) والنص رقم ٩٨ د يجعلها تقع على الساحل الصومالي ، وأنها غزيرة الأمطار في الشتاء (٩٧) ونص لم يحدد موقعها (٧٨) وأنها كانت مصدرا للمر المجفف (cntyw šw) (٩٦) والأشياء المختارة (٩٩ ب) وأن أفق آمون يسطع في سماء بونت (٩٩ أ) أما تا - نثر فكانت تشمل فلسطين وسوريا (٩٥) ولدينا من هذه الفترة ألقاب : " حتحور - تفنوت التي تحضر منتجات بونت " (٩٨ ج) " وشسمت سيدة بونت " (٩٨ ج) .

خامساً - بالنسبة لنصوص العصر البطلمي - الروماني فهي عديدة ومتنوعة فنجد أن الاسم كان يكتب في أغلب الأحوال بونتت (Pwntt) (١٠٠ أب ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ب) . وأحيانا كان يكتب بونتت (Pwnnt) (١٠٢) وأحيانا يكتب بالطريقة القديمة بونت (Pwnt) (١٢١ ، ١٤٤ ، ١٤٨) وأحيانا بطريقة مختصرة بون (١١٩ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٤) . وكان يتبع الاسم مخصص سلسلة الجبال . أما بالنسبة لأسم تا - نثر فكان يكتب في أغلب النصوص البطلمية T3-ntr ، فيما عدا نصين كتب بالمثني والجمع T3wy-ntrw (١٢٨ - ١٣٥) .

أما بالنسبة للموقع فنجد ثلاثة أنواع من النصوص ، النوع الأول لا يحدد الموقع الخاص ببونت أو تا - نثر بنوع من الدقة ولكن تذكره بوجه عام (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٠٦ ، ١٥٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) .

أما النوع الثاني فيجعلنا نفهم أنها تقع في جنوب مصر وذلك عندما يقال للملك البطلمي أنه ملكا أو حاكما أو سيدا لبونت أو تا - نثر على أساس أن هذه

المناطق تمثل الامتداد الطبيعي لحدود مصر الجنوبية (١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٦٠) . وهناك ثلاثة نصوص صريحة تضعها ضمن مناطق الجنوب (١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) وهناك نسان يجعلان من بلاد بونت تقع بالقرب من المستنقعات أو البحيرات فيقال لحورس " عظيم القوة عندما يجوب المستنقعات بالقرب من بونت " (١٢٣ ب) ولسوبدت " عظيمة القوة عند المرور بالبحيرات التي تلى بونت " (١٣٩) ومما لاشك فيه في أن هذه المستنقعات أو البحيرات لابد وأن تقع في وسط أفريقيا . أما النوع الثالث فيربط بين تا- نثر وبونت أو بونت وتا- نثر (١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣) .

كما أن المر والبخور والروائح العطرية كانت من مواد القرابين الأساسية التي تقدم للمعبودات في المعابد الرئيسية من هذا العصر وخاصة في معابد ادفو ودندرة واسنا وفيلة ومدامود وطود ودير الشلويط وغيرها .

فنجد أولا أن نص زيد- ايل ذلك التاجر المعينى الذى عاش فى عصر بطلميوس الثانى أو السادس يخبرنا بأنه كان يمد المعابد المصرية بمقادير من المر وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية (١٠١) .

أما بالنسبة لنصوص المعابد البطلمية- الرومانية فتحدثنا عن بونت وتا- نثر ومنتجاتهما بطريقة أو بأخرى . فعندما يقول الملك أنه أحضر بونت أو تا- نثر للمعبود أو عندما يجيب المعبود بأنه أعطى بونت أو تا- نثر للملك ، فهذا يعنى أن اسم المكان كان يجسد كل ما ينتجه من ثروات طبيعية أى ما تنتجه بلاد بونت وتانثر (١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٥٨) أو يأتى من داخلها (١٠٠ أب) .

فمن بلاد بونت كان يحضر :

- المر أو العطور (Cntyw) (١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٩) .

- المر (ihm) (١١٧ ب) .

- البخور (3tf) (١١٩) .
- الزيت العطرى الخاذ (thn) (١١٠) .
- الروائح (١١١) .
- النباتات العطرية (h3w) (١١٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩) .
- أشجار البخور (nnibw) (١٥٥) .
- الأخشاب عو (١٤٣ أ) .
- الفيانس (١٤٥) .
- كبريت النحاس المحلل (١٥٠ ب) .

ومن تا - نثر كان يحضر :

- الروائح العطرية (hdw) (١٠٣ ، ١٢٠) .
- أشجار البخور (nnibw) (١١٧ أ ، ١٤٧ أ) .
- البخور (١١٠ ، ١٥٣) .
- البخور (3tf) (١١٧ ب) .
- العطر (١١١) .
- المر (cnty) (١٤٧ أ) .
- الصمغ سنن (١٤٣ أ) .
- المر (ihm) (١١٧ أ) .
- والروائح الطيبة (3hbw) (١١٧ أ) .
- والفضة (hdw) (١١٧ أ) .

وفى مقبرة بيتوزيريس نرى مناظر تمثل صحن النباتات العطرية (h3w) وعصرها لاستخراج العطور وذلك ضمن ما يأتى من داخل بونت (١٠٠ أب) .

وكانت كل هذه المواد العطرية وغيرها من بخور ومر تقدم للمعبودات فى المعابد الرئيسية فى العصر البطلمى (١٠٢ ، ١١٧ ، ١١٤٧ أ) كما أن تمثال المعبود فى قدس الأقداس كان معبقا بروائح البخور الطيبة (3hdw) التى تأتى من تا - نثر (١٢٠) كما أن السيادة الدينية على بلاد بونت وتا - نثر ظلت لبعض المعبودات المصرية وتأتى فى مقدمتهم :

- حتحور التى يقال لها : " عطرك من تا - نثر وروائح جسدك من بونت " (١١١) ، " حاكمة تا - نثر " (١٥٢) ، " سيدة تا - نثر " (١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٥١) ، " عظيمة الهيبة فى تاوى - نثرو " (١٣٥) ، " التى تعطى تا - نثر محملة بما فيها إلى الملك " (١٣٧) ويقال لها أيضا " سيدة بونت " (١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٢) ، " حاكمة بونت " (١٣٠) ، " السيدة فى جبل المر " (١٣٠) ، " عين رع التى تأتى من بونت " (١٥٤) ، " سيدة المر " (cntyw) (١٣٦) .

- ونيت التى يقال لها : " سيدة تا - نثر " (١٠٥) ، " حاكمة بونت " (١٠٤) ، " سيدة بونت " (١٠٦) ، " ملكة بونت " (١٠٧) .

- وحورس الذى يقال له " كبير تا - نثر وبونت " (١٢٣ أ) ، " الذى يقدر تا - نثر ، حاكم بونت " (١٦٠) ، " الصقر المقدس الذى يأتى من بونت " (١٦١) ، " بحدتى سيد بونت " (١٢٤) ، " الشاب الصغير (سيد) بونت " (١٤٣ هـ ، و) ، " عظيم القوة عندما يجوب المستنقعات بالقرب من بونت " (١٢٣ ب) .

- ومين الذى يقال له " الباحث عن الثروات (الطبيعية) لبلاد بونت أو الذى

يكشف عن ثروات بونت ^(١) (١٤٣ ج ، ١٤٤ ، ١٤٧ اب ، ١٦٢ ب) ، " الذى يحضر الخليط المقدس للعين من تا - نثر " (١٤٣ ز) .

- وهناك أيضا " آتوم من تا - نثر " (١٦٢ أ) ، " والفنكس المقدس الذى يجوب بونت " (١٠٩) ، " أنوبيس الذى يترأس بونت " (١٢٣ ج) ، و " بس سيد بونت " (١٥٠ ج) ، و " حيثي سيد بونت " (١٥٠ ج) .

- كما أن الملك البطلمي كانت له السيادة فى بلاد بونت وتا - نثر مما يدل على أهميتهما فى العصر البطلمي فيقال له : " حاكم بونت " (١٣٢ ، ١٣٣) ، " سيد يونت " (١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ أ) ، " ملك بونت " (١٢٦) ، " عظيم الهيبة فيما يخصه فى ارض بونت " (١٤٠) ، " الحاكم فى وسط بونت " (١٥٠ أ) ، ويقال له أيضا " سيد تانثر " (١١٦) ، " حاكم تا - نثر " (١٢٢ ، ١٤٠) ، " الذى يجوب تاوى - نثرو " (١٢٨) .

كما أننا نجد وفود بعض رجال بونت من أهل المناجم (الخبستيو) أو جامعو الصمغ الخام (kmjtw) الذين جاءوا للمشاركة فى احتفالات بعض المعبودات المصرية مثل حتحور وموت فى معابد الكرنك ومدامود من هذا العصر (١١٤ ، ١٥٦) .

النتائج والخلاصة بوجه عام :

وبعد استعراض ما جاء فى نصوص كل عصر من معلومات تخص بلاد بونت وتا - نثر سوف نحاول الآن تصنيف هذه المعلومات فى أربعة محاور رئيسة هي :

الاسم ومعناه ، الموقع ومحاولة تحديده ، الأهمية الكبرى لبونت كمصدر للبخور والمواد الأخرى للمعابد واستخدامه في الحياة اليومية ، وتأثير الديانة المصرية في هذه المناطق البعيدة نقول أنه :

أولا - بالنسبة لكتابة الاسم فإن أغلب النصوص من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمي - الروماني تكتبها بونت (Pwnt) ^(١) (٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، أب ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، أ ، ١٢١) . وفي نص واحد كتبت باونت (P3wnt) (٨٩) . وفي العصرين المتأخر والبطلمي - الروماني كانت تكتب في أغلب الأحوال بونتت (Pwntt) ^(٢) (٩٦ ، ١٠٠ ، أ - ب ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، أ - ج ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ز ، ١٤٧ ، أ - ب ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، أب ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ج ، ونادرا ما كتبت بونت (Pwnnt) (١٠٢) وأحيانا باختصار بون (Pwn) (١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٥٤) .

ولذا فمن الأفضل نطقها وكتابتها بونت (Pwnt) ^(٣) لأن هذا النطق

(١) Wb I, 506, 15.

(٢) Wb I, 506, 15.

(٣) ينطقها البعض بواني ، بوني ، وبوانيت ، بينه ، بونه ، طبقا لما هو معروف في لغة أهل السواحل والبانناتو في شرق أفريقيا ، راجع : Saleh, BIFAO 72 : (1972), p. 248 n. (4); Id., in Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 109 n. (2)

وينطقها د. صالح بوينة ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ ، ١٣٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٥٠ ، ٥٩١ (الفهرس) ؛ وأيضا نجد نفس النطق عند د. صبحي بكري : دليل آثار الأقصر ، ١٩٧٨ ، ص ٨٠ - ٨١ . أو بنت عند د. جمال مختار في : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٩٨ ؛ د. عاطف عبد السلام : موقع بنت وتجارة اللبان في ظفار ، بحث قبل للنشر في مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، ١٩٩٤ ، ص ٢ - ١٢ .

والكتابة هما الأكثر استخداما والأكثر شيوعا في جميع النصوص . كما أن المخصص المصاحب لهذا الاسم كان دائما مخصص سلسلة الجبال .

أما عن نثر فكانت تكتب في أغلب النصوص تا-نثر (T3-ntr) ^(١) وفي نص لحتشبسوت (٥٦) وفي نصين من العصر البطلمي - الروماني كتبت تاوى-نثرو (T3wy-ntrw) (١٢٨ ، ١٣٥) .

أما بالنسبة لمعنى الاسم فنقول أن التعبير تا-نثر لا يمثل أية مشكلة بالنسبة لمعناه فمعناه واضح ويعنى " أرض المعبود " والمقصود بالمعبود هنا هو رع ^(٢) الشمس التى تشرق من الشرق وتنتشر أشعتها وضوئها على أكبر مساحة من الأرض . أما بالنسبة لتسمية تاوى-نثرو فربما قصد بها أراضى الوجهين القبلى والبحرى . وتا-نثر وحدها تعنى الأراضى شرق مصر . حتى إننا نجد إن الإمبراطور الروماني هادريان كان يلقب فى نقوش الجزء الأمامى من قدس الأقداس لبقايا معبد بالقرب من بحيرة مدينة هابو " فليعش المعبود الطيب ، سيد تا-نثر ، طفل الأرضين " ^(٣) .

أما بالنسبة لبوننت فلم يحاول العلماء أو الباحثين تفسير معنى هذا الاسم . وفى رأينا أنه تعبير جغرافى مكون من كلمتين P بمعنى " موضع ، مقر " ^(٤) و wnt جاءت من فعل wn بمعنى " يفتح أو يخترق " ^(٥) ونجدها فى التعبير المستخدم فى

(١) راجع أيضا: Wb V, 225, 1-21; Saleh, BIFAO 72, p. 262 n.b يذكر

أوفرر أنها أحيانا تكتب تا-نثرو (T3-ntrw) راجع : Aufrere, op. cit., p. 220 (IV) (A-B).

(٢) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, Paris (1963), p. 676.

(٣) Gauthier, LRV, p. 146 (46).

(٤) Wb. I, 489, 3 = Meeks, Alex. I, p. 125 .

(٥) Wb. I, 311, 2 = Meeks, Alex. I, p. 89; Aufere, op. cit., p. 69 .

استغلال المناجم wn dww " فتح الجبال أى استغلالها " ^(١) ولهذا نقترح للاسم p-wnt معنى " مقر (أو موضع أو مكان) استغلال (المحاجر) " . ومما يؤكد هذا المعنى ان مخصص الاسم فى أغلب النصوص إن لم يكن جميعها هو مخصص سلسلة الجبال .

وبناء على ذلك يمكن ترجمة اسم البونتيين (Pwntyw) بمعنى: " مقر (أو موضع) مستغلو (المحاجر) " (٤٥) وهم أيضا الخبستيو (hbstyw) أى " أهل المناجم أو المحاجر " (٥٨) .

ونجد مفهوم استغلال المناجم أو المحاجر الموجودة فى جبال بونت أو استغلال المدرجات التى تنمو عليها النباتات العطرية وأشجار البخور فى عدة نصوص :

أ - فنجد أن بعض النصوص تحدثنا عن " منجم (أو محجر) بونت " (١٧ ، ١٩ ، ٢٣) .

ب - والبعض الآخر يحدثنا عن " الثروات (الطبيعية) لبونت " (٤٤ ، ٤٥)

ج - وهناك نوع ثالث من النصوص يحدثنا عن " ثروات كل الجبل " فى بونت (٢٨) أو " الثروات (الطبيعية) لجبل أو جبال بونت " (٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢) أو بطريقة مختصرة " المناطق الجبلية " (٣٠) .

د - وهناك نوع رابع من النصوص يحدثنا عن " سكان (جبال بونت " (٧٧) أو " كل (سكان) جبال بونت " (٨٠ ب ، ٨٤ ب) أو " كل سكان جبل بونت . (٨٥ أ) . أو بطريقة مختصرة " جبل بونت " (٨٧ ، ٩٧) .

(١) Aufere, op. cit., p. 69 n. (149 - 153).

كما يستخدم الفعل wn فى الحديث عن " فتح أو شق الأرض أو الشواطئ أو الطرق " ، راجع : Wb I, 312, 3; Meeks, Alex. I, p. 89.

هـ- وهناك نوع خامس من النصوص يحدثنا عن "مدرجات المر" التي تنمو عليها النباتات أو الأشجار العطرية أو المر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) أو يقال أيضا "جبل المر" (١٣٠) ويحدثنا نص آخر عن "نباتات بونت" (٨٣) .

و- كما أطلقت نصوص الملكة حاتشبوت على بلاد بونت ست صفات هي :

- "البلاد المقدس" (T3-ntr) (٢٤ ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) . وتتشابه بونت في هذه الصفة مع اسم تا - نثر وتعبر عن ارتباطها بهذا المكان أو هذا التعريف الجغرافى (١).

- "المكان المقدس" (St-dsrt) (٢٤ أ- ب) . وتتشابه بونت في هذه الصفة مع اسم قدس الأقداس في المعابد المصرية وتتشابه في هذه الصفة مع اسم الجبانة (٢) . وتعبر هذه الصفة عن ارتباط منتجاتها بالأمكن المقدسة والمراسم الجنائزية وعالم الموتى. وكما رأينا سابقا فقد عثر في بعض المقابر الملكية من عصر الدولة الحديثة على الصمغ والبهارات من بونت (٧٦) .

- "الأرض العظيمة" (T3-wr) (٢٨) . وتتشابه بونت في هذه الصفة مع اسم الجبانة أو الغرب (٣) .

- "المحبوبة" (mryt) (٢٤ ب) وتتشابه بونت في هذه الصفة مع اسم مصر "البلد المحبوب" (T3-mry) (٣٢ ، ٣٤ ، ٤١) .

- "كم هو مخضر البلاد المقدس" (W3dw T3-ntr) (٣٢) .

(١) وقد أشار جيمس أن بونت تسمى أيضا تا- نثر ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 36 .

(٢) Wb. V, 228, 9.

(٣) Meeks, Alex. I, p. 412.

- " الشاطئ المقدس للبلد المقدس " (idb pw dsr n T3-ntr) (٥٧) .

ثانياً- وبالنسبة لمحاولة تحديد الموقع ، فأنا وجدنا أربعة أنواع من النصوص : نصوص تحدثنا عن بونت أو تا- نثرت بوجه عام ، ونصوص أخرى تضعها جنوب الجزيرة العربية، ونصوص ثالثة تضعها جنوب الحدود المصرية ، ونصوص رابعة تجعل بونت جزءا من تا- نثر .

أ - ففي نصوص عصر الدولة القديمة وجدنا أن هناك نصوص لا تحدد الموقع (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ويفهم من بعضها الآخر أن بلاد بوتا تقع في الجنوب (٦) وكانت بعض الرحلات البحرية تتجه إليها عن طريق البحر الأحمر (٧) .

ب - أما نصوص عصر الدولة الوسطى فنجد أن بعضها لم يحدد الموقع بالتحديد (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١) . ويفهم من بعضها الآخر أنها تقع جنوب الجزيرة العربية (١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣) وأن بونت ارتبطت بتا- نثر (١١) .

ج - أما نصوص عصر الدولة الحديثة وخاصة في نصوص حاتشبوت فيفهم من أغلبها أن بلاد بونت تقع جنوب مصر وأن الجزء الأكبر منها يقع في أفريقيا فتحدثنا نصوص حاتشبوت عن شواطئ بونت التي تطل على البحر الأحمر (٢٤ أ- ب ، ٤١ ، ٤٤) أو مدرجات المر الجبلية التي تقع على شاطئ البحر الأحمر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) وأن زعيم بونت جاء حاملا معه هداياه للمبعوث المصري على شواطئ البحر الأحمر (٣٥) كما جاء كبار بونت لاستقبال أعضاء البعثة المصرية (٣٢) كما أن تمثال آمون والملكة وضع على شاطئ بونت أمام مدرجات البخور التي تطل على البحر الأحمر (٢٤ أ- ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) ومن بين هذه النصوص العديدة نجد أن بعضها يجعل تا- نثر جزءا من جنوب الجزيرة العربية (٦٥ ، ٧٢) وأنها بلاد كثيرة الخضرة (٣٢) . وهذا يذكر بالصفة التي أطلقت على اليمن فيما بعد " اليمن السعيد " . بينما تضعها أربعة نصوص أخرى ضمن

مناطق الجنوب مع بلاد النوبة العليا وكوش والسودان (٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٤) وخمسة نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة تضعها في الجنوب (٦٧ ب - ج ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤) . وهذا المفهوم نجده واضحا في ثلاثة نصوص التي تجعل من المعبود آمون سيد القبائل المجاو في الجنوب وحاكما لبونت (٢٤ أ - ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . كما أن نص بردية ليدن من عصر الدولة الحديثة يؤكد هذا الموقع لأن حورس اعتبر سيدا للنوبة والذي من أجله خلقت بلاد بونت (٩٠) أى أنه اعتبر سيدا للنوبة وما ورائها في الجنوب .

وهناك نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة تضعها في الشرق مثل نص من عصر تحوتمس الثالث الذى يضع تا- نثر في الشرق (٦٥) وخاصة جنوب الجزيرة العربية حيث كانت تعبد النجوم .

أما نصوص أمنحتب الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثالث فتضع بونت جهة الشرق صراحة (٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ أ - ب) .

ويفهم من نصوص عصر الدولة الحديثة أن بلاد بونت كانت تشمل المنطقتين جنوب الحدود المصرية على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وأقصى جنوب الجزيرة العربية في الشرق على الساحل الآسيوى للبحر الأحمر .

د - أما نصوص العصر المتأخر ، فهناك نص لا يحدد الموقع (٩٨) ويفهم من نص بعنقى أن تا- نثر كانت تشمل سوريا وفلسطين (٩٥) وهناك نسان آخران يجعلان بونت تقع في الجنوب وأن أمطارها غزيرة في الشتاء (٩٧ ، ٩٩) . أما النص رقم ٩٨ د فيجعلها تقع على الساحل الصومالى .

هـ - أما نصوص العصر البطلمى - الرومانى فنجد فيها الأربعة أنواع من النصوص نصوص لا تحدد الموقع ببونت أو تا- نثر (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) .

وهناك نوعية ثانية من النصوص تجعل الملك البطلمي ملكا أو حاكما أو سيدا على بونت أو تا- نثر فيفهم ضمنا أنه كان ملكا أو سيدا على بلاد تمثل أقصى الامتداد الطبيعي للحدود المصرية نحو الجنوب (١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠) .

وهناك نوعية ثالثة تضعها صراحة ضمن أقصى الحدود الجنوبية لمصر (١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) وأخيرا هناك نوعية رابعة تجعل من بونت جزءا من تا- نثر أى جزءا من جنوب الجزيرة العربية (١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣) .

ونخرج من كل هذا بالنسبة للموقع أن بلاد بونت وتا- نثر كانت تشمالن المنطقتين بالشاطئ الآسيوى والأفريقى للبحر الأحمر أى شرق وجنوب الحدود المصرية . فالنصوص التى تضعها على الشاطئ الآسيوى فى الشرق هى أرقام (١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٧٧ ، ٨٤ ب ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٣) .

أما النصوص التى تضعها على الشاطئ الشرقى لأفريقيا فى الجنوب هى أرقام (٦ ، ٢٤ أ- ب ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٧) .

وهناك النصان رقمى ١٢٣ ب و ١٣٩ اللذان يتحدثان عن المستنقعات التى تقع بالقرب من بونت أو البحيرات التى تقع مباشرة بعد بونت مما يؤكد أن جزءا من بونت كان يقع على الشاطئ الشرقى للقارة الأفريقية لأن المستنقعات أو البحيرات لا بد من وجودها هناك .

وهذا رأى يؤكد رأى الذى ذكره كل من د. أحمد فخرى من أن " بلاد بونت هو اسم عام يطلق على المنطقة القريبة من باب المندب وتشمل كلا من الشاطئين الأفريقى والآسيوى . أى أن هذه البلاد كانت تشمل ما نعرفه الآن باسم

جنوبى الجزيرة العربية و الصومال وارتيريا " (١).

وهذا ما ذكره د. صالح أيضا ورأى أن " بلاد بونت تشمل منطقة الصومال وارتيريا وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بعض العصور " (٢) وهو رأى صائب إلى حد كبير .

ويذكر فى دراسة أخرى " انه بحكم موقع الجزيرة العربية شرق مصر فإن ذلك يرجح أن تا- نثر كانت موجودة فى هذا المكان الشرقى وذلك لارتباطها بالبخور ومنتجاته . (٣) وان تا- نثر كانت تضم بونت الأفريقية . (٤)

ويمكننا أن نضيف إلى رأى د. صالح أن المصريين القدماء ضموا إلى بونت ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بداية الأسرة الحادية عشرة (١٤) ومما يؤكد هذا الرأى أيضا أن لفظ بونت ذكر فى النصوص المصرية ابتداء من عصر الدولة القديمة (٥) أما لفظ تا- نثر فلم يظهر إلا ابتداء من عصر الدولة

(١) د. أحمد فخرى فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٦٠٥ ؛ نفس المؤلف: دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ حاشية .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢١ . ويرى د. صالح أن مناظر أكواخ بونت فى نقوش معبد الدير البحرى تشبه إلى حد كبير الأكواخ التى رآها الرحالة فى بحر الغزال فى الشكل والبناء ، راجع :

Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 249 n. (b).

(٣) Saleh, op. cit., p. 248-249 n. (1), 262 (a), Id., in Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 107-115.

(٤) Saleh, BIFAO 72, p. 256 n. (3), 257.

(٥) Wb I, 506, 15 .

الوسطى^(١) ولهذا لم ترتبط بونت بتا- نثر إلا ابتداء من عصر الدولة الوسطى أى أن بونت كانت تشمل الجزء الأكبر من الساحل الشرقى لأفريقيا وجزءا من الساحل الآسيوى للبحر الأحمر .^(٢) ويخبرنا النصان رقمى ٣٤ و ٣٥ بأن مدرجات مر بونت كانت تقع على شاطئ العظيم الأخضر (gswy W3d wr) أى أن الكاتب استخدم كلمة شاطئ بالمتنى مما يدل على أن المقصود بالشاطئين هما الشاطئ الآسيوى والأفريقى للأخضر العظيم (البحر الأحمر) .

وهذا رأى يؤكد ما ذكره لوفر فى مؤلفه عن الأدب بأن " اسم بونت كان يشمل حتى نهاية الدولة الوسطى الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن حتى مصوع وكذلك الجزر الموجودة فى مواجهة هذا الساحل . (وهذا ما يشير إليه النص رقم ٢١ أ- ج) وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة امتدت هذه التسمية حتى شملت بقية الساحل حتى خليج جرد فوى (بلاد الصومال على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن) وليس من المستبعد أن هذه التسمية أصبحت تشمل فى عصر لاحق الساحل المقابل للجزيرة العربية وخاصة اليمن .^(٣)

ثالثا - ونظرا للأهمية الكبرى للمر والبخور والعطور ومنتجات المناجم فى طقوسهم اليومية والمنتجات الأخرى والحيوانات لاستخدامها فى حياتهم اليومية فأنهم اهتموا بإرسال البعثات إلى تلك البلاد البعيدة منذ عصر الدولة القديمة تارة عن طريق البر وتارة أخرى عن طريق البحر (٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ٦٣ ، ٨٧) ولاشك فى أن بلاد بونت كانت تقع فى منطقتين : الأولى

(١) Wb V, 225, 2.

(٢) يرى د. صالح أن اختلاط العنصر الآسيوى بالأفريقى نشأهده فى أشكال مبعوثى أراضى تا- نثر المصورين فى مقبرة بويمرع رقم ٢٩ بالبر الغربى من عصر

تحتتمس الثالث ، راجع : Saleh, BIFAO 72, p. 260 n. (3)

(٣) Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens, Paris (1949), p. 30.

فى جنوب الجزيرة العربية والثانية على الساحل الشرقى لأفريقيا (٣٤ ، ٣٥ ، ٨٤ ب) وهذا ما يفسر إلى حد كبير طبيعة منتجاتها التى كانت فى الواقع خليط من منتجات جنوب الجزيرة العربية وأفريقيا .

- فمنذ عصر الدولة القديمة (وما تلاها من عصور) كانت بلاد بونت مصدرا هاما للمر والصمغ والجلود والالكروم والأبنوس والذهب والأخشاب الثمينة والأحجار الكريمة (٢ ، ٤) والزيوت العطرية (٥) ، ثروات مناجم بلاد بونت (٦) .

- وفى عصر الدولة الوسطى كان يجلب منها : المر (٩ ، ٢١ أب) ، والمر الطازج (١٤) ، والعطور (١١) الثروات التى تأتى من مناجمها (١٧ ، ١٩ ب ، ٢٣) العطر hknw (٢١ أب) وعطر iwdnbw (٢١ ب) والتوابل والبهارات (٢١ ب) وكحل أسود وذيول زراف وشن فيل وكلاب صيد وقردة ونسانيس (٢١ ب) ومنتج الـ š3c-ch (٢١ ب) وزكائب ضخمة (أو ممثلة) من البخور (sntr) (٢١ ب)^(١) ، وكل النفائس الجميلة أو الطيبة (٢١ ب) .

(١) وهذا ما أكدته لنا الكاتبة الرومانى بلينى فيما بعد (أعوام ٢٣ - ٧٩ ميلادية) من أن " شبوه " عاصمة بلاد الحضارمة قد لعبت دورا هاما فى تجارة البخور . وأن الإقبال على تلك السلعة حتى وقت بلينى بالذات كان كبيرا لارتباطهما الوثيق بالطقوس الدينية فى معابد الإمبراطورية الرومانية القديمة (راجع : د. عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ١٤٧) . ولا يختلف اثنان على أن ظفار كانت إحدى المناطق الرئيسية لإنتاج اللبان . كما أن هناك أنواعا من أشجار اللبان لا تزال تنتشر فى تلال حضرموت ومنها الذى يسمى حاليا " لبان بدوى " والذى تجئ ، حتى وقتنا هذا ، محاصيل منه إلى البر الصومالى لفصده وجمعه فى مواسم معينة . كما حدثنا بلينى عن المر ونموه فى مناطق عديدة والذى نرى أشجاره فى بعض الشعاب والأودية

والمر من تا - نثر (١٠ ، ١١) ، وكل المنتجات التي توجد في مناطق تا نثر (١٤) ، ومنتجات تا - نثر (١٩ ج) .

- وفي عصر الدولة الحديثة كان يجلب منها :

- أشجار المر الطازج (٢٦ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٦٦ أ ، ٧٥ ب)

== القريسة من شبوه . ويرى بعض العلماء اعتمادا على ما جاء عند بلينى ، أن المر ربما كان من محاصيل بلاد الشاعر فى تهامة بالقرب من باب المنذب (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ وأيضا دراسته عن : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز ، جده ، المجلد الثانى ١٩٨٢ ، ص ١٤١ - ١٧٤ . وأعاد نشر هذا البحث مرة ثانية فى كتابة : " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٥٦٤ - ٥٩٥ ؛ كما تعرض لتجارة البخور فى رسالة أخرى تحت عنوان " دراسة تاريخية للصلات ومؤثرات الحضارة بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الحمر " وكان هذا موضوع رسالته للدكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٣ . ونشر ملخصا لها فى مؤلفه : " البحر الحمر وظهيره فى العصور القديمة " ، ص ٢٣ - ٢٧ . وأشار فى هذا الملخص إلى التشابه بين بونت وأوفير وخاصة فى تجارة سلعة البخور التى كانت تجلب من المنطقتين . وذكر أن أوفير كانت تقع فى منطقة أفريقية وليس فى منطقة آسيوية كما ذكر ورأى بعض الباحثين الآخرين . وحدد لنا موقعها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى سابقا (جمهورية جيبوتى حاليا) (راجع : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٣) . كما تحدث عن تجارة المواد العطرية مع مصر د. مصطفى عبد الحليم فى بحث بعنوان : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانى والرومانى ، نشر هذا البحث فى مجلد " دراسات تاريخ الجزيرة العربية " ، الكتاب الثانى ، جامعة الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٠ - ١١٥ .

- المنتجات الطبية لهذا البلد (٢٦ ، ٥٨) .
- الثروات الطبيعية من جبال بونت (٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٨٢ أ) .
- صمغ المر الطازج (٣٩ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٢ هـ ، ٩٢) أو المر الطازج وأفضل أنواعه (٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩) أو أفضل أنواع المر (٥٣ ، ٦٠ ، ٦٦ ب ج) .
- أبنوس وعاج نقي وذهب خام من عامو (٣٩) .
- بهارات وتوابل (٣٩ ، ٧٦) .
- الكحل الأسود والنسانيس والقردة والكلاب وجلود الفهود وثيران وزراف وفهود (٣٩) .
- ذهب خالص في شكل حلقات (٤٥ ، ٤٨) والألكتروم (٤٨) .
- الفضة والذهب واللازورد والتركواز والأحجار الثمينة (٤٩) .
- كحل أسود معبأ في زكائب (٤٥) .
- عصي خاصة بأهل بونت وأبنوس في شكل عصي ضخمة وأبنوس وعاج خام (في شكل أنياب فيلة) ومادة للتلوين (٤٥) .
- المر والبخور (٣٩ ، ٦٤ أ) أو المر والصمغ الثمين (٦٧ أ ، ٨٠ ب ، ٨١ هـ ، ٨٤ ب ، ٨٥ أ) ، الصمغ الأسود (٧٦ ، ٨٨ ، ٩٢) .
- عطر ihmt (٧٥ ب) .
- النباتات العطرية (٧٧ د) ، وأشجار البخور والعطور اشش وارتيو (٨٢ ب ، ٩٢) .
- الأشجار والنباتات العطرية (٨٢ د) .

ومن تا - نثر كان يجلب : أشجار المر التي في وسط تا - نثر (٣٧)
والنباتات العطرية الجميلة من تا - نثر (٣٩) ، ونفائس من تا - نثر (٤٤) ،
(٤٦) .

- وفي العصر المتأخر كان يجلب منها :

- المر المجفف (٩٦) .
- الزيت هكنو (٩٨ ب) .
- الأشياء المختارة (٩٩ ب) .
- ومن تا - نثر كانت تجلب النباتات العطرية (٩٥) .

- وفي العصر البطلمي - الروماني كان يجلب منها :

- المر (١٠٠ أب ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٧ أب ، ١١٨ ، ١٤٩) .
- قصب الطيب (١٠١) .
- العطر (١٠٨) .
- كل زيت عطري آخذ (١١٠) الصمغ الأسود (١٥٦) روائح
(١١١) .
- بخور (١١٩) .
- الخشب عو من بونت (١٤٣ أ) .
- الفيانس (١٤٥) .
- المر وأشجار البخور nnibw (١٤٧ أ) .
- ثروات مناجم جبال بونت (٤٣ از ، ج ، ١٤٤ ، ١٤٧ أب ، ١٤٨ ،
١٦٢ ب) .
- بونت محملة بما فيها (١٢٩) وبونت مع ما يخصها (١٤٣ د) .

- كبريت النحاس المحلل والجيد ^(١) (١٥٠ ب) .
- النباتات العطرية الطويلة (١١٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩) وأشجار البخور nnibw (١٥٥) .
- وقد أتاحت لنا هذه الدراسة أن نتعرف على شكل شجرة المر (٣٩) وشكل النباتات العطرية (١٥٥ حاشية ٦) ^(٢).
- ويخبرنا النصان رقمي ٥٩ ، ٦٠ أن النباتات العطرية كانت تحضر وتعتبر على التو بمجرد وصولها إلى مصر للحصول على العطور الزيتية .
- ومن تا - نثر كان يجلب :
- المر (١٢٠) .
- الروائح العطرية (١٠٣) أو الروائح الطيبة (3hḏw) (١٢٠) العطر (١١١) .
- المر والفضة والروائح الطيبة وأشجار البخور nnibw (١١٧ أ) .
- الصمغ سنن (١٤٣ أ) .

- (١) وذلك لإعداد الكحل الأخضر ، أما الكحل الأسود فكان يستورد من قبل ذلك (راجع النصين رقمي ٣٩ ، ٤٥) .
- وفى نص فى أدفو نقراً : " وهيماتيت والمنتج واج من المناطق الجبلية لبونت " .
Aufreere, RdE 34 (1982), p. 16 n. 126 .
- (٢) هناك ما يسمى حديثاً ببخور مريم وهو نبات عشبي معمر ينبت فى أوروبا وغربى آسيا وشمال أفريقيا وفى المناطق الجبلية ، لد درنات إلى السواد فى شكل اللفت ، وساقه قصيرة وأوراقه كبيرة على شكل القلب وأزهاره حمراء لكل منها عنق طويل ، راجع : المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، ١٩٧٢ ، ص ٤١ ؛ المعجم الوجيز ، ١٩٩١ ، ص ٣٨ .

- كل بخور تا - نثر (١١٠) .

- تا - نثر محملة (بكل) ما يخرج منها (١٢٩) .

- تا - نثر مع كل ما فيها (١٥٨) .

وحقيقة أخرى لابد من الإشارة إليها هنا إلا وهي أن بلاد بونت كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتا - نثر التي كما ذكر فركوته هي الأرض التي تقع في الشمال الشرقي والجنوب الشرقي لمصر ويطلق هذا التعبير أيضاً على سوريا وفلسطين وعلى المنطقة التي توجد بها بلاد بونت ، وأن كل من بونت وتا - نثر كانتا يشملان منطقة واحدة . ومما يؤكد هذا الرأي أن منتجات تا - نثر هي منتجات بونت نفسها . وهذا الارتباط كان موجوداً منذ عصر الدولة الوسطى حيث تحدثنا نصوص هذا العصر عن المر من تا - نثر (١٠ ، ١١) يشير النص رقم ١٤ على أنها تقع في الجنوب . وتؤكد نصوص الدولة الحديثة هذا الارتباط وعلى المنتج نفسه فيقال : " أشجار المر في وسط تا - نثر " (٣٧) ، " وكل النباتات العطرية الجميلة (أو الطيبة) ، لتا - نثر " (٣٩) ، " نفائس تا - نثر (٤٤ ، ٤٦) ، " ثروات من نا - نثر (٥٥) ، " كل شيء جميل (أو طيب) لتا - نثر (٥٩) ، " أشجار تا - نثر " (٦١) .

وتؤكد النصوص البطلمية هذا الارتباط " المر من بونت والروائح العطرية من تا - نثر " (١٠٣) ، " كل بخور تا - نثر وكل زيت عطري آخذ من بونت " (١١٠) ، " العطر من تا - نثر والروائح من بونت " (١١١) ، " المر والفضة والروائح الطيبة وأشجار البخور لتا - نثر " (١١٧ أ) ، " الروائح الطيبة من تا - نثر " (١٢٠) ، " أعطيك بونت محملة بما فيها وتا - نثر محملة (بكل) ما يخرج منها " (١٢٩) ، أو " أعطيك تا - نثر مع كل ما فيها " (١٥٨) ، " الصمغ سنن من تا - نثر وخشب عو من بونت " (١٤٣ أ) .

وهناك بعض النصوص التي تشير إلى منتجات أرض (تا - نثر) التي تقع في الشمال الشرقي لمصر ، ويضعها الكاتب ضمن البلاد الأجنبية ، التي تأتي إلى الملك حاملة جزيئها من " الذهب والفضة والفيروز وكل أنواع الأحجار الثمينة من

تا - نثر " (٨٠ أ ، ٨٤ أ) ، ونص آخر من العصر المتأخر يؤكد على هذا الموقع " كل كنوز سوريا وكل النباتات العطرية لتا - نثر " (٩٥) ، " الناس تأتي إليها من كبن (جبيل) من الأخضر العظيم محملة بثروقتا - نثر " (١٥٦) كما هو واضح أن تا - نثر تشير إلى سوريا .

وكانت أفضل أنواع المر والبخور والمنتجات تقدم للمعبودات (١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥) . ونعلم على سبيل المثال أنه يوجد بمعبد أدفو حوالى ١٦٠٠ منظرًا تمثل القرايين للمعبودات منها ١٥٠ فقط تمثل تقديم المر أو البخور وحرق البخور ، و ٢٥٠ تمثل مجموعة من القرايين من المواد العطرية أو الأواني العطرية وأنواع الأقمشة وأدوات الزينة اللازمة لضمان الطهارة الجسدية لتمثال المعبود (١) . كما أن البخور والمواد العطرية من أهم المواد الأكثر استخداما فى الطقوس الدينية .

ففى طقوس الصباح فى المعبد كان كبير الكهنة يقوم بتقديم القرايين أى الوجبة المادية من الأطعمة ويقوم بعد ذلك بأداء التراتيل اللازمة لفتح الناوس الذى يحتوى على تمثال المعبود فى قدس الأقداس ثم يقوم بعد ذلك بتنظيف التمثال وتبخيره وكسائه وتزيينه ودهنه بالزيت المعطر (٢) حتى يستطيع بع كل تلك المراسيم (٣) أن يواجه عالمه المظلم فى قدس الأقداس (٤) . وبعدها يقوم بتقديم البخور - رمز العدالة ماعت اللذين يجعلان من المعبود نفسه يجمع بين ما هو مادي وبين عالمه الخفى التى

(١) Cauville, Edfou, publ. IFAO, le Caire (1984), p. 78 .

(٢) ولهذا لنا أن نفهم جيدا معنى ما ذكرته حانثبسوت فى نصوصها بأنها أمرت بإحضار المر أو العطر لأعضاء الجسد المقدس أى لأعضاء التمثال المقدس لآمون (٥٩ ، ٦٠) .

(٣) Sauneron, les Prêtres de L'Ancienne Égypte, Paris (1959), p. 82-85; Morenz, la Religion Egyptienne, Paris (1962), p. 123.

(٤) Sauneron, op. cit., p. 85.

تسيطر عليه قوته (١) .

وفى طقوس الظهيرة التى تشمل أساسا نثر الماء المقدس وحرق البخور أمام تماثيل المعبودات المصاحبة للمعبود الرئيسى فى المعبد وكذلك تماثيل الملوك محل القداسة فى المعبد . وتتم هذه الطقوس أيضا حول كل قدس الأقداس وأمام كل القاعات الصغيرة المخصصة للطقوس المشتركة. (٢)

وفى طقوس المساء يتكرر ما حدث فى الصباح فيقوم كبير الكهنة بتنفيذ ما قام به من طقوس فى قدس الأقداس الرئيسى ، الذى يبقى مغلقا ، فى المقاصير التى تحيط بقدس الأقداس من تقديم القرابين المادية وتكريسها وتقديم الماء المطهر وحرق البخور وتقليص حجم الأغذية ، ثم أداء عملية التطهير النهائية. (٣)

وبالإضافة إلى هذه الطقوس اليومية فإنه أثناء الأعياد الدينية التى تقام فى المعابد فإن تأدية الغناء والتحية أو الابتهالات وعملية التبخير هم الغذاء المعنوى لتمثال المعبود (١٤٧) (٤) . ونعلم من النصوص الأخرى أن العطر الطيب كان يخرج من المعبودات (٦٣ ب) وأن البخور كان يساهم فى فاعلية وقدرات هذه المعبودات (٩) .

ونعلم من النصوص الأخرى أن العطر الطيب كان يخرج من المعبودات . وأن البخور كان يساهم فى فاعلية وقدرات هذه المعبودات. (٥) وكان يوجد ببعض

Sauneron, op. cit., p. 82. (١)

Sauneron, op. cit., p. 87. (٢)

Id., op. cit., p. 87. (٣)

Morenz, op. cit., p. 126 n. (4). (٤)

Frankfort, la Royauté et les dieux, Paris (1951), p. 187. (٥)

المعابد أماكن مخصصة لحفظ أكوام المر ^(١) والبخور الخام ^(٢) . من بلاد بونت ففي
معبد الكرنك كان يوجد حجرة تسمى : مخزن المر أو العطور " (Pr hd n cntyw)
(٦٦ أ ب) وعلى جدران هذا المخزن صورت أكوام البخور وأشجار البخور من
بونت (٦٦ أ) وفي هذا المخزن كان يتم أيضا استخراج العصر الثمين (٦٦ ب) .
وكان يوجد مثل هذا المكان في معابد أخرى مثل معابد الرمسيوم ومدينة هابو وندرة
(١٥٥) وادفو (١٣٨) (راجع أيضا : النص رقم ٦٦ ب حاشية ٩) .

(١) سجل الـ Wb حوالى ٢٠ اسما لأنواع مختلفة من المر وهي :

(= Wb I, I), ihmt (= I, 119, 2), C;y-nd (= I, 116)
3wt-ib (مر)
cntyw-w3d (مر وعطور وزيت ومرهم) (= I, 206, 7) cntyw
(= I, 207, I) (شجرة المر) nh t nt cntyw (14, I) (طازج) (= Wb
Kmj t nt (Wb 11, 283, I) ht n cntyw (عودة المر) (111, 340, 6
(= 111, 349, 9) (مدرجات 13, 206) htyw hw cntyw (= Wb 11,
(صفة للمر) (= Wb I, 206, 14) (صمغ المر) cntyw (= Wb 11, 291,
(المر) (= Wb 11, 59, 4) (نوع من المر) (29, 3, mm3c) (نوع
من المر) nh3s-cwy (11, 156, 16) (اسم المر) (6, b3d mšc 111,
h3 Wb IV, (Wb 111, 7, 13), hry (111, 323, 21), hs hs (333,
143, (صفة لإناء المر) smswn (11, 333, 4), hss (3, Wb V, 182,
(2) (مر مجفف) grn (IV, 467, I) Šns-r3-ht (9) .

(٢) سجل الـ Wb حوالى ستة أنواع من البخور وهي :

sntr (Wb 111, 367, 9), hms (Wb 111, 196, 4), htp (وهو النوع
الأكثر شيوعا فى النصوص (Wb 111, 180, 18-22), srw (Wb IV,
kdrt (= نوع من البخور (Wb V, 82, 3) (وكان) nh t sntr شجرة
البخور) (Wb 11, 283, 2) (حبات البخور من النوبة 20, Wb 1V, 180,
(ويستورد من بونت الـ sntr نوع من البخور (1V, 180, 19), ومن آسيا
180, 21 .

ولا أدل على أهمية بونت كمصدر للمر ونباتات الطيب م مما جاء على تابوت زيد - ايل (١٠١) إذ يذكر هذا التاجر المعينى الذى عاش فى عصر بطلميوس الثانى أو السادس أنه كان يمد المعابد المصرية بمقادير من المر وقصب الطيب . كما كان الملوك والملكات يستخدمون أيضا البخور والمواد العطرية فى حياتهم اليومية (٥٣ ، ١٥٠) وكما أن العطر كان ينبعث من أجساد المعبودات فإن ذلك كان ينعكس على شخصية الملك نفسه فهو " الملك المقدس " إذن فهو " عطر المعبودات حتى فى أثناء تتويجه كان لابد وأن يطهر جسده بالبخور " (١) حتى أن المتوفى كان يتمنى أن يحضر له العطر من بونت (١٠) وفى نص آخر نجد تشبيه جميل بين بونت والجبانة حيث يجد فيها المتوفى مستقرا له ويشيد منزلا له فيها على تل مسطح (١٢) وكما رأينا فى بعض مقابر ملوك الدولة الحديثة أنه عثر على أوانى بها بقايا بخور وزيت عطرية مثل مقابر تحوتمس الرابع (٧٦) وتوت عنخ آمون ومرنبتاح (راجع نص ٧٦ وحاشية ٣) .

وأيضا كانت المواد العطرية والزيت من المواد الهامة لمقومات عالم الآخرة الذى كان المصريون القدماء يضعونه نصب أعينهم . فلذلك يلاحظ أنه أثناء عملية التحنيط كانوا يتركون تجويف البطن والتجويف الصدرى فارغين أو يحشونهما بالكتان المشبع بالمواد العطرية أو بالصمغ أو بالقار فنعرف أنهم استخدموا أكثر من ١٣ مادة عطرية لإتمام عملية التحنيط (٢) . وأخيرا استخدم حرق البخور لتكريم

(١) Frankfort, op. cit., p. 187-188.

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص ٢٥٧ - ٢٦٩ كما أوردت بسمه قوره فى رسالتها عن " الزيوت السبعة المقدسة " أسماء وأنواع الزيوت والدهون والمراهم التى استخدمها المصريون القدماء منذ العصر المبكر حتى بداية العصر البطلمى ، وجمعت حوالى ٩٤ اسما منها ٣٨ اسما لزيوت من أصول نباتية ، راجع : B.Koura, Die 7-Heiligen Ole und andere Ol-und Fettnamen, Aachen 1999, p. 160-251.

وعلى سبيل المثال نجد أن مومياة توت عنخ آمون وقد عطرت ودهنت بعشرة أنواع من الزيوت العطرية ، راجع : Champdor, le livre des morts, p. 19,55.

أرواح الملوك السابقين والأجداد . ففي الممر الذى يلى مقصورة المعبود بتاح - سوكر فى معبد أبيدوس حيث يوجد نقش يمثل ما عرف باسم " قائمة أبيدوس " . وأمام هذا النقش نرى منظرا يمثل الملك سيتى الأول ويصطحبه ابنه الأكبر رمسيس ، وهما يقومان بتقديم القرابين وحرق البخور إلى أسماء ستة وسبعين ملكا من أجدادهم ممثلين بخاناتهم الملكية .^(١)

ونظر لأهمية مادة المر - cntyw القادمة من بلاد بونت والمشتقات المستخرجة من النباتات العطرية فإنها كانت تصحن ^(٢) وتطبخ ^(٣) وتقى ^(٤) فى أماكن معينة ثم توضع فى أوانى معدة لها خصيصا ^(٥) وتوضع بعد ختمها بمعرفة كتبة المر " ^(٦) (Sšw n cntyw) فى مخازن خاصة بها ملحقة بالمعابد ويطلق عليها اسمها " مخزن المر " ^(٧) (Pr hd cntyw) .

رابعاً - وبالنسبة لتأثير الديانة المصرية فى هذه البلاد البعيدة نقول أن التبادل التجارى كان وسيلة من وسائل نشر الثقافة الدينية ولذا فمن المحتمل أن البعثات التى أرسلت إلى بونت كان الغرض منها بالإضافة إلى التجارة والتبادل

(١) PM VI, p. 25 (229-230).

(٢) Shimy, Memnonia IX (1998), p. 233 n. 36.

(٣) Id., op. cit., p. 219-225 Fig. 12-18.

(٤) Id., op. cit., 214-219 Fig. 10-11.

(٥) Id., op. cit., p. 218-219.

(٦) Id., op. cit., p. 226, 233 n. 35, 236 n. 70.

عن ألقاب الموظفين الذين يقومون بالإشراف على استخراج الزيوت والدهون العطرية والأماكن التى تتم بها سواء أكان ذلك تحت إشراف إدارة المعبد أو تحت إشراف القصر الملكى مباشرة ، راجع : B. Koura, op. cit., p. 270-283.

(٧) Shimy, op. cit., p. 228 n. 75.

التجارى هو نشر الديانة والعبادات المصرية فى هذه البلاد البعيدة . فقد أمرت الملكة حاتشبسوت بأن ينحت للمعبود آمون ولها شخصيا تمثالين لكى يقاما هناك أمام مدرجات البخور لكى يبقيا فى مكانهما إلى وقت الأبدية (٢٤ ب ، ٢٦) لكى يراهما أهل البلاد يوميا (٢٥) ولا يقتصر الأمر على وجود تمثال لآمون فى بونت ، بل أن بعض المعبودات المصرية اتخذت ألقابا تربطها ببلاد بونت ، فنجد أن آمون هو الذى يطى مناطق الجبال (فى بونت) (٣٢) وكان يلقب بلقب " حاكم بونت " (٢٤ أ-ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . وتخبرنا النصوص عن " أفق آمون فى سماء بونت " (٩٩) إلى جانب تمثال آمون كان للمعبودة حتحور وجود فى بونت ، فحين وصلت سرية الجنود المصاحبة لبعثة حاتشبسوت ، إلى شواطئ بونت مع قائدهم نحسى ، نجد أنهم قدموا القرابين لحتحور فى بونت (٣١) وهذا يشير إلى وجود عبادة لها هناك . ولهذا السبب نجد أن بعض النصوص تلقبها بلقب " سيدة بونت " (٩ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٢) وسيدة المر (٦٣) فهى عين رع القادمة من بونت (١٥٤)^(١) . ويجئ بعد حتحور حورس ، فهو حور خنتى الى من أجله خلقت بلاد بونت (٩٠) أو أنه " كبير تا-نثر وبونت " (١٢٣) وهو " بحدتى سيد بونت " (١٢٤) ، " حاكم بونت " (١٦٥) ، " الصقر المقدس القادم من بونت " (١٦١)^(٢) ، وتأتى بعده نيت التى تترأس تا-نثر (٩٣) أو " سيدة تا-نثر " (١٠٥) ، " سيدة بونت " (١٠٦) " ملكة بونت " (١٠٧) ، " حاكمة بونت " (١٠٤) وتحتوى كان له دور هام فهو " سيد بونت " (١٥ ، ٨٢) ، ووررت " سيدة بونت " (١٦)

(١) بالإضافة إلى حتحور كسيدة لبونت ، يذكر هرمان معبودات أخرى لها صلة ببلاد

بونت مثل : إيزيس ، حات محيت ، ساتيس - باستت ، نخبت ، سخمت ،

واجيت ، واونوت ، راجع : Herbin, RdE 35 (1984), p. 118 n. 43.

(٢) ولعل سر ارتباط حورس ببونت هو ما قيل له فى بردية سالت السحرية رقم

٣٢٥ : " حورس يبكى وتسقط دموعه من عينه على الأرض ونباته ينمو ، هذا

هو أصل المر " .

وجب هو الذى يحضر البخور من تا- نثر (١٠) ورن- وي قدم من بونت (٩١)
و " الفنكس بن رع هو الذى يجوب بونت " (٩ ، ١) ومين هو " الباحث عن ثروة
بونت " (١٤٤) ورع " وطئ أرض بونت " (٣٢) وآتوم من تا- نثر (١٦٢)
كما كان هناك تاسوع كبير " يقطن فى بونت " (٢٤ أ- ب) وحتحور- تفنوت ^(١)
" التى تحضر منتجات بونت " (٩١ ج) و " شسمت سيدة بونت " (٩١ ج)
و " انوبيس الذى يترأس بونت " (١٢٣ ج)

وبفضل كل هذه النصوص وما أمدتنا به من معلومات نكون قد أوضحنا
عدة أمور أولا بالنسبة للقراءة الصحيحة للاسم ومعناه المحتمل ، وحددنا موقع بونت
التي كانت تشمل الشاطئين الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر .

ونكون بذلك قد وضعنا حدا للآراء المتباينة والتي اختلفت حول تحديد موقع
بونت وتا - نثر ، اللتين ارتبطتا اسميا فى عصر الدولة الوسطى على أنهما
الأراضى التى تنتج المر والبخور والمواد العطرية والأحجار الثمينة ومنتجات أخرى
كانت هامة وضرورية للمعابد المصرية ولمقاصيرها ولطقوسها المختلفة ولملوكها
ولملكاتها ولزينتهم ولقصورهم ولمنازلهم ولمتاع مقابرهم ولزينة وتحنيط موتاهم
ولتكريم أرواح أجدادهم ولكافة مظاهر حياتهم اليومية والدينية . ^(٢)

لهذا كانت بلاد بونت محل تقدير كبير من المصريين القدماء فقد ذكروها
على أنها " البلد المقدس " (٢٤ ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ،
٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) أو " المكان المقدس " (٢٤ أ- ب) ، ولهذا ارتبطت بعض
المعبودات المصرية بأرض بونت (" الأرض العظيمة " (٢٨) ، " المحبوبة "
(٢٤ ب) . وهذه الصفات كانت تعبر عما فى فكرهم عن هذه البلاد فهم لم ينظروا

(١) ويقال أيضا على نفس البردية : " شو وتفنوت يكون كثيرا جدا وتسقط دموعهم

من أعينهم على الأرض ونباتهم ينمو ، هذا هو اصل البخور " راجع : Lexa,

la Magie dans l'Égypte Antique II, p. 65.

(٢) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 262; Erman-Ranke, la Civilisation

Égyptienne, p. 687.

إليها بنفس النظرة التي نظروا بها إلى بعض البلاد الأخرى التي كانت بينها وبين مصر علاقات تجارية أو ثقافية سواء في الجنوب أو في الشرق أو الغرب ، وهذا مما دعى بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن بلاد بونت هي بلد أو موطن الأجداد البعيدين للمصريين القدماء . (١)

رابعاً - بالنسبة للعقائد الدينية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى :

في معتقدات الشعوب الأخرى المجاورة والبعيدة . ففي الشرق كان للديانة المصرية تأثير كبير في حضارة سورية القديمة منذ أقدم العصور فطبقاً لأسطورة أوزير ، فبعد أن قتل المعبود ست أخاه أوزير ووضع في تابوت والقي به في النيل ، جرف التيار هذا التابوت إلى الفرع الثانيسي ، ثم إلى البحر الأحمر حتى بيبيلوس .

ومن هنا رأى العلماء أن عبادة أوزير ترجع إلى عصر بعيد القدم في شرقى الدلتا وربما كانت تقوم صلى بينها وبين عبادات آسيا القريبة ، في عصور ما قبل التاريخ . (٢)

عثر في جبيل على بقايا معبدتين ، أطلق على الأول " المعبد المصرى " وعلى الثانى اسم " المعبد السورى " ، ويرى مونتييه أن المعبد المصرى يرجع إلى عصر الدولة القديمة ، ويذكر إن نقوش هذا المعبد قد تمت بأيد مصرية ، أمام المعبد السورى فينسب لأهل جبيل . وهو بلاشك كان معبداً مصرياً بنى في بيبيلوس ، واختلف العلماء في تأريخه ولكن يغلب الظن انتمائه إلى عصر الأسرة الرابعة .

(١) Cottrell, les Épouses des Pharaons, p. 55.

(٢) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٠١ .

وعثر فى بقايا هذا المعبد على أوان تحمل أسماء الملوك ونيس وبيبي الأول وبيبي الثانى ، وعلى ختم اسطوانى كتب عليه اسم الملك مر ان رع . كما عثر فى اساسات معبد سيدة بيبيلوس على عدد كبير من الجعارين التى ترجع إلى الدولة القديمة وربما إلى عهد الملك بيبي الثانى .

مما يدل على المعبودات المصرية كان معترف بها فى سورية القديمة . كما أن معبودات بيبيلوس كانت محل تقدير من ملوك مصر منذ عصر الدولة القديمة .^(١)

وطبقا لنصوص من عصر الدولة الوسطى فإن التوابيت الخاصة بكبار الشخصيات فى مصر ، كانت تصنع من خشب الأرز ، وكانت زيوت الأرز تستخدم كذلك فى تحنيط المومياوات .

ونجد أيضا آثارا من عهد الملك أمنمحات الثالث أرسلها هذا الملك لتكريم معبودة بيبيلوس .

وكانت الأناشيد التى قالها إخناتون فى مديح آتون من الدب الرفيع الذى أخذت تتناقله الأجيال ، ونشيده الكبير هو الأصل الذى نقل عنه الجزء الأكبر من مزمور ١٠٤ من مزامير سيدنا داود .^(٢)

وابتداء من عصر الدولة الحديثة وخاصة الأسرة التاسعة عشرة ، نجد أن بعض المعبودات السورية القديمة مثل عشتارت وعنات ورشبو وقادش ، قد ذكرت بكثرة فى البرديات والنصوص الدينية . وشبه المعبود مونتو بالمعبود السورى بعل

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٤٦ - ٤٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٩ ، وأيضا : Montet, Byblos et L'Égypte, p. 36, 62, 70-71 (45-50), 72-73 (56-57).

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٥١ .

فى قصائد بنتاورة ، انه هو الذى أسرع إلى نجدة رمسيس الثانى فى لحظات الشدة على ارض معركة قادش ويرجع أصل المعبود سبدو معبود صفط الحنة إلى أصل آسيوى ويرجع إلى عهد ما قبل التاريخ ^(١) وكان يمثل بلحية كامل كثيفة وليست لحية المعبودات المصرية النابتة عند الذقن وحدها ويعلو رأسه تاج وریشان محدبتان لهما مظهر أجنبى يلاحظ كذلك فى منزرة الذى يشده الحزام ، وكذا كان سيد البلاد الأجنبية وسيد الصحراء الشرقية . وقد أمتد نفوذه إلى آسيا . وقد مثلوه برأس الصقر حورس ليبدو فى مظهر أكثر مصرية . ^(٢)

وتذكر نصوص بردية هاريس المحفوظة بالمتحف البريطانى والتى يربو طولها على مائة وثلاثين قدما (أى حوالى ٣٩,٦٢ مترا) ، أن هناك حوالى ١٦٩ مدينة فى مصر وسورية وكوش كانت تدخل ضمن ممتلكات معبد آمون بالكرنك فى عصر رمسيس الثالث . ^(٣)

ويذكر قائد الأسطول المصرى وجاحر رسنت أنه عقب غزو قمبيز لمصر جعل عواطفه طيبة نحو مصر ومعبوداتها وبخاصة نحو معبودة مدينة سايس " نيت " ويبدو أنه فى بداية الغزو تعرضت المعابد المصرية للتخريب والنهب والحريق . ولذلك أمر قمبيز بطرد المعتدين من المعابد وإخراجهم منها بعد أن استقروا فيها ، كما أمر بإصلاحها مما يؤكد أن جنوده عسكروا فى داخل هذه المعابد بعد نهبها .

(١) عن المعبودات الأجنبية فى مصر ، راجع :

Stadelmann, Syrisch-Palastinensische Gottheiten in Agypten, PA 5 (1967), p. 5; LA11, p. 643; Helck, Beziehungen, p. 446-473; Hart, A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, London 1986, p. 150.

(٢) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ، ١٠٧ ؛ د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢١ حاشية (١) .

(٣) د. أيفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة شاكرا إبراهيم) ، ص ٧٢ .

وأمر كذلك بإعادة كل عبيد معبد نيت وخدمه وكهنته ، وتجديد أعياده واحتفالاته ،
وزار قمبيز بنفسه مدينة سايس ودخل معبد نيت وقدم القرابين للمعبودة كما كان
يقدمها كل الملوك . (١)

اكتسب معبد آمون فى سيوة شهرة كبرى فى القرن السابع ق.م ، لأنه كان
يحتوى على تمثال الوحي لآمون (٢) ، وكان يقصد هذا المعبد الكثيرون ليسألون كهنة
آمون وتمثال الوحي ، وحدث أن سئل كهنة الوحي فى سيوة عن قمبيز وغزو الفرس
لمصر ، فجاء الجواب بأن الفرس سيرحلون وأن قمبيز سيلقى سؤ المصير .

ويقال أن قمبيز أرسل جيشا كبيرا عبر الصحراء الغربية لهدم معبد سيوه .
ولكن هذا الجيش هلك بأكمله فى الصحراء ولا يزال مغمورا تحت رمال الصحراء
الغربية حتى الآن .

وعندما جاء دارا بن قمبيز إلى مصر حاول أن ينتهج سياسة جديدة وأمر
بالاستمرار فى الإصلاحات وإتمام معبد الخارجة الكبير الذى بدأ فى تشييده أمازيس ،
وكان مخصصا للمعبود آمون ، وشيد من الحجر الرملى على غرار المعابد
المصرية . (٣) كما أصدر أوامره إلى الحكام الفرس فى مصر بمراعاة شعور الناس
وتقديم القرابين للمعبودات المصرية وأظهر تقديره للديانة المحلية وبخاصة عبادة
العجل ابيس الذى كان لعبادته فى ذلك أهمية كبرى فى مصر فأمر بإعادة دفن العجل
ابيس على الطريقة التى كان يتبعها ملوك مصر الوطنيين وكان دارا يحمل لقب ابن
نيت معبودة سايس (٤) . وكان لهذا التسامح أثره بين الفرس فبدأ كثيرون منهم فى
اعتناق الديانة المصرية . (٥)

-
- (١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٦٢٠ .
(٢) عن هذا التمثال ، راجع : د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ،
الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦ - ٢٧ .
(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٢١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢٣ .
(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ - ٤٣٠ .

أما عن تأثير الديانة المصرية القديمة في عقائد الشعوب والقبائل التي تقع غرب مصر ، فأنا لا نعلم الشيء الكثير عن هذا التأثير ، ومما يدل على وجود هذا التأثير منذ أقدم العصور ، العثور على نص في معبد ساحورع بإبي صير من الأسرة الخامسة ، يربط بين المعبودة نيت معبودة سايس في غرب الدلتا وبين قبائل التحمو الذين كانوا يحبون الوشم ، وأحب أنواعه لديهم رمز المعبودة " نيت " (١).

وأما عن تأثير الديانة المصرية القديمة في عقائد المفكرين والحكام ومن جاءوا من الشمال :

فمن الشمال جاء أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م) إلى مصر فيما بين عامي ٣٩٧ ، ٣٩٥ ق.م . نجد أنه قضى عامين كاملين في ايونو معقل الكهنوت المصري . وقد تأثر في آخر مؤلفاته le Timeée بالديانة المصرية وشبه المعبودة نيت معبودة سايس في غرب الدلتا بالمعبودة اثينا وخاصة في الفقرة ٢٣ .

وفي نوفمبر من عام ٣٣٣ ق.م انتصر الاسكندر على دارا في معركة اسوس في كيليكية . وفي خريف عام ٣٣٢ ق.م استسلم الوالي الفارسي على مصر دون القتال ، ودخل الاسكندر منف وأظهر احترامه الكامل لعادات البلاد وديانته ، وحرص كل الحرص على أن يتم تتويجه ملكا على مصر وفق التقاليد القديمة . فقام بتقديم القرابين للمعبودات المصرية وأغدق الهبات على المعابد وأمر بإصلاحها فزادت محبة المصريين له . ولم يكتف الاسكندر بتتويجه في منف وايونو بل زار معبد آمون في سيوه حيث استقبله كبير كهنتها ورحب به مما يدل على التأثير الديني لكهنة آمون على شخصية الإسكندر (٢) . وقد تركت هذه الزيارة أثرا كبيرا في نفس

(١) تاريخ مصر وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٩٠ .

(٢) يقال أنه بعد رجوعه من هذه الزيارة أمر بتخطيط مدينة الإسكندرية لتكون مركزا للمواصلات بين الشرق والغرب ، راجع :
===

=== ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٤٤ . عثر فى تمى الأمديد بالقرب من السنبلاتين على فيسفساءة ، محفوظة الآن بمتحف الإسكندرية ، صورت فيها الإسكندرية بوصفها سيدة البحار ، فقد رمز إلى الإسكندر بسيدة على رأسها تاج بحرى وعلى كتفيها عباءة حربية ، وفى يدها اليسرى رمز الانتصارات البحرية ، وهذه الزخرفة مأخوذة عن زخرفة خشبية كان يزين بها مؤخرة السفن (راجع د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٧٥) عن الإسكندرية وتأسيسها راجع د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٧٠ - ٣٢٢ .

(١) زار الاسكندر معبد الوحي فى سيوة ، وكان يريد أن يحقق ثلاث غايات :

- إثبات صلة نسبه بالآلهة ، ويثبت أنه ابن آمون .
- الحصول على دعم أمام رأى الدولى على تأييد الآلهة آمون لمشروعاته التى كانت ترمى إلى بسط سيادته على العالم القديم .
- أن يقتفى أثر برسيوس وهرقل اللذين يقال أنهما تزودا بمشورة آمون سيوة قبل أن يقدموا على جلائل أعمالهما ، راجع د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ٢١ - ٢٣ .

ويقال أنه فى حى كوم الدكة كانت توجد السيمة ، وهى المعبد الجنائزى الذى دفن فيه الإسكندر داخل تابوت من الذهب (راجع د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، ص ٢٨٦ حاشية (١) ، وتحديثنا المصادر أنه فى أواخر عام ٣٢٢ نقل جثمان الإسكندر من بابل إلى سوريا ، وهناك استقبله بطلميوس على رأس حامية قوية ونقله إلى مصر ، حيث دفنه أولا فى منف ثم نقله بعد بضع سنين إلى الإسكندرية ، راجع د. نصحي المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٢ ؛ د. محمود السعدنى : قبر الإسكندر الأكبر (احتمالات موقعه وشكله - دراسة تاريخية أثرية) القاهرة ١٩٩١ ، ص ٦٨ - ٨٠ .

ودخلت مصر منذ ذلك العهد فى دور جديد من أدوار تاريخها خصوصا .
بعد تأسيس أسرة البطالمة . وبعد ذك حكم أسرة الأباطرة الرومان . وكان الملوك
الأجانب حريصين على التقليد بملوك مصر القدماء ويظهرون فى نقوش جدران
المعابد وهم يتعبدون إلى المعبودات المصرية .

واستسلم اليونانيون للطقوس الدينية المصرية ، لقد عرض الفكر اليونانى
على الشرق الفلسفة وعرض الشرق على الفكر اليونانى الديانة ، وكانت الغلبة
للدين ، لأن الفلسفة كانت ترفا يقدم للأقلية من الناس ، بينما الدين سلوى للكثيرين
منهم ويرضى وجدان الإنسان .^(١)

كانت سياسة التقرب إلى المعبودات المصرية من اهم الأسس التى أقام عليها
البطالمة سلطتهم المركزية فى مصر .

سياسة التقرب الدينى للبطالمة وتأثرهم بالديانة المصرية :

اتخذت سياسة التقرب الدينى للملوك البطالمة سنة اتجاهات :

إنشاء عبادة سراجيس وإيزيس وحاربوقراتس (حورس الطفل) التعبد إلى
المعبودات المصرية ، تشبيه المعبودات بالمعبودات الإغريقية ، إشراك ملوك وملكات
البطالمة فى العبادة مع المعبودات المصرية ، تشييد المعابد للمعبودات المصرية
وإغداق الهبات عليها ، اتخاذ ألقاب دينية تقربهم إلى المعبودات المصرية .

- بالنسبة للاتجاه الأول ، فقد أدرك بطلميوس الأول أن المصريين ديانة
موروثة راسخة القدم ، وأن الإغريق أحضروا معهم ديانتهم ومذاهبهم ، وكذلك وجه
همه بإنشاء ديانة جديدة تؤلف بين المصريين والإغريق ويشترك فى التعبد إلى
معبوداتها المصريون والإغريق معا . ويحدثنا بلوتارخ بان بطلميوس الأول كون
لجنة من علماء الدين ، كان من بين أعضائها الكان المصرى مانيتون والكاهن

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) ، ص ١٨٣ .

الإغريقى تيموثيوس .

وقد استقر رأى اللجنة على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثا ن يتألف من سيرابيس وإيزيس وحاربوقراتس .^(١)

وكان اختيارهم لأوزير لأنه كان أكثر المعبودات المصرية شعبية ، وكان المصريون أجمعون يستجدون حمايته ، وهو الذى علم المصريين الحضارة وهو المسيطر على عالم الآخرة ولم يكن أوزير محليا ترتبط عبادته بأقليم معين ، بل كان معبودا عاما فى مصر يمكن أن يتحد بأى معبود مصرى .^(٢)

وفى منف كان يعبد المعبود الأكبر بتاح الذى يتجسد أحيانا شخصية حابى أو أبيس ، أى أنه معبود النيل الحى فى صورة عجل ، وكان أوزير يختلط أحيانا بحعبى ويدعى اسار - حابى أو اوسار - حابى ويدعوه الإغريق اوسير - ابيس ومنها جاءت التسمية سيرابيس . وعندما فتح الإسكندر مصر ، كانت عبادة هذين المعبودين قد اكتسبت أهمية فى مذاهب منف ، فإذا أريد اتباع رغبات الناس وإقامة الديانة الجديدة على أسس قوية ، كان لابد من اختيار معبود هذه الديانة من بين معبودات منف . وكان أوزير - أبيس يتمتع بمكانة كبيرة بين الإغريق المقيمين فى مصر قبل ارتقاء بطلميوس الأول عرشها ، فإن أقدم وثيقة عن عبادته ، هى بردية إغريقية ، موجودة الآن فى المكتبة الأهلية بفيينا ، عبارة عن التماس من امرأة إغريقية تدعى ارتميسيا إلى المعبود سيرابيس لينزل نغمته على رجل انجبت منه ابنة توفيت ورهن جثتها ولم يف بدينه .^(٣)

وعندما اختار البطالمة سيرابيس كمعبود رسمى للدولة ، شيدوا له معبدا فى منف ، الذى عرف باسم السيرابيوم . وكانت تعبد معه معبودات مصرية أخرى غير

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة

الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٦ ، ص ١٨٠ .

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

أنها شبهت أيضا بالمعبودات الإغريقية ، مثل ايموحتب الذى شبهه باسكليبيوس " معبود الشفاء " عند الإغريق ، وكان هذا المعبد يقوم على أربعة أميال من منف ، بالقرب من سفح التلال التى تحد وادى النيل من الناحية الغربية ، وكان يتألف من مجموعة مبان ، تقوم على الأرض المرتفعة إلى ما وراء الأراضى الزراعية . وكانت توجد داخل الأسوار المقدسة ، هيكل للمعبودة السورية عشتارت . وداخل هذه الأسوار كان يوجد هيكلان صغيران طراز أحدهما مصرى به تمثال لسرابيس فى صورة إنسانية وطراز الآخر إغريقى ، ومن المحتمل أن الهيكل الأخير كان المخصص للمصاييح ، وفى المنطقة نفسها كانت تؤدي قاعة مكشوفة بها تماثيل لبينداروس وبروتاجوراس وأفلاطون ، وعلى حافة الصحراء بالقرب من الأراضى الزراعية ، كان يوجد معبد أنوبيس ، ومن هذا المعبد ، كان يمتد طريق مرصوف على جانبه تماثيل لأبى الهول . وكان السيرابيوم يتصل بمدافن العجول أبيس المتوفاه ، وكانت أجسادها المحنطة توضع فى دهاليز تحت سطح الأرض ، اما العجل أبيس الحى ، فكان يوضع فى هيكل فى منف يسمى ابيوم ، ويتصل بمعبد بتاح المقام فى الأراضى الزراعية . وكان العجل أبيس الحى - وهو عجل اسود جبهته شارة بيضاء ، يعتبر صورة مجسدة لمعبود النيل ويشبه أحيانا بالمعبود بتاح .^(١)

وعندما وفاة هذا الرمز الحى تشترك مصر كلها فى جنازته ويدوم الحداد فى كل مكان سبعين يوما ، وهى الفترة التى تستغرقها عملية التحنيط . وترسل كل المعابد كتانا للفائف المومياء . وعند اتمام كل شئ ، كانت المومياء تحمل فى موكب يقوده حتى معبد انوبيس وبعدها يسير الموكب فى الطريق المرصوف حتى السيرابيوم ، حيث يدفن فى غرفة أعدت لهذا الغرض فى أحد الدهاليز الى تحت سطح الأرض . وكانت الطقوس تقام له فى الدهاليز التى تحت سطح الأرض .^(٢)

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

وقد استمرت عبادة العجل المقدس فى منف حتى العصر الرومانى ، ونجد اسم سيرايبس مذكورا فى الوثائق الديموطيقية والإغريقية التى عثر عليها هناك .

وتذكر الوثائق أنه كن يوجد ، فى وقت متأخر من عصر البطالمة داخل أسوار المعبد ، مركز للشرطة وسجن يتصل به ومكتب حكومى لتحرير الوثائق ومكتب لممثل حاكم مقاطعة منف .^(١)

وبعد ذلك أنشئ لسرايبس معبد كبير فى الإسكندرية فى الحي الشعبى الذى كان يقع فى موقع قرية راقودة القديمة ، وأصبح معبد الإسكندرية هو المعبد الرئيسى الرسمى لهذه العبادة . والحق بسرايبس الزوجة إيزيس والأبن حورس وأصبح الثالوث المقدس يذكر فى الوثائق الرسمية . وكانت العبادة فى هذا المعبد تقام وفقا للطقوس المصرية .^(٢)

وشيد معبد لسرايبس فى ابيدوس ، ويستدل على ذلك من لوحات زينت حسب التقاليد المصرية بمناظر تمثل أوزير ، وهو يستقل الموتى ، ووجهت الدعية على اللوحات بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى إلى أوزير ، أما التى كتبت بالخط اليونانى فإنها وجهت إلى سرايبس^(٣) . وقد وجدت لوحات مماثلة فى مقابر الفيوم وسقارة .

وعندما انتشرت عبادة سيرايبس خارج مصر فى العالم الأغريقى ، بقى أصله المصرى واضحا جليا بالرغم مما أدخل على هذا المعبود من الصفات الهلينية ، فانه كان يشرك دائما مع معبودات مصرية صميمة مثل إيزيس وأنوبيس وحورس والعجل ايبس ، وكانت طيور الأوز تقدم كقرايين لسرايبس^(٤) . ولاكتساب

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ حاشية (٢) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

سيرابيس مكانة عظمتى نشر فى الناس أن هذا المعبود يقوم بمعجزات جليلة لأنه يشفى المرضى ، وشبه بالمعبود اسكليبيوس معبود الشفاء عند الإغريق . (١)

ومنذ عصر بطلميوس الرابع بدأت تتضاءل مكانة سيرابيس وازدادت مكانة إيزيس ، فلم يأت آخر عهد بطلميوس السادس (فيلومتور) حتى أصبحت إيزيس بلاد من سيرابيس أهم معبودات الإسكندرية . (٢)

- وبالنسبة للاتجاه الثانى نقول أن الديانة المصرية تركت فى نفوس الإغريق أثرا بينا ، بسبب قدم عهدا وغموض أسرارها . فكانوا يتعبدون لأوزير وسيرابيس وإيزيس وأنوبيس وحورس . وكانوا لا يجدون حرجا فى دخول المعابد المصرية وتقديم القرابين للمعبودات المصرية ، على أساس أنهم كانوا نزلاء فى تلك البلاد التى تتمتع بحماية المعبودات المصرية . وأنه كان من سداد الرأى اكتساب عطف هذه المعبودات بإظهار إجلالهم لها . فعبدوا إلى جانب المعبودات التى ذكرناها ، المعبودات بس وتاورت وسبك ، الذى حور الإغريق أسمه تحيرا طفيفا ، فأصبح يعرف باسم سوخوس . (٣)

ويحدثنا نقشان من الفيوم ، أحدهما من عام ٩٨ ق.م والآخر من عام ٩٥ ق.م عن قيام شابين من الإغريق بإهداء قطعة أرض مقدسة إلى المعبود " سوخوس (أى سبك) العظيم جدا " وكان القواد اليونان يتنافسون فيما يقدمونه من

(١) وشبه سيرابيس أيضا بديونيسوس معبود البعث والخمر وهاديس (بلوتو) معبود عالم الآخرة ، وهيليوس معبودة الشمس والوحي ، وزیوس كبير المعبودات ولقبوه بسيد العالمين ، راجع د. مصطفى العبادى : مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص ٥٢ ؛ ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٥٣ - ٥٦ حاشية (٢) .

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

الهبات إلى المعابد المصرية . وترينا النقوش من أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الأول ق.م أن الإغريق يشغلون مناصب رفيعة ويتمتعون بمكانة اجتماعية كبيرة كانوا يتعبدون إلى معبودات مصرية مثل حورس وباستت (١).

وزادت ألفة الإغريق بالمعبودات المصرية كلما طال استقرارهم فى البلاد وزاد اختلاطهم بأهالى البلاد فكثرت تقربهم إلى هذه المعبودات بالعبادة وتقديم القرابين ومختلف أنواع الهبات .

- أما بالنسبة للاتجاه الثالث ، فنجد أنه منذ العصر الذى زار فيه هيرودوت مصر درج الإغريق المقيمين فى البلاد على تشبيه المعبودات المصرية بالمعبودات الإغريقية فشبهوا المعبود بتاح بهفايستوس فى الإسكندرية ، ونبت بالمعبودة أثينا . وفى نص قورن أبولو بالمعبود المصرى التمساح سوخوس ، وفى نصوص أخرى ذكرت افروديتى مع معبود التمساح سوخوس (٢).

وأحيانا أخرى كانوا يشبهون أيضا ابوللو بحورس ، وأثينا بتاورت ، وهيرا بنيت ، وديمتر بموت (٣) . وهرمس بتحوتى ، واسكليبيوس بايموحتب ، وزيوس بآمون ، وهليوس برع (٤) . وكانوا يشبهون إيزيس بديمتر وافروديتى وهيرا وأثينا (٥).

كما أطلق الإغريق على المدن التى تعبد فيها المعبودات المصرية الرئيسية أسماء إغريقية مثل ديوسبوليس وهيراكليونبوليس وأبولونوبوليس ولاتونوبوليس وكروكديلوبوليس وهرموننتيس مما يدل على أن هذه التشبيهات أصبحت معترفا بها

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

رسميا (١).

- أما بالنسبة للاتجاه الرابع ، فقد بقيت المعتقدات القديمة الخاصة بالميلاد المقدس للملك المصرى من المعبودات المصرية سائدة فى أيام البطالمة وكذلك إشراك ملوك وملكات البطالمة فى العبادة مع المعبودات المصرية . فكانت هناك نصوص مصرية تحدثنا عن المولد المقدس للملك المصرى ، مثل النصوص الخاصة بهذا الميلاد المقدس للملكة حاتشبسوت فى معبد الدير البحرى وأمنحتب الثالث فى معبد الأقصر ورمسيس الثانى فى معبد الرمسيوم وفى أماكن أخرى ، أما فى عهد البطالمة فكان يخصص معبد صغير لهذا الغرض أطلق عليه اسم الماميزى أى بيت الولادة (٢) وكان هذا المعبد الصغير يقام إلى جانب كل معبد من المعابد التى يعبد فيها ثالوث مقدس ، ويمثل المعبد الصغير صورة المكان السماوى الذى أنجبت فيه المعبودة المعبود الابن ، أى حورس الطفل الذى كان يرمز لمولد الملك .

ونظرا لأهمية هذا الاعتقاد فى أيام البطالمة نجد أنه عندما أنجبت كليوباترا السابعة فى ٢٣ من يونيو عام ٤٧ ق.م . طفلا ذكرا من يوليوس قيصر ، ولم تكن تجرى فى عروق هذا الطفل الدماء المقدسة ، فنجد أنها صورت على جدران معبد أرمنت قصة تشبه قصة حاتشبسوت فى معبد الدير البحرى وقصة أمنحتب الثالث فى معبد الأقصر . (٣)

أما بالنسبة لإشراك ملوك وملكات البطالمة فى العبادة مع المعبودات المصرية ، كان تقليدا مرعيا منذ عهد بطلميوس الثانى ، فكان الملك بطلميوس وزوجه يعتبران معبودين شريكين للمعبودات المصرية فى المعابد التى أقيمت من أجل تلك المعبودات وأن جدران المعابد كانت تزين بصورهما فى زى الملوك المصريين التقليدى وتسجل تقواهما وما جاء به من خيرات .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وتحدثنا لوحة مندرس بأن بطلميوس الثانى أشرك زوجة ارسينوى الثانية مع كبش مندرس ومع المعبود آتوم فى بيثوم ومع نيت فى سايس وبتاح فى منف وموت فى الكرنك ومونتو وخونسو فى الكرنك وسبك فى الفيوم وإيزيس فى فيلة . ونتبين من قرار كانوا أن ملوك البطالمة الأوائل كانوا يعتبرون أنفسهم فى منزلة المعبودات المصرية فى كل المعابد ويشركون فى العبادة وأن القرابين كانت تقدم لبطلميوس الرابع ثلاث مرات شهريا ، وذلك إلى جانب الاحتفال بأعيادهما السنوية ، مثل عيد ميلاد الملك وعيد ارتقائه العرش . (١)

- بالنسبة للاتجاه الخامس ، فكان الإغريق يكتنون للديانة المصرية احتراما عميقا . ولما كان الباعث هذه السياسة هو رغبة البطالمة فى توطيد دعائم ملكهم فأنهم لم يألوا جهدا فى العمل على إظهار إجلالهم واحترامهم للديانة المصرية . فقد رأينا من قبل حرصهم على إيجاد عبادة رسمية موحدة وتعبد لهم لبعض المعبودات المصرية وتشبيه المعبودات المصرية بالمعبودات الإغريقية وتمسكهم بتقاليد الميلاد المقدس واشتراكهم فى العبادة مع بعض المعبودات المصرية . فنجد أنهم اتبعوا وسائل شتى لإظهار هذا التقدير للديانة المصرية فى تقديم القرابين ، وإرجاع تماثيل المعبودات التى كان الفرس قد أخذوها من البلاد ، ومنح المعابد هبات مالية وأراضى ، وإنشاء المعابد والهيكل وإصلاحها وزخرفتها ، ومنح المعابد حق حماية اللاجئين إليها . (٢)

فابتداء من الإسكندر الأكبر إلى بطلميوس الثانى عشر وكليوباترا السابعة
عمل البطالمة على إظهار احترامهم للديانة المصرية .

فعندما نزل الإسكندر الأكبر فى منف كان همه الأول يتقدم القرابين للمعبودات الوطنية والعجل المقدس أبيس . وبعد ذلك وضع أساس معبد إيزيس فى الإسكندرية . وأقام فى معبد الأقصر أمام قدس الأقداس ، هيكل صغيرا عليه صور

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

تمثل الإسكندر فى حضرة المعبودات آمون وموت وخونسو ، الذين أهدى إليهم هذا الهيكل . وأصلح الإسكندر مدخل البوابة التى كانت تكون الواجهة الغربية فى معبد الكرنك من أيام تحوتمس الأول ، وإنشاء معبدا فى الواحة البحرية (١).

وما كاد بطلميوس الأول (سوتر = المنقذ) يظأ أرض مصر ، حتى بادر بالتبرع بمبلغ قدره خمسون تالنتا للاحتفال بجنائزة أحد العجول المقدسة . وعلى لوحة الوالى التى عثر عليها فى القاهرة عام ١٨٧١ يعطينا النص صورة صادقة لمجهودات بطلميوس الأول فى إعادة الممتلكات الخاصة بمعبدى ب ودب (بوتو) التى نهبت فى أيام الفرس . وأعاد الملك إنشاء قدس الأقداس فى معبد الكرنك باسم فيليب ارهيداوس . وزخرف باسم الإسكندر الرابع قاعة احتفالات تحوتمس الثالث بالكرنك . كما شيد هيكلا فى بنى حسن وأقام بوابة أمام معبد الفنتين ، صور عليها الإسكندر الرابع وهو يتعبد إلى المعبود خنوم (٢).

أما بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) فلم يتوان فى إظهار إجلال واحترامه للمعبودات . فتذكر لنا لوحة بيبثوم أن الملك زار معبد اتوم فى شرق الدلتا ثلاث مرات فى العام السادس من حكمه وزار بلاد فارس وأحضر من هناك تماثيل المعبودات المصرية . أما الزيارة الثانية فى العام الثانى عشر عندما أصطحب معه زوجة الملكة ارسينوى الثانية وأجزل الهبات لمعبودات بيبثوم أما الزيارة الثالثة فكانت فى العام الحادى والعشرين عندما منح المعابد المصرية هبة مالية قدرها ٧٥٠ ألف دبن وهو ما يوازى ٣١٢٥ تالنت من الفضة .

وشيد عددا من المعابد المصرية فأقام للمعبودة إيزيس معبدا فى جزيرة فيلة وآخر فى بهبيت الحجر بالقرب من سمهود مكان معبد نختنبو الأول . وشيد معبدا صغيرا لايحوتب فى فيله ، وشيد كذلك معبدين آخرين أحدهما فى مهندس والآخر فى نقراطيس ، وأقام بوابة أمام معبد موت فى الكرنك . (٣)

-
- (١) المرجع السابق ، ص ٢٨ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

أما عن سياسة بطلميوس الثالث (يورجتيس = الخير) ، فإن مرسوم كانوب يحدثنا عن هذه السياسة الدينية ، وإن الملك زوجة لا يدخران وسعا في العناية بآبيس ومنيفس وغيرهما من الحيوانات المقدسة المشهورة مهما كلفهما ذلك من النفقات .

وأن الملك قام بحملة في الخارج أعاد إلى مصر التماثيل المقدسة التي كان الفرس قد أخذوها معهم . ويعتبر مرسوم كانوب عبارة عن قرار أصدره مجمع الكهنة ، الذي انعقد في كانوب في ٦ مارس عام ٢٣٧ . وقد وصلت إلينا ثلاث نسخ من هذا المرسوم ، عثر على أولها في عام ١٨٦٥ بين أطلال تانيس ، ووجدت الثانية في عام ١٨٨١ ، وهاتان الوثيقتان موجودتان الآن في المتحف المصري . أما النسخة الثالثة فإنها محفوظة في متحف اللوفر .

أما عن المنشآت الدينية التي أقامها هذا الملك ، فإنه أكمل معبد إيزيس في فيلة ، الذي لم يتم بناؤه في عهد أبيه بطلميوس الثاني ، كما عثر في جزيرة بيجه المجاورة لجزيرة فيلة على بقايا معبد وجد عليها اسم بطلميوس الثالث وأسماء بعض الملوك المصريين .

وقد بدأ في إقامة معبدا لإيزيس في أسوان ، وشيد معبدا صغيرا في اسنا ، وشيد الباب الخارجي لمعبد بتاح والمدخل الأكبر لمعبد خونسو والجزء الشمالي لمعبد مونتو بالكرنك وشيد معبدا جديدا لأوزير في كانوب . ولكن لعل أهم آثار هذا العاهل هو معبد حورس في ادفو الذي وضع أساسه في ٢٣ أغسطس عام ٢٣٧ ق.م ، إلا إن بناؤه وزخرفته لم يتما إلا ٥ ديسمبر عام ٥٧ ق.م في عصر بطلميوس الثاني عشر .^(١)

وتحدثنا لوحة بيثوم ، التي حفظت لنا القرار الذي أصدره مجمع الكهنة في منف في نوفمبر عام ٢١٧ ، عن اهتمام بطلميوس الرابع (فيلو باتور = المحب لأبيه) بإظهار إجلاله للمعبودات والديانة المصرية .

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٤ .

وتحدثنا هذه الوثيقة بأنه ما كاد يصل إلى علم الملك أنه قد لحق ببعض التماثيل الخاصة بالمعبودات المصرية في فلسطين كثير من الأذى ، حتى اصدر أمرا تكريما لها ألا يتعرض لها أحد ثانية بمكروه ن وذلك رغبة منه في أن يدرك جميع الأجانب عظيم اهتمام الملك بمعبودات المصريين وشده وحرصه عليها . وكذلك أمر بأن تنقل إلى مصر كل مومياوات الحيوانات المقدسة ، وبأن يقام لها احتفال عظيم وتدفن في مقابرها ، وبأن ينقل إلى معابدها في مصر في حفل تكريم ما وجد مشوها من التماثيل . وكان الملك مهتما بأمر التماثيل المقدسة التي نقلت من مصر إلى آشور وفينيقيا عندما انتهك الفرس حرمة المعابد المصرية .

كما وجه اهتمامه إلى المنشآت الدينية ، فقد أسهم في بناء معبد حورس في أدفو ذلك المعبد الذي بدأه أبوه ، وتحدثنا نقوش هذا المعبد بأنه " قد تم بناء قاعة قدس الأقداس للمعبود حورس الذهب في السابع من شهر أبيب في السنة العاشرة من حكم الملك بطلميوس فيلوباتور ، وزينت جدرانها بنقوش بديعة وبالاسم الأكبر لصاحب الجلالة وبصور معبودات أدفو وفي العام السادس من حكم جلال الملك ، تم بناء مدخلها الأكبر (أو المدخل الأكبر للمعبد) والباب المزدوج لردهته الكبيرة ... " .

وقد بدأ فيلوباتور في بناء معبد دير المدينة غربى النيل ، كما حاول إتمام المعبد الصغير الذى بدأه أبوه فى الفنتين ، وشيد المقصورة الداخلية من المعبد الذى شيد شرقى المعبد الكبير فى فيلة . وشيد فيلوباتور معبدا لمعبودات الجندل الأول على جزيرة سهيل جنوبى أسوان ، وأضاف إلى مباني معبد إيزيس فى أسوان الذى بدأه أبوه ، ولكن لم يتم بناء هذا المعبد حتى اليوم ^(١) . وشيد بطلميوس الرابع معبدا لحاربوقراتس فى الإسكندرية ^(٢) .

ونسطيع الوقوف على مدى اهتمام بطلميوس الخامس (ابيفانس) بالديانة المصرية من مرسوم حجر رشيد الذى أصدره مجمع الكهنة فى منف فى عام ٢٧

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

مارس عام ١٩٦ ق.م ، ويحدثنا هذا المرسوم بان بطلميوس الخامس قام بخدمات كبيرة . للمعابد والمعابدات واحيا ما أهمل من طقوس خاصة بالمعابدات . وقد الهدايا إلى أبيس ومنيفس وسائر الحيوانات الخرى المقدسة فى مصر أكثر مما قدم إليها الملوك الآخرون ، ووجه عناية كبرى إلى دفنها وما يقدم إلى هياكلها ، وصرف مبالغ طائلة فى زخرفة معبد أبيس ، وأسس معابد وهياكل ومذابح عديدة . وأن يقام فى كل المعابد سنويا إجلالا للملك يدوم خمسة أيام ، وأن يكتب هذا المرسوم على لوحة من الصخر بالهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية .

كما ساهم ابيفانس فى إتمام معبد ادفو العظيم، وأتم معبد ما أقامه أبوه فى جزيرة فيلة وشيد مدخل معبد أيمحوتب فى هذه الجزيرة . (١)

أما بطلميوس السادس (فيلو متور = المحب لأمه) فقد ساهم بدوره فى تكملة معبد ادفو اذ تحدثنا نقوش هذا المعبد بأنه " فى أول شهر طوبة فى العام الخامس من حكم بطلميوس فيلومتور ، وضعت البوابة الخشبية الكبيرة فى قاعة المنتصر الأعظم وكذلك الأبواب المزدوجة فى بهو الأعمدة الثانى ، واستؤنف العمل ثانية داخل قاعة الأسلحة فى العام الثلاثين من حكم هذا الملك " .

كما شيد فيلومتور معبد سبك وحورس فى كوم امبو، وبدأ بناء معبد خنوم فى أسنا ، وبنى هيكلًا فى معبد موت بالكرنك ، وأضاف مدخلا إلى معبد بتاح بالكرنك ، وأقام هو وأخوه بطلميوس الثامن بابا فى معبد آمون رع بالكرنك . وأضاف بهو إلى معبد انطيوخبوليس (قاو الكبير) وساهم فى اكمال معبد إيزيس الكبير فى فيلة . وبدأ فى إقامة معبد لحتحور فى هذه الجزيرة ، وأضاف بوابة إلى الهيكل الذى أقامه الملك النوبى ازاخر آمون فى دبود وهى تقع جنوبى فيلة بنحو عشرة أميال . (٢)

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

ولا نعرف أى شئ عن سياسة التقرب الدينى لبطلميوس السابع (نيوس فيلوپاتور) .

ونتبين مدى اهتمام بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى) بشئون الديانة المصرية من القرار الذى أصدره فى عام ١١٨ ق.م . وقيام خزانة الملك بدفع نفقات دفن العجول المقدسة . كما تحدثنا نقوش معبد أدفو عن الأراضى التى وهبها البطالمة لهذا المعبد ، حتى أنه فى نهاية عهد بطلميوس الثامن كان هذا المعبد يملك أراضى فى أربع مناطق ، تبلغ مساحتها أربعة عشر ميلا مربعا وربع الميل أما المنشآت الدينية التى قام بها الملك فمتعددة ، ونجد بين نقوش معبد أدفو النص التالى " استمر العمل حتى اليوم الثامن عشر من شهر مسرى فى العام الثامن والعشرين من حكم بطلميوس يورجتيس الثانى وزوجته الملكة كليوباترا ، لاتمام نحت النقوش على الحجر ، وزخرفة الجدران بالذهب والألوان ، وضع الأبواب من الخشب وعمل قممها من البرونز الجيد وعمل إطارات الأبواب ومزاليحها ، وتثبيت ألواح ذهبية على الأبواب ، وإتمام الجزء الداخلى من المعبد " .

وقد أقام هذا هيكلًا للمعبودة ابيت فى الكرنك ، وقام بإضافات إلى معبدى دير المدينة و مدينة هابو ، وشيد بالقرب من المعبد الأخير هيكلًا صغيرًا للمعبود تحوتى ، وبدأ بناء معبدا فى الكاب ، وأضاف بيت الولادة إلى معبد كوم أمبو ، وأقام مسلتين صغيرتين من الجرانيت أمام معبد إيزيس الكبير فى فيلة ، وأضاف إلى الفناء الخارجى فى هذا المعبد دهليزا من الأعمدة ، وأتم معبد حتحور فى فيلة ، الذى بدأه أخوه بطلميوس السادس ، وأضاف إلى معبدى دابود ودكة (١).

وتحدثنا نقوش معبد أدفو بأن الأخوين : بطلميوس التاسع (سوتر الثانى) بطلميوس العاشر (بطلميوس الإسكندر الأول) ، أعطيا معبدا أدفو هبات من الأراضى مساحتها خمسة أميال مربعة وربع الميل . وقد منح بطلميوس العاشر فى عام ٩٥ ق.م معبد اتريب حق حماية اللاجئين . وأضاف بطلميوس التاسع إلى مبانى معبد مدامود ، وأعاد بناء بوابة طهرقا فى معبد مدينة هابو ، وأتم معبد الكاب ، وشيد

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .

أقبية معبد دندرة ، وأتم بيت الولادة الذى بدأه بطلميوس الثامن أمام معبد حورس فى أدفو ، وأضاف إلى هذا المعبد الفناء الخارجى ، بما فيه من أعمدة وعدة اثنتان وثلاثون عمودا ، وأضاف إلى معبد إيزيس الكبير فى فيله ، ونجد آثار منشآت هذا الملك فى كلابشة (تالميس) بالنوبة وفى الواحة الخارجة . أما بطلميوس العاشر فإنه أعاد بناء معبد دندرة ، وأتم المنشآت التى كان أخوه قد بدأها ، وأتم الجدار الخارجى الذى يحيط بمعبد أدفو ^(١) . ولا نعلم أى شئ عن سياسية التقرب الدينى لبطلميوس الحادى عشر (بطلميوس اسكندر الثانى) .

وأقام بطلميوس الثانى عشر (اوليتس أى الزمار) ^(٢) وكيلوباترا السابعة عدة منشآت دينية . فقد أقام بطلميوس العاشر مذبحا لإيزيس وخم وهه فى قفط ، وأتم بناء وزخرفة معبد أدفو ، ووضع أبوابا برونزية للبوابة الكبرى فى هذا المعبد ، وزين هذه البوابة بمناظر تمثله وهو يضرب أعداءه فى حضرة حورس معبود أدفو وزوجة حتحور معبودة دندرة ، وقد ساهم أيضا فى إتمام بناء الجزء الرئيسى من معبد كوم امبو وشيد البوابة الخارجية لهذا المعبد . ونجد صورة وخرطوشة فى عدد من المعابد فى جزيرتى فيلة وبيجه ، وفى الكرنك ودندرة ، مما يدل على أنه خصص جانبا من عنايته وأمواله للديانة المصرية . ^(٣)

وليس أدل على اهتمام الملكة كليوباترا السابعة بالديانة المصرية من ذهابها فى خلال العام الأول من حكمها إلى الوجه القبلى ، حيث اشتركت بنفسها ، على رأس جمع حاشد من رجالها وكهنة طيبة وأرمنت فى موكب بوخيس ، عجل أرمنت

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) أتخذ بطلميوس الثانى عشر لقب فيلوباتور فيلادلفوس ، لكنه لم يلبث أن أضاف إلى ذلك أيضا لقب " نپوس ديونیسوس " ، راجع د. إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ ، ص ٢٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

المقدس ، وكان يعتبر الصورة المجسدة للمعبود رع ، الذى كانت هى ابنته ، ويضاف إلى ذلك إنها أقامت معبدا فى ارمنت ، صورت على جدرانه القصة التى زعمت فيها أنها أنجبت قيصرين من المعبود آمون رع ، فضلا عن ذلك فأنها أمرت بتصوير نفسها هى وقيصرين على جدران معبد دندرة .^(١)

- وبالنسبة للاتجاه السادس والأخير ، نجد أن ملوك البطالمة ومن قبلهم الإسكندر الأكبر كان يحملون ألقابا دينية أو ألقابا مقدسة فى ألقابهم الرسمية ، هذه الألقاب تضاف عليهم طابع القداسة عند توليهم العرش تشير إلى أنهم مختارين من قبل المعبودات وتجعلهم تحت حماية المعبودات المصرية . وكان الملك بطلميوس الرابع أول من توج من البطالمة ملكا على نمط ملوك مصر القدماء وأول ملك من البطالمة قرن اسمه بالألقاب المصرية كاملة فى كافة الوثائق الرسمية سواء أكانت مسجلة بالهيروغليفية أم الديموطيقية أم الإغريقية .^(٢)

- فاتخذ الإسكندر الأكبر وفيليب ارهيداوس اللقب : ستب ان رع ، مري آمن : معناه " المختار من رع ، محبوب آمون " .

- الإسكندر الرابع : حع - ايب - رع ، ستب ان آمن : ومعناه " الذى ينعش قلب رع ، المختار من آمون " .

- بطلميوس الأول : مري رع ، ستب ان آمن : ومعناه " محبوب رع ، المختار من آمون " .

- بطلميوس الثانى : وسركار ع ، مري آمن : ومعناه " قوى قرين رع ، محبوب آمون " .

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

- بطلميوس الثالث : إوع أن نثروى سنوى ، ستب ان رع ، سخم عنخ ان آمن :
ومعناه : " وريث الأخوين (ادلفوى) ، المختار من رع ، الصورة الحية
لآمون :
- بطلميوس الرابع : إوع ان نثروى منخوى ، ستب ان بتاح وسر كارع ، سخم
عنخ ان آمن :
ومعناه : " وريث المعبودين الخيرين (يورجتيس) ، المختار من بتاح ، قوى
قرين رع ، الصورة الحية لآمون .
- بطلميوس الخامس : إوع نثروى مرى إتوى ، ستب ان بتاح ، وسر كارع ،
سخم عنخ ان آمن :
ومعناه : " وريث المعبودين المحبين لابيها (فيلوباتورس) المختار من بتاح ،
قوى قرين رع ، الصورة الحية لآمون .
- بطلميوس السادس : إوع أن نثروى بروى ، بتاح خبرى ، ستب ان رع ، اير
ماعت ان امن :
ومعناه : " وريث المعبودين الظاهرين (ابيفانس) ، بتاح الكائن ، المختار من
رع ، محقق عدالة آمون .
- بطلميوس السابع : لم يرد له ألقاب على جدران المعابد المصرية .
- بطلميوس الثامن : إوع ان نثروى بروى ستب أن بتاح ، اير ماعت رع ، سخم
عنخ ان امن :
ومعناه " وريث المعبودين الظاهرين (ابيفانس) المختار من بتاح ، محقق عدالة
رع ، الصورة الحية لآمون .
- بطلميوس التاسع : اوع نثروى منخوى ، مرى موت ، ندج ، ستب ان بتاح ،
اير ماعت رع ، سخم عنخ آمن :

ومعناه : " وريث المعبودين الخيرين (يورجتيس) ، المحب لأمه ، (فيلو متور) ، المنقذ (سوتر) ، المختار من بتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون " .

- بطلميوس العاشر : اوع ان نثر منح ، سانشرت منخت رعت ، ستب ان بتاح ، اير ماعت رع ، سنن عنخ ان امن :

ومعناه : " وريث المعبود الخير (يورجتيس) ، ابن المعبودة الخيرة (يورجتيس رعيت ، المختار من بتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية المطابقة لآمون " .

- بطلميوس الحادى عشر : لم يرد له ألقاب على جدران المعابد المصرية .

- بطلميوس الثانى عشر : اوع بانثر انتى تمم ، ستب ان بتاح ، اير ماعت رع ، سخم عنخ أن آمن :

ومعناه : " وريث المعبود المنقذ (سوتر) ، المختار من بتاح ، محقق عدالة رع ، الصورة الحية لآمون " .^(١)

ويتبين لنا أن ملوك البطالمة ومن بعدهم الرومان كانوا يستندون فى حكمهم لمصر القديمة إلى حق الملوك المقدس طبقا لمعتقدات المصريين الدينية .

ووفقا لهذه المعتقدات كان الملك دون سائر البشر يتمتع بصفة القداسة فى حياته ولذلك فإنه كان المخلوق الوحيد الذى يستطيع الاتصال بالمعبودات ومن ثم كان الكاهن الأكبر لكل المعبودات .^(٢)

ويلاحظ فى هذه الألقاب ورود أسماء ثلاثة معبودات مصرية : رع ، بتاح ، آمون وذلك لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن المعبود رع كان أول الملوك

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ - ٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣ ، ٧ - ٨ .

المعبودات الذين حكموا مصر وهو جدهم العلى ، وكان الكهنة يدخلون فى روع الناس أن الملك الذى آل إليه العرش قد أنجبته أمه من المعبود الأكبر فى ذلك الوقت، وتدل نقوش الأمثلة الواقعية التى لدينا على أنه المعبود رع فى عصر الدولة القديمة وذلك من قصة خوفو والسحرة التى تقص علينا أن الثلاثة ملوك الأوائل فى الأسرة الخامسة كانوا من صلب رع . وأصبح آمون يؤدى هذا الدور فى عصر الدولة الحديثة ، وأن الملكة حاتشبوت وأمنحتب الثالث ورمسيس الثانى قد ولدوا من صلب آمون . أى أن هؤلاء الملوك كانوا يدينون لهذه المعبودات بمولدهم المقدس ، وبما اسبغوه عليهم من نعم السيادة والقوة والخلود . هذا بالإضافة إلى أن المعبود بتاح يعد من أقدم المعبودات المصرية وكان يعتبر من معبودات الخليفة والنشأة .

وتحدثنا النقوش أن نختبو الثانى آخر الملوك الوطنيين عندما طرده الفرس فى منتصف القرن الرابع ق.م ، لم يفر إلى بلاد النوبة بل إلى مقدونيا حيث وقع فى حب ملكتها وأن المعبود آمون قد تقمص صورة نختبو الثانى وخالط أوليمبياس وانجب منها الإسكندر ، وقال للملكة : " إفرحى أيتها السيدة لأنك حملت منى ابنا سيثأر لك ويحكم العالم أجمع " (١) . ونرى فى هذه القصة تشابها كبيرا بينها وبين قصة حاتشبوت وأمنحتب الثالث وأن الإسكندر أعتنق التقاليد المصرية ليؤكد أنه خليفة الملوك السابقين وأنه ابن المعبود آمون .

ومما يؤكد هذا الاتجاه عند الملوك البطالمة أنه جاء فى نص لوحة بيثوم الذى هو عبارة عن نص أصدره الكهنة فى ١٥ نوفمبر عام ٢١٧ ق.م ، بمناسبة انتصار الملك بطلميوس الرابع فى معركة رفح ، اسم الملك بألقابه كاملة على نمط الملوك الوطنيين المصريين ، وكتبت هذه الألقاب الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، ويذكر النص أن : " المعبود بتاح وافق على هذا الملك " أليس يعنى ذلك أن الملك دخل قدس الأقداس فى معبد بتاح لتتويجه ملكا على مصر (٢) . وقد وردت عبارة مشابهة على حجر رشيد بالنسبة للملك بطلميوس الخامس حيث جاء :

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

" أن أباه (أى المعبود بتاح) قد نصبه ملكا " (١) مما يدل على أن أغلب ملوك البطالمة لم يجدوا مفرا من الخضوع للتقاليد الدينية المصرية المتوارثة ، كما أن ألقاب بطلميوس الخامس قد جاءت على حجر رشيد كاملة وكتبت بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية وهى الألقاب التقليدية الرسمية التى كانت تخص الملوك المصريين السابقين . (٢)

وبما أن الملك كان يدين للمعبودات بمولده المقدس ، وبما اسبغوا عليه من نعم الحياة والقوة والخلود ، فانه كان يعنى بإظهار حبه وإجلاله لهم ، واعترافا بجميلهم وضمانا للاحتفاظ بخير العلاقات بينهم وبينه ، لذلك كان الملوك يهتمون بتشيد المعابد أو بإضافة أجزاء جديدة إلى المعابد القديمة أو بإصلاح هذه المعابد وزخرفتها ، كما كانوا يهتمون بإقامة الشعائر الدينية وتقديم القرابين ومنح الهبات لها (٣) . وهذا ما قام به ملوك البطالمة والرومان لكسب عواطف المصريين وبالظهور فى ثوب جدير بخلفاء حقيقيين للملوك المصريين القوميين ، كانوا يتوجون على نهج الملوك الوطنيين ، وحمل ألقابهم التقليدية ، وارتداء زيهم الوطنى . ويؤيد ذلك هو تصوير هؤلاء الملوك على جدران المعابد فى أشكال وأوضاع مصرية صحيحة فى حضرة المعبودات المصرية (٤) . بل وتصويرهم على اللوحات فى مظاهر الإجلال للمعبودات المصرية .

ويجدر بنا أن نذكر أنه إذا كانت الديانة المصرية قد أثرت فى الإغريق وملوكهم فأظهروا جلالهم لها وقدموا القرابين لمعبوداتها ، فأننا لا نجد دليلا واحدا على أن شخصا مصرية قد قربانا لمعبود إغريقى (٥) . على الرغم من أن النقوش

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

تربنا انتشار الجيمنازيا والبلايسترا الإغريقية في مختلف أنحاء مصر واحتفاظ هذه المنتديات بمعبوداتها الإغريقية مثل ما كانت عليه الحال في بلاد الإغريق^(١).

وعند وفود الإغريق على مصر بعد الفتح المقدوني ، أحضروا معهم معبوداتهم ، وشيدوا المعابد في المدن الإغريقية الثلاث : الإسكندرية ونقراطيس وبطوليميس .

وفي أنحاء مصر الأخرى حيث كانت تقيم جالياتهم ، ومن العجيب أن الحفائر لم تكشف حتى الآن إلا عن معبد إغريق واحد في الأشمونين من عصر بطلميوس الثالث .

وتذكر النصوص معابد أخرى : معابد زيوس واسكليبيوس وديمتر وهرقل وبان وكرونوس في الإسكندرية ومعابد أبولو وزيوس وهفايستوس في منف ، ومعبد زيوس في القوصية ، وكركيوسيريس وزيوس وديونيوس واسكليبيوس في بطلميوس في جنوب سوهاج ، وزيوس اليوسينيوس وديمتر وكورا وديوسكوري وبان وتوخي في كر وكوديوبوليس (الفيوم) ومعبد ديمتر في كارانيس ، ومعبد إغريق في ليكوبوليس^(٢).

اهتم البطالمة بعبادة إيزيس ، وأقاموا لها معبدا في جزيرة الفنتين ، وأقاموا لها عدة معابد في الإسكندرية ، وما يجاورها . وقد كانت لإيزيس معابد في طول مصر وعرضها وكذلك ، ونذكر منها على سبيل المثال المعبد الذي شيده لها أبولونيوس في فيلادلفيا بالفيوم^(٣) . ولم تكن عبادة إيزيس مقصورة على المصريين والإغريق في مصر ، بل سرعان ما انتشرت هذه العبادة في حوض البحر المتوسط . وكان لها المكانة نفسها في العصر الروماني . وكان الإمبراطور الروماني

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

تيتوس ابن الإمبراطور فسبسيانوس محبا للعقائد المصرية ، وانتقلت عبادة إيزيس من مصر إلى روما منذ القرن الثانى ق.م فقد كان لها معابد فى ديلوس وفى مدينة بيرييه ، وكان يعبد بجوارها المعبود سراجيس .

وربما انتقلت هذه العبادة فى ذلك التاريخ بواسطة الإغريق الذين وفدوا إلى عاصمة الإمبراطورية الرومانية من مصر . وربما انتقلت هذه العبادة أيضا بواسطة إغريق استوطنوا جنوبى شبه جزيرة إيطاليا أو إغريق جزر البحر المتوسط . وفى بومباى ، توجد معابد وبيوت وأثاث قد نقشت عليها مراحل تطور عقيدة إيزيس فى إيطاليا . ولقد جاء عرض لها فى قصة ابيليه دى مادور . ووصلت إلى بلاد الغال وشطوط الراين شمال - شرقى الإمبراطورية .^(١)

وفى عام ١٦٨ ق.م صدر أمر بهدم معابد إيزيس وسراجيس المقامة فى روما ، إلا إن السلطات سمحت لاتباع إيزيس بأن يمارسوا شعائرهم الدينية خارج أسوار مدينة روما ، وبعد فترة من الزمان زاد نشاط تلك العبادة ، ونالت عبادة إيزيس الكثير من الاهتمام نتيجة لعلاقة الملكة كيلوباترا السابعة بالدكتاتور يوليوس قيصر .

ويلاحظ عموما أن معظم من اعتنق تلك العقيدة المصرية دال شبه الجزيرة الإيطالية كانوا أجانب أو من العبيد بالإضافة إلى عدد من فقراء اليونان . إلا أنه كان هناك بعض سيدات الطبقة الأرستقراطية اللاتى اعتقن هذه العبادة .

وفى عصر الإمبراطور تيرىوس (١٤ - ٢٧ ميلادية) صدر قرار من السناتو عام ١٩م حرمت فيه كل العبادات المصرية واليهودية فى إيطاليا كلها ، على أن يطرد كل اتباع العقائد الدينية الأجنبية خارج إيطاليا إذا لم يرتدوا عن عقائدهم .

(١) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) ، ص ١٠٣ ؛ وأيضا د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص ٥٢ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٥ ، ١٥٨ - ١٥٩ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ .

وفى زمن كاليجولا (٢٧ - ٤١ م) زاد نفوذ اتباع إيزيس وأصبح لإيزيس سابق نفوذها ، عندما أعاد ذلك الإمبراطور بناء معبدها وضم عبادتها وسيرابيس إلى قائمة عبادات الدولة ^(١) . وفى عصر الإمبراطور كلوديوس (٤١ - ٥٤ م) لم تتعرض عبادة إيزيس لأى اضطهاد .

وفى عهد نيرون (٥٤ - ٦٨ م) كانت زوجته تتشبه بإيزيس وبعد وفاتها تم الحفاظ على جثتها طبقا للتقاليد المصرية .

وكان الإمبراطور آتو من أنصار إيزيس ، وكان يعتنق هذه العقيدة علنا ، وبلغ من نفوذ عقيدة إيزيس أن أصبح أصحابها يمارسون شعائرهـم علانية .

ويذكر المؤرخون أن أبـن الإمبراطور فسباسيانوس المدعو دوميتيان اعترف بعقيدة إيزيس اعترافا رسميا .

ولا ينبغي أن نغفل قيمة الصور المرسومة على العملة فى إيضاح بعض العبادات الدينية مثال ذلك صور معبد إيزيس المرسومة على العملة الرومانية منذ عهد فسباسيانوس ، وصورة معبد سيرابيس والمعبودة كوبيلى لأول مرة فى عصر دوميتيان ^(٢) .

(١) دونالد وولـى : حضارة روما (ترجمة جمال يواقيم وفاروق زيد ومراجعة د. صقر خفاجة) دار نهضة مصر للطبع والنشر ، والقاهرة ، ص ٣٧٥ . وكانت تقام فى معابد إيزيس طقوس يومية ، كما تقام الاحتفالات الكبيرة ذات الطقوس البالغة الروعة فى مواسم معينة من السنة ، ويصف لنا ابوليوس عيد سفينة إيزيس فى الخامس من شهر مارس حيث يلبس المحتفلون الأقنعة ويسيرون فى مواكب رائعة وحيث تنزل إلى الماء السفينة المقدسة وفى شهر نوفمبر كان يجرى احتفال " العثور على أوزير " مع ما يصاحبه من مشاهد درامية مقدسة تمثل الموت والبعث (المرجع السابق ص ٣٧٦) .

(١) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ (حاشية) .

وما يدل على الأعياد الدينية مثل النقود المزينة بصورة مستوحاه من عيد " سفينة إيزيس " البحرى (بوصفها معبودة هادية السفن وراعية للبحارة) والذي كان يحتفل به فى يوم ٥ مارس إيدانا ببدء موسم الملاحة ، وكانت هذه النقود تنثر فى وسط الجماهير .

وقد ظل قواد المدينة الذين كانوا ينتمون إلى أسر من الطبقة السناتو متمسكين بهذه العادة حتى بعد ٣١٢ ميلادية ، فكانوا يسكون هذه القطع البرونزية الصغيرة فى رأس السنة ، وعليها صور إيزيس وسرابيس وأنوبيس . وظلت هذه العادة قائمة لا فى عهد قسطنطين فقط بل إلى ما بعد عهده بحوالى خمسين عاما .^(١)

وعثر فى بلاد اليونان وجزر بحر ايجيه على تماثيل تدل على انتشار عبادة بعض المعبودات المصرية الأخرى .

فمثلا عبادة أمون كانت معروفة أيضا فى اليونان ، فقد عثر فى جزيرة كريت على تمثال من البرونز يرجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، ويبلغ ارتفاعه ١٠ سم ، وهو يمثل المعبود آمون رع جالسا . كما عثر على جعل نقش عليه منظر للمعبود نفسه .^(٢)

وعثر فى ميكيناي فى كريت على تمثال لبابون (رمز تحوتى) من القيشانى الأزرق عليه اسم الملك أمنحتب الثانى . وهو موجود الآن بمتحف اثينا تحت رقم ٤٥٧٣ .^(٣)

(١) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٢) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ (لوحة ٣٨) ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦ ، ص ٦٢ - ٦٣ حاشية (٢٥) .

(٣) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

وفى عصر الدولة الحديثة عثر فى بلاد اليونان أيضا على جعل من الحجر تظهر عليه علامة الحياة عنخ ، وهى أمام تمثال لأبى الهول المجنح ، وبوجود هذا الجعل الآن بالمتحف البريطانى .^(١)

وعثر فى إسبرطة أيضا على جعل من القيشانى الأزرق ، ذهبى طبقة اللامعة الشكل ، وفوقه منظر مجنح غير محدد .^(٢)

وبالمتحف المصرى ثلاثة ألواح من العصر الرومانى عليها صور مرسومة على الجص عثر عليها فى تونا الجبل . ويمثل رقم ٦٢٤٧ أسطورة أوديب الذى يرى إلى اليمين وهو يقتل أباه لايوس ، أمام اعنويا معبودة الخطأ ، وإلى اليسار يحل لغزا وضعه له أبو الهول أمام المعبودتين " طيبة " و " زيتيما " معبودة الألغاز ، ورقم ٦٢٤٨ يمثل الكترا بملابس الحداد وفى حال يأس أمام مقبرة والدها اغامنون . ويمثل رقم ٦٢٤٩ ، وهو فى حالة سيئة ، أسطورة جواد طروادة ، ويرجع تاريخ هذا الأثر إلى حوالى بداية القرن الثانى الميلادى .^(٣)

- أما عن تأثير الديانة المصرية القديمة عند بعض الممالك والقبائل فى الجنوب وفى أفريقيا فكان واضحا . فقد كان قامت المعابد المصرية بدور كبير فى نشر العقائد المصرية فى الجنوب وكانت معبودات طيبة وهى أوسع المعبودات انتشارا فى كوش فى المنطقة من الجندل الثانى حتى السادس ، حيث أصبحت نباتا مثل طيبة فى صعيد مصر ، مقرا رسميا للمعبود آمون رع ، الذى قدس هناك باعتباره سيد القطرين القائم على جبل نباتا المقدس . وشيد له معبد ضخم فى حضان جبل برقل . وانتشرت عبادته فى نباتا ومروى على هيئة الكباش ابتداء من عام ٧٣٠ ق.م كما لعبت عبادة المعبودة حورس دورا كبيرا أيضا ، وانتشرت فى الجزء الشمالى من كوش^(٤) . وعثرنا على نصوص عديدة تذكر لنا المعبود حورس فى

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ (لوحة ٤٢) .

(٢) لمرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ (٦٢٤٧ - ٦٢٤٩) .

(٤) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٦٦ .

كوبان وحورس في عنبيه وحورس في أبو سمبل وحورس في بوهن . كما انتشرت عبادة الثالوث المقدس في منطقة الجندل الأول ، والذي كان يتكون من خنوم وسانت وعنقت وصور هذا الثالوث على جدران بعض المعابد الصخرية في بلاد النوبة ، كما عبد المعبود ابيس الذي اتخذ شكل الثور في مروي ، كما شيدت المعابد العديدة للمعبود إيزيس في مروي . كما ظهرت صورة المعبود تحوتي معبود الكتابة في مواكب المعبودات المصرية على جدران معبد الأسد بالمصورات الصفراء عند الجندل السادس .^(١)

كما أننا نجد أن معبودات نباتا كانت هي نفس المعبودات المصرية . فعلى سبيل المثال نجد طهرقا يشيد معبدا في جبل برقل خصصه لعبادة المعبودة حتحور التي كان يرمز إلى الأمومة والحماية والمعطاء . وربما يرجع انتشار هذه المعبودات المصرية في بلاد كوش إلى بساطتها وأدوارها التي كانت أقرب إلى مفاهيم عامة الناس .

كما وجدت المعبودات المصرية كل تقدير من جانب ملوك كوش فبعد أن حكم الملك بعنخي لمدة تقرب من اثني عشر عاما في مملكة نباتا ، نجد أنه بدأ يتدخل في شئون مصر (عام ٧٣٦ ق.م) وكانت الظروف السياسية في مصر متاحة له لكي يوسع نفوذه ، ولكي يظهر بمظهر المنقذ لطيبة التي كانت بالنسبة له - المدينة المقدسة للمعبود الكبير آمون رع ، ولم ينشغل بعنخي كثيرا بأمر الملك الحاكم - اوسركون الثالث - وكان يرغب في حماية طيبة ومعابدها المقدسة وكذلك كهنة آمون رع من الاضطرابات التي سببها له ملوك الدلتا الصغار لذلك كان الأمر بالنسبة له واجبا دينيا ^(٢) . وهذا يبين مدى تأثيره بالديانة المصرية .

وقد أعد بنفسه جيشا على وجه السرعة وخاطب قواده لحظة الرحيل قائلا :

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٧ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

" أنكم لا تعرفون أن آمون هو الذى أرسلكم " (١) وبعد أن دخل جيشه طيبة وتابع مسيرته حتى مصر الوسطى عند منطقة بحر يوسف رأى أنه من الأفضل العودة نحو الجنوب . وعندما وردت هذه الأخبار إلى بعنخى فى نباتا ، أظهر نوعا من الضيق لأن جيشه لم يواصل انتصاراته وطارد الحلفاء وغزا الدلتا ، وقرر الذهاب بنفسه إلى مصر فى الصباح قائلا : " بحق حب آمون لى ، فإننى سأذهب إلى مصر شخصيا " . (٢)

وعندما استولى بعنخى على البهنسا وطهنا وهرموبوليس نجد أنه عندما دخل مدينة الأشمونين قام بتأدية الطقوس الدينية فى معبد المعبود تحوتى المعبود المحلى . وسلم كل مخازن نمرود حاكم الأشمونين إلى معبد الكرنك . (٣)

وفعل الشيء نفسه عندما استسلمت له مدينة اللاهون واستولى على الخزائن التى خصصها أيضا لمعبد بالكرنك . وعندما وصل إلى منف اشترك فى الطقوس الدينية فى معبد بتاح وأعاد الكهنة إلى مناصبهم . وقسم الخزائن بما فيها بنصيب متساوى بين المعبودات المحلية وآمون رع فى الكرنك (٤) . وعندما أتجه إلى هليوبوليس بالتطهر فى البحيرة المقدسة ، غامرا وجهه فى الماء المقدس وقام بنحر الأضاحى المعتادة إلى المعبود رع ، ثم دخل قدس الأقداس حيث اعترف به كهنة المعبود رع ملكا .

كان بعنخى تقيا ومحاربا قويا ، وفجأة عاد إلى عاصمته البعيدة نباتا وقد دفن بعنخى فى كورو فى أول هرم حقيقى لمجموعة المقابر من هذا الطراز . وقبل أن يغادر طيبة عام ٧٣٢ ق.م عائدا إلى بلاده ارغم العابدة المقدسة لآمون ابنة اوسركون الثالث - شوب أن أوبت الولى أن تتبنى أخته آمن اردس الأولى كعابدة

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

مقدسة وبعد ذلك بقليل شغلت ابنة بعنخي التى تدعى آشوب إن أوبت الثانية الوظيفة نفسها ^(١) . والجدير بالذكر أن هذا اللقب كان من أهم الألقاب الكهنوتية . كما يوجد فى متحف اللوفر تمثال صغير للملك طهرقا يمثل راکعا وهو يقدم القرابين للمعبود حورس .

استخدم شعب المجموعة الأولى فى بلاد النوبة ^(٢) نوعين من المقابر لدفن موتاه : النوع الأول عبارة عن حفر بسيطة مستطيلة أقرب إلى الاستدارة . أما الأخرى ، وهى غير منتشرة فهى عبارة عن حفر بيضاوية لها حجرة جانبية فى مستوى منخفض فى أحد جوانبها يصل عنقها إلى ١,٣٠م وكان المتوفى يوضع على شكل القرفصاء على جانبها الأيمن والرأس عادة إلى الغرب وكان يحيط بالجثة أشياء الاستعمال اليومي مثل الأواني الفخارية وأوعية لصحن الغلال من الألبستر وألواح الكحل من الألبستر والحجر الرملى ^(٣) . والجبانة الوحيدة التى عثر عليها من هذا العصر كانت توجد فى بهان جنوبى الجندل الأول كما عثر على عدد محدود من الجبانات من هذه الفترة بين الجندل الأول ودكة فى المناطق الشمالية للنوبة السفلى ^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩١ .

(٢) يعاصر تاريخ بلاد النوبة تاريخ مصر القديم فى كل فتراته :

- عصور ما قبل التاريخ فى مصر يقابلها فى بلاد النوبة عصور ما قبل الأسرات المبكرة والمتأخرة .

- من الأسرة الأولى إلى الثالثة يقابلها عصر المجموعة الأولى .

- من الأسرة الرابعة إلى الأسرة الحادية عشرة يقابله عصر المجموعة الثانية .

- من الأسرة الثانية عشرة إلى الثالثة عشرة يقابله عصر المجموعة الثالثة .

راجع : وولتر إمري : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة هندوسة) الهيئة

المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٤١ ؛ د. محمد بكر : تاريخ

السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٨ .

(٣) وولتر إمري : المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

وهى ترجع إلى أواخر الأسرة الثانية المصرية والتي تعاصر شعب المجموعة الأولى فى بلاد النوبة وكان سكان هذه المجموعة لا يختلفون فى مميزاتهم الجسدية عن المصريين فيما قبل الأسرات .

كم إننا نجد أصحاب حضارة كوش يشتركون فى عبادة واحتفالات المعبودة إيزيس ، فكان رسل الملوك المرويين يصلون إلى جزيرة فيلة كل عام محملين بالهدايا فى فيلة .^(١)

كما إننا نجد صدى للمعتقدات والعادات الدينية المصرية عند أهل كوش فنجد أصحاب حضارة المجموعة الثالثة فى مرحلتها الأخيرة ينتهجون الأسلوب المصرى فى دفن الموتى ، فنجد أنهم كانوا يوسدون موتاهم على الجانب الأيسر والرأس متجه نحو الشرق . كما عثر فى مقابرهم على تماثيل الاوشابتي (المجيبات) التى كانت جزءا من المتاع الجنائزى فى المقابر الملكية المصرية^(٢) كما أننا نجد أصحاب حضارة نباتا يزینون جدران غرف دفنهم بالمناظر والنصوص الدينية المصرية التى تحدثنا عن البعث وعن الحياة فى عالم الآخرة التى عرفتھا مصر طوال عصورها القديمة ما يدل على مدى تأثرهم بهذه العقائد ومدى تغلغلها فى نفوسهم . كما عثر فى مقابرهم على جعارین وتمائم مصرية . وكان الجعل (أو الجعران) يرمز على معبود الشمس فى الصباح . وهو من أكثر التمايم المصرية شعبية . فهو يرمز إلى الوجود المتجدد والدائم .^(٣)

وعلى موائد القرايين واللوحات الجنائزية المكتوبة بالخط المروى والتى عثر عليها فى مقابر مروى نجد نصوصا دينية مثل النصوص التى عثر عليها على تماثيل للمعبودة إيزيس من جبل برقل ، وعليها أيضا صيغ قرايين لاوزير وإيزيس للمساعدة فى توفير القرايين المادية للمتوفى^(٤) . كم أننا نجد مجموعة من الابتهاالات والدعية

(١) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

الموجهة إلى إيزيس على جدران معبدها في فيلة .

كما أن معبود النوبة ددون كان يمثل بين المعبودات المصرية في معابد بلاد النوبة^(١) .

ومن العوامل التي ساعدت على استمرار مظاهر الحضارة المصرية أمد طويلا في المناطق الجنوبية عاملان : وهما استمرار العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة العليا . وتمسك أهل الجنوب بالديانة المصرية من ناحية أخرى .^(٢)

وبقى تأثير الديانة المصرية واضحا أيضا عند بعض الممالك الخرى في أفريقيا . ففي مملكة كانم وحضارة ساو التي قامت حول بحيرة تشاد والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن الثامن الميلادي واستمرت في الوجود حتى القرن السابع عشر . نجد في الكثير من الصناعات الفخارية المتقدمة والتماثيل ، منها ما هو على هيئة رأس الكبش الذي عرفته الديانة المصرية رمزا للمعبود آمون رع . مما يشير إلى وجود تأثير ديني بين أهالي هذه الحضارات وبين حضارة وادي النيل .^(٣)

وفي مملكة جوكون في شمال نيجريا ، وهي نموذج آخر من نماذج الملكيات المقدسة التي اتخذت من ممالك وادي النيل ومروى مثله الأعلى رغم بعد الزمن فكان لهم في ذلك بعض المعتقدات التي تشابه معتقدات المصريين القدماء . وعلى سبيل المثال نجد ان الاحتفال بالعيد الثلاثيني (عيد سد) للملك عند المصريين القدماء ، قد تطور عند هذه الشعوب إلى إعادة الاحتفال بتتويج الملك مرة أخرى كأنما هو توفي ثم بعث من جديد .^(٤)

(١) جاء ذكره في نصوص الأهرام ونجده ممثلا في معابد فيله وكلابشه واللسية

وأبو سمبل ، راجع : Gauthier, Rvue Egyptologique 2(1920), p. 1- 41; Otto, in LAI, p. 1003-1004.

(٢) حياة وأعمال أحمد بدوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٥٥ .

(٣) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٣٩ .

(٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وفى غرب أفريقيا فى حوض نهر النيجر الاسفل أسست قبيلة اليوربا وعاصمتها ايف وتقع حاليا فى جنوب نيجيريا ، حضارة هامة ما بين القرنين السادس والثامن ميلادية . ويوجد تشابه بينها وبين حضارات النيل والسودان فى اكثر من مجال . فالملكية عند اليوربا مقدسة كما كانت فى مصر القديمة . وبالنسبة للعقائد الدينية اتخذت قبائل اليوربا معبودا أطلق عليه اسم شنجو ، كان معبودا للرع ، وأخذوا له قناعا على شكل الكبش رمزا للمعبود آمون رع فى كل من حضارة مصر القديمة وحضارة مروي .

كما عثر على تمثال لرأس كبش فى ابري بالقرب من ايف وعثر فى لاجوس على قلادة حديدية على شكل رأس كبش ، وفيها يظهر التأثير المصرى بوضوح .^(١)

ومنذ القرن السادس الميلادى أخذت المسيحية تتسرب تسربا منظما وبطيئا إلى بلاد النوبة . وقام اسقف فيلة واسوان بدور هام فى التمهيد لدخول النوبيين فى الدين المسيحى . وكان اعتناق النوبيين الديانة المسيحية إيذانا ببدء تقدم سياسى وثقافى فى السودان . وقامت على أنقاض مملكة مروي ثلاث ممالك نوبية مسيحية . فكانت فى الشمال مملكة النوبات التى تمتد من الجندل الأول إلى الجندل الثالث وعاصمتها فرس . يليها جنوبها مملكة المقرة التى تنتهى حدودها الجنوبية عند مكان عرف بالابواب عند الكتاب العرب بالقرب من كيوشية ، وكانت دنقلا العجوز عاصمة هذه المملكة . ثم تاتى مملكة علوة وعاصمتها سوبا التى تقع بالقرب من الخرطوم جنوبا وصارت المسيحية بعد ذلك الدين الرسمى للسودان الشمالى عند أواخر القرن السادس الميلادى ؛ واستمرار الحال كذلك حتى تم استيلاء عمرو بن العاص على مصر عام ٢٠ هـ - ٦٤٠ م ، وقامت حملتان إسلاميتان لغزو تلك الممالك المسيحية فى شمال

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

السودان (١).

وفى الواقع لا نستطيع أن نختم الحديث عن تأثير المعتقدات الدينية المصرية على شعوب المناطق والدول المجاورة لها دون الحديث أو الإشارة إلى الأحداث الدينية المؤثرة التى كان مصدرها بعض مناطق الشرق القديم فقد وفد إلى مصر من الشرق القديم بعض الأنبياء والرسل جاءوا يبلغون رسالات ربهم ونشأت تطورات فى العلاقات بينهم وبين ملوك مصر القديمة . وللأسف الشديد لا نعرف متى جاء هؤلاء الأنبياء والرسل وفى عصور من من ملوكها القدماء عاشوا ؟ . ومما لاشك فيه أن ما نادوا به كان له تأثير عميق فى معتقدات بعض المصريين القدماء فى فترات تواجدهم وما بعدها .

وقد بدأ المسلمون فى القرن الثالث الهجرى (القرن التاسع الميلادى) يؤلفون فى تقويم البلدان ، ويصفون أجزاء دولتهم وما يجاورها من أقطار وأمتاز الجغرافيون العرب فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) بأن معظمهم كانوا رحالة وجمعوا كثيرا مما كتبوه بواسطة المشاهدة والأسفار (٢) وألفوا كتباً فى الرحلات والطبقات وأخبار الأمم والملوك والأدب والأنساب والجغرافيا .

وبدأ الرحالة والأخباريون العرب يتحدثون عن أخبار بعض ملوك مصر القديمة فى كتاباتهم ابتداء من القرن الرابع إلى الثامن الهجرى (القرن العاشر إلى الرابع عشر الميلادى) وقد تحدث بعضهم عن بعض الآثار المصرية التى شاهدها والتى كانت قائمة فى عصورهم كما تحدثوا عن عجائب مصر وما بها من طلسمات

(١) د. سر الختم العراقى : الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أفريقيا الغربية حتى السادس عشر ، مجلة التاريخ والمستقبل - كلية الآداب جامعة المنيا العدد الثانى ١٩٩٧ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ حياة وأعمال أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٢) د. زكى حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦ - ٧ ، ٣٥ .

وبرابى وثغور . كما تحدث البعض الآخر عن زاروا مصر واستقروا فيها أو ولدوا بها ودفنوا فيها من الأنبياء والرسل الصالحين والصحابه والفقهاء والعلماء والشعراء والأخبار والزهاد .^(١)

ولكن يؤخذ على ما كتبون ما يلى :

(١) أن معظم رواياتهم مشبعة بقصص السحر والأساطير وخاصة بالنسبة لبعض أسماء ملوك مصر القديمة وأعمالهم وكذلك بالنسبة لأسماء زوجاتهم وأولادهم . فمن أين أتوا بهذه الأسماء ؟

(٢) أن كل ما دونوه من روايات عن الآثار المصرية وتاريخ مصر القديم يخلو من الاعتماد على المصادر التاريخية الأصلية (التى لم تكن معروفة حتى وقت مجيئهم) ويعتمد فقط على الرواية الشفهية المتداولة والمنقولة .

(٣) أن معظم هؤلاء الرحالة والإخباريين كانوا لا يعرفون قراءة اللغة المصرية ولهجاتها ، ولهذا جاءت معظم كتاباتهم خالية من القراءات السليمة والحقائق التاريخية الثابتة ، وكل ما ذكروه يدخل تحت باب التخمين والتفسير الخاطيء .

(١) راجع :

- الكندى : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه بالقاهرة ، دار الفكر ببيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ - ٤٤ .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، المجلد الخامس ، ١٩٨٤ ، ١٣٨ ، ١٤٢ - ١٤٣ .
- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٨٣ - ٨٥ ، ١٠٧ - ١٠٩ ، ١٤٣ .
- ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ، الجزء الأول - القسم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٩ - ٣١ ، ٣٣ - ٣٦ .

وكان سيدنا آدم أول من دعا لها (أى لمصر) بالرحمة والخصب والرافة والبركة . وعن ابن عباس أن نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيصرحام فقال اللهم أنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوت العباد التى نهرها أفضل أنهار الدنيا وأجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذلّلها لهم وقواهم عليها .

وقال كعب الاحبار لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت إلا مصر فقيل له لم فقال لأنها بلد معافاة من الفتن ومن أرادها بسود أكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لأهله فيه ... ويقال أن فى بعض الكتب الإلهية مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله تعالى .^(١)

كان أول من دخلها سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء^(٢) وتذكر التوراة أن الخليل

(١) المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقرئية) الجزء الأول ، دار صادر بيروت ، ص ٢٧ .

(٢) المقرئى : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

ويرى بعض الكتاب أن سيدنا إبراهيم قد نشأ قبل الميلاد بنحو ألفى عام ، راجع : زكى شنوده : المجتمع اليهودى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ص ٥ .

ومن ناحية أخرى نعلم أن الملك ششلق الأول فى الأسرة الثانية والعشرين (٩٥٠ - ٩٢٩ ق.م) قد قام بحملة على فلسطين وسجل انتصاره هذا على

الجدران الخارجية لبهو الأعمدة الكبيرة فى معبد الكرنك ، وقد مثل فوق رؤوس الأسرى الذين يمثلون أهالى مائة وستة وخمسين موقع وأماكن فى فلسطين ،

ومن بينها نجد أسماء عديدة معروفة فى الكتاب المقدس ، ومن بين هذه الأسماء " حقل إبراهيم " وهذا يمثل أول ذكر تاريخى لسيدنا إبراهيم فى النصوص

المصرية ، راجع : د. رمضان السيد ، معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٥٤٤ .

عليه السلام قد أقام ما شاء الله أن يقيم في أرض كنعان ^(١) ثم رحل عنها صوب أرض النيل الطيبة بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان . وقد جاء خليل الله عليه السلام إلى مصر مع زوجته ساره ، وإذا كان سيدنا إبراهيم قد جاء إلى مصر ليصيب من خيراتها ، فإنه جاء أيضا لسمع ما يقول رجال الدين في أمر الله ^(٢) . ثم عاد مرة ثانية إلى أرض كنعان ثم انجبت زوجته سيدنا يعقوب ، الذي جاء هو وعشيرته إلى مصر بحثا عن مورد الرزق الدائم في ربوعها في زمن القحط .

وجئ بسيدنا يوسف إليها وكان صغيرا وتربى فيها وشاب وأصبح ذا شأن كبير ، مصداقا لقوله تعالى :

" وقال الذى اشتراه من مصر لامراته أكرمى مثواه . عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث " . ^(٣)

ويذكر المقرئى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ (١٤٤١ م) " أن سيدنا يوسف هو أحد الأسباط الاثنى عشر ولد بأرض كنعان في بلاد الشام ورأى الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكاد له أخوته على ذلك وباعوه إلى قوم من مدين فساروا به إلى مصر وباعوه لقائد ملك مصر فأقام في منزله اثنى عشر شهرا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فأعتصم وكذبت عليه إلى أن حبس ومكث في السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن إلى أن رأى الساقى والخباز وفسر لهما يوسف حلمهما وخرنا ونسى الساقى سنتين إلى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره واتاه فقص عليه الرؤيا وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ

(١) كان هذا اللفظ يطلق في البداية على الساحل وغربى فلسطين ، ثم شمل الاسم الجغرافى المتعارف عليه الآن فلسطين بالإضافة إلى جزء كبير من سورية القديمة .

(٢) د. بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥ حاشية (٢) ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) سورة يوسف : آية ٢١ .

ثلاثون سنة فاستوزره الملك من ذلك الوقت إلى أن سار سيدنا يعقوب إلى مصر التي شهدت تسع سنين منها سبع سنين من سنى الشبع وسنتان من سنى الجوع . وكان ليعقوب فى السنة التى سار فيها إلى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان أهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ أن سار إلى مصر إلى أن ولد سيدنا موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة أخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفى وعمره مائة وسبع وأربعون سنة فخاف الأسباط حينئذ مقابلة يوسف أيأهم فقالوا أن أباك أوصى أن تغفر ذنب أخوتك فأنك وهم بيد الله إله أبيك فبكى يوسف وقال لهم لا تحتاجون إلى ذلك ووعدهم بخير تممه لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشر سنين والله أعلم " (١) وأن سيدنا يوسف هو الذى عمر مدينة الفيوم وأمر بحفر الخليج بها وبناء القناطر بها وأن الريان بن الوليد (؟) هو فرعون سيدنا يوسف " (٢).

ويرى بعض العلماء أن بنى إسرائيل عندما جاءوا إلى مصر كانوا اثنى عشر رجلا ، وأنهم دخلوا فى عصر الهكسوس (؟) . (٢)
كما يرى بعض المفسرين أن اسم " إسرائيل " لقب لنبي الله يعقوب نفسه

(١) المقرئى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤١ - ٢٤٦ .

(٣) Mayani, les Hyksos et le Mond de la Bible, p. 154, 161;
Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 108;
Pirenne, la Societé Hebraique d'apres la Bible, p. 29, n. (1)
Lalouette, L'Empire des Ramsés, p. 46, 259. n. 166, p. 490 .

وأىضا :

د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٢ ؛ د. رزق الطويل : بنوا إسرائيل فى القرآن ، ١٩٨٠ ، ص ١٧ . ويرى بيرن أن الهجرة حدثت فى عصر الأسرة الثالثة عشرة ، وأن سيدنا يوسف اشترى فى مصر أثناء حكم ثلاثة من ملوك هذه الأسرة فى تانيس ، وهو أمر مشكوك فيه .

راجع : Pirenne, op. cit., p. 26-29 .

وأصله بالعبرية " إسرائيل " ومعناه " المحب لعبادة الله وطاعته " ^(١) وهو رأى مشكوك فى صحته (؟) وليس له سند من الصحة . ^(٢)

ويبدو أن حياتهم فى مصر ، كانت خصبة ، وفى البداية عاش بنو إسرائيل فى مصر فى عزلة تامة ^(٣) . مثلهم فى ذلك الوقت مثل أية أقلية أجنبية فلم تحدثنا النصوص المصرية الرسمية عن وجود بنى إسرائيل فى مصر ، لأنهم كانوا قليلي العدد ولم يكن لهم أى دور فعال فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى مصر ، سوى أنهم كانوا مثل غيرهم ربما كانوا يعملون فى المنشآت المعمارية للملوك ومشاريع الدولة المختلفة .

وأن وجودهم فى مجملته لم يترك أثرا ذا بال يدل على مساهمتهم الفعالة فى مجال العمارة المصرية ، وعجزهم كذلك عن التأثير فى تقاليد مصر الدينية واللغوية

(١) د. رزق الطويل : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) يذكر ابن كثير نقلا عن ابن عباس " كان إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام يعتريه عرق النساء وكان يقلقه ويزعجه عن النوم " . وفى رأى آخر أن إسرائيل ليس هو سيدنا يعقوب بل كان " عبدا شكورا من تبعية سيدنا نوح مصداقا لقوله تعالى : وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لنبي إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ، ذرية من حملنا مع نوح أنه كان عبدا شكورا " (الإسراء : الآيات ٢-٣) أى أنهم منذ عصر سيدنا نوح ، ثم تفرقوا فى الأرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، أذن إسرائيل هو المقصود بصفة " العبد الشكور " وليس سيدنا نوح وكل سلالة بنى إسرائيل ترجع إلى " إسرائيل " المنوه عنه فى هذه الآية وأن سيدنا موسى بعث فى هذه الذرية بعد قرون طويلة جدا وثبتت هذه الآية أن " إسرائيل " الذى كان مع سيدنا نوح كان موجودا من قبل أن تنزل التوراة على سيدنا موسى ، راجع : يحيى كامل : رسالة الإسلام الجزء الأول ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٩٧٥ ، ص ٨٥ ، ٨٩ . ونقرأ فى سورة مريم : الآية ٥٨ : " أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل " .

(٣) عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القرآن الكريم ، ١٩٨٠ ، ص ١١ .

وحدث على العكس أنهم تأثروا هم أنفسهم بهذه التقاليد وتطبعوا بها وبمظاهر الحضارة المصرية المختلفة .

أما عن المدة التي قضاها في مصر ، فيرى بعض الكتاب أنها أربعمائة وثلاثون سنة .^(١)

ونشأ سيدنا موسى من رسل الله الكرام أولى العزم في أرض مصر ويمكن القول بأنه كان يحمل أسما مصرياً جاء من كلمة " مس - سو " تعنى " أنه ولد " أو " المولد " .^(٢)

ويذكر المقرئ أيضاً " أن سيدنا موسى عليه السلام ولد في سنة ثلاثين ومائة لقدم سيدنا يعقوب إلى مصر وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة لولادة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ولمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان " .^(٣)

وتربى سيدنا موسى في ظل الحكم والتعاليم المصرية القديمة والمظاهر الحضارية المختلفة^(٤) . والتي كانت معروفة في عهده . وكان لهذا كله أثره في تكوينه الثقافي ودوره كرسول ورجل قانون ، مصداقاً لقوله تعالى :

" ولما بلغ أشده واستوى أتيناها حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين " .^(٥)

وأصبح لسيدنا موسى شأن كبير في مصر ونو نفوذ قوى ، ويبدو أنه تعاطف مع الأقليات الأجنبية التي كانت موجودة في مصر في ذلك الوقت ، وذلك نظراً لطبيعته السمحة الخيرة ، وذلك قبل أن يبلغ بالرسالة ، وكان من بين هذه

(١) زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٧٨ . وأيضاً : . Lalouette, op. cit., p. 259 .

(٣) المقرئ : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقرئية) الجزء الثانى ، دار صادر بيروت ، ص ٤٦٦ .

(٤) أى أنه تعلم العلوم والمعارف والآداب والحكم المصرية ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 260 n. 170 et p. 491.

وأيضاً زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٥) سورة القصص : آية ١٤ .

الأقليات قبيلة بنى إسرائيل الذين كانوا عرضة لاضطهاد فرعون والتتكيل بهم .

ونجد أن آيات القرآن الكريم غنية بالحديث عن سيدنا موسى (الذى ورد اسمه ١٢٩ مرة) وفرعون (وذكر ٦٧ مرة) وبنى إسرائيل (ذكروا ٣٦ مرة) (١) ومصر (ذكرت ٥ مرات) (٢) .

ويكفى الحضارة المصرية القديمة فخرا أن سيدنا موسى عليه السلام ، نشأ وتربى على أرض الحضارة المصرية ، وعاش فى عصر أحد ملوكها القدماء ، الذى لا نعرف اسمه ولكنه لقب بلقب فرعون ، حتى اختاره الله سبحانه وتعالى كرسول ليبلغ رسالة الإيمان والتوحيد إلى فرعون مصر (٣) . ولكن فرعون وآله كفروا بآيات

(١) إسماعيل إبراهيم : فى معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ص ٥٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ٦٠ ؛ يونس : آية ٨٦ ؛ يوسف : الآيات ٢٠ ، ٩٨ ؛ الزخرف : آية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ١٠٢ - ١٠٣ ؛ هود : الآيات ٩٥ - ٩٦ ؛ طه : الآيات ٢٣ - ٢٥ .

يرى المسعودى الذى توفى فى عام ٩٥٦ ميلادية (فى مؤلفه مروج الذهب معادن الجواهر ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥٨) إن فرعون سيدنا موسى هو " الوليد بن مصعب " (٤) وكان إما من الشام أو من العماليق أو من الأقباط ، راجع أيضا : المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقرئية) الجزء الأول ، دار صادر بيروت ، ص ٧١ ؛ الجزء الثانى ، ص ٤٦٦ ويذكر المقرئى (المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٢٤٦) إن فرعون ألزم بنى إسرائيل البناء وضرب الطوب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمىسيس قال الشاج هى الفيوم وحواف رمسيس وفى زمان الريان بن الوليد (٥) دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون نفسا ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس إلى الفرما وهى أرض ريفية برية " .

الله عز وجل ، فكان عقابهم الهلاك ^(٤) . إلا أن بعض المصريين - بالرغم من ذلك - استجابوا للرسول والأنبياء الذين نادوا بوحداية الله سبحانه وتعالى ، وعندما بلغ سيدنا موسى بالرسالة وطلب من المصريين عبادة الله وحده وترك العبادات الأخرى ، دخل البعض منهم في ديانة سيدنا موسى رغم معارضة فرعون وتهديده لهم ، وترتبت على ذلك بتر أيديهم وأرجلهم وصلبهم ^(٢) .

وذلك مما يدل على إن البعض منهم حاول أن يبحث عن الإيمان الحقيقي بإسائه عز وجل فوجده على يد سيدنا موسى . وربما نسي البعض الآخر نفسه وخالقه وأخذته تيار الغرور بما أنتج وبما وصل إليه من تقدم حضارى وسار بعيدا عن طريق الإيمان والوحدانية . فقد آمن سحرة فرعون ^(٣) وكان هناك من آل فرعون نفسه من عرف الإيمان بإسائه عز وجل ولكنه لم يعلن إيمانه وكتمه ^(٤) . بل نجد أن امرأة فرعون أيضا قد أمنت برسالة سيدنا موسى عليه السلام ^(٥) .

وقد وصف القرآن الكريم ديانة سيدنا موسى بأنها إسلام الإنسان وجهه الله سبحانه وتعالى ، فلما جاء الإسلام تضمن المبدأ نفسه ، حيث إن جميع الديانات السماوية جاءت بوحداية الله سبحانه وتعالى ولا اختلاف في ذلك بينها .

ومما يدل على المكانة التى خص بها الله عز وجل أرض مصر الآية الكريمة : " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين " ^(٦) .

(١) سورة آل عمران : آية ١٠ ؛ الأعراف : آية هو ١٠٢ ؛ الانفعال : الآيات ٥١ ، ٥٣ ؛ هود : الآيات ٩٦ - ٩٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٢٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآيات ١٢٠ - ١٢٢ .

(٤) سورة غافر : آية ٢٧ .

(٥) سورة التحريم : آية ١٠ .

(٦) سورة يونس : آية ٨٧ .

وفى جبانة البجوات فى الواحة الخارجة ، والتى يرجع تاريخها بالتحديد بين القرن الرابع والقرن الثامن الميلادى ، نرى بقايا آثار مسيحية منها بقايا خمسة هياكل بها نقوش ملونة ، أكثر مناظر دينية من قصص العهد القديم ، كقصة سيدنا آدم وحواء ، وقصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل ، وقصة سيدنا نوح ، وقصة خروج بنى إسرائيل من مصر. (١)

ولا يزال يوجد بمنطقة مصر القديمة أثر يحكى قصة مجيء السيدة العذراء والسيد المسيح عليه السلام إلى مصر ، ونعنى بذلك كنيسة " أبو سرجة " حيث يوجد فى أسفل الهيكل مغارة يقال أن السيدة مريم آوت إليها لتحمى السيد من المسيح من انتقام هيرودوس الذى كان قد عزم على قتله كما جاء فى إنجيل متى :

" وبعدهما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : " قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودوس مزمع أن يطلب الصبى ويهلكه " . (٢)

ويقول أهل كفر أبو مسلم مركز أبو حماد محافظة الشرقية عن الشيخ سليم أو مسلم بن يوسف أى يعقوب الهمدانى الذى وصل إلى مصر سنة ٦١٠ هـ (٣) . أنه اختار هذه البقعة لتكون ضريحا له لماضيها الحافل بالأحداث والذكريات الدينية ، فيقال أنها كانت ممرا لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عند دخوله مصر ، وكما إنها كانت هى وما حولها مخازن للغلال فى عهد سيدنا يوسف الصديق (٤) ، وإنها كانت

(١) تاريخ الدولة القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٤٢٤ .

(٢) د. حسن باشا وآخرون : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص ٤٧ .

(٣) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الثانى ، ص ٢٤٩ .

(٤) يرى المسعودى الذى توفى فى عام ٩٥٦ ميلادية " المقرئى الذى توفى فى عامى ١٤٤١ م ، إن فرعون سيدنا يوسف هو " الريان بن الوليد " العملاقى

(٥) ، راجع : المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق ===

مكانا لبنى إسرائيل وأنهم ذبحوا بقرتهم التى ورد ذكرها فى سورة البقرة بها .^(١)

وهناك مشهد بالقرافة الجنوبية على بعد مائة متر شمال مسجد لؤلؤة يطلق عليه مشهد أخوة يوسف ، ويقع هذا المشهد ضمن مجموعة المقابر والأضرحة التى ترجع إلى عصور متأخرة معظمها من العصر التركى .^(٢)

ويذكر ابن أياس ٩٣٠ هـ - ١٥٢٤ م فى مؤلفه :

" ذكر من دخل مصر من الأنبياء عليهم السلام : قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندى فى كتاب " فضائل مصر " : دخل مصر من الأنبياء ثلاثين نبيا ، عليهم السلام ، منهم إدريس ، ويقال له هرمس ، وإبراهيم الخليل ، وفى بعض الأخبار إن إسماعيل بن إبراهيم دخل مصر أيضا ، نقل ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى ؛ ويعقوب ويوسف واثنى عشر من ولد يعقوب ، عليهم السلام ، وهم الأسباط ، ولوط ، عليه السلام ؛ وولد بها موسى ، وهارون ، ويوسع بن نون ، عليهم السلام ؛ ودخلها دانيال ، وأرميا ، وعيسى بن مريم ، عليه السلام ، وسليمان ابن داود ، عليهما السلام ، نقل ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى ، وذكر أن أيوب ، عليه السلام ، دخل مصر ."^(٣)

ويذكر لنا ابن ظهيره (ربما ٨٨٥ أو ٨٩١ هـ) ما كان بمصر من ثغور

الرباط :

== محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ١٩٨٢ ، ص ٣٥٨ ؛ المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخط والآثار (المعروف بالخطط المقرئية) الجزء الأول دار صادر بيروت ، ص ٧٥ .

(١) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) ابن أياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ، الجزء الأول - القسم الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩ .

"وبمصر من البقاع الشريفة : الجبل المقطم ، والوادي المقدس ، وبها
الطور . وبها ألقى موسى عصاه . وبها انفلق البحر لموسى . وبها النخلة التي أمرت
(مريم بهزها وبها النخلة التي أمرت أن تضع عيسى تحتها . فلم يثمر غيرها ، وهي
 بالجيزة) وبها الجميزة التي صلى تحتها موسى ، وهي بطرا (أى طره) .^(١)

وإقامة الحواريين معه بمدينة البهنسا غير منكورة . وبركة عيسى عليه
السلام ظاهر ببئر البلسم التي بأرض المطرية ، ودلوته لأهل البهنسا مشهورة . وأما
 الطور المقدس الذي كلم الله موسى عليه السلام من جبلها المقطم فهو داخل فيها ، وقد
 وقع فيه التقديس ، كما قال كعب الاحبار ، قال تعالى : " وناديناه من جانب الطور
 الأيمن وقربناه نجيا " (مريم : ٥٢) وقال تعالى : " إني أنا ربك فاخلع نعليك إنيك
 بالوادي المقدس طوى " (طه : ١٢) .^(٢)

قال سعيد بن عفير : لما فر موسى من " منف " خوفا من فرعون دخل
 طوى ، فكانت كل شجرة فيه إذا سجد تسجد معه ، شكرا لله عز وجل ، ولذلك ترى
 كل شجرة بطوى منكسة إلى القبلة ، وأن موسى عليه السلام ناجى ربه بوادي
 المقطم .^(٣)

وسمى " المقطم " لأن المقطم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه
 السلام كان ينزله .^(٤)

(١) ابن ظهيره : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة تحقيق مصطفى السقا
 وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ١٩٦٩ ، ص ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

خامسا - بالنسبة للحياة الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف وما لها من تأثير على ثقافات بعض الشعوب الأخرى :

فيمكن القول بأن العامل الثقافى للحضارة المصرية القديمة كان أكثر العوامل تأثيراً وأسرعها فاعلية وأكثرها بقاءً ودواماً بين الشعوب المحيطة بمصر والتي اتصلت بها من الشرق والغرب والشمال والجنوب . وانتشر هذا التأثير الثقافى عن طريق اللغة والكتابة والأدب .

فبالنسبة لبلاد الشرق الأدنى القديم :

نقول أن اللغة المصرية القديمة وخاصة الأبجدية السينائية قد أثرت اللغة المصرية القديمة فى العديد من لغات بلاد الشرق القديم وكانت الكتابة الهيروغليفية المصدر الرئيسى الذى اعتمدت عليه " الأبجدية السينائية أو مخربشات شبه جزيرة سيناء " والتي كانت بدورها مصدراً هاماً للخط المسند .^(١) والكتابة الفينيقية ، والتي

(١) ترجع الكتابة الثمودية القديمة إلى ما قبل عام ١٠٠٠ ق.م وهى تتشابه مع حروف الكتابة البروتوسينائية ، فإن الكتابتين الثمودية القديمة والبروتوسينائية تتشابهان فى خصائصهما ، فى طريقة الكتابة أفقية ورأسية ، وبهما حروف مزدوجة أى المؤلفة من حرفين متصلين ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٤٢٤ .

كما تحدث د. عبد المنعم فى مقال منفصل عن : " دور الإسكندرية سينا القدماء فى نشأة الخط المسند (اليمنى القديم) " وذلك فى المؤلف نفسه ، ص ٤٥١ - ٤٦٢ ، ونشر هذا البحث أيضاً فى مجلة الدار ، التى تصدر فى الرياض ، العدد الأول ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٢٠٣ - ٢١٤ . وذكر أيضاً أن الأبجدية البروتوسينائية قد انتقلت إلى اليمن وحضرموت عبر منطقة مدين (راجع ص ٤٦٠) .

انتشرت فى مختلف البلاد المطلة على البحر المتوسط .^(١) وكان الخط المسند والكتابة الفينيقية هما الأصل الذى تطورت عنه عدة كتابات .^(٢) هذا مع مراعاة التطور والتغير فى أشكال الحروف .

فى عام ١٩٠٥ أعلن الأثرى الإنجليزى بترى عن كشفه نصوصا عديدة فى شبه جزيرة سيناء كتبت بخط غير معروف فى ذلك الوقت ، وانه يشبه الكتابة الهيروغليفية المصرية . وبلغ مجموع الرسوم التى اكتشفها بترى أكثر من ثلاثين علامة ، وأعلن جاردنر، بعد عشر سنوات من تاريخ كشف بترى لهذه النصوص، تمكنه من حل بعض رموزها وبدأت المحاولات فى تنظيمها على أساس أبجدى . وقد لاحظ جاردنر على ست من هذه الأشكال قربها من معانى بعض

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى - المجلد الأول) مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ نشر ، ص ٦١٨ حاشية (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : نظرات عابرة فى العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم فى مجلة عالم الفكر - المجلد الثانى - العدد الثالث ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ١٦٨ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الحضارة المصرية ، ص و - ذ (المقدم) وأيضا :

Montet, Byblos et L'Égypte, p. 48

(٢) من المسند اشتقت الكتابات الحميرية ، اللحيانية ، الثمودية ، الصفوية ومن الفينيقية اشتقت مجموعة كبيرة من الكتابات منها : اليونانية (ومن اليونانية الأتروسكية ومن الأخيرة اللاتينية ، ومن اليونانية جاء أيضا الخط القبطى) البونية الآرامية (ومنها جاءت النبطية ومن النبطية جاءت العربية ، ومن الآرامية جاءت أيضا التدمرية و الرسانية) العبرية القديمة .

راجع الجدول الذى اعده د. عبد المنعم عبد الحليم فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٢٥٣ ، عن الأبجدية الأم (البروتوسينائية) وتفرعاتها .

الحروف فى الأبجدية العبرية واليونانية . واعتمد مبدئيا فى ذلك على أربعة أو خمسة حروف (أصوات) ذكرت أكثر من مرة فى هذه النصوص : عصا (الراعى ، بيت ، عين ، خطاف ، صليب . وقد قرأ كلا منهما كحرف أبجدى عبرى . وتوصل جاردنر أيضا إلى معرفة ان هذه النصوص هى الأصل فى ابجدية معظم اللغات الأوروبية.^(١) التى اشتقت أساساً من اليونانية والتى جاءت منها الأتروسكية واللاتينية .

وقد ارتفع عدد النصوص السينائية بعد ذلك إلى حواله ٢ نصا وذلك على اثر قيام بعثات حفر ودراسات متتالية فى منطقة سرابية الخادم بسيناء (من بينها ثلاث بعثات قامت بها جامعة هارفارد الأمريكية) وظل الكثير من اصل هذه النصوص حتى عام ١٩٤٨ غامضا حتى كشف اعضاء جامعة كاليفورنيا الأسس التى استطاع بها علماء الدراسات الشرقية حل رموزها تلك النصوص . وقد أمكن معرفة تاريخ هذه النصوص من إنها من القرن الخامس عشر ق.م.^(٢)

اختلف الباحثون فى زمن اختراع البروتوسينائية ، فبعضهم يرى إنه فى عصر الدولة الوسطى ، وبالتحديد فى عصر الأسرة الثانية عشرة بينما يرى آخرون إنها ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة وبالتحديد إلى عصرى حاتشبوت وتحوتمس الثالث.^(٣)

وإذا تخطينا حدود سيناء إلى فلسطين ، نجد انه منذ عام ١٩٣٠ كشف على الأقل عن ثلاثة نصوص قصيرة بالنصوص السينائية ، وتأكد إنها مؤرخة بين ١٨٠٠ و ٥٠٠ ق.م ، وهى نصوص من جزر ، ششم لاخيش . وقد بلغ مجموع حروفها الأبجدية أربعة عشر حرفا.^(٤)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

وقد ظهر فى النصف الأخير من الألف الثانى ق.م فى سوريا وفلسطين خطوط أو كتابات جديدة لها مقاطع ، وكان من هذه الخطوط ما هو متأثر بالكتابة الهيروغليفية مباشرة وهى الجبيلية (نسبة إلى مدينة جبيل) وما هو متأثر بالمخربشات السينائية (التي هى صورة من صور الكتابة الهيروغليفية المختصرة) ومنها جاءت الفينيقية ، وما هو متأثر بالكتابة المسمارية ، وبالتالى أصبح هناك ثلاث كتابات ، وهى :

- (أ) فمن الكتابة الهيروغليفية جاءت الجبيلية ، فقد عثر العالم الفرنسى دوناند Dunand فى جبيل عن اثنى عشر نصا ، وقد ظهرت هذه النصوص على بعض أجزاء من لوحات من الحجر وأدوات من البرونز وعلى تمثال صغير وكتبت هذه النصوص بخط لم تعرف مقاطعه من قبل . وقد سُمى بالهيروغليفى - المخادع Pseudo Hieroglyphic . وترجع هذه النصوص إلى القرن الثامن عشر والقرن الخامس عشر ق.م. (١)

- (ب) ومن مخربشات سيناء اشتقت الكتابة الفينيقية . (٢) فقد استخدمت هذه الكتابة الكثير من الأبجدية المصرية القديمة . وسجلت هذه الكتابة على آثار تخص أمراء وحكام جبيل .

ومن هذه الفينيقية جاءت الآرامية (التي اشتقت منها النبطية ثم العربية) ، العبرية القديمة ، اليونانية (التي اشتقت منها القبطية وكذلك الاتروسكية التي جاءت منها اللاتينية) . وترجع الكتابة الفينيقية إلى القرن الثامن عشر والخامس عشر ق.م. (٣)

(١) د. عبد الحميد زايد : السابق ، ص ١٧٤ .
 (٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٢٥ - ٢٧ ، وعن الأصل المصرى للأبجدية الفينيقية ، راجع : Mallon, BIFAO 30 (1931), p. 131-151.
 (٣) د. عبد الحميد زايد، ص ١٦٩ ، د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٤٧ .

- (جـ) ومن الكتابة المسمارية جاء الخط الاوجاريتي أو الاجاريتية (راس الشمر) وقد تأثر هذا الخط كثيرا بالأبجدية إلى القرن الرابع عشر ق.م^(١)

وفي الواقع من الصعب تحديد متى استعارت اليونانية الأبجدية الفينيقية ربما في القرن الثاني عشر ق.م ؛ ونعرف أن الآرامية اشتقت من الفينيقية أيضا ربما كذلك في القرن العاشر ق.م ؟ وقد انتشرت الآرامية في مناطق عديدة في سورية القديمة وفلسطين . ومن الآرامية اشتقت الكتابة النبطية في القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادي في شمال الحجاز . وعثر في شبه جزيرة سيناء على ما لا يقل عن ثلاثة آلاف نص نبطي . ومنذ القرن السابع الميلادي حلت العربية محل النبطية .^(٢)

تحدث د. عبد المنعم في مقال بعنوان : " صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية " ^(٣) عن النقوش التي تنتشر في صحراء مصر الشرقية انتشارا واسعا من ساحل مصر الشمالي عند قرية " المحمدية " إلى الشرق من بورسعيد ، حتى المناطق الواقعة إلى الجنوب من وادي الحمامات ، ويبلغ عددها ٨١ نقشا . ويرجع أقدمها إلى أواخر العصر البطلمي (أي ما بين أعوام ٥٠ - ٣٠ ق.م) ويرجع أحدثها إلى منتصف القرن الثالث الميلادي وأواخر القرن الرابع الميلادي .

(١) د. عبد الحميد زايد ، ص ١٧٠ ؛ وأيضا : Montet, Revue Syria (1929), p. 12 - 13 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٣) نشر هذا البحث في موضعين : في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، المجلد الأول ١٩٨١ ، ص ٤٢ - ٦٣ ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٤٦٣ - ٤٨٠ .

وقد أمدتنا بعض هذه النقوش بمعلومات هامة عن استقرار بعض الأنباط في مناطق مختلفة من الصحراء الشرقية ومدى أو طبيعة صلتهم بالرومان وانخراط البعض منهم في خدمة الجيش الرومانى والعمل فى المحطات التجارية التى أقامها الرومان فى الصحراء الشرقية واندماجهم مع جنودها من اليونان والرومان . ولهذا نجد أن بعض الأسماء اليونانية الرومانية قد اختلطت بالأسماء النبطية فى بعض مناطق الصحراء الشرقية (١).

وقام د. عبد المنعم أيضا بإعداد بيان عن مناطق توزيع الأنباط فى شمال وادى الحمامات وفى جنوبه .

كما يذكر المؤلف فى مقال آخر (٢) أن هناك تأثير مصرى فى مجال الكتابة البروتوسينائية أو كتابة " ما قبل السينائية " التى ترجع إلى عصر الأنباط " وينتشر فى جنوب سيناء . ويذكر لنا أن هناك تشابها فى أشكال حروف الكتابة البروتوسينائية وأشكال حروف الكتابة الثمودية القديمة . ويرى أيضا أن كتابة أهل مدين التى تعتبر المرحلة المتوسطة بين الكتابتين البروتوسينائية والثمودية القديمة ، كانت الأصل المشترك الذى أخذت عنه الكتابات العربية ، وخاصة الكتابة العربية الشمالية (الديانية والليانية) . (٣)

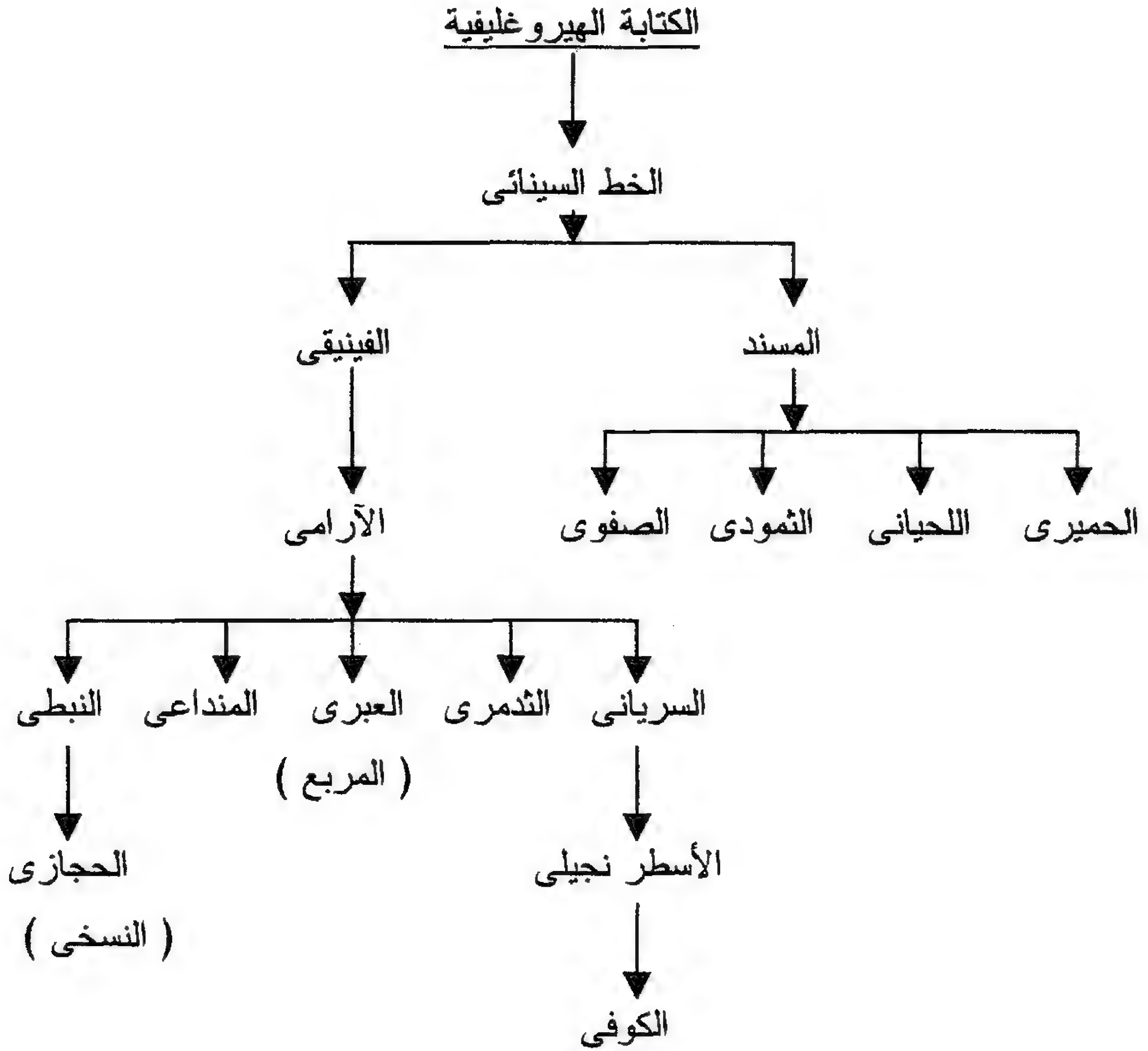
وفى دراسة جادة وهامة قام د. شعبان خليفة فى تتبع أصول الخطوط والكتابات العربية (٤) وأعطانا ذلك فى رسمين بيانيين :

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ - ٤٧٨ .

(٢) بعنوان " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام " نشر فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤١٨ . ٤٥٠ .

(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٢١ - ٤٢٧ .

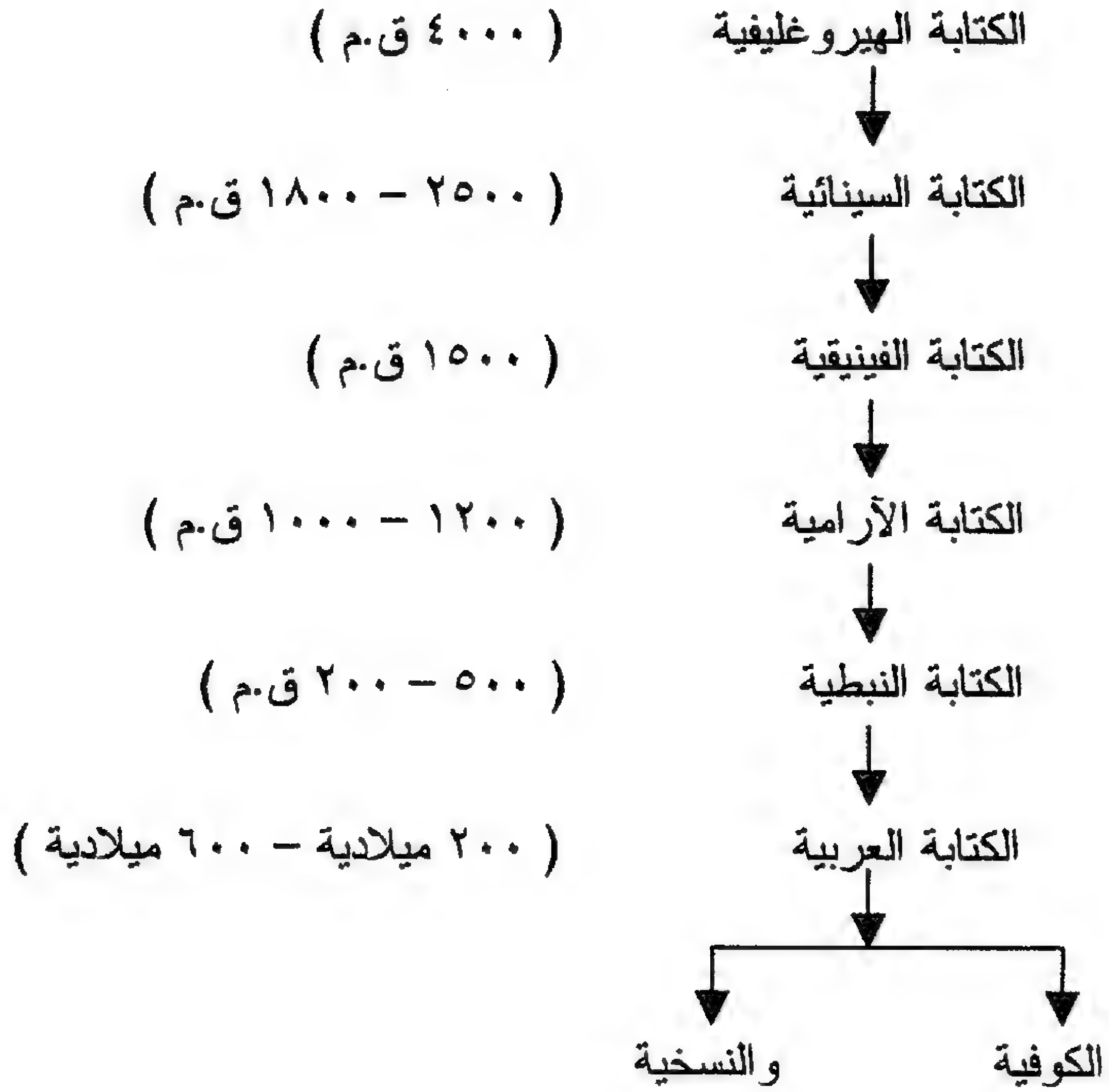
(٤) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى مرحلة النشوء والارتقاء ، العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٨ ، ص ٨ - ١٨ .



يكشف هذا البيان على أن خطوط المسند الأربعة على اختلافها هي خطوط مقفلة توقفت عن الحياة ولم تشتق منها خطوط أخرى . وقد حل الخط العربي محلها بعد أن أخرجها من الاستعمال كما يبين الخطوط التسعة التي اشتقت وتطورت من الفينيقية ، والأصل في كل هذا هو الكتابة الهيروغليفية ومشتقاتها .^(١)

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

الثانى :



وهذا الرسم يعبر عن رأى القائل باشتقاق الخط العربى من مصدر واحد هو الخط النبطى الذى تطور عن الكتابة الآرامية على مدى ثلاثة قرون . وأصبحت له شخصيته واستقلاله منذ القرن الثانى قبل الميلاد وحتى بعد القضاء على دولة الأنباط بفترة طويلة ربما حتى القرن السابع الميلادى . وهذا الرأى هو أكثر الآراء قبولا لدى الباليوجرافيين فى الوقت الحاضر .^(١) وهذا يبين أيضا أن الأصول الأولى ترجع إلى الكتابة الهيروغليفية ومشتقاتها .

كما تحدث د. شعبان فى موضع آخر عن الكتابات الأبجدية فى الشرق الأدنى القديم وأفريقيا وتأثير الفينيقية عليها .^(٢)

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٧٨ .

بالنسبة لوجود بعض الكتابات الخاصة بجنوب الجزيرة العربية في مصر نقول بأنه جاء ذكر اسم مصر في نقش معيني محفور على سور مدينة براقش ، سجله رجلان هما : " عم صدق بن حمم عثت " و " سعد بن والح " وقد كانا كبيرين على المصرية " مصرن " وعلى معين المصرية " معين مصرن " ، وهو الاسم المعيني لمستوطنة معينية . وقد أمرا بتكوين هذا النقش شكرا لمعبودات معين " عثر ذو قبض " و " ود " و " نكرح " لأنها أنقذت القافلة التجارية من الوقوع في أيدي الغزاة كما قاما بتزيين معبد " تنعم " وذلك في عصر الملك المعيني " اب يدع ثيع " ويرجع هذا النص إلى القرن الرابع ق.م (حوالي ٣٤٣ ق.م) (١) .

كما عثر على كتابات معنية على صخور وادي الحمامات ووادي عباد وترجع بعض هذه النقوش إلى عصر قمبيز عندما غزا مصر (٢) .

وبعضها الآخر يرجع إلى عصر البطالمة . كما عثر على نقوش سبئية محفورة على صخور الصحراء الشرقية (٣) .

وظهر هذا التأثير في الكتابة البروتوسينائية التي أثرت بدورها في بعض الكتابات السامية في جنوب الجزيرة العربية وخاصة في الحروف الثمودية القديمة (٤) . كما يظهر هذا التأثير أيضا في بعض الآثار المادية لبعض العبادات والطقوس .

(١) أمل مهران : دراسة تاريخية للعلاقات بين الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة دكتوراه - غير منشورة - كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٤) د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، ص ٤٢٥ - ٤٢٧ .

أول تأثير للغة المصرية القديمة على الخط المسند (المعنى) :

ويجب أن نذكر هنا العثور على أول نص كتب بالخط المسند (المعنى) المتأثر بنطق الكلمات والأسماء المصرية القديمة ونقصد هنا النص الذي جاء على تابوت من الخشب يوجد الآن بالمتحف المصري بالبدروم تحت رقم SS27/B4 ويخص أحد التجار المعينيين من العلا ويسمى زيد ايل وعاش في عصر بطلميوس الثاني (حوالي عام ٢٨٥ ق. م) أو السادس (حوالي عام ١٧٢ ق. م) ويتحدث في هذا النقش الذي كتب بالخط المعنى المتأثر باللغة المصرية القديمة عن معاملات تجارية بينه وبين كهنة المعابد المصرية وكيف أنه أمد هذه المعابد بمقادير من المر وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية .^(١) وأنه استخدم سفينة في استيراد هذه المنتجات .
وقمنا بإرجاع بعض الكلمات التي وردت في هذا النص إلى أصولها المصرية القديمة بعد تعريبها مثال ذلك : (٢)

بوص = أصلها المصري bsw بمعنى " شكل أو صورة " .

صياحص = أصلها المصري sch مومياء المتوفى

ويس = أصلها المصري wts يرفع إلى أعلى

ينس = أصلها المصري insw متماسك أو مترابط

عمس = أصلها المصري ims غطاء رأس

حتحر = أصلها المصري Ht-hr شهر هاتور

كيحك = أصلها المصري k3-hr-k3 شهر كهياك

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ٤٠٨ - ٤٠٩ ، وبالإنجليزية في

نفس المرجع ، 199 - 193 p. ؛ أمل مهران : المرجع السابق ، ص ٥٩ -

٧٠.

(٢) أمل مهران : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٦ .

وسوف نتحدث عن ما بقى من تأثير اللغة المصرية القديمة والقبطية القديمة في

بعض مفردات اللغة العربية في الباب الثالث عشر

اثر حف	= أصلها المصرى <u>Wsir hcpy</u> اوزير - ابيس
هس	= أصلها المصرى <u>hsy</u> ينشد أو يغنى
جم	= أصلها المصرى <u>km3</u> يصنع أو يخلق
نس	= أصلها المصرى <u>ns</u> أطراف
ذوب	= أصلها المصرى <u>wcb</u> يتطهر

وبالنسبة لبعض المناطق فى شمال بلاد الشمال نعلم من قصة مغامرات سنووى الذى ذهب إلى سوريا ، فى بداية الأسرة الحادية عشرة ، انه بعد أن اتصل بأمير رنتو العليا ، أخذه الأمير معه وأغراه بأنه سيجد لديه كل راحة وسيستمع إلى لغة مصر ^(١) لان كثيرين من المصريين كانوا يقيمون معه ، مما يدل على أن المصريين خرجوا بحضارتهم خارج حدودهم لكى ينشروا الثقافة والعلم فى البلاد المجاورة .

ولكى يقيم المصريون علاقات دبلوماسية فى بعض المناطق فى آسيا فى عصر الدولة الحديثة كان عليهم معرفة لغات هذه البلاد وخاصة الفينيقية الأكديّة وكتابتها المسمارية . ومما يدل على معرفة المصريين بهذه اللغة والكتابة العثور على لوحات تل العمارنة التى كتبت جميعها باللغة الأكديّة وبالخط المسمارى مما يدل انه كان هناك فى البلاط الملكى من يعرفون هذه اللغة وكتابتها معرفة جيدة . ^(٢)

وفى عصر الأسرة التاسعة عشرة أقام الملك رمسيس الثانى عدة لوحات فى معبد جبيل . وكان ملك جبيل فى ذلك هو احيرام الذى كان يكتب ويتكلم اللغة المصرية إلى جانب لغته الأصلية والمحلية . وكان يتفاخر دائما بثقافته المصرية . لدرجة انه شيد لنفسه مقبرة تحمل الطابع المصرى وزين أثاثه الجنائزى على الطريقة المصرية .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٨٦ .

(٢) Knudtzon, Die EL - Amarna Tefeln, 2 vol., leipzig 1915;
Mercer, The Tell el Amarna Tablets, 2 vol., Toronto, 1939 .

وتحدثنا من قبل عن الكشف في منطقة سوس في إيران عام ١٩٧٢ على تمثال ضخمة من الجرانيت الأسود ويمثل الملك دارا الأول ، ومغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفى فى خطوط رأسية . هذا التمثال الذى كشفت عنه البعثة الفرنسية التى تعمل فى هذا الموقع منذ عام ١٩٠٠ (١) .

كان من نتيجة اتصال مصر ببلاد الشرق القديم والشعوب الأخرى فى الشرق وخاصة فى عصرى الدولتين الوسطى والحديثة ، أن أثرت الكتابة المصرية القديمة ، كما رأينا ، فى كتابات ولغات هذه الشعوب . كما تأثرت اللغة المصرية القديمة بدورها بلغات هذه الشعوب .

ف نجد أن اللغة المصرية القديمة تشترك مع اللغات السامية الأخرى فى الضمائر الاسنادية الآتية :

<u>العربية</u>	<u>العبرية القديمة</u>	<u>البابلية</u>	<u>فى المصرية</u>
أنا	اتمى	اناك	-المفرد المتكلم انوك
أنت	-	-	-المخاطب المفرد انتك
أنتم	-	-	-المخاطب الجمع انتن

كما تشترك اللغة المصرية القديمة مع اللغات السامية فى خمسة من عشرة من الأعداد :

- واحد : وع
 اثنين : سنو
 ستة : سيسو
 سبعة : سفخ
 ثمانية : خمنو (١)

ونجد أنه فى داخل اللغة المصرية القديمة فى عصر الدولة الحديثة يوجد كلمات عديدة من أصل سامى . ونجد أيضا أن ذلك التأثير واضحاً فى مؤلفات الأدب

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، ص ٤٢٧ وحاشية (٥) .
 (٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

والشعر ، وقد استخدم الكاتب المصري بعض الألفاظ السامية في كتاباته ، مثال ذلك :

<u>في المصرية</u>	<u>في العبرية</u>	<u>في العربية</u>
مت	موث	موت (١)

وقد جاء على لوحة مرنبتاح المحفوظة بالمتحف المصري (CG34025) بعض أسماء المدن التي توجد في فلسطين ، وذلك في السطر ٢٥ - ٢٧ وهي: (٢)

كانع نع = كنعان (٣)

اسكارنى = عسقلان (٤)

كاجار = جزر (٥)

ينوعم = ينعم (٦)

أثارت الحكم والتعاليم التي جاءت على بردية أمنمؤبت من الأسرة الحادية والعشرين ، كما ذكرنا في باب الأدب (٧) ، انتباه العلماء على أساس أن أجزاء من سفر الأمثال (من الإصحاح ٢٢ : ١٧ حتى الإصحاح ٢٤ : ٢٢) نقلت حرفيا من بردية أمنمؤبت ، كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذه البردية قد اقتبسها العبرانيون في مواضع كثيرة من التوراة في غير سفر الأمثال وربما قد تكون نصوص هذه البردية قد وصلت إليهم فيما بعد لأن أقدم أجزاء التوراة لم تكتب إلا في القرن الثامن ق.م

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, London 1979, p.81

(٢) Kitchen, RI 1V, p. 12 - 19; Breasted, AR 111, p. 256;

lacau, Steles du Nouvel Empire I, p. 54 - 56 pl. 17.

(٣) منطقة غير معروفة محددة تشمل الجزء الأكبر من فلسطين .

(٤) إلى الشمال قليلا من غزة .

(٥) إلى الشمال من فلسطين .

(٦) إلى الجنوب من فلسطين .

(٧) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

على الأكثر وأكثر ما كتبت في التوراة وفصولها كتب بعد ذلك بعدة قرون .^(١)

وفي آسيا الصغرى كانت هناك كتابة أقل انتشاراً هي ما تسمى بالهيريوغليفية الحيثية . وتشبه علاماتها إلى حد كبير علامات الكتابة الهيريوغليفية^(٢)

وفي شمال أفريقيا نجد بقايا تأثير اللغة المصرية القديمة في لهجات بعض قبائل البربر في جنوب شمال أفريقيا مثل قبائل البجاء (البجة) والبربر وجالا والصومال .^(٣) فمثلاً نجد تشابهاً في الكلمات الآتية :^(٤)

<u>لغات شمال أفريقيا</u>	<u>في المصرية القديمة</u>
اممت (عند البربر)	مت (موت)
اكرف (عند البربر)	كفن (يربط)
نفير (عند البجة)	نفر (حسن)
جيبا (عند البجة)	جبع (اصبع)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٧١ حاشية (١) ، ص

٣٧٢ حاشية (١-٤) ؛ وأيضاً : James, An Introduction to Ancient Egypt, London 1979, p. 98-99 .

(٢) Contenau, les Civilisation Anciennes du Proche Orient, Paris (٢) (1963), p. 4-5.

(٣) Gardiner, Egyptian Grammar (third edition), london (1957), p. 2, 3 .

(٤) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 81; kitchen, RI 1V, p. 2 - 12 .

شميس (عند البجه)

شمس (يتبع او تابع)

اجمى (عند الطوارق)

جم (يجد)

ونجد على سبيل المثال أن اسم ليبيا من أصل مصرى قديم ، جاء من كلمة ربو (لبو) .

ما بقى من تأثير فى لغات ولهجات بعض القبائل الأفريقية :

ونجد أن تأثير الثقافة المصرية كان أكثر وضوحا فى بلاد كوش فى الجنوب فقد اشتهت الكتابة المروية من الكتابة الهيروغليفية وقد ظهرت المروية مع نشأت مملكة مروى فى القرن الثالث قبل الميلاد .

فبعد انتهاء فترة حكم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية فى مصر ، استقرت سلالة هذه الأسرة الكوشية ولمدة عدة قرون فى منطقة نباتا ومروى وحكمت هناك شعبا ينتمى إلى القارة الأفريقية ، واستخدموا فى الكتابة خطأ يشبه إلى حد كبير الخط الديموطيقى المصرى . وأطلق على هذا الخط الكتابة المروية المصورة ، وأغلبها مقتبس من الأبجدية المصرية فى العصر المتأخرة ونعرف من حروفها ثلاثة وعشرين حرفا . ثم ابتكروا حروفا مبسطة أخرى .

وتتميز حروف الكتابة المروية بأن كل حرف منها يدل على صوت واحد ، أى إنها أبجدية صرفه ، كما تتميز باستخدام الفواصل بين الكلمات ^(١) . وقد عاشت هذه اللغة حتى القرن الرابع الميلادى .

وكان ملوك نباتا يستخدمون اللغة المصرية كلغة رسمية، كما يحتمل أنهم

(١) د. عبد الحميد زايد : نظرات عابرة فى العلاقات بين لغات الشرق الأدنى

القديم ، فى مجلة الفكر - المجلد الثقافى - العدد الثالث ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص

كانوا يستخدمون اللغة المروية في شئون حياتهم اليومية ، إلا أن مدى معرفتهم باللغة المصرية وقواعدها بدأ يقل تدريجيا تعذر الاتصال مع مصر بسبب خضوعها للحكم الأجنبي من بطالمة ورومان . أما بالنسبة لمملكة مروي فنجد أن ملوكها تخلوا عن استخدام اللغة المصرية كلغة رسمية وانصرفوا إلى لغتهم المروية ، بعد أن ابتكروا لها أبجديتين إحداهما مصورة والأخرى مبسطة ، واستطاع العلماء منذ أكثر من خمسين عاما أن يقرأوا حروفها دون أن يفهموها ، فيما عدا بعض المفردات المأخوذة من المصرية القديمة . وأقدم النصوص المدونة باللغة المروية ترجع إلى حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد (حوالي عام ١٧٠ - ١٦٠ ق.م) .^(١)

وعثر على مخربشات باللغة المروية على العديد من الآثار في صولب وكوه وساي وبوهن وعنيبة ووادي السبوع والدكة وكلايشة وفيله وغيرها .^(٢)

وعثر في مروي في معبد الشمس على نصوص مكتوبة بالهيروغليفية المروية وبالنسبة للنصوص المكتوبة بهذه الكتابة فهي قليلة^(٣) . والهيروغليفية - المروية تقرأ مع اتجاه الرسوم المصورة .^(٤)

ولدينا بالمتحف المصري العديد من لوحات المقابر وموائد القرايين ونصوص دينية أخرى كتبت على أنواع مختلفة من الآثار ، كتبت أو نقشت جميعها بالخط المروي . وهناك أيضا بعض النصوص التي سجلت بهذا الخط على جدران معبد كلايشة .

وقد قضى ملوك الحبشة^(٥) على تلك المملكة فسقطت في عام ٣٥٠

(١) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٥) اشتقت الكتابة السينائية من الخط الهيروغليفي ، وجاء من السينائية الفينيقية والمسند . ومن المسند جاءت الخطوط الحميرية والحيانية والثمودية ومن الحميرية جاءت الحبشية .

ميلادية تقريبا . ولا يزال تأثير اللغة المصرية القديمة واضحا في ثقافة بعض الشعوب والقبائل الأفريقية ^(١) . ومازلنا حتى الآن نرى بعض القبائل الأفريقية تمارس عادات وتقاليد مصرية قديمة . ^(٢)

فنجد أن هناك تشابها كبيرا بين ما كان معروفا في اللغة المصرية القديمة وما هو معروف حاليا في لغات ولهجات قبائل الولوف - Wolof ^(٣) وخاصة في طريقة التعبير عن الضمائر الشخصية وأسماء الإشارة وبعض الأفعال في صيغة المضارع والماضي وصيغة المبني للمجهول (في المضارع وفي الماضي) وصيغة الحال وبعض الأسماء المذكورة . ^(٤)

وبالنسبة للأزمنة ، نجد التشابه في حالة الماضي ، حيث يوضع حرف n في اللغة المصرية القديمة بين الفعل والضمير للتعبير عن الماضي ، وفي لغة الولوف يوضع حرف مشابه هو on . وفي صيغة المبني للمجهول تستخدم اللغة المصرية القديمة الضمير tw وهو الضمير نفسه المستخدم في لغة الولوف . وفي

(١) يبلغ عدد سكان قارة أفريقيا ٢٩٠ مليونا ، ويقدر الخبراء عدد اللغات واللهجات الموجودة بها ما بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ لغة ولهجة ، وأكثر اللغات انتشارا هي بلا شك اللغة العربية ، راجع : د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) مثل ما يحدث في مملكة جوكون في شمال نيجيريا وقبائل اليوربا في غرب أفريقيا ، راجع : د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(٣) تمتد قبائل الولوف في المنطقة السفلى من نهر السنغال وجامبيا في أقصى أطراف غرب السودان ، راجع :

Fage, A History of Africa 11 (1981), p. 44-49.

Motkhtar, General History of Africa II, 1981, p. 44- 49 . (٤)

صيغة تستخدم اللغة المصرية بالنسبة للمفرد المتكلم الإضافة أو النهاية kwi وهي الإضافة أو النهاية نفسها المستخدمة عند الولوف وكذلك صيغة استخدام الفاعل أو المفعول مع المستقبل التي تعرف في المصرية القديمة باسم صيغة sdm.tyfy . وأيضاً صيغة المصدر التي ينتهي الفعل فيها بحرف التاء . ونرى ذلك في الأفعال الآتية : (١)

(١) فعل " كف " بمعنى " يمسك بـ أو يقبض على " . (٢) في حالة المضارع (ومتصلاً به الضمير Suffix) .

<u>لغة الولوف</u>	<u>اللغة المصرية القديمة</u>	
kef - na	<u>kf.i</u>	أنا أمسك بـ
kef-nga	<u>kf.k</u>	أنت تمسك بـ
----	<u>kf.t</u>	أنت (للمؤنث) تمسكى بـ
kef-ef (أكثر تشابها)	<u>kf.f</u>	هو يمسك بـ
kef-es (أكثر تشابها)	<u>kf.s</u>	هي تمسك بـ
kef-nanu (أكثر تشابها)	<u>kf.n</u>	نحن نمسك بـ
kef-ngen	<u>kf.tn</u>	أنتم (للمذكر والمؤنث) تمسكون بـ
kef-nanu	<u>kf.sn</u>	هم (للمذكر والمؤنث) يمسكون بـ

اللغة المصرية القديمةلغة الـولوف

	<u>في حالة الماضي</u>
<u>Kf.n.i</u>	Kef-(on)-na
<u>Kf.n.k</u>	Kef-(on)-nga
<u>Kf.n.t</u>	-----
<u>Kf.n.f</u>	kef-(on)-ef
<u>Kf.n.s</u>	kef-(on)-es
<u>Kf.n.tn</u>	kef-(on)-nanu
<u>Kf.n.tn</u>	kef-(on)-nanu

(٢) فعل " فـخ " بمعنى " ينطلق أو يذهب بعيد " .^(١)

في حالة المضارع :

<u>fh.f</u>	Feh-ef
<u>fh.s</u>	Feh-es

في حالة الماضي :

<u>fh.n.f</u>	Feh-on-ef
<u>fh.n.s</u>	Feh-on-es

في صيغة المبني للمجهول (في المضارع) :

<u>fh.tw.f</u>	Feh-tw-ef
<u>fh.tw.s</u>	Feh-tw-es

في صيغة المبني للمجهول (في الماضي) :

<u>fh.n.tw.f</u>	Feh-an-tw-ef
<u>fh.n.tw.s</u>	Fah-an-tw-es

في صيغة المستقبل :fh.ty fy

Feh-at-fy

fh.ty sy

Feh-at-es

في صيغة الحال :fh.kwi

Fahi-kw

(٣) فعل " مر " بمعنى " يحب ".^(١)في حالة المضارع :mr.f

Mar-ef

mr.s

Mar-es

في حالة الماضي :mr.n.s

Mar-on-ef

mr.n.s

Mar-on-es

في صيغة المبني للمجهول (في المضارع) :mr.tw.f

Mar-tw-ef

mr.tw.s

Mar-tw-es

في صيغة المبني للمجهول (في الماضي) :mr.n.tw.f

Mar-an-tw-ef

mr.n.tw.s

Mar-an-tw-es

في صيغة المصدر :mrt.f

Mar-t-ef

mrt.s

Mar-t-es

في صيغة المستقبل :

mr.ty fy

Mar-at-ef

mr.ty sy

Mar-at-es

في صيغة الحال :

mr.kwi

Mari-kw

ونجد هذا التشابه أيضاً في بعض الأفعال والمفردات والأسماء الأخرى مثال

ذلك : (١)

<u>لغة الولوف</u>	<u>اللغة المصرية القديمة</u>	
lad (لادج)	<u>nd</u>	يسأل (نجدح)
lah (لاه)	<u>nh</u>	يحمى (نخ)
belbel (بل بل)	<u>bnbn</u>	حسن لدرجة أن (بن بن)
tale (تالى)	<u>tni</u>	ينمو كبيراً (ثنى)
tefnit (تفنيت)	<u>tfnwt</u>	لعاب (تفنوت)
nab (ناب)	<u>nbd</u>	ضفيرة (نيدت)
gen (جن)	<u>hn</u>	عضو تذكير (هن)
gwne (جونه)	<u>hwn</u>	مراهق (هون)
gor (جور)	<u>Hr</u>	صقر (حور)
gor gwne (جور جونه)	<u>Hr hwn</u>	صقر صغير (هور هون)

ونجد هذا التشابه أيضاً في أسماء الإشارة الآتية : (٢)

Id, op. cit., p. 48 – 49 .

(١)

Id, op. cit., p. 45 – 46 .

(٢)

epw (ابو)	pw	هذا للمذكر (القريب) (بو)
pb (بب)	pn	هذا للمذكر (بن)
pb (بب) ، ff (فف)	pf	هذا للمذكر (البعيد) (بف)

ويتفق علماء اللغة على أن لغات هذه الشعوب تشكل فرعا من العائلة اللغوية للسكان الأصليين (أى كونغو - النيجر) والتي تتميز عن لهجات الماندى . وهناك شعوب الفولاني ، وهم قوم من البدو الرعاة ويطلق عليهم العرب اسم " الفلانيه " وجاءوا إلى غرب السودان ^(١) . وقد اختلف الباحثون في أصلهم فيربطهم " فمولر " لغويا بالنوبة السفلى في السودان . ^(٢)

ويرى بعض العلماء أن اللغة المصرية القديمة عاشت في أفريقيا على الأقل ٤٥٠٠ عام ^(٣) ، ورأى البعض الآخر أنه إن كانت الحياة الثقافية المصرية القديمة قد أثرت في طريقة الكتابة وثقافة وتفكير الحضارات الأفريقية القديمة ، فلاشك إنها بدورها قد تأثرت أيضا بتلك الحضارات الأفريقية القديمة وخاصة في مجال اللغة ولو بقدر يسير . ^(٤)

وفي الشمال كان للحضارة المصرية القديمة تأثيرا كبيرا على الحضارة اليونانية وجزر بحر ايجيه وخاصة في مجال الحياة الثقافية :

(١) مثل قبائل السرر والديولا والتندا والسبيل والتمن والجولا وكانت قبائل الولوف أول القوى السياسية المجاورة للساحل عندما جاء البرتغاليون في أوائل القرن السادس عشر . وأطلق عليهم إمبراطورية الولوف وتقع بين السنغال الأدنى وجامبيا في أقصى أطراف غرب السودان وغرب ليبيريا مع مجموعة القبائل

الأخرى ، راجع : Fage, A History of Africa (1978), p. 241.

Dubois, Tomboutou la Mystérieuse, Paris (1899), p. 52. (٢)

Mokhtar, op. cit., p. 49 . (٣)

Id., op. cit., p. 49 . (٤)

ويرى د. ايفار أن ما قدمته مصر للحضارة الإنسانية عامة وللحضارة الغربية خاصة لم يلحظ بالتقدير المطلوب ، وذلك لأنها زودت الغرب بعلوم ومعارف عديدة منها الهندسة والطب . وقد آلت هذه المعارف إليها عن طريق الفينيقيين والسوريين واليهود والكريتيين واليونانيين والرومان أنفسهم .^(١)

ومن الصعب تحديد إلى أى مدى استطاعت الحضارة المصرية القديمة التأثير فى الحضارة اليونانية الناشئة ، ولكن يمكن القول بأنه كان للحضارة المصرية فضل كبير فى تطور الحضارة اليونانية .

لقد تعلمت اليونان فى شبابها من مصر واعترفت لها بالفضل ثم غربت حضارة اليونان أو انزوت فى ظل الحضارة المصرية على شواطئ الإسكندرية فلسفة وديننا .

ولهذا يقول ول ديورانت :

" تعلمت اليونان فى شبابها من مصر واعترفت لها بالفضل ثم غربت حضارة اليونان فى احضان مصر على سواحل الاسكندرية فلسفة وديننا " ^(١)

ان الحضارة اليونانية نشأت متأخرة عن حضارة الشرق جميعا ولذا فقد أفادت منها كثيرا وظلت حضارات الشرق تمد الحضارة اليونانية طوال تاريخها بكثير من عناصر تراثها وان التهويل من شأن الحضارة اليونانية على حساب سائر الحضارات القديمة إنما هى نزعة عنصرية لدى بعض الأوروبيين المعاصرين ولم يعرفها اليونانيون القدماء لأنهم كانوا أكثر تواضعا من خلفائهم الأوروبيين فى معرفة

(١) د. ايفار ليسنر : الماضى الحى (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة) ترجمة شاكر إبراهيم ومراجعة د. أبو المحاسن عصفور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٧٤ .

(٢) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ١٧ (هامش) .

حقيقة أنفسهم (١).

لقد ابتكرت الحضارة الإغريقية الفلسفة وفروعها : المنطق وفلسفة الأخلاق وما يعد من الطبيعة ، وعلم النفس ، والهندسة ، وفن المسرح والتاريخ ، اما سائر مظاهر الفكر والمعارف ، فيرجع إلى الحضارات الأخرى (٢).

كانت مصر هي الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة للبردى فى التاريخ القديم . وكانت بلاد اليونان منذ نهضتها الثقافية الكبرى فى القرن الخامس قبل الميلاد فى حاجة ماسة إلى هذه السلعة (٣).

إذن فالتهويل من شأن الحضارة اليونانية على حساب الحضارات القديمة الأخرى إنما هي نزعة عنصرية لدى الأوروبيين المعاصرين لم يعرفها اليونانيون القدماء وأهل الفكر منهم (٤).

هيرودوت ذلك المؤرخ اليونانى الذى تطلق عليه الخطيب الرومانى شيشرون لقب " أبى التاريخ " والذى زار مصر فى حوالى عام ٤٥٠ ق.م وهو لم يجعل تاريخية مقصورا على الوقائع السياسية وإنما تجاوزها إلى الجانب الحضارى من التاريخ (٥) ولهذا لم ينس أن يسجل هذه الفقرة :

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) د. مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٣ .

(٤) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

"وعن طريق اليونانيين وصلت إلى الحضارة الغربية بعض الأفكار المصرية". (١)

وإذا بحثنا في النصوص عن اقدم تأثير للحياة الثقافية في مصر القديمة على بلا اليونان . نستطيع ان نقول انه في قصة ون آمون من بداية الأسرة الحادية والعشرين ، وذلك المبعوث الذي ألقت به الأمواج في البحر المتوسط على جزيرة أرسا أو إسي (قبرص) . يحدثنا في نصوص هذه البردية انه وجد على هذه الجزيرة من يفهم اللغة المصرية ويتحدث بها . (٢)

في منتصف القرن السابع ق.م نشطت العلاقات بين مصر والمدن الواقعة على الساحل الغربي لآسية الصغرى . فكان اليونانيون والكاريون يعملون كمرتزقة في جيش الملك بسماتيك الأول الذي كان يعمل على توطيد دعائم سلطانه على وادي النيل كله وليس من شك في أن التجار والسياح العاديين جاءوا في أعقاب المحاربين ثم حملوا إلى أوطانهم قصصا كثيرة عن الأشياء الغربية التي شاهدوها وتعلموها في ارض مصر . وكانوا يتحدثون عن ثقافة مصر وفنونها وآدابها وديانيتها ومنتجاتها .

وكان يسكن في ايونيا في القرن السادس ق.م جنس من الناس اكثر تعطشا للمعرفة والثقافة من اى شعب آخر عاش فوق الأرض . وما سمعوه عن حضارة مصر هو الذى دفعهم إلى الاهتمام بمصر بخاصة . ومن بينهم جاء أول الكتاب الذين زاروا مصر وزودا مواطنهم باوصاف مستفيضة عن مصر والمصريين . (١)

(١) Vercoutter , L'Égypte Ancienne , p . 8 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٦ .

(٣) الن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

وفى الفترة فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد جاء عدد من الشخصيات اليونانية (أو الايونية) إلى مصر منهم الرحالة والمؤرخين الذين كتبوا وصفا لما شاهدوه وسمعوه فى مصر ، ومن أمثال هؤلاء :

هيكاتية الملتى : مؤرخ وجغرافى إغريقى (٥٢٠ ق.م) الذى اهتم بمشاكل فيضان النيل وتكوين الدلتا واهتم بجغرافية البلاد وعناصر البيئة أكثر من اهتمامه بالسكان وتاريخهم وقد ضاع " تخطيط الأرض " الذى ناقش فيه كل هذه الأمور .

هيروdot الهالكارناسى (حوالى ٤٨٤ - ٤٣٠ ق.م) الذى ارتحل عقب ٤٥٠ ق.م .^(١) مباشرة كسائح حتى الجندل الأول وان رحلته ربما لم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور وإنما نجد إن مظاهر البيئة والحضارة المصرية قد أثارت اهتمام هيروdot .^(١)

ويقال أن هيروdot زار مصر فى العصر الفارسى فى عهد الملك ارتاكسركسيس الأول ويرجح أن هذه الزيارة تمت بين عام ٤٤٨ ، عندما عقدت أثناء الصلح مع الفرس ، وعام ٤٤٥ ق.م عندما كان فى أثينا قبل ذهابه إلى قورينى التى اشترك فى تأسيسها عام ٤٤٣ ق.م .

ويحدثنا هيروdot بان البلاد كانت فى رخاء وأن التجارة والصناعة كانتا رائجتين ، بزعم الضرائب الكثيرة المفروضة عليها . وكانت أبواب البلاد مفتوحة أمام الزوار الأجانب ، وكان فى استطاعتهم زيارة المعابد وكل معالم البلاد دون صعوبة أو التعرض لأى ضرر من الأهالى . ويبدو أن الكفاح بين الفرس والمصريين كان مقصورا على الدلتا وما يجاور منف ، إذ أن هيروdot لم ير فى

(١) الن جارنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم ابو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦ - ١٧ .

الوجه القبلى أى آثار تخريب . وكان يوجد بالبلاد الإدلاء الذين اصطحبوه فى كل مكان .^(١)

أفلاطون : فيلسوف إغريقى صاحب السياسة والنوايس والكلام على المدن والملوك . (٤٢٩ - ٣٤٧)^(٢) فقد جاء إلى مصر قبل عام ٣٩٥ ق.م بين عامى ٣٩٧ و ٣٩٥ ويقال انه استقر فى مدرسة إيونو لمدة عامين كاملين حيث درس على الكهنة العلوم الرياضية والمعارف التاريخية واخذ بنصيب وافر من الفلك كما استفاد من تعرفه على ديانة المصريين ونظام الحكم والأخلاق ، والتي تتلاءم مع تفكيره الفلسفى . وقد شبه فى آخر مؤلفاته : le Timee معبودة سايس فى غرب الدلتا ، نيت بالمعبودة اثينا وخاصة اثينا فى الفقرة ٢٣ .

ويقال انه غادر مصر فى عام ٣٩٥ ق.م عقب الحرب التى قامت بين أثينا وإسبرطة حيث كانت مصر حليفة لإسبرطة فى هذه الحرب .^(٣) ويقول المؤرخ بتلر أن سترابون لما زار مصر دله الناس على المواضع التى كان أفلاطون يتلقى فيها العلم من قبل .^(٤)

ولا توجد حضارة شهد لها فلاسفة العالم القديم إلا الحضارة المصرية القديمة ويكفى ان نذكر ما كتبه افلاطون لنذكر أهمية وقيمة ما كان يشعر به

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٧ - ٨ .

(٢) ايدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على ، ص ٢٥٥ .

(٣) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القديمة فى مصر القديمة ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرية ١٩٦٣ ، ص ٥٨ حاشية (٢) .

اليونانيون القدماء من فضل للحضارة المصرية .^(١)

وبعد الإسكندر الأكبر - تحت حكم البطالمة - احتشدت مصر بالإغريق الذين حطوا رحالهم بها وشغلوا بأعمالهم التجارية وبالزراعة أكثر من إبداء الاهتمام بالعبادات الغربية لجيرانهم من المواطنين .

هيكاتيه الأبديري : مؤرخ إغريقى : (٣٢٠ ق.م) الذى أبدى بعض الملاحظات المبعثرة عن مصر ، وكتب كتابا فقد اليوم بعنوان : " دراسات مصرية " .

أجاثاركيدس السفودى الجغرافى المؤرخ (القرن الثانى قبل الميلاد)

ديودور الصقلى الذى قام برحلة سياحية فى مصر لمدى قصير فى ٥٩ ق.م وهو مؤرخ إغريقى اعتمد على مصادر من سبقوه مثل هيكاتيه الأبديري وأجاثاركيدس السفودى الجغرافى . وقد كرس مساحة كبيرة فى كتاباته للمعبود أوزير وتحدث عن ارض مصر ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية بها وفى نهاية الامر نلتقى بمناقشة مستفيضة عن أسباب الفيضان ، ثم يتحدث بعد ذلك عن بعض ملوك مصر . والثلاثون فقرة الأخيرة من كتابه الأول باللغة الطرافة وهى تبادل طائفة من الموضوعات من بينها حياة الملوك وإدارة الأقاليم ونظام الطوائف ثم العدالة والقوانين والتعليم والطب وتقديس بعض الحيوانات ودفن وعبادة الموتى وأخيرا ما يدين به الإغريق لمصر .

سترابون : كاتب إغريقى ولد فى وعاش فى الإسكندرية لبضع سنوات ثم صاحب صديقه الحاكم الرومانى ، اليوس جاليوس ، فى حملة الجندل الأول حوالى ٢٥ . ٢٤ ق.م . وتوفى بين عامى ٢١ أو ٢٥ ميلادية . وكتاب سترابون عن مصر قصير نسبياً يتضمنه الكتاب السابع عشر والأخير من مؤلفه " جغرافيكاً " وهو

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٠ ؛ وراجع أيضا :

د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق

٢٠٠١ ، ص ٢٤٥ - ٢٦٣ .

يبدأ بحديث موجز عن النيل ثم يتابعه بوصف مفصل عن الإسكندرية والإقليم المتأخرة لها شرقا . وهو يتابع بعد ذلك الكتابة تبعا للتريتب الطبوغرافى . وتناول أقاليم ومدن الدلتا حظا من التفاصيل الكاملة . كما تحدث عن الأبنية والعبادات فى هذه المدن كما تحدث عن الازوريون فى أبيدوس وكان سترابون أول من أشار إلى تمثالى ممنون وما يصدر عنهما من أصوات .

ونراه يحدثنا كذلك عن مقياس النيل فى الفنتين . ويذكر انه كان يوجد داخل حدود مصر ما لا يقل عن داخل حدود مصر ما لا يقل عن ٩٩ مدينة ومحلة يمكن تحديد مواقع معظمها .

بلينى الأكبر : كاتب رومانى الذى جاء بين عامى ٢٣ - ٢٩ ميلادية وزار خلالها مصر ، وقد أظهر إعجابه بهندسة الأهرام وأبو الهول . وكتب مؤلفا عن " التاريخ الطبيعى " ^(١) ويعد كتابه حجة عن جغرافية مصر .

بلوتارخ الخايرونى : مؤرخ إغريقى (٥٠ - ١٢٠ ميلادية) نراه يروى فى لغة بسيطة قصة أوزير الملك الصالح الذى قتله غيلة أخوه الشرير ست ثم انتقم له ابنه حورس وتتفق القصة التى يرويها بلوتارخ ، والتى كان قد رواها من قبل ديوردور الصقلى ولكن بلوتارخ أضاف إليها الكثير من التفاصيل التى استقى بعضها على الأقل من بعض مصادر أصلية لم تصل إلينا . وهو مرة يجعل أوزير مساويا للنيل ومرة أخرى يرى فى أوزير الرطوبة ويرى فى ست قوة الجفاف ، بينما يرى فى حورس المطر الذى ينتصر عليه ^(٢) .

كما زارها اثنينا جوراس (الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى) وزار مدينة سايس وتحدث عن آثارها . وجامبليك : فيلسوف إغريقى (الذى ولد فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى وتوفى فى عام ٢٢٥ - ٢٣٠) وألف كتابا عن أسرار مصر .

(١) الن جاردنر : المرجع السابق ، ص ١٧ - ٢٠ ، ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

وارنوبيوس : كاتب لاتيني (الذى عاش فى نهاية القرن الثالث وتوفى فى عام ٣٢٧ م) وتحدث عن فيضان النيل .^(١) كما قصد مصر النابغون من أهل العلم والفكر فى اليونان ، وكانوا يفخرون دائما بتلك السنوات التى قضوها فى مصر مع الكهنة المصريين فى المدارس المختلفة الملحقة بالمعابد فى سايس واينونو ومنف والأشمونين وأبيدوس وطيبة . جاء الإغريق إلى مصر يستفسرون عن تاريخها وعاداتها وتقاليدها وديانيتها وثقافتها وفنونها .

حتى أن الطلبة اليونانيين بدأوا يختلطون بدور العلم المصرية . ولدينا نص على بردية يونانية ، عبارة عن رسالة من أم يونانية إلى ابنها الذى كان يقيم فى مصر ، جاء فيها ما يأتى :

" وعندما بلغنى انك تتعلم الكتابة المصرية فرحت لك "

وفى ذلك ما يدل على ان اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر منهم من كان يرى أن الإفادة الكاملة لن تتم دون تعلم لغة البلاد أى اللغة المصرية .^(٢)

كما تعلم كثير من المصريين اليونانية ، وتسموا بأسماء إغريقية . وفى القرن الثالث ق.م نجد عددا من المصريين يشغلون بعض المراكز الهامة ، إن لم تكن من المناصب الإدارية العليا .^(٣)

وبدأ اليونانيون من جانبهم فى دراسة الثقافة والعلوم المصرية فى بلادهم ، وخاصة فى مجال الهندسة والطب . وكان بعض المصريين الذين هاجروا إلى بلاد

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٥٧ .

(٢) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٤٣

حاشية (٢) .

(٣) ايدرس بل : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى (نقله الى العربية

وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، ص ٥٠ .

اليونان يقومون بتعليم الموسيقى والعزف على الآلات المختلفة لبعض اليونانيين (١).

وقبل وبعد زيارة الرحالة اليونان تأثر الكثيرون من أهل الفكر في اليونان بالحضارة المصرية يؤمنونها بالتماس أزهار معارفها ومنهم من لم يزرها ولكنه تأثر بمعارفها وثقافتها بطريقة ما فزارها قبل أفلاطون فيثاغورس صاحب الكيمياء والنجوم والروحانيات والطلاسم والبرابى والرياضيات وأسرار الطبيعة (٢) وبعد أن غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م عاد معه فيثاغورس إلى بابل وظل هناك اثني عشر عاما يدرس الحساب والموسيقى وتعاليم المجوس .

وابقراط (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) صاحب الكلام عن الطب .

وكما تعلم افلاطون فروع العلم المختلفة ، تعلم تلميذه يودكس الفلك

ومن الفلاسفة أيضا ديموقراط وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) صاحب المنطق والطبيعيات والسياسة وكان من بين الفلاسفة الإغريق الذين سمح لهم بالاشتراك في الاحتفالات الدينية : ديموقراط الأبدى وأفلاطون وايدوكس وهرمس وبلوتارخ الذى تعلم أسرار أوزير وفلوتين الذى كان يعرف ترجمة الهيروغليفية والمعنى الخفى وجامبليك الذى حدثنا عن قدسية الكاهن المصرى فى تعبد و قدسية المعبودات (٣) وافلاطيموس صاحب الفلاحة ، وفيلور صاحب الدوايب والارحية والحركات وارميس صاحب المرأة المحرقة والمنجنيقات التى ترمى بها الحصون وجالينوس الطبيب (١٣٠ - ٣٠٠ ميلادية) (٤) ، وغيرهم من أمثال طاليس الذى

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ .

(٢) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ١٣ حاشية (١) ؛ د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٣) Champdor, le livre des Morts, p. 34.

(٤) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠ ؛ وأيضا : الأعمال الكاملة لعلى مبارك : المرجع السابق ، ص ١٣ حاشية (٢ ، ٤ ، ٦) .

تعلم من أسرار الكهنة المصريين ونقل عنهم أصول النحت والهندسة إلى مواطنيه اليونان ونذكر أنه قاس الأهرام جامعا النسب بين ظلها وظل جسم الإنسان^(١) وقد نصح طاليس تلميذه بيتاجوراس بأن يتم دراسته مع الكهنة المصريين فقضى في مصر اثني وعشرين عاما تعلم فيها الفلك والهندسة والحساب في معابدها^(٢). وكان الملك أمازيس قد أوكله إلى كهنة منف وعرف أشياء عن عالم المعبودات وخلود الروح وعرف أيضا حقيقة خلق الكون وكان يجوب المعابد بسهولة . وكان هو نفسه محل إعجاب وحب من الكهنة المصريين وأقام علاقات معهم متعلما منهم كل شئ ولم يهمل أى توجيه شفهي وتوجه إلى كل الكهنة ، وتعلم الحكمة من كل واحد منهم ، ومكث في مصر حوالي عشرين عاما حتى جاء اليوم الذى وقع فيه اسيرا بواسطة جيش قمبيز^(٣). كما تعلم بيتاجوراس اصول النوتة الموسيقية والسلم الموسيقى في مصر . وكل من هؤلاء كان معروفا بنظرياته العلمية والرياضية والفلسفية ومن أصحاب الهندسة والمقادير وجر الأتقال والآلات لقياس الوقت والمخروطات وغير ذلك . ومن المشرعين سولون المشرع الاثيني الذى أقام فى سايس وليكورج^(٤).

(١) Champdor, op. cit., p. 34.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٥١ .

(٣) Champdor, op. cit., p. 34 .

(٤) فمثلا قانون تقديم إقرارات الذمة المالية نقله سولون أثناء رحلته فى مصر إلى أثينا ، فكان من واجب على كل مصرى أن يقدم إقرارا يتضمن اسمه ومهنته أو حرفته ودخله للسلطة القضائية ولا بد ان تكون صحيحة ، راجع د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٢١ ، ٣٩ .

ومن الموسيقيين اورفي ومن الشعراء هومير (الذى عاش فى القرن التاسع ق.م) وانوبيدز. (١)

وكان هومير يتغنى بحكمة مصر وتفرقها فى مختلف ميادين العلم والفنون. (٢) وقد اخذ اليونانيون عن المصريين القدماء الكثير من ميادين العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية فى قواعد العلوم المختلفة. (٣)

وهى مبادئ علمية لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحسب وانما دونها المصريون القدماء فى شكل قواعد علمية كما يظهر لنا ذلك بوضوح فى برديات ابرس وهرست وادوين سميث الطبية . وتركت هذه البرديات وغيرها أثرها على المنجزات الطبية فى اليونان . هذا وقد اخذ اليونانيون عن المصريين ، على سبيل المثال ، اولى مبادئ الطب والتشريح .

وهو أثر وصل إلى درجة الاقتباس الكامل فى كثير من الأحيان كما يظهر لنا بوضوح فى كتابات ديوسكو ريديس وجالينوس وهيبراكليتوس (ابقراط) . وقد وضع ابقراط فى القرن الخامس قواعد علم الطب وكان من نظراياته ان المرض داء طبيعى يجب مكافحته بوسائل طبيعية. (٤) كما زارها أيضا فركيدس وهراكليتوس واناكساجوراس وديموكرييتوس كما زارها اوزكس رياضى وفلكى يونانى. (٥)

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٤٦ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٧ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٥٥٧٩ - ٥٨٠ ؛ وأيضا د. احمد

بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ؛ د. ابراهيم

نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى - عصر البطالمة) ،

ص ٢٠٣ .

(٤) د. ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة

الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٦ ؛ وأيضا : د. لطفى

عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٥) فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتى)، ص ٢٤٥ .

وكان علماء اليونان ومتفهميها يتقنون العلم على يد الكهنة المصريين (١).
 ويفخر الكثيرون من أهل الفكر في اليونان الذين وضعوا أسس العلوم اليونانية بأنهم
 درسوا عدة سنوات في مصر (٢).

وعندما دخل الاسكندر الأكبر مصر ، اصطحب معه في فتوحاته عدداً كبيراً
 من العلماء والفلاسفة والأدباء ، وأنه أثناء إقامته بمصر أرسل رجالاً يحاولون
 اكتشاف منابع النيل وأسباب فيضانه . وهي السياسة نفسها الذي سوف يتبعها
 بونابرت أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م عندما اصطحب معه مجموعة من
 العلماء الفرنسيين .

وكان بالإسكندرية علماء في الفيزياء وآخرون في الرياضيات والفلسفة (٣).
استمرار هذا الدور الثقافي المؤثر والفعال لمصر في العصر البطلمي ويتمثل ذلك في
الدور الذي قامت به دار العلم ومكتبة الإسكندرية الكبرى في هذا العصر :

لم ينقض القرن الثالث ق.م حتى أصبحت مدينة الإسكندرية عاصمة للأدب
 في العالم الإغريقي وذلك بفضل إنشاء دار العلم أو معهد الإسكندرية (الموزيون) (٤)
 ومكتبة الإسكندرية التي يرجع الفضل في تأسيسها إلى بطليموس الأول في عام ٢٩٠
ق.م والذي عهد إلى المفكر السياسي الآثيني ديمتريوس الفاليري بمهمة التصميم

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩٩ .

(٣) د. أحمد صبحي : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٩٣ .

(٤) كانت كلمة موزيون تعني أصلاً معبد ربات التاريخ والأدب والفنون والفلك ،
 راجع : د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الجزء الرابع ،
 الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ٢٠٨ (٤) ؛ د. صلاح
 البهنسي : المتاحف المصرية كنوز من التراث الإنساني ، ٢٠٠٤ ، ص ١٣ -

والتنفيذ لهاتين المؤسستين . ولم يكتف الملوك البطالمة بعد ذلك فى جلب العلماء إلى الموزيون من كافة أنحاء اليونان ولكن أحضروا أيضا الكتب والمخطوطات الأصلية من جميع أنحاء العالم اليونانى . والموزيون لم يكن متحفا كما يبدو من أسمه مجرد مكان لتجميع التحف بل كان فى حقيقة الأمر أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى وقد شيدت هذه الأكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى وقد شيدت هذه الأكاديمية فى قلب الحى الملكى ، الحى اليونانى ، حى البروكيوم وقد أنشئت هذه الأكاديمية على نمط مدارس أثينا الفلسفية ، وبخاصة أكاديمية أفلاطون وليكيوم وأرسطو . ومع أن معلوماتنا عن نظمها ومبانيها ضئيلة جدا فكل يمكن قوله اعتمادا على ما جاء فى المصادر القديمة إنها كانت تتألف من مجموعة من البنايات الضخمة المشيدة من الرخام الأبيض والحجارة البيضاء ، وكانت هذه البنايات عبارة عن قاعات لإقامة التماثيل ومعارض للوحات وأماكن للنوم وإقامة وقاعات للطعام وأماكن الراحة والمشى والنقاش والتأمل ، وقاعات محاضرات فى الفلسفة والعلوم وقراءة أعمال الشعراء وأعمال المؤرخين الكلاسيكيين ومساكن لإقامة العلماء والباحثين المغتربين والذين كان يقدر عددهم بأكثر من مائة عالم وباحث ، كلهم كانوا يقيمون تحت كفالة ورعاية تلك المؤسسة الملكية : الموزيون : المتحف . هنا كان الباحثون يدرسون ويبحثون ويكتبون فى كل مجالات المعرفة البشرية : فى التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والتطبيقية واللغة والأدب . وفوق كل هذا كانوا يقومون بتحقيق النصوص ويقومون بنسخها وإعداد نسخ لبيعها لمن يريد أن يكون مكتبة شخصية وكان كبير أمناء المتحف أو مدير الأكاديمية شخصا عالما بل وأهم مفكر فى عصره ^(١) وتوحي القرائن بأنه كان يشغل فى الوقت نفسه منصب كاهن الإسكندر والبطالمة الذين كانوا محل قداسة . وهو الذى كانت تؤرخ باسمه كافة الوثائق فى طول البلاد وعرضها . وكان يشغل أيضا منصب كبير حكام الإسكندرية . ^(٢) وهذا يذكرنا بما كان يتم فيما

(١) د. شعبان خليفه : مكتبة الإسكندرية : الحريق ... والأحياء ، كتاب

الجمهورية ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

يسمى بدور الحياة (بر - عنخ) فى مصر فى العصور السابقة .

وأن الملوك البطالمة كانوا يدفعون لهؤلاء العلماء مرتبات شخصية ويوفرون لهم كل مطالبهم المادية ويعفونهم من دفع الضرائب وأداء أى عمل إضافى يصرفهم عن البحث والكتابة .

كم اهتم الملوك البطالمة بمكتبة الإسكندرية أو المكتبة الكبرى بالإسكندرية ، وكانت اعظم المكتبات فى العصور القديمة . ويبدو انه خصصت فى دار العلم لكل فرع من فروع العلم ، والفلك والتشريح والطبيعة والميكانيكا ، قاعة أو أكثر زودت بما يلزم من الأدوات والآلات والأجهزة . وأما علماء النبات والحيوان فكانت لديهم حدائق فسيحة تضم مختلف أنواع النبات والحيوان ، ولاسيما النادر منها . وقد كان أهم ما عنى به العلماء الجغرافيا والرياضيات والطبيعة والطب والتاريخ الطبيعى وفقه اللغة .

وقد كانت دار العلم أساساً معهداً للبحث العلمى وليست مركزاً للتعليم ، فلم يكن العلماء والفقهاء والأدباء والفلاسفة مطالبين بإلقاء أية محاضرات ، ولم تنظم دار العلم أى نوع من الدراسات . ولكن شهرة هؤلاء العلماء الأعلام كانت تسترعى انتباه الراغبين فى العلم ، فيلتف حول كل منهم عدد من الراغبين فى الاستزادة من علمه ، ويقوم الأساتذة بتعليم من يتوسمون فيهم الإفادة من علمهم . وكان كل ما يهم الطالب انه درس على هذا او ذاك من أساتذة دار العلم فى الإسكندرية ، وقد كان هذا اللون من التعليم مثمراً إلى حد انه تمخض عنه عدد من المدارس المتنافسة فى كل فرع من فروع المعرفة ، فكانت هناك مدرسة اريستارخوس ومدرسة اريستوفانس فى فقه اللغة ، ومدرسة هيروفيلوس ومدرسة اراسيستراتوس فى الطب . والمقصود طبعاً بهذه المدارس إتباع هذا أو ذاك من الأساتذة الذين كانوا يسرعون نحو كل منهم ^(١).

واستمرت دار العلم فى دورها فى خدمة العلماء إلى عهد متأخر فى العصر الرومانى ، باستثناء الفترة القصيرة التى اضطهد فيها بطلميوس الثامن علماء

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

الإسكندرية وفنانيها لان الكثيرين منهم كانوا يعطفون على أخيه وأخته فى أثناء النضال على العرش فاعتبرهم أعداءه وصب عليهم جام غضبه . وتحدثنا المصادر القديمة بأنه نتيجة لذلك تشرد فى أنحاء العالم الإغريقى الكثيرون من علماء الإسكندرية وفنانيها فبعثوا نهضة علمية وفنية فى كل الأماكن التى فروا إليها .

وبفضل جهود علماء دار العلم فى الإسكندرية أمكن تنظيم البحث العلمى الجماعى لأول مرة فى التاريخ ، وتوفير مطلق الحرية للعلماء فى متابعة بحوثهم دون أى توجيه أو ضغط سياسى أو دينى ، ودون الجرى وراء أى هدف سوى البحث عن الحقيقة والتبحر فى أعماق المعارف .

وفى ظل هذه الظروف انطلق العلماء فى بحوثهم وأفادوا من كل ثمار البحوث السابقة سواء أكانت المصرية صحيحة أم بابلية أم إغريقية ^(١) فأحدثوا نهضة علمية باهرة لم يشهد العالم لها مثيلاً من قبل . ومن هنا برز دور المكتبة الكبرى .

فعلى حين كانت دار العلم مركز البحوث العلمية ، كانت المكتبة الكبرى أى قبيل نهاية حكمه ، ضاف المبنى الأصلى للمكتبة بما فيه من كتب مما استوجب مركز الدراسات الإنسانية . وقد حرص الملوك على أن يزوروها بأنفس المؤلفات وان يسندوا الأشراف عليها إلى علماء بارزين .

— كان بطلميوس الأول هو الذى وضع نواة المكتبة الكبرى بما جمعه من كتب ، ورعاها بطلميوس الثانى إلى حد أنه عند منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، أى قبيل نهاية حكمه كانت تضم عشر صالات واسعات ، وكانت جدرانها مقسمة إلى خزانات مرقمة ومعنونة وفى كل خزانة كانت ترتب الكتب والمخطوطات التى تحوى الحكمة والعلم والمعرفة التى تراكمت عبر القرون . ولقد خصصت كل صالة من الصالات العشر لأحد فروع المعرفة البشرية حسب التصنيف العشرى الهلينى للمعرفة على نحو ما جاء فى فهرس كاليماخوس المسمى بيناكس . وكان من المؤلف

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

أن يرتاد هذه الصالات العلماء والباحثون للقراءة والبحث والإطلاع ^(١).

ومن هنا تكون مكتبة الإسكندرية مكتبة عالمية قامت على أرض مصر ذات التاريخ العريق في إنشاء المكتبات ^(٢) ، وهذا يذكرنا بدور المخطوطات بر - مجات في مصر القديمة ، وبلد مواد الكتابة والبردى وأدوات الكتاب ، ضاق المبنى الأصلي للمكتبة بما فيه من كتب مما استوجب إنشاء مكتبة ثانية في السيرايوم ، تعرف باسم المكتبة الصغرى ، وأودع فيها ٤٢,٨٠٠ مجلد ، لعلها كانت نسخا مكررة رؤى نقلها من المكتبة الكبرى ، وذلك لتوفير مكتبة ثانية يستطيع القارئ العادى التردد عليها . وقد أقتفى بطلميوس الثالث خطوات أبيه وجده على كل القادمين من الخارج أن يسلموا عند وصولهم إلى الإسكندرية كل ما معهم من كتب لإيداعها في المكتبة إذا لم تكن من بين مقتنياتها على أن تتسخ صورة من كل منها تعطى لأصحابها بدلا من النسخ الأصلية التي تم تسليمها . ويروى أيضا انه استعار من أثينا النسخ الأصلية لمؤلفات " ايسخيلوس " و " سوفوكليس " و " يوريبديدس " من أجل نسخها وقدم ضمانا ماليا يقدر بحوالى ٦٠ ألف جنيها حاليا ، ولكنه ضمن بهذا المبلغ في نظير استبقاه النسخ الأصلية ورد نسخا جديدة بدلا منها ^(٣).

وتفاوتت تقديرات المصادر القديمة لعدد الكتب التي كانت تحويها كل من هاتين المكتبتين . ولعل أقربها إلى الحقيقة تقدير العالم البيزنطى تريزس ، الذى يذكر انه كان يوجد فى المكتبة الكبرى ٤٠٠ ألف مجلد مختلط و ٩٠ ألف مجلد بسيط غير مختلط ، وفى المكتبة الصغرى ٤٢,٨٠٠ مجلد ، ثم يضيف إلى ذلك أن كاليماخوس هو الذى وضع فيما بعد فهرس هذه الكتب أو المجلدات . ويبدو أن المقصود بعبارة مجلدات غير مختلطة لفافات من الأوراق البردية كانت كل منها تحوى كتابا واحدا صغير الحجم .

(١) د. شعبان خليفه : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١١ .

أما المجلدات المختلطة فإنها كانت اللفائف البردية الضخمة التي تحتوى كل منها على كتابين أو أكثر . وقد بقيت المكتبة الكبرى كعبة الباحثين والمطلعين إلى أن تعرضت للحريق ، حرص المسئولون في مكتبة الإسكندرية القديمة على جمع ما يمكن جمعه من مخطوطات أو برديات مصرية قديمة سواء في أصولها أو ترجماتها والتي تشمل جميع أنواع المعارف الثقافية التي توصل إليها المصريون القدماء ومما شك فيه أن مصدر هذه البرديات كانت المكتبات الملحقة بالمعابد الكبرى ولا بد إنها كانت كثيرة جدا جمعت من مختلف المصادر لتستقر في مكتبة الإسكندرية القديمة ولعل هذا هو سر عدم عثورنا على محتويات المكتبات المصرية القديمة قبل مكتبة الإسكندرية وهي كثيرة جدا أيضا رغم عثورنا على مبانيها وأماكنها .^(١)

كما حرصت مكتبة الإسكندرية على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسية واليونانية والمخطوطات التي كتب بخطوط أخرى مثل الفينيقية^(٢) كما حوت مؤلفات أو مخطوطات مشاهير الثقافة في مصر وفي اليونان وفي الشرق الأدنى القديم . ومن الهند أيضا جاءت كتب وأعمال كثيرة مترجمة وأصلية إلى مكتبة الإسكندرية تلك القارة التي غزاها الإسكندر بعد أن دمر الإمبراطورية الفارسية^(٣) .

وهذا يذكرنا بما قام به من قبل الملك سرجون الثانى (الآشورى) ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) عندما أنشأ مكتبة في نينوى ، وزار هذه المكتبة أولاده وأحفاده وكان أكثرهم حبا للثقافات القديمة وجمعها في مكتبات هو آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م) الذى أرسل منشورا إلى حكام ولاياته في الأقاليم يأمرهم فيه بالتحرى عن الألواح المسمارية القديمة حيثما وجدوها ويرسلوها إلى قصره .^(٤)

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٤) د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : إيران -

العراق ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٦٩ .

ففى أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر عام ٤٨ ق.م قامت الحرب التى عرفت فيما بعد باسم " حرب الإسكندرية " بين جنود قيصر والسكندريين ، وعندما وصل قيصر إلى الإسكندرية فى ٢ من أكتوبر عام ٤٨ ق.م كان معه قوة صغيرة تتألف من ٣٤ سفينة و ٨٠٠ فارس و ٣٢٠٠ من المشاة . وكان السكندريين فى الميناء ٧٢ سفينة ، وفى الأحواض ٣٨ سفينة على الأقل ، ولذلك أمر بإحراق هذه السفن جميعاً إذ لم يكن فى استطاعته ، بسبب قلة رجاله ، استخدامها ولا حمايتها من الوقوع فى قبضة خصومه . فارتفع اللهب بشدة ، حتى امتد إلى رصيف الميناء .

وأحرق المباني المجاورة له ^(١) ويرى بلوتارك أن المكتبة الكبرى كانت جزءاً من هذه المباني ، ويؤيد ذلك أديب معروف ويدعى اولوس جلوس ويؤكد سنكا ، الذى استمد معلوماته من ليفيوس ، أن عدد الكتب التى التهمتها النيران يبلغ - على الأرجح ٤٠٠ ألف مجلد . ^(٢) وقد أهدى أنطونيوس إلى كيلوبترا مكتبة بـ ١٠٠ ألف مجلد ، وتحدثنا المصادر القديمة بأن الهدية كانت تتألف من ٢٠٠ ألف مجلد بسيط . ^(٣)

ويرى بعض المؤرخين فى العصر الحديث أن المكتبة الكبرى لم تتعرض للهب النيران ، بل يعتقدون أن النيران لم تلتهم إلا كتباً كانت مخزونة مؤقتاً بالقرب من الميناء لنقلها إلى روما ، أو على الأكثر مخازن المكتبة الكبرى . ويعتمدون على هذا الرأى بأنه لم يرد لحادث هام مثل حرق المكتبة الكبرى ذكر فيما كتبه قيصر ولا مؤلف تاريخ حرب الإسكندرية ولاسترابون ولاشيشرون ولالوكيانوس ، وربما إغفال ذكر حادث مثل هذا الحادث كان متعمداً لأنه لا يشرفهم أن يعرف مواطنهم أن

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

الحريق حدث بسبب هجوم قيصر .^(١)

ومما يؤكد أن الحريق قد امتد إلى المكتبة الكبرى وقضى عليها ، أن أنطونيوس أراد أن يعوض كليوباترا عن تلك الخسارة الفادحة فأهدى إليها ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة بروجام .

وتعرض ما بقى من كتب والهدية التي أهداها أنطونيوس للحريق مرة أخرى عندما أحرق الإمبراطور ماركوس أورليوس الحى الملكى بالإسكندرية فى عام ٢٧٢ ميلادية فدمر جانب منها ونقل ما تبقى فيها من كتب إلى مكتبة السرابيوم .^(٢)

وقد راحت البقية الباقية من هذه المكتبة ضحية للصراع بين المسيحيين والوثنيين ، عندما أصبحت المسيحية الدين الرسمى للدولة ، فقد أمر ثيوفيلوس (أسقف الإسكندرية من ٣٨٥ إلى ٤١٢ ميلادية) بتدميرها بوصفها معقل الآراء الهدامة والآراء الوثنية . ويحدثنا أروسيوس بأنه لم يعد لبقايا المكتبة أى وجود فى عام ٤١٦ ميلادية ، أى قبل الفتح العربى بأكثر من قرنين ومن ثم فإن اتهام المسلمين بإحراق مكتبة الإسكندرية رأى لا يستند إلى الحقيقة العلمية . لان الكتب الوثنية كانت اشد خطرا على المسيحيين الذين كانوا يستطيعون قراءتها منها على المسلمين الذين كان يتعذر عليهم قراءتها على الإطلاق . لأنها كتبت باليونانية وادعى بعض الإخباريين العرب أن عمرو بن العاص هو الذى حرق المكتبة ، وربما ادعى المؤرخون العرب هذا الادعاء على اعتبار ان هذه المكتبة كانت تحتوى على كتباً وثنية فأرادوا أن ينسبوا فضل محو أحد رموز الوثنية إلى عمرو بن الخطاب .

وجذبت دار العلم هذه العلماء فى كل فروع العلم والمعرفة من جميع أنحاء بلاد اليونان كما أخرجت هذه الدار الكثير من العلماء اليونان ذوى الشهرة الواسعة وأخرجت كذلك أكثر من عالم من أبناء مصر الوطنيين فى المجالات العلمية المختلفة .

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

ومما يؤكد على استقلال المكتبة عن المتحف أنه كانت لها إدارة مستقلة قائمة بذاتها وأن رئيس المكتبة كان يعين بقرار من الملك شأنه في ذلك شأن رئيس المتحف ومديره . ويعطينا د. شعبان قائمة بأسماء من تولوا إدارة المكتبة ابتداء من ديمترىوس القاليري حتى كايس فاسيتوس من عام ٢٩٠ ق.م حتى عام ١٣٠ م . (١)

علماء وأمناء المكتبة :

أسدى العلماء الذين عينهم البطالمة في المكتبة خدمات جليلة للعلم ، فانهم لم يقصروا عنايتهم على وضع فهرس للكتب بل وضعوا أسس علم التصنيف وتحقيق النصوص والنقد الأدبي ، وابتكروا العلامات الصوتية وكذلك علامات الاستفهام وما إليها من فواصل الكلام .

وكان علماء الإسكندرية عند دراسة أى مؤلف يهتمون أولاً بتحقيق النص ثم بشرح لغته وبعد ذلك بتفسير الموضوعات التى يتناولها .

عثر فى أطلال مدينة اوكسيرنخوس فى الصحراء الغربية المصرية على بردية تحمل رقم ١٢٤١ بين برديات مجموعة اوكسيرنخوس وهى ترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى بعد الميلاد فى عصر الأباطرة الرومان الأول ، وتحمل هذه البردية ستة أعمدة من الكتابة المتصلة تتضمن قائمة بالنهايتين والمثاليين والرسامين والنحويين المشاهير وأمناء مكتبة الإسكندرية . (٢)

كان أول أمين للمكتبة زنودوتوس ومساعداه : إسكندر الايتولى و ليكوفرون الأيوبى ، فقد عكف الثلاثة على جمع وتصنيف وتحقيق ونقد الشعر الإغريقى من أشعار هوميروس وهسيود وبيندار واناكربون كما عنوا بالتراجيديا والكوميديا . (٣)

(١) د. شعبان خليفة ، المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

وترينا مقارنة نصوص الأشعار الهوميرية التي نشرها على التوالي أعظم نقاد الأدب في عصر البطالمة الطريقة التي كان أولئك العلماء يتبعونها . ويرتكز النقد السكندري بمعنى على قواعد ثابتة أكيدة تخالف تماما قواعد النقد عند الروائيين ، وذلك النقد التخيلي الذي ظهر فيما بعد في برجام .

وقد عني بعض علماء الإسكندرية بدراسة قواعد اللغة فقط ، وقد كان أول كتاب عن قواعد اللغة اليونانية من وضع ديونييسيوس التراقي تلميذ اريستارخوس .^(١)

وقد قام كاليماخوس بتصنيف الكتب في المكتبة إلى ثمانية أصناف :

المسرحيات ، الشعر الحماسي والغنائي ، التشريع ، الفلسفة ، التاريخ ، الخطب وعلم الخطابة ، وموضوعات مختلفة الأنواع .^(٢)

ووضع للكتب فهارس رتبها في بعض الأصناف ترتيبا زمنيا ، وفي البعض الآخر ترتيبا أبجديا أما للموضوعات أو للمؤلفين ، وكانت الفهارس تتضمن فضلا عن أسماء المؤلفين وأسماء الكتب والجملة الأولى في كل كتاب وعدد سطوره وترجمة أدبية موجزة .

تولى وظيفة أمين المكتبة بعد زنودتوس ابولونيوس الرودسي و اراتوستينيس و اريسستوفانس البيزنطي الذي علق على فهارس كاليماخوس ، و ابولونيوس مؤرخ الأدب الاغريقي ، و اريسستاخورس ، و كيداس احد رجال حرس الملك وكان اغلبهم من معلمى ومربى أفراد الأسرة المالكة .^(٣)

لم تكن الإسكندرية بفضل دار العلم فيها عاصمة الأدب فحسب في العالم الهلينيستي بل كانت كذلك عاصمته العلمية بفضل رعاية البطالمة الأوائل ، فقد بذل

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

بطلميوس الأول جهده فى اجتذاب الفلاسفة والكتاب والعلماء إلى عاصمته . كما وفر هو وغيره من البطالمة الرعاية الكافية للعلم مما أدى إلى تقدم العلوم تقدماً محسوساً فى دار العلم بالإسكندرية .

جمع علماء دار العلم فى الإسكندرية بين العلوم والفلسفة والأدب والدين ، هذا الجمع بين مظاهر الفكر الأربعة هو أهم سمات مدرسة أو دار العلم فى الإسكندرية .

بلغت العلوم أوج مجدها فى ظل دار العلم والمكتبة فى الإسكندرية . فقد زارها العديد من العلماء منهم :

أرشميدس وأفاد من علمائها وهو صاحب قانون الطفو . وفى دار العلم لم تهمل الرياضيات والعلوم البحتة .

أراتوستينس (٢٧٥ - ١٩٤ ق.م) الذى يعتبر ما كتبه أعظم مثل للنثر السكندري ، عندما استدعاه بطلميوس الثالث ليخلف ابولونيوس الرودى فى منصب أمين المكتبة . وقد كانت سعة إطلاعه وتبحره فى مختلف العلوم والفنون مضرب الأمثال . فقد كتب فى الشعر والفلسفة وقواعد اللغة وفقه اللغة والتاريخ والجغرافيا . ولكن مؤلفاته فى العامين الأخيرين فاقت سائر ما كتبه . وأهم ما وضعه فى التاريخ كتاب كبير يطلق عليه " علم التاريخ " وأهم مؤلفاته فى الجغرافيا كتابان ، كان أحدهما بحثاً عن قياس أبعاد الكرة الأرضية والآخر كتاباً فى ثلاثة أجزاء يسمى " علم الجغرافيا " وقد ر فى الكتاب الأول محيط الكرة الأرضية تقديراً يثير الإعجاب . فان التقدير الصحيح هو ٤٠,١٢٠ كم بينما كان تقديره ٣٩,٦٩٠ كم . وقد وصل إلى هذه النتيجة بملاحظة موضع الشمس وقت الظهر فى الإسكندرية وفى أسوان وقت المنقلب المصيفى (١).

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ ايدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧٣ .

ثم حظا علم الفلك خطوات واسعة على يدى اريسطارخوس من ساموس الذى كان يعيش حوالى عام ٣١٠ ق.م وكان يلقب بلقب الرياضى ، للتفرقة بينه وبين الكثيرين ممن يحملون الاسم نفسه . وذاعت شهرته بوصفه عالماً رياضياً وفلكياً ووضع عدة كتب كان أشهرها عن حجم وأبعاد الشمس والقمر .^(١) واكتشف دوران الأرض حول الشمس قبل أن يكتشفه كوبر نيكوس ويأتى بعد ذلك من علماء الفلك فى الإسكندرية كونون من ساموس الذى أطلق على مجموعة من النجوم اسم " جدائل شعر برينيكى " .

ويقال كونون وضع سبعة كتب عن علم الفلك وأهداها جميعاً لبطلميوس الثالث ، وأنه وضع كذلك قائمة بكل ما حدث فى مصر من حالات كسوف الشمس .^(٢)

أما أعظم علماء الفلك فى الإسكندرية فهو هيبارخوس من نيقيا الذى استخدم حساب المثلثات لأول مرة استخداماً منظماً دقيقاً . وقد كانت أعظم كشفه تحديد الاعتدالين الربيعى والخريفى . وقدّر هيبارخوس طول الشهر القمري فى المتوسط بفترة من الزمن طولها ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٢,٥ ثانية ، وهو تقدير مدهش لأنه لا يقل إلا بثانية واحدة عن التقدير المقبول اليوم . ويقال انه ادخل تحسيناً على تقدير اريسطارخوس لحجم وأبعاد الشمس والقمر . وقد وضع فهرساً بالنجوم الثابتة أثبت فيه وجود ٨٥٠ نجم أو ما يزيد على ذلك ، وفرق بين مقدار لمعانها وأوضح مواقعها ، وأعد كرة بين عليها مواقع النجوم كما حددها ، وأخيراً وضع كتاباً عن الجغرافيا كان أساسه تطبيق معارف علم الفلك على الجغرافيا .^(٣)

عاصر اقليدوس بطلميوس الأول ، وجاء قبل اراتوستينيس وارشميدس ، وأسس فى الإسكندرية مدرسة تعلم فيها فيما بعد ابولونيوس من برجا ووضع كتاباً

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

فى الهندسة يعرف باسم " العناصر " وقد وضع أقليدوس كتباً أخرى لم تكن مقصورة على الهندسة ، بل شملت فروع الرياضيات كان أحدهما يتضمن نظريات من النوع نفسه الذى كان يتضمنه كتاب العناصر ، وكان الكتاب الثانى رسالة أولية عن المنظور ، والكتاب الثالث يشمل نظريات عن الفلك والكتاب الرابع رسالة عن العناصر الموسيقى .^(١) وكان أرشميدس قد تتلمذ على يد أقليدس .

وفى عهد بطلميوس الثالث تألق نجم أبولونيوس ، الذى ولد فى برجا ، ودرس مدة طويلة فى الإسكندرية على يد خلفاء أقليدس ، ونبغ فى الهندسة . وكان أبولونيوس إلى جانب ذلك عالماً فلكياً ممتازاً .^(٢)

واكتسيبيوس الأكبر - الذى يحتمل انه كان يعيش فى عهد بطلميوس الثانى أو الثالث - كان ابرز من اشتغلوا بالدراسات الميكانيكية . وقد وضع كتاباً وصف فيه تجاربه واختراعاته لكنه لم يصل إلينا ، ولذلك فأنا نستمد معلوماتنا عنه مما كتبه القدماء .^(٣)

وفى الإسكندرية اخترع هيرون الآلة البخارية أو لعله نقلها من غيره ، كما اخترع الآلة الاتوماتيكية .^(٤)

ويبدو أن بطلميوس الثانى كان أكثر ميلاً إلى العلوم الطبيعية والتاريخ الطبيعى ، وأن بطلميوس الثالث كان شغوفا بالرياضيات .^(٥)

(١) د. إبراهيم نصحي: المرجع السابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(٤) آلة تدار بوضع عملة صغيرة فى ثقب بها ، راجع ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ٧٣ حاشية (٢) .

(٥) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

على أن التخصص الأصلي لدار العلم بالإسكندرية كان بحوث علم الحيوان بوجه عام ، وهى البحوث التى اهتم بها ثيوفراستوس بعد أرسطو . كما نبغ ثيوفراستوس فى علم النبات . واهتمت دار العلم أيضا بالطب بوجه خاص .

وكان أبرز علماء الطب فى الإسكندرية هروفيوس العالم فى التشريح وأراسيتراتوس العالم فى وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) ولانعرف عن حياة هذين العالمين إلا أنهما قدما من آسيا الصغرى لمزاولة عملهما فى الإسكندرية فى خلال النصف الأول من القرن الثالث ق.م ومما يؤسف له أن أبحاثهما قد فقدت ، وإن كنا نعرف جانباً كبيراً منها من الإشارة إليها فيما كتبه المتأخرون ، وأمثال جالنوس وسورانوس وكلسوس .

وكان هروفيوس أحد أتباع مدرسة أبقراط ويمارس مهنته ويقوم بأبحاثه فى الإسكندرية على عهد البطالمة الأوائل . وهو الذى كشف الدورة الدموية ووجه عناية كبيرة إلى ضربات النبض . وقد كانت أبحاثه التشريحية تدور حول المخ والأعصاب والكبد والرئتين وأعضاء التناسل .^(١)

وقد كان من طبيعياً أن يؤدى تقدم التشريح إلى تقدم الجراحة . ومن أسباب مجد طب الإسكندرية اختراع آلات جراحة جديدة واستخدام هذه الآلات بمهارة فائقة .

وقد كان من أشهر تلاميذ هروفيوس طبيب يدعى فيلينوس عزا إليه كثيرون إنشاء مدرسة طب جديدة فى الإسكندرية تدعى المدرسة التجريبية .^(٢)

وظهر أيضاً فى هذا المجال أبولونيوس من منف ، وكان أحد تلاميذ أراسيتراتوس ، واستخدم المعارف المصرية القديمة فى مجال الطب .^(٣)

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

وبلغ من الشهرة دار العلم فى الإسكندرية فى الطب ما ذكره اميانوس
ماركيلينيوس إذ أشار إلى انه كان يكفى لتزكية أى طبيب ان يكون قد تعلم الطب فى
الإسكندرية. (١)

وفى القرن الثالث ق.م ، وفى خلال الخمسة القرون التالية أخرجت هذه
المدرسة الكثير من العلماء ذوى الشهرة الواسعة فى مجال الفلك أمثال : ارستاركس
وارستيلاس وتماخورس وسوسجتر. (٢) واشهر علماء مدرسة الإسكندرية هو :

كلوديسوس بطلميوس مصرى الأصل من اصل يونانى نشأ فى الإسكندرية
(توفى بعد سنة ١٦٨ ميلادية) من علماء الفلك وتركيب الأفلاك والرياضة
والجغرافيا وتسطیح الكرة الأرضية والطبيعة والتاريخ ، وله فى الفلك اكتشافات ،
وله كذلك انتقادات وتفسيرات. (٣) ولكنه اشتهر بمؤلفه المسمى " المجسطى " وقد
كتب أيضاً فى الضوء وفى الجغرافيا. (٤) وهو الذى اشتهر بين العرب فيما بعد .

ويعتبر قمة فى علم الجغرافيا القديمة متميزا على سابقه من أمثال
سترابون ، وذلك لأنه لم يكن مثلهم جغرافيا فحسب بل رياضيا مجددا إلى جانب كونه
فلكيا وعالما طبيعيا . ودرس الجغرافيا على أساس رياضى فلكى وعمل خريطة للعالم
وضع عليها أماكن كل إقليم بنسبة أبعادها الصحيحة. (٥)

(١) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر
الاسلامى ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٨٢ - ٥٨٣ .

(٣) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الاولى ، ١٩٨١ ، ص ١٣
وحاشية (٥) .

(٤) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٥٨٢ - ٥٨٣ .

(٥) د. مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، ص ٢٧١ .

وقد بلغ اتجاه خلط الطب بالفلسفة ذروته لدى جالينوس ، وهو من أشهر الأسماء في مدرسة الإسكندرية .^(١)

وإلى جانب تفوق بعض العلماء في مجال الطب والرياضة والهندسة والكيمياء والجغرافيا والفلك . فقد تفوق العلماء الآخرون في مجال الشعر والأدب إذ وفد إلى مدرسة الإسكندرية الشعراء والأدباء . أما للدراسة أو المناقشة أو الإفادة من المكتبة ، ففي مجال الأدب اجتمع فيها شعراء من أمثال :

كاليماكوس وثيوكريتوس وابولونيوس الرودى وهيروانداس وقامت بينهم مناقشات أدبية ونقدية . واتخذ الأدب الإغريقى انذاك اسم الأدب السكندرى .^(٢)

ومن أشهر فلاسفة مدرسة الإسكندرية أو دار العلم فيها ، الفيلسوف اليهودى فيلون السكندرى (من ٣٠ ق.م - ٥٠ م) الذى تمثل فلسفته اهم محاولة للتوفيق بين الديانة اليهودية والفلسفة اليونانية ، وقد استند فى فلسفته إلى التأويل الرمضى لقصص التوراة ، وان " اجتماع شمل اليهود فى بلد واحد قد قصد به إجماع الفضائل فى النفس (الواحدة) وتنافسها (واستقرارها) بعد ما تحدثه الرذيلة (فى داخل الإنسان) من تشتت " .^(٣)

وفى الإسكندرية أيضا ترجمت التوراة إلى اللغة اليونانية وهى الترجمة المعروفة باسم السبعينية .

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٥ ؛ د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٢٢١ - ٢٢٥ ؛ د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ ؛ د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٤٥ ، ٢٢١ .

(٣) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

أما الفيلسوف الكبير الذى تخرج فى الإسكندرية ويعتبر زعيم الأفلاطونية الحديثة فهو أفلوطين من أبناء أسيوط فى صعيد مصر فى القرن الثالث الميلادى . وكانت فلسفة أفلوطين تجمع بين الفلسفة اليونانية والفكر الشرقى ، فهو يعتمد أساساً على فلسفة أفلاطون والفيثاغورثية الحديثة .^(١)

كانت مصر أول البلاد الأفريقية التى دخلتها المسيحية فى حوالى القرن الأول الميلادى على يد القديس مرقس الإنجيلي الذى بنى أول كنيسة بالإسكندرية ، واجتذبت المسيحية عدداً من يهود الإسكندرية وغيرهم من سكان البلاد اليونانيين والمصريين - ولقيت المسيحية بيئة صالحة للنمو والانتشار ، لأنها كانت تعبيراً قوياً على نزعة قومية مصرية ضد الرومان الذين يسيطرون على مصر وغيرها من بلاد الشرق القديم ، وكان الرومان حتى ذلك الوقت على الوثنية .^(٢)

استمرت دار العلم فى الإسكندرية فى دورها فى العصر البيزنطى كمركز للعلم والثقافة يقصدها الدارسون من شتى الأقطار وكثيراً ما حضر الشباب إلى الإسكندرية لدراسة العلوم الإنسانية (أى الفلسفة وآدابها) ثم تحولوا بعد ذلك إلى المسيحية وخاصة فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين . ومثال ذلك القديس سيفيروس الذى جاء من إنطاكية وكان لا يزال وثنياً ، ودرس العلوم الوثنية فى دار العلم بالإسكندرية وهناك التقى بعدد من أعلام العصر مثل زكريا وتوماس من غزه وربنو دوتوس وبالراليوس من آسيا الصغرى .^(٣)

ومن الشخصيات اللامعة فى تاريخ دار العلم الوثنية بالإسكندرية فى العصر البيزنطى الفيلسوفة الجميلة هيثايا ، وكان والدها أستاذاً للرياضة ، وهى أستاذة

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٢) د. سر الختم العراقى : الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية فى أفريقيا

الغربية حتى القرن السادس عشر ، فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب

بالمنايا العدد الثانى ١٩٩٧ ، ص ١٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

الفلسفة ، وبلغ من شهرتها ومجدها أن قصدها الطلاب واستمع إليها الوثنيون والمسيحيون على السواء ، حتى لقيت مصرعها على آلات التعذيب والحرق أثناء بعض الفتن في مطلع القرن الخامس .^(١)

ومن أشهر الشخصيات التي تلقيت المعرفة على يد هيباثيا سنيسيوس أسقف كنيسة قورينة في برقة ، وبالرغم من كونه مسيحيا ورجل دين له مكانته ، فلم يخف إعجابه الشديد بهيباثيا رغم وثنيته وبمدرسة الفلسفة بالإسكندرية .^(٢)

ويذكر بعض الإخباريين العرب أسماء بعض العلماء والمفكرين اليونان الذين نهلوا من الثقافة المصرية القديمة مثلما ما جاء عند :

- الكندي : بعد ٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م .^(٣)
- أبو الصلت أميه : الأديب والشاعر الكبير من بلاد الأندلس الذي وصل إلى الإسكندرية في عام ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ - ١٠٩٦ م) .^(٤)
- ابن ظهير : من علماء القرن التاسع الهجري (ربما ٨٨٥ أو ٨٩١) ^(٥) ونذكر هنا كمثال ما جاء عند :
- ابن أبياس : نحو ٩٣٠ هـ - ١٥٢٤ م فيذكر :

" قال الكندي : وكان بها من الحكماء ، إنما يتمون ، وفيثاغورس ، وهما تلاميذ هرمس ، وإليهم يعزى علم الكيمياء والنجوم ، وعلم السحر والروحانيات

- (١) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .
- (٣) الكندي : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه القاهرة ، ودار الفكر بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٤ - ٣٧ .
- (٤) د. عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص ٤٨ .
- (٥) ابن ظهيره : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٨٥ - ٨٨ .

والظلمسات ، وأسرار الطبيعة ؛ ومنهم ارسلوس ، وبندقليس أصحاب الكهانة
والسحر ؛ ومنهم سقراط ، صاحب الكلام على الحكمة .

ومنهم أفلاطون ، صاحب السياسة والكلام عن المدن والإقاليم وغير ذلك ؛
ومما وقع له من النكت اللطيفة ، أنه رأى امرأة مصلوبة على شجرة ، فقال : ليت
على كل شجرة مثل هذه الثمرة .

ومنهم ارسطاليس ، صاحب المنطق ، ومنهم بطلميوس صاحب الرصد ،
والحساب ، وتركيب الأفلاك ، وتسطيح الكرة ؛ ومنهم اراطس ، صاحب صور
(١٦ ب) الفلك .

ومنهم افلاطينوس ، صاحب الفلاحة ، ومنهم ابرجيس ، صاحب المعرفة
بذات الخلق ؛ ومنهم تاؤل ، صاحب الريح ، ومنهم داماينوس ، وواليس ،
واصطقر ، أصحاب كتب أحكام النجوم .

ومنهم انذريه ، صاحب الهندسة ، والمقادير والآلات لقياس الساعات ؛
ومنهم قليور ، صاحب عمل الدواليب والأرحية ؛ منهم ارمسيس ، صاحب
المنجنيقات ، التي يرمى بها على الحصون ؛ ومنهم قليطر ، وصاريه ، أصحاب
الظلمسات والبرابي . (١)

ومنهم ايلونيوس ، صاحب المخروطات ؛ ومنهم تابوشيش ، صاحب
الأكره ، ومنهم قيطس ، صاحب حساب الأفلاك ؛ ومنهم افطوقس ، صاحب كتاب
الأسطوانية .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب لها المقدمة محمد
مصطفى الجزء الأول القسم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة

ودخلها ، وأقام بها جالينوس ، صاحب الطب ، والينوس ، وديسقوريدس ، صاحب الحشائش ؛ ومنهم روحاش ، والانماي ، واساسيوس ، وهرهونوس ، وهم من حكماء اليونان ؛ وسقراط ، وأبقراط .

وقد أخذ اليونانيون عن المصريين الكثير من مبادئ العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية في قواعد العلوم المختلفة^(١) . وهى مبادئ علمية لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحسب وإنما دونها المصريون القدماء فى شكل قواعد علمية كما يظهر لنا ذلك بوضوح فى أوراق البردى الطبية مثل بردية ابرس المحفوظة الآن فى جامعة لايبزج ، وبردية هرست المحفوظة الآن فى جامعة كاليفورنيا ، وبردية ادوين سميث الموجودة الآن فى حيابة الجمعية التاريخية فى نيويورك ، وبردية برلين الموجودة الآن فى متحف برلين .

وقد تركت هذه البرديات وغيرها وما سطر عليها أثرها على المنجزات الطبية فى الطب اليونانى القديم وهو اثر وصل إلى درجة الاقتباس الكامل فى كثير من الأحيان كما يظهر لنا بوضوح فى كتابات ديوسكوريدس وجالينوس وهيبوقراط (ابقراط) الذى يعتبر المعلم الإنسانى الأول لمهنة الطب . وهو أول من رتب الطب وبوبه ، وذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد بنى الطب على أسس علمية صحيحة وطهره من الخرافات وجعل التجربة الصحيحة أساساً له .^(٢)

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى - مصر البطالمة) ، ص ٢٠٣ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٧٨ ، ص ٢٠٢ ؛ د. محمد أحمد : مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عهد سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٣١٤ حاشية (٢٦٢) .

سادسا - بالنسبة للحياة الفنية ومظاهرها وما لها من تأثير فى فنون بعض الشعوب الأخرى :

فيمكن القول بأن التأثيرات الفنية للفن المصرى القديم فى فنون البلاد الأخرى ، وتأثره بها ، يظهر واضحا فى فنون بعض بلاد الشرق القديم وفنون جزر بحر ايجيه واليونان .

فى الشرق :

يظهر تأثير الفن المصرى القديم بوضوح لأن الفن هو لغة مشتركة بين شعوب بلاد الشرق الأدنى القديم . ولاشك فى أن ما توصل إليه الفنان المصرى من أوضاع وقواعد واتجاهات فنية سار عليها وطبقها بكل دقة . قد أثر بها فى الآخرين كما تأثر هو نفسه بما توصل إليه الآخرون . مما يدل على مرونة فنانى بلاد الشرق الأدنى القديم وسعة أفقهم .

ويبقى السؤال الهام كيف حدث هذا التأثير والتأثر الفنى ؟ وكيف تم ما يسمى بالتفاعل الفنى ؟ وبأى وسيلة تم الاتصال ؟ وفى أى فترة ؟ ومما لا شك فيه أنه من الصعب الإجابة على مثل هذه الأسئلة .

ولكن يذكر باروه الاثرى الفرنسى الذى قام بعدة حفائر فى سومر وآشور بأن هذا الاتصال قد تم عن طريق الفن السورى - الفينيقيى .^(١)

ويظهر هذا التأثير المصرى فى بعض الأشكال الأثرية التى عثر عليها فى إيران ، فى بلاد النهرين ، فى الأناضول ، فى بلاد الشام ، وفى اليمن . وقد قمنا بتجميع بعض هذه الأشكال الأثرية التى لمسنا فيها وجود نوع من التشابه فى الاتجاهات الفنية ممثلا فى الآتى :

إيران : - عثر فى سوس على أناء مرسوم عليه بالحفر الغائر وملون بعجينة بيضاء ، ويرجع إلى بداية الألف الثانية ق.م وموجود الآن بمتحف اللوفر . وتمثل الرسومات طائر ينهش فى رأس سمكة كبيرة ، ومن تحت ذا المنظر مجموعة من المتلثات والخطوط ^(١) وتذكرنا هذه الطريقة بالرسومات بالمغرة البيضاء على فخار نقادة الأولى فى مصر . واستطاع أهل نقادة الأولى أن يستخدموا خطوطهم فى تصوير أشكال شبه هندسية تشبه المتلثات والنجوم . ^(٢)

- هناك لوحة من بقايا بوابة القصر الملكى فى بازار جاده من القرن السادس ق.م وموجودة بالموقع ويبلغ ارتفاعها ٢,٧٥ متر ، نقش عليها نصف معبود بأجنحة كبيرة ويرتدى زيا علاميا ويتوج رأسه تاج الآتف المصرى ومزود بالصلين المقدسين . ^(٣)

- عثر فى عام ١٩٧٢ على تمثال ضخمن من الديوريت الأسود فى العاصمة سوس عثرت عليه البعثة الفرنسية التى تعمل هناك منذ عام ١٩٠٠ ، وهو محفوظ الآن بمتحف طهران ، وهو تمثال مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفي ونلاحظ أن أسماء البلاد التى فتحها دارا كتبت داخل خراطيش يعلوها أشخاص يمثلون شعوب هذه البلاد . ومن الواضح أن هذا التمثال قد نحت ونقش فى مصر واصطحبه معه دارا . ^(٤)

(١) Parrot, op. cit., p. 241, 376 fig. 298 (B).

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق ٢٠٠١ ، ص ٣٩٨ .

(٣) Chirshman, Perse, Paris (1963), p. 128, 426 fig. 174; Parrot, Assur, p. 192, 374 fig. 241.

(٤) د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الأول : إيران - العراق ، دار نهضة الشرق ٢٠٠٢ ، ص ٩١ ، ١١٠ .

بلاد النهرين : هناك العديد من الأمثلة الأثرية يلاحظ فيها التأثير المصري :

١- نقش على أسطوانى من بداية الألف الثالثة ق.م وموجود الآن بمتحف اللوفر ، نلاحظ عليه تمثيل لحيوانين تطاولت أعناقهما وتشابكت . مثل ما هو وجود على صلاية الملك نعرمر الموجودة بالمتحف المصرى .^(١)

٢- نقوش مقبض سكين جبل العركى ، الموجود بمتحف اللوفر من الفترة السابقة ، ونرى فى أعلى النقش منظرا يمثل شخص له سمات آسيوية يقوم بالفصل بين أسدين كبيرين . ودعى هذا المنظر الأثرى باروه إلى الحديث عن تأثير فن بلاد النهرين على الفن المصرى .^(٢)

٣- نقش على ختم اسطوانى من بداية الألف الثالثة ق.م من الديوريت عثر عليه فى تل بيبلا وموجود الآن بمتحف بغداد ، نرى عليه أشخاصا يقومون بطقوس دينية ومركب تتجه نحو مقصورة مقامة على حافة نهر ولها واجهة تشبه إلى حد كبير واجهة القصر الملكى المصرى (السرخ) .^(٣)

٤- مسلة صغيرة من الديوريت يبلغ ارتفاعها ١,٤٠ متر عثر عليها فى سوس ومغطاة بالخط المسمارى على أوجهها الأربعة ، وهى موجودة بمتحف اللوفر وترجع إلى النصف الثانى من الألف الثالثة ق.م وهى تخص الملك مانيشتوسو من ملوك أكد .^(٤)

Parrot, Sumer, Paris (1960), p. 80, 381. fig. 98-99 (A-B). (١)

Parrot, op. cit., p. 80, 381 fig. 99. (٢)

Parrot, Sumer, p. 74, 380 fig. 91(B). (٣)

Id., op. cit., p. 178, 385 fig. 215 . (٤)

٥- نقش على لوحة من الطين المحروق ارتفاعها ٥٠ سم ، نرى عليها معبودة عارية الجسد ولها جناحين ويتوج رأسها التاج المكون من أربعة طبقات من القرون وتمسك بآلة القياس ، وهي ممثلة وواقفة على أسدين متعارضين يحيط بهما بومتين ولها رجل طائر بمخالبه ويرجع هذا النقش إلى بداية الألف الثانية ق.م ، ويوجد الآن بمجموعة خاصة تخص نورمان كول فيل (١).

٦- نقش آخر على لوحة من الطين المحروق يمثل المعبودة السابقة ويتوج رأسها التاج المكون من أربعة طبقات من القرون ولها رجل طائر وتقف على جديين متعارضين ، ويوجد هذا النقش في متحف اللوفر (٢) وتتشابه نقوش هاتين اللوحتين مع اللوحات السحرية المصرية المسماة بـ "حورس فوق تمساحين" .

٧- لوحة من تل حلف تمثل في منطقة الخابور ، وهي من البازلت ارتفاعها ١,٢٥ متر عليها ثلاثة أشكال : جلجامش في الوسط في هيئة آدمية وله لحية طويلة ويحيط به من الجانبين شكلين متشابهين لصديقه انكيديو : النصف العلوى على هيئة آدمية والنصف السفلى على هيئة حيوانية وله لحية طويلة والثلاثة يحملون قرص الشمس المصرى المجنح ، وترجع هذه اللوحة إلى بداية الألف الأولى ق.م . وهي بمتحف حلب (٣) .

٨- لوحة على شكل مسلة للملك شالمانصر الثالث من نمرود من القرن التاسع ق.م . بالمتحف البريطاني وعلى نصفها العلوى خمسة مناظر وأسفلها نص طويل (٤) . وهي أشبه بالمسلة المصرية ولكنه بحجم صغير جدا .

(١) Id., op. cit., p. 300, 391 fig. 367 (a); Parrot, Assur, p. 287, 378 fig. 358.

(٢) Id., Sumer, p. 300, 391 fig. 367 (c).

(٣) Parrot, op. cit., p. 88, 368 Fig. 97 B.

(٤) Id., Assur., p. 35, 366 Fig. 40 B.

٩- ثلاثة مناظر موجودة على الآثار الآتية :

أ - نقش من الكالاح (نمرود) من القرن التاسع ق. م. بالمتحف البريطاني عليه منظر يمثل جنود يصوبون سهامهم تجاه أعداء يفرون عبر نهر عن طريق السباحة والتنفس في الماء بمساعدة قربة منتفخة . ويحاولون الوصول إلى حصن على النهر يحميه جنديان في حصن يصوب أحدهما سهامه تجاه الأعداء^(١) .

ب - نقش يمثل نقل الأخشاب من خورسباد من القرن الثامن ق. م. بمتحف اللوفر وهو يمثل نقل الأخشاب عن طريق نهر دجلة إلى شمال العراق^(٢) .

ج - نقش يمثل معركة في بحيرة من نينوى من القرن السابع ق. م. بالمتحف البريطاني^(٣) .

نجد أن الفنان في هذه المناظر الثلاثة وغيرها طبق قاعدة إظهار غير المنظور التي كان يسير عليها الفنان المصري .

١٠- نقش من قصر سرجون الثاني في خورسباد من القرن الثامن ق. م. بمتحف تورين ، يمثل تفاصيل الوجه والذقن ، ويلاحظ أن القرط في أذنيه يتخذ شكل علامة عنخ المصرية^(٤) .

Id., op. cit., p. 40, 366 Fig. 47.

(١)

Parrot, Assur, p. 40, 366 Fig. 48.

(٢)

Id., op. cit., p. 43, 367 Fig. 52.

(٣)

Id., op. cit., p. 13, 365 Fig. 15.

(٤)

١١- لوحة عليها منظرًا يمثل المعبودة عشتارت من تيل بارسيب (تل أحمر) من القرن الثامن ق.م ، وهى واقفة فوق ظهر أسد وتمسك بمقوده .^(١) وهذا المنظر هو منظر المعبودة " قدش " ، من أصل سورى وكانت تمثل على هيئة آدمية وتقف فوق ظهر أسد لها تاج يشبه تاج المعبودة المصرية حتحور وتمسك بحيتين ، عرفت فى مصر منذ الأسرة الثانية عشرة وانتشرت عبادتها بين المجموعات من أصل أجنبى فى مصر وعبدت فى منف وقفت . وكانت زوجة لرشف وتكون معه ومع مين ثالوث مقدس اشتهر فى عصر الدولة الحديثة ، وكانت تعتبر أحياناً زوجة لبتاح وابنه لمين وهى تتشابه مع عشتارت وتعتبر معبودة للحب .^(٢)

١٢- نقش من الكالخ (نمرود) من القرن الثامن ق.م من العاج وهى من أعمال الآشوريين ومحفوظ بالمتحف البريطانى فنرى عليه أسدا يلتهم أثيوبيا فى داخل دغل من اللوتس . وهنا يظهر التأثير المصرى .

- وهناك قطعة أخرى مماثلة موجودة بمتحف بغداد ^(٣) فهل فى هذا تشبيه أنثى الأسد بالآشوريين والاثيوبى بملوك الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر .

١٣- نقش آخر من الكالخ (نمرود) من القرن الثامن ق.م من العاج بمتحف المتروبوليتان ونرى عليه صورة لأبى الهول المجنح بوجه إنسانى صغير السن جدا ، ويرتدى النمى ويعلو رأسه الصل المقدس وفوق صدره قلادة الـ "وسخ" . وخلفه خرطوس وضع على زهرة اللوتس ومزين بريشتين فى

(١) Parrot, op. cit., p. 76, 368 Fig. 85 .

(٢) Rossini-Antelme, Neter dieux d'Egypte, 1992, p. 108-109
(26).

(٣) Parrot, Assur, p. 152-153, 372 Fig. 186-187.

وسطهما قرص الشمس ^(١) . وداخل الخرطوش كتب اسم غير صحيح وهو مقلد ولا يدل على اسم أى ملك . ويرى باروه أن هذه القطعة هى جزء من جزية الملك الكوشى طهرقا عام ٦٧٠ ق.م إلى اسرحدون ^(٢) وهذا غير مؤكد . وفى رأينا أنه تقليد غير متقن للفن المصرى .

١٤- نقش من الكالخ (نمرود) من القرن الثامن ق.م من العاج بمتحف بغداد . نرى عليه منظرا يمثل امرأة أو معبودة جالسة على عرشها ولها جدائل شعر طويلة وتمسك بيدها اليمنى حلقة مستديرة وباليسرى نبات ذو زهرتين . وفوق رأسها قرص الشمس المجنح ويتدلى منه ما يقلد الحيتين فى الصل المصرى المقدس ^(٣) .

١٥- نقشان من دورشاروكين (خورسباد) من القرن الثامن من العاج :

أ- أحدهما يقلد المعبودة إيزيس وهى تتشر جناحيها على المعبود حورس وللأسف لم ينجح الفنان فى رسم العلامة المميزة لها فوق رأسها وتمسك بطرف يدها اليسرى زهرة اللوتس المتفتحة .

ب- والثانى يصور أبو الهول المجنح برأس آدمى ويحلى رأسه النمى ويرتدى قلادة " وسخ " ^(٤) .

١٦- رسم على حائط من قصر تل بارسىب (تل أحمر) من القرن الثامن ق.م يمثل جنديا يهوى بسيفه الممسك به فى يده اليسرى على رأس أسير راعع ويمسك بشعره فى قمة رأسه باليد اليمنى ومن خلف الأسير أسير آخر يرفع

Id., op. cit., p. 155, 372 Fig. 188. (١)

Id., op. cit., p. 154. (٢)

Id., op. cit., p. 155, 372 Fig. 189 . (٣)

Parrot, Assur., p. 147, 371-372 Fig. 180 B-C . (٤)

يديه طالبا العفو ومن خلف الجندي جندي آخر مسلح بالقوس وجعبة السهام ومن ورائه زوجة الأسير تبكى حزنا على مصير زوجها^(١). ويتشابه هذا المنظر مع مناظر الملك المصرى وهو يقوم بتأديب الأعداء ويهوى بمقمة قتالة على رأس العدو^(٢).

١٧- نقش آخر من دورشاروكين (خورسباد) من القرن الثامن ق.م بمتحف اللوفر يمثل سرجون الثانى وهو يحمل بيده اليسرى جديا ويمسك بيده اليمنى زهرة اللوتس المتفتحة براعها^(٣).

١٨- مناظر تمثل صيد آشور بانيبال للأسود من القرن السابع ق.م بالمتحف البريطانى^(٤) ، يتشابه ذلك مع مناظر صيد الأسود للملك رمسيس الثالث فى معبد مدينة هابو^(٥).

ومن هذه الأمثلة أو النماذج الثمانية عشر نجد أن فنان بلاد النهرين أخذ العديد من العناصر من الفن المصرى وربما حدث هذا التأثير أما عن طريق الفن السورى الفينيقي منذ أقدم العصور أو عندما غزا الآشوريون مصر بعد ذلك . ويتمثل هذا التأثير فى العناصر الآتية :

(١) Id., op. cit., p. 106-107, 369 Fig. 115-116.

(٢) على رقيقه من الذهب بالمتحف المصرى نرى منظرا يمثل توت عنخ آمون وهو يهوى بسيفه على رأس أسير راکع وممسك به من قمة رأسه ، راجع : Desroches-Noblecourt, Vie et Mort d'un Pharaon , p. 202 Fig. 121.

(٣) Parrot., op. cit., p. 37, 366 Fig. 43 .

(٤) Parrot, Assur, p. 60, 367 Fig. 65.

(٥) Vandier, Manuel d'archéologie IV, p. 828 Fig. 468.

تصوير أشكال حيوانات تطاولت أعناقها وتشابكت (١) أو تمثيل أشخاصا لهم سمات آسيوية وتقليد واجهة القصر الملكى المصرى (السرخ) فى نقوش بعض الأختام (٣) وتقليد شكل المسلة المصرية ولكن بحجم صغير (٤ ، ٨) وشكل القرط الذى يتشابه شكله مع شكل علامة عنخ المصرية (١٠) وتمثيل زهرة اللوتس (١٥ ، ١٧) ودغل من اللوتس (١٢) ومناظر صيد الأسود مع مثيلتها من عصر رمسيس الثالث (١٨) وقوف عشتارت على أسد وذلك ما يتشابه مع بعض مناظر المعبودة قدش (١١) وتقليد إيزيس المجنحه وهى تحمى حورس (١٥) وتقليد أبو الهول المجنح (١٣ ، ١٥ ب) وتقليد منظر تأديب الأسرى المصرى (١٦) وتشابه منظر المعبودة فوق أسدين متعارضين أو جديين متعارضين مع لوحات المعبود حورس فوق التمساحين (٥ ، ٦) ، ومن أكثر العناصر المصرية تقليدا فى فن العراق القديم هو تقليد عنصر قرص الشمس المجنح (٧ ، ١٤) .

وسار الفنان فى العراق القديم على نفس القواعد التى سار عليها الفنان المصرى فى إظهار غير المنظور التى كان يسير عليها دائما (٩ أج) .

الأناضول : عثر على لوحة من البازلت فى تل بارسيب (تل أحمر) عليها منظرا يمثل المعبود الحيثى تيشوب وهو يقف على ثور ويحمى رأسه من أعلى قرص الشمس المجنح . ويبلغ ارتفاع هذه اللوحة ٢,١٠ متر وهى ترجع إلى الألف الثانية وبداية الألف الأولى ، وهى موجودة الآن بمتحف حلب .^(١)

بلاد الشام : نقش من العاح من حاداتو (ارسلان تاش) يمثل أبو الهول المجنح برأس كبش ، ويرجع إلى القرن الثامن ق.م ، وهو موجود الآن بمتحف حلب .^(٢)

Parrot, Assur, p. 79, 368 fig. 89.

(١)

Id., op. cit., p. 256, 377 fig. 326 .

(٢)

يظهر تأثير الفن المصرى القديم فى قطع الأثاث الجنائزى التى عثر عليها فى المقبرة رقم ٢٢١ فى بيبيلوس ، والتى تؤرخ من عصر قريب من عصر الملكين امنمحات الثالث والرابع أى الأسرة الثانية عشرة . ونلاحظ التأثير نفسه فى نقوش أثاث الملك احيرام ، ملك بيبيلوس ، الذى كان معاصراً للملك رمسيس الثانى ، فقد شيد هذا الملك لنفسه مقبرة تحمل الطابع المصرى وزين أثاثه الجنائزى على الطريقة المصرية . ويقال أن الذى صمم تخطيط طيبة هو كادموس Cadmus وهو فينيقى الأصل^(١).

اليمن : يظهر هذا التأثير أيضاً فى بعض الآثار المادية لبعض العبادات والطقوس فى اليمن . فقد عثر فى المعبد المصرى فى سرايية الخادم على موائد للبخور ذات شكل غير المألوف . أشبهه ببعض أشكال موائد البخور اليمنية القديمة . كما عثر فى صرواح عاصمة مكارب سبأ على معبد به حوض للتطهير به تأثيرات فنية مصرية . كما عثر فى تمنع عاصمة قتبان القديمة على بعض اللوحات التذكارية أو بعض شواهد المقابر ذوات الطاقة تشبه إلى حد كبير الزخارف المصرية^(٢) . كما تتشابه بعض التماثيل اليمنية فى أوضاعها مع التماثيل المصرية مثل تمثال البرونز الخاص بمعبد يكرى الذى عثر عليه فى محرم بلقيس فى مأرب ويرجع إلى القرن السابع أو السادس ق.م .

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ١٧ .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهره ، ص ٤٢٨ - ٤٣٢ .

كما أننا نجد الأصول المصرية فى شكل بعض أنواع المراكب العربية القديمة وفى شكل بعض أجزائها ^(١) . كما عثر فى مأرب على قطع أثرية مصرية منها جعارين وتمائم وخرز ومنها جعران يحمل اسم أمنحتب الثالث وجعران آخر عليه نقش يمثل صقرا وقرص للشمس ، ولوحة صغيرة وتميمة صغيرة زرقاء للمعبود بس وترجع إلى عصر الأسرة السادسة والعشرين أو التاسعة والعشرين .

كما عثر على مجموعة أخرى من الآثار والتحف الصغيرة تحمل نفس التأثير المصرى ، وهى محفوظة بالمتحف الوطنى بصنعاء ^(٢) والواقع أن التوسع فى الحفائر سوف يكشف لنا المزيد من عناصر هذا التأثير .

فى الشمال :

أخذ تأثير الفن الكريتى يظهر فى بعض الرسومات الحلزونية على بعض الجعارين التى عثر عليها فى مدينة قاو المصرية من الأسرة الثانية عشرة ^(٣) . وعن تأثير الفن المصرى فقد عثر فى اجياد تريادا على خاتم اسطوانى عليه رسم زهرة

(١) ناقش د. عبد المنعم فى بحث له بعنوان " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام " ألقاه فى الندوة الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التى عقدت بكلية الآداب بجامعة الرياض فى أبريل سنة ١٩٧٩ ونشر فى أعمال الندوة بعنوان : " الكتاب الثانى ، الجزيرة العربية قبل الإسلام " ص ٣٥٢ - ٣٨٥ ، وأعيد نشره فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهيره ، ص ٤١٨ - ٤٣٧ . وفى الواقع أنه ركز على الأصول المصرية لبعض المظاهر الحضارية فى اليمن .

(٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٦٩ .

(٣) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ١٣٩ .

اللوتس يرجع تاريخه إلى الأسرة الثانية عشرة ^(١) . وفي منطقة بسيخرو عثر على جعل من الاماتيسست ظهر عليه قرص الشمس تتبعث منه الأشعة . ويحتمل أن يكون هذا النقش قد تم بواسطة فنان مينو ^(٢) . ويرجع هذا الجعل إلى الدولة الوسطى .

وعثر في بلاتانوس على جعل من الحجر الجيري الأبيض عليه منظر يمثل المعبودة تاورت وحولها بعض الخطوط الحزونية ، ويرجع إلى الأسرة الثانية عشرة ^(٣) ، ومحفوظ الآن بمتحف كانديا تحت رقم ١٠٥٧ . وفي منطقة جورنس عثر على حبات خرز من القيشاني منظمة في قلادة ، بعضها أسطوانى يرجع إلى النوع الذى ساد فى عصر الأسرة الثانية عشرة . وظهورها فى كريت يرجع إلى تأثرها بمصر ^(٤) . كذلك عثر على فخار كريتي فى مدينة كاھون من عهد سنوسرت الثانى . وتعتبر كل هذه الشواهد عن مدى التأثير الذى مارسه الفن المصرى فى ذلك الوقت على الفن الكريتي ^(٥) .

ومن عصر الدولة الحديثة عثر على خنجرين كبيرين فى مقبرة اعح حتب لابنها أحمس الأول ، وعلى خنجر ثالث لابنها كامس . والثلاثة تحمل رسوما لمناظر صيد اتبع فيها الرسام قواعد الفن الكريتي الذى يميل إلى إظهار الأجسام ممدودة رفيعة والذى يعنى بإظهار حركات الجسم فى شكل طبيعى فى شكل منظور ^(٦) .

كما عثر فى مقبرة أحد عظماء ميكيناى على قطعة من البرونز اكتسى جانبها برقائى ذهبية رسم عليها منظر نيلى ظهر فيه نهر تسبح فيها الأسماك وعلى

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٣ لوحة ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٥ - ١٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

الشاطئ مجموعة من نباتات البردى تسلفتها القطط ساعية وراء صيدها من البط .^(١)

كما عثر فى ميكناي على آنية صنعت من القيشاني الأزرق ظهر عليها رسم لأوراق اللوتس كتب عليها اسم الملك أمنحتب الثالث بالخط الهيروغليفى .^(٢) وفى بلدة مندى التى تقع إلى الشمال من أثينا عثر على أربعة أوانى ، لا تنتمى إلى الصناعة الميكينية ، ويبدو أنها ترجع إلى فترة العمارنة فى مصر .^(٣)

وأخذ اليونانيون عن المصريين أيضا المبادئ الأولى لـ فن النحت . فجاءت التماثيل اليونانية فى عصرها المبكر نسخة من الأساليب المصرية الممثلة فى الوقفة المتصلبة والنظر المتجه إلى الأمام والذراعان الملتصقتان إلى الجانبين واليدان المقبوضتان والقدم اليسرى المتقدمة قليلا على القدم اليمنى . وهى صفات نجدها جميعا فى عدد من التماثيل اليونانية الموجودة فى المتحف الوطنى فى أثينا .

كما أخذ الفنانون اليونانيون ابتداء من القرن السادس ق.م عن عمارة المعابد المصرية عمارة الأبهاء والأعمدة لتصبح بعد ذلك هى النمط السائد . عند اليونان ^(٤) بل أنه يقال أن الذى صمم وخطط مدينة أثينا هو مصرى يدعى سيكروبس Cecrops .^(٥) وطيبة أسسها كادموس وهو فينيقى (وفى رأى آخر أنه أحد الأمراء المصريين الذى عاش فى القرن الرابع عشر ق.م) .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٤) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) ، ص ١٥٣ .

(٥) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ١٧ (وهامش) .

وهناك قسمان من الجزء السفلى من فسيفساء باليسترينا ، عثر عليهما في باليسترينا (براينستى) قصر باربير ينى فى باليسترينا . وتبين صورة الفسيفساء معالم مصر المميزة فى عصر البطالمة والرومان فهى تبين خريطة مصر بوجه عام ولا سيما الدلتا فى زمن الفيضان وصورة الفسيفساء الكاملة هى أحسن صورة لدينا وأكثرها مطابقة للواقع ، وهى ترجه إلى نهاية عصر البطالمة . ونرى فى الصورة تمثال لانوبيس ومقصورة لأبى منجل وأزهار وقوارب السكان الأصليين (يحمل أحدهما لوتس) واثنين من مراكب النزهة والصيد .^(١)

وعثر على صورة من الجص فى هيركولانيوم ، تمثل المناظر الطبيعية لقرية مصرية . فقد أعطت الصورة المنقولة من اصل مصرى فكرة عن الريف المصرى فى القرن الأول بعد الميلاد . وهذه الصور تبين ثلاث مزارع على ضفتى قناة ، تتألف الأولى من بنائين يشبهان الأبراج ويحيط بهما سور من الطوب . أما الثانية فتتكون من بوابة (بيلون) وبرج مرتفع ، والمبنى الأساسى عبارة عن منزل ريفى وبرج وخلفه أشجار ، وإلى اليسار يوجد شادوف وبئر . أما المزرعة الثالثة الواقعة على الضفة الأخرى للقناة فتشبهه ولكنها لا تطابق المزرعتين السابقتين . ويحيط بالحديقة الواقعة خلف الدار سور من أوتاد ألقى عليها ساتر .^(٢)

رسم بارز عثر عليه فى بومبى ، يمثل منظراً ريفياً فى مصر ، فبحوار سلسلة من برك البط يوجد بهو ومنزل ريفى وزائران وخادم يحمل نبيذا وامرأة ولعبة على الناي ويزود الفلاح البرك بكميات مستمرة من الماء عن طريق تشغيل الطنبور بقدمه .^(٣)

(١) م. رستوفتزف : تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية (مراجعة م. فريزر ، ترجمة إلى العربية وراجعته زكى على ومحمد سليم) مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٨٥ - ١٨٦ اللوحة ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ - ١٩١ اللوحة ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٤ - ١٩٥ اللوحة ٥٣ (٥) .

مجموعة من التماثيل من الآجر . الأول عثر عليه في مصر ، مجموعة فوكيه ، يمثل عربة يجرها بقرتان ويسوقها غلام يلبس معطفا ثقيلًا ذا طرطور . وتحمل العربة من الشمس مظلة . والثاني يمثل فلاح يلبس قبعة خاصة من الوبر على شكل هرم يجمع البلح من أعلى نخلة وقد تسلقها بمعونة حبل ، تتدلى من كتفه سلة يضع فيها البلح . الثالث يمثل جمل يستخدم في النقل يحمل سلتين مملوءتين عنباً . والرابع يوجد في المتحف البريطاني يمثل جمل يحمل على ظهره رحل ثقيل ربطت على جانبيه ثلاثة أوعية منها زيت أو نبيذ أو جعة .^(١)

هذه المجموعة من التماثيل الصغيرة المصنوعة من الآجر تبين بجلاء تنظيم أعمال الحياة الزراعية في مصر . ويظهر أن الجمل لم يكن معروفا في مصر في زمن العصور المصرية ، فهو يظهر لأول مرة في أوائل عصر البطالمة ، ثم أصبح الجمل في العصر الروماني أكثر دواب الحمل استعمالاً .^(٢)

وبالمتحف المصري تمثال من الجرانيت الأسود لكاتب مصري يسمى حور وهو من صنع نحاس مصري تدرب في المدرسة اليونانية بالإسكندرية .^(٣)

في الجنوب :

أما عن التأثيرات الفنية في الجنوب فنقول إن هذه التأثيرات موجودة منذ أقدم العصور فنجد أن منطقة توشكى تشمل على آثار من عصور ما قبل التاريخ وعلى جبانة نوبية . ويتضح أن بعض المناطق البعيدة والمرتفعة عن مستوى مياه بحيرة ناصر تحتاج إلى عمليات تنقيب علمية دقيقة ، لأنه بعد ضياع ما في بطن

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ اللوحة ٥٣ (١ - ٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٣) دليل المتحف المصري - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ،

ص ٤٨ (٩٧٢) .

أرض النوبة السفلى من آثار ، أصبح أمامنا مواقع محدودة هي التي تعبر عن حضارات عصور ما قبل التاريخ ونخص بالذكر هنا منطقتين هما : توشكى ووادي نبطه.

كانت الحفائر والتنقيبات قاصرة على وادي النيل وحواف الصحراء ، ولم تنل بعض المناطق في بلاد النوبة السفلى الاهتمام الكافي من علماء الدراسات المصرية المتخصصين في عصور ما قبل التاريخ نظرا لتقيدهم بعامل الوقت ، فكان المطلوب منهم الانتهاء من هذه الحفائر بأسرع وقت قبل ارتفاع منسوب المياه في بحيرة ناصر .

وقام المتحف الوطنى فى كندا بالاشتراك مع جامعة هارفارد بعملية مسح أثرى لعصور ما قبل التاريخ فى النوبة السفلى ، وذلك فى بداية الحملة التى قام بها اليونسكو لإنقاذ آثار بلاد النوبة . لأننا كنا لا نعرف كيف كانت بلاد النوبة السفلى فى هذه العصور القديمة ، ولابد أنها كانت مثل بعض المناطق فى مصر ، تختلف كثيرا عما هى عليه اليوم . فربما كانت مناطق شاسعة منها تتمتع بمطار كثيرة ساعدت الإنسان القديم على الاستقرار فى بعض مناطق النوبة السفلى .

وكشفت الحفائر عن عدد محدود من الجبانات من عصور ما قبل التاريخ بين الجندل الأول ودكه والمناطق الشمالية من النوبة السفلى . والجبانة الوحيدة من هذا العصر والتى تم إنقاذها عثر عليها أثناء عملية المسح الأثرى فى بهان جنوبى الجندل الأول .

وتعرف هذه الحضارة بين علماء المصريات بحضارة المجموعة الأولى . وكان سكانها لا يختلفون فى مميزاتهم الجسمانية عن المصريين فيما قبل عصور الأسرات . واستخدمت شعوب هذه المناطق التى تعاصر شعب المجموعة الأولى (المعاصرة لفترة الأسرة الأولى إلى الثالثة فى مصر) نوعين من المقابر لدفن الموتى .

ولا تختلف هذه المقابر فى طبيعة طرازها ومحتوياتها عن المقابر المعروفة من هذه الفترة فى مصر وخاصة فى عصور ما قبل الأسرات ، فالنوع الأول كان عبارة عن حفر بسيطة مستطيلة الشكل . أما الآخر فهى عبارة عن حفر بيضاوية الشكل وكان المتوفى يوضع فيها على شكل القرفصاء ويوسد على جانبه الأيمن ويتجه برأسه إلى جهة الغرب وذلك فى جبانة بلانة وغيرها .

وعلى بعد ١٧٠ كم شمال غرب أبو سمبل فى منطقة توشكى عثرت بعثة أمريكية برئاسة وندورف Wendorf على أكثر من ٣٠٠ موقع أثرى بالمنطقة تشغل مساحة قدرها ٣٦ كيلو مترا مربعا ، وذلك بعد ست سنوات من العمل المتواصل . وترجع بعض هذه المواقع إلى الألف التاسعة أو السابعة ق.م . مما يدل على أن هذه المنطقة كانت غاية فى القدم ، وأنها كانت عامرة بالإنسان المصرى - النوبى الأول الذى عاش على حصد الحبوب البرية مقدمة لمعرفة الزراعة مما يؤكد تحاليل بقايا البذور والنباتات التى عثر عليها بالمنطقة ، مما يدل على أن هذا الإنسان عرف زراعة بعض الحبوب كالقمح والشعير فيما بعد . كما عثر فى الموقع على بئر لاستخراج المياه وترع إلى حوالى عام ٧٨٠٠ ق.م . وكانت تستخدم لسقاية الإنسان والحيوان ، مما يؤكد وجود مجتمعات عمرانية أو مراكز حضارية وبداية لاستقرار الإنسان المصرى النوبى الأول فى هذه المنطقة الهامة .

كما أننا نعرف أهمية توشكى فى العصور التاريخية نظرا لأنه يوجد على بعد حوالى ٨٠ كم غربى توشكى محاجر الديوريت التى كانت تستغل طبقا للنصوص التى وصلت إلينا من عصور الملوك خوفو وجدع رع من الأسرة الرابعة ، وساحورع وجد كارع اسيسى من الأسرة الخامسة .

منطقة نبطه :

وتعتبر منطقة نبطه من أقدم المواقع الأثرية ، وهى تقع غرب منطقة أبو سمبل ، وعلى بعد ٩٠ كم جنوب توشكى قرب الأراضى الزراعية المستصلحة . وقد بدأ الاهتمام بالمنطقة أثريا منذ بداية الستينيات ، عندما بدأ المسح الأثرى أثناء الحملة

الدولية لإنقاذ آثار النوبة وذلك قبل غمرها بالمياه نتيجة بناء السد العالى وحجز المياه فى بحيرة ناصر . واكتشف الفريق الذى قام بالمسح الأثرى فى منطقة توشكى ونبطه آلاف المواقع المبدئية الأثرية التى تعود إلى الحقب الحجرية المختلفة لما قبل التاريخ وبسبب هذا المسح المبدئى تم تشكيل بعثة أثرية دولية Combined Prehistoric Expedition تحت إشراف العالم الأمريكى فرد وندورف Fred Wendroff وهى التى قامت بالكشف الأثرى فى منطقة توشكى فى مواسم أثرية مختلفة منذ سنة ١٩٦٤ حتى الآن) ، حيث اكتشفت أدوات حجرية مختلفة ترجع إلى لعصر الحجرى القديم الأعلى Late Palaeolithic فى المنطقة ، ثم بدأ العمل فى منطقة نبطه منذ سنة ١٩٧٤ .

ومنطقة نبطه من أقدم المواقع الأثرية (تبلغ مساحة منطقة الحفائر حوالى ٣٦ كم ٢) حيث أنها ترجع إلى العصر الحجرى الحديث Neolithic حيث تم الكشف عن آثار ترجع إلى العصر الحجرى الحديث الأسفل (٩٥٠٠ - ٨٠٠٠ سنة ق.م) ، ومن العصر الحجرى الحديث الأوسط (٧٧٠٠ - ٦٢٠٠ ق.م) ، ومن العصر الحجرى الحديث الأعلى (٦٢٠٠ - ٥٨٠٠ ق.م) .

وتتمثل الكشوفات الأثرية فى وجود الدلائل على أن الإنسان المصرى النوبى عاش فى تلك المنطقة منذ حوالى ٩٠٠٠ سنة قبل الآن ، وكذلك وجود بقايا سكنية وكانت على شبه محور مستقيم (حوالى خمسين منزلا فى أحد المواقع وثمانية عشر فى موقع آخر) تم تأريخها بحوالى ٨٠٠٠ سنة قبل الآن ، كما تم الكشف عن بئر مياه بعمق ثلاثة أمتار . كذلك وجدت آثار استقدام الماشية إلى المنطقة منذ حوالى ٧١٠٠ سنة قبل الآن ، كما وجدت دفنات للأبقار المستأنسة . وبذلك تعتبر من الأماكن القليلة التى عثر فيها على ذلك فى مصر وأفريقيا .

كذلك تعتبر منطقة حفائر نبطه أقدم الماكن التى تم تصنيع الفخار فيها فى مصر ، حيث تم الكشف عن فخار يرجع تاريخه إلى حوالى ٧٨٠٠ سنة ق.م . كما تم الكشف عن أقدم حجر فى مصر تدخلت اليد البشرية فى نحته ، ولأهميته تقرر نقله إلى متحف النوبة بأسوان . وتم العثور على مجموعات حجرية كبيرة (حوالى

ثلاثين قطعة حجرية) بارتفاع ٢ - ٣ م متراسة فى خطوط شبه مستقيمة تتخذ الاتجاهات الأربعة ، ويعتقد نظريا أنها ربما تمثل مرصدا فلكيا .

ومن ذلك يتضح لنا أهمية المنطقة من الناحية الأثرية لما تعطيه من أضواء على تاريخ الإنسان فى العصور الحجرية المختلفة والتي يصعب التعرف عليها حيث لم يترك لنا أى آثار مكتوبة يمكن الاستدلال منها ، وذلك لأنها حضارات قبل معرفة الكتابة . ولكنه ترك لنا أدواته وبقايا مساكنه وطعامه نستخلص منها : أنواع النباتات والحيوانات التى كانت فى بيئته ، وتعطى فكرة عن المناخ فى ذلك الوقت . ذلك الصناعات وبدايتها مثل صناعة الأدوات الحجرية وصناعة الفخار واستعمالاتها المختلفة ، وما ترتب على ذلك من الحالة الاقتصادية التى كانت موجودة ، وأن كان هناك تبادل تجارى بين المجموعات السكنية المختلفة ، وهل كانت المجموعات رعوية متنقلة أو كانت متركزة فى مناطق معينة وأصبحت قرى . كل ذلك يعطى معلومات قيمة تزيد من معرفتنا بجذور وتطور الحضارة المصرية القديمة .

إن الاهتمام بدراسة آثار توشكى وما حولها دراسة أثرية دقيقة ومتأنية مبنية على أسس علمية وعملية حديثة ، سوف يبين لنا ما حققه الإنسان المصرى - النوبى الأول من إنجازات أثناء عمليات استقراره الأولى فى هذه المناطق البعيدة فى هذه العصور السحيقة ، وكيف تغلب على المشكلات التى واجهته ، وكيف نجح فى عملية التكيف مع عوامل البيئة فى هذه الأزمنة البعيدة ، وخاصة بعد غرق معظم المواقع الأثرية التى ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ فى بلاد النوبة السفلى ، وأصبحت توشكى بما تحتوى أرضها من بقايا أثرية تمثل مصدرا هاما للدراسات التى يقوم بها الأثرى والجيولوجى .

ولا شك أن دراسة الظواهر الأثرية فى توشكى سوف تبين لنا هل حافظ الإنسان المصرى - النوبى الأول على مظاهره الحضارية المحلية ؟ أو تأثر بنظيره الإنسان المصرى الذى عاش فى وادى النيل فى الشمال ؟ وإلى أى مدى تأثر هذا الإنسان بمعاصره الذى سكن الوادى . ولو أن بعض العلماء يرى أن المنطقة التى تقع بين الجندلين الأول والثانى ، كانت معمورة بأقوام من جنس المصريين الذين

كانوا يسكنون شمال الوادى مما يلى أسوان . كما أن أهل دنقله من حول الجندل الرابع من نفس الجنس إلا أنهم اختلطوا بقبائل السودان ، التى كانت تتردد على تلك البقاع أو تعيش على بعد قريب منها .

وعلى الرغم من أن الدراسات لا تزال فى مراحلها الأولية إلا أنها تبين أنه توفر للإنسان المصرى - النوبى الأول الذى قطن منطقة توشكى وغيرها من أراضى بلاد النوبة السفلى جميع الأسباب المؤدية إلى قيام حضارة إنسانية لها طابعها المحلى ، حضارة محلية كان لها دور فعال فى الاتصال بين حضارات أفريقيا القديمة وحضارة شمال الوادى ، ومن ثم فدراسة آثار توشكى وما حولها سوف يكشف عن العديد من الأسرار ويجب على الكثير من التساؤلات من أهل التخصص .

وكان من بين أقدم الحضارات التى عثر عليها العلماء فى وادى النيل بوجه عام حضارة الخرطوم التى يرجع تاريخها إلى ما بين عامى ٥٠٠٠ ، ٤٧٠٠ ق.م ، وهى حضارة بلاشك لها صلة بحضارة شمال الوادى ولكنها كانت متأثرة بطابع محلى نظرا لصلة السكان بغيرهم ممن كانوا يعيشون إلى الجنوب منهم . وعلى الرغم من ذلك نلاحظ وجود وجوه شبه عدة بين فخار حضارة الخرطوم وفخار حضارة البدارى فى مصر العليا وما عثر عليه المنقبون فى بلاد النوبة وفى غربى السودان مما يدل على انتشار ثقافة فنية واحدة فى جزء كبير من القارة الأفريقية .^(١)

وتدل دراسة مخلفات حضارة المجموعة الأولى الأثرية فى بلاد النوبة والتى ترجع إلى عام ٣٢٠٠ - ٢٦٨٠ ق.م على استمرار الصلات بينها وبين الأسرة المصرية الأولى .

ومع زيادة اتصال مصر بالجنوب فى عصر الدولة الحديثة ، انتشرت العناصر المعمارية المتأثرة بالعمارة المصرية كالمقابر الصخرية أو تلك التى على شكل أهرام صغيرة . والباحث فى مختلف بلاد النوبى وشمال السودان أيام عصر

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٦ - ٣٧ .

الدولة الحديثة يعثر على كثير من التوابيت وتمائيل الأوشابتي (المجيبات)
والجعارين ورسوم المقابر وأسماء أصحابها المصرية .^(١)

وكان للفنانين المصريين دور كبير في نشر الفنون ذات الطابع المصري في
ربوع كوش ، فكثيرا ما أوفدوا إلى كوش في مهام رسمية للإسهام في إقامة المنشآت
المعمارية العديدة . وتذكر نصوص إحدى اللوحات التي عثر عليها في كوه أن فنانى
منف يرافقهم أحد المهندسين هو الذين أسهموا في بناء معبد كوة . كما أسهموا في
بناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل برقل . ولا شك أن هؤلاء الفنانين المهرة قد
ساعدوا على تكوين جيل الفنانين المحليين الذين أخذوا يشاركون في تطوير الفنون
المحلية .^(٢)

وفى خلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين انتشرت المقابر الهرمية
الضخمة فى أنحاء السودان فى كوة وفى نوري وجبل برقل ثم مروى القديمة
بالإضافة إلى المعابد ذات الطابع المصري وما يتصل بها من إقامة تماثيل ولوحات
مكتوبة باللغة المصرية بخطوطها المختلفة ، وكلها دلائل على تشبع هؤلاء القوم
بالعقائد والفنون وبعض نظم الحضارة المصرية .^(٣)

ونعرف أيضا أن زينة الأذن قد وصلت إلى المصريين من جيرانهم فى
الجنوب وظهر نوع من الأقراط الملكية على شكل رأس الكبش بقرص الشمس أو
بدونه ، وقد صور الملك تانوت - آمون بهذا النوع من الأقراط فى نقوش معبد
أوزير - بتاح بالكرنك .^(٤)

(١) د. محمد بكر صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ص ١٦٨ .

(٢) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٦٣ .

(٣) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ص ١٦٩ .

(٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

وعثر على تمثال على شكل رأس كبش فى إبرى بالقرب من إيف وتقع حاليا فى جنوب نيجيريا ، كمت عثر على قلادة صدرية على شكل كبش فى لاجوس ، ويظهر فيها تأثير الفن المصرى بوضوح .^(١)

وعندما انفصلت مصر سياسيا عن السودان بسبب الغزاة الجانب من آشوريين و فرس وإغريق ورومان استمرت حضارة كوش فى الازدهار لمدة ألف سنة أخرى ولم تنقطع فيها صلتها تماما مع مصر حتى أيام البطالمة والرومان ، فأخذت الحضارة المروية تقوم بدورها الفعال فى نقل وتوصيل عناصر الحضارة المتقدمة من وادى النيل إلى مناطق أخرى من القارة الأفريقية ذات الحدود الشاسعة التى لا يزال تاريخها القديم فى حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل والنشر .

شمال أفريقيا :

وما دمنا نتحدث عن تأثير الفن المصرى المحتمل على الحضارات القديمة داخل القارة الأفريقية ، فيجب الإشارة هنا إلى موضوع الرسوم الصخرية ذات التأثير المصرى والتى عثر عليها الباحث هنرى لوته Lhote فى جنوب شرقى الجزائر فى تاسيلي - ان - آجر : Tassili-n-Ajjer وتقع على طريق القوافل الرئيسى ما بين تمبكتو - Timbuktu وطرابلس وتحمل هذه الرسومات بعض خصائص الفن المصرى القديم .

وهناك رسم فى تهيل - Theile نرى فيه الرجال والنساء يرتدون أزياء مصرية صميمة بالإضافة إلى لباس للرأس مزود برسم حية على الجبهة وهو ما يشبه الصل المقدس فى مصر القديمة . وفى موضع آخر نرى منظرا يمثل صياد مع كلاب صيد ويظهر فيه التأثير المصرى واضحا . ومنظر ثالث لمعبودة ذات

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

ذات قرنين وهى صورة قريبة من المعبودة إيزيس - حتحور .^(١)

وبالمتحف المصرى مجموعة كبيرة من الآثار التى عثر عليها فى مصر عليها نقوش بلغات أجنبية ، كالكارية والنبطية (البلميرية) والآرامية والبابلية . كما يوجد بالمتحف العديد من الآثار التى عثر عليها فى بلاد النوبة ، يمثل معظمها الحضارة المروية التى كانت معاصرة للبطالمة والرومان ، ونقوشها مكتوبة بحروف أبجدية خاصة ، لم يحل إلى الآن إلا جزء يسير من رموزها .^(٢)

سابعاً - بالنسبة لأساليب التربية ونظم التعليم وما لها من تأثير على أهل الفكر من الشعوب الأخرى

نقول أن هذه الأساليب قد أثرت فى عناصر من الشمال فقد تأثر فلاسفة اليونان ومؤرخيها بأساليب التربية ونظم التعليم فى مصر القديمة^(٣) ويقول ديودور الصقلى :

" أن ما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقى حظه الكامل من التربية والرعاية " . ويقول سترابون :

" من التقاليد التى كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " .

وعندما زار أفلاطون مصر ورأى مدارسها وتردد عليها ، أعجب بمناهج التعليم فى مدارسها وبخاصة أساليب تعليم الصغار عمليات الحساب ، وأهاب بأبناء

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ،

ص ١٤٧ (٦٠٨٩ - ٦٠٩١) .

(٣) راجع الباب الحادى عشر .

قومه الإغريق أن يتعلموا هذه الأساليب ، ويتبعوها في تعليم أصول الحساب ، وأن يجتهدوا في العمل على توجيه النشئ من أولادهم إلى مواد الرياضة والحساب .

ونعرف أن بلوتارخ (٤٦م - ١٢٠م) ، ذلك المؤرخ اليوناني الذي درس الفلسفة ولا سيما الفلسفة الأخلاقية والعلوم الطبيعية والبلاغة في أثينا . قد زار بلاد كثيرة من بينها الإسكندرية . وتنقسم مؤلفاته تبعاً لذلك إلى قسمين كبيرين :

الأخلاقيات ، وهي على الرغم من عنوانها - لا تقتصر على دراسات في الأخلاق ، بل تشمل أيضاً دراسات في الدين والطبيعة والسياسة والأدب . وهي بحوث مكتوبة في شكل محاورات أو رسائل نقدية هجائية لاذعة . وتعلم أسلوب الفضيلة وأساليب التربية وعقيدة أوزير وإيزيس .

والشق الثاني هي التراجم ، وهي أهم كتاباته من الناحية التاريخية ، وتشمل سير بعض القواد والساسة اليونان والرومان .^(١)

ولا شك أن بلوتارخ قد تأثر كثيراً بالاتجاهات التربوية والفضائل الموجودة في قصة أوزير وإيزيس .

وبعد استعراض هذه المظاهر الحضارية الثمانية ، هل استطعنا الإجابة على كل ما يدور في مخيلتنا عما توصل إليه المصريون القدماء من علوم ومعارف ؟ بالطبع الإجابة بالنفي ، لأن العديد من هذه المعارف كانت تورث للأبناء وتحاط بسرية بالغة .

فمثلاً تركيب الأدوية وتعاطيها كانا دائماً مرتبطين بالديانة ، إذ إن العقاقير كانت تحضر في معمل خاص في المعبد اسمه (إست) في جو تشيع فيه السرية المطلقة ، ويمتزج تركيبها بالطقوس الدينية . ومن مظاهر السرية التي كانت تحيط

(١) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الروماني ، دار النهضة العربية ،

بوسائل العلاج أن كثيراً من العقاقير كان لها أسماء لا يعرفها إلى فئة من المختارين .

وغلقت الكثير من المعارف بالسرية المطلقة ، مثل كيفية بناء الأهرام ، والحصول على الإضاءة الكافية لنحت ونقش وتلوين المقابر فى باطن الصخر وعلى عمق كبير ، صقل الأوانى الحجرية من الداخل ، وتركيبه الألوان وصهر الحديد ، وغيرها من المعارف . وبالنسبة لصهر المعادن تحدثنا من قبل عن العثور على افران لصهر معدن النحاس فى العين السخونة .

ولا نستطيع أن نؤكد أية معلومة إلا إذا وجدنا لها ذكر فى نصوصهم أو فى مناظر مقابر ومعابدهم . فيرى بعض العلماء أن المصرى اهتمدى إلى صهر النحاس ثم صبه فى قوالب مهيأة للحصول على الشكل المطلوب كالألات والأدوات . فكانت هذه القوالب تصنع من الطين الذى يشكل أولاً على الصورة المطلوبة ، ويحرق بعد ذلك ليحول إلى قالب من الفخار يصب فيه النحاس المصهور أو أن بعض هذه القوالب كان يصنع من الأحجار^(١) أو أنه كان يحول قطع النحاس إلى صفائح مطروقة ، يستطيع أن يشمل فيها ما يريد ويقال أن هذه الطريقة اتبعت فى صنع آنية من النحاس المطروق والتي عثر عليها فى مقبرة حتب حرس وقد أكمل صانعها صنبور الإناء من قطعة واحدة مصبوبة على قالب وأيضاً فى صنع تمثال الملك بيبى الأول وأن الفنان أو الصانع قد طرق صفائح النحاس على قوالب من الخشب .

وبمرور الوقت أكتسب المصرى القديم خبرة فى صنع مصاريع الأبواب الضخمة من النحاس المصهور الذى كان يصب فى قالب كبير من الصلصال ، زود من أعلى بفتحات متعددة ثبتت عليها أقماع يصب فيها المعدن المنصهر^(٢) .
ففى منظر على جدران مقبرة رخمى رع رقم ١٠٠ بالبر الغربى من عصر الأسرة الثامنة عشرة نرى خمسة عمال وهم يحضرون المواد الخام المطلوب

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٦ .

صهرها . ونرى بعد ذلك مجموعة من ثلاثة عمال يقف أثنان منهما كل عامل على منفخين من الجلد مثبت في مقدمتها أنابيب تتجه فتحاتها إلى النار وقد أمسك كل منهما بحبلين متصلان بالمنفاخ لضغط الهواء أو تخفيفه . ويقوم الثالث بتقليب الجمرات بأداة طويلة رفيعة . ويقوم أثنان آخران بوضع وعاء منتفخ يشبه القربة ويبدو أنه مبطن من الداخل به المادة الخام على الجمرات ، وبعد ذلك يقومان بصب المعدن المنصهر على قاعدة تشبه المصطبة عليها أشكال أواني من الفخار .^(١)

وعندما عرف المصري القديم استعمال البرونز كان الصانع يقوم بإعداد صور من شمع العسل مطابقة لما يود الحصول عليه من تماثيل أو أشكال ثم يغطي التمثال من الشمع بطبقة من الطين أو خليط من الطين ومواد أخرى ويوضع هذا التمثال في وسط كمية من الرمل تحيط به من جميع الجهات ماعدا أعلاه ، فإذا ما ذاب الشمع بتأثير الحرارة وتسرب من داخل القالب الطيني ، يصب البرونز فيملأ الفراغ ويأخذ الشكل المطلوب ، وبعد ذلك يكسر القالب الطيني ويستخرج التمثال ويخلص من الشوائب .^(٢)

هذا ما نراه في مقبرة رخمى رع وما يذكره العلماء عن صهر المعادن ما عدا الحديد ، فهل كان يملكون معارف أخرى في هذا المجال ؟

والسؤال نفسه ينطبق على الأواني الحجرية التي عثر عليها أسفل الهرم المدرج لجسر التي صنعت من الأحجار الصلدة من الديوريت والشست بطريقة شديدة الإتقان فهل اعتمد صانعها ، كما يذكر بعض العلماء ، على آلة بسيطة عمادها مثقاب يتألف من ساق طويلة تثقل من أعلى بقطع الحجر ، ويثبت فيها قطعة معدنية من أسفل ، وكان يدير مقبض هذا المثقاب من أعلى الصانع بأحدى يديه ويسند بالأخرى الإناء نفسه .^(٣)

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ شكل (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٩ صورة رقم ٢٠ .

فهل بهذه الآلة البسيطة أمكن إخراج هذه التحف الرائعة ؟ لا نستطيع أن نتخيل هذا أو إمكانية تنفيذه . فلو طلب من فنان أو صانع فى العصر الحديث أن ينفذ مثل هذا العمل باستخدام آلاته الحديثة لما استطاع أن يخرج بهذا الإتقان وهذه الدقة . وكم من الوقت استغرق الصانع القديم لتنفيذ هذا العمل دون حدوث كسر أو حد مجرد خدش من الداخل أو الخارج ؟ وعلينا أن ننظر إلى الآليتين المصنوعتين من الحجر الجيرى الصلد والديوريت يبلغ ارتفاعهما بين ٨,٥ و ٩,٥ سم والعرض بين ١٠,٥ سم من عصور ما قبل الأسرات وشكل الفنان الأولى برأس وعل والثانية فى شكل بيضاوى جميل ، وهما معروضتان بالمتحف المصرى تحت أرقام JE 31437, 66628. (٢) . فكيف نفذ الفنان كل هذا فى محيط هذه المساحات الضيقة وبأى وسيلة ؟

(١) Zabern-Saleh, Official Catalogue : The Egyptian Museum, no

الباب الثالث عشر

مظاهر الحضارة المصرية القديمة

بين مراحل الارتقاء والازدهار ومراحل الانحسار والغروب

مراحل الارتقاء والازدهار :

لقد رأينا عبر هذه الصفحات السابقة كيف نشأت الحضارة المصرية القديمة وكيف نمت وتطورت وارتقت وازدهرت حتى أثمرت هذه المظاهر الحضارية المختلفة . وكيف استطاع الإنسان المصرى القديم أن يكرس مواهبه وطاقاته فى استغلال إمكانيات بيئته ومواردها ، واندماج فى العمل الجماعى الذى انتج كل هذه المظاهر الحضارية .

وقد ارتبطت هذه المظاهر بالإنسان نفسه ، وكان الهدف منها تحقيق سعادته فى دنياه وآخرته وتنظيم أساليب حياته وإثرائها .

وعندما قام بوضع نظم الحكم والإدارة ، كانت لتنظيم حياته وربطها بالقوانين البشرية . وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتحقيق مبدأ العدالة بين الجميع .

وعندما وضع الأسس فى مظاهر حياته الاجتماعية كان يهدف من ورائها هو إشباع النزعة الجماعية التى كانت لديه منذ البداية وإيمانه بالترابط الأسرى وما يجب أن يؤديه الفرد فى المجتمع .

وعندما توصل إلى مظاهر حياته الاقتصادية كان يهدف من ورائها إظهار إنتاجه ونشاطه فى مجالات حياته اليومية ونجاحه فى التغلب على الكثير من مشاكله . ومنذ أن وضع الإنسان المصرى القديم أول أسس العمران واستقر فى حياته على أرض الوادى وضمن قوته ومسكنه بدأ يفكر فى الديانة والمعتقدات

ليرضى ما فى عقله وقلبه من تساؤلات . فكانت الديانة أقوى وأهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

وما حققه فى حياته الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف كان الغرض منه إظهار ما لديه من فكر ناضج وعميق أدى إلى نجاحه فى التوصل إلى عدة معارف مختلفة فى المجالات العلمية . وما حققه من أساليب فى التنشئة التربوية والتعليمية ، يدل على إيمانه بأهمية التعليم فى حياة الإنسان وما يحققه الإنسان بفضلها . وكان الغرض من هذه الأساليب هو إظهار ما كان يؤمن به من مثل ومبادئ وقيم خلقية ، فكانت هذه المبادئ والقيم السياج القوى الذى أحاط به حضارته فلم تتل منها عوامل الضعف الإنسانية والمشكلات الناتجة عن السلوك المنحرف .

وما حققه فى مجالات الفنون المختلفة كان الغرض منه إظهار قدراته وملكاتة ومواهبه وأحاسيسه وطاقته وعزيمته وتصميمه فى كل ما أنتج وأخرج من فنون فى مجال النحت والرسم والفنون التعبيرية وما حققه على الأخص فى مجال العمارة .

وأخيرا أن ما قام بتحقيقه فى مجال العلاقات الخارجية ، كان الهدف منه أن يظهر إنه لم يؤمن بالعزلة وابتعاده عن الآخرين بل أراد أن يثبت تفتحه ونضوجه الفكرى والثقافى فى علاقاته مع دول العالم القديم فى الشرق والغرب والشمال والجنوب والشعوب الأخرى مع الاحتفاظ بشخصيته الحضارية الأصيلة المميزة والدفاع عن أرضه إن لزم الأمر ضد أى أطماع خارجية .

وعلى الرغم مما تعرضت له مصر خلال عصورها التاريخية الطويلة من فترات ضعف فى أوضاع الحكم فى الداخل وما أصابها من بعض الغزاة الأجانب من ويلات أثناء حكم الهكسوس والآشوريين والفرس ، وما تعرضت له حدودها الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية من أخطار التهديد الأجنبى والطامعين من الشعوب والقبائل المشاغبة المجاورة بصفة دائمة ، إلا أنها كانت تخرج من كل هذه المحن ، وقد أصابتها الجراح ولكنها كانت لا تلبث أن تسترد عافيتها وتنهض من كبوتها وتردى ثوبها الحضارى من جديد وتستأنف روح نشاطها المعهود والمتأصل فى عزم

أهلها الذين كانوا يواصلون فى كل مرة حركة البناء والتطور الحضارى ، وخرجوا علينا بكل ما حققوه من مظاهر حضارية مختلفة .

ولم تؤثر عوامل الضعف السياسية والغزوات الأجنبية على هذه المظاهر الحضارية ، فلم تتعرض الحضارة المصرية لفقدان ديانتها ، ولم تتعرض نظمها السياسية والإدارية لحروب أهلية أو ثورات داخلية أو فتن داخلية بصفة دائمة ، ولم تتغير نظمها الاجتماعية والاقتصادية وظلت متمسكة بثقافتها وحياتها العلمية ، وحافظت على قيمها التربوية والسلوكية ومبادئها الخلقية .

وظلت كل هذه المظاهر الحضارية كما هى ثابتة وراسخة . ولم تصب الحضارة المصرية بعوامل الضعف أو أسباب الانهيار التى تعرضت لها الحضارات الأخرى القديمة وأدت إلى انهيارها . فمظاهر الحضارة المصرية لم تنهر ، ولم تختف بانتهاء الأسرة الثلاثين وإنما ظلت باقية ثابتة لمدة مئات السنين بعد ذلك .

مراحل الانحسار والغروب وأسبابها :

لا يزال البحث جاريا عن الأسباب التى أدت إلى اختفاء معالم هذه الحضارة
والتي لم يبق منها غير تراثها المادى . فهناك ثلاثة آراء : أولها يرى بعض المؤرخين أن ذلك يرجع إلى العامل الجغرافى وامتداد البلاد طولا مما أثر على مر العصور على تماسكها إداريا وسياسيا وإصابتها بالشيخوخة . وثانيها يرى البعض الآخر أن ذلك ناتج عن التطور التاريخى للقوى التى كانت تطمع فى خيرات مصر والى كانت تنافسها ، وظهور ضعفها السياسى أمام تلك القوى فى بعض فترات تاريخها الطويل . وعلى الرغم من نجاح بعض هذه القوى فى دخول مصر إلا أنها لم تؤثر فى مظاهر حضارتها ، وسرعان ما تخلصت مصر من حكم الهكسوس والآشوريين والفرس ، حتى عندما دخلها البطالمة ثم غزاها الرومان ظلت الحضارة المصرية حضارة مصرية أصيلة وصميمة فى تراثها وفى مظاهرها .

وثالثها يرى البعض أن عوامل الانهيار ترجع إلى أسباب اقتصادية لأن الاضطرابات الاقتصادية وضعف الإنتاج لهما تأثيرهما على المدى البعيد على تماسك

البنیان الاجتماعی ویسودی بالتالی إلى انهيار الدولة . وبالطبع تضاف إلى هذه الأسباب أسباب أخرى أكثر عمقا ، فنجد أنه بعد غزو الرومان لمصر نجد أنها فتحت ذراعيها للمسيحية ، ونبذت عنها ديانتها القديمة حتى دخلها الإسلام واعتقله غالبية سكانها وعاش أهلها أجيال وأجيال في ظل هاتين الديانتين يجمع بينهما تسامح كبير كان أعظم ما ورثوه عن نهج أجدادهم القدماء .

ولكننا نقول أن مظاهر الحضارة المصرية قد دخلت بعد نهاية الأسرة الثلاثين في مراحل التوقف والانحسار والغروب وطور النهاية في معظم مظاهرها فتعرضت البلاد لعدة أحداث وتغييرات أدت إلى تغير مظاهر حضارتها القديمة وتوقفها واحتجابها وأقولها . وتتلخص هذه الأحداث والتغييرات والتأثيرات في أربعة عوامل رئيسة هي :

أولا : لعل أولى هذه الأحداث هو دخول الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق. م . وتأسيس حكم أسرة البطالمة فيها . وان كانت مصر قد فقدت حريتها السياسية عندما رحبت بقدوم الإسكندر الأكبر ، ألا أنها لم تفقد مظاهر حضارتها .

وعندما تقابلت الحضارة اليونانية مع الحضارة المصرية على شواطئ الإسكندرية ذابت معالمها في بوتقة الحضارة المصرية^(١) ، تلك البوتقة العميقة ذات الجذور الضاربة في عمق التاريخ ، ولم تنهر الحضارة المصرية أمام حضارة الأجنبي كأنه أجل محتوم^(٢) ، بل ظلت تتحدى الأجنبي بفضل قوة سواعد أبنائها وبفضل ديانتها وثقافتها وعلمها .

وعندما استولى الإسكندر الأكبر على مصر بدون أى صراع وخلال إقامته القصيرة في مصر شيد مدينة الإسكندرية التي أصبحت أهم مدن البحر المتوسط

(١) د. أحمد صبحي : في فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

وتعبد الإسكندر للمعبودات المصرية وتوج في المعابد المصرية في منف واينونو
 وذهب لسؤال تمثال وحي آمون في واحة سيوة . تلك الزيارة التي تركت أثراً نفسياً
 كبيراً في حياته . وعندما توفي دفن في بداية الأمر في منف ثم نقل بعد ذلك إلى
 الإسكندرية .

وفي حوالي ٣٠٥ أو ٣٠٤ ق. م . شيد بطلميوس بن لاجوس أسرة بظلمية
 جديدة هو على رأسها . ولمدة أكثر من ٢٥٠ عاماً بعد ذلك سوف تحكم مصر
 والمصريين أسرة يونانية وبظلمية (١)

وإن كان البطالمة قد انحدروا من أصل أجنبي ، إلا أنهم حاولوا التكيف مع
 مظاهر الحضارة المصرية العريقة ، فتمصروا مع مرور الزمن واعتبروا أرض
 وادي النيل وطنهم وديانة المصريين ديانتهم ، وتقلدوا زى الملوك المصريين ،
 وخلعوا على أنفسهم ألقابهم ، ولم يحاولوا أن يغيروا من المظاهر الاجتماعية
 والاقتصادية والثقافية والعلمية والفنية السائدة والتي أرسى أسسها عقلية الإنسان
 المصري من قبل وعلى مر العصور ، وكل ما حدث أن تاريخ مصر وحضارتها
كسأهما مظهر جديد ، أو ثوب جديد . ولكن هذا المظهر الجديد لم يمس جوهر
 وأصالة حضارتها ، وظلت خصائصها كما هي لأنها استمدت هذه الخصائص من
 عوامل البيئة المحلية ومن فكر ومعارف وعزم رجالها .

ومن ناحية أخرى نجد أن بطلميوس الأول وسائر الملوك البطالمة من بعده
 لم يتبعوا سياسة تهدف إلى أغرق مصر أو نشر الحضارة اليونانية بين المصريين ،
 وإنما كان همهم هو أغرق الجيش والإدارة المصرية فقط . (٢) ولم يستطيعوا أن

(١) Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt, London 1958, p.52.

(٢) د. مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، مكتبة
 الأنجلو المصرية ، ص ٤٧ .

يمسوا الديانة أو الكهنة ، لأن المعبد والكهنة كانا يمثلان الروح المصرية النابضة ومعدل التقاليد الوطنية .^(١) لذلك أتبعوا سياسة التقرب إلى المعبودات المصرية وإظهار ولائهم لها وتقواهم نحوها .

كما اهتم البطالمة بالجانب الثقافي والتعليمي في الإسكندرية . فأمر الملك بطلميوس الأول بتأسيس دار العلم الموسيون والمكتبة الكبرى . وكان الموسيون بمثابة أكاديمية للبحث وليست جامعة للتدريس بها قاعات يجتمع فيها العلماء ويتباحثون . وكانت دار العلم هذه أول منشأة علمية حكومية في العالم الإغريقي . وكانت ملتقى للمفكرين من كل فج . وأصبحت المكتبة الكبرى تحمل مشعل العلم والمعرفة في الإسكندرية .

وأقبل العلماء على الإسكندرية خلال العصر البطلمي من كل موطن إما للإفادة من مكتباتها الغنية بالتراث الإنساني وإما للانضمام إلى عضوية الموسيون أو للدراسة فيه . وأقام بهذه الدار عدد من العلماء الذين برزوا في علوم الرياضة والطب والفلك والجغرافيا والتاريخ والأدب والفلسفة .^(٢)

وكان المجتمع المصري يتكون في هذه الفترة من المصريين والمقدونيين والإغريق والسوريين والفنيقيين والفرس واليهود وغيرهم ممن كانوا بمصر من قبل أو جاءوا سعياً وراء الكسب تحت لواء البطالمة . وكان لكل طائفة عبادتها . ولهذا كان من الضروري أن يحتضن الملك بطلميوس الأول أحد المعبودات المصرية ويجعله المعبود الرسمي للدولة فاتخذ للعبادة العجل أبيس في منف الذي كان يتحد بعد موته بالمعبود أوزير ويصبح أوزير - أبيس وبذلك نجح بطلميوس في التوفيق بين

(١) ايدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبداللطيف على) دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٣ ، ص ٥٠ .

(٢) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

العنصرين المصرى والإغريقى عن طريق الديانة ^(١). ولهذا أدخل الإغريق عليه تعديلاً حتى يقبله الإغريق :

الأول : يمس اسمه فاصبح سراپيس بدلا من أوزير - آبيس ليسهل على الإغريق نطقه .

والآخر : هو تمثيله فى صورة إنسانية بدلا من صورة العجل . وبعد ذلك شيد له معبداً كبيراً فى الإسكندرية فى الحى الشعبى الذى كان يقع فى موقع قرية راقودة القديمة ، وأصبح معبد الإسكندرية هو المعبد الرئيسى والرسمى لهذه العبادة . وشبهه الإغريق سراپيس بعدد من المعبودات اليونانية مثل اسكليبيوس وديو نيسيوس وهليوس وزيوس . وارتبطت بسراپيس الزوجة إيزيس والابن حورس وأصبح الثالوث المقدس يذكر فى الوثائق الرسمية للدولة البطلمية ^(٢) وعندما تولى الملك بطلميوس الثانى أضاف بعض أجزاء إلى معبد سراپيس ^(٣).

واهتم بطلميوس الثالث ببناء المعابد المصرية ، فقد أتم معبد المعبودة إيزيس الذى كان قد بدأه والده فى جزيرة فيله . وأكمل الصرح الأول الشهير الذى شيده يوارجيتيس فى الكرنك ، وبنى معبداً صغيراً فى أسنا تكريماً للمعبود خنوم والمعبودة نيت ، ويعد معبد أدفو الشهير من أعظم مبانيه والذى يعتبر أكمل المعابد التى بقيت من العصر البطلمى . وقد بدئ فى تشييده فى ٢٣ أغسطس سنة ٢٣٧ ق. م . واستمر بنائه أكثر من مائة وثمانين عاماً حتى بطلميوس الثانى عشر ، أى تمت زخرفته النهائية فى عام ٥٧ ق. م ^(٤).

-
- (١) ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٦ .
 (٢) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ .
 (٣) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، ومؤسسة شباب الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٣٦ .
 (٤) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ،

وهنا ظهرت أيضا أصالة الفنان المصرى وقدرته ومهارته . فعلى الرغم من أن صورة الملك المنقوشة على جدران معبد أدفو وأماكن أخرى ليست بصورة الملك المصرى الوطنى ، إلا أن الفنان المصرى حاول بروح الأصالة المعهودة فيه ، والستى تتوارثها الأجيال ، أن يخرج صورة الملك الأجنبى بالمهارة نفسها التى كان يصور بها زميله من قبل صورة الملك المصرى . ولم تخمد روح الحماس فيه ولا النشاط الذى عهدناه فى الأجيال السابقة وعندما سجل كل هذه النصوص والمناظر بهذه الدقة فما كان ذلك إلا اعتزازاً بقوميته وحفاظاً على تراثه الدينى القديم فى أكمل صورة . ولهذا شيدت أعظم معابد البطالمة بأيدي مصرية ، وبفكر مصرى أصيل . وليست بفكرة خارجية حملها معه الأجنبى .

وإن كان المصرى القديم لم يسجل اعتراضه على هذا الوجود الأجنبى فيما أخرج من صور ونقوش فى المعابد . لأنه كان يدرك تماماً أن هذا المكان مكان مقدس ومكان للعبادة وإن الصورة المنقوشة من إنجاز ساعديه وإنجاز فكره . ولهذا سجل المصرى العادى اعتراضه على الوجود الأجنبى فى أماكن أخرى فى أرض مصر وأقاليمها . وقد أحس المصريون فى ظل الحكم البطلمى بأنهم كانوا يعاملون معاملة المغلوبين على أمرهم . ولهذا واجه البطالمة الأجانب الثورات التى بدأت فى مصر منذ عهد بطلميوس الرابع ، وقامت هذه الثورات فى صعيد مصر ودلتاها . ولم يقض نهائياً على هذه الثورات المصرية إلا فى عام ١٨٥ ق.م . فى الصعيد حيث كانت طيبة قد أعلنت استقلالها ، ثم قضى على ثورة مماتلة فى الدلتا عام ١٨٣ ق.م. (١)

ثانياً : وثانى هذه الأحداث هو دخول الرومان مصر على أثر انتصار أوكتافيان (أوغسطس قيصر) مؤسس الإمبراطورية الرومانية على جيوش أنطونيوس وكليوباترا عام ٣١ ق.م. فى معركة اكتيوم . واتجه أوكتافيان إلى الإسكندرية ودخلها فى أول أغسطس عام ٣٠ ق.م. فلم يجد أنطونيوس حيلة سوى

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

الانتحار . وبعده بقليل وجدت كليوباترا متوفاة فى قصرها سواء منتحرة أو بفعل أوكتافيان .

وأعلن أوكتافيان ضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية وجعلها ولاية رومانية منذ عام ٢٧ ق. م . واحتل أوكتافيان (أغسطس) مكان الملوك البطالمة ، وأصبح الإمبراطور الرومانى ملك البلاد الرسمى ، وخلعت عليه ألقاب ملوك مصر السابقين .^(١)

وتاريخ مصر السياسى تحت الحكم الرومانى يختلف تمام الاختلاف عن تاريخها فى عصر البطالمة . فقد كانت مصر فى العصر البطلمى دولة شبه مستقلة يحكمها ملوك من أصل أجنبى . أما فى العصر الرومانى فقد أصبحت مصر ولاية تتبع الإمبراطور فى روما .^(٢)

وهكذا ارتدت الحضارة المصرية أو اضطرت إلى ارتداء ثوب آخر فى ظل الاحتلال الأجنبى ، ولكن هذا الثوب الجديد لم يغير من شخصيتها أو يطغى على معالمها ، بل ظل المصرى الذى يعيش فى العصر الرومانى يحافظ على إيمانه بمعبوداته وعقائده أى أن إيمانه من الداخل ظل سليماً وقوياً ولهذا لم تختف مظاهر الحضارة المصرية من حياته لأنها جزء من شخصيته وقوميته . وكان هذا هو سبب القوة فى الحضارة المصرية وسر تماسكها حتى ولو اضطرت إلى ارتداء ثوب جديد من الخارج للمرة الثانية .

أقر الرومان اللغة اليونانية كلغة رسمية للبلاد تصدر بها كافة القرارات والقوانين . أما المصريون فكان الكثير منهم يتقن اللغة اليونانية وأكثرهم فى المدن والقرى والريف يتحدث باللغة المصرية ، اللغة القومية ، والتي كان التعبير الكتابى لها بالخط الديموطيقى الذى استخدمت فيه علامات وحروف مختصرة من الحروف

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

الهيروغليفية والهيراظيقية . ولهذا لم يحاول الرومان أن يفرضوا تعلم اللاتينية ، لأن اليونانية كانت موجودة من قبل ومنتشرة فى البلاد إلى جوار اللغة الأصلية الوطنية حتى بيانات وقرارات الإمبراطور وخطاباته التى كانت تكتب أصلا باللاتينية كانت تترجم إلى اليونانية عند نشرها فى الإسكندرية . ولهذا فإن عدد النصوص اللاتينية من مصر فى العصر الرومانى قليل جدا ويكاد يقتصر على شئون الجيش الرومانى . (١)

احتضن الرومان مؤسسات الثقافة والتعليم فى الإسكندرية بعد الفتح فبقيت المكتبة والموسييون يلقيان التشجيع والتأييد من الأباطرة الرومان وبمناسبة زيارة هادريان للموسييون زاد عدد العلماء . (٢)

واستمرت عبادة الثلاث البطلمى المكون من سرابيس وايزيس وحاربوقراط (حورس الطفل) . وأضاف ديوكليتيان (٢٨٤ - ٣٠٥ م) إضافات إلى معبد سرابيس فى الإسكندرية . وأقام بوستيموس ، حاكم الإسكندرية ، فى المعبد نفسه عموداً ضخماً من الجرانيت تكريماً لزيارة الإمبراطور للإسكندرية . وشيد الأباطرة الرومان معبد دندرة تكريماً للثلاث المقدس : حتحور وحورس سماتاوى وإحى ، الذى شيد فى ١٧ نوفمبر عام ٣٤ ميلادية . وأكملوا معبد اسنا المخصص للثلاث خنوم ونيت (أو منهيت) وحكا ، ومعبد فيله المخصص لثلاث الفنتين خنوم وسانت وعنقت ، ومعبد كوم أمبو المخصص لسبك وحتحور وخونسو ومعبد طود المخصص لمونتو وثنيت وهربوقراط . (٣)

ونرى على جدران بعض هذه المعابد وخاصة فى دندرة واسنا وكوم أمبو وفيله صور بعض الأباطرة الرومان وهم يتعبدون إلى المعبودات المصرية المحلية .

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٣) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب

وقد نفذ الفنان المصري تلك الصور والنقوش ببراعته وإتقانه المعهودين من قبل . وأعلن الرومان رسمياً إدخال عبادة الثالوث البطلمي المكون من سراجيس وإيزيس وحاربوقراط إلى روما حتى أنشأ الإمبراطور دوميتيان (٨١ - ٩٦ م) معابد في روما لعبادة سراجيس وإيزيس .

واستطاعت عبادة إيزيس أن تنتشر في روما . وتذكر بردية من البهنسا من القرن الثاني الميلادي سبع وستين مدينة في الدلتا لعبادة إيزيس أما في خارج مصر فتذكر أسماء خمس وخمسين مدينة مرتبة حسب البلاد التي تقع فيها . ومن دراسة هذه البردية يتضح انتشار عبادة إيزيس في بعض مناطق الشرق القديم وبعض المناطق التي تطل على البحر الأسود وبعض المدن في إيطاليا .^(١)

أرهب الرومان المصريين بالضرائب وأذاقوا أهلها مرارة الجوع وألوانا من العذاب . وألزموا المصريين بإيواء من يمر بهم من الموظفين الملكيين والعسكريين من الرومان ، وتقديم ما يلزمهم من المؤن ، وقد أدت هذه الأعباء إلى ضعف المصريين وازداد سخطهم على الحكم الروماني .^(٢) وقامت الثورات ضد الرومان وكان أهمها الثورة التي قام بها أحد الكهنة ويدعى ازيدور عام ١٧٢م ، وكان مركز الثورة هو منطقة شمال الدلتا .^(٣)

ثالثاً : وثالث هذه الأحداث والتغيرات والتأثيرات ، يتمثل في ظهور المسيحية ففي القرون الثلاثة الأولى الميلادية كان على الإنسان أن يواجه أهم حدث وتغير وتأثير ديني عرفه في تاريخه بأسره .

فقد ظهرت المسيحية مع مولد الإمبراطورية الرومانية في الجزء الأخير من

(١) د. مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) د. مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

القرن الأول ق. م. (١) إذ تمت ظروف توحيد بلدان العالم في ظل الإمبراطورية الرومانية ونشطت تبعاً لذلك الاتصالات بين البلدان المختلفة وانتشرت الأديان الوثنية من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد .

وفي ظل هذه الظروف نشأت دعوة دينية جديدة هي المسيحية التي ظهرت في فلسطين وجاءت لتؤكد للإنسان أن الأديان القديمة كلها هراء وفي مثل هذه الحالة كان على الإنسان أن يلجأ إلى البحث عن الطريق الصحيح وفي مثل هذه الظروف أيضاً لا نعرف كيف نشأت المسيحية وكيف انتشرت ولكن نظراً لظهورها في فلسطين ، وكان لقرب حدود مصر الشرقية من حدود فلسطين الجنوبية أثره بدون شك في وصول هذه الديانة إلى مصر في عصر مبكر .

ويروى فيوسيبيوس ، أعظم مؤرخي الكنيسة الأولين والذي عاش في القرن الرابع الميلادي ، أن القديس مرقس نفسه حضر إلى مصر وأنه بشر للدين الجديد في الإسكندرية في أواسط القرن الأول الميلادي . ولكن ليس هناك أي دليل مادي يثبت وجود المسيحية في مصر خلال القرن الأول الميلادي . ولكن لدينا في بردية نصاً من إنجيل القديس يوحنا يرجع إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي . وعثر على إنجيل مسيحي جديد ، ويرجع تاريخ تدوينه إلى الفترة نفسها أو بعدها بقليل (٢) .

وعندما وصلت المسيحية إلى مصر ، هنا كان على الإنسان المصري أن يواجه أهم حدث في تاريخه ، فبدأ جوهر الإنسان في التغير والتأثر من الداخل ، وأصاب هذا التغير والتأثير عقيدته ومعتقداته ، فانعكس ذلك كله على مظاهر حضارته وانتاجه لعدة قرون قادمة .

(١) ولد السيد المسيح عليه السلام في عهد الإمبراطور أوغسطس - قيصر مؤسس الإمبراطورية الرومانية ، على أثر انتصاره على جيوش أنطونيوس وكليوباترا سنة ٣١ ق. م ، راجع : د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) د. مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

وابتداء من ظهور المسيحية بدأ الإنسان المصرى يبتعد عن ديانته القديمة ومعتقداته ، ووجد فى المعتقد الجديد عقيدة ربانية ليست من تفكير البشر أو من اعتقاد الكهنة . وابتداء من هذه اللحظة أيضا بدأت مظاهره الحضارية تتخذ وجهة أخرى ، تختلف اختلافاً كلياً عما كانت عليه من قبل . فروح الإيمان بما هو مقدس كانت متأصلة فى قلب المصرى عبر الأجيال المختلفة وطوال آلاف السنين ، وجعلته يتقبل بسهولة المسيحية . ويفسر د. عزيز سوريال هذا الانتشار السريع للمسيحية فى مصر دون غيرها باستعداد العقلية المصرية لتقبلها أو لتقبل فكرة الوجدانية (١).

ولكننا نقول أن هذا الاستعداد الفطرى والروحى لتقبل كل ما هو مقدس كان موجوداً من قبل وفى كل العصور . فكان للحضارة المصرية رسالة روحية تخاطب الإنسان وما يجب أن يتمسك به فى معتقده وفى تصرفاته وفى قيمه التى يجب أن يتحلى بها . فقد آمن المصرى القديم بالموت واعتقد فى البعث والخلود وتكريم الجسد والمحافظة عليه وخلود الروح . وآمن بفكرة الثواب والعقاب فى الآخرة . ومما تركه المصرى القديم من نصوص دينية عديدة كنصوص الأهرام ونصوص التوابيت وفصول كتاب الموتى والكتب الجنائزية الأخرى ، نجد أنها تعكس جزءاً كبيراً من معتقده فى الحياة والموت وعالم الآخرة .

وكما لمسنا فى الباب الثامن الفصل الثانى عند الحديث عن الأدب الدينى أن بواكر الإيمان بوحدة الربوبية لم تكن وليدة عهد إخناتون ، ولكن هذه البواكر ظهرت فى أواخر الدولة القديمة وأوائل الدولة الوسطى ، عندما اتجه أهل العقائد والفكر الدينى إلى اعتبار معبود الشمس معبوداً خالقاً ومعبوداً أكبر فى آن واحد . ومضى هذا التيار الدينى فى طريقه ، ووجد أصحابه فى اتساع آفاق الناس فى عصر الدولة الحديثة ما جعلهم يتطلعون إلى الوجدانية الكاملة . فعبروا عن معبودهم بأنه الخفى ، الموجود فى كل الوجود . حتى جاء إخناتون وأعلن التوحيد خالصاً بعد أن ضاق

(١) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، ص

بروح المحافظة التي تعلقت بالدين وقيدت حرية الناس ، فنأدى بمعبود واحد لا شريك له هو آتون ، ورمز إليه بكوكب الشمس الذى يراه الناس فى كل لحظة ، ورأى فى هذا الكوكب ربانية مستترة وجسم ظاهر مضئ .

وفى بعض النصوص من عصر الأسرة الثامنة عشرة ، والمسجلة على جدران بعض مقابر الأفراد ولوحاتهم الجنائزية ، حرص كتبة النصوص الدينية على إظهار معبود الشمس وآمون رع كخالق عالمى ، ونرى فى نصوص لوحة بالمتحف البريطانى معانى هذه الوجدانية تتجسم فى الكلمات الآتية :

" الذى خلق بنفسه ولم يولد " . (١)

وليس أدل على من تسامح روح المصرى القديم من أن جاليات يهودية عاشت فى الفنتين والإسكندرية ، وهم الذين أقاموا وأكلوا وشربوا وغنموا وتمتعوا بخيرات البلاد . فمنهم من قدر كل ذلك ومنهم من خان وافترى على مصر وشعبها . فكانت هناك جالية يهودية تعيش فى مصر ، فقد أقام الفرس حامية من اليهود فى جزيرة الفنتين عثر فى مكانها على مجموعة من أوراق البردى كتبت بالآرامية . ويمكن التأريخ لهذه الحامية بصورة منتظمة فى الفترة بين ٥٢٥ - ٤٠٧ ق. م .

وبعد فتح الاسكندر لمصر استقر اليهود فى الإسكندرية فى الحى الرابع المسمى دلتا . على أن اليهود فى مصر البطلمية سرعان ما تركوا اللغة الآرامية واتخذوا اللغة اليونانية بدلا منها . وكان أكبر مظهر لهذا التغيير هو ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية التى تمت فى مصر فى ذلك العصر . وأن هذه الترجمة المسماة " بالترجمة السبعينية " التى تمت فى اثنين وسبعين يوما قام بها يهود مصريون فى العصر البطلمى .

وأصبحت المراسيم الدينية اليهودية تؤدى باللغة اليونانية ، واتخذوا الزى اليونانى وتسموا بأسماء يونانية وتحدثوا اللغة اليونانية وقد بنوا أيضا كثيرا من أماكن

(١) راجع الباب السادس .

العبادة الخاصة بهم والتي تعرف باسم سينا جوج .^(١) ويحدثنا فيلون بأن معابد اليهود كانت على أيامه منتشرة في كل مكان بمدينة الاسكندرية .^(٢)

وزاد عدد اليهود في الاسكندرية في العصر الرومانى فأصبحوا يشغلون اثنين أو أكثر من أحياء المدينة الخمسة^(٣) ، بعد ان كانوا يقطنون حيا واحدا وهو المعروف باسم " دلتا " . وكان لليهود مصر في العصر الرومانى نفس الوضع الاجتماعى الذى كان لهم في العصر البطلمى .

ويهود مصر كانوا مصريين من وجهة النظر الرسمية الرومانية . وأراد اليهود ان ينتهزوا فرصة عطف الرومان عليهم والحصول على امتيازات عن طريق اعتبارهم مواطنين سكندريين . وراح زعماء اليهود وكتابهم من أمثال يوسيفوس يثبتون صدق هذه الدعوى ويدللون عليها بشتى الحجج والأساليب .^(٤) وقامت الفتنة الكبرى عام ٣٨ ميلادية بين السكندريين واليهود حول مواطنة الاسكندرية وحق اليهود فيها .^(٥)

(١) د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) ايدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٧١ .

(٣) رمز لكل منها بأحد حروف الهجاء اليونانية وهى : الفا ، بيتا ، جاما ، دلتا ، ايسيلون ، راجع : د. عبد العزيز سالم : الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامى ، ص ٢٦ .

(٤) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

ويضاف إلى ذلك ما سبق أن ذكرناه أنه خلال عصور مصر القديمة وأثناء فترات حكم بعض ملوكها ، وفد عليها بعض أنبياء ورسل الله عز وجل يبلغون رسالات ربهم . ونشأت تطورات في العلاقات بينهم وبين بعض ملوك مصر القديمة الذين نجهل أسمائهم . وكان أول من دخلها سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء الذي جاء مع زوجته ساره ، ثم جاء سيدنا يعقوب هو وعشيرته وكذلك سيدنا يوسف وأخوته ، الذى كان صغيرا وتربى فيها وشاب وأصبح ذا شأن كبير . ثم ولد فيها بعد ذلك سيدنا موسى من رسل الله الكرام أولى العزم ، وعندما بلغ بالرسالة وطلب من المصريين عبادة الله وحده وترك العبادات الأخرى دخل البعض منهم فى ديانة سيدنا موسى رغم معارضة فرعون وتهديده لهم ، وترتب على ذلك بتر أيديهم وأرجلهم وصلبهم . وذلك يدل على أن البعض منهم حاول أن يبحث عن الإيمان الحقيقى بالله عز وجل ووجد ذلك الإيمان على يد سيدنا موسى . وكذلك آمن سحرة فرعون ، ومن آل فرعون نفسه من آمن ولكنه لم يعلن إيمانه وكتمه ، بل إن امرأة فرعون نفسها قد آمنت برسالة سيدنا موسى عليه السلام . فقد جاء سيدنا موسى برسالة الحق (١) والهداية (٢) وبالآيات (٣) من رب العالمين إلى فرعون وملئه .

من هذا نفهم أن الأجيال السابقة على المصريين الذين عاشوا فى القرن الثانى الميلادى ، والذين عرفوا المسيحية ، عاصروا أحداث كبيرة تمس الوجدانية . وعاشت هذه الأجيال فى عهود هؤلاء الرسل والأنبياء الذين جاءوا إلى مصر وباركوا أرضها الطيبة ، كما بارك أرضها بعد ذلك السيد المسيح والسيدة العذراء كما يقص علينا نص كنيسة " أبو سرجه " قصة التجاء السيدة العذراء والسيد المسيح إلى مصر حماية للسيد المسيح من انتقام هيرودس . (٤)

(١) سورة الأعراف : آيات ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) سورة النازعات : آيات ١٦ - ١٩ .

(٣) سورة الزخرف : آيات ٤٥ - ٤٦ .

(٤) د. حسن الباشا وآخرون : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص ٤٧ .

وكان دخول المسيحية مصر بداية اختفاء مظاهر الحضارة المصرية
المعهودية والمتعارف عليها . وكان هذا العامل الدينى السبب الرئيسى فى تغير مظاهر
هذه الحضارة التى عرفناها من قبل . فنجد أن مظاهر الحياة الدينية لم تصبح كما
كانت فى الماضى وتغيرت كلية ، فمتطلبات الدين الجديد تختلف اختلافاً كلياً عما كان
يتطلبه المعتقد القديم ، فهذه الحضارة التى قامت فى البداية وارتبطت ارتباطاً وثيقاً
بالديانة والمعتقدات نجد أنها تأثرت بقوة أيضاً بعامل الدين الجديد . وظل هذا التأثير
قويا فى داخل الإنسان المصرى الذى عاش فى هذه الفترة وممن جاءوا من بعده فى
الأجيال اللاحقة . وانعكس ذلك كله على بقية المظاهر الحضارية الأخرى :

فمظاهر الحياة السياسية والإدارية قد تغيرت تماما ومظاهر الحياة الفنية قد
تغيرت فى أكثر من مجال ، وكذلك مظاهر العلاقات الخارجية قد تغيرت كلية . أما
مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فإنها لم تتغير كثيراً وظلت كما هى ودخلتها
نظم جديدة . وبالنسبة لمظاهر الحياة الثقافية والعلمية وأساليب التربية والتعليم فدخلتها
أيضاً عناصر جديدة وتأثرت بقيم جديدة وأهداف أخرى مختلفة .

فدخول المسيحية السمحاء أرض مصر ، جعل المصرى يتوقف عن البناء
المعمارى فى المعابد المصرية وغيرها من العناصر المعمارية . فالديانة المسيحية
ليست فى حاجة إلى معابد أو تماثيل بل هى فى حاجة إلى كنائس ، ولم تعد هناك
حاجة إلى العمائر الجنائزية لزوم عقائد الآخرة لأن مفهوم الثواب والعقاب فى الآخرة
قد تغير فى عقيدة الناس ، وبدأ الناس بروحهم الشفافة المعهودية يشعرون بالإيمان
الحقيقى وأصبح لديهم الإيمان الصادق العميق الثابت الذى لا يضعف ولا يهتز ولا
يتحول ولا يتلون .

وظلت روح الإبداع الفنى لدى الفنان المصرى كما هى كما يظهر ذلك فيما
أخرجه هذا الفنان من فنون النحت والنقش والرسم والعمارة بأشكالها ، كما نشاهد فى
آثار المتحف البريطانى . وبنفس الروح السمحة نجد أنه حافظ على موروث الماضى
وتراث أجداده . فهذه الآثار جزء من ماضيهم وماضى أجدادهم الذين كانوا يعيشون
على الأرض نفسها . فلم يحتج على إقامة أجداده من آثار الماضى لأن هذه الآثار من

صنع أجداده الذين انحدر منهم ، ولم تكن من نتاج أناس غرباء عليه ، ولكن المصري الوفى لماضيه حافظ عليها وأبقاها وعاشت حتى الآن . ولكن بعض المسيحيين المتحمسين للديانة المسيحية فى البداية أرادوا أن يسجلوا اعتراضهم على قيام هذه الآثار ، فقاموا بتحويل القليل منها إلى كنائس وقاموا برسم صور القديسين على بعضها الآخر أو قاموا بهدم أجزاء من بعضها الثالث .^(١) ولكن بوجه عام لم يحاولوا أن يمحوا آثار حضارتهم القديمة كلية ، والدليل على ذلك أن معظم المعابد الكبرى التى شيدت فى الوجه القبلى لا زالت قائمة حتى الآن ، ومحتفظة بمعالمها ، مما يدل على أن الذى قام بعملية الاحتجاج هذه قلة قليلة من الناس .

وهكذا انتشرت المسيحية فى الاسكندرية أولا ثم فى بقية أجزاء مصر بعد ذلك . وأصبح لها فى الاسكندرية مركز ورئيس ومدرسة غير رسمية لتدريس تعاليمها . وكانت الجماعات المسيحية على اتصال مباشر بالحركة المسيحية بالإسكندرية . وفى بردية ترجع إلى عام ٢٦٤ - ٢٨٢ م ، نجد خطاب كتبه شخص له مكانته فى روما ، يبعث به إلى جماعة المسيحيين فى منطقة الفيوم . وعلى الرغم من وجود المدرسة ورئيس للمسيحيين فى الإسكندرية وفى بعض أجزاء من مصر . فقد تعرضوا للاضطهاد .

وكان الهدف من إنشاء هذه المدرسة مناهضة دار العلم الشهيرة فى الإسكندرية والتى شيدت منذ عصر بطلميوس الأول . واستطاعت هذه المدرسة المسيحية منذ وقت مبكر أن تكتسب مجدا وقوة على يد أساتذتها الكبار أمثال كليمس ، الذى ولد فى أثينا فى أواسط القرن الثانى الميلادى . ونشأ وثنيا واسع

(١) كان من أهم الآثار الموجودة فى معبد الكرنك وحولت إلى كنائس عند دخول المسيحية مصر هى قاعة الأعياد الخاصة بالملك تحوتمس الثالث وجوسق أمنحتب الثانى ومعبدى خونسو وأوبت ، راجع : Coquin, BIFAO 72 (1972), p. 169-178.

الثقافة اليونانية ثم حضر إلى الاسكندرية وبعد أن استمع إلى محاضرات في المدرسة المسيحية هناك اعتنق الدين الجديد وأصبح أستاذا بالمدرسة نفسها بعد ذلك .

وأثار انتشار المسيحية مخاوف الرومان ، واعتبرت السلطات الرومانية المسيحية خطرا سياسيا عليهم ، واعتبروا المسيحيين عنصرا خطيرا على المجتمع .^(١) ولذلك تعقبت السلطات الرومانية المسيحيين بالاضطهاد في روما أولا ثم في أنحاء الإمبراطورية ثانيا . فعمدوا إلى اضطهاد دعاة المسيحية منذ النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ، فصبوا على المصريين المسيحيين أسواط العذاب واستشهد منهم من استشهد في سبيل إعلاء كلمة الرب ونشر دينه ، بروح الوفاء المعروفة عنهم .

وتستقر المسيحية على أرض الكنانة برغم القياصرة الرومان ، ولم يثن هذا الاضطهاد المصريين عن اعتناق المسيحية فانتشرت انتشارا تجاوز كل تقدير .

وفى عصر الإمبراطور سبتيوس سيفيروس وقع أول اضطهاد منظم ضد المسيحيين في مصر في عام ٢٠٣ ميلادية . فاضطر كليركس أستاذ المسيحية في الإسكندرية إلى أن يهاجر إلى فلسطين ويموت هناك . وجاء من بعده اورجينيس الذي نشأ في الاسكندرية مسيحيا ، وشاهد في سن صغيرة اضطهاد سيفيروس ، وعين وهو في سن الثامنة عشرة رئيسا للمدرسة المسيحية خليفة لكليركس . واكتسب اورجينيس شهرة كبيرة بين المسيحيين في عصره . وظل اورجينيس حتى عام ٢٣٢ ميلادية هكذا ولكن اتجاهه الفلسفي أوقعه في خلاف مع رجال الدين المسيحي فاضطر اورجينيس أن يترك الإسكندرية إلى فلسطين حيث أكمل دراسته للكتاب المقدس هناك .

وحدث الاضطهاد الثاني الكبير في منتصف القرن الثالث في عصر الإمبراطور ديكورس . وبعده جاء جالينيوس الذي أوقف اضطهاد المسيحيين وسمح لهم بحرية العبادة . وهكذا استطاع المسيحيون لأول مرة أن يشيدوا كنيسة لهم .

(١) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

وأول ذكر لكنيسة مصرية يوجد في بردية من البهنسا في عام ٣٠٠ ميلادية . أما عن تاريخ المسيحية بعد ذلك فيقع في الفترة التاريخية التالية التي تبدأ بعصر ديوكليتيان (٢٨٤ - ٣٠٥ م) فكان عليه أن يواجه الإصلاحات في الحكم وأن يؤمن حدود الإمبراطورية الرومانية المترامية ضد غزوات المتبربرين من كل جانب ثم قمع الثورات المحلية ضد حكمه ومواجهة الدين الجديد . وبدأ ديوكليتيان أقصى اضطهاد عرفه المسيحيون فأصدر الأوامر بجمع نسخ الكتاب المقدس لحرقها وتدمير الكنائس لمنع المسيحيين من الاجتماع والعبادة .^(١)

استمر اضطهاد المسيحيين على أيدي الأباطرة الرومان بعد ديوكليتيان ، حتى إذا جاء عام ٣٢٣ م الذي نجح فيه قسطنطين في تولي الحكم (٣٢٣ - ٣٣٧ م) واعترف الإمبراطور قسطنطين بالدين المسيحي ، وساوى بين المسيحية وغيرها من الأديان عام ٣٢٣ م . وكان هذا يعد انتصارا حاسما للمسيحية . فمنذ ذلك الوقت بدأ المسيحيون يعملون في حرية واطمئنان .

وقام المسيحيون في مصر في عصر قسطنطين بتدمير كثير من المعابد أو حولها إلى كنائس . وكان ذلك يتم برضاء السلطات الرسمية وبأمرها أحيانا ومن أشهر ما تم في هذا المجال هو قرار الإمبراطور بتحويل معبد القيصرون إلى كنيسة بالإسكندرية . وكما نعلم ، كان هذا المعبد قد شيد بواسطة الملكة كليوباترا يوم الاحتفال بقدوم أنطونيوس .^(٢)

بدأ الخلاف العنيف بين كنيسة الاسكندرية والقصر الإمبراطوري في القسطنطينية . وانقسمت الإمبراطورية الرومانية بعد قسطنطين إلى شرقية في القسطنطينية وغربية في روما . وأصبحت مصر تابعة للإمبراطورية الشرقية .

(١) د. مصطفى العبادي : المرجع السابق، ص ٢٨٢ - ٢٩٠ ، ٢٩٣ - ٢٩٩ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٧ ؛ د. مصطفى العبادي : المرجع

السابق ، ص ٢٩٩ .

وجاء بعد ذلك الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥ م) ، الذى أعلن فى عام ٣٨١م أن الكنيسة القسطنطينية هى بمثابة الكنيسة الرسمية والأولى للإمبراطورية الشرقية . وفى عصره قام بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس بهدم المعابد فى الإسكندرية .^(١)

وفى عام ٣٨٩ أو ٣٩١ تهدم معبد سرايبس وتحطم تمثاله بالقرب من كانوب شرق الإسكندرية . وأقيمت فى هذه الفترة عدة كنائس وبدأت الديانة المسيحية تشغل عقول الناس وتسيطر على نشاطهم الفكرى والثقافى .

وكان المسيحي يختار أماكن مبانيه فى الأماكن التى مرت بها العائلة المقدسة أو زارها بعض القديسين . ومن أشهر هذه الأماكن : البهنسا وأنطونيوبوليس (انصنه) والأشمونين والقوصية ودرنكه حيث دير السيدة العذراء . وكانت الكنائس هى أكثر العماير الدينية بقاءً نظراً لما تتمتع به من قداسة . كما شيدت الأديرة ولعل أشهرها : دير الأنبا سمعان (هدر ا) فى أسوان ودير الفاخورى فى اسنا والدير الأبيض والأحمر فى سوهاج ودير الأنبا أنطونيوس ويقع بأحد سلاسل جبال الجلالة القبلية بالبحر الأحمر عند الكيلو ١٣٧ طريق القاهرة الزعفرانة . وهو الذى ولد عام ٢٥١م ، بمحافظة بنى سويف وتوفى فى يناير ٣٥٦م . ويعتبر مؤسس نظام الرهبنة فى العالم . ودير الأنبا بولا وهو أحد كبار القديسين ، ويقع على هضبة مرتفعة من أحد جبال الجلالة القبلية بالبحر الأحمر على خليج السويس ، وعلى بعد ٨٥ كيلو متراً من رأس غارب . ودير أبو حنس فى ملوى ودير يوحنا القصير أو الأنبا أرسانيوس فى طره وفى غيرها .

كما عبر أقباط مصر عن معتقداتهم المسيحية بتصوير الأيقونات الجميلة الموجودة بالمتحف القبطى والتى تمثل السيدة العذراء والقديس أنطونيوس والملاك

(١) هذه هى المرة الثانية التى تعرض فيها المعبد للهدم . فكانت المرة الأولى فى عام

٣٨ م أثناء ثورة يهود الإسكندرية ، راجع : د. عبد العزيز سالم : المرجع

السابق ، ص ٣٧ ، ٤٣ .

ميخائيل والقديسة بربرة .^(١) وانتجوا فناً متميزاً نسب إليهم وهو الفن القبطي الذي يعتبر من الفنون المسيحية المحلية .^(٢)

ومع استقرار المسيحية في مصر في القرن الثالث الميلادي . استبدل المسيحيون الحروف الهيروغليفية في الكتابة بحروف يونانية . ولما وجدوا أن الأبجدية اليونانية لا تفي بحاجة جميع أصوات اللغة المصرية القديمة أضافوا إليها ستة حروف من الكتابة الديموطيقية . وصاروا يسطرون بخط جديد الذي اصطلح العلماء على تسميته بالخط القبطي بلهجاته المتعددة .

ولكن هذا الخط ، كما ذكرنا من قبل ، لم يكن في الواقع إلا الصورة الرابعة لأشكال الخطوط التي كانت تكتب بها اللغة المصرية القديمة :

الهيروغليفية ، الهيراطيقية ، الديموطيقية ، والقبطية . أي أن هذا الخط الأخير يرجع في أصوله الاجرومية إلى اللغة المصرية القديمة .

وفي الواقع أن القبطية ليست ديناً ولا مذهباً جديداً ، وإنما يقصد بها جنس وشعب مصر ، لأن لفظ قبط هو اللفظ الذي أطلقه العرب على المصريين عند الفتح العربي .^(٣) وكان أول وأعظم أعمال ما حقق بالخط القبطي الجديد ، هو نقل الإنجيل إلى المصريين في لغة مصرية وثوب مصري ليس بالخط الأجنبي اليوناني أو اللاتيني . ولعل هذا كان من الأسباب التي جعلت المسيحية تنتشر بين المصريين جميعاً انتشاراً واسعاً .^(٤)

(١) د. صلاح البهنسي : المتاحف المصرية ، مطبوعات وزارة الثقافة ، العلاقات الثقافية الخارجية ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٠ - ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ١٩٨ حاشية (١) .

(٤) د. مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

ونشأ الخط الجديد بين المصريين فى الوقت الذى ذاعت فيه المسيحية وانتشرت . وبالرغم من أن كنيسة الإسكندرية والمسيحيين فى المدينة استمروا يستخدمون اللغة اليونانية ، فإن المسيحيين المصريون جعلوا من الخط القبطى بلهجاته المتعددة هو وسيلة التعبير لهم فى هذه المراحل التاريخية الجديدة ، وسرعان ما دونوا به الأدب الجديد ، مبتدئين بالإنجيل ثم الدعوات والأنشيد الدينية ، ثم توسعوا كثيراً فى التأليف بهذا الخط فكتبوا عن سير آباء الكنيسة الأولين وخاصة سير القديسين المصريين .^(١) واستمرت الإسكندرية فى العصر البيزنطى مركزاً للعلم والثقافة كما كانت فى العصر اليونانى الرومانى يقصد إليها الدارسون من شتى الأقطار وكثيراً ما حضر الشباب إلى الإسكندرية لدراسة العلوم الإنسانية (أى الفلسفة وآدابها) ثم تحولوا بعد ذلك إلى المسيحية وخاصة فى القرنين الرابع والخامس ، ومثال ذلك القديس سيفيروس الذى جاء من إنطاكية وكان لا يزال وثنياً ، ودرس العلوم الوثنية فى مدرسة الإسكندرية وهناك التقى بعدد من أعلام العصر مثل زكريا من غزه ، وتوماس من غزه وربنودوتوس من لسبوس فى كاريا وباراليوس من كاريا أيضاً (فى آسيا الصغرى) .^(٢)

ومن الشخصيات اللامعة فى تاريخ مدرسة الإسكندرية فى العصر البيزنطى الفيلسوفة الجميلة هيياثيا ، وبلغ من شهرتها ومجدها أن قصدها الطلاب واستمع إليها الوثنيون والمسيحيون على حد سواء ، حتى لقيت مصرعها على آلات التعذيب والحريق أثناء بعض الاضطرابات والفتن فى مطلع القرن الخامس .

ومن أشهر الشخصيات التى تلقت المعرفة على يدى هيياثيا سنيسيوى أسقف كنيسة قورنية فى برقة ، وبالرغم من كونه مسيحياً ورجل دين له مكانته ، فلم يخف إعجابه الشديد بهيياثيا رغم وثنياتها وبمدرسة الفلسفة بالإسكندرية .

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

وهذه الشهرة العلمية العظيمة التي كانت تتمتع بها دار العلم بالإسكندرية كانت تسندها مكتبتها الكبيرة ، وظلت الإسكندرية تتمتع بهذه المكتبة حتى نهاية القرن الرابع الميلادي حين قاد أسقف كنيسة الإسكندرية ثيوفيلوس أكبر حملة اضطهاد ضد دار العلم هذه باعتبارها أكبر مركز للثقافة الوثنية .^(١)

وبعد أن تولى الإمبراطور ماركيانوس كان تاريخ الكنيسة المصرية بعد ذلك سلسلة من المنازعات بشأن اختيار الأسقف ، فمن ينتخبه المصريون لا يعينه الإمبراطور ، ومن يعينه الإمبراطور لا يقبله المصريون ، إلى أن تم الاتفاق أخيراً في عام ٤٨٢ ميلادية على أن يختار المصريون أسقفهم دون تدخل الإمبراطور . مما يدل على انفصال كنيسة الإسكندرية عن القسطنطينية نهائياً . وجاء بعد ذلك جستنيان (٤٥٨ - ٥٦٥ م) وأصر على أن يعين هو أسقف الإسكندرية . وكان يرسله إلى الإسكندرية في حراسة قوة عسكرية تفرضه على الكنيسة فرضاً . وفي أيامه استطاع المصريون أن يمدوا نفوذهم الديني جنوباً فدخلت القبائل النوبية في المسيحية على المذهب اليعقوبي .^(٢)

بعد ذلك بدأ تهديد دولة الفرس لحدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية ونجحت في التوغل إلى داخل ممتلكات ومناطق نفوذ الإمبراطورية نفسها . ولكن هذا التدخل لم يستمر طويلاً ، فقد تمكن الإمبراطور هرقل من إعادة الولايات التي استولى عليها الفرس في سوريا وفلسطين ومصر في عام ٦١٦ ميلادية إلى سيطرة الإمبراطورية من جديد .^(٣)

عين هرقل أسقف الإسكندرية الملكاني قيرس (قورش) المعروف باسم المقوقس ليكون حاكماً على مصر . وكان معروفاً بقسوته وكراهيته لأصحاب الطبيعة

(١) د. مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ - ٣٠٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٠ .

الواحدة .^(١) ومنحه الإمبراطور سلطة مطلقة لتحقيق سياسته المتشددة في مصر . فأطلق على المصريين حملة من الاضطهاد العنيف وسياسة الشدة والتعسف . وأخذ يضطهد المسيحيين اضطهاداً لم يشهد له المصريون نظيراً من قبل . وأمام هذا الاضطهاد اضطر بطريرك الإسكندرية بنيامين إلى الفرار من الإسكندرية من بابها الغربى إلى الصحراء ولأذ بالفرار إلى دير بالقرب من مدينة قوص وفر عدد من المسيحيين إلى وادى النطرون مثل دير البراموس ودير أنبا بشواى ودير أبى مقار . وتعرض من بقى من المسيحيين فى ديارهم لألوان من التعذيب والتكيل .

رابعاً : ورابع هذه الأحداث والتغيرات والتأثيرات ، هو ظهور الإسلام فى مدينة مكة معقل الوثنية العربية ، والمركز التجارى الهام فى الجزيرة العربية . فكانت أعظم دعوة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية للإنسانية عامة . وكانت انتقالاً حاسماً فى تاريخ العرب ، إذ جعل لهم ديناً واحداً يدعو إلى الوحدةانية ، وحقق لهم وحدتهم السياسية ، وجعل من العرب أمة موحدة قوية ضد مطامع الروم والفرس فى بلادهم .

وصاحب هذه الدعوة العظيمة هو سيدنا أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، ويرتفع نسبه الكريم إلى معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل .^(٢) وظلت مصر تؤمن بالمسيحية حتى دخلها الإسلام على يد القائد عمرو بن العاص الذى قصد إليها مؤمناً

(١) ما كاد المسيحيون يتخلصون من الاختلافات الدينية حتى وقعوا فى الاختلافات المذهبية ، ونشأ عن ذلك ما يعرف بالمذهب الارثوذكسى والمذهب الكاثوليكى وغيرهما من المذاهب ، راجع : د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ، الجزء ٢ ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، ص ٣٩ - ٤٠ .

لا يتردد ولا يحجم لأن الله اختار مصر فجعلها كنائنه وخزانة تراث خلقه ، وملتقى رسالات عرشه فقد عاش فيها اليهود في سلام ، ثم جاءت المسيحية فأمن بها أهلها ، ثم جاء أخيراً الإسلام الذي صقل روح المصريين بالإيمان القوى ، وابتعدوا أكثر فأكثر عن مظاهر حضارة أجدادهم القديمة .

استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب بأن يسير إلى مصر ، وذكر له أنها أكثر الأرض أموالاً ، وقال له :

" إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم "

فتردد الخليفة في الأمر ، وأشفق على المسلمين أن يصيبهم الإخفاق ولكنه أمر عمرو بن العاص بالمسير نحوها ، لأنه كان يعرف أحوالها في الجاهلية عند قدومه إليها للتجارة عدة مرات . كان يعرف مدى خصوبة أرضها ووفرة خيراتها .^(١)

ودخل عمرو بن العاص مصر بعد سقوط حصون بابليون في سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) وكان يطلق على سكان البلاد في هذه الفترة القبط أو الأقباط سكان البلاد . فقد ذكر أن بنيامين بطريك الإسكندرية ، عندما بلغه دخول العرب أرض مصر ، كتب إلى الأقباط سكان البلاد يعلمهم بأن ملك الروم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو .^(٢) وبعد سقوط حصن بابليون بعدما يقرب من سبعة أشهر من الحصار ، عقد العرب مع القبط (المصريين) معاهدة تعرف بمعاهدة حصن بابليون الأولى .

إن فلفظ قبط هو لفظ أطلقه العرب على المصريين سكان البلاد الأصليين جميعاً . وفي وثائق التعداد في العصر الروماني كان الرومان والسكندريون يذكرون في أول القوائم وبعدهم يأتي سائر السكان الذين كانوا يعرفون اصطلاحاً باسم " المصريين " . وكانوا ينقسمون بدورهم إلى طبقات وفئات مختلفة المنزلة والمكانة .

(١) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، ص ٢٣٧ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

ولكن الصفة المميزة لهم جميعاً هي خضوعهم لضريبة الرأس .^(١) أى أن هذه التسمية " قببط " لم تكن موجودة من قبل أى فى العصر الرومانى ، وإنها جاءت فقط مع دخول العرب مصر .^(٢)

وسار عمرو بن العاص إلى الإسكندرية فى ربيع الأول سنة ٢٠ هـ (٦٤٢ م) بعد أن عين على حصن بابليون خارجة بن حذافة بن غانم . واشتبك عمرو مع الروم فى عدة معارك فى نقيوس الواقعة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل الغربى بالقرب من منوف الحالية ، ثم فى سلطيس الواقعة جنوبى دمنهور ، وانهزم البيزنطيون فى كل من هذين الحصنين ، ثم التقى عمرو بالبيزنطيين فى حصن الكريون ، وكان أهم معقل بيزنطى أمام الإسكندرية . وانتصر عمرو على قائد القوات البيزنطية تيودور انتصاراً حاسماً . وتحصنت قلل الجيش البيزنطى فى الإسكندرية . وكانت الإسكندرية مدينة محصنة لها أسوار محكمة البناء ، وأقام عمرو حصاراً حول الإسكندرية استمر لمدة ١٤ شهراً : منها تسعة أشهر بعد موت هرقل ، وخمسة بعد ذلك ، وأن فتحها تم فى أول محرم سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) . وساعد على فتح العرب للإسكندرية موت الإمبراطور هرقل وضعف الدولة البيزنطية بعد وفاته فى ٢٣ صفر سنة ٢٠ هـ (١١ فبراير سنة ٦٤١ م) ، وقيام المنازعات فى القسطنطينية من أجل العرش ، مما اضطر الروم إلى العمل على إنهاء حالة الحرب ، وذلك بعقد صلح مع المسلمين حتى يتفرغوا لمشاكلهم الداخلية .

ونذكر هنا النقيوسى أن البطريك قيرس الذى عاد من بيزنطة وبيده تفويض من الإمبراطور يخوله عقد الصلح مع عمرو . وذهب إلى عمرو فى بابليون ليفاوضه فى الصلح . وتعهد المسلمون بعدم التدخل فى شئون المسيحيين واحترام كنائسهم ،

(١) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٢) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء

٢ ، ص ٢١٧ ؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ،

مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٣٩ .

والسماح لليهود بالبقاء فى الإسكندرية ، وأن يبقى المسلمون مدة أحد عشر شهراً خارج المدينة حتى يبحر عنها الروم . وتم إبحار الروم عن الإسكندرية فى ١٧ سبتمبر سنة ٦٤٢ م . (١)

لم يتعصب العرب فى معاملة القبط (أهل البلاد من المصريين الأصليين) بل عاملوهم بمنتهى اللين والتسامح الذى تقتضيه تعاليم الإسلام ، فخيروهم بين الإسلام والبقاء على دينهم المسيحية . فمنهم من أسلم ومنهم من بقى على دينه :

" فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات ، ومن بقى على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها ديناران على من بلغ الحلم منهم واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال أضف إلى ذلك رفع الاضطهاد عنهم وعدم تحميلهم مالا يطيقون " . (٢)

وهكذا عندما فتح العرب مصر كان يعيش فيها ثلاثة أجناس من السكان :

- القبط وهم أهل البلاد الأصليين ، وكانوا يكونون السواد الأعظم من السكان .

- الروم ، وهم بقايا الحكم الرومانى الذى قضى عليه العرب . يضاف إليهم اليهود الذين كانوا يعيشون فى الإسكندرية ويكونون أقلية ضئيلة من السكان إلى جانب الأجناس الأخرى .

- العرب ، الذين كانوا يكونون الجيش العربى ويضاف إليهم القبائل العربية التى سحرتها طبيعة هذه البلاد ، وطيب العيش فيها . وقد بلغ جند العرب

(١) د. عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

(٢) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

فى مصر فى عهد معاوية بن أبى سفيان أربعين ألفا ، ثم أخذ هذا العدد يزداد بسبب وفود نساء هؤلاء الجند وأولادهم ، واتخاذهم مصر وطناً ثانياً . أضف إلى ذلك اندماج هؤلاء العرب فى أهالى البلاد الأصلية بسبب عامل المصاهرة .^(١)

وبعد دخول الإسلام مصر أصبح الشعب المصرى يتكون من أربعة عناصر

رئيسة :

- عناصر القبط الذين دخلوا فى الإسلام وأصبحوا مسلمون - مصريون .
 - العناصر الأخرى من القبط الذين لم يدخلوا فى الإسلام وظلوا مسيحيون - مصريون .
 - عناصر من العرب الذين ساهموا فى فتح هذه البلاد وبقوا مسلمون - عرب .
 - عناصر قليلة من الروم واليهود والأجناس الأخرى الذين بقوا على ديانتهم ، ونعرف أن العرب خيروا أهل الذمة بين الإسلام والبقاء على دينهم ، فمن أسلم منهم تمتع بما يتمتع به المسلمون . ومن بقى على دينه فرضت عليه الجزية نظير حمايته وتأمينه على نفسه وعلى أولاده وأمواله .
- ويؤكد هذه الحقيقة أبو الصلت أميه ، الأديب والشاعر الكبير من بلاد الأندلس ، الذى عزم على زيارة مصر وقدم إلى الإسكندرية فى عام ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ - ١٠٩٦ م) ثم جاء إلى القاهرة ، وكتب فيما عرف بالرسالة المصرية ، عند حديثه عن سكان أرض مصر فيقول :

"وأما سكان أرض مصر فأخلاط من الناس مختلفة الأصناف : من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وحبشان وأرمن ، وغير ذلك من الأصناف

(١) المرجع السابق ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

والأجناس على حسب اختلافهم ، وقالوا : إن السبب فى اختلافهم ، والموجب لاختلاطهم ، اختلاط المالكين لها والمتغلبين عليها ، من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم ، فلهذا اختلطت أنسابهم فاقتصروا من التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم ، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم " .

ويقول أيضا :

" وحكى جماعة من المؤرخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عباد أصنام ومدبرى هياكل ، إلى أن ظهر دين النصرانية وغلب على أرض مصر فنتصروا وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلم بعضهم وبقى بعض على دين النصرانية ، ومذهبهم مذهب اليعاقبة " . (١)

وقد ترك العرب الأرض للمصريين من القبط ، وأخذوا على عاتقهم حمايتهم وحماية مقدساتهم وأمنوهم على أنفسهم ونسائهم وأطفالهم فشعروا براحة كبيرة لم يعهدوها منذ زمن طويل . وأعاد العرب الأمن والنظام إلى البلاد ونظموا الإدارة ونصبوا القضاة . ورسموا خطة جباية الخراج وعنوا عناية كبرى بأعمال الري وإنشاء الأحواض والقناطر والجسور . وكان من أثر هذه الإصلاحات أن تحسنت أحوال القبط والمسلمين من المصريين وزادت ثروتهم . (٢)

وأطلق العرب الحرية الدينية للقبط ، يؤيد ذلك ما فعله عمرو بن العاص بعد استيلائه على حصن بابلين ، إذ كتب بيده عهدا للقبط بحماية كنيستهم ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها ، وكتب أمانا للبطريق بنيامين ، وردّه إلى كرسية بعد أن تغيب عنها زهاء ثلاث عشر عاماً . وأصبح القبط بعد الفتح الإسلامى فى غبطة وسرور لتخلصهم من ظلم الروم .

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

ولم يفرق العرب في معاملتهم للقبط بين أصحاب الملكانية واليعاقبة ، الذين كانوا متساوين أمام القانون وفي الحقوق . أى أن المسلم المصرى والمسيحى المصرى كانا يكونان العنصر الرئيسى لسكان البلاد الأصليين . وكلاهما كان يجرى فى عروقه أصالة مصر القديمة وتراث الأجيال السابقة .

وقد اشتغل العرب باستثمار الأرض وتاجروا فى الإبل والخيول ، وبعد ذلك زادت أعداد العرب زيادة واضحة ، فانتشر العرب فى الريف ، واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق . وبمرور الوقت أخذ العنصر العربى يضعف شيئاً فشيئاً ، بعد أن استقرت عناصر منهم فى أقاليم الصعيد والدلتا وأصبحوا مصريين بمرور الأجيال .

وكما عاش اليهود فى مصر فى ظل الحضارة المصرية القديمة ، وفى ظل الحكم اليونانى الرومانى ، وفى ظل المسيحية ، نجد أنهم عاشوا أيضاً فى ظل الإسلام فى مصر ، فقد استعان المعز لدين الله الفاطمى بكثير من الأطباء اليهود وما لبث أن عظم نفوذهم فى بلاطه ، وكذلك اتسم عصر العزيز بالله بالتسامح مع القبط وبإعادة بناء بعض كنائسهم وبلغ من عطف العزيز على القبط أنه احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم فى شعورهم ^(١).

وهكذا أصاب العامل الأول أجزاء من جسد الحضارة المصرية وأدى إلى اكتسابها لون آخر إلى جانب احتفاظها بمعالمها الأصلية . وأصاب العامل الثانى بقية أجزاء جسد الحضارة المصرية وأدى إلى اكتسابها لمزيد من الألوان مع الاحتفاظ بمظاهرها القديمة . وأصاب العامل الثالث روح الحضارة المصرية وأثر فى معتقداتها الدينية ومن هنا بدأت مراحل التوقف لمظاهرها المختلفة . وأصاب العامل الرابع قلب وعقل الحضارة المصرية وأدى لتغير مظاهرها تغيراً كاملاً ومن هنا بدأت مرحلة الانحسار والغروب . واندثرت معظم الأسرار والمعارف مع اختفاء

(١) د. جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩ ،

أصحابها ولم يورثوا هذه الأسرار أو المعارف التي اكتسبوها عبر آلاف السنين لغيرهم لأنها كانت قاصرة على طبقة الكهنة ، ولم يجدوا في خلفائهم من الأجيال المتلاحقة من هو أهل لتلقى هذه المعارف وقادر على المحافظة عليها .

وقد يتساءل البعض ما هو موقف المسلمين العرب عند دخولهم مصر من هذا التراث الأثرى وما بقي منه ؟ ولماذا لم تتعرض هذه الآثار لعمليات هدم أو تخريب من جانبهم ؟ والإجابة على مثل هذا التساؤل الهام يتلخص في النقاط الست التالية :

١- لاحظنا مع دخول المسيحية أرض مصر في حوالى النصف الثانى من القرن الأول توقف المصرى عن البناء المعمارى فى المعابد المصرية وغيرها من المنشآت المعمارية ، فالديانة المسيحية ليست فى حاجة إلى معابد بل هى فى حاجة إلى كنائس . ولكن بعض القبط المتحمسين للديانة المسيحية فى البداية أرادوا أن يسجلوا اعتراضهم على إقامة الآثار المصرية القديمة ، فقاموا بتحويل القليل منها إلى كنائس وقاموا برسم صور القديسين على بعضها الآخر أو قاموا بهدم أجزاء من بعضها الثالث . ولكن بوجه عام لم يحاولوا أن يمحوا آثار الحضارة القديمة كلية ، والدليل على ذلك أن معظم المعابد الكبرى التى شيدت فى الوجه القبلى كالكرنك ، الأقصر ، دندرة ، ادفو ، كوم امبو ، اسنا وغيرها لازالت قائمة حتى الآن ومحتفظة بجمالها ومعظم معالمها ، مما يدل على أن الذى قام بعملية الاحتجاج هذه قلة قليلة من الناس . ومن أمثلة ذلك التحويل ما يلى :

- تحويل قاعة بجوار صالة الأعمدة الكبرى بمعبد الأقصر إلى كنيسة وطمس نقوشها الجدارية بطبقة من الملاط ثم تغطيتها بطبقة من الفرسك خاصة فى الجزء الجنوبى .^(١)

(١) د. فتحى خورشيد : كنائس وأديرة محافظة الفيوم منذ انتشار المسيحية حتى نهاية العصر العثمانى ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية رقم ٢٩ ، المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٧ ، ١٨٤ حاشية (٥٠) .

- تحويل معبد أبو عودة الذى أمر بنحته الملك حور محب على الشاطئ الشرقى إلى الجنوب من أبو سمبل إلى كنيسة .

- تحويل معبد رمسيس الثانى بوادى السبوع فى بلاد النوبة إلى كنيسة . ونشاهد فى قدس الأقداس منظر يمثل القديس بطرس يحمل مفتاحا كبيرا رسم فوق نقوش قديمة بعد أن كسيت الجدران بطبقة سميكة من الجص .

- كما شيدت الأديرة فى بعض الأماكن الأثرية مثل ما كان قائما فى منطقة معبد الدير البحرى ودير المدينة وغيرها .

- استخدمت بعض مقابر بنى حسن للسكنى من قبل بعض القبط الذين فروا من اضطهاد الرومان لهم ، واستخدموها للسكنى فكانوا يعيشون فيها بصفة دائمة ويقومون فيها الصلوات والاحتفالات .

٢- نجد أن الإسلام لم يعرف التعصب أو العنف أو التخريب بل سادت عقيدته روح التسامح بالنسبة لمعتقدات الآخرين ودور عبادتهم وممتلكاتهم . فعندما دخل المسلمون العرب مصر اعتبروا أن هذه الآثار جزءاً لا يتجزأ من تراث وتاريخ هذا البلد ولا يجب العبث به . وانطلاقاً من هذه المبادئ السامية للدين الإسلامى أحسن الصحابى الجليل عمرو بن العاص معاملة أهل الذمة من النصارى واليهود بالنسبة لمعتقداتهم وممتلكاتهم . وأوجز المؤرخ " جروهمان " هذه المعاملة السمة فى قوله :

" فكما نرى مثل هذا الاعتدال والتحفظ إزاء شعب مغلوب من فاتح منتصر ونعم أهل مصر فى ظل سماحة الإسلام بالحرية الدينية التى افتقدوها أثناء حكم الدولة البيزنطية " . (١)

(١) د. فتحى خورشيد : المرجع السابق ، ص ٤٤ حاشية (١٥٧) (١٥٨) .

وفى الواقع أن المسلمين العرب حافظوا على الآثار المصرية واليونانية والرومانية والقبطية . ولم يكن هذا موقفهم بالنسبة لآثار مصر وتراثها فقط بل إن روح التسامح هذه لازمتهم فى كل البلاد التى دخلوها واعتنق أهلها الإسلام ، حدث هذا فى إيران (بلاد فارس) ، العراق (بلاد النهرين) ، الأناضول (تركيا) ، بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) ، واليمن ، فكل هذه البلاد تمثل ما كان يسمى بالشرق الأدنى القديم ، خلف فيها الإنسان للأجيال التالية تراثا حضاريا غنيا بالنظم والأفكار والمظاهر والعلوم والفنون . ولا زلنا جميعا نشعر بقيمة هذا التراث وهذه المنجزات الحضارية فالشواهد الأثرية خير دليل على ذلك . لذا يمكن القول بأن انتشار الإسلام كان الحافظ والضامن لبقاء هذه الشواهد الأثرية فى أماكنها سليمة .

فإذا عدنا إلى مصر نجد أن العرب أطلقوا الحرية الدينية للقبط ، يؤيد ذلك ما فعله الصحابى الجليل عمرو بن العاص بعد استيلائه على حصن بابلين ، إذ كتب بيده عهدا للقبط بحماية كنيستهم ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها وكتب أمانا للطريق بنيامين ، وردده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاثة عشر عاما ؛ لأنه أدرك منزلة بنيامين فى نفوس أقباط مصر . فكتب إلى جميع أقاليم مصر كتابا يؤمنه على نفسه ويقول فيه :

" الوضع الذى فيه بنيامين بطريقك النصارى القبط له العهد والأمان من الله فليحضر آمانا مطمئنا " . (١)

ولا شك فى أن هذا التصرف من الصحابى الجليل عمرو بن العاص كان يعكس روح التسامح العامة التى سادت العرب ونظرتهم إلى الآثار المصرية القديمة القائمة أثناء دخولهم مصر . وما حدث من تحطيم لأنف تمثال أبى الهول على يد صائم الدهر ما هو إلا حدث فردى لا ينم عن اتجاه عام بل ينم عن سوء فهم وعدم تقدير .

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤ حاشية (١٦١) .

٣- لم يتطرق إلى ذهن المسلمين العرب أن بقايا المعابد أو التماثيل الموجودة بها تمثل نوع من الوثنية كما كان الحال في الجزيرة العربية قبل الإسلام من انتشار عبادة الأصنام قبل الإسلام ، ولكن كانت بالنسبة لهم تعبر عن معانى ومعارف كثيرة جذبتهم إليها وأثارت في نفوسهم عدة تساؤلات بل كانت تمثل لهم مصدر حيرة وتعجب فى آن واحد فهي تدل على قدرة الإنسان وما وهبه الله من نكاء ومعارف . كما أن هذه الآثار تفوق ما كان موجودا فى الجزيرة العربية قبل الإسلام كما كان يفوقها فى الجمال والإبداع وحسن الإخراج . وهذا ما حدث عندما بدأ المسلمون فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) يؤلفون فى تقويم البلدان . وبدأ الرحالة والإخباريون العرب يتحدثون عن ملوك مصر القديمة فى كتاباتهم ابتداء من القرن الرابع إلى الثامن الهجرى (أى من العاشر إلى الرابع عشر الميلادى) . من أمثال : اليعقوبى (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ، المسعودى (المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، الاصطخرى (المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، الكندى (المتوفى سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م) ، ابن حوقل (المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) ، المقدسى (المتوفى سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) ، ناصر خسرو (الذى زار مصر عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م) ، ابن النديم (المتوفى سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) ، البيرونى (المتوفى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) ، أبو الصلت أمية (المتوفى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٢م) ، الادريسي (المتوفى سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ، الهروى السائح (المتوفى سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م) ، ابن جبير (المتوفى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، عبد اللطيف البغدادى (المتوفى سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) ، القزوينى (المتوفى سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) ، ابن سعيد المغربى (المتوفى سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) ، العبدري (المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) ، أبو الفدا (المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ، صفى الدين البغدادى (المتوفى سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) ، البلوى (المتوفى بعد ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م) ، ابن بطوطه (المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ، خليل بن شاهين

الظاهرى (المتوفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) ، ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، ابن دقماق (المتوفى سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) ، القلقشندى (المتوفى سنة ٨٢١هـ) ، ابن ظهيره (توفى سنة ٨٨٥هـ أو ٨٩١هـ) ، المقرئى (المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، السيوطى (توفى سنة ٩١١هـ) ، ابن اياس (توفى سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، ابن الوزان (المتوفى سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٦م) ، القرمانى (توفى سنة ١٠١٩هـ / ١٦٠١م) .^(١)

٤- هناك البعد الزمنى الذى يفصل بين الفترة التى دخل فيها المسلمون العرب واندثار أصحاب حضارة مصر القديمة ، فهم لم يعاصروا أهل هذه الحضارة أو تعاملوا معهم أو احتكوا بهم عن قرب حتى يحكموا على حقيقة تفكيرهم وأهدافهم وعمق ديانتهم ومعتقداتهم .

٥- إن مصر بآثارها كانت لها مكانة خاصة لأنها شهدت وفود العديد من الرسل والأنبياء عليهم السلام ، منهم سيدنا إبراهيم وإسماعيل وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وأخوته وسيدنا موسى الذى نشأ وتربى على أرضها الطيبة وأيضاً سيدنا هارون .^(٢)

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يحمي تراث مصر الحضارى ؛ لأنه تراث عاصر الأنبياء والرسل ولم يكن تراثاً وثنياً . فلم يشعر المسلمين العرب أنهم أمام تماثيل وثنية ولكن كانت بالنسبة لهم تعنى أشياء كثيرة وخاصة فى فكر من صنعوها من المصريين القدماء .

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م ، ص ٢٦١ - ٢٧٤ .

(٢) الكندى : فضائل مصر : تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٧ .

فدرجة الإتقان تدل على أن وراء إخراج هذا التراث الحضارى فكر
وذكاء وعلم وإيمان . وأن الله عز وجل وهب أصحاب هذه الحضارة العلم
والمعرفة فى أمور كثيرة وذلك بفضل من زاروها من الرسل والأنبياء . فلو أنهم
كانوا غير جديرين بهذا العلم وبهذه المعارف لحجبها الله عنهم ولم استطاعوا من
خلالها تحقيق العديد من الإنجازات والمعجزات الحضارية . فأناس توصلوا إلى
وحدانية الخالق عز وجل وآمنوا بفكرة الثواب والعقاب وحساب الآخرة وجنة
الآخرة ، يجعلنا نرفض تماماً الحكم على هذا التراث بأنه تراث وثنى فلو كان
كذلك لدمره الله وأهلك أهله فى لحظة واحدة كما حدث مع أقوام الكفر فى مناطق
أخرى .

ولكن هذا التراث أقيم بوازع دينى قوى ، ولا بد وأن هذه الآثار كانت
تخفى ورائها أسراراً عديدة يعجز فكر الإنسان العادى والمجتهد والمتخصص أن
يتوصل إليها أو الكشف عن أصولها ، فمن علم المصريين القدماء كل هذه
المعارف والعلوم ؟ فلا بد أن هذه المعارف كان يحملها أهل الدين والورثة
والأنبياء ونقلوها إلى من هم أهلاً لها . ومن خلال هذه المعارف والأسرار حقق
أصحاب الحضارة المصرية كل هذه الإنجازات والمعجزات . وما نحاوله نحن
الآن من شرحه أو تفسيره ونقيم له النظريات والافتراضات إنما هو من سبيل
الاجتهاد فقط للوصول إلى حقيقة المعنى أو الهدف المراد من إقامة هذه الآثار .
وهنا نقع فى خطأ كبير لأننا نحاول أن نسير وراء شرح أو تفسير علماء
الدراسات المصرية الأجانب الذين وضعوا بذكائهم وليس بقلوبهم أسساً لشرح
حقيقة الآثار وترجمة النصوص وتفسيرها ، وأسساً جافة لشرح قواعد اللغة
المصرية القديمة ولكن دون البحث بعمق أو بإيمان لأن أغلبهم يفتقد الإيمان
والمعتقد السليم . فنحن لا نحكم هنا على العلماء الأجانب بصفة عامة ولكن هناك
القلة القليلة التى أثرت فيهم عقيدة المصريين القدماء ولا زالوا يبحثون . والدليل
على ذلك أن هناك بعض الجماعات فى أوروبا وأمريكا تؤمن بالتجمع سنوياً فى
حجرة دفن الهرم الأكبر وأخرى تؤمن بعقيدة إخناتون وتأتى كل عام إلى تل
العمارنة سنوياً للحج إلى المنطقة . ويعيش هؤلاء الأفراد فى مجتمعات غنية

وتؤمن بالمسيحية وتملك الكثير من أساليب التقدم والتطور ولكنهم فى خضم كل هذا يبحثون عن عالم آخر ربما يشبع ما فى نفوسهم من نزعات دينية ، فلجأوا إلى البحث عن كل هذا فى حضن تراث مصر القديمة .

٦- إن هذه البقايا الأثرية كانت ذات كم وكيف هائلين كما أنها منتشرة فى كل مكان تقريباً ، فكيف السبيل إلى تحطيمها وبأية وسيلة حتى لو أن هناك النية أصلاً لتحطيمها فكم يستلزم ذلك من الوقت والجهد وإلى عرق آلاف الآلاف من العمال . وهذا لم يحدث على الإطلاق كمجرد فكرة ، كما أن هناك العديد من هذه الآثار لا يزال مدفوناً فى باطن الأرض ويحمل الكثير من الأسرار .

ما بقى من عناصر هذا التراث الحضارى العريق :

إنها مسيرة عطاء متميز وتفانى بلا حدود فى أكثر من مجال حضارى بدأها الإنسان المصرى القديم منذ أقدم العصور واستمرت بالحماس نفسه مع أحفاد سلالاته خلال العصور التالية . فكان خير عطاء لخير تراث ظل حياً حتى الآن .

ويشمل هذا التراث الحضارى أربعة عناصر :

أولاً - ما بقى من تراث أثرى ظاهر وملاموس متمثل فى بقايا الآثار المصرية القديمة التى لا يمكن حصرها والآثار اليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية ، هذا التراث المتنوع هو نتاج جنس واحد أصيل وهو الجنس المصرى منذ أن وطئت سلاله الأجداد الأوائل أرض هذا الوطن وأعقبتها سلاله الآباء ثم الأبناء ثم الأحفاد عبر عصور تاريخية طويلة ساهم كل جيل بدوره فى بناء هذا الصرح العظيم من هذا التراث المتنوع ، كما أثمرت جهود هذا الجنس الأصيل فى إنشاء حضارة عريقة متصلة الحلقات ، استطاعت أن تغالب الدهر وأن تبقى على مر الزمن ، على الرغم مما أصابها من فترات ضعف وتفكك سياسى .

لقد كان من نتيجة المظاهر الحضارية المختلفة التى رأيناها للحضارة المصرية القديمة أن شيد المصريون القدماء فى كل عصورهم هذا الكم الهائل من هذه الثروة من الآثار المصرية القديمة والتي أقاموها فى المناطق الأثرية ابتداء من آثار الجيزة حتى بلاد النوبة وما بعدها ، وما خلفوه فى أقاليم الدلتا وأطرافها ، وفى شبه جزيرة سيناء ، وما نراه فى المتحف المصرى ، وهى ترجع إلى عصور مختلفة فإذا كانت هذه الآثار تمدنا بمعلومات قيمة عن مظاهر الحضارة المصرية فيجب ألا نغفل مصدر آخر له أهميته ألا وهو البرديات المكتوبة بالهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية واليونانية وبخطوط أخرى .

فكل أثر قائم فى منطقة أثرية أو معروض فى متحف فى الداخل أو فى الخارج هو بمثابة راوى من الماضى يحكى لنا مظهر من مظاهر الحضارة المصرية وهى بمثابة كتاب مفتوح عن هذا الماضى التليد ينهل منه من يستطيع قراءة كتاباته ولهجاته .

وإذا كانت أصوات الكهنة قد سكنت فى أبهاء المعابد المصرية القديمة وتوقفت المواكب الدينية فيها ، فإن صوت التاريخ ما زال يتردد بين أبهائها ، وحجراتها . وكل حجر نراه فيها ليس إلا دليل مادي على قدرة الإنسان المصرى القديم ، وكل كلمة مسطرة أو منقوشة ليست إلا صفحة مسجلة من فكره العميق الأصيل .

ولا زالت هذه الثروة الأثرية المتنوعة على الرغم من غناها تزداد يوماً بعد يوم بفضل الاكتشافات الأثرية ، فهى معين لا ينضب ، ولعل من أعظم هذه الاكتشافات الأثرية والتى عاشها علماء علم المصريات فى القرن الماضى والحالى ، هى : خبيئة الدير البحرى فى عام ١٨٧١ ، ورسائل تل العمارنة فى عام ١٨٨٧ ، وخبيئة الكرنك فى عام ١٩٠٥ ، ومقبرة توت عنخ آمون فى عام ١٩٢٢ ، ومقبرة حتب حرس فى الجيزة فى عام ١٩٢٦ ، وسراديب طائر الأيبس فى تونا الجبل فى عام ١٩٣٢ ، والمقابر الملكية فى

تأسيس في عام ١٩٣٩ ، وهرم سخم خت بسقارة الجنوبية في عام ١٩٥٤ ،
ومركبي خوفو في عام ١٩٥٤ ، وموميوات الصقور في سقارة في عام
١٩٦٨ .

وستبقى هذه الآثار المصرية ، بإذن الله ، كما بقيت في الماضي
ذكرى وعظة لمن يشاهدها ويراهها ويقرأ نصوصها .

ويجب أن نذكر أيضا الآثار اليونانية الرومانية الموجودة في مناطق
الصعيد الممتدة في معابد دندرة واسنا وادفو وفيله وكوم امبو وأوبت وقصر
العجوز وأرمنت ودوش بالواحات وغيرها مما هو قائم في مناطق أخرى ، أو
توجد بقايا منها ، مثل البقايا البطلمية في تونا الجبل والأشمونين وغيرها .

إلى جانب هذه المعابد توجد آثار أخرى منها لوحات وتوابيت وتمائيل
وبقايا أجزاء معمارية ترجع إلى الفترة نفسها . ومنها ما هو معروض
بالمتحف اليوناني - الروماني بالإسكندرية .

هذا بالإضافة إلى جانب المجموعات الكبيرة من البردي اليوناني
واللاتيني المعروضة أو الموجودة بمتحف الإسكندرية والمتحف المصري .
ولعل أهم الاكتشافات البردية هي :

مجموعة البرديات اليونانية التي كشف عنها في البهنسا عام ١٨٩٦ -
١٨٩٧ و ١٩٠٣ - ١٩٠٧ والتي تعد أغنى المجموعات البردية اليونانية إذ
تحتوي الأجزاء المنشورة على حوالي ٢٧٥٠ بردية ^(١) . كما عثر في
عام ١٩١٥ في جرزة شمال شرقى الفيوم على طائفة كبيرة من البرديات
اليونانية ، وهي برديات زينون ، وكيل أعمال ابولونيوس ، وزير بطلميوس
الثاني (فيلادلفوس) من القرن الثالث ق. م . ويزيد عدد برديات زينون

(١) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الروماني ، دار النهضة العربية ،
بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٨٦ (١) .

المنشورة وغير المنشورة على ١٦٨٠ بردية ، وهي موزعة في متاحف العالم المختلفة والجزء الأكبر منها موجود بالمتحف المصرى .^(١) ويمكن إضافة أيضا مجموعة الأرشيدوق النمساوى رينر الشهيرة بدار الكتب الأهلية في فيينا ، وقد عثر على هذه المجموعة ما بين أعوام ١٨٨٤ - ١٨٩١ في كيما فارس (ارسينوى) والأشمونين وديمي . وقد بلغ أعداد هذه البرديات : خمس عشر ألف بردية يونانية ، وألف قبطية ، وأربعة آلاف عربية .^(٢)

وتمتلك جامعة ميتشيجان الآن أكبر مجموعة من أوراق البردى في أمريكا (فهي تمتلك حوالى سبعة آلاف بردية) وأغلب هذه الوثائق يونانية ولاتينية وقبطية وعربية .^(٣)

وكشفت الحفائر الحديثة التى تمت فى قرية سمنت الخراب منذ عام ١٩٨٦ فى الواحات الخارجة ، وهى التى عرفت قديماً باسم " كليس " فى فترة التحول من الوثنية إلى المسيحية فى القرن الرابع الميلادى . وقد عثر على آلاف البرديات واللوحات الخشبية واللاستراكا كتب أكثرها باللغة اليونانية والخط القبطى ، وبعضها بالديموطيقية والسريانية واللاتينية . وهى تعطينا صورة واضحة عن مجتمع الواحات وخاصة فى الداخلة وحياة أهلها ومشاكلهم ومعاملاتهم وعقائدهم فى القرن الرابع .^(٤)

كما ترك اليهودى بقايا مخلفاته الأثرية ، التى تدل على روح التسامح الدينى التى تحلى بها أهل هذه البلاد فى ماضيهم . فقد عثر فى عام ١٩٠٦ - ١٩٠٨ على مجموعة من البرديات الآرامية فى الفنتين خاصة بالجالية

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) د، مصطفى العبادى : ندوة وآثار الواحات المصرية عبر العصور فى ١٧ - ١٨ يناير ٢٠٠٤ التى نظمتها لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، ص ٩ .

اليهودية التي كانت تعيش فى هذه المدينة فى عصر الأسرة السابعة والعشرين . كما أن هناك مجموعة كبيرة من البرديات الآرامية المكتشفة فى مناطق أخرى خارج الفنتين .^(١)

ويحدثنا الكاتب اليهودى فيلون الذى عاش فى العصر الرومانى فى الإسكندرية بأن معابد اليهود كانت على أيامه منتشرة فى كل مكان بالمدينة أى الإسكندرية .^(٢) ومسجد النبى دانيال بالإسكندرية ، هو فى الواقع مقبرة إسلامية فوق ضريح من أضرحة أنبياء بنى إسرائيل حيث كانت تعيش جالية يهودية كبيرة فى الإسكندرية فى العصر البطلمى الرومانى .^(٣)

كما شيد القبطى فى الماضى وما زال يشيد ، الكثير من الكنائس والأديرة فى القاهرة وفى المناطق الأخرى . فمنها ما شيد فى الماضى مثل تلك الكنائس والأديرة التى شيدت فى منطقة مصر القديمة فى جنوب القاهرة . وكما نعلم كان لهذه المنطقة دور هام فى حياة السيد المسيح والسيدة العذراء ولا يزال بمصر القديمة أثر يحكى قصة التجاء السيدة العذراء والسيد المسيح إلى مصر ، ونعنى بذلك كنيسة " أبو سرجة " حيث يوجد فى أسفل الهيكل مغارة يقال أن السيدة مريم آوت إليها لتحمى السيد المسيح من انتقام هيرودس ، الذى كان قد عزم على قتله كما جاء فى إنجيل متى :

-
- (١) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ن ص ١٩٦ (٤) ، ١٩٧ .
 (٢) ايدرس بل : مفسر من الاسكندر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧١ .
 (٣) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الأول ، ص ٣٢٦

" وبعد ما انصرفوا غذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً : قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزعم أن يطلب الصبى ويهلكه " (١).

وتشهد هذه المنطقة بمدى تكريم القبط لهذه البقعة التى حمت السيد المسيح والسيدة العذراء . وذلك بكثرة ما شيد فيها من كنائس ، مثل الكنائس التى تعلو أبراج حصن بابليون ، ويعلو برجين من أبراجه الباقية كنيسة المعلقة وتعلو برجاً ثالثاً منه كنيسة مارجرجس كرمز لانتصار المسيحية على طغيان الرومان وجبروتهم (٢).

هذا إلى جانب الآثار القبطية الموجودة فى مناطق أخرى فى القاهرة مثل شجرة السيدة العذراء فى الزيتون ، وهى شجرة جميز عتيقة ساقطة على الأرض ، ربط الناس بينها وبين زيارة العائلة المقدسة لمصر . وتوجد هذه الشجرة على مقربة من مسلة المطرية . كما أن هناك الآثار القبطية موجودة فى أنحاء الصعيد والدلتا .

ويحتوى المتحف القبطى بمصر القديمة على مجموعة قيمة من الآثار القبطية المتنوعة . هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من البرديات القبطية . ففى عام ١٩٤٦ اشترى المتحف القبطى كتاباً بردياً تبين إنه جزء من مجموعة

(١) د. حسن الباشا وآخرون : القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها ، ص ٤٧ . وما من كنيسة كبيرة فى فرنسا ، على سبيل المثال ، تخلو من تمثيل منظر إيسواء السيد المسيح والسيدة مريم إلى مصر ، وذلك بالنقش البارز على العتب الذى يعلو مدخل الكنائس ، مثل ما يوجد فى أعلى مدخل كاتدرائية شارتر ونوتردام . وقمت بزيارة بعض هذه الكنائس أثناء إقامتى فى فرنسا من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٢ .

(٢) د. حسن الباشا وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

كتب بردية بالقبطية فى حوزة الأنسة داتارى فاستصدر المتحف حكماً قضائياً بالاستيلاء على بقية المجموعة وهى اثنا عشر كتاباً من الأنسة المذكورة . وكانت تسعة من هذه الكتب مغلفة بالجلد ، وهو أقدم تجليد من نوعه معروف حتى الآن . ويرجع مصدر هذه الكتب إلى مكان قريب من نجع حمادى . ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث ومنتصف القرن الرابع الميلادى . وهى تحتوى على ٤٨ مؤلفاً عن الغنوصية الخاصة بطائفتين مسيحيتين (وهى مذهب دينى تصوفى يقول بأن المعرفة الحقّة لا تأتى إلا عن طريق الحدس والاتحاد بالله) (١).

وقبل هذا الشراء كشف عن مجموعة من البرديات التى تعرف الآن باسم شستر بيتى ، وكان ذلك فى نوفمبر ١٩٣١ . وقد أمدتنا هذه المجموعة بمعلومات قيّمة عن موضوع استخدام الكتاب المخطوط بدلا من اللقافة البردية . والمجموعة المذكورة عبارة عن أحد عشر كتاباً بردياً تتضمن كلها كتابات يهودية - مسيحية ، ويرجح أنها كانت جزءاً من مكتبة إحدى الكنائس أو الأديرة القديمة . وترجع كلها إلى تاريخ يتراوح بين القرن الثانى الميلادى والقرن الرابع الميلادى . وتحتوى سبعة من هذه الكتب على أسفار من " العهد القديم " وهى : التكوين والعدد والثنائية وحزقيال ودانيال واستير وأشعيا وأرميا ، وسفر من الأسفار غير المعتمدة هو سيراخ .

وتحتوى ثلاثة منها على أجزاء من " العهد الجديد " وأحدها كان يشتمل على كل الأناجيل الأربعة وأعمال الأنبياء ، والثانى على الجانب الأكبر من رسائل القديس بولس ، والثالث على سفر رؤيا يوحنا ، وأما الكتاب الأخير فيحتوى على أجزاء من سفر أخنوخ الذى وصلنا أصله اليونانى ناقصاً ، وموعظة آلام السيد المسيح للأسقف مليتو السارديسى (٢).

(١) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٧٢ حاشية (١) .
 (٢) معظم هذه البرديات فى حوزة السيد شستر بيتى ، وأما باقى المجموعة فموزع بين مكتبة ميشيجان وجامعة برنستون والمكتبة الأهلية بفيينا والسيد ولفرد مرتون بإنجلترا، راجع : د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٦٧ - ١٦٩ .

وأخيراً نقول أنه كما سارع أجداد المصريين القدماء فى الماضى البعيد فى بناء وتشيد المعابد سارع أحفادهم فى الماضى القريب والحاضر فى بناء الكنائس والمساجد ، وكما أبدع هؤلاء الأجداد فيما أخرجوه من جميل الأعمال أبدعوا هم أيضاً فى إخراج أعمالهم فى أحسن صورة ليثبتوا أن جنوة الإيمان لا تزال حية وتعيش فى قلوبهم وإنها لن تنطفىء أبداً عبر العصور الطويلة .

ف نجد أن المسلمين قد شيّدوا خلال العصور الإسلامية التى عاشتها مصر ابتداء من عصر الخلفاء الراشدين ، والدولة الطولونية ، ولما أصبحت ولاية تابعة للدولة العباسية ، والدولة الإخشيدية ، وعصر الدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، ودولة المماليك حتى أصبحت تحت الحكم العثمانى ، العديد من المدن والأسوار والبوابات والقباب والخانقاه والأحياء والمساجد والأسبله والمدارس والقصور وزوايا وأضرحة حقيقية أو أضرحة رؤيا ومشاهد . كان للقاهرة النصيب الأكبر من هذه الثروة الأثرية الإسلامية ، أكثر من أى عاصمة إسلامية أخرى فى العالم الإسلامى . وهذه الآثار الإسلامية موزعة فى القاهرة وأحيائها القديمة الجمالية والحسينية والأزبكية وبولاق . هذا بالإضافة إلى الآثار الإسلامية الموجودة بالمتحف الإسلامى بالقاهرة ، إلى جانب مجموعة كبيرة من المخطوطات والبرديات العربية المحفوظة فى دار الكتب المصرية . ويجب ألا ننسى أيضاً مجموعات الآثار الإسلامية الموجودة فى أماكن متفرقة فى محافظات مصر والمتاحف الإقليمية والتاريخية والمتاحف العالمية فى الخارج .

وفى دليل الآثار الإسلامية ، نجد بياناً بإجمالى الآثار الإسلامية الموجودة بمدينة القاهرة وهى حوالى ٥٣٧ أثراً ويبلغ إجمالى الآثار الإسلامية الموجودة فى محافظات مصر حوالى ٧٧٤ أثراً وهى تشمل جميع العصور الإسلامية .^(١) فالعرب إذن بنّاءون عظام ، نعم ابتنوا مدناً كبيرة ، استقر فيها

(١) دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ، الإصدار الأول ٢٠٠٠ ، مطبوعات المجلس الأعلى للآثار ، ص ١٧-١٩ ، ٢٧-٢٨٩ . وسبق للدكتورة سعاد ماهر أن تحدثت فى مؤلفها عن : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الذى ظهر منه خمسة أجزاء ١٩٧١-١٩٨٣ عن ٢٥٥ أثراً .

فيها دينهم وحضارتهم على مر الزمن (١).

فلما انتهى عمرو بن العاص من بناء مدينة القسطنطين عاصمة مصر (٢١ هـ) (٦٤٢ م) أنشأ الجامع العتيق ، أقدم المساجد في مصر (٢١ هـ) (٦٤٢ م) (٢) وأول نواة للعمارة الإسلامية فيها . ثم أقيمت بعد ذلك مدينتي العسكر (١٣٥ هـ) (٧٥٢ م) والقطائع (٢٥٦ هـ) (٨٧٠ م) (٣) وكانت القطائع أول مدينة في مصر ، روعى في إنشائها وتخطيطها القواعد الفنية التي أتبعت عند تأسيس مدينة سامراء . والأثر الفريد الذي خلفته القطائع هو " الجامع الطولوني " الذي شيده أحمد بن طولون ، وهو من أكبر المساجد حيث تبلغ مساحته مع الزيادات ستة أفدنة ونصفاً (٤) (٢٦٣ هـ) (٨٧٦ م) ثم أسست بعد ذلك مدينة القاهرة ، العاصمة الرابعة لمصر الإسلامية عام (٣٥٩ هـ) (٩٦٩ م) . وأحييت بسورين وثمانية أبواب . ثم شيد بعد ذلك الجامع الأزهر (٣٥٩ هـ) (٩٧٠ م) والقصور الفاطمية . ومن أجمل آثار الفترة الفاطمية هو جامع الحاكم وقليل له الجامع الأنور (٣٨٠ هـ) (٩٩٠ م) ومسجد الجيوشي (٤٧٨ هـ) (١٠٨٥ م) ومسجد الصالح طلائع (٤٨٤ هـ) (١٠٩١ م) (٥) وجامع الأقمر (٤٩٠ هـ) (١٠٩٧ م) (٦).

(١) د. عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص د .

(٢) د. حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ٢٣ .

(٣) د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٤) د. حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

وفى أيام حكم المماليك ، ازدهرت القاهرة وامتدت فى اتجاه الشمال وإلى الغرب ، وتنافس الحكام والأمراء فى بناء المساجد والمدارس ودور الكتب والقصور . والواقع أن ما نشاهده اليوم فى القاهرة من الآثار الرائعة فى جميع أحيائها هو شاهد حق ، على ما اتسمت به المدينة من الازدهار والروعة . فشيد المنصور قلاوون ، أحد المماليك الأتراك البحرية ، مدرسة وقبه ، وأصبحت هذه المجموعة على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى ولقد غلب اسم البيمارستان على هذه المجموعة ، فعندما كان المنصور قلاوون أميراً سنة ٦٧٥هـ (١٢٧٦م) أصابه وهو بدمشق مرض ، فعولج بأدوية أخذت له من بيمارستان نور الدين الشهيد . وبعد شفائه من المرض زار البيمارستان ، فأعجب به ونذر أن أتاه الله ملك مصر أن يبنى بها بيمارستان ، الذى بدء فيه عام ٦٨٣هـ (١٢٨٣م) ، وتصميم القبة غريب بالنسبة للقباب التى شيدت فى مصر ، لكنه اقتبس إلى حد ما من تصميم قبة الصخرة بالقدس الشريف .^(١)

ومن أشهر الأبنية مدرسة ومسجد السلطان حسن (٧٥٧هـ) (١٣٥٦م) التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها .^(٢) وهناك فى شارع المعز لدين الله مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق (٧٨٦هـ) (١٣٨٤م) .^(٣)

وأقيمت فى العصر العثمانى أيضا عدة قصور فخمة منها قصر محمد بك الألفى ، وقصر أحمد الشرايىبى أكبر تجار القاهرة ، وقصر على بك الكبير . كما شيدت بعض التكايا والأسبلة ، وهى التى تتميز بها معظم مدن آل عثمان

(١) المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٤ .

ومن أهم الأحياء الجديدة التى شيدت فى العصر العثمانى حى الأزبكية وحى بولاق (١).

ويجب ألا ننسى جامع الرفاعى ، الذى شيد على أرض كان بها مسجد قديم يرجع إلى العصر الفاطمى . وقد استغرق بناء هذا المسجد ثلاثة وأربعين عاماً . وقد بدأ إنشاؤه سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٦٩م) وانتهى منه فى سنة ١٣٢٩ هـ . (٢) وكان الرفاعى هو الإمام أحمد الرفاعى ابن صالح أحمد محى الدين بن عباس ، الذى ألف الكثير من الكتب الدينية فى التوحيد والتفسير والحديث والتصوف والفقه وتوفى سنة ٥٧٢ هـ .

هذه هى أشهر الآثار الإسلامية فى القاهرة ، ولكن يوجد آثار أخرى معروفة وعديدة أيضاً ، هذا بالإضافة إلى المساجد والآثار الموجودة فى أنحاء مصر . ويشهد هذا التراث الأثرى العظيم من جميع العصور ، بما فيه من آثار مصرية قديمة ، وآثار يونانية ورومانية ، وآثار يهودية ، وآثار قبطية ، وآثار إسلامية ، بأن مصر لم تكن عظيمة فقط فى حضارتها المصرية القديمة ، بل عظيمة أيضاً فى كل العصور التاريخية التى تلت على الرغم من تغير مظاهر حضارتها نتيجة تطور الأديان والأوضاع السياسية التى تعرضت لها .

وتؤكد هذه الثروة الأثرية أن أهل مصر ضربوا أعظم أمثلة للتسامح الدينى فى ماضيهم وحاضرهم فيما صنعوه وأخرجوه ليكون كل هذا التراث الأثرى وما بقى من ماضى تليد ومن تراث خالد درساً للبشرية أجمعين ورسالة عملية وملموسة لها وكتاب مفتوح لكل من يستطيع أن يتأمل ويشاهد بعين فاحصة وقلب عامر بالإيمان خال من كل حقد وخال من كل تعصب .

-
- (١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص هـ (المقدمة) .
 (٢) د. حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ - ٣٧١ ؛ د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٠٤ - ٣٠٩ .

وإن كانت هذه الآثار صماء ألا إنها تعنى الكثير . فهي تشهد على حيوية أهل مصر القديمة ومصر البطلمية الرومانية ومصر القبطية ومصر الإسلامية مع الأصالة فى الإبداع ، وحب لكل ما هو رائع وجميل . ومن أجل ذلك عاشت تلك الآثار على مر الزمن لتحكى لنا فى صمت ما كان فى الماضى وما كان عليه الإنسان على هذه الأرض الطيبة . فهي تحمل فى طياتها رسالة صامته إلى أجيال المستقبل على قدرة الإنسان المصرى عندما يريد فهو يستطيع أن يحقق الكثير .

وكما أبقى القبطى - المصرى على آثار أجداده ولم يتكرر لها لأنها من صنع أجداده كذلك فعل المسلم - المصرى . وذلك لإيمانهم بما بأن أجدادهم القدماء قد حققوا الكثير من المنجزات الحضارية فى العصور القديمة من تاريخ البشرية .^(١) وقد بقيت روح الأصالة والإبداع الفنى فى نفوس الفنانين المصريين وكما أبدع الفنان المصرى فى الماضى . نجد أنه استعين بالصناع المصريين المهرة فى بناء مساجد القدس ودمشق وتسربت كثير من العناصر الزخرفية ، كورقة الاكانثوس ومحاليق العنب من الفن اليونانى - القبطى إلى فن العمارة الإسلامية .^(٢)

وكما كان يوجد فى مصر القديمة مدارس الكهنوت العريقة فى عين شمس ومنف وغيرها ، كان يوجد فى العصر البطلمى والرومانى دار العلم فى الإسكندرية ، ومدرسة المسيحية فى الإسكندرية من العصر الرومانى ، ومن العصر الإسلامى الجامع الأزهر أقدم جامعات العالم من العصر الفاطمى .

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٤٥ .

(٢) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية

وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٩ ،

وإذا كانت مصر القديمة تفخر بأهرامها ومعابدها وآثارها الضخمة الأخرى ، فإن مصر البطلمية والرومانية تفخر بمعابد ادفو وفيله واسنا وندرة وكوم امبو ، ومصر القبطية تفخر بكنائسها فى حى مصر القديمة . ويقول حسن عبد الوهاب^(١) : " إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجباً بمدرسة السلطان حسن التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها " .^(٢)

وكما شرفت أرض مصر بمجئ العديد من الرسل والأنبياء فيها خلال عصور مصر القديمة ، جاءها سيدنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وولد سيدنا موسى وهارون عليهما السلام على أرضها الطيبة ، ثم مجئ السيدة العذراء والسيد المسيح فى منطقة مصر القديمة^(٣) ، فقد شرفت أيضاً بوجود بعض الأضرحة الحقيقية أو أضرحة الرؤيا لبعض أولياء الله الصالحين فيها ، رضى الله عنهم جميعا .

وكل ذلك يدل على قوة إيمان المصريين على اختلاف درجاتهم الفقير قبل الغنى وتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية السمحة وتفانيهم فى حب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام وجميع أولياء الله الصالحون الذين شرفت بهم أرض مصر^(٤) ، فى القاهرة وفى المحافظات حيث توجد أضرحتهم الكريمة .^(٥)

-
- (١) د. حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
 (٢) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الجزء الثالث، ص ٢٨٢ .
 (٣) الكندى : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣١ .
 (٤) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٨٤-٩١ ، ٩٢-٩٧ ، ٩٨-١٠٣ ، ١٠٤-١٠٩ ، ١١٥-١٢١ ، ١٢٤-١٣٢ ، ١٢٨-١٣٤ ، ١٥٢-١٥٧ ، ٢١٣-٢٢٣ ، ٣٤٨-٣٩٠ ، ٤١٣-٤١٤ ؛ الجزء الثانى، ص ١١٣-١١٦ ، ١١٧-١٢١ ، ١٢٦-١٣٠ ، ١٤٠-١٥٧ .
 (٥) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٧٧-٨٣ ، ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٨٥-٢٨٩ ، ٢٩٠-٢٩٤ ؛ الجزء الثانى ، ص ٣٨-٤٣ ، ١٨٧-١٩١ ، ٢٥٠-٢٥١ ، ٢٣٨-٢٤١ ، ٢٦٣-٢٦٧ ، ٣٠١-٣٠٩ .

والملفت للنظر فيما بقى من كل هذا الموروث الحضارى على أرض مصر إنه يشمل جميع العصور التاريخية من آثار مصرية قديمة ويونانية رومانية وقبطية وإسلامية وإنه يعبر فى معظمه وهو الأهم ، عن كافة مظاهر الحياة الدينية فى مصر فى تلك العصور وما آمن به المصريون القدماء وأسلافهم من عقائد دينية مختلفة آمنوا بها بعمق وتمسكوا بها فلجأوا إلى إخراج آثارها فى أفضل صورة ممكنة . ولنا أن نتخيل ما كان عليه هذا التراث الحضارى عندما كان فى حالته الأصلية وعند إقامته لأول مرة بكل عناصره فى كل عصر ، فما لا شك فيه أن الصورة كانت أفضل حالاً عما وصل إلينا من بقايا أثرت فيها عوامل الزمن وبخاصة بالنسبة للآثار المصرية القديمة التى لا زالت بقاياها قائمة والتى لا يمكن حصرها نظراً لكثرة انتشارها فى كافة محافظات مصر .

وخير ما نستشهد به فى هذا المجال ما قاله عمارة اليمنى شاعر البلاط الفاطمى الذى كان يشيد بعظمة القاهرة ودورها فى قصيدته للصالح طلائع وزير الخليفة الفائز والتي يقول فيها :

" أنشأت فيها للعيون بدائعاً دقت فأذهل حسنها من أبصرا " (١)

ثانياً - ما بقى من تراث ثقافى غير ظاهر وغير ملموس عند عامة المثقفين فى مصر والمتمثل فيما بقى من تأثير اللغة المصرية القديمة فى بعض المفردات والتركيبات اللغوية فى اللغة العربية ، وأيضاً فيما بقى من أسماء لبعض المدن والقرى والشهور القبطية والتى يرجع أصلها إلى اللغة واللهجات المصرية القديمة .

(١) د. حسن الباشا وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .

أخذت اللغة العربية تتأهض اللهجة والكتابة القبطية ابتداء من القرن السابع الميلادي (٦٤٠ م)^(١) ، وأصبحت العربية هي لغة الدواوين الرسمية عام ٧٠٦ م أي بعد دخول العرب مصر بحوالي ٦٦ عاماً^(٢). ولا شك في أن استخدام اللغة العربية كل اللهجة والكتابة القبطية في الكتابة سبقه انتشار اللغة العربية كلغة للتخاطب بين أفراد الشعب^(٣). وكان بعض الناس في صعيد مصر يتحدثون باللهجة القبطية حتى أيام القرن السابع عشر الميلادي . وأما ما يسمى باللهجة البحريرية في القبطية فلا تزال مستعملة في الكنائس المصرية حتى يومنا هذا .

وهناك بعض مفردات اللغة المصرية القديمة قد توارثتها مفردات اللغة العربية التي يتحدث بها أهل مصر . وهناك كلمات عامية يتداولها الناس في مصر دون معرفة أصلها المصري القديم أو القبطي وهي كلمات تدل على ضمائر وأفعال وأسماء وصفات وحروف وتعابير وكذلك أسماء مدن أصلها مصري قديم^(٤).

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليوناني - الروماني - المجلد الثاني) ، ص ٢٢٩ . ونعرف أن الأبجدية القبطية استخدمت اعتباراً من عام ١٨٠ م ، راجع : Vycichl, la Vocalisation de la langue Egyptienne, BdE 16 (1990), p. 8.

(٢) د. رمضان عبده : " اللغة المصرية : مراحل النشأة والتطور - الازدهار والارتقاء - الانحسار والغروب " في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة المنيا ، العدد التاسع والأربعون ، يوليو ٢٠٠٣ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٧ .

(٣) عربت الدواوين خلال العصر الأموي (القرن الثامن الميلادي) بعد أن كان ديوان الخراج في مصر يدون بالقبطية أصبح يدون باللغة العربية ، راجع د. محمد إدريس : دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٥ .

(٤) وهناك نص عربي كتب بالخط القبطي ، راجع : Casanova, BIFAO I (1901), p. 1-20 ، وعن تأثير القبطية على العربية في مصر ، راجع : Caltier, BIFAO 2 (1902), p. 212-216.

يذكر لنا شرنى فى قاموسه الذى نشره فى عام ١٩٧٦ عن أصول المفردات القبطية حوالى ١٧١ كلمة فى العربية مأخوذة من القبطية المأخوذة أساساً من المصرية القديمة .^(١) ومنها مفردات شائعة مثل : أردب ، باذنجان ، برسيم ، بصل ، بلح ، تبين ، ترمس ، رمان ، تفاح ، حمص ، ريش ، سلوى ، سمس ، شحم ، شعر ، شونة ، طفل ، عدس ، عاقر ، فول ، كتان ، كعك ، قدح ، لقمة ، مشط ، ملح ، منجل ، منشار ، ورد ، هدهد ، كفر ، طوب ، عرب (اسم) .

ويذكر د. صالح بوجه عام أن هناك ما يقرب من مائتى كلمة مصرية قديمة لا تزال أمثالها حية فى مفردات اللغة العربية الفصحى .^(٢)

وقد حاولنا استخراج بعض هذه المفردات من أول معجم صغير وضع بالعربية لمفردات اللغة المصرية القديمة لأستاذنا الراحل د. بدوى^(٣) فكانت أول محاولة ناجحة أثبت فيها المؤلف أن اللغة المصرية القديمة ليست غريبة عن اللغة العربية ولا عن أخواتها الاسمية فى أصولها وقواعدها ومفرداتها.^(٤)

ولم يكتف فى إخراج هذا المعجم بترجمة معانى مفرداته إلى اللغة العربية وحسب ، بل أضاف الى ذلك الترجمة الألمانية أيضاً^(٥) ولم يفته

(١) Černy, Coptic Etymological Dictionary, Cambridge 1976, p. 375-377 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢ ؛ طبعة ١٩٨١ ، ص ٦ .

(٣) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٨ ، ص ١ - ٢٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص و (المقدمة) .

(٥) وذلك بسبب أن " المعجم الكبير " فى مفردات اللغة المصرية القديمة الذى وضعه ادولف إرمان وخرج فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، كتب

كذلك ، أن يثبت من أصول مفردات اللغة المصرية القديمة والتي ذكرت في القبطية . وقد سبق وأن ذكرنا أن شرنى جمع في قاموسه عن أصول المفردات القبطية أن هناك حوالى ١٧١ كلمة فى العربية مأخوذة من القبطية القديمة .^(١)

فى دراسة هامة قام بها د. بدوى جمع حوالى ١٠٤ كلمة مصرية قديمة أثرت فى اللغات السامية وخاصة العربية .^(٢) ونضيف إليها عشر كلمات لتصبح ١١٤ وهى الكلمات الآتية :

iwn (ايون) هى فى العربية " لون " بقلب الألف فى المصرية لاما

ib (اب) جزء من النبات هو طرفه ويقابلها فى اللغات السامية " الأب " أو مل ليس ثمار

ib (اب) فى العربية لب وفى الحبشية لب أى بقلب الألف المكسورة فى المصرية " لاما " فى اللغات السامية .

== بالألمانية ، وهو الذى يعتمد عليه علماء علم المصريات فى البحث عن معانى مفردات اللغة المصرية فى جميع عصورها . وظهر قاموس برلين الذى نشر فى ليبزج فى خمسة أجزاء ، الجزء الأول نشر عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ، والثانى عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ ، والثالث عام ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، والرابع فى عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ، والخامس فى عام ١٩٣١ .

(١) Černý, Coptic Etymological Dictionary, p. 375-377.

(٢) د. أحمد بدوى : اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية ، بحث الفن فى مجمع اللغة العربية فى مؤتمر عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ ، البحوث والمحاضرات ، ص ٢٦٣ - ٢٩١ ، نشر هذا البحث مرة أخرى فى مؤلف : حياة وأعمال أحمد بدوى ، هيئة الآثار المصرية - قطاع المتاحف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

3by (اببي) فعل ثلاثى معتل بمعنى رغب واشتاق هو فى اللغة العربية آب
بمعنى اشتاق .

ibh (ابخ) فى اللغة المصرية بمعنى خلط . والاباشة من الناس فى اللغة
العربية هم الأخلاط .

ibd (ابد) معناها شهر والأبد فى اللغة العربية من صفات القمر

ifd (افد) نوع من الكتان رباعى النسيج وفى العربية الأفود وهو نوع من
الثياب .

ym (يم) اليم .^(١)

in (ان) أداة تستخدم للدلالة على الفاعل بواسطة فى العربية أن التى تسبق
المبتدأ .

in (ان) الآن

idn (ادن) اذن ويقابلها إذن فى العربية .

igrt (أجرة) حفائر الموتى ويقابلها فى اللغة العربية " وجرة " وهى حفرة
تجعل للوحش

c3 (عا) بمعنى حمار فى العربية عير ، أو c3 بمعنى كبير وفى العربية
علا .^(٢)

c3p (عاب) وبخ .^(٣)

(١) د. عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٢٤٧ .

(٢) د. أحمد بدوى - هرمان كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية
القديمة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

- cjn (عين) بمعنى عين يقابلها في العربية عين .
- cby (عبيى) بمعنى افتخر وهى قريبة من العيبة معناها " الكبر والفخر " .
- cb3 (عبا) النور والضوء وهى الكلمة نفسها في العربية فعب والشمس ضوءها .
- icr (اعر) يرتفع في العربية علا .
- cdr (عجر) معين ونصير بمعنى الغلبة في الحرب فيقال لمن العذر ولمن الغلبة .
- cff (عفف) اسم للذبابة وفي العربية عاف اى " استدار " أو حام على شئ يريد الوقوع عليه .
- cm بمعنى ابتلع أو التهم مرة واحدة .^(١)
- cnb عنب .^(٢)
- cnn (عنن) بمعنى أنشد يقابلها في العربية " غنى " .
- ck3 (عقا) ضرب من الحبل ، وبخاصة الحبل الذى تربط به السفينة فى المرسى ولست أراه بعيدا عن مادة عقل أو العقال فى العربية .
- ctš (عتشى) بمعنى عطس .^(٣)
- cdti (عجتى) عداوة .^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٢) Wb I, 192, 1.

(٣) Černy, Coptic Etymological Dictionary, p. 10.

(٤) Wb I, 327, 16.

- bdš (بدش) بمعنى تعب أو ارتخى يقابله في العربية مدش أى تعب .
- btk (بتك) بمعنى صرع وذبج ويقابلها في العربية بتك بمعنى قطع .
- bgrt(بجرت) بمعنى كهف والمغارة .
- brkt(بركت) يقابلها في العربية بركة .
- brg (برج) بمعنى أضاء ويقابلها في العربية برق .
- p3 (با) بمعنى فر وهرب يقابل في العربية فر .
- pr-c3 (برعا) في العربية فرعون .^(١)
- prh يفرخ .^(٢)
- prt (برت) بمعنى الثمر في العربية البر أى الحنطة .
- psg (بسج) يقابلها في العربية بصق .
- pth (بتخ) بمعنى طرح يقابلها في العربية بطح .
- wbh (وبخ) بمعنى وضأ ولمع " وضح " .
- wpš (وبش) بمعنى الضوء ، والبصيص ويقال في العربية وبش الجمر أى ظهر بصيصه .
- wr (ور) الخطاف يقابله في العربية الوروار أى الصغير .

(١) عن هذا اللقب وتطور معناه عبر العصور ، راجع : د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ص ٢٨٧ - ٢٩١ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٤٤٨ - ٤٥٢ ؛ المؤلف نفسه : في مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب-جامعة المنيا ، عدد يناير ١٩٩٩ ، ص ١٠٦ - ١١٤ .

- wh3jt (واحيت) الواحة .
- wh3 (وحا) بمعنى بحث ويقابل فى العربية وصى الأمر قصده .
- whn (وهن) بمعنى وهن - ضعف .
- wsh (وسخ) وسع منها فى العربية الوسعة الرحبة .
- wdc (وجع) بمعنى قطع أو فصل بالسكين يقابله فى العربية وجاء فلاناً بالسكين أو بيده ضربه فى أى موضع .
- wd (وج) أمر يقابله فى العربية وصى .
- wdf (ودف) أبطأ فى العربية دف أى مشى خفيفاً .
- wdn (وذن) بمعنى ثقل يقابله فى العربية وزن .^(١)
- ptpt (بتبت) بطط أى وطئ أو داس .^(٢)
- ptr (بتر) بصر أو أبصر .^(٣)
- pth (بتح) فتح .^(٤)
- pth (بتخ) بطح .^(٥)
- pd (بد) مد الخطوة أو الخطوات .^(٦)

-
- (١) د. أحمد بدوى - هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
- (٤) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ٨٧ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

- fh (فح) فك .^(١)
- ftft (فتفت) فط .^(٢)
- mw (مو) ماء فى العربية أيضاً .
- mwt (موت) ام .
- mnhd تعنى بالمصرية أدوات الكتابة ، وهى التى تعادل الآن كلمة منهج .^(٣)
- mnht (منحت) منحه هدية .
- mnmn (من من) تحرك فى العربية ململ .
- mkt (مقت) سلم من خشب يقابله فى العربية مرقاة .
- mšdt (مشدة) مخاضة بقلب الشين المصرية خاء .
- mšc (مشع) يقابلها فى العربية مشى .
- mr (مر) مرض .
- mrw (مرو) الخلاء ، البرية فى العربية " مر " .
- mrh (مرح) مرهم .
- md3t (مجاة) مخطوطة فى العربية (مجلة) .
- mh (مح) بمعنى ملاً والميح فى العربية فى الاستقاء أن ينزل الرجل إلى قرار البئر .

(١) د. عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٠ .

(٢) د. أحمد بدوى - هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٣) Wb II, 83, 3.

<u>msh</u> (مسح)	تمساح أداة التعريف المصرية تا .
<u>msk</u> (مسق)	جلد الحيوان فى العربية المسك بمعنى الجلد .
<u>nnj</u> (ننى)	ضعف وتعب بالعربية نأناً أو ننى بمعنى طفل صغير أى نونو . ^(١)
<u>nb</u> (نب)	بمعنى سيد فى العربية رب .
<u>nbs</u> (نبس)	شجرة مثمرة حلوة الثمر يقابلها فى العربية نبق .
<u>npr</u> (نبر)	بمعنى الحب فى العربية النبارى .
<u>nc</u> (نع)	إعلان الوفاة فى العربية نعى .
<u>n</u> (ن)	أداة النفى لا .
<u>ns</u> (نس)	لسان
<u>nk</u> (نك)	نكح أو جامع .
<u>nik</u> (نيك)	عاقب بالموت بالعربية نكاية .
<u>nkm</u> (نكم)	الحزن ومنها النكمة أى المصيبة الفادحة .
<u>nkr</u> (نقر)	بمعنى صفى فى العربية نخل .
<u>ntr</u> (نثر)	نذر . ^(٢)
<u>nd</u> (نج)	نجا . ^(٣)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) راجع فيما سبق ، الجزء الثانى ، ص ١٥٢ .

(٣) د. أحمد بدوى - هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

<u>ndr</u> (نجر)	نجر .
<u>hmhmt</u> (همهمت)	صياح زئير .
<u>hip</u> (هيب)	أخفى ، غطى ، خبأ .
<u>hbs</u> (هبس)	لباس ، اللباس أو الرداء .
<u>hfd</u> (هفد)	علا ، تسلق ، فى العربية حفد أى أسرع .
<u>hfd</u> (حفج)	اهتز وارتعش فى العربية حفز .
<u>hfn</u> (حفن)	مائة ألف فى العربية حفل حشد من الناس .
<u>hm3t</u> (حمات)	بمعنى ملح فى العربية حمض .
<u>hnf</u> (حنف)	خضع وأطاع فى العربية حنف .
<u>hnwt</u> (حنوت)	سيدة ، فحنة الرجل امرأته .
<u>Hrrt</u> (حررت)	زهرة الشجرة فى ريف الصعيد الحريرة .
<u>hrrt</u> (حررة)	حيه والحربة فى العربية .
<u>hsy</u> (حسى)	بمعنى توجه تلقاء قريب من حوس أى انتشار القتل والتحرك .
<u>htr</u> (حتر)	الثوران اللذان يشدان المحراث ، فى العربية حتر العقدة أحكم عقدها .
<u>hkr</u> (حقر)	بمعنى جاع واحتاج فى العربية حقر .
<u>htm</u> (حتم)	بمعنى أباد وأهلك فى العربية حطم .
<u>htmjt</u> (حتميت)	دركه من الجحيم تذكرنى بالحطمة .
<u>hsb</u> (حسب)	عد ، حسب الشيء .
<u>h j</u> (خعى)	شع ، شع شعاً .

- h3rw (خارو) بمعنى شارع والحارة .
- h3b3s (خاباس) مجموعة الكواكب السماوية ، وفي العربية قيس .
- sbh (سبح) صاح .^(١)
- smr (سمر) سمير .^(٢)
- štm (شتم) سب أو شتم .^(٣)
- šd (شد) أنشد .^(٤)
- knd قرد .^(٥)
- khkh (كحكح) كبر أو شاخ .^(٦)
- gmh (جمح) لمح .^(٧)
- tf (تف) تف أو بصق .^(٨)
- tm (تم) تم أو أتم .^(٩)
- tms (تمس) طمس أو دفن .^(١٠)

Wb V, 57, 1.

- (١) د. أحمد بدوي - هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .
- (٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .
- (٥)
- (٦) المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .
- (٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .
- (٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .
- (٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
- (١٠) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

tštš (تشتش) دشدش أو حطم .^(١)

dt يقابلها في العربية زيت .^(٢)

ما بقى من تأثير فى أسماء بعض المدن والقرى وأسماء الشهور القبطية :

يعطينا د. عبد الحليم فى مؤلفه الحديث عن " اللغة المصرية القديمة " أربع قوائم بدأها بذكر المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى أسماء بعض المدن والقرى والأماكن والتي يرجع أصلها إلى المصرية القديمة ، ثم ذكر المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى بعض الأسماء والمفردات فى اللغة العربية الفصحى ، وأيضا المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى اللغة العامية ، وأخيرا يذكر لنا المتوارث من اللغة المصرية القديمة فى أسماء الشهور القبطية .^(٣)

وبالنسبة للقائمة الأولى جمع المؤلف ٥٧ كلمة نذكر هنا المؤكد منها وهى

(٥١) :

pr d 3 d 3

١ - أبو تشت من

pr wsir

٢ - أبو صير من

3bdw

٣ - أبيدوس من

(١) د. أحمد بدوى - هرمان كيس : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٢) Wb V, 618, 4; Černy, op. cit., p. 375.

(٣) وفى مؤلف آخر ظهر حديثا للدكتور عبد الحليم نور الدين : آثار وحضارة مصر

القديمة ، الجزء الأول ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٢٧٨ - ٢٩٨ تحدث فى هذه

الصفحات عن الموروث من الحضارة المصرية القديمة فى حياتنا المعاصرة فى

أسماء المدن والقرى وفى مفردات اللغة العربية وفى العامية وفى الأمثال الشعبية

وأسماء الشهور القبطية وفى العادات والتقاليد .

hp	٤ - أبيس
hnt - Mm	٥ - أخميم
db w	٦ - إدفو
Iwnw Mn tw	٧ - أرمنت
Snyt	٨ - إسنا
Swnw	٩ - أسوان
S wty	١٠ - أسيوط
Hmnw	١١ - الأشمونين
Tp - ihw	١٢ - أطفيح
Hnn - nswt	١٣ - أهناسيا
p3 - r - pr	١٤ - البربا
Pr - hbt	١٥ - بهبيت الحجارة
p - n - nht	١٦ - بنها
Pr w 3 dyt	١٧ - بوتو
hwt hry ib	١٨ - تل أتريب
p3 - iw - n - Imn	١٩ - تل البلامون
Pr - wb3stt	٢٠ - تل بسطة ^(١)

(١) د. عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢٨ - ٢٤٣ ،

Ht - nwb	٢١ - حانتوب
Ht - bnw	٢٢ - الحيبة
p3 - dmi - n - Hr	٢٣ - دمنهور
Iwnt - t 3 - ntrt	٢٤ - دندرة
H 3 sw	٢٥ - سخا
Wsir - h py	٢٦ - السرايوم
Šqr	٢٧ - سقارة
Tb - ntr	٢٨ - سمبود
S3 - htp	٢٩ - شطب
S3 w	٣٠ - صا الحجر
Dcnt	٣١ - صان الحجر
Spd	٣٢ - صفت الحنة
dr3 w - r 3 w	٣٣ - طره
d h n t	٣٤ - طهنا الجبل
Dr ty	٣٥ - الطود
T3 - ipt	٣٦ - طيبة
Pr - Imn	٣٧ - الفرما
P3 - ym	٣٨ - الفيوم
Gbtw	٣٩ - ققط
kni	٤٠ - قنا

Gs3	٤١ - قوص
kis	٤٢ - القوصية
R3 - hnt	٤٣ - اللاهون
Mn - nfr	٤٤ - منف
Bw - nfr	٤٥ - منوف
<u>Mni</u>	٤٦ - المنيا
Mit - rhnt	٤٧ - ميت رهينة
M3dw	٤٨ - مدامود
Mr - tm	٤٩ - ميدوم
Ht wcr	٥٠ - هواره
Hr - bity	٥١ - هربيط

ونذكر لنا بعد ذلك المتوارث من اللغة المصرية في اللغة العربية الفصحى وجمع حوالى ١٠١ كلمة بين فعل واسم وصفة وذكرها حسب ترتيب الأبجدية العربية.^(١) وذكر أيضا المتوارث من اللغة المصرية في اللغة العربية العامية. وجمع حوالى ٢٧ كلمة بين فعل واسم وصفة.^(٢) وأنهى هذه القوائم بذكر أسماء الشهور القبطية والتي تختص بالزراعة والحصاد وبعض الأعياد . وهى أسماء مصرية أصلاً ثم انتقلت إلى القبطية ولا تزال اللغة العربية تحتفظ

(١) د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ - ٢٤٧ (١) . وقد ذكرنا هذه الأسماء فى مؤلفنا : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ١٩٩٧ ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٨ (٢) .

بمسميات هذه الشهور بنفس القيمة الصوتية القديمة التي كانت تنطق بها .^(١)
ويستعملها عادة الفلاحون (سواء المسلمون والمسيحيون لشئون الزراعة)
وهي :

Dhwtj	١ - توت من
P3 - n - ipt	٢ - بابه
Ht - hr	٣ - هاتور
K3- hr - k3	٤ - كهياك
T3 c3 bt	٥ - طوبة
Mhr	٦ - أمشير
P3 - n - Imn - htp	٧ - برمهاث
P3 - n - Rnnwtt	٨ - برمودة
P3 - n - Hnsw	٩ - بشنس
P3 - n - Int	١٠ - بؤنه
Ip ip	١١ - أبيب
Mswt - Rc	١٢ - مسرى

ويجب أن نذكر هنا أن قائمة د. بدوى تعد أكثر تفصيلاً لأصول
الكلمات فى العربية والقبطية والعبرية . وقد يظن البعض أن هناك نوع من
التشابه بين قائمة د. بدوى ود. عبد الحليم ، ولكن من فحصنا للقائمتين يمكن

(١) د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ (٣) ؛
د. إنجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة د. أحمد موسى ود. أحمد
يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ ، ١٩٩٨ ، ص ٦٩ .

القول بأن هناك ١١ كلمة في القائمة التي ذكرها د. عبد الحليم للكلمات في العربية الفصحى موجودة في قائمة د. بدوى ^(١). وهناك أيضا ثلاث كلمات في قائمة د. عبد الحليم للكلمات العامية موجودة أصلاً في قائمة د. بدوى ^(٢). وهكذا يمكننا القول بأن د. عبد الحليم أضاف ٩٠ كلمة جديدة في العربية الفصحى و ٢٤ كلمة جديدة في العامية إلى قائمة د. بدوى . ويصبح مجموع القائمتين معا ٢٢٨ كلمة . ومما يؤسف له أن د. بدوى لم يذكر لنا النصوص والمصادر التي اعتمد عليها في استخراج كل هذه المفردات ^(٣). وفعل الشيء نفسه د. عبد الحليم في المتوارث من اللغة المصرية في أسماء الأماكن وفي مفردات العربية الفصحى والعامية ^(٤).

ويذكر د. صالح انه يمكن التعرف بوجه عام على ما يقرب من مائتي كلمة مصرية قديمة لا تزال أمثالها حية في مفردات اللغة العربية الفصحى ^(٥)، وهي مجرد قلة من كثرة اندثر بعضها وانزوى بعضها الآخر في بطون

(١) د. أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ١١٨ (١٢) ، ص ١١٩ (١٩) ، ص ١٢٢ (٢٨) (٤٠) ، ص ١٢٣ (٤٦) ، ص ١٢٤ (٤٩) (٥١) ، ص ١٢٥ (٩) ، ص ١٢٧ (٦٩) ، ص ١٢٩ (٨٢) ، ص ١٣٢ (٩٩) .

(٢) د. أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ١٢٢ (٣٧) ، ص ١٢٩ (٨٣) ، ص ١٣١ (٩٣) .

(٣) كما هو متبع في مفردات Wb وكما فعل مكس في قاموسه Meeks, Alex. I- III راجع : حياة وأعمال أحمد بدوى ، صفحات من التاريخ والحفائر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١١٦ - ١٣٣ .

(٤) د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٥٠ .

(٥) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢ .

المعاجم نتيجة لتطور مفردات الكتابة والحديث في اللغة العربية ^(١). وهذه الكلمات عبارة عن ضمائر وأفعال وأسماء وصفات وظرف زمان ومكان وحروف وأدوات وأسماء للأعداد وأسماء بعض البلاد والأماكن والمدن والقرى .

هذا بالإضافة إلى أن هناك صلات جوهريّة بين قواعد النحو في كل من اللغة المصرية القديمة واللغة العربية ، على الرغم من اختلاف صور الكتابة بينهما ، ومن ذلك وجود حروف الحاء والعين والقاف في اللغة المصرية القديمة ، وشيوع المصدر الثلاثي بين أفعالها ، وغلبة الفعل المعتل الآخر فيها ، وما أخذت به من سبق الفعل للفاعل ، وإلحاق الصفة بالموصوف ، واستخدام صيغة المثني ، واستخدام ياء النسبة . وكتابة الحروف الساكنة في كلماتها دون حروف الحركة ، وإضافة تاء التانيث في نهاية بعض أسمائها وصفاتها المؤنثة ، وتمييز البعض من الكل ، واستخدام كاف المخاطب وميم المكان ونون الجمع ، مثل اللغة العربية ^(٢).

ومن أجمل ما بقى من التراث الثقافي تلك الكلمات التي ذكرها بتاح حتب في تعاليمه لابنه عندما نصحه بالزواج وحثه على معاملة زوجته بالحسنى قائلاً : " أسعد قلبها طالما هي تعيش ، تصبح حقلاً خصباً من أجل صاحبه " ^(٣) ، وهي كلمات شبيهة بما ورد في سورة البقرة : " نساؤكم حرث

(١) يمكن القول هنا أن هناك تشابه في عدد من ضمائر اللغة المصرية القديمة مع ضمائر بعض لهجات اليمن ولهجات العراق ولهجات جنوب الشام في العصور القديمة ، مع اختلاف في طريقة النطق بين كل واحدة والأخرى ، راجع : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٥٦٤ .

لكم فأتوا حرثكم أنا شئتم " (١).

ثالثاً- فلا زلنا نرى بعض أبناء مصر يستخدمون فى القرى وحياتهم الزراعية

الأدوات الحرفية نفسها التى كان يستخدمها المصريون القدماء ويزرعون

النباتات نفسها مثل استخدام المحراث الذى يتكون من سكين خشبية يثبت إليها

مقبضان خشبيان ثم عريش طويل من الخشب يتصل بالمحراث فى جزئه

الأسفل ويجره ثوران . وهذا النوع من المحاريث كان يشق الأرض ولا يقلبها

(كما نرى فى مقبرة سنجم) (٢).

كما استخدموا منذ أقدم العصور الشادوف وهو عرق من الخشب يتحرك

من وسطه على قائم خشبي وفى أحد طرفيه ثقل من الحجر أو الطين وفى

الطرف الآخر دلو من الجلد (٣).

كما عرف المصريون القدماء فى العصر الرومانى وسيلة أخرى

لسحب المياه الجوفية وهى الساقية وهى من طراز يشبه السواقى التى يحفرها

الفلاحون اليوم مثل ساقية منطقة تونا الجبل التى ترجع إلى العصر الرومانى

وكانت تجلب الماء من عمق ٣٦ متراً على مرحلتين (٤).

وقد استتبت المصريون القدماء الكثير من أنواع الخضر الشائعة لدينا

اليوم وكانت تحتل جانبا رئيسيا من موائدهم وعلى رأسها البصل والكرات (٥).

(١) الآية ٢٢٣ ؛ وراجع أيضاً : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٩ ، ٤٣٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى ، المجلد الأول ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٦٢ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٥ أشكال ٤ أج .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١٠ شكل ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

فقد ورثنا عنهم زراعة القمح والشعير ، وقد عرفوا الشعير منذ عصور ما قبل الأسرات وكانوا يصنعون منه الجعة ، كما عرفوا الذرة الرفيعة منذ عصر الدولة القديمة وصنعوا منها ألواناً وأشكالاً من الخبز . وعرفوا كذلك زراعة الفول والعدس^(١) ، والحمص والترمس واللوبيا والبطيخ والشمام والقرع والقثاء والفقوس والعنب والدوم والبلح والجميز والتين والنبق والرمان وحب العزيز الذي كان يقدم تحية للضيوف في الحفلات . وكانوا يستوردون كما نفعل اليوم اللوز والبندق والجوز والخوخ والمشمش والصنوبر والخرنوب ويؤتى بها من سوريا .^(٢)

وعثر في بعض المقابر على بقايا ثمار القرع والرنج والبصل والثوم ، أما الشمام فقد عثر على أوراقه وأزهاره وبذوره في هذه المقابر .^(٣) كما عرفوا اللفت ثم الملوخية منذ العصر الروماني على الأقل وعرفوا الفجل والكرات والبقدونس والكرفس والشيت والكزبرة ، أما البذور الزيتية فقد عرفوا منها بذور الكتان والخروع والقرطم والخس والزيتون واستخدموا زيتهما في طعامهم وفي الإضاءة وصناعة الألوان والعطور وفي التدليك . وكانت أوراق الكرفس والبطيخ تستعمل في تزيين المومياوات كما كان البصل يستعمل لإنعاش الموتى .^(٤) وهي نباتات لا زلنا نعيش عليها حتى الآن .

واستخدموا الصوامع المخروطية المصنوعة من الطين التي ترتفع أحياناً إلى خمسة أمتار وقطرها متران وفي أعلاها فتحة صغيرة وبأسفلها

(١) فجاء في سورة البقرة : الآية ٦١ قول قوم سيدنا موسى : " فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقيثائها وفومها وعدسها وبقلها " ، راجع : المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

باب صغير وتستعمل الفتحة العلوية لملء الصومعة بالحبوب ، أما الباب السفلى فيستخدم لسحب الغلال منه عند الحاجة .^(١) ولا يزال هذا النوع من الصوامع معروفاً في قرى مصر .

وكان المصريون القدماء يحتفلون بعيد بداية سنتهم الزراعية وهو عيد قومي لا زلنا نحتفل به اليوم ويتمثل في الاحتفال برأس السنة القبطية المعروف باسم عيد النيروز والذي ظلت مصر تعترف به عيداً قومياً حتى العصر الفاطمي .^(٢) كما عرفوا عيداً آخر من الأعياد الزراعية يقع عند حلول فصل الربيع وهو الاحتفال الخاص بشم النسيم وكان أكثر ما يميز هذا الاحتفال إلى جانب الرقص والموسيقى وضع البصل حول الأعناق وشمه وتناول الأطعمة الخاصة في هذه المناسبة .^(٣) وكانوا يأكلون الملائنة^(٤) ، ولا يزال المصريون حتى اليوم يحتفلون به . ومن بين الأسباب التي تؤدي إلى فيضان النيل هو سقوط دمة من دموع إيزيس في ليلة كانوا يطلقون عليها اسم " ليلة سقوط الدمة " التي لا يزال المصريون يحتفظون حتى اليوم بذكرها في الحادي عشر من بؤنة ويطلقون عليها اسم " ليلة النقطة " .^(٥)

كما ورثنا عنهم استخدام الرحي لطحن الحبوب ، وكان المصريون القدماء يستخدمونها منذ عصور ما قبل الأسرات ، كما ورثنا عنهم صناعة الطوب اللبن المصنوع من الطمي المخلوط بالماء والتبن وتوضع العجينة في قالب خشبي مستطيل له مقبض وتترك لتجف بفعل حرارة الشمس كما نراه في مناظر جدران مقبرة رخمى رع .^(٦) كما ورثنا عنهم استخدام النول في

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ شكل ٣٢ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ شكل ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٨٤ صورة رقم ١٨ .

الغزل^(١) وصناعة الحصير العادى والملون (مقبرة باكت فى بنى حسن)^(٢) وصناعة الفخار على عجلة الفخار وحرقه فى أفران وإشعال النار من تحته . وفى مجموعة آثار توت عنخ آمون نرى بعض المقاعد التى تشبه المقاعد التى يستعملها الناس عادة على شاطئ البحر ، ويغلب الظن أن بعضاً منها كان يطوى. وكذلك مجموعة من الصناديق التى كانت تحفظ فيها الملابس وغيرها، وذلك كما يحدث فى الريف المصرى الآن .^(٣) كما ورثنا عنهم تربية النحل وتدخين الخلايا لجمع العسل (كما نراه فى مقابر البر الغربى) .

كما ورثنا عنهم أيضاً صناعة خشب الابلكاج ، فقد عثر فى أحد ممرات هرم جسر على قطعة خشبية مكونة من ست طبقات لا يزيد سمكها عن سنتيمتر واحد من شجر السرو والصنوبر والجونيير .^(٤) (وهو خشب يؤتى به من سوريا ولونه أحمر وله رائحة ذكية) . وإذا كنا نذكر هذه النماذج فهى على سبيل الأمثلة وليس الحصر .

رابعاً - إن مصر القديمة تعيش فينا ونحن نعيش على أرضها فهناك خلود بعض عادات الأجداد فى حياة الأحفاد فى ما بقى من بعض العادات والتقاليد الجنائزية والممارسات الطبية مثل استخدام البخور فى الكنائس القبطية كما كان يحدث فى المعابد المصرية أثناء تأدية الطقوس الدينية .^(٥) ومثل وجود

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٦ صورة رقم ١٩ .

(٢) فهناك رسوم مصرية تقلد زخارف الحصير الفاخر على سطوح المشكاوات أو تقليد جداول الحصير بقراميد القيشانى فى الحجرات السفلى للهرم المدرج بسقارة ، راجع : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ شكل ٦١ ، ص ٣٢٣ شكل ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

النابات عقب الوفاة وتشيع الجنازة كما نرى فى مقابر وسرحات ورع موسى بالبر الغربى^(١) ومقبرة باحرى فى الكاب ، وذبح ثور أمام المقبرة وهو ما يسمى عندنا الآن الكفارة أو ذبيحة النعش .^(٢)

وفى مجال الممارسات الطبية فقد مارس المصريون القدماء عملية الختان التى كانت تجرى للأولاد بين سن السادسة والثانية عشرة فى المعابد ، التى صارت عادة عند اليهود وسنه عند المسلمين . ونشاهد منظر عملية الختان فى مقبرة عنخ ماحور من الأسرة السادسة فى سقارة ويقوم بها كاهن مختن هو الحم - كا . ويظهر فيه الجراح ممسكاً بآلة بيضاوية الشكل يلمس بها العضو التناسلى الذى يسند به يده اليسرى . وفى هذا المنظر تظهر ملامح المريض ويبدو عليه الألم ونلاحظ كذلك وجود مساعد الجراح خلف المريض وقد أمسك بذراعيه على ارتفاع وجهه فى قوة وعنف .^(٣)

كما عرفوا الغسيل الشرجى والمهبل . وروى بلينى أن المصريين عرفوا العلاج بالحقن الشرجية .^(٤)

وورثنا عنهم بعض وصفاتهم لعلاج بعض الأمراض مثل معالجة التبول غير الإرادى والالتهاب الذى يصيب المثانة عن طريق نباتى الكرفس والبقدونس . وكانت توصف على شكل شراب مغلى أو منقوع^(٥) وكذلك استخدام القرطم والششم لعلاج الرمد وهو لا يزال يستخدم حتى الآن فى مصر والسودان .^(٦)

(١) نجد صورة لهذا المنظر فى مؤلف : Zahi Hawas, The Golden Age of Tutankhamon, p. 90-91.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ شكل ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٦١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ ، ٥٦١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٦٢ .

وفى الواقع أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أكثر تفصيلاً للبحث عن بقايا هذا الموروث الحضارى المتعدد الأشكال والمظاهر فى حياتنا وعاداتنا. ويكفى لبيان الأثر المستمر لإسهام المصريين القدماء فى مجالات الحضارة أن الدراسات والمؤلفات والأبحاث الحديثة والاكتشافات التى تمت حول حضارتهم أصبحت تكون اليوم علماً مستقلاً أضيف إلى مجموعة العلوم الحديثة التى تدرس فى جامعات أوروبا وأمريكا والصين واليابان على السواء وهو " الإيجيبتولوجى L'Egyptologie " أى " علم المصريات " .

كما أن مجموعة كبيرة من الآداب والعلوم والفنون الغربية بصفة خاصة لا يخلو كل علم فيها من مقدمة أو إشارة إلى ما حققه المصريون القدماء من مظاهر حضارية ، وهذا واضح تمام الوضوح فى تاريخ النظم الإدارية وتاريخ القانون^(١) ، وتاريخ النظم الاجتماعية والاقتصادية ، وتاريخ الفكر والمعتقدات الدينية ، وتاريخ الحياة الثقافية وتاريخ اللغة والأدب وتاريخ الحياة العلمية وتاريخ العلوم وتاريخ الطب وتاريخ الفنون وتاريخ العمارة ، وتاريخ التربية ونظم التعليم . وهذا هو التأثير الثقافى الحى والفعال لمظاهر حضارة مصر القديمة .

وأخيراً كان لكل هذا الموروث الحضارى المتنوع إسهامه ودوره فى إكساب مصر وضعاً متميزاً بين دول العالم . فكما ذكرنا فهذا الموروث لا يتمثل فيما هو موجود أو قائم فى المناطق الأثرية المتعددة ولكن أيضاً فيما هو مدفون فى باطن أرضها ولم يكشف عنه وفيما هو معروض بمتاحفها الوطنية (المتحف المصرى والمتحف اليونانى الرومانى والمتحف القبطى ومتحف الفن الإسلامى) وما هو موجود فى المتاحف الإقليمية والمتاحف التاريخية . وكذلك فيما انتقل من عناصر هذا الموروث المتنوع من روائع إلى العديد من

(١) عمر ممدوح : أصول تاريخ القانون ، ص ٥ .

المتاحف العالمية ، وكانت السبب الرئيسى فى شهرة هذه المتاحف .^(١) وهذا الموروث الحضارى هو خير شاهد على مكانة مصر الحضارية بين الحضارات الإنسانية فى العالم القديم . فأرض مصر التى أقيم عليها هذا الموروث الحضارى تعد مثل المتحف الكبير مفتوح الأبواب على مصراعيها . وإن كان بين التعريفات لمعنى كلمة " متحف " : " بأنه معبد توقف فيه الزمن " .^(٢) نقول أن متاحف هذا الموروث الحضارى لمصر فى الداخل والخارج هى :

" معابد لكنوز الماضى الحى " .

(١) د. صلاح البهنسى : المتاحف المصرية ، مطبوعات وزارة الثقافة ، العلاقات

الثقافية الخارجية ، ٢٠٠٤ ، ص ١٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .

الخاتمة العامة

كان هدفنا من هذه الدراسة هو تتبع مظاهر الحضارة المصرية القديمة عبر العصور التاريخية الطويلة وحاولنا فيها إلقاء الضوء على معظم هذه المظاهر . أى أنها قصة " حضارة وطنية أصيلة " أشبه بقصة شجرة أنبتها المصري القديم منذ أقدم العصور وغرس جذورها ورعاها واعتنى بها بالجهد والمثابرة حتى ازدهرت وترعرعت عبر العصور التاريخية الطويلة وأتت أوكلها واستمر في رعايتها أجيال بعد أجيال حتى نعم في النهاية بكل ما هو طيب فيها ، ولأن جذورها ممتدة في أعماق هذه الأرض الطيبة ازدادت صلابة مع مرور الوقت وازدادت ثباتاً على هذه الأرض ولهذا عاشت آلاف السنين ولم تقتلعها أعاصير التغيير ومحن الزمان وغزوات الأجانب وطمع الطامعين .

وكان من هدفنا أيضاً من وراء إصدار هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة هو تعميق الوعي الحضارى بين الطبقة المثقفة والعامة ، اقتناعاً منا بأن الوعي التاريخى بدور هذه الحضارة ومظاهرها هو مطلب ملح يمكن لمصرنا الغالية من تشخيص واقعها والتمسك بهويتها - حضارياً وتاريخياً - كذلك إن ترسيخ هذا المفهوم هو الأساس الواقعى والحافز الفعال نحو أى نظرة بناء مستقبلية . ورأينا أن معالجة مثل هذا الموضوع في صورة أبواب متعددة هو بمثابة فتح نافذة عن كل مظهر حتى يستطيع القارئ أن يلم بما توصل إليه الإنسان المصرى القديم في كل مظهر . وكيف نجح بفكره وذكائه وقدراته إلى الوصول إلى معارف يعجز الإنسان في العصر الحديث بكل ما يمتلك من إمكانيات مادية هائلة أن يستوعبها ويجعله يتساءل أكثر من مرة كيف تم تحقيق كل هذه الإنجازات والمنجزات . ونقول أن هذه الحضارة العريقة قامت على ثمانى محاور رئيسية هي :

نظم حكم وإدارة منظمة وحياة اجتماعية متماسكة وحياة اقتصادية مليئة بالنشاط وعقائد دينية راسخة ومؤثرة وحياة ثقافية غنية ومتنوعة وحياة علمية مليئة

بالمعارف والتجارب الرائعة وأساليب تربية ونظم تعليم فعالة . وكان لكل هذه المظاهر الثمانية تأثيرها الكبير في مجال العلاقات الخارجية في كافة صورها .

ففى الجزء الأول حاولنا استعراض مفهوم كلمة حضارة وأهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة . قسمنا هذا الجزء إلى خمس أبواب . تناولت فى الباب الأول : البيئة والإنسان المصرى القديم ، أى البيئة التى نشأت فى أحضانها هذه الحضارة وما بذله المصرى فيها من مجهود منذ أقدم العصور على هذه الأرض الطيبة التى أعطته الكثير فأحسن استغلالها . وفى الباب الثانى تحدثنا عن كيفية : نشأة الحضارة المصرية القديمة على هذه الأرض . واستعرضنا فى الباب الثالث : عوامل تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة ، أى العوامل التى أدت إلى ازدهارها وتماسكها وبقائها فترة طويلة من الزمن . وتحدثنا فى الباب الرابع عن : نظم الحكم والإدارة ، باعتبارها أول وأهم مظهر من مظاهر الحضارة على اعتبار أن تأسيس نظم للحكم قوية يعد الحصن الحصين لقيام المظاهر الحضارية المتعددة . واستعرضنا فى الباب الخامس : مظاهر الحياة الاجتماعية ، والتقاليد والأعراف والقوانين التى كانت تسود هذا المجتمع المتماسك .

وتحدثنا فى الباب السادس عن : مظاهر الحياة الاقتصادية لأن الحياة الاقتصادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاجتماعية وما الحياة الاقتصادية إلا تعبير عن نشاط أفراد المجتمع وعلى اعتبار أنها الضمان لبقاء هذه الحضارة وشعور الإنسان المصرى القديم بالاكتماء الذاتى فعمل بكل طاقته . وفى الجزء الثانى تحدثنا فى الباب السابع وهو من الأبواب الكبيرة والهامة عن : نشأة العقائد الدينية وتطورها ومظاهر الحياة الدينية ، على اعتبار أن الديانة كانت المحور الأساسى والموجه والمؤثر فى معظم هذه المظاهر الحضارية . واستعرضنا فى الباب الثامن وهو من الأبواب الهامة أيضاً : الحياة الثقافية ومجالاتها ، لأنها حضارة قامت على الفكر والثقافة مما أعطاهما قوة الإنطلاق . وتحدثنا فى الباب التاسع عن : الحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف وكيف توصل الإنسان المصرى القديم إلى عدة تجارب ومعارف صقلته وزودته بكل ما يستطيع أن يتغلب به على الصعوبات التى قابلته فى إنجازاته ، وفى بنائه الحضارى .

وفى الجزء الثالث تحدثنا فى الباب العاشر وهو من الأبواب الكبيرة أيضاً عن : الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها وهى تلقى الضوء على إبداع المصرى القديم فى الفنون التشكيلية : الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة والتطعيم ، والعمارة بأشكالها وأنواعها : الدنيوية ، الدينية ، الجنائزية ثم فى الفنون التعبيرية : الموسيقى ، الغناء ، الرقص ، محاكاة فن المسرح ، ومحاكاة فن الكاريكاتير . واستعرضنا فى الباب الحادى عشر : أساليب التربية ونظم التعليم وبيننا أهمية العلم والتعلم للمصرى القديم فكان سلاحه للتطور والإبداع . وتحدثنا فى الباب الثانى عشر وهو من الأبواب الكبيرة كذلك عن : مظاهر الحضارة المصرية القديمة وانعكاساتها وتأثيرها فى مجالات العلاقات الخارجية ، وكيف أثرت الحضارة المصرية القديمة فى غيرها على القاصى والدانى والوافد والزائر من بلاد حضارات الشرق الأدنى القديم والحضارة اليونانية وبعض الحضارات القديمة فى أفريقيا ، وإلى أى مدى أثرت إسهامات الحضارة المصرية فى بعض حضارات العالم القديم منذ فجر التاريخ وكيف تأثرت فى بعض مجالاتها الحضارية بهذه الحضارات ، مع احتفاظها دائماً بشخصيتها وطابعها المصرى الأصيل . وتناولنا فى هذا الباب ثمانية مجالات لهذا التأثير :

- فبالنسبة لأساليب الحكم والنظم الإدارية وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى ، نقول إن طبيعة هذه العلاقات الخارجية كانت لها صور عديدة فمنها ما أخذ صور علاقات دبلوماسية بكل ما فيها من مظاهر أو تحالفات عسكرية أو معاهدات أو زيارات متبادلة للوفود ، أو أخذ صورة الصراع العسكرى والحملات الحربية وذلك نظراً لتوافر خيرات أرضها وغنى ثرواتها الطبيعية فأصبحت مقصداً لكل طامع ، وذلك منذ أقدم العصور أى منذ بداية الأسرة الأولى كانت حدودها الشرقية والغربية والجنوبية مطمعا لتسربات البدو والقبائل المشاغبة وذلك بصفة دائمة ، وكان من أهم واجبات كل ملك هو تأمين هذه الحدود الثلاث ضد هذه التسربات الدائمة ، وأصبحت سياسة حماية الحدود الثلاث هى سياسة ثابتة ، وعندما تعرضت الحدود الشمالية فى عصر الأسرة العشرين لهجمات شعوب البحر عن طريق البحر عمل الملك رمسيس الثالث على تكوين أسطول بحرى قوى للزود عن هذه الحدود .

وعندما أصاب الوهن البلاد وأصاب نظام الحكم الضعف والتفكك السياسى أثر ذلك على السياسة الخارجية وأدى إلى تعرضها للغزو الأجنبى واحتلال الهكسوس لها لأول مرة فى تاريخها .

وعندما عادت للبلاد وحدتها وقوى نظام الحكم فيها أثر ذلك فى السياسة الخارجية فى عصر الدولة الحديثة وأصبح لملوك مصر مناطق نفوذ فى سوريا وفلسطين وأصبحت تربطها ببعض الحكام والأمراء والملوك من الشرق الأدنى القديم روابط صداقة وأصبح العديد منهم يدين بالولاء لملوك مصر . وعندما بلغ بعض الملوك المصريين المحاربين أوج قوتهم العسكرية وذاع صيتهم فى بلاد الشرق الأدنى القديم نظرا لحملاتهم الحربية الناجحة وذلك لحماية من يدينون لهم بالولاء من طمع الحيثيين وغيرهم ، رأينا وفود الرسل الأجنبية إلى أرض مصر من الشرق والغرب والشمال والجنوب حاملين هداياهم وأفضل منتجات بلادهم إلى ملوك مصر الأقوياء . ولكنها مرت بمراحل ضعف بعد ذلك ، وتعرضت لغزو الآشوريين وأصبحت مصر أضعف من أن تحرر نفسها بمفردها من سيطرة الآشوريين ولذلك رأيناها تعتمد لتحرير نفسها على المرتزقة الإغريق الذين جاءوا إلى مصر وعملوا بها ابتداء من الأسرة السادسة والعشرين . وكان لهم الفضل المباشر فى إعادة تنظيم القوة العسكرية المصرية ضد الآشوريين وتزويد الجيش المصرى بدماء جديدة وخبرات مؤهلة حتى إن الأسطول المصرى أعيد تنظيمه على غرار النظام الإغريقى فى عصر الملك بسماتيك الأول الذى أسس الأسرة السادسة والعشرين واهتم اهتماماً كبيراً بعلاقاته مع بلاد اليونان ، وأصبح المرتزقة الإغريق يمثلون القاعدة الرئيسية فى دفته ونقراطيس . كما حرص كل من نكاو الثانى وأمازيس على توثيق علاقاتهما مع اليونانيين لأن المرتزقة اليونانيين كانوا يكونون القاعدة الأساسية للجيش المصرى وقد أرسل أمازيس الهدايا إلى بلاد اليونان وخاصة التماثيل . وفى نهاية حكمه اضطر أمازيس إلى التحالف مع كيزيس ملك ليديا ومع حكام إسبرطة أملاً فى الوقوف ضد أطماع الفرس .

ولكن كل هذا لم يمنع من غزو الفرس للبلاد فى نهاية الأسرة السادسة والعشرين وتعرضها للاحتلال الفارسى للمرة الأولى . وخرجوا منها بعد تأسيس

الأسرة السابعة والعشرين الفارسية . ولكنهم عاودوا هجومهم على مصر مرة أخرى . كما اعتمد نفریتس الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين على صداقة ومساعدة اليونانيين فى توطيد سلطانه وقام فى عام ٩٣٩ ق.م . بعقد معاهدة مع إسبرطة وضم إلى قواته مرتزقة يونانيين . وعندما تولى هكر (أخوريس) ثانى ملوك الأسرة الحكم أدخل ضمن قواته العسكرية حوالى عشرين ألفاً من المرتزقة اليونانيين لکی يدافعوا عن البلاد فى حالة هجوم الفرس للمرة الثانية ، وسعى الملك تیسوس ثانى ملوك الأسرة الثلاثين إلى عقد معاهدات مع أثينا وإسبرطة وذلك لجلب المزيد من المرتزقة لتكوين جيش قوى لمواجهة الهجوم المتوقع من جانب الفرس للمرة الثانية . ويذكر ديودور الصقلی أن اجیسیلاوس ملك إسبرطة جاء إلى مصر على رأس ألف من المحاربين ليعاون تیسوس . وجاء ومعه شابریاس القائد الإغریقى الذى كان موجوداً فى مصر من قبل ، والذى قام بقيادة الأسطول المصرى ، ولكن الفرس نجحوا فى دخول مصر مرة ثانية .

- وبالنسبة لمظاهر الحياة الاجتماعية وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب

الأخرى . نقول أن التكوين الاجتماعى للمجتمع المصرى كان يشمل الأقليات والتجار الأجانب والعمال والأسرى الأجانب . وكان هؤلاء العمال يأتون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية بحثاً عن مصدر رزق ، وكانت أید عاملة ضرورية لمساعدة العمال المصريين ، وعند مرورهم عبر الحدود كانوا يتعرضون لعملية مراقبة شديدة بواسطة رجال شرطة الحدود ، وكان كل عامل منهم يدون تاريخ دخوله البلاد وخروجه منها وأصله والحالة الاجتماعية واسم الأب والغرض من المجئ . وكان هؤلاء يقيمون فى البلاد ويؤدون مختلف الأعمال وخاصة المعمارية فى ظل قوانين اجتماعية تكفل لهم الحماية والأمن والعيش فى سلام ويتمتعون بالحقوق نفسها التى يتمتع بها كل عامل مصرى دون تعصب . ومن هؤلاء الأجانب من كان يعمل فى التجارة وكانوا يتجمعون حسب جنسيتهم فى أحياء خاصة بهم من سوريين وفينيقيين ، وكان هناك أسرى الحرب الأجانب الذين كانوا يعملون فى مشروعات مختلفة واستخدموا كعمال فى الزراعة والبناء والنسيج . ومن هؤلاء الأسرى من كان يعمل كعبيد . وكان الملك يمتلك عدداً كبيراً منهم ، وكان يمنح بعض محاربيه عدد من

العبيد . وكان من المباح بيع وشراء وتأجير العبيد من الجنسين ، ويمكن أن يحصل العبد على عتقه ويتزوج من مصرية وتصبح له كافة الحقوق الاجتماعية .

ولا ننسى أن بين الأجانب الذين جاءوا إلى مصر من الشرق والغرب والشمال والجنوب من جاء للزيارة وتقديم الهدايا للملك الحاكم من سكان كريت وقبرص وبابل وآشور وميتاني وختيا وبلاد الشام وبونت وكوش .^(١) أو لعلاج^(٢) فنعرف أن كثيراً من الأمراء والزعماء الآسيويون في سوريا وفي خيتا كانوا يفدون للتداوى في مصر ، كما كانوا يطلبون في أحيان كثيرة أطباء مصريين لمعالجتهم أو للإقامة في بلاطهم .^(٣) أو للتعليم في مدارسها أو جاء كرحالة أو جاء كمرتزقة أو جاء للاستقرار بها ومع مرور الوقت أصابه الثراء وتوصل إلى أعلى المناصب وتمصروا نتيجة لذلك مثل ما حدث في نهاية الأسرة التاسعة عشرة عندما نجح أحد السوريين ويسمى إرسو أن يصبح زعيماً ، وربما كان إرسو أصلاً من أسرة هاجرت من سوريا منذ فترة واستقرت في مصر ، ونجح في الوصول إلى العرش بفضل أعوانه وكان له نفوذ في البلاط وجمع حوله رجاله واستولى على السلطة . وكما حدث أيضاً مع بعض العائلات الليبية الذين أصبحوا بعد ذلك ملوكاً وأسسوا الأسرة الثانية والعشرين ، وهي أسرة ترجع إلى أصل ليبي . ومن فحص أسماء بعض ملوك الأسرة الثالثة والعشرين نجد أن هذه الأسرة كانت تربطها بالأسرة الثانية والعشرين صلة قرابة .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٢ .

(٢) مثل المنظر الموجود في مقبرة نب آمون رقم ١٧ من عصر أمنحتب الثاني في

دراع أبو النجا ، الذي يمثل شيخاً سورى يجلس على مقعد وخلفه زوجته تسنده بيديها ، ويقدم إليه نب آمون شرباً (أو دواء) صبه من إناء بيده . وقد جاء

هذا الشيخ السورى ليعالج عند نب آمون ، راجع : Save-Soderbergh,

Four Eighteenth Dynasty Tombs, p. 25-26 pl. 23.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١٩ .

- وبالنسبة لمظاهر الحياة الاقتصادية وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى . فمنذ عصر الدولة القديمة كان الملوك يرسلون البعثات التجارية إلى بلاد بونت وقلب أفريقيا عن طريق البر تارة وعن طريق البحر الأحمر تارة أخرى وذلك بغرض التبادل التجاري ، وإحضار الصمغ والبخور والذهب والحيوانات وريش النعام والأبنوس والعاج وجلود الفهود ومنتجات أخرى تنمو بكثرة في تلك المناطق البعيدة لحاجتهم إليها وحاجة معابدهم إليها .

ومنذ هذا العصر كان هناك تبادل تجارى بين مصر والساحل الفينيقي لإحضار أخشاب الأرز . وفى عصر الدولة الحديثة كانت ترد من سوريا المنتجات المختلفة وكذلك الأسلحة وغيرها وأيضاً أحجار اللازورد الأزرق الذى كان مصدره باكتريان والمعادن والزيوت من كريت وقبرص .. وغيرها .^(١) ونشطت التجارة مع المدن الإغريقية بفضل وجود المرتزقة الإغريق فى صفوف الجيش المصرى ، وكان هؤلاء المرتزقة يعودون إلى بلادهم يحملون هداياهم ويروجون للصناعات والمنتجات المصرية .

- وبالنسبة لمظاهر العقائد الدينية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها فى معتقدات بعض الشعوب الأخرى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب . نجد أنه كان للديانة المصرية تأثير كبير فى حضارة سوريا القديمة منذ أقدم العصور وكانت بعض المعبودات المصرية محل تكريم فى هذه البلاد ، مثل عبادة حتحور فى بيبلوس . كما مثلت بعض المعبودات السورية على الآثار المصرية مثل عشتارت ، وقدش التى ظهرت على لوحة ممثلة واقفة وممسكة بيدها اليمنى بثعبان وباليسرى زهور اللوتس ويحلى رأسها قرص الشمس وهى واقفة فوق أسد .^(٢) وكان للمعبودة نيت ، معبودة سايس تأثير كبير فى غرب الدلتا بين قبائل التمحو ، ومن الشمال جاء

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٢ .

(٢) Wiese-Brodbeck, Toutankhamon, L'Or de l'Au-dela', 2004, p. 52 fig. 12.

أهل الفكر من أمثال أفلاطون إلى مصر وقضى عامين كاملين في معبد ايونو وتأثر بفكر أهل الديانة بها كما أثرت العقائد المصرية في الإسكندر الأكبر ، واتبع الملوك السبطالمة سياسة التقرب الديني للمعبودات المصرية واتخذ هذا التقرب ست اتجاهات كما ذكرنا . وعثر في جزيرة كريت على تمثال من البرونز لآمون رع وفي ميكيناى في كريت عثر على تمثال لبابون رمز تحوتى من القيشانى ، وفي إسبرطة عثر على جعل من القيشانى الأزرق .

أما عن تأثير الديانة المصرية القديمة عند بعض القبائل في أفريقيا فكان واضحاً وكانت معبودات طيبة هي أكثر المعبودات انتشاراً في كوش ونباتا . كما رحبت مصر فى عصر الدولة الحديثة بالمعبودات الآسيوية وكانت تقام لهم فى عواصمها مقاصير ليتمكن من عبادتها من يشاء من الأجانب المقيمين فى مصر .

وأشرت إلى وفود بعض الأنبياء والرسل الذين جاءوا من بلاد الشرق الأدنى القديم فى عصور معينة يبلغون رسالات ربهم ونشأت تطورات فى العلاقات بينهم وبين بعض ملوك مصر القديمة ، لأنه مما لا شك فيه أن مانادوا كان له تأثير عميق فى معتقدات بعض المصريين القدماء ونشأت سيدنا موسى من رسل الله الكرام أولى العزم فى أرض مصر ، وما قام به لتبليغ رسالة الإيمان والتوحيد إلى فرعون مصر ، ولكن فرعون وآله كفروا بآيات الله عز وجل فكان عقابهم الهلاك فقد آمن سحرة فرعون وهناك من آل فرعون نفسه من عرف الإيمان بالله ولكنه لم يعلن إيمانه وكتمه ، كما أن امرأة فرعون قد آمنت برسالة سيدنا موسى عليه السلام .

- وبالنسبة للحياة الثقافية والعلمية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى . نقول إننا نجد أن هذا التأثير الثقافى كان مؤثراً عن طريق اللغة والكتابة فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، فمن الكتابة الهيروغليفية اشتق الخط السينائى ومن الخط السينائى اشتق المسند ، ومنه الحميرى واللحيانى ، والتمودى والصفوى . كما اشتق الفينيقي ومنه الآرامى ، ومن الآرامى السريانى والثرمرى والعبرى والنبطى .

كما تحدثنا عن أول تأثير للغة المصرية القديمة على الخط المسند (المعينى) كما انتشرت فى آسيا الصغرى (الأناضول) كتابة كانت تعرف باسم الهيروغليفية - الهيثية وتشبه علاماتها إلى حد كبير علامات الكتابة الهيروغليفية .

كما دخلت اللغة المصرية القديمة فى بعض ألفاظ البابلية والعبرية والعربية . وفى جنوب شمال أفريقيا نجد بقايا تأثير اللغة المصرية القديمة فى لهجات بعض قبائل البربر مثل قبائل البجة والبربر وجالا والصومال . كما إننا نجد هذا التأثير فى بعض اللهجات عند بعض القبائل فى أفريقيا مثل قبائل الولوف فى غرب السودان . ومن الشمال جاء من بلاد اليونان العديد من الرحالة والمؤرخين ابتداء من القرن السادس ق. م . نظراً لما سمعوه عن ثقافة مصر وفنونها وآدابها ودياننها ومنتجاتها .

وقد استمر هذا الدور الثقافى الفعال لمصر فى العصر البطلمى ويتمثل ذلك فى الدور الذى قامت به دار العلم ومكتبة الإسكندرية الكبرى فى هذا العصر . وكانت دار العلم معهداً للبحث العلمى ألتحق به العلماء والفقهاء والأدباء والفلاسفة . كما ألتحق بالمكتبة الكبرى العديد من الأمناء العلماء فى عدة تخصصات .

وقد أخذ اليونانيون عن المصريين القدماء الكثير من مبادئ العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية فى قواعد العلوم المختلفة .

- وبالنسبة للحياة الفنية ومظاهرها وانعكاساتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى . نجد أنه كان للفن المصرى تأثير واضح فى فنون بلاد الشرق الأدنى القديم ، فى إيران وبلاد النهرين والأناضول وبلاد الشام واليمن . وفى الشمال فى الفن الكريتى ، وفى الجنوب فى توشكى ووادى نبطه وفى شمال أفريقيا وفى بعض القبائل الأفريقية .

- وبالنسبة لأساليب التربية ونظم التعليم وانعكاساتها على بعض الشعوب من الشمال . نجد أن فلاسفة اليونان ومؤرخيها تأثروا بأساليب التربية ونظم التعليم فى مصر من أمثال ديودور الصقلى وسترابون وأفلاطون وبلوتارخ وغيرهم .

وأخيرا تناولنا فى الباب الثالث عشر : مظاهر الحضارة المصرية القديمة بين مراحل الارتقاء والازدهار ومراحل الأفول والانحسار والغروب ، ولعل كل قارئ يتساءل كيف تم أفول هذه الحضارة ، نقول أنها تغيرت فى مظاهر حضارتها نتيجة تطور الأديان والأوضاع السياسية التى تعرض لها تاريخ الشرق الأدنى القديم بوجه عام وبخاصة مصر . وكما بينا أن هناك أربعة عوامل رئيسة قد أدت إلى هذا الانحسار والغروب .

كما تحدثنا فى نهاية هذا الباب عما بقى من هذا التراث الحضارى ، والذى تمثل فى أربعة عناصر رئيسة : ما بقى من التراث الأثرى من عصوره المختلفة ، ما بقى من تراث ثقافى غير ظاهر وهو تأثير اللغة المصرية القديمة فى مفردات اللغة العربية ، استخدام بعض الأدوات الحرفية نفسها التى كان يستخدمها المصرى القديم وزراعة بعض النباتات القديمة ، وأخيرا ما بقى من بعض العادات والممارسات الطبية .

وبعد استعراض كل هذه المظاهر ألا يدعونا كل هذا إلى التمسك أكثر بدراسة تاريخنا القديم ومظاهر حضارتنا القديمة فى زمن يحاول فيه الآخرون السطاول على حضارتنا والنيل منها والإدعاء كذبا بمساهمة أجدادهم فيها ونقول إنهم هم وأجدادهم أبعد بكثير عما حققه الإنسان المصرى القديم ابن هذه الأرض الأول ، وصانع المنجزات فى كل ركن من أركانها . ففى كل منطقة أثرية له بصمة أو أكثر من بصمة ويالها من بصمات تثير الإعجاب تصميماً وتنفيذاً وتدل على معارف وصلت فى تطورها حد المعجزات . وما هذه المادة الأثرية إلا جزء هام من تاريخ مصر القديم التى تعبر عن شخصيتها وما كانت تنفرد به حضارتها القديمة من مظاهر متعددة ومتنوعة وإنجازات ومعجزات .

ونختم حديثنا عن مظاهر الحضارة المصرية بما ذكره بعض الرحالة الفرنسيين من أقوال مثل لايبنتر الذى يقول :

" كانت مصر فى قديم الزمان منبعاً للعلوم وعريناً لمعجزات الطبيعة ... " .

ويقول فولتى الذى زار مصر فى القرن الثامن عشر :

" إنه لو امتلكت مصر أمة محبة للفنون الجميلة ، لعثرنا فيها على مصادر لمعرفة العصور القديمة لا نجدتها في مكان آخر من العالم . فهذه المصادر في الصروح المدفونة في الرمال أشبه بمستودع للجيل المقبل " .

وحديثاً يقول الكاتب الفرنسي روبير سوليه : " المعابد المهيبة والتماثيل الرائعة والرسوم الملونة الباقية بطريقة تثير الدهشة توحى إلينا بالجمال والحب وبالحكمة وعذوبة الحياة وبالنظام والعدالة والخلود " .^(١)

ولنا أن نذكر أيضاً ما ذكره أستاذنا الراحل د. بدوي في مقدمة كتابه عن التربية والتعليم ، فيقول :

" وتاريخ الإنسانية ما زال يذكر لشعبنا العظيم العملاق ما قدم بين يدي دنياه للعالم في ماضيه من خير ، وما أذاع في أقطار الشرق والغرب من نور العلم والمعرفة " .^(٢)

وما ذكره كذلك د. ايفار عندما تحدث عن مظاهر الحضارة المصرية ، فيقول في نهاية كتابه : " كل هذه لن يشهد تاريخ البشرية الثقافي شيئاً واحداً منها إذ يتعذر تحقيقها مرة أخرى . فقد كانت مصر مسرحاً لحضارة ارتفعت حتى كادت تبلغ السماء ولم تعد - حتى وقتنا هذا - إلى الأرض ، ولعلها أعظم حضارة ازدهرت فوق كوكبنا " .^(٣)

ولعل خير ما نختم به هو ما يلي :

" إن ما بقي من هذا التراث الحضارى أشبه برحيق عتيق من فيض تراث عريق لا يزال عبقه يجذب كل عاشق يأتي من كل فج عميق " .

(١) كل هذه المقتطفات ذكرها الكاتب الصحفي نبيل زكى في يوميات الأخبار بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٩٩ م .

(٢) د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر (الجزء الأول العصر الفرعوني) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٨ .

(٣) د. ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة : شاكرا إبراهيم) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٧٤ .

كشاف بأهم أسماء الأعلام

(أ)

(سيدنا) إبراهيم : ٣٠٧ ، ٥٢٨

وحاشية (٢) - ٥٢٩ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ -

٥٣٧ ، ٦٣٤ ، ٦٤٣ ، ٦٥٤ ، ٦٦٨ .

ابشاي : ٢٨٧ .

ابقراط : ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٨٦ ،

٥٩٠ .

أبو رواش : ١٨ ، ١٣٩ .

أبو سمبل : ٦٤ ، ٣٣٢ .

أبو صير : ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٨١ ،

١١٥ ، ١٢٩ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٦٧ ،

٢٣٠ ، ٢٩٣ ، ٤٩٤ ، ٦٨١ .

أبو فيس : ٣٢٢ .

ابيت (معبودة) : ٥٠٩ .

أبيدوس : ٢٦ ، ٣٠ ، (١) ، ٥٩ - ٦٠ ،

٦٤ ، ٦٨ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ - ١٠٦ ،

١٦١ - ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ،

١٩٩ ، ٢٢٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ،

٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ،

٣٦٠ ، ٥٠٠ ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ، ٥٨٠ .

أبي شمو : ٢٨٩ ، ٣٦٢ .

أبيس : ٩٩ ، ٣٥٦ ، ٤٨٥ ، ٤٩٨ -

٥٠٠ ، ٥٠٣ - ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٢٠ ،

٥٤٨ ، ٦٢٤ - ٦٢٥ ، ٦٨٣ .

اتريب : ٦٦ ، ٣٣١ ، ٥٠٨ .

آتوم : ١٤٤ (٢) ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،

٢٦٩ ، ٤٦٧ ، ٤٧٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

أتون : ٣٥ ، ٤٠٣ ، ٤٩٢ ، ٦٣٢ .

اتيت : ٢٣ .

إئت تاوى : ٦١ .

آثينا : ١١٨ (٢) ، ١١٩ ، ٣٣٩ ،

٣٥٢ - ٣٥٥ ، ٤٩٥ ، ٥٠٢ ، ٥١٨ ،

٥٦٣ - ٥٦٤ ، ٥٧١ (١) ، ٥٧٦ ،

٦٠٣ ، ٦١٤ ، ٦٩٩ .

اثناجوراس : ٥٦٦ .

اجاثاركيدس السفودي : ٥٦٥ .

اجيسيلوس : ٣٥٤ - ٣٥٥ ، ٦٩٩ .

أحمس الأول : ٣٢ ، ٥٤ (١) ، ١٥٨ ،

١٦١ ، ٢٦٥ (٤) ، ٣٠٤ ، ٣٢١ ،

٣٢٣ ، ٦٠٢ .

أحمس بن أبانا : ٣٢٣ - ٣٢٤ .

أحمس حتب تمحو : ٤١٣ ، ٤٦١ .

أحمس نفرتارى : ١٦٢ .

إحى : ١٧٧ .

احيرام : ٥٥٠ ، ٦٠٠ .

أخت أتون : ٦٣ ، ٦٥ ، ٣٤٥ .

أخميم : ١٧٧ ، ٢٢٤ ، ٦٨٢ .

إخناتون : ٣٤ - ٣٨ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٤ ،

٩٣ ، ٩٥ ، ١٥٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢ ،

أسوان : ٥٢-٥٣ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٩٦ ،
 ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ ، ٥٠٥ -
 ٥٠٦ ، ٥٨٣ ، ٦٠٨ ، ٦٣٩ ، ٦٨٢ .
 آسيا : ٢٨٩-٢٩٠ ، ٣٠٤-٣٠٦ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٢-٣١٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٣ ،
 ٣٦٢ ، ٤٩١ ، ٥٥٠ ، ٥٨٦ ، ٥٩٠ .
 إسي (قبرص) : ٣٣٩ ، ٣٤١-٣٤٢ ،
 ٣٤٨ .
 أسيوط : ٦٤ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٢٧ ،
 ٢٦٧ ، ٣٣٣ ، ٥٨٩ ، ٦٨٢ .
 آشور : ٢٣٠ ، ٣٩١ ، ٥٠٦ ، ٧٠٠ .
 آشور بانيبال : ٦٣ ، ٥٧٦ ، ٥٩٨ .
 اصطبيل عنتر : ٩٣ .
 اعح حتب : ٢٠٠ ، ٢٦٥ (٤) ، ٥٠٢ .
 افاريس : ٣٢٢-٣٢٣ .
 امازيس : ٤٩٤ ، ٥٧١ .
 أفلاطون : ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥٦ ، ٥٩٤ ،
 ٤٩٩ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٧٣ ، ٥٨٨ ،
 ٥٨٩ ، ٦٢٣ ، ٧٠٣ .
 اقليدوس : ٥٨٢-٥٨٣ .
 أكد : ٥٩٣ .
 الإسكندر الأكبر : ٣٢١ ، ٣٠٨ ، ٣٥٦ ،
 ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٩٥-٤٩٦ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠٣ ، ٥١٠-٥١١ ، ٥١٤ ، ٥٦٥ ،
 ٥٧١ ، ٦٢٢-٦٢٣ ، ٧٠٢ .

٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣١١-٣١٢ ، ٣٧٣ ،
 ٤٩٢ ، ٦٣١ .
 ادفو : ١٤ ، ١٦ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٧ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٥٠٦ ، ٦٨٢ .
 (سيدنا) آدم : ٥٢٨ ، ٥٣٥ .
 اراتو سثينيس : ٣١٧ ، ٥٨١-٥٨٢ .
 ارتا تاما : ٢٩٤ .
 ارتاكسر كسيس الأول : ٥٦٣ .
 ارتاكسر كسيس الثالث : ٣٥٥-٣٥٦ .
 أرسطو : ٢٣٦ حاشية ، ٥٦٩ ،
 ٥٧٣ .
 ارسينوفيس : ٨٩ .
 ارسينوى : ٣٤٣ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ .
 ارشميدس : ٥٨١ ، ٥٨٣ .
 ارمنت : ٥١ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٧٠٩ ،
 ٦٨٢ .
 ارنوبيوس : ٥٦٧ .
 اريستارخوس : ٥٨٠ ، ٥٨١ .
 إسبرطة : ٣٣٩ ، ٣٥٢-٣٥٥ ، ٥١٩ ،
 ٥٦٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٢ .
 اسرحدون : ٥٩٧ .
 اسكليبيوس : ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ،
 ٥١٥ ، ٦٢٥ .
 اسنا : ٥٢ ، ٢٢٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ،
 ٦٨٢ ، ٦٣٩ .

الجنـدل الأول : ٣١٦ ، ٣١٩ - ٣٢٠ ،

٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ،

٥٢٥ ، ٥٦٣ - ٥٦٦ ، ٥٠٦ ، ٦٠٩ .

الجنـدل الثاني : ٧٨ - ٧٩ ، ٢٧٩ ،

٣١٩ - ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٥٢٠ ، ٦٠٩ .

الجنـدل الثالث : ٦٤ ، ٨٤ ، ١٥٧ ،

٣٢٠ - ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٥٢٦ .

الجنـدل الرابع : ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ،

(١) ، ٦١١ .

الجنـدل السادس : ١٥٧ ، ٢٧٩ ، ٣٢٩ ،

(١) ، ٥٢٠ - ٥٢١ .

الـجـيـزة : ٢٤ ، ٢٥ (٣) (٥) ، ٢٧ ،

٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٧ ،

(٢) ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ،

١٧٥ ، ٢٥٨ ، ٣١٥ ، ٥٣٨ ، ٦٥٧ .

الـحـاـونـبـوت : ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ٣٤٣ ،

٣٤٥ .

الـحـيـثـيون : ٩٨ ، ١٩٧ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠ ،

٢٩٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ - ٣١٢ ، ٦٩٨ .

الـدـير البـحـري : ١٧٤ .

الـرـومـان : ٧٩ ، ٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٣٤ ،

حـاشـية ، ٢٧٩ ، ٤٩٦ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ،

٥٤٣ ، ٤٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٨٨ - ٥٨٩ ،

٦١٣ - ٦١٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢٦ - ٦٢٩ ،

٦٣٨ ، ٦٤٤ .

الـاسـكـنـدر الـرابع : ٥٠٥ ، ٥١١ .

الـإسـكـنـدرية : ١١٨ (٢) ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ،

٢٣٢ - ٢٣٦ (حـاشـية) ، ٥٠٠ - ٥٠١ ،

٥٠٦ ، ٥١٥ - ٥١٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٦ -

٥٦٧ ، ٥٧١ - ٥٩٠ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ ،

٦٢٢ ، ٦٢٣ - ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ،

٦٣٠ ، ٦٣٢ - ٦٣٣ ، ٦٣٦ - ٦٣٨ ،

٦٤١ - ٦٤٧ ، ٦٦٠ .

الـأبـيس : ٩٩ - ١٠٠ ، ٦٥٧ .

الـأسـيـويـون : ١٤٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ،

٢٩٥ ، ٢٩٩ - ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ،

٣٤٠ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ،

٤٥٤ ، ٧٠٠ .

الـآشـوريـون : ٦٣ ، ٢٢١ (٣) ، ٥٩٦ ،

٥٩٨ ، ٦١٢ ، ٦٢٠ ، ٦٩٨ .

الـأشـمونـين : ٥٩ ، ٦٤ ، ٢٢٧ ، ٤٠٨ ،

٤٣٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٢ ، ٥٦٨ ، ٦٣٩ ،

٦٥٨ - ٦٥٩ ، ٦٨٢ .

الـأقـصر : ٨١ ، ٩٤ ، ٣٣٨ .

الـأمـوريـون : ٣١١ ، ٣٥٨ .

الـاـوزـوريـون : ٥٦٦ .

الـأنـباط : ٥٤٣ - ٥٤٤ .

الـبـهـنـسا : ٣٣١ ، ٥٢٢ ، ٥٣٨ ، ٦٥٨ .

الـبـونـتيـويـون : ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٧٠ .

الكوم الأحمر : ١٥ ، ١٧ ، ٦٠ ، ٧٨ ،
١٠٢ .

اللابيرانت : ٧٩ ، ١٥٦ .

اللاهون : ٤٩ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٩٥ ، ١٢٤
(٣) ، ١٥٥ ، ١٧٦ (٢) ، ٢٥٤ ، ٤٣١ ،
٣٣٨ ، ٥٢١ ، ٦٨٤ .

الشـ : ٦١ ، ٩٥ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٧٠ ، ٣٨٣ .

الليبيون : ٩٨ ، ١٨٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ -
٣١٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ،
٤١٤ ، ٤٥٤ .

الماميـ : ٥٠٣ .

الميتانيون : ٣٩٤ .

المينويون : ٣٤٩ .

النوبـيون : ١٨٥ ، ٣١٧ ، ٣٤٥ ،
٥٥٤ ، ٥٢٥ .

اليوس جاليوس : ٥٦٥ .

اليونانيون : ٧٩ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٤٣ ،

١٧٨ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ،

٢٧٩ ، ٣٠٧ ، ٣٥١ - ٣٥٦ ، ٣٥٩ ،

٤٣٧ ، ٤٩٦ ، ٥٠٤ ، ٥٤٣ ، ٥٦٠ -

٥٦٢ ، ٦٦٦ ، ٦٧٩ - ٦٧٩ ، ٥٧١ ،

٥٨٩ ، ٥٩٠ - ٥٩١ ، ٥٠٤ ، ٦١٤ ،

٦٢٤ - ٦٢٥ ، ٦٤٨ ، ٦٩٨ - ٦٩٩ ،

٧٠٣ .

السـوريون : ٧٨ ، ٣٤٥ ، ٥٦١ ،
٦٢٤ ، ٦٩٩ - ٧٠٠ .

الطود : ٢٨٦ ، ٣٣٨ .

العبرانيون : ٥٥٠ .

العساسيف : ١٧٤ .

العقرب : ١٧ .

الفرس : ٦٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣٥٣ ،

٣٥٥ - ٣٥٦ ، ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ٥٠٤ ،

٥٦٤ ، ٦٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٣٢ ، ٦٤٢ -

٦٤٣ ، ٦٩٨ - ٦٩٩ .

الفنتين : ٥٢ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٣١٩ ، ٣٥٩ ،

٣٧٧ ، ٥٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٦٧ ، ٦٢٨ ،

٦٣٢ ، ٦٥٩ - ٦٦٠ .

الفنكس : ٤٦٧ ، ٤٨٩ .

الفينيقيون : ٣٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ،

٦٢٤ ، ٦٩٩ .

الفـيوم : ٣٠ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ،

٧٩ ، ٨٢ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ٢٧١ ،

٥٠٠ ، ٥٠٣ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ (٣) ،

٦٣٦ ، ٦٥٨ ، ٦٨٣ .

القدس : ٣٠٦ .

القوصية : ٦٤ .

الـكـاب : ٩١ ، ١١٦ ، ١٥٧ ، ٣٢٣ ،

٥٠٨ .

الكفتيو : ٤١٩ ، ٤٤٧ .

الكوشيون : ٣٠٦ ، ٣٥٣ .

أمنحات الثالث: ٣٠، ٧٧، ٨٢، ٩٥،

١٥٦، ٢٨٤-٢٨٥، ٢٨٩-٢٩٢،

٣٠٢، ٣٢١، ٣٦٢، ٤٩٢، ٦٠٠،

أمنحات الرابع: ٨٢، ١٥٧، ٢٨٥،

٢٨٩، ٢٩١-٢٩٢، ٦٠٠،

أمنحات سرر: ١٧٢،

أمنويات (حكيم): ١٩٩، ٢١٠،

٢١١، ٢١٥، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٧٥،

٥٥٠،

أمنويات (ضابط): ٢٧٢،

أمن-نخت: ٢٠٨-٢٠٩،

أمورو: ٢٩٢،

أمون: ٥٤ (١)، ٦٢، ٨٢-٨٤،

٨٧، ٩٢-٩٧، ١٤٤ (٢)، ٢٧٠،

٣٠٦-٣٠٧، ٣٢٩-٣٣٠، ٣٣٤،

٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٦٢-٣٦٣،

٣٩١-٣٩٣، ٣٩٦-٣٩٧، ٣٩٩،

٤٠٢-٤٠٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٧-٤٣٨،

٤٣٨، ٤٤١، ٤٦٠-٤٦٣، ٤٧٣،

٤٨٨، ٤٩٦ (١)، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٠٨،

٥١٠-٥١٤، ٥١٨-٥٢٢، ٥٢٤،

٥٢٦، ٦٢٣، ٦٣٢، ٧٠٠،

أمون مس: ٥٧، ٣٣٦، ٤٠٤-٤١٤،

٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤-٤٢٥، ٤٣٤،

٤٥٨،

أمني: ٣١٧، ٣٢٠،

أمازي: ٨٩، ٩٩، ٣٣٢، ٣٥٣،

٦٩٨،

أمنت: ١٦٠،

أمنحتب الأول: ٨٥، ٩٤، ٩٥-٩٦،

١٤٥، ١٥٨، ٢٠٠، ٣٠٤، ٣٢٤،

أمنحتب الثاني: ٣٨، ٨٤، ٩٣، ٩٦،

١٥٩، ٢٢٨، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٣٩،

٣٤٢، ٣٤٧، ٣٧٢، ٤١٩ (٣)،

٤٢١، ٥١٨، ٧٠٠ (٢)،

أمنحتب الثالث: ٣٣-٣٤، ٤٧، ٥٧،

٦٢، ٦٤، ٧٢، ٨٣-٨٥، ٨٩، ٩٥،

٩٧، ١٥٩، ١٧٢، ١٨٥، ٢٣٠،

٢٤٦ (١)، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٩٢،

٢٩٥، ٣١١، ٣٢٧، ٣٣٩، ٣٤٢،

٣٥٠، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٣، ٤١٤،

٤٢٢-٤٢٣، ٤٦٢، ٤٧٣، ٥٠٢،

٥٠٣، ٥١٣-٥١٤، ٦٠٤،

أمنحتب الرابع: ٣٢٧، ٣٤٥،

أمنحتب بن حابو: ٣٤، ٣٩، ٥٧،

٩٧، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٧٥، ٢٧٧،

أمنحات الأول: ٦١، ٧٠، ٧٨، ٩٥،

١٥٥، ١٧٠، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٧٤،

٣٠١-٣٠٢، ٣١٣، ٣١٩-٣٢٠،

أمنحات الثاني: ٣٠، ٩٥، ١٥٦،

٢٨٦، ٣٣٨، ٣٨٦، ٣٨٨،

انتف إقر : ٣٨٤ - ٣٨٢ .
 انحر خعو : ١٨٣ ، ١٧٩ .
 أنوبيس : ٩٦ ، ١٦٠ ، ٤٤٤ ، ٤٦٧ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ - ٥٠١ .
 أنوريس : ١٧٩ .
 أنى (حكيم) : ١٩٨ ، ٢١١ - ٢١٢ ،
 ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٧٥ .
 أنيوتف الأول : ١٥٤ .
 أنيوتف الثانى : ١٥٤ .
 أنيوتف الثالث : ١٥٤ .
 إنينى : ٥٧ ، ٧٦ ، ١٥٨ ، ١٧٢ .
 انناسيا : ٦٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٧ ، ٦٨٢ .
 اوجاريت : ٢٢١ (٣) ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ .
 أوزير : ٥٨ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٦ ،
 ٩٨ - ٩٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٨٦ - ١٨٧ ،
 ٢١٣ - ٢١٤ ، ٢٦٩ ، ٣٠٩ ، ٣٧٩ ،
 ٤١١ (٥) ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ٤٤٦ ،
 ٤٩٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ - ٥٠١ ،
 ٥٠٥ ، ٥١٧ (١) ، ٥٢٣ ، ٥٤٨ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٧ - ٥٦٩ ، ٦١١ ، ٦١٤ ، ٦٢٤ -
 ٦٢٥ .
 اوسركون الثالث : ٣٣٠ ، ٥٢٠ - ٥٢٢ .
 اوكتافيان : ٦٢٦ - ٦٢٧ .
 اوكسیر نخوس : ٥٧٩ .
 اونوت : ٤٨٩ (١) .
 آى : ٣٥ ، ٩٧ ، ١٥٩ .
 ايبوت : ١٥٣ .
 ايبوور : ٣٤٠ .
 ايدوكس : ٢١٩ ، ٥٦٩ .
 ايزيس (معبودة) : ٨٩ ، ٩١ ، ١٣٨ ،
 ١٤٤ (٢) ، ١٧٧ ، ٤٨٩ (١) ، ٤٩٧ ،
 ٥٠٠ ، ٥٠١ - ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٥ -
 ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ، ٥٩٧ ،
 ٦٠٠ ، ٦١٣ - ٦١٤ ، ٦٢٤ ، ٦٢٧ -
 ٦٢٨ .
 ايزيس (ملكة) : ١٦١ .
 ايمحوتب : ٥٧ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١٠٧ -
 ١٠٨ ، ١١٣ ، ٢١٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ (١) ،
 ٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ .
 (سيدنا) أيوب : ٥٣٦ .
 ايونو : ٦٠ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠٧ ،
 ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٧ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٣٥٤ ،
 ٤١١ (٣) ، ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ .
 (ب)
 بابل : ١١٨ (٢) ، ١٨٧ ، ٢٣٠ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩١ - ٣٤٨ ، ٤٩٦ (١) ، ٥٦٨ ،
 ٧٠٠ .
 بارع : ٢٠٥ .
 باستت : ٤٨٩ (١) ، ٥٠١ .
 باك ان رن إف : ٤٣١ .
 باو إف رع : ١٤٩ .

انتف إقر : ٣٨٤ - ٣٨٢ .
 انحر خعو : ١٨٣ ، ١٧٩ .
 أنوبيس : ٩٦ ، ١٦٠ ، ٤٤٤ ، ٤٦٧ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ - ٥٠١ .
 أنوريس : ١٧٩ .
 أنى (حكيم) : ١٩٨ ، ٢١١ - ٢١٢ ،
 ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٧٥ .
 أنيوتف الأول : ١٥٤ .
 أنيوتف الثانى : ١٥٤ .
 أنيوتف الثالث : ١٥٤ .
 إنينى : ٥٧ ، ٧٦ ، ١٥٨ ، ١٧٢ .
 انناسيا : ٦٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٧ ، ٦٨٢ .
 اوجاريت : ٢٢١ (٣) ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ .
 أوزير : ٥٨ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٦ ،
 ٩٨ - ٩٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٨٦ - ١٨٧ ،
 ٢١٣ - ٢١٤ ، ٢٦٩ ، ٣٠٩ ، ٣٧٩ ،
 ٤١١ (٥) ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ٤٤٦ ،
 ٤٩٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ - ٥٠١ ،
 ٥٠٥ ، ٥١٧ (١) ، ٥٢٣ ، ٥٤٨ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٧ - ٥٦٩ ، ٦١١ ، ٦١٤ ، ٦٢٤ -
 ٦٢٥ .
 اوسركون الثالث : ٣٣٠ ، ٥٢٠ - ٥٢٢ .
 اوكتافيان : ٦٢٦ - ٦٢٧ .
 اوكسیر نخوس : ٥٧٩ .
 اونوت : ٤٨٩ (١) .
 آى : ٣٥ ، ٩٧ ، ١٥٩ .

٥٠٩ (٢)، ٥١٠، ٥٤٨، ٤٧٤، ٤٧٦،

٤٨٣، ٦٢٥، ٦٥٨ .

بطلميوس الثالث : ٨٧، ٢٣٣-٢٣٤

حاشية، ٥٠٥-٥٠٦، ٥١١، ٥١٦،

٥٧٦، ٥٨٣-٥٨٥، ٦٢٥ .

بطلميوس الرابع : ٨٧-٨٩، ٥٠١،

٥٠٣، ٥٠٥-٥٠٦، ٥١١، ٥١٤،

٦٢٦ .

بطلميوس الخامس : ٨٨، ٥٠٦،

٥١١، ٥١٣-٥١٤ .

بطلميوس السادس : ٨٨-٩٠، ٤٣٥،

٤٨٦، ٥٠١، ٥٠٨، ٥١١، ٥٤٩ .

بطلميوس السابع : ٩١، ٥٠٨، ٥١١ .

بطلميوس الثامن : ٨٥، ٨٨-٨٩،

٤٥٠، ٤٥٤، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١١،

٥٧٣، ٥٧٥ .

بطلميوس التاسع : ٦٣، ٨٩، ٤٥١،

٥٠٨، ٥١١ .

بطلميوس العاشر : ٥٠٨-٥٠٩،

٥١١ .

بطلميوس الحادي عشر : ٩١، ٤٤٣،

(٦) - ٤٤٤، ٥٠٩، ٥١٢ .

بطلميوس الثاني عشر : ٨٩-٩٠،

٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٢، ٦٢٥ .

بطلميوس الخامس عشر : ٨٩ .

بلور جنت : ٣٧٦ .

بتاح : ٣٢ (٢)، ٥٤ (١)، ٩٢-٩٣،

٩٨، ١٤٤ (٢)، ٣٥٧، ٣٨٧، ٤٩٨-

٤٩٩، ٥٠٢-٥٠٣، ٥٠٩، ٥٠٨،

٥١١-٥١٤، ٥٢٢، ٥٤٦، ٦١١ .

بتاح حطب : ١٦٧، ١٩٧، ٢١١،

٢١٥، ٢٤١-٢٤٢، ٢٧٥ .

بتاح شبسى : ٢٠٠ .

بيثوم : ٥٠٣، ٥٠٥-٥٠٦، ٥١٤ .

بخت (معبودة) : ٩٣ .

بر رعمس : ٦٥ .

برقه : ٥٨٨ .

بس (معبود) : ١٧٨، ٤٥٢، ٤٦٧،

٥٠١، ٥٠٢ .

بسماتيك الأول : ٩٩، ٣٥٢، ٣٥٩،

٤٣١، ٥٦٢، ٦٩٨ .

بسماتيك الثاني : ٣٣٢، ٣٥٣، ٣٥٨

- ٣٥٩ .

بسوسينس : ١٦١ .

بطلميوس الأول : ١٠٠، ١١٨ (٢)،

٢٢١، ٢٢٧ حاشية، ٤٩٧-٤٩٨،

٥٠٥، ٥١٠، ٥٧١، ٥٧٤، ٥٨٢،

٦٢٢-٦٢٣، ٦٣٦ .

بطلميوس الثاني : ٨٥، ٨٩، ١١٨،

(٢)، ٢٣٣ حاشية، ٢٤٣، ٤٣٥، ٤٦٤،

٤٨٦، ٥٠٢-٥٠٣، ٥٠٥-٥٠٦،

بنى حسن : ٩٣ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٨٧ ،
٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٥٠٥ ، ٦٥١ ،
٦٩١ .

بهييت الحجر : ٥٠٤ .

بوسطه : ٦٤ ، ٣٣١ ، ٣٥٦ ، ٣٦١ ،
٣٦٣ ، ٦٨٢ .

بوتا سيمتو : ٣٣٢ ، ٣٥٣ .

بوتو : ٦٠ ، ١٨٣ ، ٥٠٤ ، ٦٨٢ .

بودو هيات : ٢٩٣ .

بوزيريس : ٦٠ ، ٣٤٢ .

بوغاز كوى : ٢٩٢ .

بوهن : ٧٩ ، ٩٥ ، ٣٢٦ ، ٥٢٠ ،
٥٥٣ .

بويمرع : ١٧٢ ، ٤٧٦ (٥) .

بيبلوس : ٢٨٩ ، ٣٦٣ ، ٢٨٠ ،
٤٩١ - ٤٩٢ ، ٦٠٠ ، ٧٠١ .

بيبى الاول : ٢٧ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ١٥٣ ،
٢٠٥ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ٤٩١ ،
٦١٥ .

بيبى الثانى : ٩٥ ، ١٥٤ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ ،
٣٧٧ ، ٤٩١ .

بيبى نخت : ٣٧٧ .

بيتا جوراس : ١٧٩ ، ٢١٩ ، ٥٦٩ .

بيتو زيريس : ٤٣٤ ، ٤٦٦ .

بيثوم : ٥٠٣ - ٥٠٥ .

بعنقى : ١٥٧ ، ٣٣٠ - ٣٣١ ، ٣٤٦ ،
٤٣٠ ، ٥٢١ - ٥٢٢ .

بلاد النوبة : ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ،
٩٢ ، ٣١٥ - ٣١٧ ، ٣١٩ - ٣٢١ ، ٣٢٥ ،
٣٢٩ - ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ -
٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٧٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ،
٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،
٦١٠ - ٦١١ ، ٦١٤ ، ٦٥٠ ، ٦٥٦ .

بلاد اليونان : ٢١٩ ، ٣٣٩ ، ٤٩٦ ،
٥١٦ ، ٥١٨ - ٥١٩ ، ٥٦١ - ٥٦٢ ،
٥٧٠ - ٥٧٢ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ ، ٦١٤ ،
٧٠٢ .

بلاد بونت : ٣٢ ، ٩٦ ، ٢٥٧ ، ٣٦١ ،
٣٦٥ - ٤٩٠ ، ٧٠٠ .

بلاد كفتيو : ٣٣٩ - ٣٤٣ ، ٣٤٧ -
٣٤٨ .

بلوتارخ : ٢٠١ ، ٢٣٤ حاشية ، ٤٩٧ ،
٥٦٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧٧ ، ٦١٤ ، ٧٠٣ .

بلوزيوم : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

بلينى : ٤٧٧ (٢) - ٤٧٨ حاشية ،
٥٦٦ .

بنقاوره : ١٩٧ ، ٢٥٧ ، ٤٩٢ .

بنى اسرائيل : ٥٣١ - ٥٣٢ ، ٥٣٥ -
٥٣٦ .

تحتمس الرابع : ٧١ ، ٩٦ ، ١٤٢ ،
 ١٤٤ ، ١٤٧-١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ،
 ٢٩٤ ، ٣٢٧ ، ٤٢١ .
 تحتى (معبود) : ٤٠ (١) ، ٧٧ ،
 ٩٢ ، ٩٨-١٠٠ ، ٢٠٢-٢٠٥ ، ٢١٤ ،
 ٢٣١ ، ٢٦٦-٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٨١ ،
 ٤٠٥-٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٦٣ ، ٤٨٩ ،
 ٥٠٢ ، ٥٠٩ ، ٥١٨-٥٢١ ، ٧٠٢ .
 تحتى حنب : ٢٨٨ .
 تراجان : ٩٠ ، ٣٦٤ .
 تف نخت : ٣٣٠ - ٣٣١ .
 تفوت : ٤٣٣ ، ٤٦٣ ، ٤٨٩-٤٩٠ .
 (٣) .
 تل العمارنة : ٣٤-٣٦ ، ٣٩ ، ٥٩ ،
 ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٢-٧٤ ، ١٧٦ (٢) ، ١٨٩ ،
 ٢٢٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٤٥ ، ٣٧٣ ،
 ٥٤٩ ، ٦٥٧ .
 تمثالى ممنون : ٥٦٦ .
 تمى الأمديد : ٦٤ .
 تنبؤات نفرزوهو (أو نفرتى) :
 ١٩٩ ، ٢٦٨ .
 توت عنخ آمون : ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٧ ،
 ٤٩ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ١١١ ، ١٥٩ ، ٢٠٥ ،
 ٢٦٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ،
 ٤٢١ (٤) ، ٤٨٦-٤٨٧ (١) ، ٦٠٠ (٣) ،
 ٦٥٧ ، ٦٩١ .

(ت)

تادو هيبا : ٢٩٥ .
 تأملات خع خبر رع سنب : ١٩٩ ،
 ٢٧٥ .
 تا-نثر : ٣٧٩-٣٨٠ ، ٣٨٣-٣٨٤ ،
 (حاشية) ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩-٤١٢ ،
 ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ،
 ٤٣٩-٤٤١ ، ٤٤٣-٤٤٩ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٧-٤٩٠ .
 تانوت آمون : ٣٣٢ ، ٤٣١ ، ٦١١ .
 تانيس : ٦٤ ، ٧١ ، ١٦١ ، ٣٣٢ ،
 ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٥٠٥ ، ٦٥٧ .
 تاورت : ٤٠١ - ٤٠٢ ، ٥٠٢ ، ٦٠٢ .
 تحتمس الأول : ٥٧ ، ٨٥ ، ٩٦ ،
 ١٥٨ ، ٣٠٤ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٥٠٤ .
 تحتمس الثانى : ٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥ -
 ٣٢٦ .
 تحتمس الثالث : ٣١ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ،
 ٧٩ ، ٨٤-٨٦ ، ٩٠ ، ٩٣-٩٦ ، ١٥٩ ،
 ١٧٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٣-٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ،
 ٣٧٢ ، ٤١٤-٤٢٠ ، ٤٦١-٤٦٢ ،
 ٤٧٣ ، ٤٧٦ (٥) ، ٥٠٥ ، ٥٤٠ .

جـبـل : ٢٨٣-٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩،
٢٩٢، ٣٠٠، ٣٠٥-٣٠٦، ٣٦٠-
٣٦٣، ٣٧٧-٣٧٨، ٤٨٣، ٤٩١،
٥٤١، ٥٤٩ .

جـت (أو واجى) : ١٠٦ .

جـنـف حـور : ١٤٩ .

جـنـف رـع : ٢٧، ٩٥، ١٣٩،
٦٠٧ .

جـد كـار ع اسيسى : ١٥٣، ٢٩٨،
٣٧٦، ٦٠٧ .

جـر : ٢٩٥، ٣١٣، ٣١٩، ٣٣٧ .

جـسـر : ٢٢، ٥٧، ٩٤، ١٠٧، ١٠٩-
١١١، ١١٤-١١٥، ١٢٧، ١٦٥،

٢٧٤، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٦٠، ٦١٧ .

جـلـجـامـش : ٥٩٤ .

جـم آتـون : ٦٤ .

جـيـلـو هـيـيا : ٢٩٤-٢٩٥ .

(ح)

حـاتـشـبـسـوت : ٣٢، ٥٧، ٧٩، ٨٥-
٨٦، ٩٠، ٩٣-٩٦، ١٨٥، ٢٦٧،

٣٠٤، ٣٢٦، ٣٧٢، ٣٨٤ (حاشية)،
٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٥-٣٩٦، ٣٩٩،

٤٠٣-٤١٤، ٤١٦، ٤٢١، ٤٦١،
٤٧١-٤٧٢، ٤٧٨، ٥٠٢-٥٠٣،

٥١٣، ٥٤٠ .

حـات مـحـيـت : ٤٨٩ (١) .

تـوشـر اـتا : ٢٩٢ .

تـوشـكى : ٦٠٧-٦١١، ٧٠٣ .

تـومـبـوس : ٣٢٤ - ٣٢٥ .

تـونا الجـبـل : ٩٩-١٠٠، ٥٢٠، ٦٥٧-
٦٨٨ .

٦٥٨-٦٨٨ .

تـونـيـب : ٣٠٥ .

تـى (ملكة) : ٣٣-٣٤، ٤٧، ١٦١،
١٦٧، ٢٦٩، ٢٩٢، ٣٣٩ .

تـيـتـوس : ٥١٦ .

تـيـتى (ملك) : ٩٥، ١٥٣، ٣٧٦ .

تـيـتى شـرى : ١٦٢ .

تـيـشـوب : ٥٩٩ .

تـيـوس : ٣٥٦ - ٣٥٥، ٦٩٩ .

(ث)

ثـارـو : ٧٨ .

ثـتى : ٣٧٨ .

ثـيو دوسيس : ٢٣٥ - ٢٣٦ حاشية .

(ج)

جـامـبـليـك : ٥٦٦، ٥٦٨ .

جـب : ١٥٠، ٢٦٥، ٣٧٩، ٤٨٩ .

جـبـل السـلـسـلة : ٢٥٧ .

جـبـل العـركـى : ١٧، ٥٩٣ .

جـبـل بـرـقـل : ١٥٧، ٣٢٦، ٣٣٠،
٥٢٠-٥٢١، ٥٢٣، ٦١١ .

جـبـلـين : ٥٢-٥٣، ١٧١، ٣٠١ .

حاربوقراتس : ٤٩٧ - ٥٠٦ .
 حطب حرس : ٤٧ ، ١١٧ ، ١٣٨ ،
 ٦٥٧ ، ٦١٦ .
 حتحور : ٢٦ ، ٣٢ (٢) ، ٤٩ ، ٥٨ ،
 ٨٩-٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٤٤ (٢) ، ١٦٠ ،
 ١٧٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٦-٣٩٧ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦-٤٤٨ ،
 ٤٥٠-٤٥٣ ، ٤٦٢-٤٦٣ ، ٤٦٦-٤٦٧ ،
 ٤٨٨-٤٨٩ ، ٥٠٧-٥٠٩ ، ٥٢٠ ،
 ٥٩٦ ، ٦١٣ ، ٦٢٨ ، ٧٠١ .
 حجر بالرمو : ٨١ ، ٢٢٩ ، ٣٩٥ ،
 ٣٦٠ ، ٣٧٥-٣٧٦ .
 حجر رشيد : ٥٠٦ ، ٥١٣ - ٥١٤ .
 خرخوف : ٦٩ .
 حريحور : ٨٤ ، ٣٠٦ .
 حسي رع : ٢٢ ، ٤٦ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ،
 ٢٠٥ .
 حضارة البداري : ١٥ ، ١٨ ، ١٠٢ ،
 ٦١١ .
 حضارة المعادي : ٤٥ .
 حضارة دير تاسا : ١٥ .
 حضارة مرمدة بني سلامة : ٦٧ ،
 ١٠٢ .
 حضارة نقادة : ١٥-١٦ ، ٤٥ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦-٥٩٢ .
 حعبي : ٤٢٩ ، ٤٣٦-٤٣٧ .

حعبي جفای : ٢٠٠ .
 حلب : ٢٥٨ ، ٥٩٤ ، ٦٠١ .
 حلوان : ١٦ ، ٥٣ ، ١٠٣ ، ١٦٣ .
 حم ايونو : ٥٧ ، ١٣٠ ، ١٦٦ .
 حماكا : ١٦٣ .
 حماه : ٣٠٥ .
 حمص : ٢٨٦ .
 حنوت سن : ١٣٨ .
 حننو : ٣٨٠ .
 حور آختي : ١٤٢-١٤٥ ، ١٤٧-١٤٩ .
 حورس : ٨٢ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٤١ ،
 ١٤٤ ، ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٦٧ ، ٣٤٣-
 ٣٤٦ ، ٣٨١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٣٣ ،
 ٤٤١ ، ٤٤٤-٤٤٥ ، ٤٤٦ (٧) ، ٤٤٧ ،
 ٤٤٨-٤٥٠ ، ٤٥١-٤٥٥ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٦ ، ٤٥٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٥٠٠-
 ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧-٥١٠ ، ٥١٩ ،
 ٥٢٢ ، ٥٦٦ ، ٥٩٤ ، ٥٩٩ ، ٦٢٥ ،
 ٦٢٨-٦٢٩ .
 حور عجا : ١٠٦ .
 حور محب : ٣٥ ، ٣٧-٣٨ ، ٨٥-٨٦ ،
 ٩٢-٩٣ ، ٩٧ ، ١٥٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ،
 ٣٧٣ ، ٤٢٤ ، ٦٥١ .
 حورون : ١٤٥ (٣) ، ١٤٦ .
 حوري : ٢٠٩ .

حاربوقراتس : ٤٩٧ - ٥٠٦ .
 حطب حرس : ٤٧ ، ١١٧ ، ١٣٨ ،
 ٦٥٧ ، ٦١٦ .
 حتحور : ٢٦ ، ٣٢ (٢) ، ٤٩ ، ٥٨ ،
 ٨٩-٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٤٤ (٢) ، ١٦٠ ،
 ١٧٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٦-٣٩٧ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦-٤٤٨ ،
 ٤٥٠-٤٥٣ ، ٤٦٢-٤٦٣ ، ٤٦٦-٤٦٧ ،
 ٤٨٨-٤٨٩ ، ٥٠٧-٥٠٩ ، ٥٢٠ ،
 ٥٩٦ ، ٦١٣ ، ٦٢٨ ، ٧٠١ .
 حجر بالرمو : ٨١ ، ٢٢٩ ، ٣٩٥ ،
 ٣٦٠ ، ٣٧٥-٣٧٦ .
 حجر رشيد : ٥٠٦ ، ٥١٣ - ٥١٤ .
 خرخوف : ٦٩ .
 حريحور : ٨٤ ، ٣٠٦ .
 حسي رع : ٢٢ ، ٤٦ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ،
 ٢٠٥ .
 حضارة البداري : ١٥ ، ١٨ ، ١٠٢ ،
 ٦١١ .
 حضارة المعادي : ٤٥ .
 حضارة دير تاسا : ١٥ .
 حضارة مرمدة بني سلامة : ٦٧ ،
 ١٠٢ .
 حضارة نقادة : ١٥-١٦ ، ٤٥ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦-٥٩٢ .
 حعبي : ٤٢٩ ، ٤٣٦-٤٣٧ .

خنوم حنّب الثاني : ٢٨٧ - ٢٨٨ ،

٣٠١ .

خورسباد : ٥٩٧ ، ٥٩٥ .

خوزياش الثاني : ٢٩٠ ، ٣١٠ .

خوفسو : ٢٦-٢٨ (٣) ، ٦٩ ، ٨٠ ،

٩٥ ، ١١٧-١١٩ ، ١٢٦-١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢-١٣٣ (٣) ، ١٣٤-١٣٧ (٢) ، ١٣٧ -

١٣٩ (١) ، ١٤٠ ، ١٤٥ (٣) ، ١٩٩ ،

٢٠٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، ٣١٥ ، ٣٦١ ،

٣٧٥ ، ٦٠٧ ، ٦٥٨ .

خونسو : ٨٣-٨٤ ، ٨٧ ، ٣١٠ ،

٥٠٣ - ٥٠٤ ، ٦٢٨ .

خوى : ٣٧٧ .

خيان : ٣٣٨ .

خيّتا : ٢٥٧ ، ٢٩٠-٢٩٢ ، ٢٩٥ ،

٣١١-٣١٢ ، ٧٠٠ .

خيتى : ٢٠٠ .

خيتى الثالث (أو الرابع) : ١٩٧ ،

٢٧٤ ، ٣٠٠ ، ٣٦٢ .

خيتى بن دواو إف : ١٩٨ ، ٢٠٦ ،

٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٧٥ .

(د)

دارا الأول : ٨٧ ، ٣٠٨ ، ٣٥٩ ،

٣٦٣ ، ٤٩٤ ، ٥٤٩ ، ٥٩٢ .

(سيدنا) داود : ٤٩١ ، ٥٣٧ .

ددون (معبود) : ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ .

حورى مين : ٢٠٨ .

حونى : ٩٥ ، ١١٦ .

حوى : ٣٢٧ - ٣٢٨ .

حيتى : ٤٦٧ .

(خ)

خاتوسيل : ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣١١ .

خبرى : ١٤٧ .

خرو إف : ١٨٥ .

خع با : ١١٥ .

خع باوسكر : ١٦٥ .

خع سخموى : ٨٠-٨١ ، ١٠٥ ،

١٤١-١٤٢ ، ٢٨٣ .

خع نفر - سبك حنّب : ٢٦٩ .

خفرع : ٢٦ ، ٦٩ ، ٩٥ ، ١٣١ ،

١٣٣ (١) ، ١٤٠-١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

(٣) ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ٢٨٣ .

خنكاوس : ٦٤ ، ١٥٢ .

خنّتى امنّتى : ٨١ .

خنّتى ختى ور : ٣٨٨ .

خنجر : ١٥٧ .

خنمت نفر حجت : ٢٨٦ .

خنوم : ٨٩ ، ٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ،

٥٢٠ ، ٦٢٥ ، ٦٢٨ .

خنوم ايّب رع : ١٠٨ .

خنوم حنّب : ٣٧٧ - ٣٧٨ .

رخمى رع : ٣٣ ، ٧٦ ، ١٧٢-١٧٣ ،
 ١٨١ ، ١٩٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٩ ، ٣٧٢ ، ٤١٨-٤١٩ ، ٦١٥-
 ٦١٦ ، ٦٩٠ .

رشبو : ٤٩٢ .

رشف : ٥٩٧ .

رع : ٣٩ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١١١ ، ١١٧ ،
 ١٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٤٦ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ،
 ٤٠٦ ، ٤٠٨-٤٠٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤-
 ٤٤٥ ، ٤٥١-٤٥٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ،
 ٤٦٨ ، ٤٧٨-٤٨٩ ، ٥٠٢ ، ٥١٠-
 ٥١٣ ، ٥٢١ .

رع حتب : ٢٦ ، ١٦٦ .

رع حور آختى : ٨٤ ، ٩٢-٩٣ ،
 ٩٦ ، ٩٨ .

رع موسى : ٣٣ ، ١٧٢ ، ٦٩٢ .

رع ور : ١٦٧ .

رمسيس الأول : ٨٥ ، ٩٧-٩٨ ، ٢٠٥ ،
 ٣٢٨ .

رمسيس الثانى : ٣٧ ، ٣٩ ، ٦٤ ، ٧٢ ،
 ٧٣-٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥-٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ،
 ٩٨-٩٩ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢-٢٩٣ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣١١-٣١٤ ، ٣٢٨ ،
 ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥-٣٤٦ ، ٣٤٨ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٤٢٥ ، ٤٦٢ .

دراع أبو النجا : ١٥٧-١٥٨ ، ١٧٤ .

دفنه : ٣٥٢ .

دندرة : ١١ ، ١٧١ ، ٢٦٨ ، ٤٤٦-
 ٤٤٧ ، ٤٥٢ .

دهشور : ٤٩ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ١٢٤ ،

(٣) ، ١٢٩ ، (١) ١٣١ ، (٣) ١٣٦ ،

١٥٥-١٥٧ ، ١٦٩ ، ٣٠٢ .

دوميسيان : ٤٣٨ ، ٥١٧ ، ٦٢٩ .

دير البرشا : ٧١ ، ١٧٠ .

دير الجبراوى : ١٧١ .

دير المدينة : ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٩٠ ،

١٥٢ ، ١٧٦-١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦-١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٥١٧ ،

٦٥١ .

دير تاسا : ١٥ .

دير ريفا : ١٧٠ .

ديموقراط : ٥٦٢ .

ديودور الصقلى : ٦٧ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ،

١٥٦ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ،

٣٥٤ ، ٥٦٥-٥٦٦ ، ٦١٣ ، ٦٩٩ ،

٧٠٣ .

(ر)

رأس الشمر : ٢٢١ (٣) ، ٢٨٦-٢٨٧ ،

٥٤٣ .

ربعدى : ٢٩٢ ، ٣٠٥ .

رتنو : ٢٨٤-٢٨٥ ، ٣٤٧-٣٤٨ .

ساحورع : ١٥٢-١٥٣، ٢٩٣،

٢٩٨، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٩، ٣٧٥،

٤٩٤، ٦٠٧ .

سارنيوت : ١٧٠ .

ساو : ٣٨٥ حاشية، ٣٨٩، ٤٢١،

٤٣٦ .

ساي : ٤٥٣ .

سايس : ٦٠، ٦٤، ١٦١، ١٧٣،

١٨٣، ٢٠١، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٨،

٣٣٠، ٣٥٢، ٣٥٩، ٤٣٢، ٤٩٣-

٤٩٥، ٥٠٣، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧١،

٦٨٣، ٧٠١ .

سبدو : ٤٩٢ .

سبك : ٨٢، ٩٠، ٥٠١، ٥٠٣،

٥٠٧ .

سبك حتب الثالث : ٢٩٠ .

سبك خوفو : ٣٠٢ .

سبك نفرو : ١٥٧ .

سبيلو ليوما : ٣١٠ - ٣١١ .

ست (معبود) : ٣٢(٢)، ١٨٧،

٢٠٣، ٤٩٠، ٥٦٧ .

سترابون : ٦٠، ١٥٦، ٢٠٠، ٢١٧،

٥٦٤-٥٦٥، ٥٧٧، ٦١٣، ٧٠٣ .

سخت (معبودة) : ٤٤٢، ٤٨٩(١) .

سخم خت : ١١٥، ٢٩٧، ٦٥٧ .

٤٨٧، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥١٣، ٥٤٩،

٦٠١، ٦٥١ .

رمسيس الثالث : ٣٧-٣٨، ٧٣، ٧٦،

٨٤، ٨٦، ٩٨، ١٥٩، ١٦١، ١٧٧،

٢٠٨-٢٠٩، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٤٢،

٣٥١، ٣٥٨-٣٥٩، ٣٧٣، ٤٢٣،

حاشية، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٦١-٤٦٢،

٤٧٣، ٤٩٢، ٥٩٨ .

رمسيس الرابع : ١٧٧، ٢٧٠ .

رمسيس السادس : ٣٤٢ .

رمسيس السابع : ٤٢٩ .

رمسيس التاسع : ١٠٨، ١٥٩ .

رمسيس العاشر : ٢٠٩ .

رمسيس الحادي عشر : ٣٠٦ .

رنوت (معبودة) : ٨٢ .

رن وي (معبود) : ٤٦٣، ٤٨٩ .

(ز)

زاوية الأموات : ١١٦ .

زاوية العريان : ١١٥ .

زيد ايل : ٤٣٥ - ٤٣٦، ٤٦٤،

٤٨٦، ٥٤٧ .

(س)

ساتيس : ٤٥٤، ٤٨٩(١)، ٥٢٠،

٦٢٨ .

سنفرو : ٦٩ ، ٩٥ ، ١١٦-١١٧ (١) ،
 ١٣٢ (١) ، ١٣٦ (٣) ، ١٦٥-١٦٦ ،
 ٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٣١٣ ، ٣١٩ ، ٣٦٠ .
 سنموت : ٥٧ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ٢٦٧ ،
 ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ .
 سنوسرت الأول : ٣٠ ، ٥٧ ، ٨٢ ،
 ٨٥ ، ٩٤-٩٥ ، ١٥٥ ، ١٦٩-١٧٠ ،
 ٢٠٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥-٢٨٦ ، ٣١٣ ،
 ٣١٩-٣٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٢-٣٦٣ ،
 ٣٨١-٣٨٣ ، ٣٨٥ حاشية ، ٤١٥ (٣) .
 سنوسرت الثاني : ٤٩ ، ٦٤-٦٥ ، ٧١ ،
 ٩٥ ، ١٢٤ (٣) ، ١٥٥ ، ١٧٦ (٢) ،
 ٢٨٦-٢٨٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٨ ، ٦٠٢ .
 سنوسرت الثالث : ٣٠ ، ٩٤-٩٥ ،
 ١٢٤ (٣) ، ١٥٥ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢١-٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٦٢-٣٦٣ .
 سنوسرت عنخ : ٥٧ ، ١٧٠ ، ٢٨٧-
 ٢٨٩ .
 سنوهي : ٤١٥ (٣) .
 سوبدت : ٤٤٧ ، ٤٦٤ .
 سوريا : ٥٢ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٧-٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
 ٣٠٣-٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١-٣١٢ ،
 ٣٤٧-٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،
 ٣٨٣ (٦) ، ٣٨٤ (حاشية) ، ٤١٨ (٢) ،
 ٤٣٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢-٤٨٣ ،

سرابيس (معبود) : ٢٣٣ حاشية ،
 ٤٣٧ ، ٤٩٧-٤٩٨ ، ٥٠٠-٥٠١ ،
 ٥١٧-٥١٨ ، ٦٢٤-٦٢٥ ، ٦٢٨-
 ٦٢٩ .
 سرايية الخاتم : ٤٢٥ ، ٥٠٠ .
 سرايوم الإسكندرية : ٢٣٣-٢٣٥ ،
 حاشية ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ .
 سرايوم سقارة : ٩٩ ، ٤٩٨-٤٩٩ .
 سرجون الثاني : ٥٧٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨ .
 مشيات (معبودة) : ١٤٤ (٢) ،
 ٢٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ .
 سقارة : ٢٤ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٩ ،
 ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٦-١٠٩ ، ١٢٩ ،
 ١٥١-١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨١ ،
 ١٨٣ ، ٢٩٨ ، ٤٣٥ ، ٥٠٠ ، ٦٥٧-
 ٦٥٨ ، ٦٨٣ ، ٦٩٢ .
 سقراط : ٥٩٠ - ٥٩١ .
 سقن رع : ١٥٥ ، ١٩٧ ، ٢٥٦ ،
 ٢٦٥ (٤) ، ٣٢١ .
 سيدنا (سليمان) : ٥٣٧ .
 سمنخ كارع : ٧٢ ، ٣٢٧ .
 سمنت الخراب (بالواحات) : ٦٥٩ .
 سمنه : ٧٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ .
 سمنود : ٥٠٤ ، ٦٨٣ .
 سنب : ٢٦-٢٧ ، ١٦٧ .

ششلق الأول : ٣٠٦-٣٠٧ ، ٥٢٩
(٢) .

شو : ٤٨٩ (٣) .

شوتارنا : ٢٩١ ، ٢٩٤ .

(ص)

صان الحجر : ٣٩ ، ٦٨٣ .

صفط الحنة : ٤٩٢ ، ٦٨٣ .

صور : ٣٥٤ .

صولب : ٣٢٧ ، ٥٥٣ .

(ط)

طاليس : ٢١٩ .

طره : ٥٢ ، ٥٤ (١) ، ١١٠ ، ٣٥٧ .

طهرقا : ٤٠ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٣٣٢ ، ٥٠٨ .

٥١٠-٥٢٢ ، ٥٩٧ .

طهنا : ٣٣١ ، ٥٢٢ ، ٦٨٣ .

طود : ٥٩ ، ٩٤ .

طيبة : ٣٠ ، ٣٢ (٢) ، ٣٥ ، ٣٨ ،

٤١ ، ٥٤ (١) ، ٦١-٦٣ ، ٦٥ ، ٧٠ ،

٧٢-٧٤ ، ٨٠ (١) ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ،

٩٣ ، ٩٦-٩٧ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،

١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ،

٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٨ ، ٢٣٠ ، ٢٨٩-

٢٩٠ ، ٣٠٥-٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٢٢ ،

٣٢٥ ، ٣٢٧-٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥-

٣٣٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٨٣ ،

٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ (١) ، ٥٣٠ (١) ،

٥٤٢-٥٤٣ ، ٥٤٩ ، ٦٤١ ، ٦٩٠ ،

٧٠٠ .

سوس : ٣٠٨ ، ٥٤٩ ، ٥٩٢ .

سوكر (معبود) : ١٠٦ (١) ، ١٤٤ ،

(٢) ، ٤٨٧ .

سولون : ٢١٩-٢٢٠ ، ٥٦٩ .

سيتي الأول : ٣٨-٣٩ ، ٦٢ ، ٧٢ ،

٨٦ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧-٩٨ ، ١٤٥ ،

١٥٩ ، ١٦٤ ، ٣٠٥-٣٠٦ ، ٣١٢-

٣١٣ ، ٣٢٨ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ،

٤٢٣ حاشية ، ٤٢٤-٤٢٥ ، ٤٦١ ،

٤٧٣ ، ٤٨٧ .

سيتي الثاني : ٢٧١ .

(ش)

شاباثاكا : ٣٣٢ .

شاباكا : ٤٠-٤١ ، ٣٣١-٣٣٢ .

شابر ياس : ٣٥٤-٣٥٥ ، ٦٩٩ .

شبسكاف : ٩٥ ، ١٥٠-١٥٢ .

شبه جزيرة سيناء : ٤٦ ، ٢٨٤-٢٨٥ ،

٢٩٥-٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١-٣٠٢ ،

٣٠٥ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٤٣٠ ، ٥٣٨-

٦٥٧ ، ٥٤٢ .

شسمت (معبود) : ٤٣٣ ، ٤٦٣ ،

٤٨٩ .

شسمو (معبود) : ٤٤٥ .

٥٤٠، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٠٦، ٥٢٩ (١)، ٥٤٠

٥٤٢-٦٤٢، ٦٣٧، ٦٣٠، ٥٦٠، ٥٤٢-

فيتاغورس : ٢٣٠، ٥٦٨، ٥٨٨

فيله : ٣٢٥، ٥٠٣، ٥٠٤-٥٠٨،

٥١٠، ٥٢٣، ٥٥٣

فيليب ارهيداوس : ٥٠٥، ٥١١

فينيقيا : ٢٥٨، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٠٠

٣٨٤ (حاشية)، ٥٠٦

(ق)

قادش : ٩٧، ١٩٧، ٢٥٧-٢٥٩

٣٠٥-٣٠٦، ٣١١-٣١٣، ٣٤٨

٣٥٨، ٥٩٢

قاع : ١٠٦

قاو الكبير : ١٧٠، ٥٠٨، ٦٠١

قبائل اليسيراو : ٣٠٦

قبرص : ٢٥٧، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٥٠

٣٥١-٤٤٣ (٦)، ٥٦٣، ٧٠١

قدش (معبودة) : ٤٩٢، ٥٩٦

٦٠٠

قصة القروى الفصيح : ١٩٦، ٢٧٣

قصة الملاح الغريق : ١٩٦، ٣٨٦

قصة خوفو والسحرة : ٥١٣

قصة سنوهى : ١٩٦، ٢٣٨ (٢)،

٢٨٥، ٣٠١، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٨١

٥٥٠

قطنة : ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٤٨

٤٠٢، ٤١٨، ٥١٠، ٥٢٠-٥٢١

٥٦٧، ٦٢٦، ٦٨٣

(ع)

عبد اشرتا : ٢٩٣، ٣١١

عج ايب : ١٠٦

عجا : ٣١٩

عزيرو : ٣٩٢، ٣١١

عشتارت (معبودة) : ٤٩٢، ٤٩٨

٥٩٧

عنات (معبودة) : ٤٩٢

عنخ شاشنقى : ١٩٩، ٢٤١، ٢٤٨

٢٧٥

عنقت (معبودة) : ٩٢، ٥٢٠

٦٢٨

عنييه : ٥١٩، ٥٥٣

(سيدنا) عيسى : ٥٣٦-٥٣٧

٦٣٠ (١)، ٦٣٤، ٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٨

(ف)

فارس : ٣٦٣

فسباسيان : ٨٩، ٥١٦-٥١٧

فلسطين : ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٣

٢٨٦-٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٨-

٣٠٠، ٣٠٢-٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١-

٣١٢، ٣٥٨، ٣٨٣ (٦)، ٣٨٤

(حاشية)، ٤١٨ (٢)، ٤٣٠، ٤٦١

كليوباترا : ٨٨ ، ٢٣٢-٢٣٣ حاشية،

٥٠٨ ، ٦٢٦-٦٢٧ ، ٦٣٠ (١) ، ٦٣٨ .

كليوباترا السابعة : ٨٩ ، ٥٠٣-٥٠٤ ،

٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥٧٩ .

كنوسوس : ٣٣٦ ، ٣٣٨ .

كوبان : ٣٢٠ ، ٣٢٧ ، ٥٢٠ .

كورسكو : ٣١٨ .

كورو : ٣٣٢ .

كوش : ٢٧٩ ، ٣١٧ ، ٣٢١-٣٢٩ ،

٣٣٢-٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨-٣٥٩ ،

٣٦١ ، ٤٠٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٩٣ ،

٥١٩-٥٢١ ، ٥٢٤ ، ٦١٢-٦١٣ ،

٧٠٠ .

كوم امبو : ٢٥٧ ، ٥٠٧ .

كونوسو : ٣٢٧ .

(ل)

ليبيا : ٣١٣ ، ٣٣٤ ، ٣٥٩ ، ٥٥٢ .

ليديا : ٣٥٢-٣٥٣ .

ليوننتو بوليس : ٣٣١ .

(م)

مأرب : ٦٠٠-٦٠١ .

ماردوك : ١٨٧ .

ماعت نفر ورع : ٢٩٥ .

مانيتون : ١٣٨ ، ٢٥١ .

متن : ٦٩ ، ١٦٦ .

قط : ٩٢ ، ٧٢٤ ، ٥١٠ ، ٥٩٨ ،

٦٨٣ .

قمبيز : ٤٩٣-٤٩٤ ، ٤٥٦ ، ٥٦٨-٥٦٩ .

٥٦٩ .

قمة : ٧٨-٧٩ .

قن آمون : ٣٣٦ ، ٤٢١ .

قنطير : ٧٢ .

قورش : ٣٥٣ .

قيصرون : ٥٠٣ ، ٥١٠ .

(ك)

كا إرس : ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ،

٢٤١ ، ٢٧٥ .

كادا شمان انليل : ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

كاشاتا : ٣٣٠ .

كامس : ٢٥٦ ، ٢٦٥ (٤) ، ٣٢١-٣٢٢ .

٣٢٣ ، ٥٠٢ .

كانوب : ٥٠٥ ، ٦٣٩ .

كاوعب : ١٣٩ .

كاويت : ١٤٥ (١) .

كايجمني : ١٦٧ ، ١٩٧ ، ٢٤١ ،

٢٧٥ .

كرما : ٢٠٠ ، ٣١٩ .

كريت : ٣٣٧-٣٣٩ ، ٧٠٠-٧٠٢ .

كلايشه : ٥٢ ، ٣٢٧ ، ٥٥٣ .

كلمنت السكندري : ٢٠٢ .

كلونيوس : ٨٩ .

معبد أبيدوس : ٥٩ ، ٨١ ، ٨٦ ،

١٨٦ ، ٣٤٢ ، ٣٧٣ ، ٤٢٥ ، ٤٦٢ ،

٤٨٧ .

معبد آتون : ٨٤ ، ١٧٤ .

معبد إدفو : ٨٧ ، ٩١ ، ١٨٧ ،

٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦-٣٤٧ ، ٤٣٩-

٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦-٤٤٧ ، ٤٤٨ ،

٤٦٥ ، ٤٨١ (١) ، ٤٨٦ ، ٥٠٦-٥٠٩ ،

٦٢٥-٦٢٦ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨ .

معبد أرمنت : ٥٩ ، ٩١ ، ٥٠٢ ،

٥١٠ ، ٦٥٨ .

معبد اسنا : ٨٩ ، ٩٢ ، ٣٧٩ (٣) ،

٤٣٨ ، ٤٦٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٦٢٥ ،

٦٢٨ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨ .

معبد آمون في سيوه : ٤٩٣-٤٩٦ ،

(١) .

معبد إيزيس في فيله : ٥٠٩ .

معبد ايونو : ٤٢٨ ، ٤٦١ ، ٧٠٢ .

معبد الأشمونين : ٥٩ .

معبد الأقصر : ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٦١ ،

٨٢-٨٣ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٨٥ ، ٢٧٠ ،

٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٤٢٣ ، ٤٦٢ ، ٥٠٢-

٥٠٣ ، ٦٥٠ .

معبد الدر : ٩٢ .

معبد الدكه : ٥٠٩ ، ٥٢٣ ، ٥٥٣ .

متون الأهرام : ٤١ (٢) ، ٤٥ ، ١٥٣ ،

١٥٤- .

مجدو : ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ٣٦٣ .

مدامود : ٥٩ ، ٨١ ، ٩٤ ، ٦٨٤ .

مرس عنخ : ٢٥ (٤) .

مرس عنخ الثالثة : ١٤١ ، ١٦٧ ،

٣١٥ .

مرسوم كانوب : ٥٠٥ .

مرنبتاح : ٧٣ ، ٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٠٦ ،

٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٥٨ ، ٤٢١ ، ٤٨٦ ،

٥٥١ .

مروى : ٢٧٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٥١٩ ،

٥٢٠-٥٢٣ ، ٥٢٦-٥٢٣ ، ٥٥٣-٥٥٤ ،

٦١٢ .

مري إن رع : ٢٧ ، ٧٢ ، ١٥٣ ،

٤٩١ .

مري رع : ٧٢ .

مري روكا : ١٦٨ ، ١٨٢ .

مريت آتون : ٢٦٧ .

مريت ايت إس : ١٣٨ ، ٢٨٣ .

مريت نيت : ١٠٥ .

مريكارع : ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٧٤ .

معبد أبو سمبل : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ (١) ،

٩٠ ، ٩٢-٩٣ ، ٥٢٠ ، ٦٥١ .

معبد أبو عودة : ٩٢ ، ٦٥١ .

٤٨٦ ، ٥٠٩-٥١٠ ، ٦٢٨ ، ٦٥٠ ،
٦٥٨ ، ٦٦٨ .

معبد نوش : ٩٠ .

معبد دير المدينة : ٥٠٨ ، ٥١٠ .

معبد دير شلويط : ٤٤١ ، ٤٦٤ .

معبد طود : ٥٩ ، ٩٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٣ .

(٩) ، ٤٦٤ ، ٦٢٨ .

معبد عمدا : ٨٤ .

معبد فيله : ٨٩ ، ٩١ ، ٢٧٧ (١) ،

٤٤٦ ، ٤٥٤-٤٥٥ ، ٤٦٤ ، ٥٥٤ ،

٦٢٥ ، ٦٢٨ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨ .

معبد قصر العجوز : ٩٠ ، ٦٥٨ .

معبد كلاشه : ٩٠-٩١ ، ٥٠٩ ،

٥٥٣ .

معبد كوم امبو : ٩٠-٩١ ، ٤٥٥ ،

٥٠٩-٥١٠ ، ٦٢٨ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨ .

معبد مدامود : ٥٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ،

٤٤٠-٤٤١ ، ٥٦٤ ، ٤٦٧ ، ٥٠٩ .

معبد مدينة هابو : ٣٧-٣٨ ، ٦٢ ،

٧٣ ، ٧٦-٧٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٦٠ ،

٣٤٦ ، ٣٧٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٧ ، ٤٤١ ،

٤٨٦ ، ٥٠٨ ، ٥٩٨ .

معبد هيبس : ٨٧ ، ٩١ .

معبد وادي السبوع : ٩٢ .

مكت رع : ٧٠ ، ١٦٩ .

منتوحتب الأول : ١٥٤ ، ٢٦٨ .

معبد الدير البحري : ٥٧ ، ٦٢ ، ٩٠ ،

٩٣ ، ٩٥-٩٦ ، ١٥٤ ، ٢٧٧ (١) ،

٣٠١ ، ٣٨٤ (حاشية) ، ٣٩٠ ، ٤١٣ ،

٤١٩ ، ٤٦٠ ، ٤٧٥ (٢) ، ٥٠٢-٥٠٣ ،

٦٥١ ، ٦٥٧ .

معبد الرمسيوم : ٣٧ ، ٣٩ ، ٦٢ ، ٧٣ ،

٩٥-٩٧ ، ١٩٦ (٢) ، ٢٢٢ ، ٤١٦ ،

٤٨٦ ، ٥٠٢ .

معبد الكاب : ٥٠٨ .

معبد الكرنك : ٣٧-٣٨ ، ٣٩ ، ٥٩ ،

٦١ ، ٨٢-٨٧ ، ٩٠-٩١ ، ٩٤-٩٦ ،

٢٢٩ ، ٢٥٤ (٥) ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٣٠ ،

٣٣٢-٣٣٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ،

٣٧٩ (٣) ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ،

٤٠٧-٤٠٨ ، ٤١٣-٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٣٨ ،

(٣) ، ٤٥٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٩٣ ،

٥٠٢-٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥٢٢ ،

٥٢٩ (٢) ، ٦١١ ، ٦٥٠ ، ٦٥٧ .

معبد بتاح في منف : ٤٣١ .

معبد بيت الوالى : ٩٢ .

معبد تانيس : ٨٦ .

معبد جرف حسين : ٩٢ .

معبد دابود : ٥٠٩ .

معبد دنبرة : ٧٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٢٢٩ ،

٤٣٩-٤٤٠ ، ٤٤٩-٤٥٢ ، ٤٦٤ ،

(سيدنا) موسى : ٥٣٠-٥٣١ (٢)،

٥٣٢-٥٣٣، ٥٣٧، ٦٢٨، ٦٣٤،

٦٥٤، ٦٦٨، ٧٠٢ .

موننو (معبود) : ٩١، ٩٨، ٣٠٢،

٤٤٢، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥٠٥ .

ميت رهينة : ٦٤، ٦٨٤ .

ميتاني : ٢٩١-٢٩٢، ٣١١، ٣٤٧،

٣٤٨- .

مينوم : ٢٣، ٢٦، ١١٦، ١٦٨،

٦٨٤ .

مين (معبود) : ٥٨، ٩٦، ٩٨،

٣٨١، ٤٤٩، ٤٦٧، ٤٨٩، ٥٩٦ .

مينوى : ٣٣٩، ٣٤٧-٣٤٨ .

(ن)

نب آمون : ١٨١، ٢٩٠ .

نبياتا : ٢٧٩، ٣٢٩-٣٣٢، ٣٣٥،

٤٣٠-٤٣١، ٤٣١-٤٣٢، ٥٥١ .

نبت (اسم علم) : ٢٦٦ .

نب كا : ١١٥ .

نبطه : ٦٠٧-٦٠٨ .

نحسى : ٣٢٦، ٤١٢-٤١٣، ٤٢٥،

٤٨٨ .

نخبت : ٤٨٩ (١) .

نختبو الاول : ٤٢، ٨٩، ٩١، ٣٥٣،

٥٠٣ .

منتوحتب الثانى : ٩٥-٩٦، ١٥٤،

١٦٩، ٣٠١، ٣١٩، ٣٨٠ .

منتوحتب الثالث : ٣٨٠ .

منتومحات : ٤١ .

من خبر رع : ١٧٣ .

منخبر رع سنب : ٤٢٠ .

مندس : ٣٥٥، ٥٠٤ .

منف : ٣٠، ٣٩، ٥٤ (١)، ٥٨،

٦٠، ٦٩، ٧١-٧٣، ١٠٣، ١٠٦،

١٤٨، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٢٧-٢٢٨،

٢٧٠، ٣١٤، ٣٣١، ٣٤١، ٣٥٦-

٣٥٧، ٣٥٩، ٤٣٠، ٤٩٥-٤٩٦ (١)،

٤٩٨-٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٣٨،

٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٩٧، ٦١٢،

٦٢٣-٦٢٤ .

منكاو حور : ٢٩٨ .

منكاورع : ٢٦، ٦٩، ٩٥، ١٤٩،

١٧١، ١٦٦، ٣٦٩، ٢٨٣ .

منهيت : ٦٢٨ .

منيفس : ٥٠٥، ٥٠٧ .

مواتلى : ٣١٢ .

موت : ٨٣، ٨٧، ٩٠، ١٤٤ (٢)،

٤١٠، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٦٧، ٥٠٢-

٥٠٨ .

موت ام ويا : ٢٩٤ .

نى عنخ بيبي : ٢١٨ (١) .
 نيت (معبودة) : ٨٩ ، ١٦١ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨-٤٣٩ ،
 ٤٤١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣-
 ٤٩٥ ، ٥٠٢-٥٠٣ ، ٥٦٥ ، ٦٢٥ ،
 ٦٢٨ ، ٧٠١ .
 نيت (ملكة) : ١٥٣ - ١٥٤ .
 نيت حتب : ١٠٥ .
 نيتو كريس : ٢٦٦ .
 نينوى : ٢٢١ (٣) ، ٥٧٦ ، ٥٩٥ .

(هـ)

هانريان : ٤٦٩ ، ٦٢٨ ، ٦٦٨ .
 (سيدنا) هارون : ٥٣٧ ، ٦٥٤ .
 هرقل : ٦٤٢ ، ٦٤٥ .
 هرمو بوليس : ٢٨٨ ، ٣٣١ ، ٥٢٢ .
 هكر : ٤٢ ، ٣٥٤ ، ٦٦٩ .
 هليوبوليس : ٣٣٢ ، ٥٢١ .
 هـواره : ٤٩ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ١٥٦ ،
 ٦٨٤ .
 هوميروس : ٢٣٣ حاشية ، ٥٧٢ ،
 ٦٨٠ .
 هيراقليوبوليس : ٣٣٠ .
 هيراقو نبوليس : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨١ ،
 ١٠٢-١٠٣ .

نختنبو الثانى : ٩٩ ، ٣٥٥ ، ٤٣٤ ،
 ٥١٣ .
 نحن : ٦٠ .
 نعرمر-منى : ٦٠ ، ٩٤ ، ١٠٥ ،
 ٥٩٣ .
 نفر إركارع : ١٥٣ ، ٢٣٠ .
 نفر إفرع : ١٥٣ .
 نفرت : ١٦٦ .
 نفرتارى : ١٦١ ، ٢٩٣ .
 نفرتيتى : ٣٦ .
 نفر حتب الأول : ٢٨٩ .
 نفر ماعت : ٢٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ .
 نفورع : ٢٦٧ .
 نفريتس الأول : ٣٥٣ .
 نقادة : ١٠٥ - ١٠٦ .
 نقراطيس : ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٥٠٤ ،
 ٦٩٨ ، ٥١٥ .
 نكاو الثانى : ٣٣٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ،
 ٤٣٣ ، ٦٩٨ .
 نهتم عاوى : ٤٣٤ .
 نوت : ١٥٠ .
 (سيدنا) نوح : ٥٣١ (٢) ، ٥٣٥ ،
 ٥٣٧ .
 نورى : ٣٢٥ ، ٦١١ .
 نى اوسررع أنى : ٩٥ ، ١٥٣ ،
 ٢٩٨ .

ون آمون : ٣٠٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٣ ،
٤٢٥ (٢) ، ٥٦٢ .

ونى : ٢٩٨ .

ونيس : ٤٥ ، ١٠٧ ، ١٥٣ ، ٢٩٨ ،
٤٩١ .

(ي)

(سيدنا) يعقوب : ٥٢٩ - ٥٣١ (٢) ،
٥٣٦ ، ٦٣٤ ، ٦٥٤ ، ٦٦٨ .

(سيدنا) يوسف : ٥٢٩ - ٥٣٠ ،
٥٣٥ - ٥٣٦ ، ٦٣٤ ، ٦٥٤ ، ٦٦٨ .

يوسيفوس : ٦٣٣ .

يوليوس قيصر : ٢٣٤ حاشية ،
٥٠٢ ، ٥١٧ ، ٥٧٨ - ٥٧٩ .

يويا وتويا : ٤٧ .

هيروذوت : ١١٧ ، ١٢٢ - ١٢٣ ،
١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٥٦ ، ٢٠١ ، ٣٢١ ،

٣٥٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ - ٥٦٥ .

هيكاتيه الأبدى : ٥٦٥ .

هيكاتيه الملتى : ٥٦٣ .

(و)

واجى : ٦٨ ، ١٠٦ .

واحة سيوه : ٤٨٩ (١) ، ٦٢٣ .

وادي الحمامات : ١٠٨ ، ٣٨٠ ،
٥٤٢ ، ٥٤٦ .

وادي السبوع : ٥٥٣ .

وادي العلاقى : ٣٢٨ .

وادي المغارة : ٢٩٦ - ٢٩٩ ، ٣٠٢ .

وادي جواسيس : ٣٨٠ - ٣٨٣ ،
٣٨٥ ، ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٤٥٧ .

وادي حلفا : ٥٢ ، ٧٨ ، ٣٢٠ .

وادي طميلات : ٣٠١ .

وادي نبطه : ٦٠٨ ، ٦١٠ - ٦١١ ،
٧٠٣ .

واوات : ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ ،
٣٣٥ .

وبواوات : ٣٠٩ .

وجاحر رسنت : ٢٢٨ ، ٤٩٣ .

وديمو : ١٠٤ ، ١٦٣ ، ٢٩٦ ، ٣٣٧ .

وررت : ٣٨١ ، ٤٨٩ .

وسركاف : ٩٥ ، ١٥٢ ، ٣٣٩ .

الجزء الثالث
(محتويات الكتاب)

صفحة

الباب العاشر

الحياة الفنية ومجالاتها ومظاهرها

مفهوم الفنون : ٩ - ١٢

١٣ الفنون التشكيلية والتعبيرية

١٣ أولا : الفنون التشكيلية :

=====

١٣ الفصل الأول: الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة

والتطعيم ومراحل التطور عبر العصور المختلفة :

١٣ - ٤٥ (١ - ٣) الرسم والنقش والنحت

٤٥ - ٤٦ (٤) التلوين

٤٦ - ٤٩ (٥) الزخرفة وفن التطعيم

٥١ الفصل الثانى : العمارة وأشكالها وأنواعها وتطورها عبر

العصور المختلفة :

٥١ - ٥٥ - مقومات البيئة وفن العمارة

٥٥ - ٥٩ - العوامل التى أثرت فى فن العمارة

أولا : العمارة الدنيوية :

٥٩ - ٦٥ (١) تشييد مدن العواصم والمدن ذات القداسة الدينية

٦٦ - ٧٧ (٢) عمارة القصور ومنازل الأفراد

٧٧ (٣) تشييد مباني الإدارات المختلفة

٧٧ - ٧٨ (٤) إقامة السدود

٧٨ - ٧٩ (٥) إقامة الحصون

الصفحةثانيا : العمارة الدينية :

- (١) معابد المعبودات ٧٩ - ٩٠
 (٢) معابد الولادة (أو الماميزى) ٩٠ - ٩٢
 (٣) المعابد الصخرية ٩٢ - ٩٣
 (٤) المقاصير ٩٣ - ٩٤
 (٥) جواسق اليوبيل ٩٤ - ٩٥

ثالثا : العمارة الجنائزية :

- (١) المعابد الجنائزية ٩٥ - ٩٨
 (٢) سراديب موميאות الحيوانات والطيور المقدسة ٩٩ - ١٠١
 (٣) أهمية عمارة المقابر ١٠١
 (٤) مقابر الحكام والمقابر الملكية ١٠١ - ١٦١
 (٥) المقابر الرمزية ١٦١ - ١٦٢
 (٦) مقابر كبار الشخصيات ١٦٢ - ١٧٤
 (٧) دفنات ومقابر العمال ١٧٥ - ١٧٧

ثانيا : الفنون التعبيرية :

=====

- (١) الموسيقى ١٧٧ - ١٨٢
 (٢) الغناء بأنواعه ١٨٢ - ١٨٣
 (٣) الرقص بأنواعه ١٨٣ - ١٨٦
 (٤) محاكاة فن المسرح ١٨٦ - ١٨٧
 (٥) محاكاة فن الكاريكاتير ١٨٧ - ١٩١

الباب الحادى عشرأساليب التربية ونظم التعليم

- أولا : مفهوم التربية والتعليم ١٩٣ - ١٩٤
ثانيا : مصادر دراسة نظم التربية والتعليم ١٩٥ - ٢٠١

الصفحة

٢١١-٢٠١	<u>ثالثا : أهمية العلم والتعلم</u>
٢١٦-٢١١	<u>رابعا : الأهداف من وراء العلم والتعلم</u>
٢٢١-٢١٦	<u>خامسا : دور المعلم ووسائله التعليمية</u>
٢٢٨-٢٢١	<u>سادسا : مراحل التعليم وتدرجها</u>
٢٣١-٢٢٨	<u>سابعا : دور المخطوطات والمكتبات والأرشيفات</u>
٢٥٩-٢٣٢	<u>ثامنا : مناهج التعليم والدراسة</u>
٢٦٦-٢٥٩	<u>تاسعا : طرق ووسائل التقويم التعليمية</u>
٢٦٧-٢٦٦	<u>عاشرًا : نصيب الفتاة من التعليم</u>
٢٧٨-٢٦٨	<u>حادى عشر : عشاق الثقافة وما بقى من تراثهم</u>

الباب الثانى عشرمظاهر الحضارة المصرية القديمة وانعكاساتهاوتأثيرها فى مجال العلاقات الخارجية

٢٨٣-٢٧٩	<u>مقدمة</u>
٣٥٦-٢٨٣	<u>أولًا : بالنسبة لأساليب الحكم والنظم الإدارية وانعكاساتها</u> <u>وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى فى الشرق</u> <u>والغرب والجنوب والشمال .</u>
٣٦٠-٣٥٧	<u>ثانيًا : بالنسبة لمظاهر الحياة الاجتماعية وانعكاساتها</u> <u>وتأثيرها على بعض الشعوب الأخرى فى الشرق</u> <u>والغرب والجنوب والشمال .</u>
٤٩٠-٣٦٠	<u>ثالثًا : بالنسبة لمظاهر الحياة الاقتصادية وانعكاساتها</u> <u>وتأثيرها فى العلاقات مع بعض الشعوب الأخرى فى</u> <u>الشرق والغرب والجنوب والشمال .</u>
٥٣٧-٤٩٠	<u>رابعًا : بالنسبة للعقائد الدينية ومظاهرها وانعكاساتها</u> <u>وتأثيرها فى معتقدات بعض الشعوب الأخرى .</u>

الصفحة

- خامسا : بالنسبة للحياة الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما
 ٥٩٠-٥٣٨ بها من تجارب ومعارف وما لها من تأثير على
 ثقافات بعض الشعوب الأخرى .
- سادسا : بالنسبة للحياة الفنية ومظاهرها وما لها من تأثير
 ٦١٣-٥٩١ فى فنون بعض الشعوب الأخرى .
- سابعا : بالنسبة لأساليب التربية ونظم التعليم وما لها من
 ٦١٧-٦١٣ تأثير على أهل الفكر من الشعوب الأخرى .
- الباب الثالث عشر
- مظاهر الحضارة المصرية القديمة بين مراحل الارتقاء
والازدهار ومراحل الانحسار والغروب
- مراحل الارتقاء والازدهار . ٦٢١-٦١٩
- مراحل الانحسار والغروب وأسبابها . ٦٥٦-٦٢١
- ما بقى من عناصر هذا التراث الحضارى العريق عبر
 العصور المختلفة . ٦٩٤-٦٥٦
- الخاتمة العامة . ٧٠٤-٦٩٥
- كشف الأعلام . ٧٢٩-٧٠٧
- محتويات الكتاب (الجزء الثالث) . ٧٣٤-٧٣١

رقم الإيداع ٢٠٩٤٨ / ٢٠٠٥

I.S.B.N.

977-17-2799-6

مطابع المجلس الأعلى للآثار

